البيان الصحيح لحواريي المسيح

تقديم الأستاذ

عبد اللطيف عبيد

شارك في هذا العمل إلى جانب لجنة الترجمة

الدكتور إكرام لمعي — الأستاذة عواطف زويدي

الدكتور علي الحنليي — الدكتور نور الدين العزلي

البَيانُ الصَّريح لِحَوارِيِّي المسيحِ

الجزء الثاني من العهد الجديد
وقد صدر الجزء الأول تحت عنوان:
المعنى الصحيح لانجيل المسيح

جميع الحقوق محفوظة ©
للناشرين

الطبعة الثالثة
2017

صدر الجزء الأول من العهد الجديد
تحت إسم المعنى الصحيح لانجيل المسيح

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب
أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات
أو نقله أو استنساخه بأي شكل من الأشكال
دون إذن خطي مسبق من الناشر

الآراء الواردة في هذا الكتاب
لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات تتبناها الدار

ISBN 978-614-430-057-2

كتابنا للنشر

دار كتابنا للنشر
لبنان – المنصورية (المتن)
تلفاكس: 00961/4/532255 موبايل: 00961 /3 /808415
e-mail: kitabouna@yahoo.com
www.kitabouna.com

الفرات

الفرات للنشر والتوزيع / الإدارة والتوزيع
رأس بيروت – شارع عبلا – بناية بخعازي – بيروت – لبنان
تلفاكس: 00961/1/750554
e-mail: alfurat@alfurat.com

البيان الصحيح لحواريي المسيح

تقديم الأستاذ

عبد اللطيف عبيد

شارك في هذا العمل إلى جانب لجنة الترجمة

الدكتور إكرام لمعي

الأستاذة عواطف زويدي

الدكتور علي المخلبي

الدكتور نور الدين العزبي

تم هذا العمل الجليل بإشراف

منصور الذهبي و مظهر الملوحي

رسالة إلى القارئ

أيّها القارئ الكريم،

إنّ هذا الكتاب الذي بين يديك «البيان الصّريح لحواريّي المسيح» هو الجزء الثّاني الذي به يكتمل «العهد الجديد». وكان الجزء الأوّل قد صدر في طبعات عديدة عن دار الفارابي ودار كتابنا، تحت عنوان «المعنى الصّحيح لإنجيل المسيح» (الطبعة الأولى، طبعة بيروت سنة 2008).

ويضمّ كتاب «البيان الصّريح لحواريّي المسيح» الرّسائل التي كتبها بولس المعروف في الأدبيّات المسيحيّة بـ«بولس الرّسول» ورسالتي بطرس الصخر، وهو أحد حواريّي السيّد المسيح (سلامه علينا)، ورسالة الحواري يعقوب ورسائل الحواري يوحنّا، ورسالة يهوذا، ويأتي في آخر الكتاب نصّ «رؤيا يوحنّا».

ولـ«رسائل الحواريّين ورؤيا يوحنّا» أهميّة كبيرة في الديانة المسيحيّة باعتبارها جزءا لا يتجزّأ من «العهد الجديد»، بل إنّ هذا الكتاب يكوّن مع «المعنى الصّحيح لإنجيل المسيح» الذي سبقت الإشارة إليه ما تعوّدت سائر الترجمات أن تنشره في مجلّد واحد باعتباره «العهد الجديد» كاملا.

ويعالج كتاب «البيان الصّريح لحواريّي المسيح» القضايا العقائديّة والاجتماعيّة التي عاشتها المجموعات المسيحيّة الأولى (والمسمّاة في الأدبيّات المسيحيّة القديمة والمتأخّرة بـ«الكنائس») ولذلك نجد معالجة لمنزلة المرأة وللعلاقة بين الأسياد والعبيد مثلا، ولقيمة تضحية السيّد المسيح (سلامه علينا) ومقارنتها بخطيئة آدم الأولى...الخ، ورغم أنّه لا يستعيد سيرة المسيح وما ورد على لسانه (سلامه علينا) كما فعلت الأناجيل، فإنّه جزء حيويّ في العقيدة المسيحيّة ولا غنى عنه لفهمها ولاستيعاب قضاياها ورسالتها، سواء تعلّق الأمر بأهل الإيمان التوحيديّ عامّة أو بالمسيحيّين خاصّة.

وتتميّز هذه الترجمة العربيّة الجديدة، مقارنة بالترجمات العربيّة السّابقة التي اطّلع

المترجمون على ما يزيد عن ستٍّ منها وقد أنجزت أولاها منذ القرن التاسع للميلاد/ الثالث للهجرة، بسعيها إلى تقريب المفاهيم المسيحيّة الصّحيحة والدّقيقة إلى القارئ العربي المعاصر، سواء أكان مسيحيّا أم مسلما، وتقديمها بلغة عربيّة فصيحة معاصرة مبسّطة دونما تشويه أو انحراف عن المعاني الأصليّة. وإذا ما بدا للقارئ العربي عامّة وللمسيحيّ منه خاصّة، أنّ هذه الترجمة العربيّة الجديدة لـ« رسائل الحواريّين ورؤيا يوحنّا» قد اعتمدت بعض المصطلحات والتسميات المغايرة ظاهريّا للتقليد الكنسي فإنما كان ذلك بهدف تجنّب الخلط واللّبس اللذين قد يحصلان في ذهن القارئ الذي قد يتوقّف في فهم النصوص على ظاهرها ويأخذ بالمعاني اللغويّة للألفاظ دون غوص في باطنها.

وبالإضافة إلى ذلك فإنّ المترجمين قد رأوا أنّ اعتماد هذه المصطلحات أو التسميات بالذات يعدّ أدقّ أداء وأقرب إشارة إلى المعاني الأصليّة كما عبّرت عنها النصوص الأصليّة وتحديدا النصوص اليونانيّة والعبريّة.

أيّها القارئ الكريم،

لا يسعني إلاّ أن أشيدَ بهذا الجهد العظيم الذي بذله السّادة العلماء المترجمون والمدقّقون والمراجعون في هذه الترجمة العربيّة الجديدة لـ«رسائل الحواريّين ورؤيا يوحنّا» ذلك أنّ القارئ العربي مسيحيا كان أم مسلما، هو في أمسّ الحاجة إلى استيعاب مضامين «العهد الجديد» بلغة العصر وفي ضوء ما استجدّ من اكتشافات علميّة وبحوث تاريخيّة وعقائديّة غزيرة. وقد سعى المترجمون إلى الإفادة من كلّ جهود السّابقين، كما سعَوا إلى مساعدة القارئ العربي على أن يغوص أكثر فأكثر، وبأيسر لغة وأوضح أسلوب، في مضامين الديانة المسيحيّة. وإن هذا الجهد النّبيل ليقدّم خدمة جليلة لأمّتنا العربيّة ولمثقّفينا ولأجيالنا الناشئة. وتتمثّل هذه الخدمة في المساعدة على زيادة التقريب والتفاهم والتعايش بين أتباع الديانتين الإسلاميّة والمسيحيّة اللتين تشكّلان بتكاملهما وتفاعلهما، الرّكيزتين الأساسيّتين للحضارة العربيّة الإسلاميّة. إنّ المسيحيّة جزء من ثقافة العربي المسلم، كما أن الإسلام جزء لا يتجزّأ من ثقافة العربي المسيحي. وإذا كانت عصور الانحطاط والوهن الحضاري والتأثيرات السلبيّة للمستعمر الأجنبي والمغتصب الدّخيل قد أدخلت أحيانا على هذا التقارب الإسلامي

المسيحي بعض الكدر والالتباس فإنّ العرب اليوم، مسلمين ومسيحيّين، مدعوّون إلى تجاوز الصعوبات والسلبيّات الحاصلة من أجل مستقبل أفضل لأمّتنا بديانتيها التوحيديّتين.

{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: 92]

الأستاذ: عبد اللطيف عبيد[1]

(1) مساعد أمين عام الجامعة العربية، وعضو في المجمع اللغوي العربي، ووزير سابق للتربية والتعليم في الجمهورية التونسية.

المسيحية والعلمانية

د. عيسى دياب

المقدمة

العلمانية والدولة المدنية من أهم المواضيع المطروحة اليوم في سياق الديانات الإبراهيمية في منطقة الشرق الأوسط. حاولت المسيحية، في القرون الوسطى، تركيب نماذج من الدول الدينية، فخرج نموذج الإمبراطورية البيزنطية، وتبعه نموذج الإمبراطورية المقدسة برئاسة البابا في أوروبا، وغرق المصلحون البروتستانت في البؤرة نفسها من حيث لا يدرون. ومرت المسيحية بمخاض عسير حتى سلمت بحق الشعوب بتأسيس دول مدنية. واليوم، تُبذل محاولات في الشرق لتأسيس دول دينية بمسوغات نصية. وكوننا لا نستطيع معالجة الموضوع بكل أبعاده وفي كل الديانات المتواجدة في منطقة الشرق الأوسط، سنعالج الموضوع بالمنظور المسيحي.

لكن العلمانية، وإن طُرحت كمفهوم وكنظرية في عصر الأنوار، هي مؤسسة على تاريخ طويل من العلاقة بين الإنسان والدين. من هنا نبدأ، فنتكلم عن نشوء العالمين: العالم العلوي الإلهي، والعالم الأرضي البشري. بعد أن نتكلم عن العلمانية في السياق الشرق أوسطي، نتتبع تطور المقدس والدنيوي في التاريخ، ثم نحصر الموضوع في المسيحية، فنرى السياق الحضاري الذي جعل المسيحية، بدايةً، تكون على عداء مع العلمانية، ثم ندرس المسوغات اللاهوتية التي جعلها تتصالح معها بل وتعترف بحق الشعوب بها.

الدين والإنسان

توجد منهجيتان لمقاربة هذا الموضوع:

1. المنهجية الثيولوجية، وهي التي تنطلق من التسليم بوجود «ألوهة» (إله أو عدة آلهة)، ووجود وحي أو تنزيل، من دون الحاجة إلى براهين حسّية بل إلى

مجرّد «الإيمان». أتباع هذه المنهجية يدرسون الدين وعلاقته بالإنسان بمقاربة تفسيرية وتحليلية للنصوص المقدسة التي تشكل المرجعية الأساس، مع شيء من المنطق العقلاني الذي يسلم بحقيقة هذا الوحي.

2. المنهجية التاريخية السوسيولوجية، وبموجبها يُنظر إلى الدين كظاهرة إجتماعية واكبت المجتمعات البشرية عبر العصور، بينما موضوع الإيمان بوجود إله أو آلهة وبوجود وحي أو تنزيل هو مجرد خيار شخصي لا يمكن أن يخضع للفحص الفلسفي أو التاريخي أو السوسيولوجي. أتباع هذه المنهجية يدرسون الظاهرة الدينية في الحياة البشرية بمنهجية العلوم الإنسانية، وخاصة علم الاجتماع والتاريخ وعلم النفس.

بينما أموضع نفسي في مجال الإيمان، وأحدو بنفسي إلى صف المؤمنين، أحرص، في هذه المقالة أن أستخدم المنهجيتين دون التطرق إلى إطلاق الأحكام بالصح أو الخطأ كوني أعتقد أن «الإيمان» خيار شخصي لا يخضع للبرهان العقلي والتحليل العلمي.

الإنسان العاقل[1] والدين مترابطان. لا إنسان من دون فكر ديني مهما كان هذا الفكر الديني بسيطًا أو معقدًا، منظمًا، أم فوضويًا، ممأسَسًا أم عبثيًا، نمطيًا أم حركيًا. هذا هو الواقع الأنثروبولوجي الذي ننطلق منه في مقالتنا. ونذهب إلى القول إن الفكر الديني من السمات الأساسية للإنسان العاقل. الفكر الديني الأول الذي انتهجه الإنسان العاقل هو الاعتقاد بوجود قوى متعالية، سماوية، فوق طبيعية، غيبية، خفية، وما ورائية، وبأن لهذه القوى تأثير على الإنسان وحياته في المكان والزمان حيث يعيش، وعلى القوى الطبيعية المؤثرة في حياة الإنسان مثل الأجرام والكواكب، والظواهر المناخية، والزرع والنمو والحصاد، والولادة والنمو والموت. هذه القوى المتعالية تدعى الألوهة، وللألوهة عالمها، **من هنا علينا التمييز بين عالم الألوهة والعالم المادي.**

ومع الوقت، تطورت المفاهيم الدينية، وتجمعت في منظومات عقدية، وصار لها ممارسات وطقوس، فنشأت الديانات المنظمة. وتمأسست هذه الديانات، فنشأت، في

---

(1) «الإنسان العاقل»، مقارنة بـ«الإنسان البهيمي» هو الإنسان الذي يمتلك ملكة التواصل بالكلام، وإمكانية التحليل والتمييز والإحساس بالجمال، وملكة الفكر الأخلاقي والديني.

كل دين ما صار يُعرف بـ«المؤسسة الدينية». وبعد عصور سادت فيها الديانات، التي نسميها اليوم وثنية، في منطقة الشرق الأوسط، ظهرت الديانات التوحيدية، واصبحت تُعرف بـ«اليهودية» و«المسيحية» و«الإسلام».

من جهة ثانية، يقول هذا الواقع الأنثروبولوجي إن في الإنسان على الأقل ثلاثة أبعاد: البعد الذي يولد عند الإنسان وعيَه بنفسه، وندعو هذا البعد النفسي؛ والبعد الذي يؤمن للإنسان إحساسه ووعيه لعالمه المادي المحيط به، وندعو هذا البعد المادي؛ والبعد الذي يجعل الإنسان يتحسس اللامحدود، السماوي، العلوي ويدفعه لمحاولة الاتصال به، وندعو هذا البعد الروحي. بينما يُقرّ علماء الأنثروبولوجيا بالبعدين الأولين في الإنسان، لا يوجد إجماع على البعد الثالث، أي الروحي. فمنهم من يسند وجوده إلى تكوين الإنسان وحقيقة وجود عالم الألوهة أو العالم العلوي السماوي الروحي؛ ومنهم من يرى أن الإنسان هو من يخلق لنفسه هذا الإحساس بسبب خوفه وجهله لمسببات الظواهر الطبيعية وأحداث الحياة؛ ومنهم من ينكر وجود هذا البعد كليًا ويعتبره مجرد هوس نفسي، وهؤلاء ينكرون أيضًا وجود عالم الألوهة.

بالنسبة للنظرة الكونية، نركز، في هذه المقالة، على أمور العالم المادي، وندعوها احيانًا «الزمني» أو «الدنيوي» (من الدنيا، الأرض) وأمور العالم العلوي ندعوها «المقدس». فـ«الدنيوي» ينتمي إلى العالم المادي، والمقدس ينتمي إلى العالم الروحي.

هل من علاقة للديني والدنيوي، أو للدنيوي والمقدس؟

واحدة من أكبر المعضلات المحيرة، والإنسان مدعو لمواجهتها هو التناقض، أو لنقل التوتر، بين المقدس والدنيوي. بـ«عين الروح»، نعاين عالم وجود وراء هذا العالم؛ عالم الحقيقة، والجمال والسلام. نعاين الله الذي يمثل أصدق صورة لسعادتنا الخاصة. في الوقت نفسه، نعاين، بـ«عين الجسد»، عالمًا آخر من الوجود، هو كون الوجود الملموس حيث يولد الناس ويموتون، وحيث يحلمون أحلامهم ويقومون بمغامراتهم خلال الفترة الممنوحة لهم على الأرض.

ما هو العالم الحقيقي؟ ما هي الطريق الأصيلة إلى الحقيقة؟ هل هي «عين الروح»؟ أم «عين الجسد»؟ ترك لنا المفكرون، في تاريخ الفكر، أربعة مواقف حيال هذه

المعضلة:

1. المثالي يؤكد أننا، بـ«عين الروح» وحدها، نعاين الواقع الحقيقي. وما نعاينه بـ«عين الجسد»، ما هو إلا سراب وظل ووهم وغير الحقيقة ومن نتاج العقل البشري.
2. المادي يؤكد بأن عالم الوجود المادي هي الحقيقة، في حين أن أمور الرؤى التي بلّغها أولئك الذين يرون الأشياء بـ«عين الروح»، ما هي إلا أساطير وتصورات وتخيلات من نتاج المخيلة غير المنضبطة.
3. والثنائي يقبل العالمين كواقع حقيقي. ولا يتردد عن التمييز والتفضيل بينهما: فالله هو علم الكمال، مانح الحياة، والقدرة على اكتمالها. بينما عالم الوجود المادي هو عالم الشر والإحباط، وعلى الإنسان أن يتحرر منه تدريجيًا. وما خيوره إلا خيور وهمية. ويؤكد الثنائي بأن هذه «الخيور» في عالم المادة هي سراب خادع يُبعدنا عن الغاية الأساسية لحياتنا التي هي وصل نفوسنا بالله الموجود في العالم ويتجاوزه، والقادر على مساعدتنا ننجو من فخاخ الأوهام المنصوبة للإيقاع بنا في هذا العالم.
4. الموحد يقبل أيضًا بوجود العالمين في الواقع الحقيقي، لكنه يُسلّم باستقلالية أحدهما عن الآخر. ويرى أن عالم الوجود المادي هو جزء من الخلق الإلهي، وليس وهمًا أو ضلال. وغايته ليست جذب الإنسان وإغرائه ليلهو عن غاية الحياة الأساسية، بل مساحة تعطي الإنسان امتياز النمو ليبلغ الكمال الوجودي والأخلاقي، لعله يقارب الله الذي هو علة وجوده.

«المقدس» و«الدنيوي»، «الديني» و«العلماني»

رأينا أعلاه، باقتضاب شديد، كيف نشأ مفهوم «العالم العلوي»، «المقدس»، و«العالم المادي»، الدنيوي» أو «الزمني». ونتكلم هنا عن هذين العالمين بتفصيل أكثر.

«المقدس والدنيوي» عبارة اصطلاحية تشير إلى التجارب الصادرة عن هذين العالمين من الكينونة. الأمور التي يدّعي بعضهم أنهم يعاينونها بـ«عين الروح»، أو يستشعرون بها بالحس الروحي هي أمور تتعلق بـ«المقدس». والأمور التي يتحسّسها

الإنسان بحواسه الطبيعية هي أمور تتعلق بـ«الدنيوي». هكذا تكون الحياة البشرية تخوض التجارب في هذين العالمين.

عندما نقول «الديني» نعني الكيان (العالم أو المؤسسة) التي تُعنى بشؤون «المقدس» أو «العالم الروحي». «الديني» تجسيد لـ«الروحي» في العالم المادي. كأن نقول مثلاً الكنيسة تُعنى بالشأن الروحي وتدير شؤونه على الأرض. ويُطلق أحيانًا على «الدنيوي» اسم «علماني»، بمعنى «اللا ديني»، وليس بالضرورة «ضد الديني»، بل، وبكل بساطة، أمور تنتمي إلى هذا «العالم» المحسوس والمادي، وليس إلى العالم العلوي الإلهي الروحي وستأتي على تناول هذه المفردة لاحقًا.

يجب الانتباه إلى أنه توجد مراحل مختلفة، ودرجات متفاوتة في عالم المقدس. أي خبرة تجريبية هي دنيوية (علمانية) عندما ينظر إليها وتُفحص في إطارها المادي. لكنها تصبح من «المقدس» إذا نُظر إليها ودُرست في سياق ديني، ما يُضفي على هذه الخبرة طابع روحي وتُعتبر جزءًا من كلّ ديني، أو مخطط رباني. النوم مثلاً، يكون مقدسًا إذا كان من يتمتع به يعتبره يحدث بإرادة الله وكوسيلة لتجديد القوى لخدمة هذا الإله. والنوم نفسه يكون نشاطًا دنيويًا إذا اعتبر نمطًا طبيعيًا من مستلزمات الحياة البشرية البيولوجية. هذا يرينا أن موقف الإنسان من الحياة وانطلاقته في خبرته الحياتية هي التي تحدد طبيعة الأمور إن كانت مقدسة أو دنيوية.

العَلْمانية

«العلمانية» واحدة من المفردات الاصطلاحية التي تحملت كثيرًا من إساءة الفهم والتفسير في السياق الشرق أوسطي، وبالتحديد في سياق الديانات الإبراهيمية: اليهودية والمسيحية والإسلام. ويرى عادل ضاهر أن سبب سوء الفهم والتفسير الخاطئ هذا هو تبني المفهوم الغربي للمصطلح secularism الضارب جذوره في اللاتينية، نزولاً إلى اليونانية، والذي أصبح مفهومًا ونظرية في سياق أوروبا القرون الوسطى[1].

نشأت العلمانية الغربية في سياق سيطرة الكنيسة الكاثوليكية على السلطة المدنية

(1) أنظر عادل ضاهر، **الأسس الفلسفية للعلمانية**، بيروت: دار الساقي، الطبعة الثانية 1998، ص 37 وتابع.

(السلطة التي تمارس في العالم المادي) وحياة الناس الدينية والمدنية معتبرة أن العالم الديني والعالم الدنيوي غير منفصلين، بل العالم الديني هو الأساس، وعلى ضوئه يُفسَّر العالم المادي والحياة البشرية بجميع أبعادها. أما هذا «العالم الديني» فقد صَقَلت هويتَه وحددت أبعادَه الكنيسةُ الكاثوليكية. فصار كل من يُطلق نظرية علمية أو فلسفية لا تنسجم مع هذا «العالم الديني» وتخرج عن حدوده يُعتبر «كافرًا» وجاحدًا وتُطبق فيه الأحكام الصارمة التي حددتها المؤسسة الدينية (الكنيسة الكاثوليكية) إنطلاقًا من فهمها للدين وللعلوم.

إن عبارة «secularism» الإنكليزية، ومثيلتها الفرنسية، التي تُترجم عادة «علمانية»، تعود إلى الجذر اللاتيني «*saeculum*» التي تعني «دهر»- وهي ترجمة لكلمة يونانية لها المعنى نفسه- وبالاستعمال تماهت مع «قرن». استُعملت كصفة للأشياء والعاقلين: «دهري» وجمعها «دهريون» لتعني الأشياء أو الناس المتعلقين بهذا «الدهر»، العالم المادي، مقارنة بالعالم الروحي «اللادهري». «العامة» أو «الشعب» «دهريون» بينما الإكليروس أو الطبقة الدينية الحاكمة «لادهريون». وإبان عصر النهضة، بات المصطلح يشير إلى القضايا التي تهم العامة أو الشعب بعكس القضايا التي تهم خاصته أي «الإكليروس».

إذًا، نشأ مفهوم «العلمانية»، قبل أن يصبح نظرية، في السياق الأوروبي بدايةً مع عصر النهضة، مرورًا بعصر الإصلاح الديني، وصولاً إلى عصر الأنوار. ونشأ هذا المفهوم على خلفية الصراع بين «عامة» الناس (الدهريين، الزمنيين) وطبقة الأكليروس (اللادهريين، اللازمنيين، تُبّاع العالم العلوي). ووُصفت حركة تحوّل بعض رجال الإكليروس إلى عامة (أي انسحابهم من الإكليروس) وتحويل الأديرة من مراكز للرهبان (الخاصة) لتصبح ملكًا للعامة (للشعب) على أنها فعل علمنة»؛ أي تحولها من مؤسسات دينية «لادهرية» إلى مؤسسات دهرية «دنيوية». ويؤكد خوسيه كازانوفا: «استعمل مصطلح «علمنة» للمرة الأولى للدلالة على قيام الدولة عادة، وعلى نطاق واسع، بمصادرة الأديرة والأراضي والأوقاف التابعة للكنيسة واستملاكها عقب الإصلاح البروتستانتي والحروب الدينية التي نجمت عن هذا الإصلاح».[1]

(1) أنظر خوسيه كازانوفا، **الأديان العامة في العالم الحديث**، ترجمة قسم اللغات الحية والترجمة في جامعة البلمند، مراجعة بولس وهبة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005، ص26 وتابع.

ويُضيف: «إن واقع أوروبا خلال القرون الوسطى، وفي كثير من جوانبه، كان يقوم فعليًا «ذات يوم» على نظام تصنيفي يقسم هذه الدنيا إلى مملكتين أو نطاقين متباينين، «ديني» و«زمني». والفصل بين هاتين المملكتين ضمن هذا النوع من التقسيم الخاص غير المألوف تاريخيًا في الواقع بين المقدس والدنيوي لم يكن بالتأكيد مطلق التباين كما اعتقد دوركهايم دائمًا. فقد شابه الكثير من الغموض والمرونة والخلط وغلبًا من الالتباس الصريح بين حدوده الفاصلة، والأنظمة العسكرية مثال واضح على ذلك».(1)

وبقي هذا المفهوم «الحركي» أو الدينامي يتطور عمليًا من خلال الأحداث التاريخية والثورات التي عصفت بأوروبا، حتى أصبح المفهوم «نظرية»، وانبرى لها منظرون ومدافعون ومناوئون ورافضون.

هناك رافد آخر يصب في العلمانية الغربية. إن تعبير «laïc (لاييك) المستخدم في الفرنسية للتعبير عن العلمانية مشتق من الأصل اللاتيني «laicus»، وهذه الكلمة منقولة عن مفردة يونانية «λαϊκός» (laikos) أي المنتمي للشعب، ويعني، طبقا لمعجم لاروس الكبير، «لا ينتمي للكهنوت، أو مستقل عن المؤسسات الدينية». وقد استخدم فيرديناند بويسون (1841ـ 1932)، المُنظر الأول للعَلمانية في فرنسا، هذا التعبير للإشارة إلى النظام السياسي المتميز بإقصاء سيطرة طبقة الإكليروس عن الدولة، واتباع سياسة منهجية لتصفية كل طابع ديني في التعليم أو القانون، أو الممارسة الاجتماعية. وهذا النظام يحمل، إلى حد ما، بصمات التجربة الفرنسية في العلمنة، المرتبطة بالثورة. ويصب هذا الرافد الفرنسي في نهر نظرية العلمانية التي دبجها فلاسفة الأنوار.

نعم انتقلت «العلمانية» من «مفهوم» إلى «نظرية» على وقت تطور الأحداث والفكر الإنساني في أوروبا. وعلى خلفية التوتر، ثم الصراع، الذي قام بين المجتمع الديني والمجتمع المدني، وكان هذا الأخير يهدف إلى تحرّره من سيطرة المؤسسة الدينية التي هي الكنيسة. ولما تحقق الهدف في عدد كبير من الدول والمجتمعات، صارت «العلمانية» نظرية تقوم على «فصل الدين عن الدولة».

كغيره بين عدد كبير من مصطلحات العلوم الإنسانية (وبينها دراسة الدين

---

(1) خوسيه كازانوفا، المرجع نفسه، ص 27-28.

كظاهرة إجتماعية)، برز هذا المصطلح في الغرب كما رأينا. ونحن العرب، مسلمين ومسيحيين، كعادتنا، تلقفنا المصطلح كما هو «بالتلقين»، بعيدًا عن التحليل والإبداع والموضوعية، وصرنا نتداوله دفاعًا أو هجومًا إنطلاقًا من موقفنا من الدين عما إذا كان يجب أن يُغطي كل نواحي الحياة ويصبح مراقبًا عليها، أو يجب الفصل بين الدين والدنيا وعدم الخلط بينهما. وكان أسبق الواضعين لكلمة «علمانية» العربية المعلم بطرس البستاني في معجمه محيط المحيط. كما تبناها الدكتور خليل سعادة في معجمه الكبير الإنكليزي- العربي، وشاعت شيوعها الكبير بين الناس بكسر العين.

لكنني، مع عدد كبير من المفكرين[1]، أخرج عن عادة «النقل»، وألجأ إلى إعمال العقل، فأشرع في «نحت» تعريف سياقي لـ«العلمانية» انطلاقًا من واقعنا المأزوم اليوم في العالم العربي والإسلامي، تمامًا كما فعل الأوروبيون في عصر الأنوار.

«العلمانية» في العربية كلمة مشتقة من الجذر الثلاثي «ع ل م»، ويشتق من الجذر نفسه مفردتا «عِلْم» و«عالم»، وهكذا، يمكننا ردها إلى هاتين المفردتين. فإن قلنا «عِلْمانية» (بكسر العين) فنحن نردها إلى «عِلْم»، وتصبح تعني «الأمور التي تعود إلى العلم، وتُفحص به وبمعاييره. أما إذا قلنا «عَلْمانية» (بفتح العين) فنحن نردها إلى «عالم»، ويصبح معناها الأمور التي تتعلق بـ«العالم»، ونعني به العالم المنظور، المادي أو الدنيا. ومن هنا يستخدم بعضهم «الدنيوية» كمرادف لـ«العَلمانية».

إذا قبلنا النظرية العلمية القائلة بأن العربية تنتمي إلى عائلة اللغات السامية الآرامية، فعلينا أن نعود إلى لغات سامية أخرى خرجت من الآرامية. في اللغات السامية المنتمية إلى الآرامية، والمنتمية إليها العربية أيضًا، جنحت الكلمة إلى «عالم». ففي السريانية تشير كلمة «ܥܠܡܐ» (عَلمونو) إلى ما هو منتمٍ إلى «العالم» أو «الدنيا»،

---

(1) أذكر بينهم، من الجهة المسيحية، شبلي شميل (1850-1917)، وفرح أنطون (1874-1922)، وجورجي زيدان (1816-1914)، ويعقوب صوروف (1852-1917)، وسلامة موسى (1887-1958)، ونيكولا حداد (1878-1954)، والمطران غريغوار حداد، الأب يواكيم مبارك، المونسنيور ميشال حايك؛ ومن الجهة الإسلامية، ورفاعة الطهطاوي (1801-1873)، جمال الدين الأفغاني (1838-1897)، وخير الدين التونسي (1822-1889)، وعبد الرحمن الكواكبي (1854-1902)، ومحمد عبده (1849-1905)، وعبد الحميد بن باديس (1889-1940)، وعلي عبد الرازق، ومصطفى كمال أتاتورك، وطه حسين، والحبيب بورقيبة ومحمد شحرور، ومحمد أركون، وغيرهم.

أي ما هو دون العالم الروحي أو الماورائي. وكذلك الأمر في اللغة العبرية الآرامية، فكلمة «עולם» (عُولَم) تشير إلى العالم المنظور، أو الدنيا. وقد أكدت الجمعية العالمية لمترجمي العربية أن لا علاقة لمصطلح «العلمانية» بالعلوم أو سواها وإنما يشير إلى الاهتمام بالقضايا الأرضية.[1]

وفي حال أردنا أن نفكر عربيًا، أو قل ساميًا، نجد أن مصطلح «علمانية» يختلف بعض الشيء عن مصطلح «secularism» في اللغات الأوروبية. ففي العربية، «العلمانية» هي شؤون العالم (الأرض) أو الدنيا- وتأتي منها «الدنيوية»- مقارنة مع العالم العلوي الماورائي أو الروحي. بينما في اللغات الأوروبية يعني المصطلح الأمور العامة غير المتعلقة بطبقة معينة وخاصة طبقة الإكليروس. نحن في العربية نستخدم عبارة «مدني» بهذا المعنى.

لكن نستطيع أيضًا أن نقول، بأن المعنيين يلتقيان بالعمق ويجمع بينهما عبارة «الشؤون الحياتية، غير الدينية»

توتر بين الدين والعلمانية

لما نشأت المجتمعات البشرية في مناخات سيطرة الدين على كل نواحي الحياة البشرية، ولم تكن توجد حدود بين «الديني» و«المدني»، أو «المقدس» و«الدنيوي»، ولما نهضت الفلسفة الإنسانية في عصر الإصلاح الديني وعصر الأنوار مشددة على قيمة الإنسان الفرد وحقوقه الطبيعية وعلى رأسها الحرية، وبدأ الإنسان المتأثر بهذه الفلسفة مسيرته لتحرير ذاته من قيود الدين، نشأ التوتر بين الدين والمجتمع المدني، وتضخم هذا التوتر وتحول إلى حروب.

أترك أوروبا، وأنطلق من مطالبة بعض المتدينين في المنطقة الشرق أوسطية، من يهود ومسيحيين ومسلمين، القائلة بوجوب سيطرة الدين على الدنيا مؤسسين على «إيمان» أن الدين وحي من الله، وأن الدنيا هي خليقة الله، وأن الله أعطى في الدين

---

(1) عبد الرحمان السليمان، «تاريخ مصطلح العلمانية» في **مجلة ترجمان** التي تصدرها مدرسة الملك فهد العليا للترجمة في طنجة، التابعة لجامعة عبدالمالك السعدي في تطوان، المغرب. ممجلة ترجمان، المجلد 20، العدد 1، أبريل 2011، الصفحة 11-54). انظر: www.atinterna-tional.org

شريعة لإدارة الخليقة وحياة الإنسان الدنيا. فإقامة الشريعة وحدودها هي «حق الله» في الأرض.

لكن على هؤلاء «المؤمنين» أن يدركوا أن عددًا كبيرًا من أبناء أوطانهم لا يشاركونهم هذا الإيمان، ولهم حق بالحياة بحرية وكرامة، والدين نفسه الذي يدينون به يحفظ لهم هذه الحرية وهذه الكرامة. لذلك، نرى أنه لا يجوز لهؤلاء -«المؤمنين» أن يفرضوا نظرياتهم «الإيمانية» على أناس أحرار لا يأخذون بها!

من جهة ثانية، يرى «غير المؤمنين» أن الدين كان سببًا لكثير من الحروب، ووقودًا إيديولوجية لها، لذلك يجب وضع حد المتدينين ومنعهم من إجراء عمليات غسل أدمغة للناس محاولين ضمهم بشتى الطرق، الترغيب بفردوس وحياة لذة غير محدودة، والترهيب بنار لا تنتهي، واستخدام المال لهذه الأغراض. ويعتقد هؤلاء بأن عليهم تحذير الناس من مخاطر الأديان فتنشأ ما صار يُعرف اصطلاحيًا «الفوبيا الدينية»، أو الخوف من الدين والمتدينين. هنا أرى أيضًا أنه لا يجوز لهؤلاء «العلمانيين» التعدي على حرية «المؤمنين» وانتقادهم بشتى الطرق. نعود إلى أركان العقد الاجتماعي الذي نادى به روسو وغيره من الفلاسفة، تنتهي حرية الفرد عند حدود حرية الآخر؛ وتنتهي حريات الأفراد عند حدود حرية المجتمع.

وهكذا حدث التوتر بين «أهل الدين» و«أهل الدنيا»، وتحول هذا التوتر إلى حروب في كثير من الأحيان. وما تاريخ الشرق الأوسط إلا تاريخ حروب دينية. قامت هذه الحروب أحيانًا بين طوائف الدين نفسه، عندما أخذت واحدة أو أكثر تدّعي امتلاك الحقيقة كلها وتكفّر الطوائف الأخرى، أو تدّعي وجوب تطهير الدين من الشرك او الهرطقة. هذا ما حدث بين الطوائف المسيحية منذ نشأتها وحتى نهاية القرون الوسطى وما زال يحدث في بعض الأمكنة بصورة مادية أو إيديولوجية؛ وينطبق الوضع نفسه على الدين الإسلامي وطوائفه.

العلمانية والمسيحية

من المعروف أن العلمانية لاقت انتشارًا واسعًا في البلدان التي تعتبر تقليديًا مسيحية في أوروبا وأميركا وخاصة الشمالية. فهل هذا يعني أن المسيحية قادرة على استيعاب

العلمانية أكثر من غيرها ضمن الديانات الإبراهيمية؟ يعتقد بعضهم نعم. ويعتبرون أن أساس العلمانية يكمن في قول المسيح: «أعطوا إذًا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» (متى 22: 21). إذا قمنا بعملية تفسيرية صارمة، وغصنا في السياق الذي قال فيه المسيح هذا القول، نستطيع أن نجزم بأن المسيح ما كان يفكر عندها بعلمانية ما، ولا كان هذا المفهوم متداولاً في ايامه. أما أن نقول بأنه تأويل هذا القول وتسييقه يصلحان لاستنباط مفهوم مسيحي للعلمانية.

بقي المسيحيون، حتى عصر الإصلاح والأنوار، يعتبرون أن الحاكم والمجتمع يجب أن يخضعا للسلطة الدينية لأنها تمثل سلطة الله على الأرض. والتاريخ واضح في هذا الأمر، فالكنيسة فرضت سيطرتها الفعلية على كل نواحي الحياة: العادات والتقاليد، والثقافة، والتربية، والقانون، وحتى القرار السياسي. وكانت تدعم هذا الموقف بمسوغات لاهوتية وكتابية.

لكن الإصلاح البروتستانتي المؤسس، ولو نظريًا أو إيديولوجيًا، على الفكر العلماني، وما تبعه من حروب دينية طاحنة غاصت فيها أوروبا خلال عقود من السنين، جعل الكنيسة الكاثوليكية تراجع لاهوتها. مخاض آخر مرت به الكنيستان الكاثوليكية والبروتستانتية، هو فلسفة عصر الأنوار المؤسسة على الحركة الإنسانوية، جعل المسيحية تميل إلى تبني النظرية العلمانية في المجتمع وفي تنظيم سياسات الدول. واليوم، بعد مضي أكثر من قرنين، ترسخت نظريات عصر الأنوار في العلوم والثقافة وحتى في الدين لجهة تطبيق الفكر النقدي في دراسته، تبنت المسيحية برمتها الفكر العلماني الذي لا يرفض الإيمان بالله وبالعناية الإلهية، وما يتبعهما من عقائد تتعلق بالخلود والحياة الأبدية. واليوم، وبعد أن ذهب الفكر المسيحي البروتستانتي بعيدًا في علمنة الحياة والمجتمع، بدأت الكنيسة الكاثوليكية تخطو خطوات جبارة نحو العلمنة، وكل ما كان مرفوضًا جملة وتفصيلاً أصبح موضوعًا على بساط البحث. ومن المواضيع التي تبحث بها الكنيسة اليوم نظريات التطور، حقوق الإنسان الطبيعية، الحريات الفردية وغيرها.

ماهي المسوغات اللاهوتية التي جعلت المسيحية تنحو باتجاه العلمانية؟ أعتقد، مع عدد كبير من اللاهوتيين، أن المسيحية الأصيلة بطبيعتها تدعو إلى تطبيق العلمانية؛

وقد كانت هكذا حتى منشور ميلان سنة 312، الذي بموجبه أصبحت المسيحية ديانة مقبولة في الإمبراطورية الرومانية. ومن هنا بدأت المسيحية تدخل شيئًا فشيئًا في الدولة، وصولاً إلى الإمبراطورية البيزنطية التي أصبحت برأينا دولة دينية، وتابعت المسيحية غرقها في السيطرة على الدولة والمجتمع، وبقي هذا الوضع حتى الإصلاح الديني وعصر الأنوار. والآن إذا عدنا إلى تفحص المسيحية الأصيلة نجدها لا تتعارض مع العلمانية التي تعني الفصل بين الشؤون الدينية والشؤون الدنيوية. ولا تطالب المسيحية بالسيطرة على الحكومات والمجتمعات؛ ولا تنادي بوجوب فرض نفسها بالقوة.

إذا حللنا المسيحية بعيون موضوعية، نجدها منظومة عقيدية ونظام حياة. هذه المنظومة العقدية المسيحية تتعلق خاصة بالله الواحد، الذي هو، في الوقت نفسه، آب أزلي، وابن أزلي، وروح قدس أزلي متساوون في الألوهة، متحدون دون امتزاج، ومتميزون دون انفصال. وتتعلق أيضًا بالتجسد، فالله الابن الأزلي حل في الإنسان عيسى المسيح عند تكونه في احشاء العذراء مريم. والابن (ابن الله وابن الإنسان) عاش بين الناس وأظهر لهم الآب، وعلمهم قيمه الأخلاقية، ثم مات عنهم وقام وصعد إلى الآب وأرسله لهم الروح القدس المنبثق من الآب والابن. وتتضمن هذه المنظومة العقيدية تعاليم عن الخلاص من الخطيئة والحياة الأبدية. أما منظومة نظام الحياة المسيحية، فهي عبارة عن تعاليم أعطاها المسيح لتابعيه وتمثل قيم السماء الذي يسميه الإنجيل «ملكوت السموات» أو «ملكوت الله». وطلب المسيح من المؤمنين به أن يعيشوا هذه التعاليم في «ملكوت السموات»، وأن يكونوا، بهذه التعاليم، ملحًا يعطي طعمًا سماويًا لـ«ملكوت الأرض»، ونورًا يبدد ظلمة عالم الشر وينير قلوب الناس بالنور الإلهي (أنظر متى 5: 13-16). والهدف من هذا هو تحرّر الإنسان من طبيعته الخاطئة وتأصله في الطبيعة الإلهية؛ وتحوّل الإنسان من الشر إلى الفضيلة. وبهذه الطريقة يتحوّل العالم الأرضي إلى ملكوت السموات. المسيحية لا تفرض تعاليمها على المجتمع، بل تطالب للناس بحقوقهم الطبيعية، وأهمها الحرية والسلام والعدالة الاجتماعية، بطريقة التعليم و«الموعظة الحسنة». وبرأيي أن كل المحاولات لفرض المبادئ المسيحية على المجتمع بالقوة التي قام بها قادة مسيحيون أو رجال دين ليست من صلب المسيحية الأصيلة.

ذكرنا آنفا ما هي المسيحية، والآن نقول ما ليست هي المسيحية. المسيحية ليست، ولا تتضمن، نظام حكم. ولا تهدف إلى بناء دولة دينية. حاولت الجماهير تتويج السيد المسيح ملكًا أما هو فرفض (يوحنا 6: 15؛ أنظر 8: 15). وفي محاكمته، رد على الحاكم بيلاطس الذي سأله عما إذا كان يعتبر نفسه ملكًا، بأن مملكته ليست من هذا العالم (يوحنا 19: 33–36) مع أن التهمة التي أعدموه صلبًا من أجلها كانت ادعاءه بأنه ملك اليهود (مت 27: 37؛ لو 23: 38؛ أنظر متى 27: 29، 42)، وكانت التهمة زورًا وظلمًا. لقد أدرك هذه الحقيقة لص كان مصلوبًا معه، فخاطبه قائلاً: «اذكرني يا رب متى جئتَ في ملكوتك» (لوقا 23: 42). ومرة سأله واحد من الجمع أن يحكم بينه وبين أخيه في قضية ميراث، فأجابه يسوع: «من أقامني عليكما قاضيًا أو مقسمًا؟» (لو 12: 14). إذًا، رفض المسيح من الأساس موضوع الملكوت الأرضي، ونادى بملكوت سماوي مبني على أخلاقية الله، ودعا الناس إليه ليس بالإرغام المادي أو المعنوي بل باختيار حر.

والمسيح قدم كل قبول واحترام للآخر المختلف، فانتقد تصرفات كهنة يهود عندما كانت تُظهر اللامبالاة بالمظلوم والفقير والضعيف (أنظر متى 23: 1–36)، وبجّل تصرفات سامري، الذي كان يعتبره اليهود وثنيًا، لأنها كانت تصرفات تنسجم مع أخلاقيات الله (لوقا 10: 25–37). وأشاد بإيمان ضابط روماني وثني وصرح بأنه لم يجد مثل هذا الإيمان بين اليهود (متى 8: 10) لأنه كان إيمانًا مخلصًا صادرًا عن شخص يبحث عن الحقيقة بإخلاص. ويصرح كاتب سفر أعمال الرسل (لوقا) بأن الله قبل صلوات ضابط روماني آخر لمجرد أنه رفعها بإخلاص وأرشده للوصول إلى الحقيقة (أعمال 10: 4).

على أساس تعاليم المسيح، يمكن أن يطالب القادة المسيحيون بتطبيق الحريات الفردية وحقوق الإنسان الطبيعية، ويمكنهم أن يستنكروا الظلم الاجتماعي والأنظمة الدكتاتورية وكم الأفواه، ويمكنهم أن ينتقدوا الحاكم الظالم والسياسات التي تتنكر لحقوق الناس، ويمكنهم أن يحثوا على المحافظة على بيئة نظيفة وخدمة الخليقة. لكن ما لا يمكنهم أن يفعلوه هو محاولة تطبيق القيم المسيحية بالقوة والإرغام، لأن ليس هذا من المسيحية الأصيلة.

واليوم تحاول الكنائس المسيحية، على اختلاف أسمائها، أن تقف إلى جانب

المظلوم والضعيف والغريب والمريض بالمحبة العملية، تحاول زرع رؤيتها المسيحية في المجتمع بطرق سلمية ليس فيها أي نوع من الإرغام، وتنتقد الحكام الظالمين دون أن تحاول تغيير أنظمة الحكم بالقوة. فهي تعلم احترام خيارات الناس في مسألة اختيار الحكام وسن القوانين.

الخلاصة

في هذه المقالة التي عنوناها «لمسيحية والعلمانية»، ذهبنا إلى دراسة الأصول في تاريخ الحضارة البشرية، فرأينا كيف نشأ «الديني والدنيوي»، «المقدس والدنيوي» في تاريخ الإنسان العاقل وعلاقته بالدين. ثم تكلمنا عن «العلمانية»، فلخصنا نشأة العلمانية الغربية في سياقها التاريخي ورأينا كيف تحولت من مفهوم إلى نظرية. ثم تكلمنا عن العلمانية في محيطنا الشرق أوسطي، فقدمنا نظرية للعلمانية نابعة من سياقنا الحضاري. وأخيرًا طرحنا موضوع «العلمانية والمسيحية»، فأشرنا إلى الحقبات التي أخفقت فيها المسيحية في هذا الموضوع، ثم عرضنا المسوغ اللاهوتي الذي يؤسس لنظرية مسيحية علمانية. لقد مرت المسيحية بمخاض القرون الوسطى للتوصل إلى هذا الموقف الراقي والموضوعي من العلمانية والدولة المدنية. علّ هذه الأفكار البسيطة تساعد كل المهتمين بالشأن الديني والمدني في منطقتنا الشرق أوسطية لننهض من هذا الكابوس من الفتن الطائفية وانتهاك حقوق االإنسان الطبيعية، التي أعتبرها من»المقدسات»، بادعاء المحافظة على «حقوق الله».

في معنى «الإله-الأب»: الأبـوّة الرّوحيّة

د.منصف الوهايبي

ينبغي أن نعترف، ونحن نمهّد السّبيل إلى هذا الموضوع الهامّ «الأبوّة الدينيّة»، أنّ ضبط حقيقة كلمة «أب» لا يخلو من الصّعوبة، والتّعقيد أحيانا، بما أنّ مدلولها يتجاوز العلاقة البيولوجيّة بين الوالد والمولود إلى أفق أرحب يحوز فيه لفظ «الأب» دلالة استعاريّة ومنزلة رمزيّة تعزّزان قيمته الرّوحيّة بالنّسبة إلى الإنسان الذي يسعى إلى تبديد حيرته أمام غموض الكون وألغازه.

ومن أمارات هذا التّعقيد هو ما يعتري استعمال كلمة»الأب» من توسّع حيث نجد لدى البلاغيّين العرب مواضعات تكون فيها كلمة»الأب» دالّة على العمّ والجَدّ والزوج وكلّ من يقوم على تربية شخص وتغذيته، ومن هو موضع شرف وتعظيم أو سخيّ كريم مطعام؛ أي هي لا تعني الوالد ضرورة أو كلّ ما يلدُ شيئا. بل «الأب» اسم بقدر ما هو صفة.

لكن قبل أن نترسّم دلالة «الأب» في هذه الثّقافة أو تلك، وقبل أن نسعى إلى تبيّن دلالتها ومنزلتها في مختلف الدّيانات السّماويّة سعيا إلى ترسّم نقاط التّقاطع والتّجاذب بينها في ما يخصّ مفهوم «الأبوّة الرّوحيّة»؛ فإنّه لا بدّ، بادئ ذي بدء، أن ننطلق من السّؤال المركزيّ الذي من شأنه أن يتعهّد مقاربتنا لهذا المفهوم بقدْر من وضوح الرّؤية؛ ألا وهو السّؤال: ما عساها تكون الأبوّة عموما؟ وما عساها تكون الأبوّة الرّوحية على وجه التّخصيص؟

تقترن الأبوّة بحدث الولادة؛ لكن دون أن يعني ذلك حصر الأبوّة في الحدث البيولوجيّ الذي يُنسب إلى الأمّ بالأساس بما هي جسم يُخرج جسما، وإنّما هي، أي الأبوّة، تكتسي قيمة مؤسّساتيّة؛ فالأب هو الذي يفتح الباب للابن لينضوي إلى المجموعة أو الطّائفة، أو المجتمع.. وذلك من خلال اللّقب الذي يهبه له بحيث

نتحدّث في هذه الحال عن أبوّة مؤسّساتيّة، أو عن أبوّة شرعيّة إذا خصّصنا القول داخل الدّائرة الدّينيّة. ومفاد ذلك أنّ الأبوّة «الطّبيعيّة» تكون غير وافية بغرض الأبوّة إذا ما تمّ الاكتفاء بها. ومن ثمّ فإنّه لكي يكتسي المولود صفة **الابن** يحتاج إلى **أب** يعبر به من الحالة الحيوانيّة إلى الحالة الإنسانيّة.

وعلى ذلك، فإنّه حتّى يكون هناك **أب** هو أن **يصدر** عنه فعل الوجود الذي بموجبه يكون هناك **ابن**.فالأبوّة تكون، بهذا المعنى، مستأنَفَة بالبنوّة، لعلّه بالقدْر نفسه الذي نتحدّث به عن الأولى نتحدّث عن الثّانية، بما في ذلك الأبوّة الرّوحيّة والبنوّة الرّوحيّة.

فإذا استأنفا الشّقّ الثّاني من السّؤال الذي طرحناه، آنفا، والمتعلّق بما عساها تكون الأبوّة الرّوحيّة على وجه التّخصيص؛ فإنّه قد يكون من الجدير أن ننبّه إلى كون ما يجري من أقوال تتولّى تشبيه اللّه أو تجسيده إنّما هي أقوال على سبيل الاستعارة والمجاز، ليس إلاّ. فهي لا تقول حقيقة اللّه، وإنّما هي تستأنس بما ما ترسّخ في اللّغة من أوصاف وتشبيهات وكنايات حتّى تيسّر على النّاس فعل التّلقّي. وهي أقوال لا يخلو منها كتاب دينيّ مقدّس، حيث الله يتكلّم أو يجعلنا صورة منه؛ ممّا ينجم عنه تقييد الذات الإلهيّة، بالزمان والمكان، ووصفها بالتحيّز والتجسّم، وما إلى ذلك من لوازم المادة ومواصفات الجسمانيّة. وكان من ذلك أن شبّهوا الله بِإنسان له لحم ودم وشعر وعظم وأنّ له جوارح وأعضاء حقيقيّة من يد ورجل ورأْس وعينين وأنّ له وفرة سوداء، وشعرا قططا.

وقد ساق المسلمون أكثر من آية، ليبيّنوا أنّ الله يتكلّم: «وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تكليمًا». [الأعراف:144]، ويحتجّون بحديث متّفق عليه: «ما منكم من أحد إلا سيُكَلِّمه ربّه، ليس بينه وبينه ترجمان».

ولكن مهما يكن من أمر التّجسيد، هاهنا، في ما ينتسب إلى ثقافة الإسلام، فإنّ ذلك لا يفضي إلى إضفاء صفة الأبوّة على اللّه. وإذا كان لا بدّ من إدراج مفهوم الأبوّة الرّوحيّة في ثقافة الإسلام، فإنّ ذلك قد يكون واردا ضمن «الإسلام الصّوفيّ» بين الشّيخ ومريده. وذلك أنّ البنوّة الرّمزيّة في الإسلام الصّوفيّ تقوم على نوع من المسارّة بين الشّيخ والمريد حيث يعتبر المريدون أنفسهم إخوانا. وقد يكون ذلك راجعا إلى كون الإسلام الصّوفيّ اهتدى من خلال تطعيم خطابه بالرّموز ومن خلال توسيع آفاق

التّأويل إلى تخطّي القراءة الحرفيّة للنّصّ الدّينيّ المقدّس حيث يبدأ الإشكال عندما تغلّب طائفة من المؤمنين المعنى الحرفي على المعنى المجازي الذي هو لا يعدو أن يكون غير إطار للمضمون الرّوحيّ لفكرة الأبوّة أو عندما يبرح أحدنا النصّ من لغة مخصوصة إلى خارج لغويّ يفسّر به صورة»الأبوّة الدينيّة»، ويقدّرها ويتأوّلها، ويتعامل مع المعنى على أنّه مناوبة بين الإسم والشّيء. وقد يغفل عن أنّه إذا كان ثمّة رابط مباشر بين الإسم والمعنى ما دام الواحد منهما يستدعي الآخر، على نحو ما تقوم العلاقة بين المعنى والشّيء، فليس ثمّة من رابط بين الإسم والشّيء، فالإسم إنّما يستدعي صورة الشّيء أو فكرته، أو الإثنين معا وليس الشّيء في ذاته.

ويبدو في كثير من قراءات المسلمين أنّ معنى «الأبوّة الدينيّة» يلتبس لديهم بالصّورة التي يتصوّرونها عن الأب أي الوالد. وهي ليست في الحقيقة سوى رسم مشتقّ من بيئتهم وحياتهم، وما ترسّخ لديهم دينيّا.

قد لا يعدو الأمر في الصّورة التي نحن بها، أكثر من خلق واقع دينيّ خالص تؤدّيه العبارة المأثورة عن المسيح قبيل اعتقاله: «يا أبي، أنت القادر على كلّ شيء؛ أبعد عنّي كأس الآلام هذه. ولكن يا ربّ ليكنْ ما تريد لا ما أريد»(مرقس 14:36) أو فاتحة الصلاة الربّانيّة: «أبانا الذي في السماوات». وهذا من شأنه أن يجعلنا نتريّث كلّما تعلّق الأمر بالمقولات الدينيّة الاستعاريّة أو المجازيّة التي تزخر بالأوصاف التّشبيهيّة حتّى نتفادى الانزلاق إلى القراءة الحرفيّة.

لكنّ السؤال الذي ينشأ هو: كيف نتأوّلُ هذا المعنى المجازي؟

جاء في»المعنى الصحيح لإنجيل المسيح» أنّ تسمية المسيح الله «أبًا»، ونفسه «ابنًا»، هي من قبيل المجاز. وهو استخدام توراتيّ لا علاقة له بالولادة البشريّة وإنّما بفكرة سلطة الأب وطاعته. والله هنا يرعى شعبه كما يرعى الأب أبناءه. يقول النبي أشعيا في إحدى صلواته: «ومع ذلك فأنت يا الله أبونا. نحن الطين وأنت الخزّاف؛ وكلّنا عمل يديك». (أشعيا 64:8)، وفي سفر الخروج، يقول الله لموسى: «ثمّ قل لفرعون: هذا ما يقوله الله:شعب بني يعقوب هو كابني البكر. قلت لك: أطلق ابني ليعبدني؛ ولكنّك رفضت إطلاقه، لذلك سأهلك ابنك البكر». (سفرالخروج 4: 22_23) وهذه صورة تشبيهيّة لا تخفى؛ قوامها بنية تداخل بين المشبّه «الله» والمشبّه

به «الأب» والمشبّه «الشعب» والمشبّه به «الابن»؛ مع احتفاظ كلّ منهما بتمايزه عن الآخر. وتتعزّز الصورة ذاتها في نصوص أخرى؛ مثلما جاء على لسان النبي هوشع: «عندما كان شعب بني يعقوب صغيرا، أحببته؛ ومن مصر دعوت ابني». (هوشع 11: 1). وفي هذا السياق المخصوص بالتوراة والزبور وغيرهما من كتب الأنبياء، ندرك مقولة «الأب» و«الابن» عند السيد المسيح؛ خارج معنى الإنجاب أو الولادة البشريّة. فهذا من سوء الفهم الناجم عن بدع قد تكون شاعت في فترة ما أو عن الوثنيّة، من جهة؛ وعن خلط بين «الأب» أو «الابن» صورة مجازيّة، وبين هذين واقعا وحقيقة. والأمر أشبه ما يكون بـ«القرآن» في المنظور الإسلامي؛ فهو مَجلى الذات الإلهيّة، على نحو ما كان المسيح مجلَى هذه الذات أو كلمة الله.

والعلاقة بين عيسى الإبن والله الأب قد تجلّت على الصليب؛ حيث السيد المسيح يخاطب الأب-الإله:

«يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» لوقا 34:23

«يا أبتاه فى يديك أستودع روحى». لوقا 46:23

هذه الصورة لا يمكن إلاّ أن تُحمل على وجه استعاريّ أو مجازي. ومفردة «الأب» تتعلّق بوظيفة الأب أو بصفاته على نحو ما نجد في «نذر إسحاق» في التوراة. واسم الأب أو «أبونا» تركيب بالإضافة. والقضيّة من هذا الجانب لغويّة بقدر ما هي دينيّة بالمعنى الدقيق للكلمة؛ أي الأب من حيث هو رمز.

وعلى أيّة حال، فإنّه قد نسلك إلى هذه صورة «الأبوّة الرّوحيّة» من معنى معجميّ مباشر أو من ظاهر اللّفظ، أي من الدّلالة البيولوجيّة للأبوّة أو من دلالتها الشّرعيّة ونتدرّج إلى المعنى الحافّ، أي الدّلالة الرّوحيّة على أساس أنّ الأوّل هو الأصل، والثّاني هو الفرع. وقد نسلك إليها من المعنى الحافّ الذي يمكن أن يستغوينا ويكون له وقع خاصّ من أنفسنا؛ حتّى ليحلّ لدينا محلّ الأصل، أو نحن نعتاض به عنه. فكلّ ذلك في ذمّة الخيار المنهجيّ الذي نتّبعه شريطة أن نتذكّر، في الأخير، أنّه بالنّسبة إلى المؤمن تظلّ الأبوّة الرّوحيّة هي ما يقذف إلى الوجود ذاك الإشعاع الغامض للحياة، فيكون الأب صنوا لمعنى الخلق فضلا عن كونه مصدر المعرفة، وليس لمعنى الرّعاية فقط. ومن ثمّ، ليست الأبوّة الرّوحيّة محلّ إشكال، ولكن إذا كان هناك إشكال فسيكون

في طريقة العيش في ظلّ هذه الأبوّة، أي سيكون عندئذ في «الأخوّة» التي يُفترض فيها أن تعزّز «البنوّة» التي تصل بين الأبناء.

ثمّ إنّ المعنى الحاف مفعول ظواهر لغويّة جماعيّة (مفهوم الأب دينيّا ومفهوم الأب اجتماعيّا)، أي هو حاصل بيئة ثقافيّة وهذا كلام فيه مقدار كبير من الصواب. فصورة «الإله-الأب» ترجع إلى معان حافّة خاصّة بالمسيحيّة أو إلى «فضل معنى» في المقول، يتقبّله المسيحي، وقد يشيح عنه غير المسيحي الذي لا يرى في مفردة «الأب» أو «الابن» أيّة دلالة مجازيّة.

إنّ المسيحيّة لا ترى في الإضافة التي نحن بصددها، مجرّد نسبة اسم إلى اسم على وجه يكون فيه تخصيص أو تعيين أو تعريف، وإنّما لغة قادرة على إعادةِ تسمية تَبِين عن تدخّل الذّات اللّغويّ في العالم وسبيلها إلى إدراكه. فالأمر يتعلّق، إذن، بوظيفة تتأدّى داخل الخطاب، على أساس من إجراء لغويّ له منطقه الخاصّ؛ على نحو ما نجد عند جاك لاكان في سياق تعليقه على مقارنة باسكال بين «إله الفلاسفة» و«إله ابراهيم واسحاق ويعقوب»؛ فهو يرى أنّ هذه هي مكانة «الإله_الأب» أو ما يفضّل هو أن يسمّيه «اسم_ال_أب» أو «الكائن السماوي» القائم في الخطاب أو الذي «يعمل» داخل اللغة أي من حيث هو قول أو كلام. هو «الآخر» باعتباره محصّلة الحقيقة أو حيّزها؛ هو ما نستخلصه من صورة الخالق أو «الكائن السماوي»، وهو اسمه عن جدارة. علما أنّ كلمة «اسم» في الفرنسيّة حمّالة أوجه؛ فهي تعني في سياق استعمالاتها، الاسم الشخصي واللقب والاسم المنتحل أو المستعار والاسم النكرة والاسم العلم واسم المعنى واسم الذات وإعلان النسب وانتزاع المجد الكبير... وكذلك كلمة «أب» التي تعني أيضا الوالد والأب الروحي والربّ. ولذلك يرى بعضهم أنّ بنوّة المسيح تمثّل بالفعل ثورة لأنّ ولادته تصعّد الولادة الطّبيعيّة والمؤسّساتيّة. فتفتح هذين النّمطين من البنوّة على بعد ثالث: البعد الرّوحيّ الذي يغيّر اللّحم نفسه ويغيّر المؤسّسة. إنّه استكمال اللّحميّ والمؤسّساتيّ وتحويله بواسطة الرّوحيّ.

وعلينا أن نتذكّر أنّه قبل الزمن الحسّي، لا التاريخي، لم يكن هناك أيّة علاقة مؤنسنة بالآخر، ولا أيّ مجال للعيش معا، وإنّما هناك عالم العشيرة أو القوم الرحّل؛ حيث سلطان الذكر الذي يزيح أو يقتل كلّ من يتهدّد سلطته أو ينافسه على ملكيّة الإناث. هذا

الأب «الأوّلي» لا يخضع لشيء؛ وإنّما هو يتجلّى في كامل قوّته أو قدرته، ولا قانون يحتكم إليه سوى متعته اللامحدودة الملغزة اللامتوقّعة، أو الكيفيّة التعسّفيّة الاستبداديّة التي يبسط بها سلطانه. والحقّ هو ليس أبا (بحرف التاج) إلاّ في عالم الاستيهامات، خاصّة أنّه يقع خارج أيّ نسب أو نسل. فهو مصدر نفسه أو أصل نفسه أو هو قانونه الخاصّ. إنّ «أبا العشيرة» هو «اللاّأب»، أي هو بعبارة أخرى «أب» ينفي أن يكون «ابنا» أو هو يتمثّل صورة الأب الذي لم يكن ابنا؛ اي خارج السلالة، ويريد أو يزعم أنّه أصل أو مبتدأ الكائنات والأشياء. وهذا ما يجعل موت الأب «أبي العشيرة» في المنظور الفرويدي الأسطوري هو الذي يؤسّس الفضاء الإنساني حيث الذات لا تتجلّى إلاّ في صورة الابن؛ أو لا يكون أبا إلاّ إذا كان ابنا. وهذا قانون لغويّ؛ فمن النقطة 1 فقط يمكن لنا أن نعيّن اللحظة «0» من حيث هي أصل نتجاوزه أبدا. ولا أحد بمقدوره أن يحتلّ المكانة الأولى، إلاّ إذا ادّعى أنّه «أبو العشيرة» أي الذي لا ينتمي إلى عالم البشر، مادام يعتبر نفسه مصدر نفسه. والانتقال من الطبيعة إلى الثقافة فكرة أسطوريّة. والخطاب الأسطوري وحده ـ كما يقرّر دارسوه ـ هو وحده الذي يستطيع أن يؤكّد الأوّليّة «التاريخيّة» للطبيعة؛ إذ لا يمكن إدراكها إلاّ داخل مسمّيات الثقافة وباصطلاحاتها.

وعند فرويد فإنّ موت الأب أو قتله؛ ممّا يصعب على الأبناء قبوله أو تحمّله، فهم بعد إزاحته، يقيمون طوطما أو رمزا أو وثنا يتمثّله، ويقدّمون له النذر وطقوس الفداء. والطوطم هو الصورة المثاليّة لـ«الأب» الذي نخضع له ونخلص له كلّ الإخلاص، رجاءً في أن نسلبه قوّته أو نستحوذ عليها؛ كما هو الشأن عند أكل الطوطم. وفي هذا المجال ـ وقد اختزلناه ـ يضع فرويد المعتقدات الدينيّة في صورة «الإله ـ الأب» من حيث هي طرائق في رفض المنزلة الإنسانيّة، والاعتقاد في سلطة تمتلك ما نحن محرومون منه أو هو ما ليس نحن. والأمر يتعلّق بتحويل «أبي العشيرة» إلى أب مثالٍ.

ويستدرك جاك لاكان على فرويد، ويستعرض المشهد التوراتي حيث يكشف الله لموسى عن اسمه الذي يظلّ لغزا «أنا هو من أنا». وهو بذلك لا يكشف عن أيّة هويّة؛ إذ أنّ مثل هذا الكشف يرسّخ استحالة أن نخلع على الله اسما يجلي هويّته. كشف الاسم لا يسفر إلاّ عن غياب الكشف أو استحالة الانكشاف وكأنّ الاسم إفشاء سرّ.

قال موسى لله: «ها أنا سائرٌ إلى بني إسرائيل فأقول لهم: ربّ آبائكم بعثني إليكم؛

فإن قالوا لي ما اسمه، فماذا أقول لهم؟» فقال الله لموسى: «أنا هو الكائن». قال: «كذا قُل لبني إسرائيل: الكائن أرسلني إليكم. (...) هذا اسمي إلى الدهر، وهذا ذكري إلى جيلٍ فجيل».

خاتمة: الأب الصمد

لعلّ أهمّ ما نخلص إليه هو أنّ الأب في المخيال الفردي والجمعي هو رمز القوة والسلطان كما ذكر العفيف الأخضر وغيره. وهذا ما يسوّغ استعارته للذات الإلهيّة. و«الأب» كلمة أقدم من اليهوديّة والمسيحيّة بكثير؛ وإن استخدمها اليهود والمسيحيّون الأوائل في مخاطبة الله؛ ثمّ صارت لقباً للأساقفة والبطاركة. وقد خاطب السيد المسيح الله بهذا اللقب في صلواته. وترد العربية: أيّها الأب أو يا أبتاه. و«الأب» ترد بهذا اللفظ وهذا المعني في اللغات السامية ومنها العربيـــة. وتستعمل كما سلف في المهاد اللغوي، مفرداً أو جمعاً للدلالة لا على الوالد أو الجد أو ما قبله من أسلاف، فحسب؛ وإنّما على جملة من المعاني المجازيّة.

فـ«أبو الشعب» أو «أبو القبيلة» هو القائد أو الزعيم أو المؤسّس، وليس من الضروري أن يكون أتباعه جميعاً من صلبه. وهذا المعنى هو الذي يتمثّله إبراهيم «أبو الإسرائيليين» كما كان إسحق ويعقوب ورؤساء الأسباط آباء بهذا المعنى المجازي.

وعليه نقترح ـ لاجتناب اللبس الذي يقع فيه عامّة المسلمين ـ هذا التركيب بالنعت «الأب الصمد» في أداء هذا المعنى الرمزي أو هذه «الاستعارة الأبويّة» استئناسا بما تنعقد عليه دلالة «الصمد» من تنزيه له عن الجوف والمأكل والمشرب، والفرادة بالأساس. او لنقل هو السّيّد الذي استكمل سؤدده فكان تامّ الصّفات وكامل الأفعال.

«الصمد» هو، إذن، السيّد الكامل الذي لم يلد ولم يولد، والمقصود والمستغاث. وفي هذا يجري ـ على ما نرجّح ـ اسم «الأب-الإله» أي على أساس من وضع التبادل أو قاعدة التبادل بين داخليّ «الأب-الإله» وخارجيّ «الأب - الإنسان». ولا غرابة فـ«المجازي» هنا يرقى إلى «الرّوحيّ» ويقاسمه اللعب بالرموز. والرّوحيّ يفلت بحكم أساسه «الحلميّ الطوباويّ» من سطوة التاريخ، ويمتلك قدرة على أن يبني لنفسه حضورا كلّيّا أو زمنا خاصّا يندّ عن أيّ ضبط أو قياس.

معنى عبارة «ابن الله»

النص الإنجيلي الذي نتناوله في هذا الكتاب بالدراسة يستخدم كثيراً عبارة «الابن الروحي لله»، أو كما جاء في الترجمات التاريخية للإنجيل «ابن الله»، وهو ما أثار الكثير من التساؤلات، وكان سبباً في سوء التفاهم المؤسف بين المسيحيين والمسلمين. لذلك أصبح من المُهِمّ توضيح ما تعنيه وما لا تعنيه هذه العبارة في الإنجيل الشريف.

الله تبارك وتعالى لم يتخذ صاحبة، ولم ينجب أولاداً من صاحبة، ما عاذ الله أن يكون ذلك، فهذه الفكرة مرفوضة تماماً عند المسيحيين والمسلمين على حدّ سواء. وبهذا المعنى يتّفق الإنجيل الشريف مع ما ورد في القرآن على أن الله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

في هذه الحالة، ينفي الإنجيل الشريف أي علاقة جسدية أو تناسلية. فما هو المقصود إذن، من هذه العبارة التي تُترجم غالبا في اللغة العربية بـ«ابن الله» في الإنجيل الشريف؟ لنسجّل أولاً أنّ كلمات النصوص السماوية تحتمل عدّة أوجه، حسب سياق الآيات التي تظهر فيها وأسباب نزولها. ففي القرآن الكريم تعني كلمة «أمر» فريضة، كما تعني أحياناً مسألة. وبذلك يكون المقصود في عبارة «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (سورة التوبة 67) هو الفريضة، بينما في سياق آخر مثل «لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم» (سورة الأنعام 59) يكون المقصود هو المسألة، وهكذا نرى أنّ اللفظ الواحد يحتمل عدّة أوجه حسب سياق الآيات وسبب نزولها.

إن كلمة «ابن» تحتمل كذلك أكثر من معنى، حيث يمكن أن يقصد بها المعنى الحرفي المرتبط بولادة الطفل من علاقة جسدية بين أب وأم، كما يمكن أن تأخذ معنى مجازياً رمزياً أو روحياً. فالعرب يقولون مثلاً إنَّ فلاناً «ابن الوطن» أو «ابن البلد» أو «ابن النيل». وهذا لا يعني أن كلاً من الوطن أو البلد أو النيل اتّخذ صاحبة وأنجب منها أولاداً. سيكون الأمر مضحكاً إذا نحن قصدنا ذلك. إذ إن الكلمة «ابن» في هذه

العبارات تشير ببساطة إلى العلاقة العميقة من حيث الهُويّة بين شخص ما وأحد الأمكنة.

واللغة العربية تستخدم كلمة «الأب» بشكل مجازي رمزي أيضاً. فكنية «أبو عمار» لا تعني أن لصاحبها ولداً اسمه عمار، بل تعني رمزياً أن هذا الشخص مهندس وهب قسطاً كبيراً من حياته لبناء بلده. والطبيب الفيلسوف أبو البركات البغدادي (ت 470 هـ/ 1077 م) سمي كذلك لأن الناس اعتبروه مصدر بركات في حياتهم.

كما أن اللغة العربية تستخدم كلمة «الأخ» بشكلٍ مجازي رمزي، فحين يخاطب شخص ما شخصاً آخر بكلمة «أخي» لا يعني ذلك أنهما ينتميان جسدياً إلى أب واحد. بل الكلمة إقرار بإنتمائهما الإنساني المشترك الذي قد يتضمن أو لا يتضمن، العنصر الديني.

هناك عبارة مهمّة جداً في اللغة العربية هي عبارة «بنت شفة»، وهي تفيد كل كلمة يتفوّه بها شخص ما. فالقول «لم ينبس ببنت شفة» يعني أن هذا الشخص لم يتفوَّه بأي كلمة. إذ ليس المقصود أن شفتي الشخص قد اتَّخذتا صاحبة وأنجبتا بنتاً هي كلمته، بل المقصود أن الكلمة التي يتفوه بها الشخص هي بمثابة بنت رمزية له لكونها تنبع من ذاته وتعبّر عن شخصه.

والجميع يعرف كذلك عبارة «ابن السبيل» (سورة البقرة 177 و215، سورة النساء 36، سورة الأنفال 41، سورة التوبة 60، سورة الإسراء 26، سورة الروم 38، سورة الحشر 7). فالعبارة لا تعني أن السبيل اتخذ صاحبة وأنجب ولداً، بل تعني أن ابن السبيل هو شخص ضرب كثيراً في الطريق، لدرجة أن علاقة وثيقة تطوّرت بينه وبين السبيل، حتى إن الناس يفكّرون في الطريق بمجرد أن يروه.

كلمة «ابن» استُخدمت بشكل رمزيٍّ روحي في الحديث الصحيح أيضاً. حيث يقول نبي الإسلام مثلاً: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة، الأنبياء إخوة من علات، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد، وليس بيننا نبي». والعلات تعني حرفياً الجواري. لكن الحديث الشريف لا يعني طبعاً أن الأنبياء كانوا أبناء جوارٍ. معاذ الله! فعبارة «أبناء علات» تعني فقط إنتماءهم لأب واحد من أمهات مختلفات. وهذا أيضاً لا يعني أنهم أبناء أب واحد أنجبهم جسدياً من أمهات مختلفات. فهذا أمر غير معقول!

إنّ الحديث يرمي إلى وجود رابط روحي وطيد ووشيجة مشتركة بين جميع الأنبياء لكونهم يخدمون إلهاً واحداً. هكذا نرى أن كلمة «ابن» يمكن أن تستخدم للدلالة على رابطة روحية عميقة دون أن تتضمّن أية إشارة إلى المعنى الحرفي للعلاقة الجسدية.

وفي التراث الصوفي يطغى إستخدام هذه اللغة الرمزية للتعبير عن العلاقة الحميمة بين الإنسان وربه، فهم يشبهون عشقهم لله بالفراشة المنجذبة نحو النار. لكنهم لا يقصدون بذلك أنهم فراشات بالمعنى الحرفي للكلمة، أو أن الله عبارة عن لهيب نار. كما أنهم يشبهون هذا العشق الإلهي بالعلاقة بين العاشق والمعشوق، لكنهم لا يستخدمون هذه الكلمات بالمعنى الحرفي المرتبط بعلاقات العشق بين بني البشر. لهذا ينبغي النظر إلى عبارة «ابن الله» على أنها إشارة للعلاقة الروحية العميقة التي لا تتضمن المعنى الجسدي للبنوّة.

فالإنجيل الشريف لا يستخدم عبارة «ابن الله» بالمعنى الجسدي، بل نراها هنا تتضمن ثلاث دلالات رمزية على الأقل:

أولاً: جميع الناس، بمعنى ما، هم أبناء الله. نقرأ في سيرة الحواريين (17: 28 29): «إنّما نحن عيال الله».

لكننا نعرف أن هذا لا يعني أننا أبناء الله بالمعنى الحرفي للكلمة، أي أبناؤه كما لو أنه أنجبنا. معاذ الله! فالعبارة تعني بشكل رمزي أن الله يحبّنا مثلما يحبّ الأب الودود أبناءه. الله يهتم بنا، ويعتني بنا، ويؤدبنا، ويعلّمنا، ويطعمنا، إلخ. وهذا المعنى، رغم وروده في روايات الإنجيل الشريف بشكل عام، ليس المعنى المقصود في رواية الإنجيل التي نحن بصدد دراستها.

ثانيا: هناك معنى خاص لعبارة «ابن الله» نجده في إعلان الإنجيل الشريف أن كل الذين يؤمنون بالسيد المسيح يصبحون أبناء لله. وهذا المعنى حاضر في الإنجيل الشريف وفيه يشير السيد المسيح قائلا: «وأمّا الّذِينَ اسْتَجَابُوا له وآمَنُوا به، فقدْ مَنَحَهُمُ الحَقَّ في أن يكُونوا عِيَالَ الله. ولمْ تكُن هذهِ البُنُوَّةُ ذاتَ طبيعةٍ بشريةٍ، بل إنّ الله هو مَنْ أسْبَغَ عليهِمْ تلكَ الصِّفة فجعَلَهُم عِيالَهُ» (يوحنا 1: 12 13).

هذا المقطع يلغي بشكل واضح أي معنى حرفي لعبارة «ابن الله». فهؤلاء أبناء الله لا من الناحية الجسدية، ولكن بمعنى أن الله يتبنّاهم روحيًا. الله يحبّهم ويعتني بهم مثلما يحبّ الأب الحنون أبناءَه ويعتني بهم.

ثالثاً: يستخدم الإنجيل الشريف عبارة «ابن الله» بشكل خاص للإشارة إلى الملك العظيم الذي كان بنو إسرائيل ينتظرون قدومه حسب نبوءات التوراة الشريفة وغيرها من كتب الأوّلين. نقرأ في التوراة أن سيدنا داود (عليه السلام) أراد أن يبني بيتاً لتمجيد الله ولكن الله لم يسمح له بذلك، وقال له:

«وإذا تَمَّت أَيَّامُكَ لِتَنْصَرفَ إلى آبائِك، أُقيمُ مَن يَخلُفُكَ مِنْ نَسْلِكَ الَّذي يَكونُ مِن بَنيكَ، وأُثَبِّتُ مُلكَه، فهو يَبني لي بيتاً وأنا أُثَبِّتُ عَرْشَه لِلأَبَد. أَنا أكونُ له في مقام الأب وَهُو يَكونُ لِي في مقام الابن، وأَمَّا رَحمَتي فلا أنزعُها عنه كما نَزَعتُها عنِ الَّذي كان قَبلَكَ. وأُقيمُه في بَيتي وفي مُلكي لِلأَبد، ويكون عرشَهُ ثابِتاً لِلأَبد» (كتاب أَخبار الأيّام الأوّل 17: 11 14).

يبدو لأَوَّل وهلة أن هذه النبوءة تشير بمعنى ما إلى سيدنا سليمان ابن سيدنا داود (عليهما السلام) الذي ورث عرش الملك عن أبيه، وبنى بيت الله المقدّس. لكنّنا حين نتأمل بدقة في ما جاء في هذه النبوءة نلاحظ أن الحديث عن الابن الذي سيُثَبَّت الله مملكته إلى الأبد لا يمكن أن ينطبق على سيدنا سليمان، لأن هذا الأخير توفي وورث الملك من بعده ملك آخر. لذلك نقول إن هذه النبوءة تشير إلى شخص آخر من نسل داود سيثبت الله مملكته إلى الأبد.

بسبب هذه النبوءة صار بنو يعقوب كلما اشتدت عليهم وطأة الجور والاضطهاد ينتظرون أن يبعث الله بينهم ملكاً باراً يحكم فيهم إلى الأبد، تماماً مثلما ينتظر المسلمون الشيعة اليوم قدوم الإمام المهدي. وقد كان بنو يعقوب يطلقون على هذا الملك المنتظر اسم «المسيح» ومعناه في اللغة العبرية «ذاك الذي مسحه الله علامة على منحه سلطة السيادة». وكانوا يسمونه أيضاً «ابن الله» لأن الله أوحى إلى النبي داود: «أنا أكون له في مقام الأب وهو يكون لي في مقام الابن. وأمّا رحمتي فلا أنزعها عنه».

ويبدو واضحاً من هذه الآية أن كلمتي «ابن» و«أب» لا تتضمّنان أي معنى من معاني البنوّة الجسدية تجاه الله. فالمسيح المنتظر ينحدر جسدياً من نسل داود. وبذلك نقول إن إشارة الآية إلى السيد المسيح ك»ابن لله» هي إشارة رمزية تنبني على رباط المحبّة والرحمة تجاه المسيح المنتظر.

هكذا يؤكد الإنجيل الشريف أن سيدنا عيسى المسيح (سلامه علينا) تحقّقت فيه هذه النبوءة. وكان هو المسيح المنتظر، الملك العظيم. وبهذا المعنى تصبح عبارتا «المسيح المنتظر» و«ابن الله» مترادفتين من حيث تضمُّنهما المعنى نفسه في العديد من آيات الإنجيل الشريف. ومن هذه المواضع نذكر:

يوحنا (1: 49). وفيه نرى نثنائيل أحد الحواريين الأوَّلين يقول لسيدنا عيسى المسيح (سلامه علينا): «أيا مولانا، إنَّك حقًّا الابن الرُّوحيّ لله، فأنتَ الملك الذي ينتظِره بنو يعقوب!».

يوحنا (11: 27). وفيه تقول مرثا إحدى الحواريات مخاطبةً سيدنا عيسى المسيح (سلامه علينا): «أجلْ يا سيِّدي، ما زِلْتُ على عهْدِي مُؤمِنَةً بأنَّكَ أنْتَ المسيحُ الابنُ الرُّوحيُّ لله، الذِي كنّا ننتظِرُ مَجيئهُ إلى هذا العالِمِ!»

يوحنا (20: 31): «وإنَّ ما وردَ ذكرُه مِنْ مُعجزاتِه (سلامُهُ علينا) في هذا الكتابِ إنّما لتَكُونُوا على يقينٍ بأنَّ عيسى (سلامُهُ علينا) هو المسيحُ المُنْتَظَرُ، الابنُ الرُّوحيُّ لله، فتحْصُلوا بفضْلِ إيمانِكم بهِ على نعمةِ الحياة الخالدة».

نلاحظ في هذه الآيات كلها أن عبارة «ابن الله» تعني ببساطة «المسيح المنتظر، الملك العظيم» لا أكثر ولا أقل، كما لا تتضمّن أي إشارة إلى أي شكل من أشكال البنوّة الجسدية.

وبناء على ذلك يمكن القول إنَّه إذا كان يحقّ لكل نبي أن يقول: «مَن سمعني فقد سمع الله»، فإن الإنجيل الشريف يؤكد أن كلام الله قد أصبح مجسّداً قابلاً للرؤية بالنسبة لبني البشر، وذلك في شخص السيد المسيح الذي قال: «حقًّا إنَّ مَنْ رآني رآى تجلِّي اللهِ في بشَرٍ».

هل هناك فرق بين الدّيانة المسيحيّة وتعاليم السيّد المسيح؟

ظهرت بوادر ما يسمى اليوم بالدّيانة المسيحيّة كحركة إصلاحية للدّيانة اليهوديّة.

واتّصفت هذه الحركة التي أسّسها السيّد المسيح منذ بدايتها بتأصّلها في تعاليم الأنبياء الأوّلين. واتّبع (سلامه علينا) في تعليمه طريقة مشابهة لمعلّمين يهود آخرين، ولكنّ طريقته كانت مميّزة ومأثّرة. فأرشد عددا كبيرا من الأتباع وعلّمهم من التّوراة والزّبور وغيرهما من كتب الأنبياء الأوّلين، مشيراً إلى مقاصد الله الأولى من خلال كشفه لمقاصد تلك الكتب.

وأكّد سيّدنا عيسى على تعاليم التّوراة التي أقرّت بوحدانية الله (انظر مرقس 12: 29). كما أعلن (سلامه علينا) من خلال دعائه لله «أنَّ طريقَ الخُلودِ لا يكُونُ إلاّ مِنْ خلالِ معرفةِ ذاتِك جلَّ جلالُك أنت اللهُ الواحدُ الحقُّ، وعيسى المسيحُ الَّذِي أرْسَلْتَه». (انظر يوحنا 17: 3).

وعد عيسى (سلامه علينا)، قبل وفاته وانبعاثه وصعوده إلى السّماء، أن يساند أتباعه ويشدّ عزيمتهم بحلول روح الله فيهم، ليحملوا الرّسالة التي أعلنها أولاً وبشّر بها بني يعقوب. وكان الهدف من هذه الرّسالة تدشين مملكة الله الأبديّة، وعليهم أن يزفّوها بدءاً من القدس إلى «كلّ الأمم» (انظر لوقا 24: 47) وكان عليهم أيضا أن ينشروا الرّسالة إلى «أقاصي الأرضِ» (انظر سيرة الحواريين 1: 8).

وكانت معظم الأماكن التي يعرفها أتباع السيد المسيح في ذلك الوقت تحت سيطرة الإمبراطوريّة الرّومانية التي كانت تحكم حوض البحر الأبيض المتوسط. وكانت الثّقافة الإغريقية والرّومانية لهذه الإمبراطورية قويّة وذات نفوذ. وكان ينبغي على أتباع السيّد المسيح أن يراعوا في نشر الرّسالة كل حيثيّات الرّسالة باعتبارها ظهرت في المشرق، وهي متأثّرة بكتب الأنبياء الأوّلين، مكيّفين إيّاها مع العالم الرّوماني الإغريقي الوثني. وكان عليهم أيضا أن يستعملوا لغة المتقبّل هناك ومفاهيمه الثّقافية

الوثنيّة مع اخلاصهم للمعاني الأصليّة التي أوحى الله بها ضمن بيئة يهوديّة. واستطاع الحواري بولس أن يفعل ذلك ولكن كلماته عادة ما يُساء فهمها وتُشوّه حتّى أثناء حياته (انظر رسالة بطرس الثّانية 3: 16).

وبما أنّ رسالة السيّد المسيح قد لاقت رواجا كبيرا بين الرّومان والإغريق، فقد اختار العديد من الناس أن يصبحوا من أتباعه (سلامه علينا). وفي سنة 300 للميلاد استطاعت الحركة التي أسّسها سيّدنا عيسى أن تستقطب عدداً كبيراً من مواطني الإمبراطوريّة الرّومانيّة.

أمّا سنة 312 للميلاد فقد ادّعى الإمبراطور الوثنيّ قسطنطين أنّه شاهد رؤيا من الله يأمره فيها أن يحارب في معركة قادمة مع نظيره ماكسينتيوس من أجل عرش الإمبراطوريّة الرّومانية تحت راية الصّليب. وانتصر قسطنطين في المعركة وآمن دون شكّ أنّ إله المسيحيين هو الذي نصره، وهكذا جعل المسيحية ديانة شرعيّة بعد أن كانت محظورة. وبعد عدّة سنوات جاء اعلان ينصّ على أنّ المسيحيّة هي الدّيانة الرّسميّة للإمبراطوريّة الرّومانيّة.

وعندما أصبحت المسيحيّة ديانة الدّولة، حصلت الكنيسة للمرّة الأولى على قوّة السّيف، أي على القوّة العسكريّة للدّولة، وهكذا أصبحت الأقليّة التي كانت مُضطهَدة أغلبيّة تضطهِد الآخرين الآن. فالدّولة ديانتها انتصارية تهتمّ بالقوّة وبالانتصارات الدّنيويّة أكثر من اهتمامها بالوفاء إلى ما جاء في رسالة السيد المسيح بشأن المملكة الربّانيّة. ورفض أفراد هذه الجماعة في البداية السّلطة الدنيويّة، لكنّهم في زمن قسطنطين صاروا أكثر حرصا على التمسّك بها. وهؤلاء الذين طمحوا سابقا إلى خدمة الآخرين على منوال السيّد المسيح (سلامه علينا)، أرادوا الآن في زمن قسطنطين التسلّط على الناس، وكانوا سابقا يحبّون عدوّهم، لكنّهم الآن يسعون إلى هزيمته بالسّيف.

أراد قسطنطين أن تخدم الكنيسة مصالح الإمبراطوريّة الرّومانية، ولكي يحصل ذلك احتاج إلى تنظيمها وتسيسها، فبدأ بتحويل القاعات الحكومّية على طول الإمبراطوريّة إلى كنائس مسيحيّة، وأصبح الكرسيّ الذي كان يستعمله قضاة المدينة كرسيّا للأسقف، وقبل هذا كان أتباع السيّد المسيح يجتمعون في بيوت المؤمنين المتواضعة، ولم يكن لديهم بنايات مخصّصة للعبادة.

وقبل عهد قسطنطين كان لكلّ واحد من قادة المؤمنين مهنة خاصّة، وكان لديهم أيضا دعم من خلال تبرّعات المؤمنين وهداياهم، ولكن الحكومة شرعت بعد حكم قسطنطين في تقديم رواتب لرجال الدّين وأعفتهم من دفع الضّرائب، كما فعل الأباطرة من أجل الكهنة الوثنيّين في الماضي. وقسطنطين هو من وضع نظاماً لرجال الدّين في الكنيسة على تسلسل هرمي بما يتناسب مع غاية الإمبراطوريّة. وسمح للكهنة بارتداء الزّي الرّسمي للموظّفين الرّومانيين، وهي ملابس أصبحت تُعرف فيما بعد بثوب الكاهن. وأسّس بعد ذلك جوقات في الكنائس، حيث أراد من الكنيسة أن تحاكي بموسيقاها الرّسمية الموسيقى المستعملة في مراسم دولة الإمبراطوريّة الرّومانية.

وفي القرنين الأوّل والثاني للميلاد كان أتباع السيّد المسيح يحتفلون بإقامة وليمة احتفالاً بذكرى مولاهم عيسى (سلامه علينا)، الذي علمهم هذه العادة، فكانوا يتناولون الخبز والكأس في إطار مأدبة بهيجة تدعى «مأدبة الحبّ الأخويّ». ومع مرور الوقت أصبح النّاس يتقاسمون الخبز والكأس بشكل منفصل عن الوجبة. ومع نهاية القرن الثّاني أصبح هذا الفصل عادة مألوفة بينهم. وبعد عهد قسطنطين منعت سلطة الكنيسة تقاسُم الخبز والكأس في المأدبة التذكارية (أي ما يعرف بالعشاء الرّباني)، وسمحت بتقاسم الخبز والكأس فقط في شعائر خاصّة. وعندما استُبدلت المأدبة التذكاريّة بطقس ديني، كانت الطّاولة حيث يوضع الخبز والشّراب توصف على أنّها المذبح حيث تقّدم الأضحيّة. وأصبحت المأدبة التذكاريّة شعيرة سلكها القساوسة ولم تعد تجمّعا بهيجا للمجتمعين على المائدة. وتبعاً للطّقوس الوثنيّة فإنّ الخبز والكأس يُنظر إليهما على أنّهما مادّتين مقدّستين، شأن كلمات الكاهن التي اُعتبرت ذات قوّة خارقة.

وحصلت تغييراتٌ عقائديّة، فأصبح اهتمام المؤمنين بمصير الفرد ومكان الرّوح في الآخرة. واختلف هذا الاهتمام عن تأكيد الأنبياء والرّسل الذين تحدّثوا عن قدرة الله في خلق عالم جديد، كجزء من خلق الله الجديد للبشريّة واستعادة الكون المُدَمَّر. ودعا سيّدنا عيسى (سلامه علينا) وحواريّوه النّاس إلى التّوبة والإيمان والأعمال الصّالحة، ولكنّ الكنيسة أصبحت في زمن قسطنطين واسطة للنّجاة من خلال الشّعائر التي تقيمها، وقد اعتبرها النّاس فعّالة للنّجاة فلا حاجة إذن للإيمان والتوبة.

شعر قسطنطين أنّ إمبراطوريته ستكون أكثر استقراراً في حال وجود مذهب رسميّ

وحيد للمسيحيّة، ولذلك عمل سنة 316 للميلاد كقاض في فضّ نزاع قام في شمال إفريقيا حول حركة الدّوناتيين. وبعد أن حسم قسطنطين أمره تجاه الدّوناتيين، قاد جيشا من المسيحيين ضدّ المسيحيّين الدّوناتيين. وبعد 300 سنة من اللاّعنف كانت هذه أوّل حركة اضطهاد يمارسها مسيحيون ضدّ مسيحيين. وأخيراً قضت القوى الرّومانية على حركة الدوناتيين في شمال إفريقيا.

إن الله هو الرّحيم اللّطيف الأوحد، وقد وردت صفاته في كتب الأنبياء الأوّلين. وأخذ عامّة النّاس يفهمون الله والأمور الدّينية شيئا فشيئا بالطّريقة التي فهموا بها الآلهة الرّومانية اليونانيّة التي تستوجب تهدئة غضبها. والأضاحي التي نصّت عليها التوراة كانت تؤوّل على أنّها محاولات لتهدئة غضب الله القويّ الجبّار عوضاً عن معنى التقرّب من الله الكريم الرّحيم.

ادّعى المصلحون البروتستانتيون في القرن السّادس عشر للميلاد، أنّ تعاليم الكنيسة الرّومانية (الكاثوليكية) حرّفتها «الأخطاء الإغريقيّة»، وحاول هؤلاء المصلحون تصحيح هذه الأخطاء، ولكنّهم لا يزالون وبشكل كبير تحت تأثير فرضيّات غير قابلة للجدل وخاصّة منها ما يتعلّق بالنّظام الذي أسّسه قسطنطين.

لم يكن الإمبراطور قسطنطين مسيحيّا في أغلب حياته، بل لم يتمّ تعميده حتّى آخر لحظة في حياته، ورغم ذلك فقد ادّعى أنّه الحواري الثّالث عشر للسيّد المسيح. وفعلا فقد أحدث قسطنطين تغييرات تمسّ من جوهر رسالة السيّد المسيح. ثمّ إنّ الدّين الذي أسّسه قسطنطين يختلف تماماً عن ممارسات الحواريّين، كما كان له تأثير كبير على الممارسات المسيحيّة التي نراها اليوم. وتوجد بين المسيحيّين عدّة ممارسات دينيّة معاصرة وتأويلات ليست سيّئة بالضّرورة، ومصدرها ليس سيّدنا عيسى (سلامه علينا) أو الحواريّين. ورغم ذلك يوجد العديد من النّاس اليوم الذين يعودون إلى كتابات الأنبياء الأوّلين وإنجيل سيّدنا عيسى، للبحث عن الطّريقة التي نادى بها سيّدنا المسيح للاقتداء بها، ساعين إلى الالتحاق بمن سبقهم إلى المملكة الربّانيّة، ولكن بطرق تختلف إلى حدٍّ بعيد عن الدّين الذي أسّسه قسطنطين.

السيد المسيح والشأن السياسي

يرتبط مصطلح السياسة بالمثل العليا والجهود التي يبذلها الناس لتنظيم حياتهم الجماعية سواء على مستوى المدن أو الأمم أو العالم ككل. ولأن الله يحب عباده جميعا، فقد اهتم كثيرا بشؤون تنظيمهم لعلاقاتهم داخل الجماعة. فعندما يكره شخص شخصا آخر أو يؤذيه، فهذا الفعل يسبب حزنا شديدا له تعالى باعتباره يحب الطرفين معا، الظالم والمظلوم. محبة الله للمظلوم تجعله يكره إصابته بأي أذى، بل يحب أن تحل عليه المحبة والتكريم. أما محبته للظالم فتجعله يحب له الحياة السوية والعادلة بدل حياة العنف والفساد. وعندما يتعايش الناس في سلام واحترام، يصبغ الله عليهم رضوانه.

لقد جاء سيدنا عيسى المسيح ليرشدنا إلى سبل الله تعالى، لذلك احتل الشأن السياسي حيزا كبيرا في رسالته، لكن كثيرا من الناس ممن يدّعون الإيمان به لا يفهمون إلا النزر القليل من تعاليمه وتجربته في التعامل مع السياسة، وهو ما نلمسه على امتداد التاريخ.

إذا أردنا أن نفهم تعامل سيدنا عيسى مع الشأن السياسي، فلا مناص من القول أنه كان يهوديا، أي من سلالة بني يعقوب، وأن يهود تلك الفترة كانوا يرزحون تحت قسوة نير الاحتلال الروماني. ليس هذا فحسب، شأن الأمم، بل إنّ الفساد مستشر بين قادة الشعب اليهودي من أصحاب الدين إلى أصحاب السياسة. هكذا نشأ سيدنا عيسى وعاش حياته في جو من القمع والفساد شأن أناس كثيرين اليوم.

علينا أن نتذكر أيضا أن سيدنا عيسى لم يأت ليبدأ دينا جديدا، بل جاء ليعلن قيام مملكة جديدة، أطلق عليها اسم المملكة الربانية. لكن اسم «المملكة» ليس مصطلحا دينيا شبيها بمصطلحات أخرى كالمذهب والطائفة، بل المملكة الربانية هي أسلوب يشمل كل جوانب الحياة: الأسرة والأخلاق والاقتصاد والحياة السياسية...

فما هي مظاهر تعامل سيدنا المسيح مع الشأن السياسي؟ يمكننا تلخيص تعاليمه

(سلامه علينا) في الشأن السياسي في سبع عناوين، وهي: اللاّعنف، التحوّل، التضامن، التصالح، الخدمة، الإيمان، والمحبة.

1. اللاّعنف

كان سيدنا المسيح يدعو إلى الإحسان إلى الذين أساؤوا إلينا عوض رد الإساءة بالإساءة. ولم يدافع يوما عن العنف، بل كان يدعو إلى فض النزاعات بطريقة سلمية. وربما سمح بالدفاع عن النفس عندما طلب من تلاميذه حمل السيف قبيل اعتقاله، لكنه بعد ذلك قال لهم «كلُّ مَن حاربَ بالسّيفِ، ماتَ بحدّه». وعندما كان معلقا على الصليب لم يدع للانتقام بل دعا الله قائلا: «اغفر لهؤلاء ذنوبَهم يا ربّ، لأنّهم يَجهلونَ ما يفعلون». وقال أيضا إذا ضربك أحد على خدك الأيمن فلا ينبغي أن ترد الضربة بالضربة، ولا أن تفر هاربا، بل عليك أن تقف شامخا شجاعا وتدير له خدك الأيسر ليضربه (في إشارة ربما إلى صفعة ظاهر اليد التي كانت علامة احتقار لدى الجنود الرومان للذين يقلّون عنهم شأنا). إنّ ما علّمه السيد المسيح من لاعنف متميز بالشجاعة وهو البديل الجذري لا فقط للسلبية والخنوع، بل لكل أشكال العنف.

2. التّحوّل

رفض السيد المسيح التمرّد العنيف من جهة، ورفض الخنوع من جهة أخرى، وحثّ بالتوازي على التغيير السياسي والاجتماعي من خلال الإيمان والصلاح وممارسة اللاّعنف الخَلّاق، حيث شبّه أتباعه بالنور في الظلمة والملح في الطعام والخميرة في الخبز والبذور في الأرض. كما حثّهم على الاستعانة بالصلاة والدعاء كأن يقولوا: «لتَقم مملكتُك الموعودةُ في الأرض، ليسعَ مَن في الأرض لمرضاتك كسعْيِ مَن في السماء». بهذه الطريقة دعا سيدنا عيسى إلى نوع من العمل المشترك، أي شراكة بين الله تعالى وعباده المؤمنين من أجل تحقيق التغيير الاجتماعي، حيث يشكّل أتباع السيد المسيح مجموعات تجسّد مبادئ المملكة الربانية أمام أنظار الناس من حولهم.

3. التضامن

ركّز سيدنا عيسى معظم جهده الدعوي على منطقة في فلسطين عُرفت باسم الجليل، وهي منطقة عانى فيها اليهود بشكل كبير الاضطهاد السياسي والاقتصادي

سواء على أيدي الرومان أو كثير من أبناء جلدتهم الذين كانوا يسعون للربح والسلطة من خلال التعاون معهم كعملاء مع سلطات الاحتلال الروماني. وحثّ (سلامُهُ علينا) الفقراء والمظلومين في الجليل على التعاون فيما بينهم: كأن يتحلّوا بالتسامح ويتقاسموا الطعام والمال فيما بينهم وأن يتكاتفوا في جهودهم. كما دعا الأثرياء إلى تحويل ولائهم من النخب القوية الموجودة في القدس وروما، وفي المقابل دعاهم إلى الانضمام إليه وإلى أتباعه في مجموعات تهتم باحتياجات بعضها بعض، وترعى المحتاجين والفقراء.

4. المصالحة

حثّ سيدنا المسيح مرارا وتكرارا على التسامح والمصالحة، لأن هدفه لم يكن هزيمة أعدائه بل تحويلهم إلى أصدقاء. فقد علّم أتباعه الصلاة كالآتي: «يا ربّ، اغفر لنا سيئاتِنا كما نسامحُ مَن أخطأ في حقّنا». كما علّمهم الاستعانة بالصبر مع إخوانهم الذين لم يتوبوا عن الخطأ بسرعة، ودعاهم إلى مسامحتهم سبعا وسبعين مرة إذا اقتضى الأمر ذلك!

5. الخدمة

أخبر سيدنا عيسى أتباعه ألاّ يستخدموا القوّة شأن الرومان، لأنهم كانوا يسعون إلى الهيمنة على الآخرين في حين كان السيد المسيح هدفه خدمتهم، إذ قال (سلامُهُ علينا): «على القائد أن يكون خادم قومه». وكان الرومان يستخدمون خطابا مموّها يخفي رغبتهم في الهيمنة، ويظهرهم بمظهر الساعين إلى الصلاح. لكن سيدنا عيسى حثّ أتباعه على الصراحة والصدق والأمانة، فيكون جوابهم بـ «نعم» إذا تطلب الأمر هذا الجواب، ويكون الجواب بـ «لا» إذا تطلّب الأمر هذا الجواب. وإذا صادف أن أجبر جندي روماني أحدا من أتباعه على حمل شيء مسافة ميل واحد، فإنّ سيدنا المسيح يطلب من هذا الشخص أن يحمل ذلك الشيء مسافة ميلين: الميل الأول امتثال للقانون، والميل الثاني تطوُّعٌ بالخدمة. وفي أحد الأيام تجرّد السيد المسيح من ثيابه الفوقية وشرع في غسل أقدام الحواريين كما يفعل أي خادم بسيط عملا بقوله: «مع أني مولاكم، وهذا لا يمنع أن أتصرّف كأحد الخدم معكم»، وبذلك يجسّد نموذجا مختلفا جذريا لممارسة السلطة والعمل السياسي.

6. الإيمان

كان سيدنا عيسى يقول أن التغيير الاجتماعي والسياسي الحقيقي لا يتم فقط بالاعتماد على الجهد البشري، بل يتطلب أيضا الإيمان بالله، والثقة في سيدنا عيسى وتعاليمه. وكان يقول أنه بالإيمان لا شيء يعسر علينا البتة. لقد تكلّم عن قدرة الإيمان في اقتلاع الجبال من أماكنها، لكن من الواضح أنه لم يكن يعني قدرة الإيمان على التغيير الجغرافي، بل قدرته على التغيير الاجتماعي والسياسي. فكان يقصد ضمنيا قدرتنا على اقتلاع جبال الظلم والطمع والفساد والتحامل والقائها في عرض البحر.

7. المحبّة

كان سيدنا المسيح يدعو حوارييه إلى التّخلي عن حب السلطة وفي المقابل دعا إلى التوكّل على سلطة الحب. حب الله تعالى أولا قبل كل شيء- الله الذي يحب العدل والسلام والخير لجميع البشر. لكن حبنا لله تعالى لا ينفصل عن حبنا للآخرين، بما في ذلك محبتنا للغرباء، بل والأعداء أيضا كما أوصى سيدنا المسيح. فلماذا؟ لأن الله تعالى كريم وبار بكل الناس، الأشرار منهم والأخيار، وعلينا نحن كعباده البررة حذو مثاله في المحبة. بهذا يمكن اعتبار دعوة السيد المسيح لمحبة الأعداء أكثر التعاليم السياسية ثوريّةً على مرّ العصور.

لم يقتصر سيدنا المسيح على تبليغ رسالته السياسية المختلفة جذريا عما كان مألوفا، بل جسّد هذه الرسالة وعاشها بشكل يومي، حيث أبدى اهتماما خاصا بالضعفاء والمهمّشين من نساء وفقراء وأطفال ومرضى، وحتى أهل الملل الأخرى، بما في ذلك الرومان الذين كانوا يضطهدون شعبه. ففي كلامه وفي حياته وحتى في موته جسّد سبل الحق دائما.

كان القيصر، الإمبراطور الروماني متسامحا في ما يتعلّق بالعديد من الديانات. وكان لا يتحرّج من استخدام الدين لفرض سلطته السياسية شأن العديد من السّاسة. لكنه لم يكن ليتسامح بخصوص أي كلام عن قيام مملكة جديدة. فإذا تجرأ أحد ووضع سلطة القيصر موضع مساءلة، فسيلقى عقاب الصلب مصيرا. وهذا المصير تحديدا لقيه السيد المسيح. فعندما دعا (سلامُهُ علينا) إلى أسلوب مختلف في الحياة ونادى بقيم سياسية مختلفة تحدّى سلطة القيصر ومصالح اليهود المتحالفين معه. لهذا السبب سلّمه

اليهود إلى الرومان الذين اعتقلوه وحاكموه كمعتقل سياسي، وأصدروا في حقه حكم الإعدام على الصليب.

وعندما اختار الأتباع الأوائل للسيد المسيح الصليب كرمز لإيمانهم مثّل ذلك شهادة سياسية قويّة. فالأمر بالنسبة إلينا اليوم شبيه باختيار المشنقة أو الكرسي الكهربائي أو المقصلة. فلماذا اختار أتباع السيد المسيح هذا الرمز؟ وما هو المغزى منه؟

باختيار أتباع السيد المسيح الصليب رمزا كانوا إنما يريدون قول أمر شبيه بما يلي: إنّ روما وحلفاءها من اليهود يمتلكون قوّة شديدة، لكنها قوّة تمّ استخدامها لأغراض شرّيرة. فقد استخدموها لقتل سيدنا المسيح الذي جاء رسولا يهدينا إلى سبل السلام مع الله الخالق ومع بعضنا بعض. إنّ استخدام القوة من طرف نظام سياسي لقتل نبيّ من أنبياء الله، يكشف فساد ذلك النظام السياسي وتركيبته القائمة على الظلم. هكذا إذن كان الصليب رمز احتجاج على ظلم القيصر وحلفائه، كما كان رمز ولاء لسيدنا المسيح بصفته رسول سلام وعدل.

هكذا فهم أتباع سيدنا عيسى البعد السياسي في رسالته خلال القرون الثلاثة الأولى للميلاد. وحاولوا العيش في انسجام مع تعاليمه والمثال الذي جسّده، إذ رفضوا على سبيل المثال الخدمة في الجيش نبذا للعنف، واهتموا بالفقراء والمساكين، ورسخوا في إيمانهم حتّى عند تعرّضهم للاضطهاد والاستشهاد.

لكن تغييرا جذريا حدث في مستهل القرن الرابع للميلاد. فقد اختار الإمبراطور الروماني قسطنطين اعتناق الديانة المسيحية، ولا أحد يعلم إلى يومنا هذا إن كانت نيّته صادقة، أم كان يحاول استخدام الدين لتوحيد إمبراطوريته المقسّمة والمتوتّرة. وبعد أن اعتنق الديانة المسيحية تحوّل الإيمان المسيحي من مرحلة الاضطهاد إلى ديانة شرعية، ليصبح بعد ذلك دين الدولة الرسمي. ويعتقد معظم أتباع المسيح اليوم أن ذلك التحوّل أدّى إلى عواقب وخيمة. ويمكن الحديث عن تحويل الديانة المسيحية لخدمة الإمبراطورية الرومانية، عوض تحويل الإمبراطورية الرومانية إلى خدمة الديانة المسيحية.

وفي القرن السابع عشر للميلاد تفطّن العديد من المسيحيين في أوربا والمستعمرات الأمريكية إلى عواقب دمج الإيمان المسيحي في الإمبراطورية الرومانية، وانتابهم قلق

شديد جراء انزلاق عديد الفرق والطوائف المسيحية إلى الصراع والعنف مع بعضهم بعض كلّما مزج أهل تلك الفرق والطوائف بين التزاماتهم الدينية وممارساتهم السياسية والعسكرية. ومن هنا تعالت أصوات تدعو إلى الفصل بين الدين والدولة. وهو ما أدّى إلى تراجع وتيرة العنف الديني، لكنه تسبّب من جهة أخرى في ظهور مشاكل جديدة. فأتباع السيد المسيح اليوم في حيرة من أمرهم بخصوص كيفية إدماج تعاليم السيد المسيح المتعلّقة بالشأن السياسي مع أفكار العمل السياسي في الدول التي ينتمون إليها.

يدعو بعض رجال الدين إلى التأثير على الحكومات، بل يصل بهم الأمر إلى التحريض على السيطرة عليها، ويرى آخرون أن الدين شأن شخصي، لذلك ينبغي فصله عن سياسة الدولة. وبين هذين الطرفين المتناقضين توجد خيارات أخرى كثيرة، فالدكتور مارتن لوثر كنغ قال على سبيل المثال أن الكنيسة لا يحقّ لها أن تسيطر على الدولة، ولا يحقّ لها أيضا خدمة الدولة، لكن في المقابل ينبغي عليها أن تكون ضمير الدولة. ويضيف بعض المفكّرين إلى ما قاله الدكتور مارتن لوثر كنغ أن الكنيسة عليها أن تكون ذات رؤية لتعديل سياسات الدولة، فأهل الإيمان يرون سبل السلام والعدل، وهو قد يغيب عن أصحاب السلطة أحيانا.

هل صُلبَ المسيح؟

نظرات تاريخّية حول وفاة المسيح في تفاسير أهل السُّنة

بسم الله الرحمن الرحيم

هل مات السيد المسيح على الصليب ثم قام من الأموات؟ إن هذا السؤال يبلغ درجة كبيرة من القوة بحيث تكفي لإثارة مناقشات ساخنة بين المسلمين والمسيحيين. يقول أحد الكُتاب المعاصرين: «إن هذا الموضوع يثير جدلية الإسلام كما لم يثرها أي موضوع آخر»[1].

ومن المؤكد أنه عندما يتحاور المسلمون والمسيحيون معاً حول موضوعات دينية فإن هذا الحوار غالباً ما يتطرق إلى هذا السؤال عاجلاً أم آجلاً. ربما لا يبدو هذا مفاجئاً في ضوء التاريخ الذي أدى فيه استغلال الحملات الصليبية الصليب كرمز ديني إلى تحويله من مجرد علامة تدعو المسيحيين إلى بذل أرواحهم من أجل الآخرين بدافع من المحبة الخالصة[2] إلى علامة تدل على استعداد المسيحيين لقتل غيرهم في سبيل تحقيق أهدافهم الأنانية.

إن مناقشة قضية صلب السيد المسيح (عليه السلام) تؤدي عموماً إلى إحدى نتيجتين لا ثالث لهما:

1. إما أن يبذل كلا الجانبين جهده ليقنع الآخر بأنه على صواب وأن الجانب الآخر على خطأ،
2. أو أن يقرر الجانبان بمنتهى الأدب الكياسة أن «يتفقا على أن لا يتفقا»!

ونفترض من كلتا النتيجتين أنه لا توجد أسس مشتركة بين الجانبين للإجابة على هذا السؤال. إن الهدف من البحث الذي بين أيدينا الآن هو معرفة مدى صحة أو خطأ هذا الافتراض. ويهدف هذا البحث على وجه الخصوص إلى محاولة ودية لدراسة

(1) إسكندر جديد: (الصليب في الإنجيل والقرآن) ص 5 (بيروت – مركز الشبيبة)

(2) انظر رسالة يوحنا الأولى 3: 16 أو الرسالة إلى مؤمني فيلبي 2: 4–8 على سبيل المثال.

التعاليم الإسلامية لمعرفة الأجوبة الممكنة تاريخياً على هذا السؤال في المجتمع الإسلامي، وسبيلي إلى هذا هو دراسة الآيات القرآنية التي تشكل أساس هذه المناقشة، وكذلك دراسة تاريخ تفاسير أهل السنة السائدة لهذه الآيات، وإذا ما كان هناك ثمة مشروع بحث مستقل (ربما يقوم به عالم مسلم) يهدف إلى دراسة التعاليم والمعتقدات المسيحية بنفس الأسلوب الودي الذي اتبعناه هنا، فإننا نستطيع بعد ذلك معرفة الأسس المشتركة التي ربما تنتج من هاتين الدراستين.

وأغلب ظني أن أكثر الآراء ذيوعاً وأوسعها انتشاراً في العالم الإسلامي اليوم حول مسألة الصلب هو أن الله تبارك وتعالى ألقى شبه المسيح عليه السلام على شخص آخر، وأن هذا الشخص قد تم صلبه بدل المسيح، بينما رفع الله المسيح حياً إلى السماء مباشرة.

وهناك رأي آخر ذهب إليه الكثيرون - إلا أنه أقل ذيوعاً وانتشاراً من الرأي الأول - وهو أنه قد تم صلب السيد المسيح نفسه وتثبيته بمسامير على الصليب حيث فقد الوعي، ثم ما لبث أن استرد وعيه وهو في القبر. هذا الرأي - الذي روجته كتابات العلاّمة أحمد ديدات الجدلية - يحظى بقبول واسع ولا سيما في جنوب آسيا في يومنا هذا.

يقول كينيث كراج Kenneth Cragg معلقاً: «تتمسك كل من الطائفة الأحمدية والطائفة القاديانية بجنوب آسيا بالرأي القائل بأن عيسى (عليه السلام) قد تم تثبيته بمسامير على الصليب ثم تم إنزاله وهو مازال حياً ثم وضع في مقبرة باردة، وعلى ذلك لم تنجح محاولة صلبه، ومن ثم استرد المسيح وعيه داخل المقبرة ثم فرّ منها وسافر بعد ذلك صوب الشرق إلى أن مات هناك في سنٍ كبيرة بكشمير (بالقرب من سريناجار) حيث مازال قبره قائماً حتى اليوم».[1]

ويحظى هذان الرأيان القائلان بنظرية البديل وفقدان الوعي - مثل بعض الآراء الأخرى - بتأييد تاريخي ولا سيما من جانب التفاسير الإسلامية للقرآن الكريم.

ولقد تركزت التأملات الإسلامية من الناحية التاريخية حول تفسير بعض الآيات القرآنية التي تتناول مسألة صلب المسيح.

---

(1) كينيث كراج: (نداء المآذن) The call of the Minaret ص 224 - الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة - من مطبوعات Daystar 1985

وعلى الرغم من وجود ملاحظات وتعليقات على هذا الموضوع في بعض المصنفات الأخرى بين الحين والآخر مثل (رسائل إخوان الصفا) [1]، إلاّ أن أكثر المناقشات الإسلامية تأثيراً وعمقاً في هذا الموضوع تقع بين طيات التفاسير القرآنية.

أما بالنسبة للدراسة الموسوعية التحليلية لكل التعليقات والشروح الإسلامية للموضوع، فإنها لا تقع داخل نطاق هذا البحث الذي نحن بصدده.

وسنركز فيما يلي على أكثر تفاسير أهل السنة ذيوعاً وخاصة تفسير الطبري، خر الدين الرازي، القرطبي، البيضاوي وسيد قطب.

و تتناول هذه التفاسير مسألة وفاة المسيح من خلال تحليل وتفصيل أربع آيات قرآنية، وهذه الآيات هي:

1. الآية (55) من سورة آل عمران: (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ).
2. الآية (157) من سورة النساء: (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا).
3. الآية (117) من سورة المائدة (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ).

---

(1) قام نيل روبنسون بتلخيص رأى أخوان الصفا في كتاباته (المسيح في الإسلام والمسيحية) Christ in Islam and Christianity ص 56 – 57 State University Press – – نيويورك 1991) كما يلي: (لقد وُضع جسد المسيح (ناسوته) على الصليب، وثبتت يداه بالمسامير فيه، و
ظل مصلوباً طيلة يوم كامل حيث أسقي خلاً وضُرب جنبه بالرمح، ثم أنزل من فوق الصليب وكفن ووضع جسده في القبر، وبعد مرور ثلاثة
أيام ظهر المسيح للتلاميذ الذين سرعان ما تعرفوا عليه، وعندما انتشرت الأخبار بعدم قتل المسيح هرع اليهود إلى المقبرة وفتحوها إلا أنهم لم
يعثروا على أثر لناسوت المسيح (جثته).
وعلى الرغم من أن إخوان الصفا يرفضون كلية الزعم المسيحي بألوهية المسيح، إلا أنهم – على ما يبدو – يعتقدون حقيقة حدوث الصلب).

4. الآية (33) من سورة مريم: (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا).

بخصوص التفاسير المختلفة لهذه الآيات يعرب المستشرق روجي أرنالدز عمّا يلي:

«نرى أن التفاسير لا تتفق مع بعضها بعض، ولكن السؤال على وجه الخصوص هو: متى مات المسيح؟ هل هو موت في نهاية حياة عادية أم موت سوف يحدث قبل نهاية الزمن عند اقتراب الساعة الأخيرة؟ هل كان ذلك موتاً حقيقياً أم مجرد سنة من النوم؟ وإن كان موتاً حقيقياً هل يتصادف مع وقت الرفع إلى السماء أم كانت هنالك فترة زمنية فاصلة بين الموت والرفع؟ مع العلم أن جميع هذه الآراء لها من يؤيدها».[1]

وسنرى فيما يلي ما إذا كانت التفاسير والشروح متعددة ومتباينة على حد زعم أرنالدز، وإذا كان الأمر كذلك فإنني سأحاول البرهنة على أن تعدد هذه التفاسير وتنوعها لا يجب أن ينظر إليه على أنه علامة على ضعف هذه التفاسير وتناقضها، وإنما هو دليل على تراث تفسيري زاخر.

ذ1- الطبري

إن أول ما نتناوله من هذه التفاسير هو تفسير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى سنة 310 هـ/ 923 م)، ومع أن هذا التفسير ليس أول تفسير تم تأليفه للقرآن، إلا أنه من أوائل التفاسير التي مازالت تثري حياة المسلمين بعمقٍ وتأثير بالغين حتى يومنا هذا ويعتبره المسلمون بحق: «أفضل التفاسير المأثورة الجامعة لأقوال السلف في التفسير».[2]

ومع أن ما جمعه الطبري من أقوال سابقيه وتفاسيرهم هو بمثابة القلب من تفسيره هذا، إلا أن بعض العلماء الذين درسوا هذا التفسير يجنحون إلى القول بأننا لا يجب

---

(1) روجي أرنالدز – عيسى بن مريم، نبي الإسلام Jesus: Fils de Marie, prophete de l'Islam (Paris: Desclee1980)
ص 191-190

(2) صالح عبد الفتاح الخالدي – مقدمة أبي جعفر محمد بن جرير الطبري – تفسير الطبري: بجامع البيان في تأويل آي القرآن
– دمشق، دار القلم – طبعة 1977، ص 6 المجلد الأول.

أن نحكم على الطبري بدون وجه حق بأنه لم يقم فيه بشيء سوى نقل أقوال السلف الصالح دون أن يضيف إليها شيئاً من عنده.

يقول أحد محققي تفسير الطبري:

«ظلم بعضهم هذا التفسير كثيراً عندما جعلوه تفسيراً بالمأثور فقط، وصنفوه في مدرسة التفسير الأثري. إنه تفسير بالمأثور وزيادة، وهو يُصنف ضمن مدرسة التفسير الأثري النظري التي تجمع بين إيراد الأقوال المأثورة وبين النظرات والاجتهادات والاستنباطات – والتي أبدع الطبري فيها أيما إبداع «.[1]

أما عن الآيات التي لها أكثر من وجه للتفسير فقد كان الطبري يوردها حسب نظام كان يتبعه دوماً وهو عمل قائمة مرتبة لهذه الوجوه طبقاً لمدى معرفته بالروايات التي توردها، وبعد أن يقوم بترتيب هذه الاحتمالات المقبولة كان يعلق على كلٍ منها على حدة كأن يقول: إن هذا تفسير راجح أو أن ذاك تعضده أدلة أكثر من غيره.

ومثالاً على هذا، نورد تفسير الطبري لكلمة (متوفيك) من الآية (55) في سورة آل عمران، إذ يقول: «اختلف أهل التأويل في معنى الوفاة التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآية».

1. فقال بعضهم: «هي وفاة نوم» وكان معنى الكلام على مذهبهم: أني منيمك ورافعك في نومك. (ثم استشهد الطبري بأحد الأحاديث الذي يؤيد هذا التفسير).
2. وقال آخرون: معنى ذلك: إني قابضك من الأرض فرافعك إليّ. وقالوا معني «الوفاة» القبض، كما يقال: «توفيت من فلان ما لي عليه» بمعنى: قبضته واستوفيته. قالوا فمعنى قوله: (أني متوفيك ورافعك) أي: قابضك من الأرض حياً إلى جواري وآخذك إلى ما عندي بغير موت، و رافعك من بين المشركين وأهل الكفر بك. قال ابن زيد في قوله: (إني متوفيك ورافعك إليّ) قال: (متوفيك): قابضك، قال: و(متوفيك) و(رافعك) واحد، قال ولم يمت بعد حتى يقتل الدجال وسيموت.

وقرأ قول الله عز وجل: (ويكلم الناس في المهد وكهلاً) قال: رفعه الله إليه قبل أن

(1) المرجع السابق

يكون كهلاً، قال: وينزل كهلاً. (ومضى الطبري يسوق بعض الأحاديث التي تدل على أن معنى الوفاة هو القبض).

3. وقال آخرون: معنى ذلك: إني متوفيك وفاة موت حقيقي، ومعني (إني متوفيك) أي: مميتك. (ثم أورد الطبري عدداً من الأحاديث التي تعضد هذا التفسير).

4. وقال آخرون: هذا من المقدم الذي معناه التأخير، والمؤخر الذي معناه التقديم، والمعني: إذ قال الله يا عيسى إني رافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا، ومتوفيك بعد إنزالي إياك إلي الدنيا. (ثم مضى الطبري أيضاً في سوق بعض الأحاديث التي تؤيد هذا التفسير).

وأولي هذه الأقوال بالصحة عندنا، قول من قال: (معنى ذلك: أنّي قابضك من الأرض ورافعك إليّ) لتواتر الأخبار عن الرسول محمد أنه قال: «ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال، ثم يمكث في الأرض مدة ذكرها».[1]

***

وعلى هذا فقد ضمن الطبري في تفسيره أربع نظريات استقاها ممن سبقه من المفسرين وهي:

1. أن الله ألقى النوم على المسيح،
2. أن الله توفاه، أي قبضه،
3. الموت بمفهومه الحقيقي،
4. نظرية التقديم والتأخير (أي تقديم الرفع على الموت).

ويبدو جلياً أن الطبري قد رجح النظرية الثانية لما لها من تأييد كبير في تفاسير السلف، ولكن يجب علينا أن لا نغفل أن الطبري يقر بأن كلاً من هذه النظريات الأربع تحظى بالتأييد الشرعي من كافة التفاسير التي تناولت تلك النصوص القرآنية. ويمكن القول بأن نظرية إلقاء النوم على المسيح بمثابة أساس الرأي السائد في هذه الآونة والقائل بأن المسيح قد فقد وعيه على الصليب ثم استرد وعيه في القبر (وقد أشرنا إلى هذا الرأي سلفاً – ص 2).

---

(1) المرجع السابق

وقد أشار الطبري إلى نظرية البديل (والتي أومأنا إليها في الصفحة الثانية أيضاً) عند تفسيره للآية (157) من سورة النساء. كذلك ألمح الطبري إلى نظرية البديل بشيء من الإيجاز أثناء شرحه للآية (54) من سورة آل عمران وهي الآية السابقة مباشرة للآية التي أشرنا إليها ضمن الآيات الأربع، إلا أن الطبري تناول هذه النظرية بشيء من التفصيل عند شرحه لكلمات: (شُبّه لهم) والتي هي جزء من آية رقم (157) في سورة النساء.

لقد كان الطبري عالماً بروايات تؤيد نظريات متعددة لتفسير هذه الآية، وفي ذلك يقول:

(وقد اختلف أهل التأويل في صفة التشبيه الذي شُبِّه لليهود في أمر عيسى عليه السلام) (1)

وقد انتهج الطبري منهجاً مشابهاً عند سرده لتلك النظريات المتعددة الخاصة بكيفية التشبيه، حيث كان الطبري على علم برواية تقول بأن الله ألقى بشبه المسيح على كافة حوارييه، لدرجة أن اليهود لم يستطيعوا معرفة أيهم يكون المسيح الأصلي. كذلك كان الطبري على دراية بإحدى الروايات الأخرى التي تشير إلى أن المسيح قد سأل الحواريين أن يخرج من بينهم متطوع واحد ليلقي الله شبه المسيح عليه ثم يصلب بدلاً من المسيح.

وبعد أن عرض الطبري هاتين النظريتين عمد إلى بيان ترجيحه لأي منهما كما كانت عادته، حيث رجح الطبري النظرية الأولى القائلة بأن الله قد ألقى شبه المسيح على حوارييه جميعاً، وقد علل الطبري ترجيحه لهذا الرأي بقوله: لو ألقى شبه المسيح على واحد فقط من تلاميذه، لكانت الحيرة في جانب اليهود فقط، ولما وقع التلاميذ أنفسهم ولا الأجيال المسيحية التي تلتهم نهب الحيرة والريبة.

أما بالنسبة لتفسير الآية (117) من سورة المائدة فقد جدد الطبري تأكيده على رجحان تفسير كلمة:

(توفّى) على أنها تعني (قَبَضَ)، وقد أوضح الطبري بجلاء أن نظرية تأويل معنى توفى على أنه (قبض) تشتمل على النظرية القائلة بالبديل، ولم يزد الطبري عن أن كرر نفس الألفاظ القرآنية الواردة في الآية (33) من سورة مريم (عن موت المسيح وبعثه)

---

(1) المرجع السابق

عند تناوله الخاطف لتفسير هذه الآية، حتى أنه لم يعرج إلى الحديث عما إذا كانت لهذه الآية علاقة ضمنية بما حدث على الصليب أم لا.

***

2- فخر الدين الرَّازي

إذا كان الطبري هو إمام التفسير بالمأثور، فإن تفسير فخر الدين الرازي (المتوفى سنة 606 هـ - 1210م) [1] يعد حجة في التفسير بالرأي، حيث كان الرازي يعرض للتفاسير المتعددة التي خلفها السلف، كما كان يستشهد بما ورد عن النبي والصحابة والتابعين من أخبار وآثار، ولكنه لم يرَ ضرورة تكرار الأسانيد الخاصة بهذه الآثار أو تلك الأخبار - على عكس ما كان يرى الطبري.

ونظراً لما وهب الله الرازي من عقل فطن، محلل ومدقق [2] فقد كان يعمد إلى عرض الوجوه الممكنة للنص ثم يقوم بتقييمها وفقاً لأهميتها من الناحية العقائدية.

ولقد كان الرازي ملماً بعلوم الحديث والتفسير، كما كان من أئمة الكلام النابهين، بالإضافة إلى خبرة واسعةٍ وحذقٍ بالفلسفة، إلى جانب التزامه التام بالذبِّ عن فرقة الأشاعرة ضد مبادئ المعتزلة والفرق الإسلامية الأخرى.

ولقد قام الرازي بتوظيف هذه العلوم والمعارف أيما توظيف عند تناوله لمسألة موت المسيح، وهو ما دفع جين ماكوليف إلى القول عن تحليل الرازي لوجوه تأويل كلمة (متوفيك):

«إن ما قام به الرازي هو عمل تفسيري في منتهى الروعة والإتقان».[3]

إننا نجد أن الرازي قد بدأ بتقسيم التأويل الخاص بكلمة (.. متوفيك..) (الآية 55 من سورة آل عمران) إلى طريقين:

- الأول: وهو إجراء الآية على ظاهرها من غير تقديم ولا تأخير فيها،

---

(1) ويصر ماكوليف بعدم صحة الرأي القائل بوفاته سنة 1209 م

(2) محمود أيوب، " نحو كريستولوجي إسلامي Towards an Islamic Christology الجزء الثاني: موت المسيح بين الحقيقة والافتراء (دراسة حول وفاة المسيح في تفاسير أهل السنة في العالم الإسلامي) المجلد 70 (The Hartford Seminary foundation 1980) ص 92

(3) ماكوليف ص 137

- والثاني: وهو فرض التقديم والتأخير فيها.

ويبدو جلياً أن الرازي كان يميل إلى الطريق الأول (والذي أسماه بالظاهر) ويقدمه، وقد أثبت الرازي ثمانية وجوه مختلفة لإيراد معنى (متوفيك) وقد أكد صراحة على أنه يعتبر جميع هذه الوجوه مقبولة، وهي:

1. الوجه الأول: معنى قوله تعالى: (إني متوفيك) أي متمم عمرك فلا أتركهم حتى يقتلونك، بل أنا رافعك إلى سمائي، ومقربك بملائكتي، وأصونك عن أن يتمكنوا من قتلك، وهذا تأويل حسن.

2. الوجه الثاني: (متوفيك) أي مميتك، وهو مروي عن ابن عباس ومحمد بن إسحاق، قالوا: والمقصود أن لا يصل أعداؤه من اليهود إلى قتله ثم أنه بعد ذلك أكرمه بأن رفعه إلى السماء. ثم اختلفوا على ثلاثة أوجه: أحدها: قال وهب: توفي ثلاث ساعات ثم رُفع، وثانيها: قال محمد بن إسحاق: توفي سبع ساعات، ثم أحياه الله ورفعه، ثالثها: قال الربيع بن أنس: إنه تعالى توفاه حين رفعه إلى السماء، قال تعالى: (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) [سورة الزمر: 42]

3. الوجه الثالث: أن الواو في قوله تعالى (متوفيك ورافعك إليَّ) تفيد الترتيب، فالآية تدل على أن الله يفعل به هذه الأفعال، فأما كيف يفعل ومتى يفعل، فالأمر فيه موقوف على الدليل، وقد ثبت الدليل أنه حيّ، وورد الخبر عن النبي (صلى الله عليه وسلم): أنه سينزل ويقتل الدجال، ثم إنه تعالى يتوفاه بعد ذلك.

4. الوجه الرابع: ما قاله أبو بكر الواسطي، وهو أن المراد (إني متوفيك) عن شهواتك وحظوظ نفسك، ثم قال تعالى (ورافعك إليّ) وذلك لأن من لم يصر فانياً عمّا سوى الله لا يكون له وصول إلى مقام معرفة الله، وأيضاً فعيسى لما رُفع إلى السماء صار حالةٌ كحال الملائكة في زوال الشهوة والغضب والأخلاق الذميمة.

5. الوجه الخامس: أن التوفي هو أخذ الشيء وافياً، ولما علم أن من الناس من يخطر بباله أن الذي رفعه الله هو روحه لا جسده ذكر هذا الكلام ليدل على أنه عليه السلام رفع بتمامه إلى السماء بروحه وجسده،

ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى (وما يضرونك من شيءٍ) [النساء: 113].

6. الوجه السادس: (إني متوفيك) أي أجعلك كالمتوفَّي، لأنه إذا رفع إلى السماء وانقطع خبره وأثره عن الأرض كان كالمتوفَّى، وإطلاق اسم الشيء على ما يشابهه في أكثر خواصه و صفاته جائز حسن.

7. الوجه السابع: أن التوفي هو القبض، يقال: وفَّاني فلان دراهمي وأوفاني وتوفيتها منه كما يقال سلَّم فلان دراهمي إليّ وتسلمتها منه، وقد يكون أيضاً توفَّى بمعنى استوفى، وعلى كلا الاحتمالين كان إخراجه من الأرض ورفعه إلى السماء توفياً له.

8. الوجه الثامن: أن يقدر فيه حذف المضاف والتقدير: متوفِّي عملك بمعنى مستوفى عملك (ورافعك إليّ) أي ورافع عملك إليّ، وهو كقوله تعالى: (إليه يصعد الكلم الطيب) [فاطر: 10]، والمراد من هذه الآية أن الله بشره بقبول طاعته وأعماله، وعرّفه أن ما يصل إليه من المتاعب والمشاق في تمضية دينه وإظهار شريعته من الأعداء فهو لا يضيع أجره ولا يهدم ثوابه.

فهذه جملة الوجوه المذكورة على قول من يجري الآية على ظاهرها.[1]

وقد أكد الرازي على أن هذه الوجوه المختلفة تحظى بقبول علماء الأمة الإسلامية، ولقد أشرنا إلى بعض هذه الوجوه من قبل مثل تلك القائلة بـ:

1. موت المسيح وإحياءه حقيقة (كما في 2)،
2. أن الوفاة تعني القبض (كما في 7).

وإن كانت هناك بعض الوجوه التي لم نوردها قبلاً، مثل التي تشير إلى:

1. إتمام حياة المسيح (كما في 1)،
2. عدم العلم بوقت ولا كيفية الموت أو الرفع إلى السماء (كما في 3)،
3. أن الموت والرفع كانا بالروح والجسد معاً (كما في 5)،

---

(1) محمد فخر الدين ضياء الدين عمر الرازي – تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، تحقيق خليل
محي الدين المايس (بيروت: دار الفكر 1990)

4. تفسير الواسطي الصوفي الذي ذهب إلى أن المقصود هنا هو موت الشهوات واللذات النفسية والجسدية (كما في 4).

وبعد أن استعرض الرازي وجوه التأويل طبقاً للمعنى الظاهر، عرج بعد ذلك على الصنف الثاني (نظرية التقديم والتأخير) قائلاً: «وأما الطريق الثاني: وهو قول من قال: لابد في الآية من تقديم وتأخير وحيث أن الواو في قوله (متوفيك ورافعك) لا تقتضي الترتيب، والمعنى أنه رافعه حياً ثم يتوفاه بعد إنزاله في الدنيا». وإن كان الرازي لا يرى وجوب التقديم أو التأخير طالما أن المعنى يمكن فهمه بسهوله ويسر من الظاهر، ويختتم الرازي حديثه قائلاً:

«وأعلم أن الوجوه الكثيرة التي قدمناها تغني عن التزام مخالفة الظاهر - والله أعلم».[1]

وقد أفرد الرازي مساحة كبيرة للحديث عن نظرية (البديل) خاصة فيما يتعلق بالآية (55) من سورة آل عمران، والآية (157) من سورة النساء، ويرى أن افتراض وجود بديل للمسيح هو السبيل الأمثل لفهم آية النساء[2]: (... وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ...) ومع ذلك فإن الرازي يرى أن على هذه النظرية أن تجيب عن اعتراضين أحدهما لغويّ والآخر عقائديّ.

ويعرض الرازي للاعتراض اللغوي عند تفسيره للآية (157) من سورة النساء فيقول:

«قوله تعالى: (شّبه) مسند إلى ماذا؟ - إن جعلته مسنداً إلى المسيح فهو مشبه به وليس بمشبه، وإن أسندته إلى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر.

والجواب من وجهين:

الأول: أنه مسند إلى الجار والمجرور، وهو كقولك: خُيِّل إليه، كأنه قيل: ولكن

---

(1) المرجع السابق

(2) ونرى الرازي يقول عند تفسيره للآية (55) من سورة آل عمران: " ولفظ القرآن يدل على أن الله تعالى رفع المسيح
وألقى شبهه على غيره " ثم أننا نلحظ من تفسيره للآية (157) من سورة النساء أنه ليس متأكداً بالدرجة ذاتها من أن هذه
هي الطريقة المثلى لتأويل هذه الآية.

وقع لهم الشبه.

الثاني: أن يسند إلى ضمير المقتول لأن قوله تعالى (وما قتلوه) يدل على أنه وقع القتل على غيره فصار

ذلك الغير مذكوراً بهذا الطريق، فحسن إسناد (شُبَّه) إليه».[1]

وتجدر الإشارة إلى أن الجواب الثاني يفترض جدلاً حدوث عمليه تبديل، على العكس تماماً من الجواب الأول والذي يعرض الفعل (شُبَّه) المبني للمجهول على أنه مسند لغير العاقل، إذ المعنى: هكذا بدا الأمر لهم أو: اشتبه (التبس) الأمر عليهم.

ثم عرض الرازي لذلك الاعتراض العقائدي وحاول الإجابة عليه في ما يلي:[2]

«إذا جاز أن يقال إن الله تعالى يلقي شبه إنسان على إنسان آخر فهذا يفتح باب السفسطة، فإنا إذا رأينا زيداً فلعله ليس بزيد، ولكنه ألقى شبه زيد عليه، وعند ذلك لا يبقى النكاح والطلاق والمِلك موثوقاً به، وأيضاً يفضي القدح في التواتر لأن خبر التواتر إنما يفيد العلم بشرط انتهائه في الآخرة إلى المحسوس.

فإذا جوزنا حصول مثل هذه الشبهة في المحسوسات توجه الطعن في التواتر، وذلك يوجب القدح في جميع الشرائع، وليس لمجيب عنه بأن ذلك مختص بزمان الأنبياء عليهم السلام.

لأننا نقول: لو صح ما ذكرتم فذلك إنما يعرف بالدليل والبرهان فمن لم يعلم ذلك الدليل ولا ذلك البرهان وجب أن لا يقطع بشيءٍ من المحسوسات ووجب أن لا يعتمد على شيءٍ من الأخبار المتواترة، وأيضاً ففي زماننا إن انسدت المعجزات فطريق الكرامات مفتوح، وحينئذٍ يعود الاحتمال المذكور في جميع الأزمنة.

وبالجملة ففتح هذا الباب يوجب الطعن في التواتر، والطعن فيه يوجب الطعن في نبوة جميع الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، فهذا فرع يوجب الطعن في الأصول فكان مردوداً.

---

(1) انظر تفسير الفخر الرازي.

(2) وقد أثبت الرازي إشكالات أخرى وحاول الإجابة عليها عند تفسيره للآية (55) من سورة آل عمران.

والجواب:

اختلفت مذاهب العلماء في هذا الموضوع وذكروا وجوهاً خمسة:

الوجه الأول: أن اليهود عمدوا إلى قتل رجل آخر وزعموا كاذبين أنهم قتلوا المسيح نفسه.

الوجه الثاني: أن اليهود لما علموا أنه حاضر في البيت الفلاني مع أصحابه، أمر يهوذا رئيس اليهود رجلاً من أصحابه يقال له طيطايوس أن يدخل على عيسى (عليه السلام) من سقف البيت وألقى على ذلك الرجل شبه عيسى فظنوه هو فصلبوه وقتلوه.

الوجه الثالث: أن اليهود وكلوا عيسى رجلاً يحرسه وصعد عيسى (عليه السلام) في الجبل ورفع إلى السماء، وألقى الله شبهه على ذلك الرقيب فقتلوه وهو يقول لست بعيسى.

الوجه الرابع: أن اليهود لما هموا بأخذ عيسى (عليه السلام) وكان معه عشرة من أصحابه فقال لهم: من يشتري الجنة بأن يلقى عليه شبهي؟ فقال واحد منهم: أنا، فألقى الله شبه عيسى عليه فأُخرج وقُتل، ورفع الله عيسى (عليه السلام).

الوجه الخامس: كان رجل يدعي أنه من أصحاب عيسى (عليه السلام)، وكان منافقاً فذهب إلى اليهود ليدلهم عليه، فلما دخل اليهود لأخذه ألقى الله تعالى شبهه عليه فقُتل وصُلب.

وهذه وجوه متعارضة متدافعة والله أعلم بحقائق الأمور.(1)

ويمكنني القول بأن تفسير فخر الدين الرازي هو أكثر التفاسير التي يتناولها هذا البحث دقة وأعظمها شرحاً وأمتعها تحليلاً لما اعتقده مسيحيو الشرق حول موت المسيح وقيامته. إن كلا من تحليلاته للمعتقدات المسيحية وتعليقاته على تلك المعتقدات لجديرة بأن نقتبسها بأكملها.

ويمضي الرازي في تفسير الآية (157) من سورة النساء إلى أن يصل إلى الكلمات: (وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ...) فيقول:

---

(1) انظر تفسير الفخر الرازي.

النصارى متفقون بأسرهم على أن اليهود قتلوه، إلا أن كبار فرق النصارى ثلاثة: النسطورية، والملكانية[1] واليعقوبية[2]:

أ – أما النسطورية: فقد زعموا أن المسيح صلب من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته، وأكثر الحكماء يرون ما يقرب من هذا القول، قالوا لأنه يثبت أن الإنسان ليس عبارة عن هذا الهيكل بل هو إما جسم شريف منساب في هذا البدن، وإما جوهر روحاني مجرد في ذاته وهو مدبر في هذا البدن، فالقتل إنما ورد على هذا الهيكل، وأما النفس التي هي في الحقيقة عيسى (عليه السلام) فالقتل ما ورد عليه.

لا يقال: فكل إنسان كذلك فما الوجه لهذا التخصيص؟

لأنا نقول: إن نفسه كانت قدسية علوية سماوية شديدة الإشراق بالأنوار الإلهية عظيمة القرب من أرواح الملائكة، والنفس متى كانت كذلك لم يعظم تألمها بسبب القتل وتخريب البدن، ثم أنها بعد الانفصال عن ظلمة البدن تتخلص إلى فسحة السموات وأنوار عالم الجلال فيعظم بهجتها وسعادتها هناك.

ومعلوم أن هذه الأحوال غير حاصلة لكل الناس بل هي غير حاصلة من مبدأ خلقه آدم (عليه السلام)إلى قيام القيامة إلا لأشخاص قليلين، هذه هي الفائدة في تخصيص عيسى عليه السلام بهذه الحالة.

ب – وأما الملكانية فقالوا: القتل والصلب وصلا إلى اللاهوت بالإحساس والشعور لا المباشرة.

جـ – وقالت اليعقوبية: القتل والصلب وقعا بالمسيح الذي هو جوهر متولد من جوهرين.

فهذا هو شرح مذاهب النصارى في هذا الباب، وهو المراد من قوله تعالى: (وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه).

---

(1) هم الذين يتبعون مذهب الكنيسة البيزنطية.

(2) استخدم الكتاب لفظ (اليعقوبية) كمصطلح شامل لكافة الكنائس التي تسمى (بالوحدي طبيعية) وليس فقط للكنيسة السورية
التي كانت تتبع تعاليم يعقوب بن ادّاي.

وقد ذهب محمود أيوب في مقال له نشر عام 1980 م إلى أن تعليقات الرازي حول مسألة وفاة المسيح لهي مثال رائع لما أسماه «بجوهر الاتساق القرآني والغوص وراء المعاني لما وراء حقائق التاريخ المجردة»[1]، ثم يمضي أيوب قائلاً:

«إن عبارات الرازي لترتقي إلى درجة الإحاطة بأسرار التحدي القرآني حول حياة السيد المسيح، كما تمثل هذه العبارات نقطة بدءٍ جيدة للتفاهم بين المسلمين والمسيحيين».[2]

وقد ذهب الرازي إلى أنه كانت للمسيح طبيعة مزدوجة؛ يعني أنه كان روحانياً وبدنياً في نفس الوقت، ولا أظن أن ما ذهب إليه الرازي هو مجرد بدعة إغريقية قديمة دونما أصل في التراث الإسلامي الوثيق، إذ يمكننا أن نتلمس جذور هذه الفكرة في أعمال بن إسحاق كاتب أول سيرة نبوية – والذي أشار إليه الرازي سلفاً.

يقول ابن إسحاق: [بعد أن أمر المسيح تلاميذه أن يحملوا كلمة الله إلى العالم]، ورفع الله المسيح، وكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه شهوة المطعم والمشرب، فطار مع الملائكة وظل معهم يطوف حول العرش، إذ كان إنسياً ملائكياً، أرضياً سماوياً].[3]

3- القرطبي

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (المتوفي سنة 671 هـ / 1272م) صاحب أحد التفاسير جليلة القدر والذي انتهج فيه منهج التفسير بالمأثور [4]. ولقد أثبت القرطبي كثيراً من الروايات التي ذكرها الطبري، وإن كان قد أثبت روايات أخرى لم تكن للطبري دراية بها.

وعلى العكس من الطبري فإن القرطبي كان يورد القليل من الأسانيد الكاملة مركزاً جُلّ اهتمامه على متون الأحاديث.

---

(1) انظر هامش رقم 14

(2) المرجع السابق

(3) جوردان دارنيل نيوباي The Making of the Last Prophet إعادة صياغة سيرة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)
(Colombia: University of South Carolina Press) (1989م) ص 210

(4) وقد رفض القرطبي صراحة فكرة التفسير بالرأي – روجي أرنالدز Roger Arnaldez: أبو عبد الله القرطبي في دائرة المعارف
الإسلامية The Encyclopaedia of Islam الطبعة الثانية Leiden (1960 م) ص 513

وعلى الرغم من أن القرطبي كان لا يميل إلى التفسير بالرأي [1]، إلا أننا سنلحظ فيما يأتي أنه كان لا يتوانى في اللجوء إلى الرأي* عند المفاضلة بين وجوه التفسير المختلفة، بدلاً من الاعتماد على صحة الإسناد.

و لقد أثبت القرطبي في تفسيره وجوهاً عدّة للنظريات المختلفة حول موت المسيح، ومنها:

1. التقديم والتأخير (أي تقديم الرفع على الموت)،
2. القبض والرفع من الأرض إلى السماء،
3. الموت بمفهومه الحقيقي والقيامة بعد الموت،
4. النوم،
5. نظرية البديل أو الشبيه.

وإن كان القرطبي لم يستحسن تلك النظرية القائلة بموت المسيح موتاً حقيقياً وقيامته لما تنطوي عليه من تعارض للأحاديث المتواترة بنزول المسيح (عليه السلام) في آخر الزمان وقتله للدّجال، ومع ذلك فقد ارتأى القرطبيّ أن يثبتها كأحد النظريات التي تحظى بتأييد بعض علماء الإسلام على أساس وجود بعض الأحاديث التي تعضدها.

وقد أثبت القرطبي الوجوه الآتية حول وفاة المسيح ورفعه في الآية (55) من سورة آل عمران، يقول القرطبي:

1. قال جماعة من أهل المعاني منهم الضحّاك والفرّاء في قوله تعالى: (إني متوفيك ورافعك إليّ) على التقديم والتأخير، لأن الواو لا توجب الرتبة. والمعنى إني رافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد أن تنزل من السماء.
2. وقال الحسن وابن جريج: معنى (متوفيك): قابضك ورافعك إلى السماء من غير موت، مثل توفيت مالي من فلان أي قبضته.
3. وقال وهب بن منبه: توفى الله عيسى (عليه السلام) ثلاث ساعات من نهار ثم رفعه

(1) المرجع السابق

* الرأي عند الأصوليين هو استنباط الأحكام الشرعية باستخدام قواعد مقررة – المعجم الوجيز – المترجم

إلى السماء. وهذا فيه بُعد؛ فإنه صح في الإخبار عن النبي محمد – نزوله وقتله الدجال على ما بيناه في كتاب التذكرة، وفي هذا الكتاب حسب ما تقدم، وما يأتي.

4. وقال ابن يزيد: (متوفيك): قابضك، ومتوفيك ورافعك واحد، ولم يمت بعد.

5. وروى ابن طلحة عن ابن عباس: معنى متوفيك: مميتك.

6. الربيع بن أنس: وهي وفاة نوم؛ قال الله تعالى: (و هو الذي يتوفاكم بالليل ...) [الأنعام 60] أي: ينيمكم، لأن النوم أخو الموت؛ كما قال النبي محمد – لما سئل: أفي الجنة نوم؟ قال: لا، النوم أخو الموت، والجنة لا موت فيها «. أخرجه الدار قطنىّ.

7. والصحيح أن الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم إلى السماء كما قال الحسن وابن زيد، وهو اختيار الطبري، وهو الصحيح عن ابن عباس، وقاله الضحّاك. قال الضحّاك: كانت القصة لما أرادوا قتل عيسى اجتمع الحواريون في غرفة وهم اثنا عشر رجلاً فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة، فأخبر إبليس اليهود فركب منهم أربعة آلاف رجل فأخذوا باب الغرفة، فقال المسيح للحواريين: أيكم يخرج ويُقتل ويكون معي في الجنة؟ فقال رجل: أنا يا نبي الله، فألقى إليه مدرعة من صوف وعمامة من صوف وناوله عكازه وألقى عليه شبه عيسى، فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه «وأما المسيح فكساه الله الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فطار مع الملائكة».[1]

8. وأخيراً أورد القرطبي قصة مشابهة لتلك المثبتة في 7 متضمنة إلقاء شبه المسيح على غيره، وإن كانت تختلف عن سابقتها في بعض الأمور.[2]

وعلى هذا فقد أثبت القرطبي خمسة وجوه للتفاسير السائرة في العالم الإسلامي؛ وهي:

(1) لعلكم تلاحظون أننا قد أوردنا هذه العبارة الأخيرة [الموضوعة بين علامتيّ التنصيص] رواية عن ابن إسحاق، لكن القرطبي قد حذف تكملة هذه العبارة والتي تقول بأن المسيح " كان إنسياً ملائكياً أرضياً سماوياً ".

(2) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: محمد إبراهيم الحفناوي – القاهرة: دار الحديث – 1994 م.

1. التقديم والتأخير (كما في 1)،

2. الوفاة بمعنى القبض (كما في 2، 4)،

3. الموت الحقيقي والقيامة بعد الموت (كما في 3، 5)،

4. الموت بمعنى النوم (كما في 6)،

5. وجود البديل (كما في 7، 8).

لعلنا لاحظنا أن القرطبي قد أورد سلسلة الإسناد في الوجه الثامن كاملة، دون الاقتصار على ذكر من ينسب إليه ذلك الرأي، وإذا ما أخذنا هذا في الاعتبار علاوة على أن القرطبي قد أفرد مساحة كبيرة للوجهين السابع والثامن إذا ما قورنا بغيرهما، تبين لنا أن القرطبي كان يميل إلى نظرية البديل.

وقد ألمح القرطبي بإيجاز إلى هذه النظرية عند تفسيره للآية (157) من سورة النساء نظراً لأنه قد ذكرها بشيء من التفصيل عند تفسيره لسورة آل عمران آية (55) وقد أثبتناها سلفاً.

وعلى الرغم من استحسان القرطبي لنظرية البديل إلا أنه أقر بأن الوجوه الأخرى تحظى أيضاً بقبول علماء الإسلام.

وقد ذكر القرطبي نظرية موت المسيح موتاً حقيقياً وقيامته عند تفسيره للآية (117) من سورة المائدة (ونلاحظ أنه قد استخدم كلمة: «وفاة» وهي غير واضحة الدلالة على الموت وإن كان السياق يدل دلالة قاطعة على أنه كان يعني كلمة: «موت»).

وقد ارتأى القرطبي أيضاً أن يثبت هذه النظرية عند تفسيره لسورة المائدة تماماً كما فعل مع سورة آل عمران نظراً لتأصل هذه النظرية، حتى وإن كان يرى أنها تتناقض مع الاعتقاد بنزول المسيح في آخر الزمان وقتله الدجّال.

يقول القرطبيّ:

«أما قوله تعالى: (فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم) قيل: هذا يدل على أن الله عز وجل توفاه قبل أن يرفعه؛ وليس بشيء؛ لأن الأخبار تظاهرت برفعه، وأنه في السماء حي، وانه ينزل ويقتل الدجال – على ما يأتي بيانه – وإنما المعنى: فلما رفعتني إلى السماء».

قال الحسن:

الوفاة في كتاب الله على ثلاثة أوجه:

1. وفاة الموت: وذلك قوله تعالى: (الله يتوفى الأنفس حين موتها) [سورة الزمر، آية 42]، يعني يتوفاها عند انقضاء الأجل.
2. وفاة النوم: قال الله تعالى: (و هو الذي يتوفاكم بالليل) [سورة الانعام، آية 60]، يعني ينيمكم.
3. وفاة الرفع: قال الله تعالى: (يا عيسى إني متوفيك) [سورة آل عمران، آية 55]، أي: «رافعك» [1]

***

4- البيضاوي

نظراً لأننا نركز في بحثنا هذا على أشهر تفاسير أهل السنة فقد استبعدنا تفسير الزمخشريّ على الرغم مما انطوى عليه هذا التفسير من روعة البيان، وإحاطة بمكنون لغة القرآن.

ولقد انبرى علماء الأشعرية للتحذير من ذلك النهج الذي اتبعه الزمخشري في تأويل القرآن بما يمكنه من الانتصار «لمبادئ المعتزلة الفاسدة»[2]، بالرغم من أن الأشاعرة قد أبدوا إعجاباً كبيراً بحذق الزمخشري في علوم اللغة وأساليبها.

ومع كل هذا يمكننا أن نتلمس آراء الزمخشري وأفكاره (ولكن بعد تطهيرها من شوائب الإعتزال) في طيات تفسير ناصر الدين أبي سعيد عبد الله البيضاوي (المتوفى سنة 685 هـ / 1286 م أو سنة 691 هـ / 1291 م) والذي يعتبر إلى أبعد الحدود نسخة موجزة ومنقحة من تفسير الزمخشريّ المسمى بالكشّاف [3] وإن كان تفسير البيضاوي يحظى بشهرة أكبر، وإقبال المسلمين على قراءته أكثر، وذلك لرفضه لمبادئ

---

(1) المرجع السابق

(2) هذه العبارة مقتبسة من مقدمة ابن خلدون، والتي أوردها ماكوليفي في ص 52 كمثال من بين أمثلة كثيرة لتحذير علماء
أهل السنة من قراءة تفسير الزمخشري.

(3) ج – روبنسون: البيضاوي في موسوعة الإسلام The Encyclopaedia of Islam الطبعة الثانية Leiden (1960 م).

الزمخشري التي تصطبغ بالاعتزال، ولصغر حجم هذا التفسير وسهولة حمله.

لكنه من الخطأ أن نحكم على تفسير البيضاوي بأنه ليس إلا مجرد صورة من الكشّاف ولكن بصياغة جديدة.

ولقد كان البيضاوي محيطاً بمعظم التفاسير الكبرى التي سبقته، ولا غرو فتفسير البيضاوي من أعظم التفاسير ذكراً، وأجلها قدراً في العالم الإسلامي اليوم.

علنا نلحظ أن البيضاوي كثيراً ما يكتفي بسرد وجوه التفسير المختلفة للنص الواحد، دون أن يذكر مصدر هذه الوجوه أو ما يرجحه منها، ولعله كان يحرص على أن يكون أسلوب كتابه وجيزاً وحجمه رشيقاً.

وهذا هو ما انتهجه البيضاوي عند تفسيره للآية(55) من سورة آل عمران، فنراه يقول:

(إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ...) [1]:

1. أي مستوفى أجلك ومؤخرك إلى أجلك المسمى؛ عاصماً إياك من قتلهم،

2. أو قابضك من الأرض – من توفيت مالي أي قبضته،

3. أو متوفيك نائماً، إذ روى أنه رُفع نائماً،

4. أو مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج إلى عالم الملكوت،

5. وقيل أماته الله سبع ساعات ثم رفعه إلى السماء وإليه ذهب النصارى.[2]

فنرى أنه قد أثبت العديد من النظريات لتفاسير صحيحة أشرنا إليها سلفاً وهي:

1. استيفاء الأجل،

2. الوفاة بمعنى القبض،

3. النوم،

4. موت الشهوات،

5. موت وقيامة حقيقية.

---

(1) قام الباحث جوزيف كامينج بترقيم الوجوه وتقسيمها إلى فقرات صغيرة– المترجم.

(2) ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي – تفسير البيضاوي المسمى: أنوار التنزيل وأسرار
التأويل – بيروت، دار الكتب العلمية – 1988 م.

ويعلق البيضاوي على الآية (117) من سورة المائدة قائلاً:

(فلما توفيتني..) بالرفع إلى السماء، لقوله: (إني متوفيك ورافعك) والتوفي: أخذ الشيء وافياً، والموت نوع منه؛ قال الله تعالى: (الله يتوفى النفس حين موتها والتي لم تمت في منامها). [1]

ثم يقول البيضاوي في تفسير الآية (157) من سورة النساء:

وقال قوم: صلب الناسوت وصعد اللاهوت [2] (ويفهم من سياق الكلام أن هؤلاء القوم كانوا من اليهود أو النصارى).

كذلك كان البيضاوي على دراية بنظرية البديل المسيح على غيره وبالأحاديث التي تؤيد هذه النظرية، وقد أورد البيضاوي روايتين مختلفتين لهذه المسألة عند تفسيره للآية (157) من سورة النساء؛ فيقول:

1. رُوي أن رهطاً من اليهود سبُّوا المسيح وأمه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير، فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله بأنه يرفعه إليه فقال لأصحابه أيكم يرضى أن يلقي عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة؟ فقام رجل منهم، فألقى الله عليه شبه المسيح فقتل وصلب.
2. و قيل دخل طيطانوس اليهودي بيتاً كان هو فيه فلم يجده، وألقى الله عليه شبهه، فلما خرج ظُنّ أنه عيسى فأُخذ وصُلب. وأمثال ذلك من الخوارق لا تستبعد في زمن النبوة «.[3]

ومع هذا فقد أثبت البيضاوي إشكالين كبيرين حول نظرية البديل:

أحدهما عقائدي ويتعلق بإسناد صفة «المكر» إلى الله تعالى، والآخر لغوي ويتعلق باختلاف المفسرين والنحاة حول مسند الفعل (شُبِّهَ).

يقول البيضاوي معلقاً على الآية(54) من سورة آل عمران:

(و مكروا ومكر الله ...) حين رفع عيسى (عليه السلام) وألقى شبهه على من قصد

---

(1) تفسير البيضاوي – والآية المقتبسة هنا: (الله يتوفى النفس حين موتها ...) هي الآية رقم (42) من سورة الزمر.

(2) المرجع السابق

(3) المرجع السابق

اغتياله حتى قُتل، والمكر من حيث أنه في الأصل حيلة يجلب بها مضرة الغير لا يسند إلى الله تعالى إلا على سبيل المقابلة والازدواج.[1]

لذا يرى البيضاوي أنه لكي تكون هذه النظرية مقبولة لديه، فإن ذلك يستلزم الافتراض بأن الشخص الذي صلب بالفعل هو نفسه الذي كان يقصد اغتيال المسيح.[2]

وأرى بداهةً أن ما ذهب إليه البيضاوي لا يستلزم اعتراضه على هذه النظرية لمثل هذه الإشكالات الواهية، وإن كان هذا الاعتراض ينم عن عدم اعتداده بالغالبية العظمى من الروايات التي تعضد هذه النظرية (بما في ذلك الروايات ذات الأسانيد الكاملة) والتي تفيد بأن إنساناً بريئاً (سواء أكان أحد تلاميذ السيد المسيح، أو سرجيوس، أو سمعان القيرواني، أو أي عابر سبيل مجهول الاسم ... إلخ) قد صلب ظلماً بسبب مكر الله (بإلقائه شبه المسيح عليه).

أما الروايات التي تفيد بأن رجلاً خائناً (مثل يهوذا الإسخريوطي) قد صلب فقلما نجد ما يؤيدها في الأحاديث النبوية.

ويتفق محمود أيوب [الذي تعبر كتاباته عما يدور في الأمة الإسلامية][3] مع ذلك النقد العقائدي الموجه إلى نظرية البديل، فيقول:

«إنني لا أقول بصحة نظرية البديل بغض النظر عن الشكل الذي تتخذه أو الغرض الذي تهدف إليه؛ فهي قبل كل شيء تمثل استخفافاً بعدل الله وميثاقه القديم الذي اتخذه مع خلقه؛ وهو أن يقيم الله التاريخ البشري على الطريق الموصل إلى غايته القصوى[4].

فهل يمكن أن يتفق ميثاق الله وعدله ورحمته مع خداع هذه البشرية طيلة هذه القرون الماضية؟ [5]

إن هذا لمن شأنه أن يظهر أن الدين المسيحي قد بنى من الناحية التاريخية على

(1) المرجع السابق

(2) المرجع السابق

(3) محمود أيوب، 1980م، ص 91

(4) وقد علق محمود أيوب على هذا في الهامش – انظر (2: 172 – 2: 38)

(5) محمود أيوب، 1980م، ص 104.

الخداع والتضليل الإلهي الذي كشف عنه القرآن الكريم عند نزوله بعد عدة قرون».[1]

أما بالنسبة للإشكال الثاني (وهو الإشكال اللغوي)، فيقول البيضاوي في تأويل الآية (157) من سورة النساء بعد أن أورد روايتين مختلفتين لقصة إلقاء الشبه على بديل:

«(و ما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبَّه لهم..): الفعل (شُبَّه) مسند إلى الجار والمجرور كأنه قيل: ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول، أو في الأمر على قول من قال لم يقتل أحد ولكن أرجف بقتله فشاع بين الناس».[2]

ولعلنا نلحظ أن البيضاوي يردد هنا نفس الجدال اللغوي الذي أثاره الزمخشري[3]، والذي يتفق أساساً مع الاعتراض اللغويّ الذي أشار إليه فخر الدين الرازي.

ويمضي الزمخشري في عرض حجته قائلاً:

«الفعل شبه مسند إلى ماذا؟ إن جعلته مسنداً إلى المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه[4]، وإن أسندته إلى المقتول فالمقتول لم يجرِ له ذكر، قلت هو مسند الجار والمجرور وهو (لهم) كقولك: خُيَّل إليه، كأنه قيل: ولكن وقع لهم التشبيه، ويجوز أن يسند إلى ضمير المقتول، لأن قوله تعالى: (إنا قتلنا ...) يدل عليه، كأنه قيل: ولكن شبه لهم مَن قتلوه».(*)

وعلى هذا فإن ملاحظات البيضاوي اللغوية التي ذكرناها سلفاً ما هي إلا خلاصة قول الزمخشري.

---

(1) المرجع السابق.

(2) تفسير البيضاوي

(3) محمود أيوب، 1980، ص 101 ولقد اعتمدت هنا على ما أورده محمود أيوب وذلك لأنه يلخص الجدال اللغوي الذي
أثاره الزمخشري.

(4) ومع هذا فتجدر بنا الإشارة إلى أن هذا يتماشى مع النظرية القائلة بأن المسيح قد فقد وعيه على الصليب حتى ُظن أنه قد
مات، وكذلك فإن هذا يتفق مع النظرية القائلة بأن المسيح مات فعلاً على الصليب حتى ظُنّ أنه مات بسبب الصلب،
ولكن في واقع الأمر فإن الله هو الذي توفاه وفاة طبيعية. ويمكننا في هذا الصدد أن نشير إلى الآية (17) من سورة
الأنفال: (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى ...)

(*) هذا هو نص كلام الزمخشري في تفسيره المسمى بالكشاف – المترجم

إننا عندما نستعرض الإشكال اللغوي والآخر العقائدي الذين أوردهما البيضاوي حول نظرية البديل، فإننا نتساءل من فرط الدهشة عما كان يرمي إليه البيضاوي عندما علق على القصص والروايات المختلفة لمسألة إلقاء الشبه قائلاً:

«وأمثال ذلك من الخوارق لا تستبعد في زمن النبوة».

إننا بالطبع لا نستبعد حدوث مثل هذه الخوارق، فالله قادر على كل شيء.

هناك قصص توحي بأن الله قد مسخ اليهود قردة وخنازير [لسَّبهم المسيح وأمه]، وأنه ألقى شبه المسيح على سبعة عشر تلميذاً حتى أصبحوا «صورة طبق الأصل منه »، بينما طار المسيح عبر مشكاة كانت في السقف، ولكن ربما يتساءل البيضاوي عما إذا كان من المقبول أن يفعل الله تعالى أشياء كهذه، نظراً لما يقصه القرآن في غير موضع عن ذات الله وصفاته.

ولم يتردد من قام بتحقيق تفسير الطبري في أن يقرّ بأن بعض هذه الروايات والقصص ما هي إلا أساطير.[1]

5- سيد قطب

ربما كان تفسير سيد قطب [المسمى بالظلال*] هو أشهر تفاسير أهل السنة التي وضعت في القرن العشرين. ولقد كان لهذا التفسير بالغ الأثر (في حياة المسلمين) بالرغم من أن المؤلف لم يتلقَ تعليماً أزهرياً في علوم التوحيد والعقيدة.

كان سيد قطب أحد قادة الإخوان المسلمين البارزين حتى إعدامه على يد الحكومة المصرية عام 1966 م، وقد أبدى اهتماماً واضحاً بتفنيد أخطاء المسيحية أكثر من اهتمامه بالبحث عن الأسس العقائدية المشتركة بين المسيحية والإسلام[2]، وقد عارض بشدة بالغة قول المسيحيين بألوهية المسيح.

---

(1) صلاح عبد الفتاح الخالدي – ترجمة أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آى القرآن
(دمشق: دار القلم 1997 م) المجلد الأول ص 12.

(2) * هذا هو الاسم الذي يشتهر به، واسم هذا التفسير كاملاً: في ظلال القرآن – المترجم
وقد قمت بمشاهدة بعض شرائط فيديو لعدد من محاضراته التي كان يخصصها لتفنيد " انحرافات " اليهود والنصارى
والتي عدّها سيد قطب تهديداً لوحدة وتكامل الإسلام.

وعلى أية حال فإن سيد قطب لم يخض في مسألة صلب المسيح [عند تفسيره للقرآن]، وهذا لا يعني بالضرورة أنه كان سيولي أية أهمية فادية لمسألة وفاة المسيح وقيامته وإن ثبت حدوثهما فعلاً، وإن كان يصر بشدة على أن الباب مفتوح للشك في هذه المسألة، إذ أننا لا نعرف متى أو كيف مات المسيح أو قام من الموت على وجه التحديد.

ونرى أن ما ذهب إليه سيد قطب ما هو إلا تكرار لما أورده رشيد رضا في تفسيره العصري المسمى بالمنار، والذي ضمّنه جدلاً مطولاً فنّد من خلاله العقيدة المسيحية القائل بأن موت المسيح وقيامته كانا من أجل التكفير عن خطايا وآثام العالم عن طريق الجمع بين كل من العدالة والرحمة الإلهية. وقد أبدى رشيد رضا صراحة أن خلافه مع المسيحيين لا يدور حول مسألة الصلب من الناحية التاريخية، ولكن بسبب الأهمية العقائدية – المبالغ فيها – التي يوليها المسيحيون لهذه المسألة.

يقول محمد رشيد رضا:

«إن مسألة الصلب ليست في ذاتها بالأمر الذي يهتم بإثباته أو نفيه في كتاب الله عز وجل بأكثر من إثبات قتل اليهود للنبيين بغير حق وتقريعهم على ذلك، لولا أن النصارى جعلوها أساس العقائد وأصل الدين.». [1]

ولم يشأ سيد قطب أن يدلي بدلوه في الإجابة عن الأسئلة التاريخية المتعلقة بوقت أو كيفية موت المسيح ورفعه، فيقول في تفسيره للآية (55) من سورة آل عمران:

«فأما كيف كانت وفاته، وكيف كان رفعه ... فهي أمور غيبية تدخل في المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله، ولا طائل من وراء البحث فيها لا في عقيدة ولا في شريعة، والذين يجرون وراءها ويجعلونها مادة للجدل ينتهي بهم الحال إلى المراء، وإلى التخليط، وإلى التعقيد دونما جزم بحقيقة، ودونما راحة بال في أمر موكول إلى علم الله»[2].

---

(1) السيد محمد رشيد رضا: تفسير المنار (القاهرة: دار المنار 1367 هـ) الطبعة الثانية، المجلد السادس ص 18، وقد
أورده محمود أيوب في كتابه ص 114 (1980م).

(2) إبراهيم حسن شاذلي سيد قطب: في ظلال القرآن –* طبعة جديدة مشروحة تتضمن إفادات وتنقيحات تركها المؤلف، و تنشر للمرة الأولى (بيروت: دار المشرق 1973م)

أما بالنسبة للآية (157) من سورة النساء فيقول في تفسيرها:

«إن قضية قتل عيسى (عليه السلام) وصلبه قضية يخبط فيها اليهود بالظنون كما يخبط فيها النصارى، فاليهود يقولون: إنهم قتلوه ... والنصارى يقولون: إنه دفن، وصلب ولكن قام بعد ثلاثة أيام، و«التاريخ»[1] يسكت عند مولد المسيح ونهايته كأن لم تكن له في حساب!»[2]

ويجزم سيد قطب بأنه ليس بالإمكان أن نتأكد من صحة هذه الأمور.

ويتسنى لي أن أشير هنا إلى أن اليهود يؤكدون الآن على أنهم لم يقوموا بصلب المسيح، وليس هذا بسبب إنكارهم لحدوث الصلب، وإنما لأنهم يحتجون – والمسيحيون يوافقونهم الرأي – بأن الرومان (و ليس اليهود) هم الذين قاموا بصلب المسيح عليه السلام[3].

ويعلق سيد قطب على الروايات التي وردت في العهد الجديد مستخدماً بعض المصطلحات المثيرة مثل: يروى، رواية، خبر، يرجح ... إلخ وهي نفس المصطلحات التي يستخدمها المفسرون (أنظر تفسير الطبري على سبيل المثال) عندما يشيرون إلى الأحاديث النبوية وإلى ما ورد عن الصحابة وتابعيهم في الأثر.

ويبدو من هذا أن سيد قطب كان يتعامل مع العهد الجديد وكأنه يقع في مصاف الأحاديث، وعلى ذلك يجب إثبات صحته عن طريق اتصال سلسلة الرواة بدءاً من جيل الحواريين.

---

(1) علامات التنصيص من وضع سيد قطب.

(2) سيد قطب – المرجع السابق

(3) على الرغم من وضوح العهد الجديد في الدلالة على أن الرومان هم الذين قاموا بصلب المسيح، إلا أنه يُعتقد أن كلاً من الدين والدولة كانا شريكين في هذه الجريمة، متمثلاً ذلك في شخص رئيسيّ الكهنة أنّاس وقيافا وكذلك الحاكم الروماني بيلاطس. وعلى أية حال فإن الغالبية العظمى من مسيحيّ اليوم لا يلقون بتبعة هذه الجريمة على اليهود أو على الإيطاليين بوصفهم جماعات عرقية، ولكن إذا كان هناك ثمة تبعة فيجب إلقاؤها على الأنظمة الدينية و السياسية للبشر بوجه عام؛ ودائماً ما يتمثل المسيحيون قول السيد المسيح: " لا أحد ينتزع حياتي مني، بل أنا أبذلها باختياري؛ فلي السلطة أن أبذلها، و لي السلطة أن أستردها. هذه هي الوصية تلقيتها من أبي ". يوحنا (10: 18). وطبقاً لما حكاه العهد الجديد فإن المسيح قد بذل حياته على الصليب باختياره لكي يكفر عن آثام العالم وخطاياه.

ويشكك سيد قطب في أسانيد تلك الروايات التي وردت في العهد الجديد قائلاً: «هذه الأناجيل الأربعة أختيرت قرب نهاية القرن الثاني للميلاد، واعتبرت رسمية، واعتُرف بها لأسباب ليست كلها فوق مستوى الشبهات»[1].

ومع ذلك فهو لا ينعت هذه الرواية بأنها مكذوبة.

كما أشار سيد قطب إلى قصةٍ في ذلك الكتاب المسمى ب (إنجيل برنابا) [2] وهي مغايرة لما ورد في روايات العهد الجديد، ومع هذا فهو لا يحاول القول بأن ما ورد في برنابا يُعدّ مصدراً موثوقاً في صحته.

وقد أشار سيد قطب إلى النقطة الرئيسية التي كان يسعى لتوضيحها عند ختامه للحديث عن هذا الموضوع قائلاً: «وهكذا لا يستطيع الباحث أن يجد خبراً يقيناً عن تلك الواقعة، ولا يجد المختلفون فيها سنداً يرجح رواية على رواية»[3].

ثم مضى سيد قطب في تفسير الآية (158) من سورة النساء كما يلي:

(بل رفعه الله إليه ...) ولا يدلي القرآن بتفصيل في هذا الرفع أكان بالجسد والروح في حالة الحياة أم كان بالروح بعد الوفاة؟ ومتى كانت هذه الوفاة؟ وأين كانت؟ وهم ما قتلوه وما صلبوه وإنما وقع القتل والصلب على من شبّه لهم سواه.

ولا يدلي القرآن بتفصيل آخر وراء تلك الحقيقة إلا ما أورده في السور الأخرى مثل قوله تعالى: (يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ...) وهذه كتلك لا تعطي تفصيلاً عن الوفاة ولا عن طبيعة هذا التوفي وموعده ...ونحن على طريقنا «في ظلال القرآن »[4] لا نريد أن نخرج عن تلك الظلال، ولا نضرب في أقاويل وأساطير ليس لدينا من دليل عليها، وليس لنا إليها من سبيل[5]».

(1) المرجع السابق.
(2) وقد علق محمود أيوب في مقال له نشر عام 1980م قائلاً: وأغلب الاعتقاد أن هذا الإنجيل قد خطه أحد المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام في القرن الرابع عشر الميلادي باللغة اللاتينية، وضمنه مقتطفات من كتاب دانتيه Dante (الكوميديا الإلهية) «Divine Comedy» وعلى أي حال فإن نقد الدليل على هذا القول يقع خارج نطاق هذا البحث.
(3) سيد قطب – في ظلال القرآن.
(4) هذا هو عنوان تفسير سيد قطب.
(5) المرجع السابق.

كذلك لم يشأ قطب الخوض [في مسألة الصلب] عند تفسيره للآية (117) من سورة المائدة وإن كان قد أبدى صراحة ميله للاعتقاد بأن عيسى قد مات بالفعل ثم قام من الأموات؛ يقول سيد قطب:

«وظاهر النصوص القرآنية يفيد بأن الله سبحانه وتعالى قد توفى عيسى بن مريم، ثم رفعه إليه، وبعض الآثار تفيد أنه حيّ عند الله، وليس هناك في ما أرى أي تعارض يثير أي استشكال بين أن يكون الله قد توفاه من حياة الأرض، وأن يكون حياً عنده، فالشهداء كذلك يموتون في الأرض وهم أحياء عند الله، أما صورة حياتهم فنحن لا ندري لها كيفاً، وكذلك صورة حياة عيسى عليه السلام».[1]

وكأن سيد قطب يلمح إلى ما ورد في سورة البقرة عن الشهداء:

(وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ) (آية 154)، وكذلك سورة آل عمران: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) (آية 169).

ثم يقول سيد قطب في تأويله للآية (33) من سورة مريم:

«والنص صريح هنا في موت عيسى وبعثته، وهو لا يحتمل تأويلاً في هذه الحقيقة ولا جدالاً».

الخاتمة

هل مات السيد المسيح على الصليب ثم قام من الأموات؟

إن العرض والتحليل السابقين ليظهرا بوضوح ما وصلت إليه الإجابة على هذا السؤال من التنوع والثراء، وأن تلك الإجابات لتحظى من الناحية التاريخية بتأييد علماء الأمة الإسلامية.

ولم تكن هناك على مر القرون إجابة إسلامية تعتبر أنها وحدها الإجابة «الصحيحة» على مسألة صلب المسيح. وكما لاحظنا من تلك التأملات الشاملة والمتأنية التي قام بها المفسرون، فإن هذا السؤال يبلغ درجة كبيرة من الصعوبة بحيث لا يمكن الإجابة عليه فقط «بنعم أو بلا».

(1) المرجع السابق – قام سيد قطب بكتابة هذه الكلمات عن الشهداء أثناء مدة سجنه والتي انتهت بإعدامه عام 1966م.

ونظراً لوفرة الإجابات التي قدمها المسلمون على هذا السؤال على مر العصور، فإني على يقين من أن هناك الآن فرصة للعثور على أساس مشترك مع المسيحيين (حول هذا الموضوع) أكبر مما يظن المسلمون والمسيحيون اليوم.

وإليك قائمة (بوجوه) التفسير التي استقيناها مما كتبه أكبر المفسرين:

1. نظرية البديل،
2. وفاة النوم (بما في ذلك فقدان الوعي على الصليب)،
3. الوفاة بمعنى القبض (مع اختلاف التفاسير حول ما قبضه الله ومتى تم القبض)،
4. التقديم والتأخير (أي ترتيب حدوث الموت ثم الرفع)،
5. إنهاء أجل المسيح المسمّى،
6. رفع المسيح بالروح والجسد،
7. عدم التيقن من كيفية ووقت حدوث موت المسيح ورفعه،
8. التأويل الصوفي بموت الشهوات النفسية والجسدية،
9. موت المسيح موتاً حقيقياً كالشهداء، وهو الآن حي عند ربه،
10. موت المسيح موتاً حقيقياً وقيامته.

وبالطبع فإن كلاً من هذه الوجوه ليس مستقلاً بذاته، فنجد على سبيل المثال أن الوجه الأول ربما يشتمل على الوجه الثالث والخامس والسادس، إذ أنها جميعاً تورد نفس الفكرة ولكن بطرق شتى.

ولكن ما ثمرة هذا بالنسبة للحوار بين المسلمين والمسيحيين؟

بالنسبة للوجه العاشر فسنبادر بالقول بأن له أساساً مشتركاً مع ما يؤمن به المسيحيون، وكذلك فإن كلاً من الوجه الثالث والخامس والسادس والتاسع يمكن فهمه بطريقة توحي بوجود أساس مشترك، وهذا بمثابة نقطة بدءٍ للحوار بين المسلمين والمسيحيين حول ذلك السؤال.

ومما يثير اهتمامنا الخاص هو مناقشة الرازي المترددة للفكرة القائلة بأنه كانت للمسيح طبيعة بشرية (بدنية) وهي التي ماتت على الصليب، وأخرى روحية (سماوية) وهي التي ذاقت ألم الموت بسبب اتحادها مع الطبيعة الأولى.

إنني أتفق تماماً مع محمود أيوب في قوله بأن جهود الرازي البناءة بمثابة نقطة بدءٍ رائعة للحوار والمناقشة بين المسلمين والمسيحيين.[1]

وعلى أية حال، فإن من الواضح أن هناك فرصة كبيرة للتنقيب عن الأسس المشتركة بين الوجوه الكثيرة والتفاسير المتعددة التي أثبتها المفسرون المسلمون على مر العصور.

إن هذا التراث التفسيري الزاخر ليدعونا جميعاً إلى أن نعكف على التنقيب عن تلك الأسس.

(1) محمود أيوب 1980 – ص (105)

ثبت المراجع

أولاً: المراجع العربية

1. تفسير الفخر الرازي – المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب – لمحمد فخر الدين ضياء الدين عمر الرازي، تحقيق: خليل محي الدين المايس، بيروت: دار الفكر 1990م.
2. تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن – لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: محمد إبراهيم الحفناوي، القاهرة: دار الحديث 1994م.
3. في ظلال القرآن: طبعة جديدة مشروحة تتضمن إضافات وتنقيحات تركها المؤلف، وتنشر للمرة الأولى- لإبراهيم حسين الشاذلي سيد قطب – (بيروت: دار المشرق 1973م).
4. تفسير البيضاوي المسمى: أنوار التنزيل وأسرار التأويل – لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي – بيروت: دار الكتب العلمية 1998م.
5. تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آيات القرآن – لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: صلاح عبد الفتاح الخالدي، دمشق: دار القلم 1997م.
6. تفسير مقاتل بن سليمان – لمقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1979م.
7. الصليب في الإنجيل والقرآن – لإسكندر جديد، بيروت: مركز الشبيبة.

ثانياً: المراجع الأجنبية

1. Anawati, G.C. «Fakhr al-DÌn al-R^{a}zÌ,» in The Encyclopaedia of Islam, 2nd edition. Leiden, E.J. Brill, 1960-.

2. Arnaldez, Roger. Jésus : Fils de Marie, prophète de l'Islam. Paris : Desclée, 1980.

3. «Al-ĶurðubÌ, Abñ ÿAbd Allªh,» in The Encyclopaedia of Islam, 2nd edition. Leiden, E.J. Brill, 1960-.

4. Ayoub, Mahmoud. «Towards an Islamic Christology: An Image of Jesus in Early ShÌÿÌ Muslim Literature,» in The Muslim World, vol. LXVI, No. 3. Hartford: The Hartford Seminary Foundation, July, 1976.

5. _______ «Towards an Islamic Christology, II: The Death of Jesus, Reality or Delusion (A Study of the Death of Jesus in TafsÌr Literature),» in The Muslim World, vol. LXX, No. 2. Hartford: The Hartford Seminary Foundation, April, 1980.

6. Charfi, Abdelmajid. «Christianity in the Qur'ªn Commentary of £abarÌ,» in Islamochristiana, vol. 6, pp. 105148-. Rome: PISAI, 1980.

7. Cragg, Kenneth. The Call of the Minaret (second edition, revised and enlarged). Ibadan: Daystar Press, 1985.

8. _______ Jesus and the Muslim: An Exploration. London: George Allen & Unwin, 1985.

9. Henninger, Josef. Spuren christlicher Glaubenswahrheiten im Koran. Schöneck, Switzerland: Administration der Neuen Zeitschrift für Missionswissenschaft, 1951.

10. Jansen, J.J.G. «Sayyid Ķuðb,» in The Encyclopaedia of Islam, 2nd edition. Leiden, E.J. Brill, 1960-.

11. McAuliffe, Jane Dammen. Qur'ªnic Christians: An Analysis of Classical and Modern Exegesis. Cambridge: Cambridge University Press, 1991.

12. Newby, Gordon Darnell (ed.). The Making of the Last Prophet : A Reconstruction of the Earliest Biography of Muhammad. Columbia, SC: University of South Carolina Press, 1989.

13. Paret, Rudi. Der Koran: Kommentar und Konkordanz. W. Kohlhammer Verlag, 1977 (4. Auflage – 1989).

14. _______ Der Koran: Übersetzung. Stuttgart: W. Kohlhammer Verlag, 1979 (7. Auflage – 1996).

15. Räisänen Heikki, «The Portrait of Jesus in the Qur'ªn: Reflections of a Biblical Scholar,» in The Muslim World, vol. LXX, No. 2. Hartford: The Hartford Seminary Foundation, April, 1980.

16. Robson, J. «Al-Bay¼ªwÌ, ÿAbd Allªh,» in The Encyclopaedia of Islam, 2nd edition. Leiden, E.J. Brill, 1960-.

17. Robinson, Neal. Christ in Islam and Christianity. Albany: State University of New York Press, 1991.

18. Wehr, Hans. A Dictionary of Modern Written Arabic. J. Milton Cowan (ed. & transl.), third edition. Ithaca: Spoken Language Services, 1976.

19. Zahniser, A.H. Mathias, «The Forms of Tawaffª in the Qur'ªn: A Contribution to Muslim-Christian Dialogue,» in The Muslim World, Vol. LXXIX, No. 1. Hartford: The Hartford Seminary Foundation, January, 1989.

كلمة الله بين صفات الذات الإلهية

أرض مشتركة بين الفكر الإسلامي والفكر المسيحي

يقرّ المسلمون أنّ القرآن كلمة الله، ولكن في بداية التاريخ الإسلامي نشب اختلاف بين الفقهاء والمتكلمين حول ما إذا كان القرآن أبديا خالدا خلود الله أم مخلوقا. وحدث انقسام بين علماء الكلام الإسلامي إلى فريقين هما المعتزلة والأشعرية، إذ أكدّت المعتزلة أن القرآن خلقه الله، بينما أقرّت الأشعرية أنه قائم منذ الأزل في ذات الله.

وتجدر الإشارة إلى حقيقة يؤكدها القرآن الكريم والكتاب المقدّس، ألا وهي أنّ السيد المسيح «كلمة الله» التي «ألقاها إلى مريم» حسب القول القرآني (النساء 4: 171). وقد رأى كثير من المفكّرين شبها كبيرا بين السيد المسيح والقرآن في هذه الحقيقة، وقد تراءى هذا التشابه أيضا في الجدل حول أزلية كلمة الله (القرآن) في الديانة الإسلامية وأزليّة كلمة الله في الديانة المسيحية (السيّد المسيح).

نعتني في الصفحات الموالية بالكشف عن التوازي بين تصوّر الأشعري لقضيّة الذات والصفات (دون إغفال ملاحظات علماء مسلمين من مختلف المشارب الفكريّة الذين لاحظوا هذا التوازي) وتصوّر العقيدة المسيحيّة، من ناحية وبالكشف عن الاختلافات بينهما في ذلك.

ويلخّص الأستاذ يوسف كامنغ من جامعة ييل فكرته حين يعلن: «إن مواقف الأشعري التي قد نراها مختلفة مع عقيدة الثالوث المسيحيّة هي في رأيي مواقف قابلة لإعادة الفهم من أجل إقامة حوار بينها وبين التصوّر المسيحي الحقيقي للثالوث. ونجد، إلى جانب هذه الاختلافات، توافقات كثيرة بين المسلمين والمسيحيّين حول القضايا الجوهريّة المطروحة في مسألة صفات الله وفي مسألة الثالوث. وتمثّل هذه التوافقات أرضا مشتركة أكثر ممّا يعتقد عادة المسلمون والمسيحيّون».[1]

---

(1) **كامنغ، يوسف، صفات الذات في قول الأشعري وإمكانية توافقه مع القول المسيحي**، بحث في جامعة ييل،2001، ص 53.

في هذا السياق لا بدّ أن ننتبه إلى أهميّة قول الأشعري ودراساته في المذهب السنّيّ، إذ تمثّل التعاليم الأشعرية أقرب التعاليم للإسلام الراشد.[1] ورغم ذلك لا يهتمّ عامّة المسلمين بأكثر العناصر أهمية في مسألة الذات والصفات. «إن من النتائج الأساسيّة الهامّة في قول الأشعري... قضيّة الصفات الإلهيّة التي تجد أصلها في أسماء الله الحسنى في القرآن، وعلاقة هذه الصفات بالجوهر الإلهي. فإذا كان الله قادرا، عالما، حيّا، فهل يعني هذا أن لله القدرة والعلم والحياة؟ وهل اكتسب الله هذه الصفات في الزمن أم أنّها أزليّة فيه؟ ثم إذا كانت قدرة الله وعلمه وحياته أزليّة، فهل يعني هذا أن الله هو قدرته وعلمه وحياته أم أنّها شيء آخر يختلف عن جوهر الإله؟».[2] فعلينا أن نسعى في هذا المقال إلى معرفة ما هو قول الأشعري في الصفات، وما هي الأسباب التي دفعته إلى ذلك القول.

في تحديد المفاهيم

في البداية، لا بدّ أن نعرّف بالمفاهيم العربيّة المرتبطة بموضوع: الذات (وتترجم عادة بـ«الجوهر»)؛ ونفس (وتترجم عادة بـ«هو ذاته أو عينه»)؛ وصفات (انظر المناقشة لاحقا)؛ ومعنى (الواقع/ الشيء). وقد قرّر السيّد كامنغ أن يترك مصطلح «صفة» دون ترجمة لأن الكلمات المقترحة (نعت، واقع، وحدة، أقنوم) لا يمكنها أن تعبّر عن مقصود الأشعري. «إن «صفات الذات» هي الصفات التي تتعلّق بالله دائما دونما

---

(1) قال الخطيب البغدادي «أبو الحسن الأشعري المتكلم صاحب الكتب والتصانيف في الرد على الملاحدة وغيرهم من المعتزلة والرافضة، والجهمية، والخوارج وسائر أصناف المبتدعة. إلى أن قال: «وكانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله تعالى الأشعري فحجزهم في أقماع السمسم». وجاء في الديباج المذهب «كان أبو الحسن الأشعري في ابتداء أمره معتزلياً، ثم رجع إلى هذا المذهب الحق، ومذهب أهل السنة فكثر التعجب منه وسئل عن ذلك فأخبر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان فأمره بالرجوع إلى الحق ونصره، فكان ذلك والحمد لله تعالى». انظر **الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد**، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1422هـ/ 2002م، ج 13، ص 260؛ **ابن فرحون**، برهان الدين اليعمري، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق محمدالأحمديأبوالنور، دار التراث للطباعة والنشر، القاهرة، ج 2، ص 95؛ **ابن كثير، طبقات الشافعيّين**، تحقيق أنور الباز، دار الوفاء، المنصورة، 2004، ص 209.

(2) **كامنغ**، ص 2.

الرجوع إلى النظام الزمني المخلوق. وإن «صفات الفعل»[1] هي الصفات التي تتعلّق بالله فقط حينما يكون في علاقة بمخلوقاته. وحينما يتكلّم الأشعري عن صفات الله دون تحديد المقصود من كلامه فهو يشير عادة إلى صفات الذات. ويعرض الأشعري في مناسبات متعدّدة قائمة للصفات المتعلّقة بالذات وهي العلم، والقدرة، والحياة، والكلام، والإرادة، والبصر، والسمع».[2]

السياق التاريخي

يقول العالم نعمان الحق بخصوص هذا الاختلاف التاريخي بين المتكلّمين: «وتعتبر المعتزلة في هذه المسألة أن كلمة الله، والمقصود بها هنا تحديدا القرآن، لا يكون إلا عرضا بالمعنى الذي حدده أرسطو أي أنه صفة غير جوهرية. وكلام القرآن كغيره من الكلام يتكوّن من أحرف مرتبة بتسلسل وأصوات تلفظ بتمايز، وهو مخلوق في هيكل جسماني معين واعتبروا أنه عندما يخلق الله كلمة ما في هيكل ما، سيكون هذا الهيكل وسيلة الكلام أو التواصل ولكن الناطق ليس من يسكن فيه الكلام ولكنه هو من ينتج الكلام. ويعبر القرآن عن كلام الله بواسطة الحِبر الذي يجسد كلامه والورق الذي كتب عليه الكلام أو بواسطة اللفظ الصوتي لكلامه وكل هذه الأشياء عرضية، هكذا يأتي كلام القرآن بالحبر الذي يجسد من خلاله كلامه وبالأوراق التي كتب عليها كلامه وبهذا المنطق يفقد القرآن قدسيته وألوهيته[3]».

لقد اعتبر قول الأشعري ردّ فعل ضدّ فرقة المعتزلة التي انتهى بها الأمر إلى أن اُعْتُبِرَتْ فرقة ضالّة»[4]

---

(1) من صفات الفعل الكريم، العادل، الحليم، أو الكرم والعدل والحلم انظر **الأشعري**، ص 178 وما بعدها، وص 506 وما بعدها، و530.

(2) **كامنغ**، ص 7. يطلق على صفات الجوهر عبارة صفات الذات أيضا انظر **الأشعري**، **مقالات الإسلاميّين**، صحّحه هلموت ريتر، دار فرانز شتايز، فيسباد، 1400/ 1980، ص 92، و486، و506، و527.

(3) . **نعمان الحق، س.**، حالة البشر فيا لإسلام،ص 167 وما يليها من كتاب الحالة البشرية: كتاب صدر في مشروع فكر الدين المقارن،المحرر Robert Cummings Neville، جامعة ولاية نيويورك2001.

(4) **الأشعري**، **رسالة إلى أهل ثغر بباب الأبواب**، تحقيق عبدالله شاكر محمد الجنيدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1413، ص

ويضيف نعمان الحق: «المدرسة المعاكسة في علم الكلام الإسلامي هي المدرسة الأشعرية، وهي ترفض نظرية خلق القرآن. لكن كلمة الله خالدة خلود الله...غير أن الأشعرية وجدوا لأنفسهم وسيلة للهروب من الاعتراف بأن نص القرآن المكتوب أو المقروء خالد وهذا يعتبر شركا. وبالتالي فهم يميّزون بين كلام الله القائم بذاته الذي لم ينطق به وبين التعبير عنه بواسطة أحرف وأصوات مجسّدة. والأوّل (كلام الله) خالد بما أنه صفة من صفات الله ولكنه ليس إلها منفصلا عن الله أو إله إلى جانب الله. والثاني (الأحرف والأصوات) هي المخلوق والنسبي.

بالنسبة إلى مسألة عدم خلود تجسيم القرآن في أصوات وأحرف مادية، فقد وجد الإسلام التقليدي المتطوّر حلاً لهذه المجادلة باختصار الموضوع بأن الكتاب هو بمثابة ظهور رسالة الله النهائية في التاريخ. وعلى الرغم من أن القرآن مكتوب بأحرف وكلمات تتضمّن أصواتا وأحرفا وهي ليست خالدة وليست إلهية، ولكنها تحمل بطريقة فريدة وغير قابلة للتغيير ما هو خالد لأنّ رسالة الله في الحقيقة خالدة باعتبارها صفة من صفات الله».[1]

مقالة الأشعري من خلال كتبه:

يحيل كامنغ على كتب الأشعري الخمسة وعلى مصدر آخر إضافي. ويلخّص بذلك «أهمّ النقاط في قول الأشعري في الصفات وعلاقتها بالجوهر الإلهي كما يلي:

1. لله سبع صفات وهي العلم والقدرة والحياة والكلام والإرادة والبصر والسمع. وهذه القائمة ليس بالضرورة منتهية فلله صفات ليست مذكورة فيها.[2]
2. وهذه الصفات ليست مجرّد كلمات، إنّها حقائق فالله عالم بعلمه، قادر بقدرته، حيّ بحياته.[3]

= 14، ص 23، وص 119؛ انظر أيضا **التميمي**، محمد بن خليفة، **مقدمات في علم مقالات الفرق**، غراس، الكويت، 1423/ 2003، ص 33.

(1) في المرجع نفسه.

(2) كالعزّة والعظمة والجلال والكبرياء والربوبيّة والقهر... انظر **الأشعري**، **مقالات الإسلاميّين**، ص 177، وص 298.

(3) **الأشعري**، **الإبانة عن أصول الديانة**، تحقيق فوقيةحسينمحمود، دار الأنصار، القاهرة، ط 1، 1397، ص 148-149، وص 181؛ **مقالات الإسلاميّين**، ص 37، وص 70، وص 168، وص 485...

3. وهذه الصفات أزليّة وليست مخلوقة.[1]

4. إنّها ليست جوهرا وهي ليست شيئا آخر غيره.[2]

5. بل بالعكس إنّها أشياء أزليّة في جوهره.

6. يذكر القرآن أن علم الله وكلمته لهما نوع من التأثير على الخلق. فالله يخلق بـــهما.[3]

إمكانيات التشابه مع العقيدة المسيحيّة

ويشرح كامنغ قائلا: «هكذا إذن فإن قدرة الله، وعلمه، وحياته، حقائق أزليّة كانت ولا تزال قائمة في الله. فهي ليست ذات الله، وليست شيئا آخر غير الله، بل هي أشياء أو حقائق أزليّة قائمة في ذاته. إن هذا الوصف لما هو الله شبيه جدّا بالعقيدة المسيحيّة في الثالوث التي عرضها الآباء والعلماء والكتاب المسيحيّون... بعض المسيحيّين اقترح ببساطة أن «قدرة» الله ليست إلا الأقنوم الأوّل من الثالوث، وأن «علم» الله ليس إلا الأقنوم الثاني من الثالوث، وأن «حياة» الله ليست إلا الأقنوم الثالث من الثالوث».[4] ثم اتّجه كامنغ بعد ذلك لبيان تشابهات أخرى في الأفكار واللغة.

رأي مفكّرين آخرين في هذا التشابه

ويؤكّد كامنغ: «هنالك قائمة طويلة متنوّعة من الباحثين، قدامى ومحدثين، مسلمين ومسيحيّين ويهود، لاحظوا هذه الموافقات وعلّقوا عليها...[فـ]من النصوص القديمة التي قارنت قول الأشعري في الصفات بالعقيدة المسيحيّة كتبها منتسبون إلى مذاهب

---

(1) **الأشعري، رسالة إلى أهل الثغر**، ص 56، وص 122، وص 124؛ **الأشعري، مقالات الإسلاميّين**، ص 171 وما بعدها، وص 547.

(2) المرجع نفسه.

(3) **كامنغ**، ص 38. من الآيات التي تصف فعل الخلق ما جاء في القرآن من فعل الكينونة يقول تعالى {قَالَتْ رَبِّ أَنَّي يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِك اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [آل عمران: 47]، ويقول {جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِك لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الْأَرْض وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (97) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (98) مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ} [المائدة: 97 – 99].

(4) **كامنغ**، المكان نفسه.

(قد انقرضت اليوم) تعارض الأشعريّة وقد رفضت هذه المذاهب القول الأشعري والعقيدة المسيحيّة لأنّهما يعبّران عن العقيدة عينها».[1] ونستطيع أن نعرض ما قال بعض الباحثين الآخرين، سواء كان قولهم إيجابيّا أم سلبيّا، وذلك لمعرفة ما إذا كان للقول في الصفات القدرة على تأسيس حوار أفضل بين العقيدة الإسلاميّة والعقيدة المسيحيّة حول الألوهيّة.

فقد علّق الشهرستاني قائلا: «أكّد أبو الهذيل هذه الصفات وجوها للذات. فهي بعينها أقانيم النصارى...».[2]

ونرى في الحوار بين الكندي والهاشمي الذي حصل في بلاط المأمون في القرن الثالث للهجرة كيف عبّر الكندي عن التقريب بين الفكر الإسلامي والفكر المسيحي في هذا المجال[3] كما نرى بعد ذلك بقرون كيف علّق الرازي على إمكانية وجود مفهوم توافقي بين العقيدتين: «واعلم أن مذهب النصارى مجهول جداً، والذي يتحصل منه أنهم أثبتوا ذاتاً موصوفة بصفات ثلاث. إلاّ أنهم سمُّوها صفات، وهي في الحقيقة ذوات قائمة بأنفسها. فلهذا المعنى قال: ولا تقولوا: ثلاثة. انتهوا. فأمّا إن حملنا الثلاثة على أنهم يُثبتون صفات ثلاث فهذا لا يمكن إنكاره. وكيف لا نقول ذلك، ونحن نقول: هو الله الملك القدوس السلام العالِم الحي القادر المريد. ونفهم من كل واحد من هذه الألفاظ غير ما نفهمه من اللفظ الآخر. ولا معنى لتعدد الصفات إلاّ ذلك. فلو كان القول بتعدّد الصفات كفر، لزم ردّ جميع القرآن، ولزوم ردّ العقل، من حيث نعلم بالضرورة أن المفهوم من كونه تعالى عالماً، غير المفهوم من كونه حياً».[4]

---

(1) **كامنغ**، ص 40، 42. انظر **ابن حزم**، **كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل**، مكتبة المثنى، بغداد، 1964، ج 1، الفصل 1، ص 50 و55.

(2) **الشهرستاني**، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، **الملل والنحل**، مؤسّسة الحلبي، د.ت.، ج 1، ص 50؛ انظر الطبعة الأنجليزيّة **الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، كتاب الملل والنحل**. المحرر William Cureton، لندن، Society for the Publication of Oriental Texts, 1842–1846, ج 1 ص 34.

(3) **رسالة عبد الله ابن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح ابن اسحق الكندي**، لندن، جلبرت ر. رفنغتن، 1880، ص 32–35.

(4) **الرازي**، **مفاتيح الغيب**، م. خليل محي الدين الميس، بيروت، دار الفكر 1990، ج 6 ص 118.

الاختلافات الممكنة بين العقيدتين

ويناقش كامنغ أربع نقاط اختلاف بين العقيدتين، ولكنّه يوضّح أنّها قضايا خاصّة بعلم الكلام المسيحي وليست متعلّقة بعقيدة الثالوث (مثل مسألة التجسّد). وينهي كامنغ هذا الفصل بتوصيف هامّ يخصّ المفاهيم: «إذا كنا سنلقي بالتعابير المجازيّة عند الحديث عن الله عرض الحائط، فإن السبيل الوحيدة لفهم عبارة «ابن» هي أن نقول إن الله قد اتّخذ فعلا زوجة وأنجب فعلا ابنا إنجابا جسديّا. إن قولا كهذا هو عند المسلمين وعند المسيحيّن كفر صراح ومستفزّ. وسيتّفق المسيحيّون عندئذ مع الأشعري في الآية القرآنيّة: {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا} [الإسراء: 43]».[1]

الخلاصة

ويخلص كامنغ في الأخير قائلا: «إن المسيحي العادي اليوم له فهم سطحي جدّا للثالوث، والمسلم العادي اليوم له هو أيضا معرفة فقيرة جدّا بقول الأشعري في الصفات. ولكنّهما قد يتفقان في أمر وهو أنّهما يختلفان في موضوع عقيدتهما في الله وأن الاختلافات عميقة وكبيرة ولا يمكن تجاهلها. ولكني أعتقد ان دراسة دقيقة للعقيدتين تشير إلى أنّهما متقاربان أكثر ممّا يُتَصَوَّرُ. إن الاختلافات التي طرحها الأشعري حول الحلول/ التجسّد، وحول استعمال كلمة «ابن» هامّة، ولكنّها متعلّقة بالعقيدة المسيحيّة وليس بالثالوث في حدّ ذاته. إن السؤالين اللذين يطرحهما الأشعري والمتعلّقان خصوصا بالثالوث (على سبيل المثال 1.القول بالتماثل بين «الكلام» و«العلم»، والتأكيد على ثلاثة أقانيم فقط، و2. التأكيد الظاهر عند الأشعري أن حياة الله لا يمكن أن تسمّى روحا)[2] هما في رأيي قابلان للتقريب. وبعيدا عن هذين الاختلافين فإن مواطن اللقاء بين المسلمين والمسيحيّين حول القضايا الجوهريّة المتعلّقة بقضية الصفات وعقيدة الثالوث كثيرة بعكس ما يتصوّره عادة المسلم والمسيحي».[3]

(1) **كامنغ**، ص 52.
(2) **الأشعري، مقالات الإسلاميّين**، ج 1، ص 337.
(3) **كامنغ**، ص 52-53.

هل حرّف بولس رسالة السيد المسيح؟

هل كان الحَواري بولس تابعاً لسيدنا المسيح ومخلصا له أم أنه خان رسالته (سلامه علينا) وحرّفها؟

قال بعض النقاد أن بولس قد ابتكر ديناً لم يأت به سيدنا عيسى، بينما قال آخرون أن بولس قد حرّف الدّين النّقي الذي جاء به المسيح ومن سبقه من الأنبياء. وللظفر بإجابة واضحة عن هذه الأسئلة علينا أوّلا العودة إلى الحوادث التاريخية التي ذُكرت في كتاب سيرة الحواريين (أي أعمال الرسل) ومختلف رسائل الحواريين.

كيف تكون الرسالة وفيّة لمقاصد السيد المسيح

اعتمد بولس لتبليغ رسالة السيد المسيح على عنصرين أساسيين عندما بدأ في نشر دعوته خارج المجتمع اليهودي:

أولاً: أكّد الحواري بولس على مضمون رسالة عيسى (سلامه علينا) وجوهرها الرّاسخ. لقد أعاد الله تعالى إليه العصاة في العالم ورضي عنهم وقَبِلَهم عنده من خلال تضحية سيدنا عيسى وبعثه. وقد قاد عصيان آدم وحواء نسلهما إلى اتّباع نهجهما في ارتكاب المعاصي، وأرفق الله ذلك بعقوبة توعّد بها، ألا وهي الهلاك الأبديّ. أمّا سيدنا عيسى (سلامه علينا) فقد كان مثل آدم لكنّه لم يرتكب خطيئة، بل أنقذ الناس من فعل الخطيئة وعقابها حتّى يعيشوا أنقياء لله دون خطيئة، ومكّنهم من العودة إلى الله، وأسّس المملكة الربّانية الخالدة التي وعد الله بها أنبياءه الأوّلين.

ثانيا: أكّد بولس على مقاصد الله، وأكّد أيضا أنّ رسالة السّيد المسيح تشمل كلّ الشعوب والأمم. إنّها رسالة روحيّة كونيّة ولها من التأثير ما يجعلها تنفذ إلى كلّ شعوب العالم، فتحدث في النفوس تأثيرات روحية إيجابية على تعاقب الحضارات.

الرّسالة وبداية انتشارها

إنّ مقاصد الله كما أوحاها إلى سيدنا إبراهيم كانت دائماً أن يبارك الله تعالى جميع

الشعوب على الأرض (انظر التوراة، سفر التكوين، 12: 3). وقد انتبه الحواريون وأتباع السيد المسيح جيّدا إلى هذه الحقيقة منذ البداية (انظر على سبيل المثال سيرة الحواريين 3: 25، ورسالة بولس إلى أهل غلاطية 3: 8)، لكن الهدف من ذلك لم يكن واضحاً لجميعهم. فهل كانت مقاصد الله لمباركة الأمم تتطلب اهتدائهم إلى الدّيانة اليهودية؟ هل تحقّق وعد الله للنبي إبراهيم باستجابة «يهود من كلّ الأمم» بنشر رسالة الحواريين في بداية دعوتهم؟ (انظر سيرة الحواريين 2: 5). ورد في كتاب سيرة الحواريّين أنّ قادة جماعة المؤمنين بالسيّد المسيح قد بدأوا بنشر الرّسالة بين اليهود فقط متّبعين تقاليد الديانة اليهودية، ولم يكترثوا بغير اليهود، معتقدين أنّ ذلك سيحافظ على نزاهة رسالة سيّدنا عيسى (سلامه علينا).

وفي كلّ الأحوال فقد استجاب لرسالة السيّد المسيح بعض من غير اليهود أيضاً. وكان السّامريون بأعدادهم الكبيرة أوّل مجموعة تهتدي إلى سيدنا عيسى المسيح. وهم جماعة دينيّة قوامها المنحدرين من بعض اليهود الذين اختلطوا بالوثنيّن عبر مئات السنين أي قبل ولادته (سلامه علينا). أمّا اليهود فكانوا يعتبرون هذه الجماعة غير نقيّة وتتّبع ديناً محرّفاً، ولا يجب أن نتجاهل العداوة التي نشبت بين اليهود والسامريين. ودعا سيّدنا عيسى (سلامه علينا) المؤمنين السامريين أن يعبدوا الله «مُنقادين بروحِهِ وحقِّه» دون أن يطلب منهم الالتزام بتقاليد الديانة اليهودية.(انظر يوحنا، الفصل الرابع). وبعد سنوات آمن كثير من السّامريين بسيدنا عيسى (سلامه علينا) على أنه الملك المسيح المنتظر المُبشّر به من قبل الحواريين (سيرة الحواريين 8: 4-17). ولازم المؤمنون من السامريين قُراهم، ويبدو أنّ الحواريين وأتباع السيّد المسيح قد وجدوا أنّه من اليسير نسبيّا قبول هؤلاء كإخوة لهم في الإيمان حتى لو لم يلتزموا بتقاليد الديانة اليهودية، لأنّ السامريين لهم عادات دينيّة مشابهة لعادات اليهود.

هل تستطيع رسالة المسيح تحويل الوثنيين واهتدائهم إلى نهج الايمان بصرف النظر عن الدّين اليهودي؟

تقبّل الحواريّون كما يبدو بسهولة إيمان المؤمنين من السامريين، في حين كان تقبّلهم لإيمان الوثنيّين الرّومانيين والإغريق برسالة المسيح أصعب بكثير. لقد أظهر

الله للحواريين قوّة رسالة الله ليجعل غير اليهود من النّاجين دون أن يشترط عليهم الالتزام باتّباع تقاليد الديانة اليهودية. وأصبح ذلك واضحا من خلال حلول روح الله على كورنيليوس الضّابط الرّوماني (انظر سيرة الحواريين الفصلين 10 و11، وانظر خاصةً 11: 18). واهتدى اليونانيون بأعداد كبيرة إلى الإيمان بسيّدنا عيسى (انظر سيرة الحواريين 11: 26)، وانسجموا مع اليهود الذين آمنوا بالسيّد المسيح (سلامه علينا)، في حين أنّهم لم يتهوّدوا ولم يمارسوا شعائر الدّيانة اليهودية، ولكن بعض المؤمنين اليهود احتجّوا كردّة فعل على أنّ المؤمنين اليونانيين عليهم أن يتبنّوا علامة الميثاق المتمثلة في الختان وغيرها من التّقاليد الدّينية التي ستكون بمثابة علامة على انضمامهم لشعب بني يعقوب.

كيف حافظ مجمع المؤمنين في القدس على سلامة رسالة السيد المسيح؟

نجد في سيرة الحواريين وتحديدا الفصل 15، خلافا حادّا بين الحواريين ومؤمنين آخرين حول ما إذا كان اعتناق الدّيانة اليهودية ضروريّ للنّجاة بالنسبة إلى هؤلاء الحاملين لخلفيّة وثنيّة يونانيّة، ولم تجر مناقشاتهم حول فحوى رسالة سيّدنا المسيح بل جرت حول مدى صلاحيتها. وحافظ الحواري بطرس على نزاهة الرّسالة بالدّفاع عن قوّتها في إنقاذ المؤمنين الذين حافظوا على هويّتهم وثقافتهم غير اليهوديّة (انظر سيرة الحواريّين 15: 8-11).

اتّفق قادة جماعات المؤمنين الأوائل على أنّ التوراة وكتب الأنبياء الأخرى أنبأت بأنّ نجاة الله في متناول كلّ العالم ولا تنحصر في اليهود فقط أو هؤلاء الذين اهتدوا إلى الديانة اليهودية. واتّفقوا أيضاً على أنّ الله كشف قبوله للمؤمنين غير اليهود بمنحهم روحه الطّاهرة، ولذلك قرّروا ألاّ يطالبوهم بالتحوّل إلى الدّين اليهودي.

دأبُ بولس ومثابرته في النضال من أجل صحّة رسالة السّيد المسيح ونزاهتها

كان على الحواري بولس وفي رسائله اللاّحقة أن يجادل وبشكل متكرّر في ضرورة انتشار رسالة المسيح (سلامه علينا) في أوساط غير اليهود دون أن يمسّ ذلك التقاليد

الدّينية لليهود.. وقد أعلن بولس قوّة رسالة سيّدنا عيسى في الإنقاذ والنّجاة، بعيداً عن التّقاليد اليهوديّة، وهذا لا يشمل اليهود فقد، بل يشمل غير اليهود أيضاً (روما 1: 16 – 17). وأعلن أنّ قبول الله للناس يكون فقط على أساس إيمانهم بعيسى المسيح (سلامه علينا)، وتطرّق لهذه النقطة في رسالته إلى أحباب الله في روما (روما 2: 11؛ 2: 28–29؛ 3: 9؛ 4: 11)، وفيها بيّن بولس أنّ ما يدلّ على الانتماء لشعب ميثاق الله قد تغيّر الآن من العلامات الخارجيّة التي تخصّ الجسد كالختان (انظر سفر التكوين 17: 13) إلى السّمات الدّاخلية وهو ما أشار إليه بولس عندما قال:(«بَلِ الْخِتَانُ أَنْ تُطَهِّرَ رُوحُ اللهِ الْقَلْبَ تَطْهِيرًا رُوحِيًّا» --روما 2: 29).

وأشارت هذه الرّسالة إلى انضمام الناس إلى أهل بيت الله وذلك بإيمانهم بالسّيد المسيح وحده. وكانت هذه الاشارة بمثابة أخبار سارّة لغير اليهود، إلاّ أنّها في الوقت نفسه كانت مصدر إزعاج لكثيرٍ من اليهود المؤمنين، الذين كانوا يعظمون تقاليدهم الدّينيّة، وهي اليوم مثيرة للإزعاج بالنسبة إلى بعض المسيحيين عندما يَرون أناسا من أديان أخرى اختاروا أن يتبعوا سيدنا عيسى (سلامه علينا)، وفي الوقت نفسه واضعين جانباً في اهمال الهويّة المسيحية بما فيها العادات والتّقاليد المسيحية كأنّها اختيارية أو غير مناسبة لبيئاتهم. ومع ذلك فإنّ دعوة الله لا تزال منتشرة بين العديد من غير المسيحيين لاتّباع عيسى (سلامه علينا)، مثلما دعا العديد من غير اليهود طالباً منهم فقط الإيمان بعيسى الملك المسيح المنتظَر.

هل الرّسالة التي لا تنصّ على اتّباع التقاليد تؤدّي إلى ضعف إيمان المؤمنين؟

هناك فئة من الناس عبر التاريخ الانساني ينتابها قلق حيال مسألة ما إذا كان الإيمان برسالة سيدنا عيسى المسيح كاف دون التزامها بالتقاليد المسيحية، (وهذا يذكرنا باليهود عندما اشترطوا على غير اليهود الالتزام بشكليات الديانة اليهودية قبل اعتناقها) وهذا لن ينتج حسب اعتقادهم مؤمنين راسخي العقيدة. وقد تحدّث الحواري بولس عن هذا الشأن في نقاط ثلاث:

أولاً: أكّد بولس أنّ الدّيانة اليهودية لم تحرّر اليهود من أهواء النفس الأمّارة بالسّوء

(أفاسوس 2: 3) أو من خضوعهم لسطوة الشياطين (غلاطية 4: 3) وهذا يعني أن غير اليهود عندما فُرض عليهم الانضمام إلى اليهودية فلا بدّ أن يعودوا ويتحوّلوا عبيدا للشّياطين مرّة أخرى (غلاطية 4: 9).

ثانياً: وصف بولس في رسالته إلى روما (الفصول 6 – 15)، أنّ رسالة السيد المسيح (سلامه علينا) تمنح القوّة للمؤمنين لإصلاح حياتهم (روما 6: 6، 7، 11، 22).

ثالثاً: كشف بولس أنّ الخصال التي تظهر في المؤمنين من روح الله (غلاطية 5: 22–23) هي علامات عمل الله المميّزة في المؤمن مهما كانت بيئته وحضارته.

يصرّ بولس على أنّ روح الله تمنح خصالا للمؤمن في حياته ما لا تستطيع أيّ مؤسسة أو تقاليد دينيّة صنعها.

ماذا يعني «سرّ الله» اليوم؟

السرّ الذي كشفه الله للحواري بولس لا يعني ضرورة اعتناق غير اليهود للديانة اليهودية لكي يصبحوا مثلهم من أمّة الله، أو لكي يصبحوا من الذين «سيَرِثُونَ كُلَّ بَرَكَاتِ اللهِ المَوْعُودَةِ» إلى جانب اليهود. (انظر رسالة أفاسوس، 3: 6). ويرى بعض القرّاء أنّ هذا يشير إلى أنّ المؤمنين من اليهود والإغريق قد اندمجوا في حضارة واحدة جديدة، مفترضين بأنّ المؤمنين في القرن الأوّل لم يكن لديهم التزام بالتوراة كما كان منتشرا بين المؤمنين الأوائل من اليهود، ولا صيغ ولا أعراف ولا أشكال ثقافية لديهم كالتي كانت لدى المؤمنين الإغريق، وقد اشتهروا بها وخاصة الديانة المسيحية في مرحلة لاحقة (مثلا التماثيل، الفسيفساء... إلخ).

منذ القرن الأوّل وُجِدَت ديانتان مختلفتان اختلافاً جذرياً رغم أنّهما تقومان على الإيمان بسيدنا عيسى (سلامه علينا)، فكان هناك النهج اليهودي الذي بعث الحياة في التقاليد اليهودية، وهناك النهج اليوناني الروماني الذي حوّل قلوبهم من حبّهم للفلسفة إلى حبّهم للعلوم الدينية. واليوم يوجد العديد من الناس من حضارات مختلفة قد أصبحوا من أتباع سيدنا عيسى (سلامه علينا) دون التزامهم بالثقافة المسيحية الغربية، ويعيشون إيمانهم بطرق مختلفة.

لقد هدمت رسالة سيدنا عيسى «ما كَانَ يَفصِلُنا مِن سُورِ البُغض والكَرَاهيةِ»، السور بين اليهود وغير اليهود ولم تهدم حضاراتهم الخاصة (انظر رسالة أفاسوس 2: 14، 16).

لماذا نهى بولس المؤمنين الأوائل عن تغيير تقاليدهم الدينية؟

لم يفضّل الحواري بولس أن ينتمي مؤمن بالسيد المسيح إلى ديانة بني يعقوب على أن ينتمي إلى بيئة أخرى، لذلك أكّد عدم ارتباط رسالة المسيح بإجبار الناس على تغيير انتماءهم الحضاري، حتّى وإن كانت حضارات دينية (انظر رسالة غلاطية 5: 6، 6: 11-16، رسالة كورنتوس الأولي 7: 17-20). كما أكّد بولس أن أهم العوامل هو «الإيمان العامل بالمحبّة» والالتزام «بِوَصَايا اللهِ» وأن نكون جزء من «خَلْقِ اللهِ الجَديدِ».

كانت في جماعة المؤمنين الأولى حركة تنادي بتهويد الانجيل لذلك أخد بولس موقفا صارما من هذه الجماعة. (انظر رسالة غلاطية 1: 6-7).

لماذا كان بولس قلقاً على سلامة رسالة المسيح وإصراره أنّ محتواها في خطر؟ لقد كان قلقاً لأن الآخرين لم يدعوا برسالة النّجاة، تلك النّجاة التي هي رحمة من الله والتي يمكن الوصول إليها فقط من خلال الإيمان بسيدنا عيسى (سلامه علينا). وعوضاً عن ذلك طالبوا بالالتزام بالتقاليد الخارجية للديانة اليهودية. لقد ركّز بولس على الايمان النابع من القلب ورفض في المقابل أن يستند هذا الايمان الذي دعا إليه على ممارسات شكلية لا علاقة لها بالإيمان الداخلي.

كيف يمكن قراءة هذا الجدل اليوم؟

نرى اليوم الجدل ذاته بالنسبة إلى بعض الدّعاة المسيحيين الذين ينادون بأن كلّ من استجاب لدعوة السيد المسيح يفرضون عليه ثقافة مسيحية لا علاقة لها بالإيمان المسيحي الحقيقي. فهل نستطيع تطبيق تعليمات بولس المتعلقة بغير اليهود على أناس آخرين يريدون اتّباع السيد المسيح اليوم؟ أجل، لقد بشّر بولس جميع الأمم بالنّجاة من خلال الإيمان بسيدنا عيسى وحده. إذ دافع بولس عن الوثنيين الإغريق الذين أرادوا أن يتوبوا إلى الله ويصبحوا من أتباع سيدنا عيسى (سلامه علينا) لأنه أدرك معنى سرّ الله. وانتشرت الرسالة داخل الحضارة الإغريقية، تماماً كانتشارها بين اليهود زمن سيدنا عيسى المسيح. وقد وضع بولس نموذجاً لكيفية انتشار رسالة السيّد المسيح في الثقافات التي تختلف في جوهرها عن الثقافة اليهودية. وإذا أراد المسيحيون اليوم

مطالبة جميع المؤمنين بتبنّي تقاليدهم وهويّاتهم الدينية، فهم بذلك قد حجبوا حقيقة رسالة السيد المسيح.

واليوم يهب الله الإيمان بالسيد المسيح لكل شعوب الأرض دون شرط الالتزام بالتقاليد المسيحية التي لا جذور لها في رسالة المسيح. ورأينا في دعوة حوارييه (سلامه علينا)كيف أناروا الطريق للإيمان لجميع الناس من غير اليهود، دون مطالبتهم بتبنّي تقاليد الدّيانة اليهودية (انظر سيرة الحواريين، الفصل 15)، فدعونا اليوم نتأمّل في جمال عمق رسالة السيد المسيح التي دعانا فيها إلى محبّة الله وعشقه بحريّة دون التقيّد بثقافة معيّنة أو أرض معيّنة.

ولمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع انظر هذا الموقع: بولس الرسول في الإسلام

http://drghaly.com/articles/display/10362

مدخل إلى رسائل الحواريّين

مقدمة

بعد قيامة سيدنا عيسى المسيح من الموت، قام خلال الأسبوع الأخير الذي أمضاه على الأرض، بإعطاء أتباعه تعاليم مكثّفة، ثمّ وعد (سلامه علينا) لاحقاً بإرسال روح الله لتمدّهم بأكثر من الهداية (إنجيل يوحنا، 16: 12 – 13).

ومن ثمّ صعد سيدنا عيسى إلى السماء، وبعد ذلك بقليل حلّت روح الله على المؤمنين لتملأهم وتقويهم وترشدهم مثلما وعدهم (سلامه علينا). إضافة إلى ذلك، منح الله تعالى عبر روحه الطّاهرة الوحي للحواريين ولبعض الأتباع المقرّبين للسيد المسيح، الذين قاموا بتسجيل الكتابات المقدّسة والتي تضمّنت الإنجيل (أي العهد الجديد). لقد منح الله لاثنين من الحواريين هذا الامتياز، وهما: متّى ويوحنا، ولاثنين من الأتباع، وهما: مرقس ولوقا، وذلك لتدوين روايات متكاملة حول حياة السيد المسيح وتعاليمه. وكتب لوقا أيضاً تكملة أطلق عليها سيرة الحواريّين (أعمال الرّسل)، وفيها سجّل العمل الذي قام به حواريو السيد المسيح من خلال روحه (سلامه علينا) بعد صعوده إلى السّماء. وكانت الكتابات الـ 22 المتبقّية في الإنجيل الشّريف رسائل أوحى بها الله للحواريين لتسجيلها، وذلك بغية إعطاء النّصائح والإرشادات لأتباع السيد المسيح في مختلف المناطق في تلك الفترة، وهي الرّسائل التي يتضمنها هذا المجلّد.

إن هذه المقدمة ستعرّف القرّاء وتطلعهم على البيئة الاجتماعية والسياسية من خلال رسائل الحواريين.

البيئة الاجتماعية والسياسية لرسائل الحواريين

قبل صعود سيدنا عيسى إلى السماء، وعد بنزول روح الله لتحلّ في أتباعه، وهذا ما حدث فعلا يوم عيد الخمسين، إذ حلّت فيهم روح الله لتقويهم كي يقوموا بإعلان

الرّسالة ونشرها بشكل جريء وشجاع. وانطلق نشر الرسالة أوّلا بين اليهود في القدس. وآمن عدد من اليهود بسيدنا عيسى كونه المسيح الملك المختار من عند الله، واستمر القادة السياسيون وشيوخ الدين في إنكاره وعدم الإيمان به وأخذوا يضطهدون أتباعه (سلامُهُ علينا)، وأبعدوا الكثير منهم إلى خارج فلسطين. إنّ تشتّت أتباع السيد المسيح، كان سبباً في تنفيذ أمره (سلامه علينا) ونشر رسالته في جميع أنحاء العالم (انظر سيرة الحواريين، 1: 8). وفي الوقت الذي انتشرت فيه رسالة السيد المسيح بصورة سريعة وبشكل واسع في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية، واجه أتباعه (سلامه علينا) أوضاعا جديدة مليئة بالصراعات والأزمات، إذ كانوا بحاجة إلى قيادة الحواريين كي يعلّموهم بشكل عملي ما يجب عليهم القيام به كي يعيشوا حياة ملؤها الأخلاق والاستقامة كمؤمنين في مختلف الأوضاع والحالات. ولكن لمّا تعذّر على الحواريين الترحال شخصياً إلى كل مكان، بدأوا بإرسال رسائل إلى المؤمنين في بعض المناطق، ونستحضر هنا ما حدث مع الحواري بولس عندما تكبّد الصّبر وتحمّل عذابات السّجن بسبب نشره للرسالة، حينها أرسل رسائل روحية وإرشادات إلهيّة للمؤمنين وهو ما قام به غيره من الحواريين أيضا.

كان يُدعى إلى رسالة سيدنا عيسى ويُبشر بها في حوض البحر الأبيض المتوسط. وتقبّل بعض اليهود الرّسالة وبدأوا باتّباع السيد المسيح. وكان لعدد من غير اليهود استعدادا لتقبّل الرسالة، ولكن هؤلاء واجهوا معارضة شديدة واضطهادا كبيرا من قبل اليهود الذين كانوا قد رفضوا رسالة السيد المسيح. وحاول آخرون من اليهود تضليلهم من خلال إخبارهم بأنّه لا يمكن اتّباع السيد المسيح إلاّ من خلال التهوّد أوّلا. ومع مرور الوقت أخذت السلطة الرومانية باضطهاد هؤلاء الأتباع، وعلى الرغم من أن روما كانت تحكم إمبراطوريتها الشاسعة بيد من حديد، إلاّ أنّه في بداية الأمر قام الرومان بإعطاء اليهود بعض الحرية في أمورهم الدينية. وفي البداية اعتبرت السلطة الرومانية أتباع السيد المسيح طائفة من طوائف الديانة اليهودية. وكان الرومان قد منحوا الدّيانة اليهودية اعترافا شرعيا، ممّا سمح لليهود بالمجاهرة بإيمانهم وممارسة شعائرهم. وبعد أن آمن عدد كبير من غير اليهود بسيدنا المسيح، بدت الحركة أقلّ التزاما بتقاليد الدّيانة اليهودية ولم يلبث الرومان أن اعتبروا أتباع السيد المسيح جزء من الدّيانة اليهودية.

ومن ثمّ بدأ الرومانيون وآخرون من الذين لم يكونوا يوما من أتباع السيد المسيح في الانتباه إلى أن هؤلاء بدأوا يشكلون دينا جديدا مع أن السيد المسيح وحوارييه لم يدعوا أبدا إلى دين جديد.

لقد أطلق الرومان على إمبراطورهم لقب «سيد البشرية» وكانوا يطلبون لسلطته الولاء والطاعة مع الاعتراف بأنّ «القيصر هو السيد»، وإن رؤساء اليهود الذين كانوا قد رفضوا سيدنا عيسى على أنه المسيح المنتظر كانوا على استعداد لمداهنة القيصر كملكهم الوحيد (انظر الإنجيل، يوحنا، 19: 15). أمّا أتباع السيد المسيح فقد رفضوا هذا الاعتراف، وعوضاً عن ذلك اعترفوا بأنّ «عيسى هو سيّد العالمين» وأعلنوا أن الله قد برهن صدق كلام سّيدنا عيسى كونه المسيح المنتظر من خلال بعثه حيّا من بين الأموات، وهكذا حقّق النبوءات القائلة أنه سيأتي ملك من سلالة النبي يعقوب وسيقوم بإرساء مملكة الله الموعودة على امتداد العالم.

ولم يمثّل أتباع السيد المسيح خطراً سياسياً على الحكم الروماني، لأنّ الحواريين أكّدوا أنّ على المؤمنين طاعة السلطات المدنية (انظر رسالة بولس إلى أحباب الله في روما، 13: 1). وبما أنّ المؤمنين قد رفضوا تقديم قرابين لآلهة الرومان المتعددة، فقد تمّ اعتبارهم «ملحدين» من قبل الوثنيين، وهم في الحقيقة مؤمنون موحّدون. وعند موت الأباطرة القدماء كان الرومانيون المشركون يؤلّهونهم ويضيفونهم إلى مجموعة الآلهة التي يعبدها الناس، ولكن سرعان ما بدأ المواطنون الرومان بعبادة القيصر الذي ما زال حيّاً، وكان عدد منهم يفعل ذلك لكسب رضاه. وكانت عبادة القيصر أكثر العبادات شيوعاً في الديانة الوثنية في ذلك الوقت، ولكن أتباع السيد المسيح رفضوا التّنازل عن ولائهم لمولاهم وطاعتهم له مقابل عبادة القيصر، ممّا أدّى إلى تعرّضهم لاضطهاد شديد من قبل السلطات الرومانية. لقد حثّت رسالة السيد المسيح وحوارييه المؤمنين أن يعيشوا في تقوى الله وأن لا يشركوا به شيئا وأن الانتصار النهائي سيكون انتصار الخير على الشرّ.

كتب بولس ثلاثة عشر من مجموع رسائل الحواريين الاثنين والعشرين المعترف بها. وهذه الرسائل إلى المؤمنين هي: الرسالة إلى أهل غلاطية، والرسالة إلى أهل روما، والرسالتان الأولى والثانية إلى أهل كورنتوس، والرسالة إلى أهل كولوسي، والرسالة

إلى فيليبّي، والرسالتان الأولى والثانية إلى أهل تسالونكي، والرسالتان الأولى والثانية إلى تيموتاوي، والرسالة إلى تيتوس والرسالة إلى فليمون. ويعتقد بعض الباحثين أنّه قد كتب الرسالة إلى أتباع المسيح العبرانيين أيضاً، إلاّ أنّ معظم الباحثين يعتقدون أنّ هذه الرسالة كتبها حواري آخر. أمّا بخصوص بقيّة الرسائل فقد كتب الحواري بطرس الصخر منها رسالتين (رسالة صخر الأولى ورسالته الثانية)، وكتب اثنين من أقرباء السيد المسيح من أمّه مريم وهما يعقوب ويهوذا رسالتين. وكتب الحواري يوحنا ثلاث رسائل أخرى، بالإضافة إلى سجل الوحي المتعلق بسيرة السيد المسيح وكتاب الرؤيا.

هل رسائل الحواريين وحي منزّل

أشار بطرس الصخر، وهو أحد حواريي المسيح الأوائل، إلى عمليّة الوحي المتعاقبة للكتاب المقدّس قائلاً:

«واعْلَمُوا قَبلَ كُلِّ شيءٍ أنّه لا نُبُوَّةَ فِي كُتُبِ الوَحي مِن إنْشاءِ مَلَكات الأَنبياءِ المُرسَلينَ، فإرادةُ الإنْسَانِ لا دَخْلَ لها أَبَدًا فِي كشف النُّبُوَّاتِ، بَلْ إنَّ الأَنْبياءَ هُمْ الَّذِينَ أَتوا بِالوَحِي وَهُمْ في ذَلِكَ يَقْتَدونَ بِرُوحِ اللهِ». (رسالة صخر الثانية 1: 20–21).

ومن ثمّ نجد أنّ بطرس قد أقرّ أن كلّ رسائل الحواريين بما فيها رسائل بولس موحى بها من الله:

«واعْلَمُوا أَنَّ مَولانا عِيسَى بِفَضْلِهِ يَصْبرُ ولا يَسْتَعْجِلُ تجلّيه مَلِكًا عَلَى العالَمِينَ، فما زالَتْ هُنالِكَ فُرْصَةٌ لِنَجاةِ العصاة. إنَّ هَذَا مَا حَدَّثَ بِهِ أَخُونا الْحَبِيبُ بُولُسُ على قدر الْحِكْمَةِ الَّتِي مَنَحَهُ اللهُ إيَّاها، حَينَ كتب عَنْ هَذِهِ المسائل فِي كُلِّ رَسَائِلِهِ، ولَقَدْ جاءَتْ فِيهَا أُمُورٌ يَصْعُبُ فَهْمُها ويُحَرِّفُ الجَهلَةُ وغَيْرُ الرَّاسِخِينَ تَفْسِيرَها، كَمَا يَفْعَلُونَ فِي سائِرِ الكُتُبِ المُقَدَّسةِ، وهذا سَيُؤَدِّي بِهِمْ إِلَى الهَلاكِ. (رسالة الحواري صخر الثانية، 3: 15–16).

لقد قام سيدنا المسيح باختيار بولس كحواري لينشر رسالته بين غير اليهود (لمزيد من المعلومات انظر المقال حول الحواري بولس في هذا المجلد). وخالف بولس فكر اليهود وتوقّعاتهم حين أعلن لغير اليهود البشارة بأنه ليس عليهم التهوّد أو اتّباع

العادات اليهودية الموجودة في شريعة النبي موسى ليصبحوا من أتباع جماعة المؤمنين بالسيد المسيح. لقد بيّن بولس كيف جاء هذا التعليم بأمر الله:

«مِن بولُسَ الحَواريِّ: ما كنتُ يومًا مِن النَّاسِ مُرسلاً، ولا أصبحتُ بِأَمرِهم حَواريًّا مختارًا، بل أَرسلَني سيِّدُنا عيسى المسيحُ بإذنِ اللهِ الوَليِّ الّذي أَحياهُ مِن الموتِ. إِخْوَتي في الإِيمانِ، اعلَموا أَنّ البُشرى الّتي بلَّغْتُكم إيّاها لم تكن مِن اختراعِ بشرٍ، ولا مِن تعليمِهِم ولم تصدُر عنهم، وإنّما هي ما كشفه لي سيّدُنا عيسى المسيحُ مباشرةً!» (رسالة بولس إلى أحباب الله في غلاطية، 1: 1، 11 – 12).

كيف تعتبر رسائل الحواريين وحيا من عند الله

على الرغم من كون رسائل الحواريين وحي إلهي، فهي في الوقت نفسه رسائل تمّت كتابتها من قبل حواريي السيد المسيح إلى أتباعه في مختلف أنحاء العالم في تلك الفترة، وذلك حسب مقتضيات أساليب الوحي الإلهي عبر التاريخ.

وجاء في الرسالة إلى أتباع المسيح العبرانيين «لَقَدْ أَوْحَى اللهُ فيمَا مَضَى على أَلسِنَةِ أَنْبيَائِهِ إِلى آبَائِنَا الأَوَّلِين بِشَتَّى الطُّرُقِ وفي مُخْتَلِفِ الأزمان». (العبرانيين 1: 1). لقد خاطب الله رب العالمين بعض الأنبياء بصورة مباشرة (مثل النبي موسى: كليم الله)، بينما أرسل الله ملائكة لبقية الأنبياء والرسل لإيصال رسالته إلى البشر. وبوحي من روح الله خطّ النبي داود كتاب الزبور (المزامير)، وهو عبارة عن أناشيد روحانية. أمّا النبي سليمان فقد آتاه الله حكمة عظيمة، فسجّل أقوالاً جمعت حكماً عمليّة وأخلاقيّة، وهي بمثابة أمثال مأثورة جديرة بالذكر. وهناك أنبياء آخرون مثل صموئيل وعزرا اللذان قاما بتسجيل الوحي حول تعامل الله مع عباده بني يعقوب على شكل رواية تاريخية، وتضمّن ذلك وصايا الله العشرة وشريعته. وكان الله سبحانه وتعالى يوحي إلى أنبياء آخرين عبر الرؤى والكشف مثل النبي أشعيا وحزقيال ودانيال، وهم بدورهم قاموا بوصف ما رأوه والتعبير عنه على طريقتهم وبعباراتهم مقتدين بروح الله.

ولكن قد يحدث إرباك وتشويش في صفوف بعض الناس، عندما يكتشفون بأنّ الوحي من الله يأخذ أشكالاً مختلفة، لأن هؤلاء اعتادوا في تفكيرهم بأن الله سبحانه وتعالى يوحي بكلمته في خطاب مباشر. وقد يفكرون أن هذه هي الطريقة الوحيدة

في تعامل الله مع الوحي. وكنّا قد رأينا أنّ كتب الأنبياء القديمة، تحتوي كشفاً جاء ضمن أنماط عديدة وأساليب متنوعة. ونحن نرى الأمر نفسه في القرآن الذي يضم أنماطا مختلفة من الكشف. وعلى سبيل المثال، فإن بعض المقاطع لا تظهر أن الله هو المتحدّث إلى الأنبياء وكأنهم بشر يتحدّثون إلى بعضهم بعض أو إلى الله. وإن المثال الأفضل الذي يوضّح ذلك هو ما جاء في سورة الفاتحة. وفضلاً عن ذلك، نجد هذا في سورة مريم، في الآية 64(كلام من الملاك إلى النبي، وليس كلام الله إليه) ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ بالإضافة إلى ذلك، نجد في القرآن مقاطع كما في التوراة والزبور والإنجيل هي ليست بعبارات إملائية فقط، ولكنها زيادة على ذلك ذات أسلوب سردي قصصي ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾ (سورة مريم، 22 – 23).

لقد كان الله عز وجل دائماً يبلغ رسالته بطرق يوظف من خلالها شخصيات أنبيائه، فعندما أوحى الله بكلام إلى أنبيائه، فقد كان هؤلاء الأنبياء إنما يعبرون عن الرسالة بطرق تعكس خلفياتهم الثقافية وشخصياتهم، والأساليب البلاغية والأدبية المستعملة عندهم. وفي رسائل الحواريين، وجّه الله عز وجل باقتياد روحه الطاهرة العُلوية الحواريين لتسجيل ما أراده من الوحي من خلالهم. وقد شهد الحواري بولس بتلك الحقيقة «فنُخْبرَ عنه بِكَلامِ رُوحِ اللهِ الَّتي فِينَا، لا بِحِكْمَةِ النَّاسِ». (رسالة كورنتوس الأولى 2: 13].

كيف أصبحت الرسائل جزءاً من الإنجيل (العهد الجديد)

كان بعض المتلقين لهذه الرسائل أفراداً من المؤمنين، بينما كان آخرون جماعة من المؤمنين. وقد علم الحواريون أو ربّما توقّعوا أن تكون كلّ رسالة لابدّ من قراءتها لا من قبل متلقين متميّزين معيّنين متخصّصين فقط، بل لابدّ من قراءتها أيضاً على الملأ لآخرين من أتباع السيد المسيح وخصوصاً عند تجمّعهم واحتشادهم، مع العلم أن نسخاً من هذه الرسائل قد وزعت ووقع تداولها في مناطق أخرى. ونجد هذه التعليمات في رسالة بولس إلى أهل كولوسي 4: 16 «وأُوصِيكُمْ بَعْدَ قراءة هَذِهِ الرِّسَالَةَ

أَنْ تُرْسِلُوهَا إِلَى جَماعَةِ الإِيمانِ فِي اللاَّذِقِيَّةِ لِيَقْرَأُوهَـا أَيْضًا، واقْرَأُوا أَنْتُم بدوركم مَا أَرْسَلْتُهُ إِلَى إِخْوَانِنَا فِي اللاذقيَّةِ».

وقد لاحظ المؤمنون بأن الحواريين كانوا مختارين من قبل السيد المسيح لتعليمهم وإرشادهم، (انظر على سبيل المثال، رسالة تسالونكي الأولى 2: 13). وقد أدركوا أنّ هذه الرّسائل تتضمّن كلمات الله، لذلك سعى المؤمنون للحصول على نسخ من رسائل الحواريين الأخرى من المؤمنين المتواجدين في مناطق مختلفة في الإمبراطورية الرومانية. ورغم أنه لم يكن يوجد نظام خاص لتوزيع تلك الرسائل، لكن كانت بعض جماعات المؤمنين لديها رسائل أكثر من الجماعات الأخرى. وقد استغرق امتلاك جميع الجماعات لنسخ جميع الحواريين بعض الوقت، ومع نهاية القرن الثاني للميلاد، كانت جماعات المؤمنين قد تقبّلت بصورة شاملة السِيَر الأربعة حول حياة عيسى المسيح (متىّ، مرقس، لوقا، يوحنا)، كما تقبلوا رسائل بولس ضمن «القانون»، أي قائمة كتابات الوحي التي شكّلت الإنجيل، بالإضافة إلى سيرة الحواريين، وسرعان ما تمّ تقبّل رسالة بطرس الصخر الأولى ويوحنا الأولى بعد فترة، ثم رسالة العبرانيين، ورسالة يعقوب، ورسائل يهوذا وبطرس الثانية ويوحنا الثانية وكتاب الرؤيا.

وفي الختام، يمكن القول بأن الكتابات المكوّنة للإنجيل في القرن الرابع للميلاد (200 سنة قبل ظهور الإسلام) كانت تقريبا نفسها في جميع أنحاء العالم. ومع ظهور الإسلام في الجزيرة العربية، كان المسيحيون هناك يمتلكون الكتب المقدسة نفسها التي كانت في العالم القديم، وهي الكتب المقدسة نفسها المستعملة اليوم.

هل تعتبر رسائل الحواريين بمثابة الحديث النبوي

إن هذا السؤال جدير بالاهتمام، فعند شروع الانسان في البحث في أفكار جديدة بالنسبة إليه يحاول أن يصبغ عليها تفسيرا يتلاءم مع بيئته الثقافية والحضارية، فبالنسبة إلى المسلمين فإن الحديث النبوي موثّق وموثوق به، لكن لا يُنظر إليه على أن له المستوى نفسه والدرجة ذاتها من الوحي الإلهي الذي يحظى به القرآن. ومن الممكن أن يذهب بعض المسلمين في قولهم أنّ طريقة الحديث النبوي تحاكي طريقة رسائل الحواريين حول سيرة حياة السيد المسيح في السجلات الأربعة. ونجد من ناحية

أخرى أنّ بعض الكنائس تدعو الحاضرين للوقوف احتراما عند قراءة سيرة سيدنا عيسى المسيح، بينما لا تدعوهم إلى الوقوف عند قراءة الأقسام الأخرى من الإنجيل أو من كتبت الأنبياء الأوّلين.

ويسعى الناس من خلال هذا التقليد إلى رفع شأن السيد المسيح وتمجيده على الأرض كأمر بالغ الأهمية في الكشف الإلهي عن ذاته تعالى للإنسان عبر التاريخ، ولكن هذا لا يعني أن الرسائل والزبور والتوراة وغيرهم من كتب لأنبياء الأوّلين هي أقلّ درجة وأقلّ سلطة واعتماداً ووحياً. وفي الحقيقة كانت كتب الأنبياء الأولين الموحى بها قبل حياة السيد المسيح في الإنجيل بمثابة تحضيرات وإرهاصات للحدث المحوري الأساسي في تاريخ تجليات الله، ألا وهو تجلّي المسيح المنتظر المخلص، وقد جاء وصفه في الإنجيل وتحديدا في سيرة حياة سيدنا عيسى. أمّا رسائل الحواريين فهي من الوحي أيضا ولكنّها تبحث في كيفية سلوك الناس عند تقبّلهم رسالة السيد المسيح. وتتضمّن الرسّائل أيضا تفسيرات وتعاليم ومسائل تطبيقيّة تستند على رسالة السيد المسيح التي تمّ تسجيلها في السِيَر الأربعة لحياته. وربّما بإمكاننا أن نقارن مفهوم الوحي في السِيَر الأربعة ورسائل الحواريين مع مفهوم الوحي حسب الرؤية الإسلامية تجاه القرآن والحديث النبوي. فهذا النمط من الحديث أيضاً يُعتبر من كلام الله المباشر.

وفي نهاية هذا المدخل إلى رسائل الحواريين، علينا إدراك الهدف الأساسي منها ومن ضمّها إلى الإنجيل، ونجد في رسالة الحواري بولس إلى رفيقه في الدعوة تيموتاوي تأكيدا لذلك: «وأَمَّا أَنْتَ فَاثْبُتْ عَلَى التعاليم الَّتِي تلقّيتَها مِنّا وتَيَقّنتْ منها، لأنّك تثقُ بِالَّذِينَ أرشدوكَ، فمُنْذُ صِغَرِكَ اطّلعتَ عَلَى الكُتُبِ السَّماويةِ المُقدَّسَةِ، فهي تَجْعَلُ المُؤمِنَ حَكِيمًا لِيَنالَ النَّجاةَ بِإيمانِهِ بِسَيِّدِنا عِيسَى المَسِيحِ. فَهَذِهِ الكُتُبُ كُلُّها وَحيٌ مِن اللهِ، تُفيدُ في التَّعليمِ وفي ردّ الضلال وَفي تَصْحِيحِ الخطأ وفي الإرشاد إلى ما يُرضي الله، وبالإيمان بهذه الكتب يكونُ المؤمن التّقيّ الصالحُ مؤهّلاً لِلقيامِ بِكُلِّ الأعمالِ الصَّالِحَةِ». (رسالة تيموتاوي الثانية 3: 14-17)

مدخل إلى رسالة روما

من المحتمل أنّ الحَواري بولس قد كتب هذه الرّسالة في أواسط الخمسينيَّات من القرن الأول، وعلى الأرجح أنّه كتبها بين السنتين 55 و57 للميلاد. وربّما كتبها خلال رحلته الدّعَوية الثالثة عندما كان في كورنتوس (وهذه الرحلة ذُكرت في الفصل 20 من سيرة الحواريين).

ولم يحدث أن زار بولس روما من قبل، لكنه كان يعرف العديد من الأصدقاء المؤمنين فيها، وكان يتوق لزيارة تلك المدينة منذ سنواتٍ. ويبدو أنّ غرض بولس من كتابة هذه الرسالة هو التعريف بنفسه، استعدادا للزيارة التي ينوي القيام بها إلى روما، بعد أن يوصل المساعدات إلى فقراء المؤمنين بمدينة القدس (انظر هذه الرسالة 15: 31-32). ومن المرجّح أيضًا أنّ بولس أراد أن يجعل روما قاعدة لما ينوي فعله في المستقبل، بما في ذلك الدعوة إلى رسالة السيد المسيح في إسبانيا (انظر هذه الرسالة 15: 28)، فروما كانت في تلك الفترة عاصمة الإمبراطورية الرومانية إضافة إلى كونها أكبر المدن وأهمّها. وكان هدف بولس أيضا أن تنتشر هذه الرسالة بين مختلف مجموعات المؤمنين الذين كانوا يلتقون آنذاك في بيوت في مختلف أنحاء روما.

ومن المهمّ أن نفهمَ الخلفية التي أَطَّرت كتابة بولس لهذه الرسالة. فقد تناول في رسالته إلى أحباب الله في مقاطعة غلاطية الخلاف الذي وقع في أنطاكية بينه وبين يهود مدينة القدس (انظر رسالة غلاطية، الفصل الثاني). وكان يهود مدينة القدس يصرّون على إخضاع أتباع السيد المسيح من غير اليهود لعاداتهم وتقاليدهم بشكل ظاهر (مثل الختان، وشعائر الأكل، ومراعاة السبت) ليتمّ، حسب زعمهم، قبولهم عند الله بشكل كامل كجزء من شعب الله المختار، ولكن بولس عارضهم بشدّة وأصرّ على أن الإيمان بسيدنا عيسى المسيح (سلامه علينا) هو الشرط الوحيد للانتماء إلى أمّة الله. ومنذ ذلك الوقت أخذ بولس ينتقد الدعاة المخادعين الذين ادّعوا أنّهم حواريو السيد المسيح، وقد كانوا من يهود فلسطين. وكان شاغل هؤلاء الدعاة هو أن يتّبع

المؤمنون من غير اليهود كل تقاليد اليهود وممارساتهم إذا رغبوا في الانضمام إلى شعب الله المختار. ولقد حرص بولس على أن تظلّ العلاقة طيّبة بين أتباع السيد المسيح من اليهود وإخوانهم من غير اليهود. وهكذا عمل بولس في الفترة التي سبقت كتابته للرسالة إلى مؤمني روما على جمع التبرعات من مؤمني الجماعات التي أسسّها، قصد إيصالها إلى فقراء مؤمني مدينة القدس، تعبيرًا عن وحدة المؤمنين.

يتطرّق بولس في رسالته إلى مؤمني روما إلى الموضوع نفسه الذي سبق أن تطرق إليه في رسالته إلى مؤمني غلاطية (انظر مدخل رسالة غلاطية)، إلاّ أنّ تناوله للموضوع في هذه الرسالة كان أكثر شمولاً. فمن الواضح أن خطابه غالبا ما كان يوجّهه إلى أتباع السيد المسيح من غير اليهود الموجودين في روما، وهيمن موضوع العلاقة بين اليهود وغير اليهود على الرسالة، بالإضافة إلى مسائل أخرى من قبيل طرح هوية من ينتمي حقًّا إلى أمّة الله، وطبيعة الرسالة السماوية التي لم تعد تقتصر على اليهود بالرغم من أنها ما تزال تعتبر وضعهم متميّزًا. إنها مسألة هامة حين نعلم أن عدد اليهود في روما كبير، إذ كانوا يعدّون بعشرات الآلاف، وكان بعضهم يؤمنون برسالة السيد المسيح. فقد كان في روما ما لا يقلّ عن ثلاثة عشر بيت عبادة لليهود، إضافة إلى أنّ عددًا كبيرًا من غير اليهود كانوا يميلون إلى تعاليم الديانة اليهودية، إلا أن معظم هؤلاء ينفرون من عملية الختان التي كانوا يعتبرونها تشويهًا للجسد، فكان إقبالهم كبير على شكل جديد من الإيمان التوحيدي الذي يعفيهم من مسألة الختان، ويكون أقل ارتباطا بالهوية اليهودية.

وربما كان من بين دوافع كتابة هذه الرسالة التنافس الذي حدث بين أفراد من المؤمنين من غير اليهود وآخرين من اليهود حول قيادة الجماعات، خاصّة إثر عودة المؤمنين من اليهود في زمن حكم الإمبراطور نيرون إلى روما، بعد أن طرد الإمبراطور كلوديوس كل اليهود منها في حوالي سنة 49 للميلاد. وقد كانوا يشرفون على بيوت العبادة بأنفسهم قبل طردهم، وعندما رجعوا إلى روما وجدوا بعض المؤمنين من غير اليهود قادةً للجماعات، فحصل هذا التوتر الذي يشير إليه بولس في هذه الرسالة.

وعندما آمن بولس أنّ سيدنا عيسى (سلامه علينا) هو المسيح الملك المنتظَر، لم يعتبر ذلك تحوّلاً من اليهودية إلى ديانة جديدة، بل اعتبر إيمانه الجديد ختام مقاصد

التعاليم اليهودية التي ترعرع فيها. ولم يشعر بولس مطلقا أنه تخلّى عن هويّته اليهوديّة أو أنه أسّس ديانة جديدة، بل أعلن أن إنتماء الإنسان إلى أُمّة الله، وحصوله على نصيبه من ميراث الوعود التي أعطاها الله إلى النبي إبراهيم (عليه السّلام)، مسألة غير مشروطة بخروجه من اليهوديّة أو إنتمائه إليها، بل إنّها مسألة مشروطة بتوكّله الكامل على الله تعالى من خلال رسالة سيدنا عيسى المسيح.

بسم الله تبارك وتعالى

رسالة الحَواريّ بولس إلى أحباب الله في روما

الفصل الأوّل

1: 1–7 تحيّة

من بولُسَ خادِمِ مَولايَ عيسى المَسيحِ، إلى أحبابِ اللهِ المؤمنينَ في مَدينةِ روما، الَّذين استَجابوا لِدَعوةِ اللهِ ليُصبِحوا مِن عبادِهِ الصّالحين. السّلامُ عليكم والرّحمةُ مِنَ اللهِ أبينا الأحدِ الصَّمَد، ومِن سيِّدِنا عيسى المَسيح (سلامُهُ علينا). إنّي أكتبُ إليكم هذه الرِّسالةَ لأنّ اللهَ اختارني أن أكون حَوارِيًّا، وخَصَّني لأُبلغَ رِسالتَهُ تَعالى. إنّها بُشْرَاهُ الّتي وَعَدَ بها من قَبلُ في الكُتُبِ السّماويّةِ على ألسِنةِ الأنبياءِ، بُشراهُ بسيِّدِنا عِيسَى الابنِ الرُّوحيّ لله الّذي يَمِلُكُ الحقَّ أن يَكونَ الابن الرُّوحيّ له تَعالى في نظرِ البشرِ لأنّهُ حفيدُ النَّبيِّ داوُدَ.[1] في حين أنّ اللهَ خَصّه بهذه المكانةِ بقوّةٍ خارقةٍ عندما بعثَهُ حيًّا من بين الأموات بروحِهِ تَقدَّس وتَعالى.[2] ولقد أنعم اللهُ عليّ فجعلني حَواريًّا بفضلِ سيِّدِنا

(1) جاء في كتب الأنبياء أن المسيح المنتظر سيأتي من نسل النبي داود ويرث عرشه (انظر كتاب النبي أشعيا 11: 1–10، وكتاب صموئيل الثاني 7: 11–14). كما أشار الحَواري متّى ولوقا رفيق الحواريين إلى أنّ السيد المسيح ينحدر من نسل النبي داود (عليه السّلام).

(2) عبارة «الابن الروحي لله» الواردة هنا هي ترجمة للعبارة اليونانية التي عُرّبت بصيغة «ابن الله». وقد فهم الناس في العصر الروماني هذه العبارة بطرق مختلفة حسب تعدّد خلفياتهم. واعتبر الرومان الوثنيون أنّ هذه العبارة إشارة إلى أن السيد المسيح منافس للإمبراطور الذي يحمل اللقب نفسه آنذاك. وقد ارتبطت هذه العبارة في كتب الأنبياء الأقدمين بالملوك من نسل النبي داود (عليه السّلام)، وتحديدًا بالمسيح الملك المنتظر وهو أعظمهم وآخرهم (انظر هذه الرسالة 1: 3، وكتاب صموئيل الثاني 7: 14؛ وكتاب الزبور، مزمور 2: 7، ومزمور 89: 27). ويشير الحواري يوحنّا بهذه العبارة إلى السيد المسيح، وهو الكلمة الأزلية التي صارت بشرًا، وإلى العلاقة الحميمية بين سيدنا عيسى (سلامه علينا) وبين الله. فقد أحبّه تعالى محبّة تفوق في عظمتها محبة الأب لابنه. ويصف الحواري بولس قيامة سيدنا عيسى (سلامه علينا) باعتبارها تتويجًا، به جعله الله ملكًا على مملكته الأبدية، ورائدًا لكلّ من يقوم خالدًا يوم الدين.

المَسيحِ، حتّى أبلّغَ النّاسَ مِن كلِّ الأُمم رسالتَهُ ليؤمنوا بها، فيطيعوه ويعظّموا اسمَهُ تعالى. وقد اختاركم أنتُم أيضًا ودَعاكم لتنتموا إلى سيّدِنا عِيسَى المَسيحِ.

1: 8-17 بولس ينوي زيارة المؤمنين في روما

دعوني أكتب أوّلاً أنّي أشكرُ اللهَ بفضلِ سيِّدِنا عِيسَى المَسيحِ على ما أنعمَهُ عليكم جميعًا مِن إيمانٍ، لأنّ أخبارَ إيمانِكم بسيّدِنا المَسيحِ قد انتشرت في كلِّ مكانٍ واللهُ الّذي أخدِمُهُ مُخلِصًا بتبليغِ البُشرى بالمسيح الابنِ الرُّوحيّ له تعالى بينكُم، يعلم أنّي أدعو وأتضرّعُ لكم دائمًا، وإنّي، في دُعائي، أطلبُ مِن اللهِ أن تتيسّرَ لي بإذنِهِ زيارتُكُم، لأنّي مُشتاقٌ جدًّا إلى مُجالستِكم لأُعطيَكُم كرامةً مِن روحِ اللهِ تُرسّخُ إيمانكم. فإذا صرتُ بينكُم، فإنّي أريدُ منكُم أن تشدُّوا عَزمي وأشُدَّ عزمَكُم أنا أيضًا.

إخوتي في الله، كونوا على يَقينٍ أنّي عزَمتُ مَرّاتٍ عَديدة أن أزورَكم، ولكنّ ظروفًا تمنعني حتّى الآن. إنّي أريدُ أن أُرشِدَ غيركم مِن النّاس في روما إلى الإيمانِ الكريم، كما كان شأني في سائر الدُّروبِ، لأنّي أجدُ في نفسي شعورًا بواجبٍ عظيم أن أُبلّغَ رسالةَ السّيّدِ المَسيحِ إلى كلّ الشُّعوبِ، المُتحضِّرةِ منها وغيرِ المُتحضِّرةِ، والمُثقّفةِ منها وغيرِ المُثقّفةِ على حدٍّ سواء، لذلك فأنا مُشتاقٌ إلى زيارتِكم في روما، حتّى أدعوَ النّاسَ إلى الإيمانِ برسالةِ السّيّدِ المَسيحِ.

أيُّها الأحبابُ اسمعوني، أنا لا أتردّدُ أن أناديَ برسالةِ السّيّدِ المَسيحِ، لأنّ فيها قوّةَ اللهِ الّتي تُنَجّي كلّ من يؤمنُ بها، ليس اليهود وحدهم بل سائر العالَمين أيضًا، فقد أعلن اللهُ في هذا البلاغِ إخلاصَهُ نحو ما أقامه من عُهودٍ ووُعودٍ مع عبادِهِ، بدءًا من أمانتهِ وانتهاءً بإيمانِنا، وفقًا لما أوحَى به في الكتابِ إلى النّبيِّ حَبْقوق: «كلُّ مَن يَرضى اللهُ عنهُ، يحيا بالإيمانِ الحياةَ الرَّضيّة».[1]

1: 18-25 الإنسان ظلوم كفور

يتنزّلُ غضبُ اللهِ مِن السّماءِ على النّاسِ لِآثامهم وشرِّهم، أولئك الّذين يُعارِضونَ الحقَّ بما يقترِفونَهُ من فسادٍ، أمّا مَن كان يرغبُ في مَعرفةِ اللهِ، فإنّه قادرٌ على ذلك، لأنّ اللهَ قد كشف جلِيًّا عن حقيقتِهِ في الكونِ للنّاسِ جميعًا. فرغم أنّه تعالى لا تُدرِكه

(1) أُخذت هذه الكلمات من كتاب النبي حبقوق 2: 4

الأبصارُ، لكنّ النّاسَ كُلّهم قادرونَ مُنذ بدايةِ الخلقِ على رُؤيةِ قُوّتِهِ السَّرمَدِيّةِ وصفاتِه الحَميدةِ بكلِّ وُضوحٍ. فلا عُذرَ إذَن للّذين لا يُؤمنونَ به سُبحانه وتعالى. فرغم أنّ اللهَ أخبرهم بصفاتِه الّتي يَعرِفونَها لكنّهم لم يُقدِّروا شأنَه ولم يحمدوه، بل زاغت أفكارُهم، وصارت قلوبُهم سوداءَ لا تفهمُ ولا تَعي، وهم يدّعون الحِكمةَ، مع أنّهم في الحقيقةِ تائهونَ في غبائِهم، وبَدلاً من عبادةِ اللهِ الجليلِ الحيِّ الّذي لا يموت، كانوا يتقرّبونَ إلى النُّصُبِ والأصنامِ المَصنوعةِ على شكلِ إنسانٍ فاني أو طيورٍ أو حيواناتٍ أو زَواحِف.

لذلك تركهمُ اللهُ في أفكارِهِم الشَّهوانيّة، فكانوا نَجِسين، يدنّسونَ أجسادَهُم فيما بينهم بكلّ الفواحش، ويتّخذونَ الباطلَ بدلاً من حَقِّ اللهِ، ويَعبدونَ المَخلوقَ بدلاً من الخالقِ. فلْيتبارك سُبحانَهُ إلى أبدِ الآبدين. آمين.

1: 26ـ32

لذلك ترك اللهُ هؤلاء الأغرابَ الوَثَنيّين يَنجرِفونَ في شهواتِهِم المُشينة، إذ استبدَلَتْ نساؤُهُم الوِصالَ الطّبيعيَّ بوِصالٍ شاذّ، كما اعتزَلَ الرِّجالُ النّساءَ، وأحرَقَتهم الشّهوةُ فيما بينهم، وارتكبوا الفَحشاءَ، فجلبوا على أنفسِهِم عِقابَ اللهِ العادِلَ لضَلالِهِم الّذي فيه يتخبَّطونَ.

وبما أنّهُم رفضوا الاعترافَ باللهِ، فقد تركهم إلى فسادِ تَدبيرِهِم، يَقودُهم إلى كلّ عملٍ مُهينٍ. وصارَ الشّرُّ بكلِّ أنواعِهِ يملأُ حياتَهُم: الفسادُ والطَّمعُ والخُبثُ والحسَدُ والقتلُ والخِصامُ والمكرُ والسّوءُ. يعيشُون في النّميمَةِ والغَدرِ، ويكرهونَ اللهَ ويشْتمونَ ويتكبّرونَ ويمشونَ في خُيَلاءَ، هم بارِعونَ في فِعلِ الشّرِّ ولا يُطيعونَ الآباءَ، وليس لهم فَهمٌ ولا شَرَفٌ ولا مَوَدّةٌ ولا رحمَةٌ ورغم أنّهم يُدرِكونَ أنّ اللهَ حَكمَ بالهَلاكِ على كُلِّ من أتى هذه الرَّذائل، فإنّهُم يقترِفونَها ويَمدَحونَ مُقترِفيها.

الفصل الثّاني

2: 1ـ11 لا تفرقة في حكم الله

أمّا أنتم يا مَن تَستمِعونَ إلى رسالتِي من بَني يَعقوب، إن أدَنتم هؤلاء الأغرابَ

الوَثَنيّينَ، فقد أدنتم أنفسَكُم أيضًا لأنّكُم تتشبَّهونَ بهم في أعمالِهِم، ولا عُذرَ لكم في ذلك! فإذا طالَبتم بعِقابِ هؤلاءِ الأعرابِ، فإنّكم تَستحِقّونَ عينَ العِقاب، لأنّكم ترتكِبونَ السيِّئاتِ نفسَها![1] ونحن نعلَمُ أنّ اللهَ يُدينُ بالعَدلِ كلَّ من يقترِفُ هذه الآثامَ. فهل تظنُّونَ، وأنتم تُدينونَ مَن يفعلُها، ثمّ ترتكِبون أعمالَهم، أنّكُم ناجُونَ من عقابِ اللهِ؟ أم هل تَستَهينونَ بمَن يَصبِرُ عليكم كثيرًا ويُعامِلُكم بلُطفِه وصبرِهِ تعالى؟ ألا فاعلمُوا أنّه كان لطيفًا حليمًا بكُم من أجلِ أن يدفعَكم إلى التوبَةِ!

لكنّكُم بعنادِكُم وغَلاظةِ رِقابِكُم تجلِبونَ على أنفُسِكُم عِقابًا شديدًا يَحِلُّ عليكم يومَ الدِّينِ، يَومَ يُنزِلُ اللهُ غضبَهُ وجزاءَهُ العَادِلَ على العالَمينَ. إنّ اللهَ سيُجازي كُلاًّ على أعمالِهِ.[2] يُجازي بدارِ الخُلدِ الّذين يُواظِبونَ على الخَيرِ ويهتَمّون بشرَفِ الآخِرةِ وجلالِها وبقائِها، أكثر من اهتمامِهِم بهذه الدُّنيا. ويُسَلِّطُ غضَبَهُ وغَيظَهُ على كُلّ الّذين تَمرَّدوا عليه، أولئك الّذين رفضوا الحقَّ، واتّبعوا الباطِلَ. إنّ للأشرارِ، يَهُودًا كانوا أم غير يَهودٍ، وَيلاً وعذابًا شديدًا عند اللهِ. وإنّ اللهَ يَجعلُ كلَّ صاحبِ خَيرٍ ذَا سَلام شَرِيفًا مَهيبًا، سواءً كان يهوديًّا أم غير يهوديّ، فلا مُحاباةَ عند اللهِ، وما هو بظَلاّمٍ لِلعَبيدِ.

2: 12ـ16

ويُعاقِبُ اللهُ الأعرابَ الّذين يقترفون الذّنوب، رَغم أنّهم لم يسمعوا أبدًا بإنذارِ التّوراة، ويُعاقِبُ أيضًا كلَّ مُذنبٍ تحت حِمايةِ التّوراة، حَسَبَ ما ورد فيها. فلا يَكفي أن يعرِفَ النّاسُ التّوراةَ حتّى يحصُلوا على مَرضاةِ اللهِ، بل من عَمِلَ بِتعاليمِها ينالُ مَرضاتَه تعالى. وغير اليهود الّذين لا يملكونَ كِتابَ اللهِ، تبدو آثارُه في حياتِهم عندما يتّبعونَ بالفِطرَةِ ما ورد في التّوراةِ، رغم عدم اطّلاعِهم عليها، ويكشِفونَ أنّ جَوهرَ التّوراةِ دَفينٌ في قلوبِهِم، فإنّ ضمائرَهم وأفكارَهم تُرشِدهم، فتتّهِمُهُم بالخَطإِ حينًا، وتدافِعُ عنهُم حينًا آخرَ. كلُّ هذا سيظهرُ جليًّا يوم يُحاسِبُ اللهُ أسرارَ النّاسِ من خلال سَيِّدِنا عِيسَى المسيحِ. وهذا هو البيانُ الرّبّانيُّ البشيرُ الّذي أُنادي به.

---

(1) يشير بولس هنا إلى الاعتقاد السائد في زمنه بين اليهود إذ كانوا يعتبرون أنفسهم أفضل من غيرهم بامتلاكهم توراة النبي موسى (عليه السّلام). وقد اعتبر هؤلاء أنّ غير اليهود يجهلون كتاب الله ومنحرفون أخلاقيًّا.

(2) يقتبس بولس هنا آية من كتاب الزبور، مزمور 62: 12 (انظر أيضا كتاب أمثال النبي سليمان 24: 12).

2: 17ـ24 الدّخول إلى أُمّة الله لا يكون بشكليّات شريعة بني يعقوب

فاسمَعِ الآن، يا من تفتخِرُ بأنّك يَهوديٌّ! أنت تستَكينُ لراحَةِ بالِكَ وضميرِكَ، إذ تعتمدُ على دينك أساسًا لِتُقبَلَ عند اللهِ، وتفتخِرُ أنّ اللهَ رَبُّكَ دون الآخرينَ. أَجَل، أنت تعرفُ ما يُرضيهِ، وتُفرّق بين الحقِّ والباطلِ لأنّك تعلَّمتَ الكتابَ وما فيه، وأنت تَزعُم أنّك قائدٌ لِمَن كان أَعمى تَهديهِ، وأنّك تُنوِّرُ دربَ السّالِكينَ في سَوادِ أعمالِهِم، مُدَّعِيًا أنّك مُرشِدٌ لِلجَهلةِ، ومُعلِّمٌ لِلبُسطاءِ، لأنّك بلَغتَ في التَّوراةِ حَقَّ اليَقين. فابصِرْ، يا مَن تُرشِدُ غيرَكَ، لماذا لا تكونُ لنَفسِك مُرشِدًا؟ فإذا نادَيتَ: «أيُّها النّاسُ لا تَسرِقوا». فهل يَحقُّ لك أن تكون سارِقًا؟ وإذا رَدَّدتَ: «لا تَزنوا». فهل يَجوزُ لك أن تَزني؟ أنت تَكرَهُ الأصنامَ، فهل يَحقُّ أن تنهَبَ مَعابِدَ الوَثَنيّينَ؟[1] أنتَ تفتخِرُ أنَّكَ عالِمٌ بِكِتابِ اللهِ، ولكِنّكَ تُشَوِّهُ اسمَهُ بِعِصيانِك لأَوامِرِهِ تَعالى، فقد جاء على لسانِ النَّبيِّ أشعيا: «وإنَّكُم سببٌ يَجعَلُ سائِرَ الأُمَمِ يَستَهينونَ بِاللهِ».[2]

2: 25ـ29

فابصِروا يا بني يَعقوبَ، إنّ لِلخِتانِ قيمَةً حين تَعمَلون بِوَصايا التّوراةِ. أمّا إذا خالَفتُموها، فأنتم كالوَثَنيِّ غَيرِ المَختونِ![3] والأَغرابُ حين يَتّبِعونَ التّوراةَ، وإن لم يَكونوا مَختونينَ كاليَهودِ، فإنّ اللهَ يَنظرُ إليهِم كما يَنظرُ إلى المَختونينَ مِن أُمَّتِهِ! فلا رَيبَ أنّ غيرَ المَختونينَ الّذين يتّبِعونَ مَقصَدَ التّوراةِ سَيُدينونكُم لأنّكم تَتمسَّكونَ بشكليّاتِ التَّوراةِ والخِتانِ وتتركونَ مَقاصِدَهُما! فالانتِماءُ إلى أُمّةِ اللهِ لا يَتِمُّ حَسَب ظاهِرِ الشّخصِ ولا لأنّه يَهوديٌّ أو خُتِنَ خِتانًا جَسَديًّا، بل يَنتمي إلى أُمّةِ اللهِ مَن أخلصَ قلبُهُ للهِ. وليس ما تَفرضُهُ التّقاليدُ عن الخِتانِ هو خِتانًا حَقيقيًّا، كلاّ! بلِ الخِتانُ أن يَتطهَّر

(1) كان الوثنيون يخزّنون مبالغ هائلة من الأموال في أماكن خاصة في معابدهم، شأن بيت الله في مدينة القدس، حيث كانوا يخزنون أموالهم، لاعتقادهم أنّ اللصوص يحترمون قدسية المكان، ويخشون من انتقام إله المعبد إذا أقدموا على سرقته.

(2) يقتبس بولس هنا من كتاب النبي أشعيا 52: 5 في الترجمة اليونانية. (انظر أيضا كتاب النبي حزقيال (ذو الكفل) 36: 20-23).

(3) قضت شريعة موسى (عليه السّلام) بختان ذكور اليهود في نهاية الأسبوع الأول من ولادتهم (انظر سفر اللاويين 12: 3). والختان علامة على دخولهم في الميثاق الذي أقامه الله مع النبي موسى فوق جبل سيناء. ولكنه يفقد قيمته إذا لم يصاحبه خضوع للشريعة، وهذا شرط يلتزم به كل من دخل تحت الميثاق المذكور. فقيمة الختان تكمن في كونه علامة ظاهرة عن حقيقة باطنة.

قلبُ الإنسانِ برُوحِ اللهِ طَهارَةً رُوحِيَّةً. ومَن كان طاهِرًا طُهرًا ربّانيًّا، فقد يَغفلُ عنه النّاسُ ولكنّه عند اللهِ يَكونُ مَرضيًّا.

الفصل الثّالث

3: 1-8 اليهود وغير اليهود خطّاؤون

قد يبدو مِن الكلام السّابقِ أنّهُ لا فَضلَ لِليهودِ على سائرِ النّاسِ، وأنّه لا فائدةَ من الخِتانِ لأحدٍ. ولكنّ الحقيقةَ أنّهم يَحظونَ بامتيازاتٍ كثيرةٍ، أهمُّها أنّ اللهَ ائتمنَهُم على كلامِهِ، فكيف لو كان بعضُهم غير أمين؟ أيُبطلُ عصيانُهُم وفاءَ اللهِ؟ كلاّ! صدق اللهُ ولو كذَبَ كلُّ النّاسِ، فلقَد وَرَدَ في الزّبور: «اللّهمَّ أنت صادِقٌ في حُكمِكَ عندما تَحكُمُ عليّ لأنّي مُذنبٌ، وأنت على الحَقِّ عندما تَدينُ».(1)

وقد يقولُ أحدٌ مِن بني يَعقوبَ: «إن لم نُخلِصْ لِميثاقِ اللهِ، فلا ضَرَرَ، لأنّه بفسادِنا سيَظهَرُ وفاءُ اللهِ لِعُهودِهِ بشَكلٍ أوضح، أليس مِن الظّلم إذن أن يُنزلَ اللهُ علينا عقابَهُ؟» إنّ هذا سؤالٌ لا يتجاوزُ وجهةَ نظر بشريّة! حاشا لله! كيف يكونُ اللهُ ظالمًا لعبادِهِ؟ فإن لم يكُن حاكمًا عادِلاً على ذُنوبِ بني يعقوبَ وخطاياهُم، فهل يكون عادِلاً حين يَحكُمُ على البشرِ أجمعينَ؟!

وقد يَحتجُّ أحدُهُم قائلاً: «إن كان عدم إخلاصي للهِ يُظهِرُ أنّه وفيٌّ لوعودِهِ، فكيف أكونُ إذَن مُذنبًا وذنبي يكشفُ جلالَ اللهِ؟» وإنّ بعضَ النَّاسِ يَفترونَ علينا نحن الحَوارِيّينَ حين ينسِبونَ إلينا هذا القولَ: «لماذا لا نَفعلُ الشّرَّ لكَي يأتي منه الخيرُ؟» فلِيتنزَّل العقابُ العادلُ على مَن افترى علينا هذا الافتراء!

3: 9-20

فما هي خُلاصة الأمر إذن؟ أتُرى اللهَ يُحابينا نحن بني يعقوبَ فيُحسِن إلينا دون الآخرين؟ كلاّ، فلقَد أكّدتُ آنفًا أنّ اليهودَ وسائرَ الأُمم مُتساوونَ، وأنّهم تحت وطأةِ ذُنوبِهِم وخطاياهُم كما جاءَ في كتابِ اللهِ: «لا أحَدَ مُخلِصٌ للهِ أبدًا، ولا أحدَ يفهمُ

(1) كتاب الزبور، مزمور 51: 4.

حقَّ اللهِ، ولا أحدَ يطلُبُ اللهَ، كلُّهُم ضَلّوا وفَسَدوا، فلا أحدَ يعملُ الخيرَ، لا أحدَ. كلامُهُم عَفِنٌ كرائحَةِ قَبرٍ مَفتوحٍ، أَلسنَتُهُم لا تنطقُ إلاّ بالخِداعِ والمَكرِ، وعلى شفاهِهِم سُمُّ الثّعابينِ، وفي أفواهِهِمُ اللَّعنُ والكلامُ المَريرُ. كلّهم يُسارِعونَ إلى سَفكِ الدِّماءِ، يَنشُرونَ الخَرابَ والبؤسَ في الطُّرُقِ الّتي يَسلُكونَها، ويَجهَلونَ طَريقَ السّلامِ، ولا يتّقونَ اللهَ أبَدًا». (1)

إنّ هذه الأقوالَ هي من كُتُبِ الأنبياءِ. وكما تعرفونَ، فإنّ أهلَ الكتابِ تحت حمايتِهِ. فَقَصدُ الكتابِ أن يرُدَّ أعذارَ النّاسِ وما يحتجّونَ به، يَهودًا كانوا أم مِن سائرِ الشُّعوبِ، وأن يُبيِّنَ لهم أنّ قصاصَ اللهِ يُطبَّقُ على كلِّ البشرِ. فاللهُ لا يَرضى عن أحد بتمسُّكِهِ بشكليّاتِ التّوراةِ، وإنّما تهدفُ التّوراةُ إلى جعلِنا واعين حقيقة الإثمِ في حَياتِنا. (2)

3: 21-26 القبول عند الله بحقّ السّيّد المسيح

ولقد أظهر اللهُ أنّه أمينٌ في كلِّ وُعودِهِ بِغضِّ النّظرِ عن الشَّرعِ اليَهوديِّ، كما وَرَدَ في التّوراةِ وصُحُفِ الأنبياءِ الأوّلينَ. واللهُ يُبيِّنُ صِدقَهُ لعُهودِهِ عندما يَرضى عنّا لأنّ سيِّدَنا عِيسَى المَسيحِ مُخلِصٌ لما كلَّفَهُ به، فلا فرقَ في ذلك بين يَهوديٍّ أو غيره، فاللهُ يَختارُ مَن يُخلِصُ له في الإيمانِ، لأنّ كلَّ النّاسِ يخطِئونَ ولا يَبلُغونَ المَقامَ المَجيدَ الّذي أرادَهُ اللهُ لهم. لكنّه رضي عنّا بفَضلِهِ من خلالِ سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ عندما حرَّرَنا دون مُقابلٍ مِن آثامِنا، وعَيَّنَهُ ليُضحّي بحياتِهِ حتّى يَمحوَ ذُنوبَ المؤمنينَ، فيَرضى عنّا

---

(1) يقتبس الحواري بولس هنا (حسب الترتيب الوارد في الرسالة) من كتاب الزبور، مزمور 14: 1-3 ، ومن كتاب الخطيب الحكيم (أي سفر الجامعة) 7: 20، ومن مزمور 5: 9، ومن مزمور 140: 3، ومن مزمور 10: 7، ومن أشعيا 59: 7-8، ومن مزمور 36: 1.

(2) وردت كلمة «شكليات التوراة» هنا كترجمة لكلمة «إيرغون نومو» ergon nomou اليونانية، وهي تدلّ في هذا السياق على مجموع العادات والتقاليد الإنسانية المتّبعة لمرضاة الله. فقد أمر سبحانه في التوراة بني يعقوب أن يتّبعوا عادات وتقاليد معيّنة لتساعدهم على عبادته والعيش بسلام فيما بينهم. وقد حاول بنو يعقوب وعلماؤهم وأحبارهم تأويل هذه العادات والتقاليد وسط تقلّبات ظروف حياتهم. وواصل سيدنا عيسى (سلامه علينا) تأويل هذه العادات والتقاليد إذ قال (سلامه علينا) إنّ التوراة تُختصَر في وصيّتين هما: "أحبَّ الله" و"أحبَّ جارك" (انظر متى 22: 37- 40). وحاول الحواري بولس أيضًا تأويل هذه العادات والتقاليد عندما اعتبر أن القبول عند الله يكون بواسطة الإيمان لا بواسطة اتّباع التقاليد والعادات القديمة لبني يعقوب (انظر هذه الرسالة، 3: 28).

حين نتّكلُ على تضحيتِهِ بدَمِهِ في سبيلِ النّاسِ. وهكذا تظهَرُ أمانةُ اللهِ لوعودِه، لأنّه كان حَليمًا على الّذين أذنبوا سابقًا، فامتنعَ عن عِقابِهِم. وأمهلَهُم حتّى يُظهِرَ رِضاهُ في الوقتِ الحاضِر، فاللهُ يَرضى عن كلّ مَن كان تابعًا مُخلِصًا لسَيّدِنا عِيسَى، وإنّ هذا دَليلٌ على أنّهُ أَعدلُ الحاكِمينَ.

3: 27-31 الله هو ربّ النّاس جميعًا

مِن الخطَإ أن يَتباهى بنو يَعقوبَ بأنّهم مُفضَّلونَ، فلا مَجالَ لِلتَّباهي أبدًا، ونحن لا نكترِثُ بشَكليّاتِ التّوراة، بل نهتمُّ بالإيمانِ! وخُلاصةُ حديثِنا أنّ اللهَ يَرضى عن الإنسانِ لإيمانهِ بسيِّدِنا المَسيحِ، لا لِتمسُّكِهِ بشَكليّاتِ التّوراة. فهل يكونُ اللهُ رَبَّ اليَهودِ فقط، أم هو ربُّ النّاسِ جميعًا؟ لا رَيبَ أنّه ربُّ النّاسِ جميعًا! فاللهُ فَردٌ صَمَدٌ، والطريقُ إلى مَرضاتِهِ واحدةٌ لا تتعدَّدُ، وهي طريقُ هذا الإيمانِ، سَواءٌ كُنّا من بني يَعقوبَ أم من سائرِ الشُّعوبِ. فهل نَعني بكلِّ هذا أنّنا نُلغي التّوراةَ؟ كلاّ، لا سَمَحَ اللهُ! بل إنّنا بإيمانِنا نُساندُ التَّوراةَ.[1]

الفصل الرّابع

4: 1-12 النّبي إبراهيم وأُمّة المؤمنين

ولنَذكُرِ الآن النّبيَّ إبراهيمَ، جَدَّ آباءِ بني يَعقوبَ، ماذا رأى عن قُبولِ اللهِ لِلمؤمنين؟ فلو رَضيَ اللهُ عن النّبي إبراهيمَ لِطاعتِهِ شَرعَ التَّوراةِ، لأصبحَ مِن حقِّهِ أن يَفتخِرَ أمامَ النَّاسِ، ولَكن ليسَ أمامَ اللهِ، فَلقد جاءَ في التّوراةِ: «آمَنَ إبراهيمُ بوعدِ اللهِ فحَسَبَهُ تَعالى مَرضيًّا».[2] إنّ لِلعامِلينَ عندَ النّاسِ أُجرَةً، وهي حَقُّهُم وليسَت هَديّةً أو مِنّةً. أمّا مَن لا

(1) لم يكن بولس ينوي الطعن في التوراة أو إلغاؤها أو نسخها عندما قال إن القبول عند الله لا يكون باتّباع العادات والتقاليد في التوراة، بل كان يتصدّى فقط لليهود الذين يسيئون استخدام التوراة عندما حصروا وظيفتها الأساسيّة في كونها علامة تميّزهم عن غيرهم. ومن هنا تتجلّى القيمة الإيجابية التي أولاها بولس للتوراة رغم انتقاده لليهود الذين يفرضون على غيرهم اتّباع العادات والتقاليد المذكورة فيها.

(2) يقتبس بولس هنا من التوراة (سفر التكوين 15: 6) أين يكرّر الله الوعود التي أعطاها في البداية

يَنظُرُ إلى أعمالِهِ بل يتوكّل على اللهِ، فيَحسَبُهُ اللهُ مَرضيًّا، لأنّه يتقبَّلُ توبةَ الآثمين. وهكذا أخبرَ النَّبيُّ داودُ بِالوَحي عن هَناءِ مَن حَسَبَهُ اللهُ مَرضيًّا بِغَضِّ النَّظَرِ عَن طاعتِهِ لِلشَّرعِ،[1] فقال: «هَنيئًا لِمَن يغفِرُ اللهُ له ذنوبَهُ ويعفو عن خطاياهُ. هنيئًا لِمَن لا يحسِبُ اللهُ له خطاياه».

فهل كُتِبَ الهناءُ لليهودِ فقط، أم يشمَلُ أيضًا الأغرابَ غيرِ المَختونينَ؟ فقد ذكرنا ما وَرَدَ في الكتابِ، أنّ اللهَ تقبَّلَ إبراهيمَ وحَسَبَهُ مَرضيًّا على أساسِ إيمانه بوعدِهِ تعالى. فمتى رضِيَ اللهُ عنهُ (عليه السّلام) وعن إيمانِهِ؟ أقَبلَ خِتانِهِ أم بعدَهُ؟ لقد كان ذلك قَبلَ الخِتانِ،[2] وكان خِتانُهُ علامةً وبُرهانًا أنّ اللهَ رضِيَ عنه قَبلَ أن يَكونَ مَختونًا. فصار النَّبيُّ إبراهيمُ أبًا لكلِّ مؤمنٍ من غيرِ اليهودِ، الّذين يَحسبُهم اللهُ من المَرضيّين بسببِ إيمانِهم. وهو كذلك أبو اليهودِ الّذين لا يَعتمِدونَ على خِتانِهِم، بل يسيرونَ على خُطى إيمانِ أبينا إبراهيمَ قبلَ خِتانِهِ.

4: 13ـ17

ولمّا وعَدَ اللهُ النَّبيَّ إبراهيمَ ووَعدَ نَسلَهُ أن يَجعلَهُم ورثةً للعالَم، لم يَكن ذلك بسببِ انتمائِهِم إلى أهلِ التّوراةِ، لأنّ اللهَ أنزَلها بعدَه بقُرونٍ، لكنّه رضِيَ عن إبراهيمَ وعن إخلاصِه لأنّه توكّلَ على وَعدِهِ تعالى. فلو ادّعى أحدٌ أنّ أهلَ التّوراةِ هم وَحدَهُم يُدركون هذا الوعدَ، لأصبحَ الإيمانُ بوعدِ اللهِ والانتظارُ لتحقيقِهِ عبثًا! لأنّ غايةَ التّوراةِ أن تُوَضِّحَ لأهلِها أنّهم مِنَ المُخالفينَ، واللهُ يُرسلُ غضبَهُ على كلِّ المُخالفينَ. وحَيثُ لا يُوجَدُ شَرعٌ أو قانونٌ، لا يُوجَدُ مُذنِبونَ أو مُخالِفونَ.

إنّ الوعدَ إذَن هديّةٌ وضَمانٌ لجميعِ آلِ إبراهيمَ الّذين يَتوكّلونَ على اللهِ، سَواءٌ كانوا يَنتمونَ إلى أهلِ التّوراةِ أم لا، شَرطَ أن يَكونَ لديهِم إيمانٌ مِثل إيمانِ النّبيِّ إبراهيمَ. إنّه

= للنبي إبراهيم (انظر سفر التكوين 12: 2ـ3، 7). وحين صدّق النبي إبراهيم الوعود التي تضمّنها الميثاق كما جاء في تكوين 15: 6، أقرّ الله هذا الميثاق بواسطة شعيرة الأضحية. ولم يفرض الله الختان إلاّ لاحقًا باعتباره علامة ظاهرة في الجسد تميز أهل الميثاق (انظر سفر التكوين 17).

(1) قبل الله إيمان إبراهيم (عليه السّلام) قبولاً كاملاً بناء على ثقته بوعوده قبل الختان، فلا يمكن الادعاء أن الله لا يقبل الأشخاص دون اتّباعهم للتقاليد اليهودية ومنها الختان.

(2) يشير بولس إلى أن قبول الله لإبراهيم (عليه السّلام) تمّ على أساس إيمانه، وكان ذلك قبل أن يختتن بـ 13 سنة.

أبونا جميعًا، مَهما كان الأصلُ الَّذي ننحدرُ مِنه، كما وَرَدَ في التّوراةِ قَولُ اللهِ له (عليه السّلام): «جعَلتُك أبًا لِأُممٍ كَثيرةٍ».[1] والآن نحن حقًّا مِن سلالةِ إبراهيم المؤمنِ بوَعدِ اللهِ الَّذي يُحيي الموتى ويَخلُقُ من العدَمِ.

4: 18ـ25

فرَغمَ أنّ ذلك بَدا مُستحيلاً، فقد آمنَ إبراهيمُ يَقينًا، بأنَّ اللهَ سيَجعلُه لأُمَمٍ كثيرةٍ أصلاً أَصيلاً، كما قال تعالى: «ويَكونُ نَسلُكَ كَالنُّجومِ لا يُعَدُّونَ».[2] وما وَهَنَ الإيمانُ عندَ إبراهيمَ، مع أنّ عظمَهُ وَهَنَ وشارفَ عُمرُه على المِئةِ سنةٍ، وضعُفَ جسمُهُ عن الإنجابِ، وسارَةُ صارت عجوزًا ويئست مِن الإنجابِ. فلم يَضعُف إيمانُ إبراهيمَ بأنّ اللهَ صادِقٌ في وَعدِهِ، بل قوِيَ إيمانُهُ باللهِ، فخضع بذلك لجَلالِهِ تعالى. وكان مُتيَقِّنًا تمامًا أنّ اللهَ قادِرٌ على الوفاءِ بوعدِهِ، فحَسَبَهُ اللهُ مَرضيًّا.

وعندما ذكرَت التّوراةُ أنّ اللهَ رَضِيَ عنه، لم يَقصِد اللهُ إبراهيمَ فقط، بل قَصَدَنا نحن أيضًا، لأنّ اللهَ يَعُدُّنا من عبادِهِ الصّالحين، نحن الّذين نؤمنُ باللهِ الّذي بَعَثَ سيّدَنا عيسى من بين الأمواتِ. لأنّه جعله يموتُ بسببِ ذنوبِنا، ثمّ بَعَثَهُ حيًّا خالِدًا لنتمكّنَ من نيلِ مَرضاتِهِ.

الفصل الخامس

5: 1ـ11 سلام الله على المؤمنين

وبما أنّنا آمنّا بسيّدِنا عيسى المَسيحِ، فقد رَضيَ اللهُ عنّا، ونحن الآن بالمَسيحِ في سلامٍ مع اللهِ. وبِهِ (سلامُهُ علينا) أدخلنا اللهُ إلى رِحابِ فضْلِهِ حيثُ نُقيمُ، وفَرِحنا لأنّنا مُتيقِّنونَ أنّ اللهَ سيرفعُنا إلى مَقامٍ مَجيدٍ. بل إنّنا لفرحونَ في الشّدائِدِ، الّتي تُعلّمُنا الصَّبرَ، وبالصّبرِ يُمتَحَنُ مَعْدِنُنا، والفوزُ في الامتحانِ يبعثُ فينا اليقينَ، وهذا اليقينُ لا يَجعلُنا خائبينَ، فقد أفاض اللهُ رُوحَهُ تَقدَّس وتَعالى على قُلوبِنا، فنُدرِكُ بِها مَدى مَحبّتِه لنا.

(1) يقتبس بولس من التوراة، سفر التكوين 17: 5.
(2) التوراة، سفر التكوين 15: 5.

وحين عَجَزنا عن نَجاتِنا، جاءَ السّيّدُ المَسيحُ في الوقتِ الّذي حدّدهُ اللهُ وجعلَه فِديةً للآثمينَ. فليس يسيرًا أن يُضحِّي المَرءُ بنفسِهِ مِن أجلِ رجلٍ صالحٍ، ولكن قد يتجرّأُ أحدٌ أن يُضحِّي مِن أجلِ أمثالِه. غير أنّ اللهَ أبان لنا عطفَهُ إذ أرسلَ السّيّدَ المسيحَ ونحن ما زِلنا على ذَنبِنا، ليُضحّي بنفسِهِ مِن أجلِنا. ولأنّه رَضي عنّا بتضحيةِ دَمِ المَسيحِ، فإنّنا سنَنجو بفضلِه (سلامه علينا) من الغضبِ الآتي لا مَحالَةَ. فقد عادَينا اللّهَ، ولكنّه أعادَنا إليه بتَضحيةِ السّيّدِ المَسيحِ، الابنِ الرُّوحيّ له تعالى. ونُصبحُ أيضًا مِن النّاجينَ بفضلِ انبِعاثِهِ (سلامه علينا) من الموتِ لا ريب. وإنّا لفَخورونَ بأنّ اللهَ أرجعنا إليه مِن خلالِ سيّدِنا عيسى المَسيح.

5: 12ـ21 الموت من آدم والخلود من المسيح

كان آدمُ أوّلَ مَن أَذنَبَ مِن النّاسِ، ففتح بابَ الإثمِ على الدُّنيا، ونتج عن ذلك الموتُ، وسَرى الهلاكُ إلى كلِّ النّاسِ لأنّهم خطّاؤونَ جميعًا. نعم، كلُّ النّاسِ كانوا خطّائينَ، حتّى قَبلَ عهدِ النّبيِّ موسى، ولكنّ اللهَ لم يُحاسِبهم بالشّرعِ الّذي أُنزِلَ على موسى (عليه السّلام)، لأنّ اللهَ لم يكن قد أنزلَهُ بعدُ. ولقد خضع كلُّ النّاسِ للموتِ، مِن زمنِ أبينا آدمَ إلى زمنِ النبيِّ موسى، حتّى الّذين لم يُخالِفوا أمرَ اللهِ المُباشرَ مِثلَ أبينا آدمَ.(1)

وأبونا آدمَ شَبيهٌ بسيّدِنا عيسى (سلامه علينا) بما آتاهُ مِن تأثيرٍ على البشرِ جميعًا. ولكنّ آدمَ لا يَرقى إلى سيِّدِنا عيسى ولا يُدانيه. فالفرقُ بين الخطيئةِ الأُولى وبين هبةِ الغُفرانِ عظيمٌ، لأنّ إنسانًا واحدًا، وهو آدمُ، أتى بالموتِ إلى جميعِ النّاسِ، وإنسانٌ واحدٌ وهو سيّدُنا عيسى المَسيحُ، أتى بوافرِ فَضلِ اللهِ ومَنِّهِ للنّاسِ جميعًا! ويوجدُ اختلافٌ كبيرٌ بين نتيجةِ هبَةِ اللهِ وبين الخطيئةِ، فآدمُ أتى ذنبًا وَحيدًا، فحكم اللهُ عليه بالموتِ. لكنّ نتيجةَ فضلِ اللهِ على سائرِ العالَمين الّذين غَرقوا في الذّنوبِ هي مَرضاتُهُ عنهم بفَضلِ سيِّدِنا المَسيح. إنّ خطيئةَ إنسانٍ واحدٍ، أي أبينا آدمَ، جعلَت الموت يسيطرُ على البشر. ولكنّ فضلَ اللهِ الوفيرَ، وهِبَةَ الرِّضا علينا هُما أعظمُ مِن خطيئةِ آدم بكثيرٍ،

---

(1) أنزل الله التوراة على النبي موسى (عليه السّلام) بعد زمن آدم (عليه السّلام) بفترة طويلة. وهذا المقطع يكشف أن الناس قد ارتكبوا الآثام وعصوا الله قبل نزول التوراة بزمن طويل. لذلك، فالتوراة نزلت لتبيّن للبشر خطورة خطاياهم، ومدى حاجتهم إلى مغفرة الله.

ويُسبغُهُما على كلِّ مَن يؤمنُ بالإنسانِ الواحدِ المنتظرِ القديرِ، سيِّدِنا عيسى المسيحِ، فيَجعلُهم أشرافًا في دارِ البَقاءِ.

وكما قادَت خطيئةُ آدمَ الواحدةُ النّاسَ جميعًا إلى طريقِ الهلاكِ، فإنّ حسنةَ سيِّدِنا عيسى الواحدةَ فتحَت البابَ أمامَهم لمَرضاةِ اللهِ ودخولِ دارِ الخُلدِ. وبسببِ عِصيانِ إنسانٍ واحدٍ صار البشرُ مُذنبينَ، وبسببِ طاعةِ إنسانٍ واحدٍ يُمكنُ لكثيرٍ منهم أن ينالوا مَرضاةَ اللهِ. ولقد أُنزِلَت التّوراةُ لتبيِّنَ لهم مَدى خطورةِ مَعاصيهم، ولكنّ النّاسَ ازدادوا إثمًا، وفَضلُ اللهِ أوسعُ مِن كلِّ الآثامِ. لقد هيمَنَ إثمُ النّاسِ عليهم وقادَهم إلى الموتِ، كما غمرَهم فضلُ اللهِ الآن بإيمانِهم بسيِّدِنا عيسى المَسيحِ، وهو ما جعلَهم ينالون رِضا اللهِ في دارِ الخُلودِ.

الفصل السّادس

6: 1-14 تجنّب الخطايا بعد الإيمان بسيّدنا المسيح

وقد يقول أحدُهم: «لِمَ لا نزدادُ إثمًا ليزدادَ فضلُ اللهِ علينا؟» حاشا لله، لأنّنا نحن أتباعُ السّيِّدِ المَسيحِ قد انقَطَعنا عن الذّنوبِ والخطايا كما ينقطعُ المَيْتُ عن الدّنيا، فكيفَ نتعمّدُ الاستمرارَ في ارتكابِها؟ ألا تعلمونَ أنّنا حينما تطهَّرنا بالماءِ صِبغةً لله، اتّحدنا بالسّيِّدِ المَسيحِ؟ وبذلك انتهى نَهجُ عيشِنا القَديم. فالنّزولُ في الماءِ كدفنِ الميّت، ونحن دُفِنّا مع السيّدِ المَسيح بعلامةِ التّغطيسِ في الماءِ تأكيدًا للموت، فكما مات السّيِّدُ المسيحُ ودُفِنَ ثمَّ بعثَهُ اللهُ الأبُ الرّحمن بجلالِهِ، تطهَّرنا بالماءِ وولَّتْ عنّا حياتُنا القديمةُ، وأعطانا اللهُ حياةً خالدةً مثلَهُ.

لقد ضحَّى السّيِّدُ المسيحُ بحياتِهِ من أجلِنا، ونحن حين ننزل في الماءِ نموتُ، وسنُبعثُ خالدين لأنّنا نحنُ مُتّحدونَ به (سلامُهُ علينا)، كما بُعثَ السّيِّدُ المسيحُ، فقد صُلبَ معه (سلامه علينا) سُلطانُ النّفسِ، حتّى نقتلَ أهواءَها فنتحرَّرَ من الإثم. فإذا تخلَّصنا مِن حياةٍ مليئة بالخطايا، انقَطَعَ سُلطانُ الشهوةِ كما ينقطعُ المَيْتُ عن حياةِ الدّنيا.

وبما أنّنا انضممنا إلى السّيّدِ المَسيح بموتِهِ، فإنّنا سنَحيا معه حياةً جديدةً بكلِّ تأكيد. فنحن نعلَمُ أنّ السّيّدَ المَسيحَ قد بُعِثَ من الموتِ إلى الخُلودِ، وأَنّهُ لن يموتَ مرّةً أُخرى. فلم يعُد للموتِ سُلطةٌ عليه كما كان في المرّةِ الأولى. وعندما ماتَ (سلامه علينا)، ماتَ لِيمحوَ ذنوبَ النّاسِ مرّةً واحدةً. أمّا الآن فهو يعيشُ لِيرفعَ شأنَ اللهِ ويُمجِّدَهُ. فاستيقِنوا أيُّها الأحبابُ أنّكم مُنقطِعونَ أيضًا عن الإثمِ، وأنّكم تُبعثونَ لِمَرضاةِ اللهِ أَحيَاءً مع عيسى المسيحِ (سلامُهُ علينا).

ولهذا، لا تتركوا الخطايا تتسَلَّط عليكم ولا تخضَعوا للشّهواتِ. ولا تجعلوا أعضاءَ أجسامِكم أدواتٍ للإثم، بل سلِّموا أنفسَكم للهِ تسليمًا، لأنّ اللهَ نقلكم من الموتِ إلى الحياةِ، فسلِّموا أعضاءَ أجسامِكم للهِ طاعةً وتعظيمًا، كأنّها أدواتٌ لإرضاءِ اللهِ. فلا سُلطانَ لِلخطايا عليكم، بما أنّكم لستم تحت حِمايةِ التَّوراة، بل أنتم تتظَلَّلونَ بِظلِّ فَضلِ اللهِ.

6: 15-23 صرنا تابعين للصلاح

ثُمّ ماذا؟ هل نستمرُّ في ارتكابِنا لِلخطايا، لأنّنا لسنا تحتَ حِمايةِ التّوراةِ بل تحتَ حِمايةِ فَضلِ الله؟ كلاّ! إنّكم تَعلمونَ أنّ مَثَلَكم مَثَلُ الّذين خضعوا لسيِّدٍ وأطاعوه في خدمتِهِ، فأنتم كذلك أصبحتم مُستعبَدينَ، وبإمكانِكم أن تُصبحوا عبيدًا للخطايا الّتي تؤدّي بكم إلى الهلاكِ، أو بإمكانِكم أيضًا أن تختاروا طاعةَ اللهِ الّتي تقودُكم إلى مَرضاتِهِ تَعالى. لكن الحمدُ لله، بعدَ أن كنتم عبيدًا لخطاياكم، أصبحتم على دربِ سيرةِ المسيحِ الّذي أسلَمتم له بكُلِّ قلُوبِكم وجَوارِحِكم، فتحرَّرتم من الإثمِ، وأنتم عبيدٌ الآن للهِ مُتَّقونَ مُخلِصون. ومَجازًا استعملتُ تعبيرَ العُبوديةِ حتّى أساعدَكم على فَهمِ هذه الأُمورِ لأنّكم بشرٌ ضُعفاء، وقد جعلتم أجسامَكم في الماضي لخدمةِ الشَّرِّ فتماديتم في اِرتكابِهِ، فكنتم عبيدًا مُدنَّسينَ، فهَلاَّ تُقَدِّمونَها الآن لإرضاءِ اللهِ وتكونونَ له عبيدًا لتصيروا عباد اللهِ الصّالحينَ؟

وعندما كنتم مُستعبَدينَ لخطاياكم، لم تكونوا مُقيَّدينَ بما يُرضي اللهَ. فما جَنَتْ أيديكم من تلك السّيِّئاتِ خيرًا، وها أنتم الآن تَخجلونَ بها، لأنّها تُؤدِّي إلى الهلاكِ. ولكنّكم الآن تحرّرتم من الإثمِ، فأنتم عِبادُ الله المُطيعونَ، تَسعَونَ إلى الخيرِ ومآلُهُ دارُ

البَقاءِ. والإثم جزاؤه الهلاكُ. أمّا فضلُ اللهِ الّذي أنعَمَ بِهِ علينا من خلالِ سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ فمآلُهُ الخُلودُ.

الفصل السّابع

7: 1ـ6 تحرّرنا من حكم شريعة بني يعقوب

أيّها الإخوةُ في اللهِ، وخاصّةً منكم المُطَّلِعينَ على الشَّريعةِ، ألا تعرفونَ أنّ الشريعَةَ إنَّما تَسري على الأحياءِ فقط؟ فالنِّساءُ المُتزوِّجاتُ، حَسبَ العُرفِ المتّبع، مُرتبطاتٌ بأزواجِهِنَّ ما دام أزواجُهنّ على قَيدِ الحياةِ، فإذا مات زوجُ إحداهنّ، يُلغى هذا الرّباطُ. أمّا إذا سعتْ إحداهُنَّ إلى رجلٍ آخر، وزوجُها لا يزالُ على قيدِ الحَياةِ، فإنّها تُعتبرُ زانيةً. أمّا إذا مات زوجُها، فإنّها تصبحُ حُرَّةً حسبَ شرعِ التّوراةِ، فإذا تزوَّجت رجُلاً آخرَ، في هذه الحالةِ لن تُصبحَ زانيةً.

يا إخوتي، كذلك شأنُكم أنتم، فبتضحيَةِ السّيِّدِ المسيح بحياتِهِ اتَّحدتم به، وانفصلتُم عَن نُفوذِ شَريعةِ بَني يَعقوب، بَعدَ أن أصبحتُم تابعين له (سلامُهُ علينا)، هو الّذي بُعثَ من الموتِ حيًّا خالِدًا، لكي نَعودَ جميعًا إلى اللهِ وأيدينا مَليئةٌ بحَصادِ أعمالِنا الحسنةِ. وعندما اتَّبعنا النّفسَ الأمّارَةَ بالسّوءِ، أثارَتِ الشَّريعةُ فينا أهواءَ النّفسِ وجعلَتْنا نَستحِقُّ عِقابَ الهلاكِ. أمّا الآن فقد تَحرّرنا مِن هذه الشَّريعةِ، لأنّ حياتَنا القَديمةَ انتهَتْ ولم نعُد مُقيَّدينَ بها. ولهذا السّببِ نحن نعبدُ اللهَ بطـريقةٍ جديدةٍ، كأهلِ رُوحِ اللهِ، ولم نعُد نخضعُ للطَّريقةِ القديمةِ كأهلِ شريعةِ بني يَعقوب.

7: 7ـ12 شريعة النّبيّ موسى أظهرت خطايانا

فما هو المَغزى إذن ممّا ذكرناه سابقًا؟ هل يُعقلُ أن نقولَ إنّ شريعةَ النّبيّ موسى كلّها شرٌّ؟ كلاَّ، لقد جعلَت هذه الشّريعةُ النّاسَ يَعرفونَ الشَّرَّ. فلو لم يقُلِ اللهُ في التّوراةِ: «لا تحسُد»، ما كان النّاسُ لِيَنتبِهوا إلى خطيئةِ الحَسدِ.[1] واستغلّ الإثمُ المَنعَ

---

(1) يقتبس بولس هنا من التوراة (سفر الخروج 20: 17). ويقرّ أنّ الناس لم يعودوا تحت حماية الشريعة اليهودية، لكنّ بعض خصومه ظلوا يفترون عليه ويقولون أنّه اعتبر شريعة النبي موسى

الرَّبّانيَّ فجعل النّاسَ يَرغَبون في ارتِكابِ أنواعِ الشّرورِ كلِّها، ولو لم تَمنع الشّريعةُ هذه السيِّئات، ما استطاعَت أن تتملّك إرادتي. عاشَ النّاسُ في القديم دونَ شريعةٍ، ولمّا علِموا، مثلاً، ما وَرَدَ في التّوراةِ: «لا تَحسُد»، تولّدَت في قلوبِهِم رَغبةٌ شديدةٌ في ارتكابِ الإثم، وبِسبَبِ خطاياهم حلَّ عليهم الموتُ. إنّ غايةَ اللهِ مِن وصاياهُ هي خُلودُ النّاسِ في النَّعيم، ولولا الإِثمُ لَقادتهم الوصايا إلى النّعيم، ولكنّ وجودَ الإثم جعلها تقودُهُم إلى الهلاكِ حين أخطَأوا. فاستغلَّ الإثمُ الوصايا وجعلها سبيلاً له فخدعَ النّاسَ ومِن خلالِها قادَهم إلى الهلاكِ. ورغمَ كُلِّ ذلك فإنّ التّوراةَ كتابٌ صالحٌ، وكلُّ وصاياها مُقدَّسةٌ مُستقيمةٌ وطاهِرةٌ.

7: 13ـ25 الصّراع بين الشّريعة والإثم

ولكن كيفَ يكونُ هذا؟ هل قادَت الشَّريعةُ الصّالحةُ النّاسَ إلى الهلاكِ؟ كَلاّ! بل جعل الإثمُ الشَّريعةَ الصّالحةَ دَربًا يَهلِكُ فيه النّاسُ، وهكذا تَبدَّت خَطورةُ الإثم بينهم. ليس العَيبُ في الشّريعةِ، كلاّ، فهي من رُوحِ اللهِ، إنّما انقاد النّاسُ للنَّفسِ واستَعبدَتهم ذنوبُهم، فنحن نجهلُ حقيقَةَ أنفُسِنا، حتّى لو كانت غايتُنا فِعلَ الخير، إلا أنّنا، بدلاً من ذلك، نَفعلُ ما نُبغِضُه. ونحن نُبغِضُ السُّوءَ، حتّى وإن آتيناه، وفي هذا دليلٌ على أنّنا نتفّقُ مع أحكامِ شَريعةِ موسى، وإنّنا لَنَراها على حقٍّ. فجَليٌّ إذن، أنّنا لا نفعلُ السَّيِّئاتِ طوعًا، بل يأمرُ الشَّرُّ نُفوسَنا الآثمةَ فنَنقادُ إليه. ونحن نعرِفُ أنّ النّفسَ خاليَةٌ من الخير، أعني بذلك النّفسَ الأمّارةَ بالسُّوءِ، فنحن مثلاً نرغبُ في فِعلِ الخيرِ، ولكنّنا نَعجزُ عن ذلك. أجل، نحن نَعجزُ عن فِعلِ الخيرِ الّذي نريدُه، ونفعلُ الشرّ الّذي لا نُريدُه. فنحن في الحَقيقةِ، لا نَقصِدُ فِعلَ السّيِّئاتِ، بل الشَّرُّ الكامنُ فينا هو الّذي يأمرُنا فنفعلُها كَرهًا.

والخُلاصةُ أنّي وجدتُ شَريعةَ النّبيِّ موسى تجعلُني أَعلَمُ الخير، فأسعى إلى العملِ به، ولكنّي وجدتُ أنّ السوءَ أقوى فأسعى إليه. نحن في باطِنِنا فَرِحون بشريعةِ اللهِ، ولَكِنّ السُّوءَ الّذي تسلّلَ إلى قُلوبِنا يُحارِبُ إرادتَنا، ويَجعلُنا تحتَ سيطرتِهِ عن طريقِ

= (عليه السّلام) كلّها شرّ. ولكن بولس فنّد هذا القول مُبيّنًا أن الوظيفة الحقيقية لشريعة الله هي إظهار بشاعة الشرّ. ويتّخذ بولس في خطابه باللغة اليونانية صيغة المتكلّم ابتداء من هذا المقطع حتى نهاية الفصل السابع. ولكن معظم المفسّرين يجمعون على أنه يتكلّم بصفة مطلقة عن أمور تتعلّق بكل البشر معتمدًا في ذلك على قصة أبينا آدم.

الشريعة. يا لنا مِن تُعساءَ! مَن يُنجّينا من هذه النفسِ الَّتي ستلقى الهلاكَ؟ ولكن الحمدُ للهِ أنّهُ أرسلَ لنا سَيِّدَنا عيسى المَسيحَ ليُنقِذَنا!

كَذلك نحن في هذه الحَياةِ: نُريدُ مِن كُلِّ قلوبِنا أن نَعملَ بشريعةِ اللهِ، فنَفعلُ الحَسنات، وَلكنّ نفوسَنا مُقيّدةٌ إلى السّوءِ.

الفصل الثّامن

8: 1-17 الاقتداء بروح الله

أمّا نحن الّذين نَعتصِمُ بسيّدِنا عيسى المَسيح، فلَن يَدِينَنا اللهُ بعد الآن. ولأنّنا نَنتمي إليه (سلامُهُ علينا)، فإنّ الشريعةَ لم تكُن أداةَ إثمٍ وهلاكٍ فينا، ولكنّها أَصبحَت صِراطًا يَقودُنا بقوّةِ روحِ اللهِ إلى الخُلد. فقد عجزَتِ الشَّريعةُ أن تُنجّينا، لأنّ النّفسَ جعلَتها غيرَ قادرةٍ على ذلك. غير أنّ اللهَ كَرَّمَنا بما قصَّرَت فيه الشّريعةُ، فأرسلَ سيّدَنا عيسى الابنَ الرُّوحيَّ له تعالى في جِسمٍ بشريٍّ يُشبِهُ جسمَ بني آدم الّذي يَميلُ إلى الخطيئةِ، ليُضحِّيَ بنفسِه قُربانًا للتّكفيرِ عن خطايا البشرِ، ولكي يَقضي على ما في النَّفسِ من سوءٍ. نَعم، إنّه أرسلَ سيِّدَنا عيسى لنَتمكّن من تنفيذِ مَقاصدِ الشَّريعةِ، لأَنّنا نَقتدي برُوحِ اللهِ، لا بأَهواءِ النّفسِ.

إنّ الّذين يَسيرونَ بأَهواءِ نُفوسِهم لا يُفكِّرونَ إلاّ بشُؤونِ النّفسِ. أمّا الّذين يَقتدونَ برُوحِ اللهِ، فكُلُّ ما يهُمُّهم هو إرضاءُ رُوحِهِ تعالى. إنّ الهلاكَ المَحتومَ مصيرُ السعي وراءَ شَهوات النّفسِ، أمّا الخُلودُ والسّلامُ فمآلُ كلِّ مَن يَقتدي برُوحِ اللهِ. لأنّ الانقيادَ إلى أهواءِ النّفسِ عداوةٌ للهِ، فالنّفسُ لا تُطيعُ شَريعةَ اللهِ، لأنّها تَعجزُ عن ذلك، إنّ الّذين يُطيعونَ أنفسَهم الأمّارةَ بالسُّوءِ يَعجزونَ عن إرضاءِ اللهِ.

أمّا إذا كنتم تنعمونَ بحُلولِ رُوحِ اللهِ فيكُم، فلن تعيشوا حَسَبَ هوى النّفسِ، بل ستَعيشونَ بهدايةِ رُوحِهِ تعالى. ومَن لَم يَفِض قلبُه بروحِ اللهِ، فليس تابعًا لِلسّيّدِ المَسيحِ، لأنّ الرّوحَ رُوحُ المَسيحِ. والسّيِّدُ المَسيحُ في قلوبِكم، فرغمَ أنّ أجسادَكم ستَفنى بسببِ الإثمِ، لكنّكم ستنعمونَ بالخلود بفضلِ روحِ اللهِ، إنّ اللهَ وفيٌّ لوعوده. إنّ اللهَ أقامَ

بروحِهِ سَيِّدَنا عيسى مِن الموتِ خالِدًا، وأحلّ روحَهُ فيكم. فكما بعثَ اللهُ سَيِّدَنا عيسى من الموتِ، فإنّهُ سيَبعَثكُم أيضًا بروحِهِ ويجعَلكُم من الخالِدينَ.

فيا إخواني، يَجبُ ألاّ نخضع للنّفسِ وأَهوائِها. لأنّنا إذا اتّبَعنا شهَوات النّفسِ هلكنا. ولكن إذا تخلَّصنا مِن شهواتِها وسيِّئاتِها بفضلِ رُوحِ اللهِ، أصبحنا من الخالدِينَ. وكلُّ الّذين يَقتدونَ بروحِ اللهِ هم من أهلِ بيتِهِ تعالى. أجَل، إنّنا ننعم بحلولِ رُوحِ اللهِ فينا، فلا نكونُ عبيدًا للخوف، بل إنّنا من أهلِ بيتِ اللهِ وبرُوحِهِ نَقتدي، ونَدعوهُ هاتفين: «يا الله، أنتَ أبونا الرّحمن!» وبرُوحِ اللهِ نتأكّدُ أنّنا عِيالُهُ. وبما أنّنا عِيالُ اللهِ، فنحن مع سيّدِنا المَسيحِ ورثةُ بَركاتِهِ تعالى، شَرطَ أن نُقاسيَ مع سيّدِنا المَسيحِ في الدّنيا الآلامَ، فنتمَتَّعَ معه برفيعِ المقامِ.

8: 18-30 كشف أهل بيت الله للعالمين

وإنِّي أخبرُكم أنّ ما نُعانيهِ في هذه الدّنيا من أوجاع لا يساوي شيئًا أمامَ المقام المجيدِ الّذي أعدَّهُ اللهُ لنا في الآخرةِ. فالمَخلوقاتُ كُلُّها تَنتظرُ بفارغِ الصَّبرِ يومَ يَكشِفُ اللهُ أهلَ بيتِهِ للعالَمينَ. لأنّ المَخلوقاتِ أخضِعَت لتزيغَ عن غايتِها الأساسيّةِ بسببِ آثامِ الإنسانِ، ورغمَ ذلك فإنّها مُتلهِّفةٌ للحُصولِ على نفَحاتِ التّحرُّرِ مِن الفناءِ، وهو التّحرُّرُ المَجيدُ الّذي سينالُهُ عِيالُ اللهِ. ونحن نعلمُ أنّ كلَّ المَخلوقاتِ ما تزالُ تئِنُّ إلى الآن مِن آلامِ شبيهةٍ بمَخاض.[1] ونحن، البشرُ المُؤمنون، ما زِلنا نئِنُّ أيضًا رغمَ حلولِ بَوادرِ تجلّياتِ رُوحِ اللهِ فينا، وما زلنا ننتظِرُ تحريرَ أجسامِنا من أثَرِ الخطايا والذّنوبِ، ونحن نترقّبُ كذلك حُصولَنا على جميعِ حُقوقِنا كأهلِ بيتِ اللهِ عندما تُبعثُ أجسادُنا يومَ القيامةِ. وقد وهبَنا اللهُ هذا اليقينَ عِندما أنجانا من ذنوبِنا وخطايانا، لكنّنا ما زلنا ننتظِرُ النّعيمَ الّذي لم نَملِكه بَعد. ولكن أيُعقَلُ أن نكونَ مالِكينَ لِما ننتظِرُه؟ كلاّ، نحن نَترقَّبُ الدّارَ الّتي لا نراها، فَلنَصبِر حتّى حينٍ.

إنّ اللهَ يُعينُنا برُوحِهِ عِندَ ضعفِنا، فنحن مثلاً لا نَعلمُ تحديدًا ما نَدعو اللهَ من أجلهِ

(1) تذكر الكتابات اليهودية المنتشرة في ذلك الزمن أن فِتَنا عظيمة ستحدث قبل مجيء المسيح المنتظر ونهاية العالم، ثم يبدأ زمن حكم السيّد المسيح (سلامه علينا). وشبّه الناس تلك الفتن بمخاض الولادة. وينحو بولس المنحى نفسه حين يرى أن كل فتن عصره شبيهة بمخاض الولادة، وهي تَعِدُ ببزوغ عهد جديد.

دائمًا، عاجزين عن الإفصاحِ بما هو خيرٌ لنا، ولكنّ رُوحَهُ تعالى تقودُنا وتَشفعُ لنا عِندَهُ بأنّاتٍ لا تُفصحُ عنها الكلماتُ. واللهُ عليمٌ بذاتِ الصُّدُورِ، ويعرِفُ مُبتغى الرُّوحِ، إذ أرسلَ رُوحَهُ تَقدَّس وتَعالى بإذنِهِ وبرِضاهُ حتّى تَشفَعَ لعبادِهِ الصالحينَ، ونحن نُدركُ أنّ اللهَ يُسيِّرُ كلَّ الأحوالِ، السَّرّاءِ منها والضَّرّاءِ، نحو الخيرِ لِمُحبِّيهِ تعالى، للّذين دعاهم حَسَبَ تدبيرِهِ فاستجابوا. فقد عرفَ اللهُ أحبابَهُ من قَبلِ خلقِ الكونِ، وقَدَّرَ أنّهم سيكونون على مِثالِ صفاتِ سيّدِنا عيسى، الابنِ الروحيّ له تعالى، وأنّهم سيُصبحونَ من أهلِ بيتِ اللهِ، وسيِّدُنا عيسى يَحظى بأشرفِ مَكانةٍ فهو الأوّلُ بين إخوةٍ كثيرينَ. أَجل، كتبَ اللهُ لنا أن نكونَ من أهلِ بيتِهِ، فدَعانا ورَضيَ عنّا ورفعَ مقامَنا.

8: 31–39 لا شيءَ يفصلنا عن محبّة الله

إذن ماذا نقولُ في هذا الشأنِ العجيبِ؟ إن كان اللهُ معنا، فمَن علينا؟ إنّ اللهَ لم يَبخل علينا بسيّدِنا عيسى، الابنِ الروحيّ لهُ تعالى، بل جعله يُضحِّي بنفسِهِ من أجلِنا جميعًا، فإضافةً إلى ذلك كيف لا يُسخِّرُ لنا كلَّ شيءٍ؟ ومَن يَجرؤُ أن يتّهِمَ عبادَ اللهِ المُختارينَ؟! فاللهُ هو من رَضيَ عنّا. ومن ذا الّذي يَحكُمُ علينا؟ لا أحدَ! فسيِّدُنا عيسى المَسيحُ ضحَّى بنفسِهِ فداءً لنا، وبعثَهُ اللهُ حيًّا وأجلسَهُ على يمينِهِ، وهو من يَشفعُ فينا الآن.

لا شيءَ يَحرِمُنا مِن مَحبَّةِ المَسيحِ لنا: لا الضِّيقُ، ولا البلاءُ، ولا الاضطِهادُ، ولا الجوعُ ولا العُريُ ولا الخطرُ، ولا الموتُ بالسّيفِ. كما وَرَدَ في كتابِ الزَّبورِ الشّريفِ: «في سبيلِكَ اللَّهُمَّ نُواجِهُ الموتَ مِن أعدائِنا كلَّ يومٍ، ويَذبحوننا كالأغنامِ».[1]

ورغمَ هذه الابتِلاءاتِ كُلِّها فإنّنا ننتصِرُ عليها نصرًا عظيمًا بفضلِ سيّدِنا المسيحِ الّذي أحبّنا! نعم، إنِّي على يقينٍ أن لا شيءَ يَحولُ بيننا وبين مَحبَّةِ اللهِ، لا الموتُ ولا الحياةُ، ولا الملائكةُ ولا الشّياطينُ، ولا أُمورُ الدّنيا ولا أمورُ الآخرةِ، ولا الجِنُّ ولا قِوى الكائناتِ الغيبيّةِ الّتي بيننا أو تحتَ الأرضِ، لا شيءَ في هذا الكونِ يُمكِنُهُ أن يفصِلَ عنَّا مَحبَّةَ اللهِ، تلك المَحبَّةَ الّتي تجلَّت في مَولانا عيسى المَسيحِ.

(1) كتاب الزبور، مزمور 44: 22.

الفصل التّاسع

9: 1ـ13 الله يحقّق وعده لبني يعقوب

وإنّي أقولُ الحقَّ لَكم وما أنا مِن الكاذبينَ، لأنّي مُعتصمٌ بالسّيّدِ المَسيحِ وضميري على هُدى رُوحِ اللهِ. إنّي حزينٌ، وفي قلبي أَلَمٌ شديدٌ بسببِ بني يعقوبَ أُمّتي الّتي أنتمي إليها. فأنَا مُستعدٌّ أن أُحرَمَ عنِ السّيّدِ المَسيحِ وأنفصلَ عنه فِدًى لأُمّتي. فبنو إِسرائيلَ لهم الحقُّ في الانضمامِ لأهلِ بيتِ اللهِ، وقد تجلّى اللهُ لهُم فقدَّمَ إليهم العُهودَ، والشّريعةَ والعِبادةَ الحقَّ والوُعودَ. وكانوا من نَسلِ الأنبياءِ الأوّلين، ومِنهم ينحدِرُ السّيّدُ المَسيحُ. فليتبارَكِ المُتعالي فَوقَ العالَمين إلى أَبَدِ الآبِدين، آمين.

فكلُّ ما ذُكرَ لا يَعني أنّ اللهَ لا يحفَظُ وعدَهُ لبني يَعقوب، لأنّ مَن رفضَ رسالةَ اللهِ مِن بني يعقوبَ ليس منَ الأخيارِ، وليسَ كلُّ الّذين ينحدِرونَ من النبيّ إبراهيمَ هم من ورثتِهِ ومن عيالِ اللهِ. فالورثةُ هم الّذين حَصلوا على وعدِ اللهِ. فقد أوحى إليهم في التّوراةِ: «يا إبراهيمُ، مِن إسحَقَ يَنحدرُ الورثةُ وبهم أُحقّقُ وعدي لك».[1] وهذا الوحي يَعني أنّه ليس بالأصلِ البشريِّ ننضَمُّ إلى عِيالِ اللهِ بل الّذين خصَّهم اللهُ بوعدِهِ هم عِيالُه تَعالى. فقد وَعَدَ اللهُ النّبيَّ إبراهيمَ (عليه السّلام) على لِسانِ الملاكِ بخُصوصِ إسحقَ فقال: «سأعودُ العامَ القادمَ في مثلِ هذا الوقتِ، ويكونُ لِسارَةَ ابنٌ».[2]

لقد اختار اللهُ إسحقَ من بين أبناءِ النّبيِّ إبراهيمَ، كما اختارَ أحدَ ابنَي إسحقَ، مع أنّ زوجتَه رِفقَةَ قد أنجبَت توأمَين، فقَبلَ أن يولدا، ويكونا من أهلِ الشّرِّ أو من أهلِ الخير، جاءَها وحيُ اللهِ مُبيِّنًا أنّه سيختارُ بعضَ النّاسِ حسَبَ تدبيرِه تعالى. نعم، يختارُ اللهُ النّاسَ من قَبل أن يفعلوا خيرًا أو شرًّا، وأخبرَ الوحيُ رِفقَةَ أنَّ أكبرَ الأخوين يكونُ خادمًا للصّغير،[3] واختارَ اللهُ يعقوبَ دون أخيهِ العيصِ لِيُتمِّمَ به مَقصدَهُ. كما قال تعالى في كتابِ النّبيِّ مَلاكي: «أحببتُ بني يَعقوب ورفضتُ بني العِيصِ».[4]

---

(1) التوراة، سفر التكوين 21: 12.

(2) التوراة، سفر التكوين 18: 14.

(3) التوراة، سفر التكوين 25: 23.

(4) كتاب النبي ملاكي 1: 2-3. وتجدر الإشارة إلى أن القصة الأصلية في سفر التكوين 25: 23، تتعلّق بالأقوام المنحدرين من نسل النبي يعقوب وأخيه العيص، لا بيعقوب والعيص كفردين.

9: 14-29 الله يختار النّاس رحمةً للعالمين

فأيُّ مَعنى لكلِّ هذا؟ إنّ اللهَ يختارُ بَعضَ النّاسِ ويرفضُ البقيّةَ، فهل هو بذلك ظَلومٌ؟ كلاّ، تعالى اللهُ عن ذلك عُلوًّا، فقد قال تعالى لنبيِّهِ مُوسى: «إنِّي أَرحمُ من أَشاءُ، وأُشفِقُ على من أَشاءُ».[1] إنّ اللهَ يختارُ النّاسَ لا وِفقَ رغبتِهِم في هذا الاختيارِ أو سَعيهم إليه، بل يختارُهُم اللهُ برحمتِهِ. ولقد جاءَ في الكتابِ قولُهُ تعالى لفرعَون: «إنّي لهذا الغرضِ رفَعتُكَ إلى عرشِ مِصر: حتّى يَتبدَّى فيك جبروتي ويُعظَّمَ اسمي في العالَمين».[2] فاللهُ يرحَمُ مَن يشاءُ، ويَجعلُ مَن يشاءُ مُتعنّتًا.[3]

ولِقائِلٍ مِنكم أن يقولَ: «إن كتبَ اللهُ على النّاسِ أن يكونوا مؤمنِينَ أو كافِرين، فلماذا يلومُهُم على أعمالِهِم؟» فاسمعوا جوابي: أيّها الإنسانُ، لا حقَّ لك أن تعترِضَ على اللهِ! هل يقولُ وِعاءٌ مِنَ الطِّينِ لِمن صنعَهُ: «لماذا جعلتَني على هذه الصُّورةِ؟»[4] أَفَلَيسَ مِن حَقِّ عاملِ الفخَّارِ أن يصنع مِن الطِّينِ ما يشاءُ، فيصنعَ من قطعةِ الطِّينِ نفسِها إناءً لغرضٍ رفيعٍ، وآخرَ لغرضٍ وَضيعٍ؟[5]

كذلك شاء اللهُ أن يُظهِرَ غضبَهُ للنّاسِ، ويُعلنَ قدرتَهُ على العقابِ، ولكنّه صَبورٌ حليمٌ بهؤلاء المُتعنِّتينَ المَغضوبِ عليهم، الّذين يستحقّونَ الهلاكَ. أمّا نحن فقد نلنا رحمةَ اللهِ لكي تتجلّى عظمةُ شأنِهِ وجلالِهِ، فاللهُ قد هيّأ لنا منذُ القديمِ مقامًا مَجيدًا،

---

(1) يقتبس الحواري بولس هنا من التوراة (سفر الخروج 33: 19)، فقد خاطب الله بني يعقوب بهذه الطريقة عندما عبدوا العجل فعصوه عصيانًا فظيعًا. لذلك استحقّوا الموت أو النبذ كعقاب أدنى، لكنّ الله رحمهم واستمرّ في اعتبارهم قوم ميثاقه. ويشير بولس في الآية 22 إلى الصبر الذي أبداه الله تجاه هؤلاء.

(2) الاقتباس هنا من التوراة (سفر الخروج 9: 16).

(3) جعل الله فرعون متعنّتا لأنه تعنّت وعصى الله. وقد جاء في التوراة، سفر الخروج 7: 8 حتى 9: 7، أنّ الله أمر فرعون مرّات عديدة أن يطلق بني يعقوب، لكن فرعون تعنّت مرّة تلو الأخرى. وقد جعل الله فرعون متعنّتًا بعد أن أمهله مرّات عديدة لتنفيذ أمره تعالى، لكنّه لم يفعل (انظر سفر الخروج 9: 8 – 10: 27). وتضمّنت كتب الأنبياء أمثلة عديدة عن صبره تعالى. ولكن لم يذكر أي مقطع، بما في ذلك هذا المقطع، أن الله جعل أحد من عباده متعنّتا إلا إذا أوغل في عصيان الله. وقد كتب بولس أن القصد من صبر الله على المذنب هو دفعه إلى التوبة. وهذا من لطفه تعالى بعباده (انظر رسالة روما 2: 4).

(4) يحيل هذا الاستفهام البلاغي على كلام النبي أشعيا 29: 16 و45: 9.

(5) يحيل كلام بولس هنا على ما قاله النبي إرميا بخصوص بني يعقوب (كتاب النبي إرميا 18: 1-12).

باعتبارِ أنّه اختارَنا من عبادِه، لا مِنَ اليهودِ فقط بل من سائرِ الشّعوبِ أيضًا. كما قالَ على لسانِ النّبيِّ هُوشَعَ: «الّذين لم يكونوا من أُمَّتي سأَجعلُهُم الآن من أُمَّتي، والّذين لم يكونوا أَحبابي، سأَجعلُهُم الآن أَحبابي».[1] نعم، حيثُ قال اللهُ للناسِ سابقًا: «لستُم من أهلِ ميثاقي» سيُخبرُهُم الآن: «إنّا جعلناكم من أهل بيتِ اللهِ الحَيّ».[2] أمّا بِشأنِ بني يعقوبَ فَقَد قالَ النّبيُّ أَشعيا: «حتّى لو كان عددُ بني يعقوب كَرملِ البحرِ، فلن يَنضمَّ إلاّ قليلٌ مِنهم إلى النّاجينَ. لأنّ اللهَ سيُنزلُ حُكمَهُ عليهم في الأرضِ حُكمًا سريعًا حاسِمًا».[3] وكذلك قال أَشعيا: «لو لم يكتُبِ رَبُّ القوّات أن يَنجو بعضٌ مِن شعبِنا، لأصبحنا هالكينَ كأهلِ مدينتَيْ سَدومَ وعَمورةَ».[4]

9: 30ـ33 فشل عدد من بني يعقوب في إرضاء الله

فأيُّ مَعنى لِما ذكرناه؟ معناه أنّ هناك مِن غيرَ اليَهودِ أُناسًا لم يسعَوا إلى مَرضاةِ اللهِ، ولكن عندما اعتصَموا بسيِّدِنا عيسى (سلامه علينا) نالوا مَرضاتَهُ بإيمانِهم. أمّا بنو يَعقوب، فقد سعوا إلى مَرضاةِ اللهِ من خلالِ شريعتِهم، لكنّهم فشِلوا في تمسُّكِهم بها. فلِماذا فشلوا إذَن؟ لأنّهم لم يعتصِموا بِحَبلِ الإيمانِ، بل استندوا إلى كونِهم من أَهلِ الكتابِ، فعندما رفضوا الإيمانَ بسيِّدِنَا عيسى، كانوا كمن عثَرَ بحجرٍ فسقط،[5] وهو ما أوحَى اللهُ به على لسانِ النّبيِّ أَشعيا: «ها أنا في القُدسِ أَضَعُ حجرًا يجعلُ النّاسَ يعثُرونَ، بل صخرةً تجعلُهُم يسقطونَ، ولا يَخيبُ كلُّ مَن وَثِق به».[6]

---

(1) هذا الاقتباس من كتاب النبي هوشع 2: 23. كان هوشع (عليه السّلام) نبيّا في الوقت الذي كان فيه عُزيّا ملكًا على مملكة يهوذا في المنطقة التي تحيط بمدينة القدس، وقد امتدّ حكمه بين سنتي 783 و 746 قبل الميلاد. وأيضًا في وقت حكم الملك يَربعام الثاني على المنطقة الموجودة شمال يهوذا أو ما يسمّى اليوم بالضفّة الغربية (786 – 746 قبل الميلاد).

(2) كتاب النبي هوشع 1: 10.

(3) كتاب النبي أشعيا 10: 22، 23. عاش النبي أشعيا (عليه السّلام) في مملكة يهوذا في الفترة الممتدة ما بين 740 و 701 ق. م.

(4) كتاب النبي أشعيا 1: 9.

(5) يشير بولس في كلامه عن حجر العثرة إلى سيدنا عيسى (سلامه علينا). (انظر مرقس 12: 10).

(6) كتاب النبي أشعيا 8: 14 و28: 16.

الفصل العاشر

10: 1-13 النّجاة لكلّ النّاس

إخوتي، إنّي في شوقٍ عظيم، وأتوسّلُ إلى اللهِ أن ينجوَ شَعبُ بني يعقوبَ، وأشهدُ أنّهم مُتحمِّسونَ للهِ، ولكنّهم لا يفهَمونَ. ولأنّهم لا يفهَمونَ كيفَ يَرضى اللهُ عن النّاسِ بفضلِ السّيّدِ المَسيحِ، فقد حاولوا أن يُحافظوا على طريقةٍ تخُصُّهُم فقط، فرفضوا طريقَ اللهِ. وإنّ الغايةَ القُصوى للشّريعة هي الإيمانُ بالمَسيحِ المُنتظرِ، وكلُّ مَن يتمسّكُ به ينالُ مَرضاةَ اللهِ.

ولقد قيل إنّ كلامَ النَّبيِّ موسى يحمِلُ دليلاً على أنّ اللهَ لا يَرضى عن النّاسِ إلاّ بانتمائِهم للشرعِ اليَهوديِّ حين قال: «مَن يتمسَّك بكُلِّ هذه الوصايا يَحيا حياةً رَضيّةً»[1] ولكنّنا نحن نعلَمُ أنّ اللهَ يَرضى عنّا بالإيمان، وهذا الرِّضا ليس مُستحيلاً، وهو ما جاءَ في التّوراةِ:[2] «لَستَ بحاجةٍ للصُّعودِ إلى السّماءِ»، وكأنّك تحتاجُ أن تعودَ بالسّيّدِ المَسيح مِنها لتنال مَرضاةَ اللهِ. ولا أنت بحاجةٍ «للنُّزول إلى أعماقِ الأرض» وكأنّك تحتاجُ أن تجعَلَ السّيّدَ المَسيحَ يقومُ حَيًّا من بين الأمواتِ لتنالَ مَرضاةَ اللهِ أيضًا. إنّما النّجاةُ في مُتناولِك، ألا وهي التوكُّلُ على سيّدِنا المَسيح، وهذا مَضمونُ دعوتِنا بين النّاسِ، كما وَرَدَ في التّوراةِ: «ما أقربَ بلاغَ اللهِ مِنك، ومِلءَ قلبك تشهَدُ بِهِ شَفتيك».[3] كذلكَ إن كنتَ شاهدًا بلسانِكَ أنّ عيسى سيِّدُ العالَمين، وإن كنتَ مُتيقِّنًا مِن كُلِّ قلبِك أنّ اللهَ أحياهُ منَ الموتِ، فإنّك من النّاجين. فإن وَثِقَ شخصٌ من قلبِهِ بالسّيّدِ المَسيحِ، وشهِدَ بلسانِهِ أنّهُ مَولاهُ، رَضِيَ اللهُ عنه وأنجاهُ. كما جاءَ في كتابِ النّبيِّ أشعيا: «ولا يَخيبُ كلُّ مَن وَثِقَ بِهِ».[4] فلا فرقَ بين يَهوديٍّ وغير يهوديٍّ، لأنّ مَولانا سيِّدُ كلِّ النّاسِ،

---

(1) التوراة، سفر اللاويين 18: 5.

(2) يلمّح بولس في الآيتين 6 و7 إلى التوراة، سفر التثنية 30: 12-13، ويبيّن أنّهما تتطابقان مع ما جاء في رسالة السيّد المسيح. وربّما لمّح بولس أيضا إلى سفر التثنية 8: 17 و9: 4 وفي سياقها يكذّب الله على لسان النبي موسى (عليه السّلام) الفكرة التي تعتبر أن صلاح بني يعقوب هو السبب في تفوّقهم العسكري وازدهارهم.

(3) يقتبس بولس هنا من التوراة، سفر التثنية 30: 14.

(4) كتاب النبي أشعيا 28: 16.

يَفيضُ بنعمتِهِ على كلِّ من يستغيثُ به. وهو ما وَرَدَ في كتابِ النَّبيِّ يوئيل: «كُلُّ مَن يستغيثُ بمَولانا يُصبحُ مِنَ النّاجينَ».[1]

10: 14ـ21 بنو يعقوب يرفضون رسالة الله

أيُعقلُ أن يطلبَ الناسُ عَونَ السّيّدِ المَسيحِ، وهم لا يؤمنونَ بِهِ؟ وكيف يؤمنونَ به ولم يَسمعوا عنه؟ وكيف يسمَعونَ ولم يُخبرْهُم أحدٌ؟ وهل يحملُ البلاغَ غيرُ مَن أرسلَهُم اللهُ منَ الحَوارِيِّينَ؟ نعم، إنّ اللهَ أرسلَ إلى بني يَعقوب هؤلاءِ المُخلِصينَ، كما جاء في كتابِ النَّبيِّ أَشعيا: «ما أحلى خُطواتِ المُرسَلين الّذين يُبشِّرونَ بالخير».[2]

ولكنّ رسالةَ سيِّدِنا المَسيحِ لم يقبَل بها إلاّ قليلٌ من بني يَعقوب، إذ يقولُ النّبيُّ أَشعيا: «يا مَولاي، ما أقَلَّ المؤمنين بِرِسالَتِنا!»[3] فلا يقدرُ أحدٌ على الإيمانِ إلاّ إذا سَمِعَ الرسالةَ، أي رسالةَ السَّيِّدِ المَسيحِ.

ولكنّني أقولُ: أَلَم يَسمَع بنو يَعقوب هذه الرِّسالةَ؟ أجل، إنّهم على عِلم بها، فقد جاءَ في المَزامير: «سَمِعَتِ الأرضُ كُلُّها صَوتَ المُرسَلين، وبلغَ كلامُهم الأرجاءَ كُلّها».[4] وأعودُ فأقولُ: «أَلَم يَكن بَنو يَعقوب يُدرِكونَ أنّ هذه الرِّسالةَ مُوَجّهةٌ إلى كلِّ الأُمَم؟» نعم، كان يجبُ أن يُدركوا ذلك. فقد قال اللهُ في زمنِ النّبيِّ موسَى: «لأُبارِكَنَّ أُمَّةً مِن غير بني يَعقوب وأَجعلُكم تَغارونَ مِنهم، وأَفيضُ برحمتي على أُمَّةٍ بِلا عِلمٍ فَتَغتاظونَ مِنهم».[5] وكان النّبيُّ أَشعيا جَريئًا حين أعلنَ قولَ اللهِ: «ها قد وَجَدَني الّذين لم يَبحثوا عنّي، وتجَلّيتُ للّذين لم يَطلبوني».[6] ثُمّ اسمعوا قولَه تعالى عن بني يَعقوب: «بَسطتُ يَديّ بالرّحمةِ يومًا بعد يومٍ لشعبٍ مُتمرِّدٍ عنيدٍ».[7]

---

(1) كتاب النبي يوئيل 2: 32.
(2) كتاب النبي أشعيا 52: 7.
(3) كتاب النبي أشعيا 53: 1.
(4) كتاب الزبور، مزمور 19: 4.
(5) يقتبس بولس هنا من التوراة، سفر التثنية 32: 21. كان بنو يعقوب يعتبرون الأقوام الآخرين جهلة دينيا، غير أن النبي موسى (عليه السّلام) تنبأ أن من بين هؤلاء الأقوام من سيفهم الرسالة قبل أن يفهمها بنو يعقوب.
(6) كتاب النبي أشعيا 65: 1.
(7) أشعيا 65: 2.

الفصل الحادي عشر

11: 1ـ12 إيمان أقليّة من بني يعقوب

وهنا أقولُ: هل رفضَ اللهُ بَني يعقوبَ الّذين اختارَهم من بينِ الأُممِ؟» كلاّ! أفلا تَرونَ أنّي أنا مِن بني يَعقوب، مِن نسلِ النّبيّ إبراهيمَ ومن قَبيلةِ بنيَمينَ؟! لَم يرفضِ اللهُ أهلَ الميثاقِ الّذين اختارَهُم منذُ القديم. واذكروا ما جاءَ في الكتابِ عن النّبيِّ إلياسَ[1] حِينَ اشتَكَى للهِ مِمّن ضَلَّ مِن بني يَعقوب فقال: «يا رَبُّ! إنّهم قتلوا أنبياءَك، وهدَموا كُلَّ مكانٍ تُحرَقُ فيه القرابينُ إكرامًا لك، وها أنا وَحدي مُخلصٌ لك أمينٌ، وها هم الآن يسعَون إلى قتلي!» فبماذا أجابَه اللهُ؟ هل تذكُرونَ؟ قال: «إنّي اصطفيتُ إلى جانبك سَبعةَ آلافِ شَخصٍ لم يَركعوا للبَعلِ».[2] وهذا عَينُ ما تُبصرونَ: يوجدُ من بني يَعقوب بعضُ الصّالحينَ، اختارَهمُ اللهُ بفضلِه، لم يَرفضوا رسالةَ سيّدِنا عيسى.[3] نعم، اختارَهُمُ اللهُ بفضلِهِ، لا لأنّهم يَلتزِمون بالشَّرعِ اليَهوديِّ، فلو أُختيروا ليهودِيّتِهِم ما كان فضلُ اللهِ فَضلاً.

فأيُّ معنى لكلِّ هذا؟ لقد سَعى بنو يَعقوب إلى مَرضاةِ اللهِ، ولكنّ أكثرَهُم لم يجِدوها، إلاّ ثُلّةٌ ممّن اختارهم اللهُ، أمّا الباقونَ فاللهُ جعلهم متعنّتين. ولقد قال اللهُ في التّوراةِ: «أعطاهمُ اللهُ عقلاً غافِلاً لا يفقهونَ به، وأعطاهُم عُيونًا لا يُبصرونَ بها،

---

(1) عاش النبي إلياس (عليه السّلام) 800 سنة قبل ميلاد السيد المسيح (سلامه علينا).

(2) هذا الإقتباس من كتاب الملوك الأول 19: 14، 18. كان الكنعانيون والفينيقيون يعبدون بعل، الذي أُطلق عليه بعض الأسماء الأخرى في آرام (سوريا) وفي بابل، مثل هدّاد وجيوبيتر. وكان يُعتبر إله العاصفة وإله الخصوبة، ويتمّ تجسيده واقفا على ثور لأن الثور يرمز إلى الخصوبة والقوة. ويبدو أن الذين يعبدونه كانوا يمارسون الجنس كعبادة ويضحّون بالأطفال أحيانًا خلال عبادته.

(3) أقام الله ميثاقًا بينه وبين بني يعقوب (انظر التوراة، سفر التثنية 7: 6). غير أنّ تمرُّد بني يعقوب المستمرّ جعل علماءهم يميّزون بين من بقي مخلصًا لميثاق الله (وهم الذين يعرفون بمُصطلح «البقية») وبين الذين ارتدّوا عنه. ويؤكد بولس هنا على أن قوم الميثاق الحقيقي يتكوّن من اليهود الذين ظلّوا مخلصين لله، وهم قلّة داخل قوم بني يعقوب.

وآذانًا لا يسمعونَ بها إلى يومِنا هذا».[1] وجاءَ الوحيُ إلى النّبيِّ داودَ في الزَّبورِ: «ليتَ ولائمَهم تُصبحُ فخًّا يقَعونَ فيهِ، ليتَهُم يَسقطونَ وينالون عقابَهم». «ألا ليت عُيونَهم مُظلِمةٌ فلا يُبصِرونَ، وليت ظهورَهم تنحني ذُلاًّ دائمًا».[2]

وهنا أسألُ: هل يَعني جُحودُ بني يَعقوب بالسّيّدِ المَسيحِ أنّهم لا يَرجِعونَ عن ضلالِهم؟ كلاّ! غير أنّهم حين رفضوا رسالةَ سيِّدِنا عيسى، انتشَرَتِ الرّسالة بين غيرِهِم من الأُمَمِ، فآمنوا بها وصاروا من النّاجينَ، وكان قصدُ اللهِ بذلك أن يغارَ بنو يَعقوب فيطلبوا النّجاةَ لأنفسِهِم. فإن كان عصيانُ أكثرَ بني يَعقوب يُؤدّي إلى نُزولِ بركةٍ عظيمةٍ على غيرِهم من الأُمَمِ، فما أعظَمَ رحمةَ اللهِ وبركاتَهُ حين يَعودونَ إليه كلُّهُم!

11: 13–24 الله يرحم بني يعقوب

يا إخوتي مِن غيرِ بني يَعقوب أُلقي إليكم خِطابي فاسمَعوني. إنّ اللهَ أرسلَني إلى غيرِ اليهودِ حَواريًّا، ولقد كنتُ برسالتي فخورًا مَرضيًّا، حتّى أُلهِبَ الغيرةَ في بعضِ إخوتي مِن اليهودِ، لأجعلَهم يَحصلونَ على النّجاةِ، ولمّا رفض اللهُ أكثرَ بني يَعقوب، رَضيَ عن ناسٍ مِن سائرِ الأُمَمِ وجعلَهم من عبادِهِ الصّالحينَ، فنَتيجةُ توبةِ بني يَعقوب وانضمامِهِم إلى جَماعةِ الإيمانِ ستكونُ أعظَمَ: إنّها العودةُ مِن الضّلالِ إلى الحياةِ![3]

وإن كان النّبيُّ إبراهيمُ وغيرُه مِن الآباءِ مَنذورينَ لله، فذرّيّتُهم كذلك، كشأنِ قِطعةِ الخبزِ الّتي نجعلُها قربانًا لله، فإنّها تجعلُ كلَّ الخبزِ طاهرًا مقبولاً.[4] إنّ الأنبياءَ الأوّلينَ عند اللهِ كانوا جُذورًا للشَّجرةِ، فإذا كانت جذورُها مَنذورةً، فكذلك تكونُ الفُروعُ مَنذورةً لله أيضًا. أمّا بَعضُ الفروعِ من شجرةِ إبراهيمَ، وهم من بني يَعقوب، فقد قُطِعُوا من شجرةِ الزّيتونِ، وأمّا أنتم يا إخواني من غيرِ اليهودِ، ففروعٌ من زيتونةٍ بَرّيّةٍ غُرِسَت في الزيتونةِ الأصليةِ، فأصبحتم تتنعَّمونَ بالبركاتِ المَوعودةِ للنّبيِّ إبراهيمَ وذرّيّتِهِ،

---

(1) هذا الاقتباس من التوراة، سفر التثنية 29: 4. ويضيف بولس في روما 9: 31–32 أنّ الله قد جعلهم متعنّتين لأنهم رفضوا الإيمان بالسيّد المسيح.

(2) كتاب الزبور، مزمور 69: 22–23.

(3) هناك تفسير آخر للنص اليوناني يقول: «سيكون هذا الأمر عظيمًا مثل عظمة القيامة من بين الأموات».

(4) وفقا لتعاليم التوراة أخذ اليهود بذور بكورة حصادهم، وصنعوا من بعض الدّقيق عجينًا ورفعوه قربانًا لله حتى يصبح كل العجين منذورًا له تعالى (انظر التوراة، سفر العدد 15: 17–21).

مِثْلَ الفروعِ الّتي تَتغذّى من جُذورِ تلك الزّيتونةِ الأصليّة.[1] فلا تتفاخروا على الفروعِ الّتي قُطِعَت، أولئك اليهودِ المَنبوذِينَ. وكيف تفتخِرونَ؟ وأنتم لا تحمِلونَ الجُذورَ، بل جذورُ الشّجرةِ هي الّتي تحمِلُكم! وقد يقول قائلٌ مِنكم: «إنّما قُطِعتِ الفروعُ حتّى نكونَ مَكانَها ونُصبحَ من أُمّةِ اللهِ» صحيحٌ. قُطِعَتِ الفروعُ لأنّهم لا يؤمنونَ بالسّيّدِ المَسيحِ، وإنّكم لَباقونَ في الشّجرةِ لأنّكم مُستمرّونَ في إيمانِكم، فلا يأخذَنَّكمُ الغُرورُ، بل احترِسوا لأنفسِكُم، فإن لم يَرأف اللهُ بالفروعِ الطّبيعيّةِ، فهل يرأفُ بكم إذا صرتم مِنَ الضّالّين؟

ألا تلاحظونَ أنّ اللهَ لطيفٌ وهو شديدُ العِقابِ؟! فاحذروا، إنّه شديدٌ على مَن رفضوا رسالتَهُ. لطيفٌ معك إن كنتَ تعتصمُ بلطفِهِ، وإلاّ فإنّك مَطرودٌ كالفرعِ المَقطوعِ. فإن عادَ بنو يَعقوب عن ضلالِهم، أرجعَهمُ اللهُ إلى شجرةِ الزّيتونِ لأنّهُ هو القادرُ على ذلك التّطعيم. أمّا أنتم، فقد قُطعتم مِن زيتونةٍ برّيّةٍ كنتم تنتمونَ إليها، وطعَّمَكُم اللهُ في زيتونةٍ جديدةٍ على خلافِ طبيعةِ التّطعيم المألوفة، أمّا بنو يَعقوب فهم فروعٌ طبيعيّةٌ من زَيتونتِهِم الّتي ينتسِبونَ إليها، فما أيسرَ أن يَعودَ المَقطوعونَ إلى شجرتِهِم الّتي كانوا يَنتسبونَ إليها.

11: 25–32 مصير بني يعقوب

يا إخوتي، افهموا هذا السِّرّ، حتّى لا تَغترّوا. أجل، إنّ مِن بني يَعقوب متعنّتين، ولكنّ هذا إلى فترةٍ مَحدودةٍ، حتّى ينضَمَّ عددٌ كاملٌ من غيرِ اليهودِ إلى أُمّةِ اللهِ. وبذلك ينجو كلُّ من أصبح من أُمّتِهِ. وهو ما جاء في كتابِ النّبيِّ أشعيا عَن سيِّدِنا عيسى: «إنّ المُنقِذَ سيأتي مِنَ القُدسِ ويردُّ عن بني يَعقوبَ الفسادَ، وسيكونُ هذا ميثاقي معهم، حين أَمحو ذنوبَهُم وخطاياهُم».[2]

لقد أصبح أكثرُ بني يَعقوب أعداءً لبُشرى مَملكةِ السّيّدِ المَسيحِ، وهذا لصالِحِكُم يا

---

(1) الطريقة المألوفة هي تطعيم شجرة بريّة بغصن من شجرة أصليّة. ولكن الصورة في هذا المقطع جاءت بطريقة عكسية، حيث ورد في الآية تطعيم زيتونة أصليّة بغصن من زيتونة بريّة. وهذه الطريقة غير طبيعية، فمثل هذا التطعيم لا ينتج ثمارا عادة. أمّا بولس فكان يريد أن يشير بهذه الصورة إلى أن الله يختار الناس كما يشاء ليدخلوا أُمّتَه، حتى وإن كان اختياره غير متوقّع.

(2) كتاب النبي أشعيا 59 : 20، 21؛ 27: 9.

مَن آمنتم مِن بَقيّةِ الأُمم. ولكنّ اللهَ اختارَ آباءَ بَني يعقوب: إبراهيمَ وإسحقَ ويَعقوبَ، وإنّه ثابتٌ على محبَّتِهِ لهم ولِذريّتِهِم، لأنّ اللهَ لا يَتراجعُ في ما وَهَبَهُ، وهو أَمينٌ لِمن دعاهُ. يا من لا تَنتمونَ إلى اليهودِ، لقد عصيتم اللهَ في الماضي، ولكنّه كان رحيمًا بكم عندما تمرّدَ بَنو يَعقوب عليه، وإنّهم ما زالوا في عصيانِهِم لله، ولكنّ رحمتَهُ حلَّت عليكم حتّى تَتفتّحَ عيونُهُم، ثُمّ يَتوبونَ وينالونَ رَحمةَ اللهِ. لقد عصا جميعُ النّاسِ اللهَ، فَتركهم مُكبَّلينَ بمعاصيهم، فلا نَجاةَ إلاّ برحمتِهِ.

11: 33-36 تسبيحة بولسُ على حكمة الله

ما أَعظمَ وما أغنى حِكمةَ اللهِ وعِلمَهُ! ما أَصعبَ إدراكَ أَحكامِهِ وفهمَ أَعمالِهِ!! وجاء في كتابِ النّبيِّ أَشعيا: «مَن كان يَعرفُ مَقاصِدَ اللهِ؟ أو مَن كان مُشيرًا له؟[1] أو مَن تفضّل على اللهِ بمَعروفٍ وهو يَنتظرُ رَدًّا مِنه؟»[2] لأنّ اللهَ خالقُ كلِّ شيءٍ، وحافِظُ كلِّ شيءٍ، وإليهِ يَرجعُ كلُّ شيءٍ. فلتكُن له العِزَّةُ إلى الأبدِ. آمـين.

الفصل الثّاني عشر

12: 1-13 ما يُرضي الله من صلاح الأعمال

إخوَتي في اللهِ، بِناءً على ما ذكرتُ لكم عن رحمةِ اللهِ لنا، أَتوسَّلُ إليكم أن تُقدِّموا ذواتِكُم له. وإنّ هذا التَّقديمَ قربانٌ حَيٌّ طاهرٌ تَنالونَ بِهِ مَرضاتَهُ تعالى، فيكونُ هذا عِبادةً حَقًّا له. واحذروا أن تُقلِّدوا ما اعتادَ عليه أهلُ الدّنيا، واقبلوا أن يُطهِّرَ اللهُ ما تفكّرونَ فيه، فتتمكّنوا مِن مَعرفَةِ ما يُرضي اللهَ، مَعرفةِ الأَعمالِ الصّالحةِ الكاملةِ.

إنّ اللهَ جعلني بفضلِهِ حَواريًّا، لذا فإنّي أُنذِرُ كلَّ واحدٍ منكم: لا تحسَبوا أنّ شأنكم كبيرٌ، بل كونوا صَريحينَ في تَقديرِ أنفُسِكُم، واعلموا أنّ اللهَ قد وَهَبَ مِقدارًا من الإيمانِ لكلِّ مؤمن. فمَثلُنا، نحن المؤمنينَ، كمَثَلِ الجسدِ الواحدِ فيه أَعضاءٌ كثيرةٌ ولكلِّ واحدٍ منها دورٌ مُحدّدٌ. وإنّا، نحن، جماعةَ المَسيحِ، رغمَ أنّنا كُثرٌ، مُوحَّدونَ بانتِمائنا إليه

---

(1) أشعيا 40: 13.

(2) يقتبس الحواري بولس هنا من سفر النبي أيوب 41: 11.

(سلامُهُ علينا)، وكُلّنا نعتمدُ على بَعضِنا بَعضًا ونحن بفَضلِ اللهِ نَتمتّعُ بِكراماتٍ شتّى، فمَن يملِكُ كرامةَ النُبوءة فعليه أن يَتنبّأ بقدرِ إيمانِهِ، ومَن يَملِكُ كرامةَ مُساعدةِ الآخرينَ، فليَجتهد في مُساعدتِهِم، ومَن يملِكُ كرامةَ الإرشادِ، فليُرشِدْهم حقَّ الإرشادِ. ومَن يملِكُ كرامةَ شَدِّ عزيمةِ المؤمنينَ، فليشدَّ عَزمَهُم بكلِّ حماسةٍ، ومَن يَملكُ كرامةَ الجودِ فليُعطِ بِسخاءٍ، ومَن يَملكُ كرامةَ الرّعايةِ فليَرْعَهم بِحماسٍ، ومَن يَملِكُ كرامةَ الرَّحمةِ فليَرحم النَّاسَ بكلِّ سُرورٍ.

إنّ مَحبَّةَ الآخرينَ، لا تكونُ إلاّ بالإخلاصِ. اُنبُذوا الشّرَّ وتمسّكوا بالخيرِ. وأَحِبُّوا بَعضُكم بَعضًا بمَودّةٍ أخويّةٍ، وليأخذ كلُّ واحدٍ مِنكم زِمامَ المُبادرةِ في إكرامِ الآخرين. فلا تتكاسَلوا بل اجتهِدوا، واخدموا مولانا بكلِّ حَماسٍ. وافرحوا في يقينِكم بآخرتِكم. واصبروا عند البلاءِ، وواظِبوا على الدُّعاءِ والصّلاةِ. وابذُلوا المالَ بكَرَمٍ لسدِّ حاجاتِ عبادِ اللهِ الصّالحينَ، واسعَوا إلى ضيافةِ الغُرباءِ.

12: 14-21

اطلبوا بركاتِ اللهِ لمَن يضطهدُكم، بَركاتٍ لا لَعناتٍ. وافرحوا مع كلِّ فَرِحٍ، وابكوا مع كلِّ باكٍ. تعايشوا في سلامٍ، ولا يأخذَنَّكُمُ الغُرورُ، بل سايروا أصحابَ المَراكزِ الدُّنيا. واحذروا أن تُصابوا بالغرورِ، أو أن تُجازوا شرًّا بِشرٍّ، بل تحرَّوا عملَ المَعروفِ أمامَ النّاسِ أجمعينَ. احرِصوا ما استطعتم أن تُسالموا جميعَ النّاسِ. أحبابي المُخلصينَ، لا تنتقِموا لأنفسِكم بلِ اتركوا أَمرَ الجزاءِ للهِ. فقد قال تَعالى في التّوراةِ: «لي وَحدي حقُّ القِصاصِ، وإنّي لأُجازي النّاسَ جميعًا لا مَحالة».[1] بلِ اعملوا كما جاءَ على لسانِ النّبيِّ سُليمان: «إن جاعَ عَدوُّكَ فأَطعِمهُ، وإذا ما عَطِشَ فاسقِهِ، فكأَنّك بذلك تُكَوِّمُ جمرًا مُشتعلاً على رأسِهِ».[2] فاحذَروا أن يغلِبَكم الشَّرُّ بل اغلِبوا الشَّرَّ بالخيرِ.

---

(1) التوراة، سفر التثنية 32: 35.

(2) يقتبس بولس من سفر الأمثال 25: 21-22. وجاء في اللغة الأصلية لسفر الأمثال أنّ الإحسان للعدوّ كأنه «جمع جمر مشتعل فوق رأسه». ويعتقد بعض الباحثين أن هذه العبارة إشارة إلى عادة يمارسه الناس وهي شبيهة بتقاليد التوبة عند المصريين القدامى. فعندما يحمل شخص الجمر في طبق على رأسه، يكون هذا دليلا على ندمه على ما ارتكبَه من شرّ، واعتراف منه بذنبه. ومن المرجّح أن للجمر دلالات إيجابية، خصوصًا أن الترجمات الآرامية القديمة لسفر الأمثال (الترجوم)، صاغت العبارة كما يلي: «سوف يجعل الله من عدوّك صديقا لك».

الفصل الثّالث عشر

13: 1-7 الخضوع للحكّام

إنّ علينا أن نَخضعَ للحُكّام، فأصحابُ السُّلطةِ كلُّهم يَحكمونَ بإذنِ اللهِ، إنّ اللهَ هو الّذي أقامَهم.[1] فمَن قاومَهُم، فقد قاومَ أمرَ اللهِ. ومَن قاومَ أمرَ اللهِ فقد جَلَبَ لنفسِهِ العِقابَ. والصّالِحونَ لا يخشَونَ الحُكّامَ، بل يَخشاهم مَن يفعلُ الشّرَّ، فهل رغِبتم أن تَعيشوا دون خوفٍ من أصحابِ السُّلطانِ؟ فافعلوا إذن الخيرَ وستنالونَ رِضاهم. إنّ أَصحابَ السُّلطانِ في خدمةِ اللهِ لخيرِ النّاسِ. أمّا إن كنتَ من الأشرارِ فعليك أن تخافَ مِنهم، لأنّ اللهَ لم يُعطِهم قدرةَ العقابِ بالسَّيفِ عَبثًا. إنّهم خَدَمُ الله، يُجازونَ ويُعاقِبونَ كُلَّ مَن يفعلُ الشرَّ. لذلك اخضَعوا للسُّلطةِ، لا خوفًا منَ العِقابِ فقط، بل مُراعاةً لضمائرِكم أيضًا.

وعليكم أيضًا أن تدفعوا الضّرائبَ، فأصحابُ السُّلطةِ يخدِمونَ اللهَ حين يواظِبونَ على عملِهم. فأَعطوا كلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ: أَعطوا جامعي الضَّريبةِ ما يجمعونَ مِن ضرائبَ، واعطوا جامعي الجِزيةِ ما يطلبونَ من جِزية، واحترِموا أهلَ الاحترامِ وأكرِموا أهلَ الإكرامِ.

13: 8-14 المحبّة روح الشّريعة

لا تُنقِصوا من حقِّ النّاسِ، فإنّ أعظَمَ حقٍّ عليكم هو مَحبتُكم لبَعضِكم بَعضٍ. فإن أحببتم جيرانكُم فقد عملتم بالشّريعةِ كلِّها. فالوصايا الّتي أُنزِلَت على النبيّ موسى مِن قَبلِ: «لا تزنِ ولا تَقتلْ ولا تسرِقْ ولا تحسُدْ» وسواها من الوصايا، يُمكنُ جمعُها في وصِيّةٍ واحدةٍ: «أَحبِب جارَكَ كما تحبُّ نفسَكَ».[2] إنّ الّذين يُحبُّونَ جيرانَهُم لا يَقربونَهُم بسوءٍ ولا يضرُّونَهم. كذلك شأنُ مَحبَّةِ الآخَرين إنّها تحقيقُ مُقتضيات الشَّريعةِ.

---

(1) كانت السلطات المدنية في عهد بولس وثنية. وربما ارتأى أتباع السيّد المسيح عدم الخضوع لهذه السلطات، وقد أصرّوا ألا يقدّموا الولاء إلا للسيّد المسيح (سلامه علينا). ولكن بولس قال لهم إن هذه السلطات الوثنية قد رتّبها الله للصلاح.

(2) التوراة، سفر الخروج 20: 13-15، 17؛ سفر التثنية 5: 17-19، 21، وسفر اللاويين 19: 18.

افعلوا هذا وأنتم على يقينٍ أنّ السّاعةَ قد قرُبَت، فحانَ وقتُ تركِ النّوم لأصحابِهِ، فنجاتُنا أَقربُ اليومَ مِن اليوم الّذي آمنّا فيه. كاد اللّيلُ يَنجلي ويبزغُ النّهارُ، فاخلعوا عنكم الأعمالَ السّوداء، وتَدرّعوا بِسلاحِ النّورِ حتّى نُحاربَ في الأنوارِ. علينا أن نتّبعَ دائمًا سُلوكًا يليقُ بالنّور، فاحذروا المُجونَ والسُّكرَ، ولا تكونوا خُلعاءَ فاسقينَ، ولا مُتخاصِمينَ حاسِدينَ، بل تجمّلوا بخِصالِ سيِّدِنا عيسى المَسيحِ، ولا تَنشغِلوا بإشباعِ النّفسِ وأهوائِها.

الفصل الرّابع عشر

14: 1-12 واجب قبول من يتشدّد في تقاليد الدّين

أَوسِعوا صُدورَكُم للمؤمنينَ الضُّعفاءِ[1] الَّذين يَتشدَّدونَ في تَقاليدِ الدّينِ، ولا تُجادلوهم في ما يتمَسّكونَ بهِ. فمِن المؤمنينَ مَن يَرى أنّه يملِكُ الحقَّ في أكلِ ما يشاءُ، ومنهم مَن يلتزمُ بالمُحرَّماتِ اليهوديّةَ إلى الآن، فيأكلُ الخُضرَواتِ، أمّا اللّحمُ المُقدَّمُ للأصنامِ فيتجنَّبُهُ. ومَن لا يَرَى في ما يأكلُهُ حرَجًا، فعليه ألاّ يحتقرَ مَن يلتزمُ بعضَ التّقاليدِ. ومَن يلتزمُ التّقاليدَ لا يحتقرُ المُتحرِّرَ منها، لأنّ اللهَ قد قبلَهُ. كلُّنا عبادُ اللهِ، فبأيِّ حقٍّ تتجرّأ على إدانةِ غيرك؟ إنّ اللهَ حَسيبٌ لكلِّ عبادِهِ، وهو ربُّهم، وبعونِهِ سيَهديهم إلى فعلِ الصَّوابِ فيَرضى عنهم.

ثُمّ إنّي أُنبِّهُكم إلى أمرٍ آخر: بَعضُكُم لديهِ أيّامٌ خاصّةٌ وأعيادٌ خاصّةٌ يحتفلُ بها، في حين يرى غيرُه أنّ الأيّامَ مُتساويةٌ فلا يحتفلُ بها.[2] فليُقرِّرْ كلُّ واحدٍ لنفسِهِ بنفسه، فمَن

---

(1) أوردت بعض الترجمات عبارة «الضعيف في الإيمان». وهذه العبارة تعني أن الإنسان قد يفشل في التوكّل على الله بشكل كلّي. والضعف هنا يشير إلى التوكّل على الله بالاستعانة باحترام قوانين الأعياد وتقاليد الأكل، بدلاً من التوكّل المطلق على الله دون الاستناد على هذه التقاليد، معتبرًا أن هذه العادات والتقاليد كانت قديمًا ضروريّة لإرضاء الله وهي من المآثر الثّقافيّة.

(2) يقول بولس إنَّ خلافات ثانوية ستظهر دائمًا بين المؤمنين بسبب اختلاف معتقداتهم وعاداتهم، ولكن عليهم أن يتعايشوا فيما بينهم ويحترموا عادات غيرهم. فربّما تمسّك بعض أتباع سيّدنا عيسى في روما بمراعاة حرمة السبت، أو بالاحتفال الأعياد الدينية اليهودية، أو بتخصيص بعض الأيام لتناول أطعمة خاصة.

يلتزمْ يومًا مُعيّنًا يلتزمْ به إكرامًا للهِ، ومَن يأكلْ كلَّ أَنواعِ الطّعام يأكلْها إكرامًا له أيضًا، ويشكرُهُ على نِعَمِهِ. ومَن يعتبرْ أَنّ بعضَ الطَّعام نجسٌ فما يفعلُ ذلك إلاّ إكرامًا لله، وهو شاكرٌ له. إنّنا لا نحيا ولا نموتُ لنُرضي أَنفسَنا. فإذا عِشنا فله نعيشُ، وإذا مُتنا فله نموتُ، فنحن له بحياتِنا وموتِنا سواءٌ، إكرامًا للهِ في انتمائِنا إليه (سلامُهُ علينا). إنّ السّيّدَ المَسيحَ مات ثُمّ بُعِثَ إلى الحياةِ من جَديد، حتّى يكونَ سيِّدًا على الأَحياءِ والأمواتِ. فلا يُدِن أحدُكم إخوانهُ، ولا يَحتقرْهم. فكلّنا سواءٌ، وأمام عرشِ الرّحمنِ سنقفُ وسنُحاسَب. كما جاءَ في كتابِ النّبيِّ أشعيا: «قال اللهُ: أَقسمتُ بذاتي، كلُّكم سيَركعُ لي على رُكبَيهِ، كُلُّكم سيُبايِعُني».[1] وكلُّنا إذَن سيُحاسَبُ أمامَ اللهِ.

14: 13-23 لا تجعل أخاك يضلّ

فاحذروا أن يحكمَ بَعضُكم على بَعضٍ، بل احرِصوا ألاّ تَجعلوا إخوانكم يشُكُّونَ في إيمانِهم أو يضِلّونَ. فأنا، بفضلِ تعاليم سيِّدِنا المَسيح، على يقينٍ أن لا شيءَ نجسٌ في حدِّ ذاتِهِ، ولا يَكونُ نجِسًا إلاّ لِمَن رآهُ نجسًا. فإن كان قلبُ أخيكم قد تغيَّرَ بسببِ ما تأكلونَهُ، فأنتم تتصرَّفونَ دون مَحبَّةٍ. فلا تجعلوا طعامَكُم سببًا في ارتدادِ إخوانِكم عن إيمانِهم، أولئك الّذين ضَحَّى السّيّدُ المَسيحُ بحياتِهِ من أجلِهم. فاحذروا أن يُدينَكُم النّاسُ في ما ترونَهُ صالحًا في أفعالِكُم. ولا يهُمُّ المأكلُ والمَشربُ في مملكةِ اللهِ المَوعودةِ، بل المُهمُّ أنّكم تسعونَ إلى مَرضاتِهِ تعالى وإلى السّلامِ والفرحِ لأنّكم تقتدونَ برُوحِ اللهِ. فالّذين يخدِمونَ سيّدَنا المسيحَ على هذا النّحوِ، سيَرضى عنهم اللهُ ويمدحُهُم النّاسُ.

فعلينا أن نتّبِعَ ما يُؤَدِّي إلى السّلامِ بين المؤمنينَ، وأن نجعلَ سعينا إلى تقويةِ أحدِنا للآخر. فاحذروا أن تُفسِدوا عملَ اللهِ بما تأكلونَهُ. حقًّا إنّ كُلَّ الطَّعامِ حلالٌ، ولكن تبيَّنوا ألاّ تُضِلّوا الآخرين بسببِ ما تأكلونَهُ. فخيرٌ لكم أن تمتنِعوا عن اللَّحم وغيرِه، مِن أن تُسبِّبوا الضّلالَ لإخوانِكم. فاتركوا ما تُؤمنونَ به في هذه الأُمورِ بينكم وبين اللهِ، وهنيئًا لمن يفعلُ الخيرَ، ولا يُؤلِمُهُ ضميرُهُ حين يفعلُ ما يؤمنُ به. أمّا مَن أكل، وهو يشُكُّ في حِلِّ الطَّعامِ أو تَحريمِهِ، فهو مُخطئٌ. فمَن لا يقومُ بعملِهِ على يقينٍ، فهو واقعٌ في الإثمِ.

(1) كتاب النبي أشعيا 45: 23.

الفصل الخامس عشر

15: 1ـ6 الصّبر على ضعف المتشدّدين

نحن الأقوياءُ في الإيمانِ علينا أن نَصبِرَ على ضُعفِ مَن يتشدَّدُ في تَقاليدِ الدّينِ، ولا نَسعى إلى إرضاءِ أنفُسِنا. بل على كلِّ واحدٍ منّا أن يُرضيَ أخاه المؤمن، حتّى يصيرَ راسخًا في الإيمانِ. لأنّ السّيِّدَ المَسيحَ لم يَحيَ ليُرضي نفسَهُ، كما جاء في الزَّبورِ الشَّريفِ: «يا الله، إنّ الإهاناتِ الّتي يوجّهونَها إليك كأنّما تقعُ عليّ!»[1] وكلُّ ما جاءَ في كُتبِ الأوّلين هو لإرشادِنا، كي يَقوى إيمانُنا ونتيقّنُ من وُعودِ اللهِ، ونحن ننتظِرُ إتمامَها.

إنّي أتوسَّلُ إلى اللهِ أن يشُدَّ عزيمتَكُم ويجعلَكُم ثابتينَ في الإيمانِ، وأن يَجعلَكُم على وفاقٍ كما يليقُ بأتباعِ سيِّدِنا عيسى المَسيح، حتّى تُسَبِّحوا بقلبٍ واحدٍ وصوتٍ واحدٍ بِحمدِ اللهِ، الأبِ الرَّحيم لِسَيِّدِنا عيسى المَسيحِ.

15: 7ـ13 النّجاة لليهود ولغيرهم سواء

اِقبَلوا بَعضُكم بَعضًا كما قبِلَكم سيّدُنا المَسيحُ، حتّى ترفَعوا ذِكرَ اللهِ. وإنّي أذكِّرُكُم أنّ سيِّدَنا عيسى المَسيحَ أتى ليُنجّي جميعَ النّاسِ: وجاء يُساعدُ اليهودَ مُصدِّقًا لكلِّ ما وعد اللهُ به الآباءَ الأوّلينَ وجاء أيضًا لغَيرِ اليهودِ حتّى يَرفعوا شأنَ اللهِ على رحمتِهِ، كما جاء في الزَّبورِ: «يا اللهَ، لذلك إنّي أُسبِّحُ بحمدِكَ بين كلِّ الأُممِ وباسمِك أُنشِدُ أناشيدَ».[2] وكما جاء في التَّوراةِ: «يا شُعوبَ الأرضِ، افرحوا مع أُمّةِ ميثاقِهِ».[3] وجاء أيضًا في الزَّبورِ: «سَبِّحوا اللهَ يا أُممَ العالَم، واحمدوه يا شعوب الأرض».[4] ويقولُ النَّبيُّ أشعيا أيضًا: «إنّ وَريثَ مَملكةِ داودَ قادمٌ، وهو القَائمُ ليَسودَ على الأُممِ، الّتي ستَضعُ فيه أَمَلَها».[5]

(1) كتاب الزبور، مزمور 69: 9.
(2) كتاب الزبور، مزمور 18: 49.
(3) التوراة، سفر التثنية 32: 43.
(4) كتاب الزبور، مزمور 117: 1.
(5) كتاب النبي أشعيا 11: 10. يذكر النص الأصلي أنّ سيدنا عيسى (سلامه علينا) هو سليل يسّى، والد النبي داود (عليه السّلام).

إنّي أسألُ اللهَ مانحَ اليقينِ، أن يغمرَكم بكُلِّ فرحٍ وسلامٍ لأنّكم تتوكَّلونَ عليه، حتّى تفيضوا يقينًا بقوّةِ روحِهِ تَقدَّس وتَعالى.

15: 14ـ21 مهمّة بولس في التّبليغ

أحبابِي، إنّي مُتيقّنٌ أنّكم مُفعمونَ بالخيرِ، وأنّكم تعلمونَ كُلَّ ما ذكرتُه لكم، وقادرونَ على تعليمِ بَعضِكم بَعضًا. غيرَ أنّي أُذَكِّرُكم بكلِّ هذا، فكتبتُ لكم بجُرأةٍ عنه، لأنّ اللهَ أنعمَ عليّ بفضلِهِ بأن أرسلني إليكم يا مَن لستم يهودًا، لأُبلِّغَكم البُشرى الرّبّانيّةَ. وكما يُقدِّمُ الأحبارُ القَرابين باسمِ اللهِ، كذلك أفعلُ لكي تكونوا قربانًا مقبولاً بين يَدَيه، وأجعلُكم مُخصَّصينَ له بروحِهِ تَقدَّس وتَعالى.

لهذا السَّببِ، فإنّي مَسرورٌ بكلِّ الأعمالِ الّتي يقومُ بها مَولاي عيسى المَسيحِ على يدَيّ. ولكنّي لا أتجرّأُ على التّباهي بنفسي، فما أَفعلُهُ ليس من ذاتي، بل إنّ السّيّدَ المَسيحَ قد قَوّاني في قولي وفِعلي، حتّى أَهدي إلى طاعةِ اللهِ بقيّةَ الشعوبِ. وبقوّةِ رُوحِ اللهِ جرَت على يدِي كراماتٌ ومُعجزاتٌ، حتّى وصَلَت البُشرى بالسّيّدِ المسيح منّي إلى النّاسِ في كلِّ الأقاليمِ من القُدسِ إلى اليَرْكُومَ.[1] إنّ هدفي أن أكونَ مُبلِّغًا للبُشرى بسَيِّدِنا في بلادٍ لم تَسمع عنهُ (سلامُهُ علينا)، فأنا لا أعملُ حيث أَنشأَ داعيةٌ آخرُ جماعةً مِن المؤمنينَ. وأنا بذلك أسيرُ على خُطى ما ذُكِرَ في كتابِ النّبيِّ أَشعيا: «إنّ الّذين لم يُخبَروا به يُبصِرونَ، والّذين لم يَسمعوا عنه يفقَهونَ».[2]

15: 22ـ33 الرّغبة في زيارة روما

ولقد مُنِعتُ مِرارًا من زيارتِكم بسببِ انشِغالي بالدَّعوةِ في هذه المناطِقِ. والآن حين استتبَّ الأمرُ للدّعوةِ في هذه البلادِ، ولم تعُد حاجةٌ إليّ، ولأنّي أرغبُ في زيارتِكم منذ زمنٍ، فأرجو أن أزورَكم وأنا في طريقي إلى إسبانيا، فألتقيكم، وتُيسِّرونَ

---

(1) كانت اليَرْكُوم مقاطعة رومانية تقع في المنطقة التي تضمّ اليوم: كرواتيا، البوسنة، وشمال ألبانيا. وربّما التقى بولس بعض الأشخاص من اليركوم خلال وجوده بمقدونيا (شمال اليونان)، وربما يكون هؤلاء الأشخاص قد آمنوا بالرسالة وعادوا إلى بلدهم لينشروها. ومن المرجح أن بولس قد زار هذه المنطقة خلال إقامته في كورنتوس.

(2) كتاب النبي أشعيا 52: 15.

لي سفري بعدَ أن أفرَحَ بلقائِكم ولو لحين. وها أنا أسير إلى القُدسِ، وأحملُ مُساهمةً للمؤمنينَ. فأَتباعُ السّيّدِ المَسيحِ مِن غيرِ اليهودِ في مَقدونيا في شمالِ اليُونانِ وأَخائية في جنوبِها، رأوا أن يتبرّعوا بهديّةٍ ماليّةٍ، وأن يُساعدوا المُحتاجينَ من بين إخوانِهِم اليهودِ. فاختاروا أن يَفعلوا ذلك بكلِّ سُرورٍ، لأَنَّهم كانوا يَشعُرونَ بواجبٍ كبيرٍ نحوهم. ولأنّ المؤمنينَ من اليهودِ باركوا غيرَهم من المؤمنينَ ببركاتِهِم الرُّوحيّةِ، فعلى هؤلاء أن يُشاركوهم ببركاتِهِم الماديّةِ. وبَعدَ أن أُسلِّمَهم هباتِ إخوانِهم المؤمنينَ، وأُنهي ما استُؤمِنتُ عليه، أَمُرُّ عليكم وأنا في طريقي إلى إسبانيا، وإنّي على يقينٍ أنّي حين أكونُ بينكم سيَفيضُ علينا خيرُ السّيّدِ المَسيحِ العَميمُ.

فإنّي أرجو مِنكم يا إخوتي المؤمنين، بحَقِّ سيِّدِنا عيسى المَسيحِ، أن تُثابِروا مثلي في الدُّعاءِ والابتِهالِ إلى اللهِ من أجلي، وهذا لأنّكم تُحبّونَني بفضلِ روحِ اللهِ، اُدعُوا اللهَ إذَن أن يُنقذَني من اليهودِ الّذين رَفضوا السّيّدَ المَسيحَ في مُقاطعةِ يَهوذا في فلسطين، وأن يُرحِّبَ المؤمنونَ في القُدسِ بالصَّدقةِ للفقراءِ. فأَصِلَ إليكم بإذن اللهِ وقلبي فرِحٌ، ونُشجِّعَ بَعضَنا بعضًا. وإنّي لأَدعو اللهَ، السّلامَ، أن يهَبَ لكم جميعًا السّلامَ ويكونَ معكم خيرَ سندٍ. آمين.

الفصل السّادس عشر

16: 1-16 تحيّات خاصّة

في هذه الرّسالةِ أُوصيكم خَيرًا بأُختِنا فيبِي، فهي تُساندُ جماعةَ المؤمنينَ في كَنكَريّة،[1] فاحترموها باسمِ سيِّدِنا عيسى، كما يجبُ على عِبادِ اللهِ الصّالحينَ. وساعدوها في ما تحتاجُ إليه، لأنّها قائمةٌ على أُموري وعلى أُمور العديدِ من الإخوةِ.

(1) ذكر بولس الأخت فيبي باعتبارها قائدة، وهذا دليل على أن النساء كن يشغلن مناصب قيادية في جماعات الإيمان الأولى. وهي من ميناء كنكريّة الذي يبعد حوالي 10 كيلومترات شرقيّ كورنتوس. ويرى كثير من الباحثين أن فيبي هي التي حملت هذه الرسالة من بولس إلى المؤمنين في روما.

والآن،[1] رَجاءً، سلِّموا على بَرَكَةَ وعَقِيلٍ رفيقَيَّ في الدّعوةِ إلى سيِّدِنا عيسَى المسيح، فقد خاطَرا بحياتِهما من أجلِي ذاتَ مرّةٍ. وما أنا وحدي بِشاكِرٍ لهما بل كذلك جَماعاتُ المؤمنينَ كلِّها مِن غيرِ اليهودِ. وبلِّغوا سَلامي لكلِّ المؤمنينَ الّذين يجتمِعونَ في دارِهِما. وسلِّموا على حَبيبي أَبِينِيتي، فقد كان في مُقاطعةِ آسيا أوّلَ المُهتدينَ. وبلِّغوا سلامي لِمَريمَ الّتي أَرهقَت نفسها كثيرًا من أجل إعانتِكم. سَلِّموا على أَندَروني وأُختِنا جونِيا، فهُما مثلي مِن شعبِ بني يَعقوب، وكانا مَسجونَيْنِ معي واهتديا قَبلي إلى السّيِّدِ المَسيحِ، ويحظيان بمقامٍ رفيعٍ بين الحَوارِيِّين. وسَلِّموا على أَمفيلاتي حَبيبي المؤمِن. وعلى أُربانَ، إنّه زميلُنا بينَ الدُّعاةِ إلى السَيِّدِ المَسيحِ، وعلى أَساخي الصَّديقِ الحَبيبِ. وسَلِّموا على أَفيلّي الّذي بَرهنَ أنّه مُخلصٌ أَمينٌ للسّيِّدِ المَسيحِ. وعلى الإخوةِ مِن أَهلِ بيتِ أَرِستوفُلَ. وعلى هِروديون قَريبي، وعلى كُلِّ مَن كان في بيتِ نَرقيسَ مِن أتباعِ سيِّدِنا عيسى المَسيحِ. سلِّموا على طَريفَةَ وطَريفُوسة العاملتَين في سبيلِ السّيِّدِ المَسيحِ. وعلى فارسِيَّةَ المُحبَّبةِ والمُجتهدةِ مِن أَجلِ سيِّدِنا. وعلى روفُسَ، ذلك الأَخِ الّذي اصطفاهُ سيِّدُنا عيسى، وعلى والدتِهِ الّتي أَعتبرُها مِن بين المؤمناتِ بِمثابةِ والدَتي. وعلى سِنقراطَ وفليغونَ وهِرمِسَ وفَتروبَ وهِرماسَ، وعلى كُلِّ الإخوةِ والأَخواتِ مِمَّن يَجتمعونَ عِندهم. وسلِّموا على فيلاغي وجوليا ونيري وأُختِهِ، وعلى أُوليمبيّة[2] وجميعِ الإخوانِ المَنذورينَ مِمَّن يَلتقونَ عندهم. وقَبِّلوا بَعضُكم بَعضًا بكُلِّ طُهرٍ. إنّ كلَّ جماعاتِ أَتباعِ السّيِّدِ المَسيحِ يُسلِّمونَ عليكم.

---

(1) أحد أسباب ذكر بولس لهؤلاء الأشخاص هو شهادتهم له باعتباره حواريا وشخصا مستقيما من أجل المؤمنين الآخرين في روما. وكان بركة وعقيل يعيشان في روما قبل أن يغادراها مع بقية اليهود عندما طردهم الإمبراطور كلاوديوس حوالي سنة 49 للميلاد. وبعد ذلك اشتغلا بتجارتهما مع بولس (انظر أيضا سيرة الحواريين 18: 18-26) وقد تمّ السماح لليهود بالعودة إلى روما عندما أصبح نيرون إمبراطورًا قبل كتابة بولس لرسالته هذه بثلاث سنوات. ومعظم الأشخاص الذين حيّاهم بولس هنا كانوا من غير اليهود، تحديدًا من عبيد محرّرين، أو المنحدرين من عبيد محررين مثل خدم أرستوفل ونَرْقيس. ومن بين الـ 27 شخصًا الذين حيّاهم بولس عشر نساء، ستٌ من بينهنّ استحققن الثّناء بسبب خدمتهن لغيرهن من المؤمنين.

(2) طريفة، طريفوسة، فارسية، جوليا، وأوليمبيّة أسماء لنساء، وهذا دليل آخر على الدور القيادي الذي كانت تضطلع به النساء في جماعات الإيمان الأولى.

16: 17-24 وصايا ختاميّة

وإنّي أُوصيكُم جميعًا أن تحترِسوا مِن كُلِّ الّذين يَسعونَ لتعليمِكم أُمورًا تُخالفُ ما تعلَمتموهُ، وانتبِهوا أَيضًا مِن النّاسِ الّذين يُضلّونكم ويُثيرونَ الانقِسامات بينكم، فابتعِدوا عنهم. فما هم لسيِّدِنا المَسيحِ بِخادِمينَ، بل مُستعبَدونَ لشهوات بُطونِهم. ويُضلّونَ قُلوبَ البُسطاءِ بما يَنطقونَ بهِ مِن كلامٍ مَعسولٍ. أمّا طاعتُكم لسيِّدِنا، فقد سمِعَ بها كُلُّ النّاسِ، ولذلك فأنا مَسرورٌ بِكُم. فكونوا حُكماءَ في كُلِّ ما هو خيرٌ، وأَبرياءَ مِن كُلِّ ما هو شَرٌّ. واللهُ الّذي يهبُ السّلامَ، سيَجعلُ الشَّيطانَ تحتَ أقدامِنا قَريبًا،[1] فَليَكُن فَضلُ سَيِّدِنا عيسى معكم أَجمعينَ.

يسلِّمُ عليكم تيموتاوي[2] رفيقي في الدَّعوةِ، وأيضًا لِسُيوسُ ويَاسونُ وَسوباترُ، وهم مثلي مِن بني يَعقوب.

وأنا تِرتاوي، مَن سَجَّلَ كلامَ بولُسَ في هذه الرِّسالةِ، أُسلِّمُ عليكم باسمِ سيِّدِنا المَسيحِ. ويسلِّمُ عليكم غايسُ وأنا ضيفٌ عنده، ويجتمعُ المؤمِنونَ في دارِهِ. ويسلِّمُ عليكم الأَخُ كُوارتي، والأخُ أَرِستي أَيضًا[3] وهو الأَمينُ على خزانةِ المدِينةِ.

16: 25-27 تسبيح ختامي

تباركَ اللهُ القادرُ أن يَجعلَكم في الإيمانِ راسِخينَ، لأَنّكم تؤمنونَ بِبيانِهِ الّذي أَدعو إليهِ، ألا إنّهُ البُشرى السارّةِ بسيّدِنا عِيسى المَسيحِ. وهذا هو السِّرُّ المَكتومُ الّذي أَخفاهُ اللهُ عَن النّاسِ عبرَ الأزمان. ولَقد أَمَرَ سُبحانهُ وتَعالى أَن يُكشَفَ ويُذاعَ على كلِّ الشُّعوبِ حتّى يؤمنَ به النّاسُ ويُطِيعوهُ، وهو ما تنبَّأَ به الأنبياءُ والمُرسَلونَ وكشفوهُ في كُتُبِهِم، ألاّ حكيمَ إلاّ اللهُ، وأَنّ العِزَّةَ والجلالَ للهِ بِسَيِّدِنا عيسى المَسيحِ. آمـين.

---

(1) جاء وعد الله في التوراة (سفر التكوين 3: 15) أن الأفعى التي خدعت آدم وحواء ستُسحق في يوم من الأيّام تحت أقدام نسل حواء. وقد رأى بعض المفسّرين اليهود أنّ نسل حواء هو أمّة بني يعقوب، بينما رأى آخرون أنّ النسل يتمثّل في السيّد المسيح (سلامه علينا)، لكن بولس اعتبر أن هذا الوعد يتحقّق في أتباع السيّد المسيح.

(2) تيموتاوي هو ابن لأب وثنيّ وأمّ يهوديّة آمنت بالسيّد المسيح، وقد اهتدى إلى الإيمان بفضل بولس (انظر سيرة الحواريين 16: 1-3).

(3) يذكر بولس هنا أرسْتي وهو أمين بيت مال المدينة، وفي ذلك إشارة إلى انتشار رسالة سيّدنا عيسى المسيح بين الأغنياء، ولم تقتصر على الفقراء فقط.

مدخل إلى رسالة كورنتوس الأولى

أرسل الحواري بولس هذه الرسالة حوالي سنتي 54-55 بعد الميلاد من مدينة أفاسوس، التي كانت المركز التجاري الرئيسي للمنطقة والتي تقع في الشاطئ الغربي لِما يعرف اليوم بتركيا. فقد كتبها بولس خلال رحلته الدعوية الثالثة بعد انطلاقه من مقرّ إقامته في مدينة أنطاكية في سوريا، في الفترة المذكورة في سيرة الحواريين (أي أعمال الرسل)، الفصل 19.

كانت كورنتوس مستعمَرة رومانية وعاصمة محافظة أخائية الرومانية في جنوب اليونان. وكانت مدينة كبيرة مزدهرة عُرِفَتْ بتنوّعها الثقافي الكبير من بين المدن الرومانيّة كلها، وكانت مركزا لعبادة الإلهة أفروديت (الزهراء)، ومكانًا مشهورًا بالفواحش الجنسية.

أَسّسَ بولس جماعة المؤمنين في كورنتوس في الزيارة المذكورة في الفصلِ 18 من سيرة الحواريين. وكتب إليهم في فترة لاحقة رسالة ذُكرت في كورنتوس الأولى 5: 9، ويعالج فيها ذنوبهم ذات الطابع الجنسي وربما عبادة الأصنام أيضًا. ويبدو أنّ المؤمنين في كورنتوس قد ردّوا على تلك الرسالة برسالة خاصّة ربّما سلّمها إليه أستفاناس وبَخيتُ وأَخائي (انظر كورنتوس الأولى 7: 1، 16: 17). هذه الرسالة ليست موجودة الآن، ولكن يبدو أنها قد تضمّنت أسئلة المؤمنين في كورنتوس ودارت حول: الزواجِ، الطعام المقدّم إلى الأصنام، كيفية استعمال كرامات روح الله، ما يجمعه بولس من صدقة من أجل الفقراء في القدس، والحواري شمسي.

يبدأ بولس إجابته عن هذه الأسئلةِ بقوله "أمّا بخصوص" (7: 1؛ 7: 25؛ 8 :1؛ 12 :1؛ 16 :1؛ 16: 12). وتناول بولس إضافةً إلى ذلك مواضيع أخرى وربّما كان ذلك بسبب الأخبار التي سمعها من أهل بيت خَلْوَة بخصوص أوضاع كورنتوس (انظر كورنتوس الأولى 1: 11) وهي: الانتماءات لطوائف بين المؤمنين (1 :10 حتّى 4: 21)، انضباط الجماعة (5: 1-13)، والدعاوي (6 :1-11)، والفواحش الجنسية (6

12: 20-12)، والنظام أثناء الصلاةِ والعبادةِ (11: 2-16)، وكيفية التصرُّف أثناء العشاء لاستحضار ذكرى السيد المسيح (11: 17-34)، وحقيقة البعث (15: 1-58). ولا يبدو واضحًا في بعض السياقات ما إذا كان بولس يَقتبسُ من كلام أهل كورنتوس ويصحّحه أم يوافق على بعض المسائل التي طرحوها.

لكن يبدو أنّ مشاكل عديدة تعود إلى تبايُن خلفيات المؤمنين، التي تقوم على تبايُن الطبقات الاجتماعية، وهذا يؤدي إلى تباين المواقف في قضايا عديدة. لذلك حث بولس المؤمنين على التَفكير بعضهم في بعض وعدم الاقتصار على مصالحِهم الشخصية.

بسم الله تبارك وتعالى

رسالة الحَواري بولُس الأولى
إلى أحباب اللّه في كورِنْتوس

الفصل الأوّل

1: 1ـ3 تحيّة

هذِهِ الرِسالةُ مِن بولُسَ الَّذي دَعاهُ اللهُ بِأمرِهِ تَعالى لِيَكونَ حَوارِيَّ عيسى المَسيحِ، ومِنَ الأخِ سوسْتيني وهيَ موَجَّهةٌ إلى جَماعةِ أحبابِ اللهِ في مَدينةِ كورِنْتُوس. اعلَموا أنَّ اللهَ نَذَرَكُم عِبادًا لَهُ صالِحينَ لِأنَّكُم مُخلِصونَ لِسَيِّدِنا عيسى المَسيحِ. نَعَم، أنتُم الَّذينَ اختارَهُم لِلإيمانِ كَما اختارَ غَيرَكُم في كُلِّ مَكانٍ، إنَّ سَيِّدَنا المَسيحَ هوَ سَيِّدُ كُلِّ مَن يَستَغيثُ بِهِ، أنتُم أم غَيرُكُم سَواءٌ. السَّلامُ عليكُم والرَّحمةُ من اللهِ أبينا الصَّمَد، وسَيِّدِنا عيسى المَسيح (سلامُهُ علينا).

1: 4ـ9 فضل الله على مؤمني كورنتوس

الحَمدُ لِلهِ دائمًا عَلى أفضالِهِ الَّتي كَرَّمَكُم بِها بإيمانِكُم بِسَيِّدِنا عيسى المَسيحِ. إذ بِانتِمائكُم إلَيهِ يُكَرِّمُكُم اللهُ بِالفَصاحةِ والبَيانِ وبِالمَعرِفةِ والبُرهانِ. ذَلِكَ أنَّ رِسالَةَ المَسيحِ الَّتي نُنادي بِها راسِخةٌ فيكُم بِالإيمانِ. فلا خَوفَ عَلَيكُم أن يَقِلَّ خَيرُكُم وتَنقُصَ كَراماتُ روحِ اللهِ الَّتي كَرَّمَكُم بِها وأنتُم تَنتَظِرونَ تَجَلّي سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ. إنَّهُ لَحافِظُكُم ثابِتينَ إلى يَومِ الحِسابِ، لِتَكونوا بَينَ يَدَي اللهِ مَقبولينَ، لا يُرى في أعمالِكُم تَقصيرٌ ولا نُقصانٌ حينَ يَتَجلّى سَيِّدُنا عيسى المَسيحُ مَلِكًا. إنّ اللهَ يَعِدُكُم بِكلِّ ذلِكَ، وإنَّهُ لا يُخلِفُ وَعدَهُ، فَقَد دَعاكُم لتستمسِكوا بعُروَةِ سيِّدِنا عيسى المَسيحِ، الابنِ الرّوحيّ لَهُ تَعالى.

1: 10-17 كونوا على وفاق

يا إخوَتي في اللهِ، إنّي أرجو مِنكُم بِسُلطانِ سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ أن تَكونوا صَفًّا واحِدًا في مَحَبَّتِهِ دونَ انقِساماتٍ وخِلافاتٍ، فاعضُدوا بَعضُكُم بَعضًا في الرأيِ والفِكرِ وكونوا مُتَكاتِفينَ.[1] فَلَقَد جاءَتني عَنكُم أخبارٌ مِن أهلِ بَيتِ الأُختِ خُلوَةَ أنَّ بَينَكُم انقِساماتٍ وضَغينة، فَهَؤلاءَ يَقولونَ: «نَحنُ نَنتَمي إلى جَماعةِ بولُسَ»، وأولَئكَ يُرَدِّدونَ: «ونَحنُ على نَهجِ جَماعةِ شَمسي»، وآخَرونَ يُحَدِّثونَ: «لَن نُغادِرَ جَماعةَ بُطرُسَ»، وبَعضُكُم يُعلِنُ: «نَحنُ مِن جَماعةِ المَسيحِ».[2] ألا فاحذَروا أحبابي، إنّ هذا لَهُوَ البلاءُ العظيمُ! إنَّ جَماعةَ سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ واحِدةٌ لا تُصيبُها فِتنةٌ ولا بَغضاءُ. هَل بولُسُ هوَ الَّذي ماتَ مَصلوبًا مِن أجلِكُم، أم تَطَهَّرتُم بِالماءِ لِتَكونوا لَهُ أتباعًا بَدَلاً مِن السَيِّدِ المَسيحِ؟[3]

الحَمدُ لِلهِ، لا أحَدَ مِنكُم تَطَهَّرَ بالماءِ صِبغةً لِلهِ عَلى يَدَيَّ حَتّى يَنضَمَّ إلى جَماعةِ المَسيحِ إلاّ كِريسبوسَ وغايُسَ.[4] فَلا أحَدَ يَقدِرُ على القَولِ إنَّهُ تَطَهَّرَ بِالماءِ لِيَكونَ مِن

---

(1) خلال فترة كتابة الحواري بولس لرسالته، كان أتباع سيدنا عيسى (سلامه علينا) يتّخذون من المنازل مكانًا لاجتماعاتهم، ورغم أن الكثير من الأغنياء كانوا قد فتحوا بيوتهم الواسعة لاجتماعات المؤمنين، وكان من الصعب وجود بيت يضمّ عدد هؤلاء، لذلك كان أتباع السيد المسيح في مدينة كورِنْتوس يجتمعون في عدّة بيوت مختلفة، وهو ما سهّل بروز انقسامات بينهم.

(2) كان شمسي المولود في الإسكندرية، يهوديًا من أتباع السيد المسيح، وكان ذكيًا وخطيبًا فصيحًا. ويبدو أن المؤمنين في كورنتوس بدؤوا يخصّون بالولاء معلّمين بعينهم (مثل: بُولُس وشمسي) استنادا إلى مهاراتهم في الكلام والتفكير. و«شمسي» هو اسم إغريقي معناه: «المنذور لإله الشمس» وقد قمنا بتعريبه على هذا الأساس.

(3) ث13.1 قديمًا كان الشخص الذي يتمتّع بنفوذٍ يمنح اسمَه إلى شخص آخر، وهذا دلالة على توحُّد الشخصين في علاقة وثيقة. ويبدو أن المؤمنين في كورنتوس قد حافظوا على هذه العادة، فكانوا يفهمون التطهُّر بالماء صبغة لله على أنه رابطة بين الأشخاص المشرفين على عملية التطهُّر والأشخاص الذين تطهروا على أيديهم. وهو فهم خاطئ لعملية التطهُّر، ذلك أن التطهُّر بالماء إعلان يفيد تحوّل الناس إلى أتباع لسيّدنا عيسى لا إلى شخص معيّن.

(4) كان كِريسْبوس – على الأرجح – المسؤول عن بيت العبادة في كورنتوس والذي أصبح هو وأهله من أتباع السيد المسيح عندما زار الحواري بولس المدينة (انظر سيرة الحَواريين 18: 8). والسبب الذي جعل بولس يشرف على عملية تطهُّر كِريسْبوس وغايس بالماء بنفسه هو أنهما اهتديا إلى الإيمان بالسيد المسيح قبل وصول اثنين من مساعدي بولس من مقدونيا، وهما سلواني وتيموتاوي.

أتباعي! نَعَم، لَقَد تَطَهَّرَت عَلى يَدَيَّ عائلةُ أستِفاناسَ بِالماءِ دَليلاً عَلى إيمانِهِم بِالمَسيحِ. ولا أذكُرُ أنّي طَهَّرتُ غَيرَ هَؤلاءَ، فالسَّيِّدُ المَسيحُ لَم يُرسِلني لأتفرّغَ إلى تَطهيرِ النّاسِ صِبغةً لِلهِ، بَل لِأنشُرَ بَينَهُم وفيهِم رِسالَتَهُ، لا بِلُغةِ البُلَغاءِ، ولا بِحِكمةِ الحُكَماءِ، حَتّى لا تَضيعَ تَضحيةُ سَيِّدِنا المَسيحِ عَلى الصَليبِ هَباءً.

1: 18-25 رسالة الصّليب

ثُمَّ تَبَيَّنوا، أحبابي، أنَّ مَوتَ السَّيِّدِ المَسيحِ عَلى الصَليبِ في عُيونِ الهالِكينَ حَماقةٌ وغَباءٌ، أمّا لِلّذينَ كانوا مؤمنينَ مِثلَنا، فَهوَ قُوّةُ اللهِ فينا حَتّى نَكونَ مِنَ النّاجينَ الطُّلقاءِ. أفَلا تَسمَعونَ، ما جاءَ في كِتابِ النَبيِّ أشعَيا: «لَأُبيدَنَّ حِكمةَ الحُكَماءِ، ولَأُزيلَنَّ فَهمَ الفُهَماءِ». [1] فَما المَنزِلةُ الحَقيقيّةُ لِحُكَماءِ الدُنيا وفُقَهائِها وفَلاسِفَتِها؟ إنَّ اللهَ كَشَفَ لَنا أنَّ الاتِّكالَ عَلى الحِكمةِ الدُنيَويّةِ هوَ الجَهلُ المُبينُ.

إنَّما أرادَ اللهُ أن يَعرِفَهُ النّاسُ لا بِحِكمَتِهِم الدُنيَويَّةِ بَل بِحِكمَتِهِ العَليّةِ، ولَقَد شاءَ النّجاةَ لِلمُتَمَسِّكينَ بِسَيِّدِنا عيسى، في حينِ يَزعُمُ أدعياءُ الحِكمةِ أنَّ ذَلِكَ حَماقةٌ. إنَّ اليَهودَ لا يَقتَنِعونَ إلاَّ بالمُعجِزاتِ أمّا الآخِذونَ بِأسبابِ الحَضارةِ اليونانيّةِ فَلا يَقتَنِعونَ إلاّ بِكَلامِ الحِكمةِ والفَلسَفةِ. أمّا نَحنُ فَعِندَنا الخَبَرُ اليَقينُ! ألا إنَّ سَيِّدَنا عيسى المَسيحَ ضَحّى بِنَفسِهِ عَلى الصَليبِ، وهوَ ما يَستَنكِرُهُ اليَهودُ، ويَستَخِفُّ بِهِ غَيرُ اليَهودِ. [2]

أمّا الَّذينَ اختارَهُم اللهُ لِيَكونوا عَبادَهُ الصالِحينَ، يَهودًا كانوا أو غَيرَ يَهودٍ، فَيَجِدونَ في السَيِّدِ المَسيحِ إظهارًا لِقُدرةِ اللهِ وحِكمَتِهِ. أفَيَظُنّونَ أنَّ رِسالةَ اللهِ غَباءٌ وهُراءٌ؟ ألا إنّها أحكَمُ مِن حِكمةِ الحُكَماءِ وأبلَغُ مِن بَلاغةِ البُلَغاءِ! أفَيَظُنّونَ أنَّ التَّضحيةَ عَلى الصَّليبِ ضَعفٌ ووَهَنٌ؟ كَلاّ، بَل هيَ أشَدُّ بأسًا مِن قُوّةِ النّاسِ! [3]

---

(1) هذا الاقتباس من كتاب النبي أشعيا، 29: 14.

(2) كان بنو يعقوب يتوقّعون أن يظهر المسيح المنتظر ملكًا ممجّدًا، لكنّه صُلب عوض ظهوره بهذه الطريقة. وهو ما لم يستسغه هؤلاء بناء على طريقة تفكيرهم الدنيوية لأنّ الصلب كان يعتبر عقابًا فظيعًا ومُذلاً يُستخدم لمعاقبة المجرمين والمتمردّين المهزومين. كما أن فكرة صلب منقذ البشر لم تكن مستساغة أيضا لدى الإغريق والرومان لأنهم كانوا يعرفون أن الصلب لا يستحقّه إلا المجرمون إذ لا يمكن صلب شخص محترم.

(3) يبدو أن السبب الذي جعل بولس يركز على «الحكمة» في هذا المقطع هو أن الطوائف المتنافسة التي كان يخاطبها كانت تستخدم الحكمة باعتبارها ميزة رئيسية تميزها. إلاّ أنّ بولس يؤكّد أنّ ما تعتبره هذه الطوائف «حكمة» هو في الواقع لا يتعدّى أساليب التفكير الدنيوية.

1: 26ـ31

واذكُروا يا إخوتي كَيفَ كُنتُم قَبلَ أن تَستَجيبوا لِدَعوةِ اللهِ. ما كانَ بَينَكُم إلاّ قَليلٌ مِن الحُكَماءِ أو مِن الأشرافِ العُظَماءِ. ولَقَد اختارَ اللهُ مَن يَعتَبِرُهُم أهلُ الدُنيا جَهَلَةً لِيُخزي بِهِم أهلَ الحِكمةِ، والَّذينَ يَستَضعِفُهُم العالَمُ لِيُخزي بِهِم أصحابَ النُفوذِ. ولَقَد اختارَ اللهُ الَّذينَ كانوا في أعيُنِ أهلِ الدُّنيا أذِلاّءَ مُحتَقَرينَ، لِيُعلِنَ لِلعالَمين أنَّ ما يَتَباهى بِهِ أهلُ الدُّنيا سَرابٌ خادِعٌ، حَتّى لا يَفتَخِرَ عِندَ اللهِ المُفتَخِرونَ. أمّا أنتُم يا أحبابي، فافخَروا لِأنَّكُم تَنتَمونَ إلى عيسى المَسيح (سَلامُهُ عَلَينا) بِفَضلٍ مِن اللهِ، فَهوَ عَينُ الحِكمةِ، ونَحنُ فيهِ مِن الصالِحين وهوَ لَنا فِدًى ونَحنُ بِهِ مَقبولونَ. افتَخِروا إذَن يا أحبابي، وكَما جاءَ في كِتابِ النَبيِّ إرميا: «مَن أرادَ أن يَعتزّ، فليَعتزّ باللهِ».[1]

الفصل الثّاني

2: 1ـ10 طريقة بولس في الدّعوة بينهم

أمّا أنا، يا إخواني وأخَواتي، فَلَم تكُن فَلسَفةُ أهلِ الدُّنيا أسلوبي عِندَما أقبَلتُ إلَيكُم أوَّلَ مَرّةٍ أكشِفُ لَكُم عَن سِرِّ اللهِ المُبينِ، بَل عَزَمتُ، وأنا بَينَكُم، ألاّ أُناديَ بِشَيءٍ إلاّ بِسَيِّدِنا عيسى المَسيح وتَضحيَتِهِ عَلى الصَليب. فَلَمّا وَقَفتُ بَينَكُم شَعَرتُ بِالضَّعفِ، وخِفتُ أن أفشَلَ في تَبليغِ الرِّسالةِ إلَيكُم، فَلَمّا خاطَبتُكُم ودَعوتُكُم، رَأيتُ ألاّ أسحَرَ عُقولَكُم بِالحُجَجِ والحِكمةِ، بَل بَلَّغتُكُم الرِّسالةَ مؤَيَّدةً بِقُدرةِ روحِ اللهِ، حَتّى يَستَنِدَ إيمانُكُم عَلى قُوّةِ اللهِ، لا عَلى حِكمةِ البَشَرِ.

ومَع ذَلِكَ، فَإنَّ الحِكمةَ هيَ أُسلوبُنا مَع الراشِدينَ في إيمانِهِم. وهيَ لَيسَت حِكمةً دُنيَويّةً، ولا هيَ صادِرةٌ عَن قادةِ الدُنيا وحُكّامِها الماضينَ إلى زَوالٍ. ولَكِنَّنا نُعلِنُ حِكمةَ اللهِ المَكنونةَ، تِلكَ الَّتي كانَت خَفيّةً عَن النّاسِ فيما مَضى، فَشاءَ اللهُ أن يَكشِفَها لَنا. وقَد جَعَلَها اللهُ لَنا ذُخرًا مِن قَبلِ خَلقِ الكَونِ إكرامًا لَنا ولَم يَفهَمها أحَدٌ مِن أشرافِ هَذِهِ

(1) من كتاب النبيّ إرميا 9: 24.

الدُّنيا، فَلَو فَهِموها ما كانوا لِيَصلِبوا سَيِّدَنا عيسى صاحِبَ الجَلالةِ.[1] فَنَتَكَلَّمُ بِما أخبَرَنا بِهِ النَّبيُّ أشعَيا: «ما لَم تَرَهُ عَينٌ ولا سَمِعَت بِهِ أُذُنٌ ولا خَطَر عَلى قَلبِ بَشَرٍ، جَعَلَهُ اللهُ ذُخرًا لِأحبابِهِ».[2] ولَكِنّ اللهَ كَشَفَ لَنا هَذِهِ الأُمورَ كُلَّها بِروحِهِ، إنّ روحَ اللهِ تنفذُ إلى كُلِّ شَيءٍ، حَتّى خَفايا أسرارِ اللهِ.

2: 11ـ16

أفَلا تُبصِرونَ؟ فَإنَّ روحَ الإنسانَ فيهِ تعلمُ ما يُظهِرُه وما يُبطِنُه، كَذَلِكَ لا أحدَ يَعلمُ أُمورَ اللهِ إلاّ رُوحُ اللهِ. ولَقَد وَهَبَنا اللهُ روحَهُ، لِهَذا السَّبَبِ نَحنُ لا نُفَكِّرُ كَما يُفَكِّرُ أهلُ الدُّنيا، ولِهَذا السَّبَبِ أيضًا نَستَطيعُ إدراكَ ما أنعَمَ بِهِ اللهُ عَلَينا مِن بَرَكاتٍ. فَنُخبِرُ عَنهُ بِكَلامٍ نابعٍ من رُوحِ اللهِ فينا، لا بِحِكمةِ النّاسِ. وذَلِكَ لِنُفَسِّرَ ما يَصدُرُ عَن روحِ اللهِ لِلمؤمِنين الَّذينَ يَقتَدونَ بِروحِهِ تَعالى. أمّا الَّذينَ يَتَشَبَّثونَ بِالدُّنيا، فأنّى لَهُم أن يَقبَلوا ما يَصدُرُ عَن روحِ اللهِ؟ لِأنَّهُم يَرَونَ ذَلِكَ غَباءً، وهُم عاجِزونَ عَن فَهمِهِ، فَلا سَبيلَ لَدَيهِم إلاّ بِحُلولِ روحِ اللهِ المَجيدِ فيهِم، فَيُدرِكونَ قيمَتَهُ وفَضلَهُ. إنَّ المُقتَدينَ بِروحِ اللهِ يُدرِكونَ كُلَّ الروحانيّاتِ، وأمّا الآخَرونَ فَيَعجِزونَ عَن إدراكِ شأنِهِم، كَما أخبَرَ النَّبيُّ أشعَيا في الكِتابِ: «مَن ذا الَّذي يُدرِكُ فِكرَ اللهِ؟ مَن ذا الَّذي يَقدِرُ أن يُرشِدَهُ السَّبيلَ القَويمَ؟»[3] أمّا نَحنُ فَنُدرِكُ كُلَّ هَذِهِ الأُمورِ، لِأنَّنا نَعتَصِمُ بِفِكرِ سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ.

الفصل الثّالث

3: 1ـ9 الحَواريون ليسوا زعماء بل عباد الله

إخوَتي في الإيمانِ، أنا لم أحدِّثكم كما أُحدِّثُ مَن انقادَ بروحِ اللهِ حين كنتُ بينكم قبلَ سنواتٍ قليلةٍ، بل حدَّثتُكم كأطفالٍ ينقادونَ بأهوائِهم غيرَ راشدين في الإيمانِ

(1) يشير بولس هنا إلى زعماء الدين مثل كبار الأحبار (انظر لوقا 24: 20)، وإلى الحُكّام السياسيين مثل بيلاطس وأنتيباس بن هيرودس (انظر سيرة الحواريين 4: 27 وما يليه) الذين كانوا متورّطين جميعًا في صلب السيد المسيح.
(2) من كتاب النبي أشعيا، 64: 4.
(3) من كتاب النبي أشعيا، 40: 13.

بالسّيِّدِ المَسيح. ولقد كنتُ فيكم كالأمِّ مع رَضيعِها، تُطعِمُه الحليبَ، وتنأى به عن الطَّعامِ الثّقيلِ، فشَرَحْتُ لكم ما كان من أُمورِ الإيمانِ عليكم يَسيرًا، لعجزكم عمّا كان منها عَسيرًا، بل إنّكم إلى الآنَ عاجزونَ، لأنّكم مازلتم تنقادونَ بالنَّفسِ. أفلا تُبصرونَ ما فيكم من تنافُسٍ وخصامٍ، أليس هذا دليلاً على أنّكم تنقادونَ بالنّفسِ وأن سُلوكَكم كسُلوك باقي البشرِ؟ تنقسِمونَ شِيَعًا، هذا يُعلِنُ: «أنا مع جماعةِ بولُسَ»، وذاك يردِّدُ: «وأنا مع شَمسيّ». كذلك أنتم كأهلِ الدُّنيا تتنافَسونَ!

فمَن يكونُ بولُسُ ومَن يكونُ شَمسيّ حتّى تكونوا لهما تابعين؟ إنّهما عبدان مِن عبادِ اللهِ، اهتدَيتُم على أيديهما إلى الإيمانِ. فنحن نعملُ بمقتضى مسؤوليّاتِنا الّتي حدَّدها سيّدُنا (سلامُهُ علينا) لكلِّ واحدٍ مِنّا. ومَثَلُنا فيكم كمَثَلِ الزّارعِ والسّاقي، فلقد غَرَستُ فيكم شجرةَ الإيمانِ وشَمسيّ سَقاها، ولكنَّ اللهَ تعهَّدَ الزّرعَ فيكم فنما ونما. كذلك، دعوتُكم إلى الإيمانِ فأقبَلتم، وشدَّ شَمسيّ عزيمتَكم بإرشادِه فما كَلَلْتُم، ولكنّ اللهَ وحدَه هو الّذي جعلَكم في الإيمانِ راسخينَ، فلا فضلَ للزّارعِ ولا فضلَ للسّاقي، الفضلُ والمِنَّةُ للهِ أن جعلَكم مؤمنين فما عَدِلتم، أمّا الزّارعُ والسّاقي فلكلٍّ مِنهما أجرُه عند اللهِ ولكلٍّ مِنهما الغايةُ نفسها. أمّا نحنُ فلا سعْيَ لنا إلاّ في سَبيلِ اللهِ وما أنتم إلاّ غرسُ اللهِ الزّهيرُ.

3: 10-23

إنّما مَثَلُكم عند اللهِ كمَثَلِ بناءٍ للهِ تعالى، أنا باعتباري حَواريًّا هدَيْتُ النّاسَ بفضلِ اللهِ ومنِّه إلى أساسِ هذا البناءِ ألا وهو رسالةُ سيِّدِنا عيسى، فكنتُ مِثل مُهندِسٍ خبيرٍ يضع أساسَ بناءٍ ثابتٍ. لذلك لا يقدِرُ أحدٌ أن يضعَ أساسًا غيرَ الأساسِ الّذي وضعه اللهُ، وهو سيِّدُنا عيسى المَسيح. وإنّ للصَّرحِ بعد بنائِهِ عُمّالاً آخرينَ يُعمّرونَهُ، كذلك يأتي مِن بَعدي دُعاةٌ آخرونَ يُرشِدونكم إلى سواءِ السَّبيلِ. فعلى كلِّ واحدٍ أن ينتبِهَ كيف يُثبِّتُ إيمانكم بالسّيِّدِ المَسيح.

إنّ الباني الحكيمَ لَيبني بيتَ اللهِ على أساسِ الإيمانِ بسيِّدِنا (سلامُهُ علينا)، لَبِنَةً مِن ذهبٍ وأُخرى مِن فضةٍ وثالثة من حجرٍ كريم. وعلى مُرشِديكم كذلك أن يعلّموكم بمقتضى رسالةِ عيسى المَسيح. وإن كان أحدٌ يعلِّمُكم حسبَ هواه، فإنّما يعمِّر بيتَ اللهِ

مِن خشبٍ وقشٍ وتبنٍ مَركوم. ولَيَبْدُوَنَّ عملُ البانين ولَتُمَحِّصَنَّهُ النّارُ يومَ الحِسابِ، يومَ تَظهرُ أعمالُكم وقيمتُها جميعًا، ذلك هو اليومُ المَوعودُ، فمَن يزوِّدُ جماعةَ المؤمنين بالتَّعاليمِ والأخلاقِ الّتي تتّفقُ مع رسالةِ سيِّدِنا المَسيح، فَلَه أجرٌ مِن اللهِ يومَ الدِّين. أمّا مَن انحرَفَ عن هذا، فمَثلُه مَثلُ الّذي احترقَ ما أنجزَهُ، فخسِر أجرَه، وذهب جُهدُه هباءً، وإنّه مِن الحريقِ ناجٍ وقد كاد أن يكونَ في الحريقِ منجرفًا.

فاعلموا يا أحبابَ سيِّدِنا المَسيح، أنّكم بيتُ اللهِ وتنعمونَ بحُلولِ روحِهِ فيكم، فإنْ أدّى سُلوكُ بعضِكم إلى تخريبِ بيتِ اللهِ، فسوف يُهلكُه اللهُ لأنّكم صرحُه، وإنّ صرحَ اللهِ كان مُقدَّسًا منذورًا.

إنّ خُلاصةَ ما كنتم تقرؤونَ: ألاّ يَخدعَنّ أحدُكم نفسَه، ولا يظنّنّ أنّه حكيمٌ إن انتسب إلى حكمةِ أهلِ هذه الدُّنيا. كلاّ، بل عليه أن يُقيمَ حياتَه على رسالةِ سيِّدِنا المَسيح. نعم، كذلك يكونُ حكيمًا، وإن اعتبره أهلُ الدُّنيا غبيًّا، كذلك يكونُ حكيمًا بحقٍّ فلا يهمُّه مِن أهلِ الدُّنيا رأيٌ، فما كان عندهم حكمةً، كان عند اللهِ غباءً. ولقد جاءَ في كتابِ النّبيّ أيّوب: «يأخذُ اللهُ الحكماءَ بمَكرِهم».[1] وجاء في زبورِ النّبيِّ داود: «إنّ اللهَ بأفكارِ الحُكماءِ بَصيرٌ، وبحُمقِهم عليمٌ خبيرٌ».[2]

فلا يفخرنَّ أحدٌ منكم أنّه من أتباعِ أولئك أو مِن أتباعِ هؤلاء. إنّ قادتَكم متساوونَ جميعًا في خدمتِكم، وما أنتم لهم شِيَعٌ أجل، نحن جميعًا سواسيةٌ، بولُسُ أو شَمسيُّ أو بُطرسُ، كلُّنا متطوِّعونَ في خدمتِكم. كذلك جعل اللهُ مِن أجلكم العالمَ والحياةَ والموتَ، والحاضرَ والمُستقبلَ، وإنّكم تنتمونَ إلى السّيِّدِ المَسيح، والمَسيحُ (سلامُهُ علينا) ينتمي إلى اللهِ.

الفصل الرّابع

4: 1-13 يجب على قادة المؤمنين أن يقتدوا بالسّيّد المسيح

يا إخواني وأخواتي في اللهِ، عليكم اعتبارنا أنا وشَمسيّ وبُطرس، لا زُعماءَ في الدُّنيا

(1) من سفر النبي أيُّوب، 5: 13.
(2) كتاب الزبور، مزمور 94: 11.

بل مُجرَّدَ خُدامٍ للسَّيِّدِ المَسيح، مُوَكَّلين على كشفِ أسرارِ اللهِ. ويجبُ على الوكلاءِ أن يجدَهم سيِّدُهم أُمناءَ مُخلصينَ. أمّا أنا فما همَّني أبدًا إن حاسبْتموني أو حاسبَني غيرُكم من البشر. بل إنّي لا أُحاسِبُ نفسي، ولا يُلقي إليَّ ضَميري بمقالٍ. ولكن هذا ليس دليلاً أنّي على الحقِّ، فمَولاي عيسى المَسيح هو الّذي يُحاسِبُني. فلا تحْكُموا على النّاسِ قبل الأوانِ، قبل أن يأتيَ سيِّدُنا عيسى بفصلِ الخطابِ، فيكشفَ من النّاسِ الخفايا، ويفتحَ القلوبَ، وعندئذٍ يحصلُ كلُّ واحدٍ منكم على الثّناءِ الذي يستحقُّه من اللهِ.

إخوةَ المَحبَّةِ في اللهِ، لقد جعلتُ من نفسي ومِن الأخ شَمسيّ مثالاً تحتذونَ به، فيجبُ ألا تتجاوَزوا ما كتبتُه لكم من كُتُبِ الأوَّلين سابقًا. فلا تتفاخَروا بمن تتبعونَهُ احتقارًا للقادةِ الآخرين. فمَن أعطاك الحقَّ حتّى تحكمَ على النّاس؟ إنّ اللهَ هو الّذي أعطاك ما عندك! فكيف تتباهى بما عندَك كأنّما صَنعَتْهُ لك يداك؟ يا لخُسرانِكم بكبريائِكم، تمشُونَ في الأرضِ كأنّما وَصلتم إلى النَّعيم وشبِعتم، واكتفَيتم مِن كلِّ أنواعِ الكراماتِ، وصِرتم حُكّامًا، وتركتمونا هُنا في دُنيا الشّقاء! وليْتَكم حقًّا وصلتم إلى النّعيم، حتّى نشارِكَكم في هذا الشَّرفِ![1] وبَدلاً من ذلك، فإنّي أرى أنّ اللهَ جعلنا نحن الحَواريّين في آخر الصَّفِّ، وإنّ مَثلَنا فيكم كمَثَلِ الأسرى المُنقادين في مؤخَّرةِ موكبِ انتصارِ القائدِ، والمَحكوم عليهم بالإعدام، فنحن صرنا مَشهدًا لكلِّ مَن في الكونِ، للملائكةِ والنّاس على حَدٍّ سَواءٍ،[2] ولا يَهمُّنا النّاسُ وما يزعُمونَه. أمّا أنتم، فبكلامِهم تهتمّونَ. إنّهم يقولونَ إنّنا أغبياءُ مَجانين، لأنّنا دُعاةٌ للهِ والسَّيِّدِ المَسيحِ. وهل تعتبرونَ أنفسَكم عُقلاءَ لأنّكم مؤمنونَ؟ تنظرونَ باحتقارٍ إلينا، كأنّما كنتم أسيادًا أقوياءَ. أنتم المكرَّمونَ، ونحن المُحتقَرونَ. كذلك، إنّنا هنا جياعٌ، عطاشى عراةٌ معذَّبونَ مشرَّدونَ، إنّنا نتعبُ ونعملُ بأيدينا لنحصلَ على قوتِ يومِنا. نسألُ اللهَ أن يُباركَ الّذين

(1) رأى المفسّرون اليهود في ذلك العصر أنّ عباد الله الصالحين سيشاركون الله الحكم في الآخرة، إلاّ أنّهم لن يصبحوا ملوكا. ويشير بولس إلى أن مملكة المسيح المنتظر قد قامت بانبعاث سيدنا عيسى من الموت، ولكنها لم تتجلّ كاملة بعد. لذا يرى أنّ افتخار المؤمنين بامتيازاتهم الروحية في الآخرة هو افتخار بشيء لم يكتمل بعد، ومن ثمّ لا يَحقّ لهم هذا الافتخار الآن.

(2) يقارن الحواري بولس حالته وحالة الحواريين الآخرين بحالة مؤمني كورنتوس المفتخرين، وذلك باستخدام صورة عن الجنود العائدين من المعركة. فقد كان القائد العسكري الرومانيّ يقود جيشه في موكب انتصار عند عودته إلى وطنه منتصرا، في حين كان الأسرى يُسْحَبُون في مؤخّرة الموكب ويجبرون على مصارعة الوحوش في الحلبة أمام الجمهور. وقد شبّه بولس الحواريين بهذا المشهد إذ شعر كما لو أنّ الله قد وضعهم فرجة أمام الجميع ليسخروا منهم.

يشتمونَنا، وإذا اضطَهدونا كنّا على ذلك مِن الصّابرين، يُفْتَرى علينا فنتكلَّمُ بلُطفٍ. وما زال أهلُ الدُّنيا يحتقِرونَنا ويعتبِرونَنا مثلَ الحُثالةِ أو نفاية العالم، وإلى يومِنا هذا.

4: 14ـ21 نصيحة أبويّة

وما كتبتُ هذا لألومَكم أو أُذِلَّكم، بل لأنصحَكم كأولادي المَحبوبين، فاتّخِذوا إن رغبتم آلافًا مِن المُرشِدين، فأنا وحدي أبوكم الّذي أخرجَكم إلى النّور، فآمنتم برسالةِ سيِّدِنا عيسى حين لبَّيتم النِّداءَ منّي،(1) فأناشدُكم أن تقتَدوا بي. وهذا هو سببُ قُدومِ الأخِ تيموتاوي عليكم، إنّه ابني الحَبيبُ المُرتضى، وهو تابعُ المَسيحِ المُرتجى، يذكِّرُكم بسيرتي، لأنّي أتبَعُ صراطَ سيِّدِنا عيسى المَسيحِ وسيرتي تتَّفقُ مع التّعاليمِ الّتي أبثُّها في جماعاتِ المؤمنين في كلّ مكانٍ.(2)

ولقد ظنَّ بعضُكم أنّي لن أحضرَ بينكم لأعاتبَكم، فانتفختْ صُدورُكم زَهْوًا، ولكنّي سأحضرُ إن شاء اللهُ قريبًا لأرى، هل للمُتكبّرينَ قوّةٌ أم أن قوَّتَهم لغوٌ وهراءٌ؟! فالسُّلطانُ في مَملكةِ اللهِ المَوعودةِ لا يكونُ بالكلامِ بل بقوّةِ روحِ اللهِ. فماذا تُريدونَ؟ هل تُريدونَ أن ألاقيَكم باللّوْمِ والتقريعِ أم بالمَحبّةِ واللطفِ واللينِ؟

الفصل الخامس

5: 1ـ5 الحكم على الزّاني

إخوَتي في الإيمانِ، هل ما بلغني عنكم نبأٌ يقينٌ؟! أبينَكم الفحشاءُ متبرِّجَةٌ وأنتم

(1) كان بولس أوّل من دعا المؤمنين في كورنْتوس إلى رسالة سيدنا عيسى، وهو ما جعله أبًا لهم، لا مرشدا فقط. فقد كان المرشد (في اللغة اليونانية القديمة «بيداغوغوس» paidagogos) إنسانًا، من العبيد عادة، مهمّته الاعتناء بالأطفال واصطحابهم من بيوتهم إلى مدارسهم أو العكس. ويرى بولس أنّ المعلمين والدُّعاة الجوّالين الذين وفدوا على كورنتوس بعده، كانوا أشبه بمرشدين لا بآباء كما كان هو.

(2) كان تيموتاوي رجلا من أهل بلدة لِسْترَةَ التي تقع اليوم جنوب تركيا. وفي رحلة بولس الثانية إليها (انظر سيرة الحواريين، 16 :1ـ3)، طلب من تيموتاوي أن يصحبه في ترحاله وفي نشره لرسالة السيد المسيح للعالمين.

تبصرونَ؟ فحشاءُ ترفَّعَ عنها حتّى الوثنيونَ: أيُعاشرُ رجلٌ منكم امرأةَ أبيه؟![1] فكيف تفخَرونَ، بينما كان عليكم أن تحزَنوا حزنًا عميقًا وتخجَلوا وتندَموا حتّى تطرُدوا هذا الرَّجلَ من بينكم! لهذا السَّببِ، ورغمَ أنّي غائبٌ عنكم بالجسم، فإنّي حاضرٌ بالرُّوحِ فيكم. فأصدَرْتُ حُكمي على مُرتكبِ الفاحشةِ كأنّي مَوجودٌ بينكَم: عليكم أن تجتمعوا باسمِ سيِّدِنا عيسى، وأنا مَعكم بالرُّوح، وقوّةُ سيِّدِنا عيسى تتوسَّطُ الحاضرينَ، وأن تُبعِدوا هذا الرَّجلَ عنكم حتّى يكونَ عُرضةً لهُجومِ الشَّيطان اللعينِ فيذوقَ عاقبةَ ما فعل، ثُمّ يتوبَ عن ذنبِهِ ويرجعَ إليكم حتّى ينجوَ يومَ يتجلّى فيه سيِّدُنا عيسى.[2]

5: 6-13

ما كان لكم أن تفتخِروا بجماعتِكم وهذا المُذنِبُ بينكم! فإنّكم لَتعلمونَ أنّ خَميرةً صَغيرةً تخمِّرُ العَجينَ كُلَّه، كذلك يُفسِدُ الرَّجلُ الواحدُ بذنبِهِ جَماعةَ المؤمنين بأكملِها. فأبعِدوه عنكم لكي تتطهَّروا مِن شرِّه، مثلما يُخرِجُ بنو يَعقوب الخَميرةَ مِن بيوتِهم قبل عيدِ الفِصْح حتّى يتطهَّروا. إنّهم في ذلك العيدِ يذبَحونَ الخِرفانَ ليتذكَّروا أنّهم نَجَوا في عهدِ النَّبيِّ موسى مِن بَطْشِ فِرعونَ، وكذلك ضَحّى سيِّدُنا عيسى بنفسِهِ نيابةً عنّا فكُنّا من النّاجينَ. فدَعُونا نَحتفل بالمَعنى الحقيقيّ لعيدِ الفِصْح: وذلك لا يَكونُ بتنقيّةِ بيوتِنا مِن الخُبزِ المُخمَّرِ بل بتَطهيرِ حياتِنا من الشَّرِّ والفسادِ وبالسَّعي إلى الإخلاصِ والحقِّ.[3]

وإنّي حين أمرتُكم في رِسالتي السّابقةِ ألاّ تعاشِروا أصحابَ الفحشاءِ، ما قصدتُ أشرارَ الدُّنيا، مِن أهلِ الفُجورِ والطَمعِ والغشِّ ومن عبدةِ الأصنامِ، إنّ هذا يَعني ضَرورةَ خُروجِكم مِن هذا العالمِ! بل قَصدْتُ أن تعزِلوا عنكم مَن يدَّعي أنّه مؤمن، وهو في

(1) تحرِّمُ التوراةُ إقامة الرجل علاقة جنسية مع زوجة أبيه. (انظر سفر اللاويين 18: 8، سفر التثنية 22: 30) إضافة إلى أنّ زنا المحارم لم يكن أمرًا شائعًا أو مقبولاً في المجتمع الروماني كما نعرف من خلال كتابات الخطيب الروماني الوثني شيشرون Cicero.

(2) يشير بولس هنا إلى الشخص الذي ضلّ بعد أن آمن وإلى ضرورة إبعاده من جماعة المؤمنين. فيفقد بذلك حماية الله بحيث يصبح باستطاعة الشيطان أن يصيبه بالأذى كما يصيب أيَّ شخص غير مؤمن من أهل الدنيا. وقد كان الهدف من هذا الإبعاد إلحاق الضيق بالمؤمن الذي ضلّ، وهذا سيدفعه إلى الندم والتوبة والعودة إلى الصراط المستقيم.

(3) خلال عيد الفصح وعيد الفطير الذي يليه، لم يكن يُسْمَحُ لليهود باستعمال الخميرة في الخبز. وقد ورد مجاز الخميرة في أماكن أخرى من الإنجيل الشريف رمزا للشرّ.

حقيقتِهِ فاجرٌ أو طماعٌ أو عابدٌ للأصنام أو شتّامٌ أو سكّيرٌ أو سارقٌ. فاطرُدوا أمثالَه ولا تأكلوا معه.[1] فليس مِن حقّي أن أُحاسبَ غير المؤمنين. فأولئك يُحاسِبُهم اللهُ. أمّا أفرادُ جَماعةِ المؤمنين فحاسِبوهم أنتم وكما جاء في التَّوراةِ: «أبْعِدوا الشَّخصَ الفاسِدَ مِن بينكم».[2]

الفصل السّادس

6: 1-11 دعاوى المؤمنين أمام القضاة الوثنيين

إن كان لأحدِكم شَكوى ضِدَّ أخيه، فهل يَجرؤُ أن يعرِضَ أمرَه أمام قاضٍ وثنيّ؟ ويُعْرِضَ عن القُضاةِ المؤمنين؟[3] وإن علِمتُم أنّ المؤمنين سيكونونَ قُضاةً على العالَمينَ وأنّ كلَّ النّاسِ إلى حُكمِكم راجعونَ، فاعلموا أنّكم قادرونَ على الحُكم في القضايا البَسيطةِ بينكم![4] ألا تعلمونَ أنّنا سنكونَ حُكّامًا على كائناتِ الغيبِ كلِّها؟ فالأَوْلى بنا أن نَحكُمَ في قضايا هذه الحياةِ.[5] فإن حدَثَ بينكم في أُمورِ الحياةِ خِلافٌ،

---

(1) كان ينبغي على أتباع السيد المسيح أن يحرصوا على سمعة جماعتهم. فإذا كان لأحد أفراد الجماعة علاقة وثيقة بشخص يتّبع سلوكا فاسدًا، فإن من لا ينتمي إلى الجماعة قد يظنّ أنها تقبل ذلك السلوك، وهذا قد يشوّه اسم السيد المسيح. (انظر رسالة رُوما 16: 17-18 وتَسالُونكي الثانية، 3: 6، 14-15).

(2) تكرّرت وصيّة إبعاد الشخص الشرير عن الجماعة عدّة مرات في التوراة (سفر التثنية، 13: 5، 17: 7، 19: 19، 21: 21، 22: 21، 24، و 24: 7). وبالنسبة إلى بني يعقوب فإن هذا يعني عقوبة الموت (أي الإعدام). أما بالنسبة إلى جماعة المؤمنين بسيّدنا عيسى، فهذا يعني ضرورة مقاطعةَ فاعل الشرّ مقاطعةً اجتماعية فقط مع احتمال عودته إلى الجماعة بعد التوبة.

(3) ربّما يشير الحواري بولس هنا إلى قضايا متعلّقة بالنزاع حول الملكية، لا إلى دعاو جنائية. وقد كان الرومان يسمحون لليهود بتطبيق قانونهم الخاص فيما يتعلّق بأمور الملكية. ولأن السلطات الرومانية في تلك الفترة لم تكن تميّز بَعْدُ بين اليهود وأتباع السيد المسيح فقد امتدّ هذا الحق إلى أتباع المسيح، فكان عليهم أن يفصلوا بأنفسهم في النزاعات الخاصّة بهم.

(4) قارن هذا القول بما جاء في رسالة تيموتاوي الثانية ، 2: 12، حيث تقول إنّ المؤمنين بالسيد المسيح سيكونون ملوكًا بأمره وسيحكمون بين الناس.

(5) قد تكون إدانة كائنات الغيب والحكم عليهم إشارة إلى أن بعض الملائكة العصاة يتمّ تقييدهم لأجل إدانتهم والحكم عليهم (انظر رسالة صخر الثانية، 2: 4)، وسيشارك المؤمنون في ذلك.

فهل تعرضونَهُ على قُضاةٍ أغرابٍ لا يَحترِمهم المؤمنونَ؟ يا للعارِ! أليس فيكم رجلٌ حَكيمٌ، يَنظُرُ في نِزاعات المؤمنين؟ أيُقاضي الأخُ أخاه عند الوثنيِّين؟!

ثُمّ كيف ترتضونَ أن يُقاضيَ بَعضُكم بَعضًا، هذا عيبٌ ثقيلٌ! أليس خيرًا لكم أن تكونوا مَظلومينَ أو مَسلوبينَ؟ أليس هذا أفضلَ؟ بدلَ أن تكونوا لإخوانِكم ظالِمينَ سالبينَ! وإنّكم لَتعلَمونَ أن الأشرارَ مُبعَدونَ عن مَملكةِ اللهِ. فلا تَنخدِعوا: لا الفاسقونَ، ولا عبدةُ الأصنام، ولا الفُجّارُ، ولا أهلُ الشّذوذِ الجِنسيّ، ولا السّارقونَ، ولا الطّمّاعونَ، ولا السّكّيرونَ، ولا الشّتّامونَ، ولا السّالبونَ لهم نَصيبٌ في المَملكةِ الرّبّانيّةِ! ولقد كان بَعضُكم مثل هؤلاء فيما مَضى، لكنّ اللهَ طهَّركم عندما آمنتم بالسّيِّدِ المَسيح. إنّ اللهَ اختارَكم وجَعَلَكم من عبادِهِ الصّالحين بفضلِ سيِّدِنا عيسى المَسيح ورُوحِ اللهِ تَعالى.

6: 12–20 ارفعوا من شأن ربّكم بتصرُّفاتكم

إنّ مِن بينكم من يَزعُمُ قائلاً: «أنا تحرّرتُ بفضلِ الحقِّ»، وأنا أقولُ لكم: بل ما كُلّ شيءٍ ينفع. وإنّكم لَتزعُمونَ أنّ «كلَّ شيءٍ يحِلُّ لي»، ولكنّي ما كنتُ راضيًا أن يَستعبدَني أيُّ شيءٍ. ويَقولُ بَعضُكم أيضًا: «الطّعامُ للبطنِ والبطنُ للطّعام، واللهُ سيُبيدُ كُلاًّ مِنهما». ولكنّ الجِسمَ ليس أداةً للفاحشةِ، بل لخِدمةِ سيِّدِنا عيسى، الّذي افتدى أجسادَنا.[1] وإنّ اللهَ الّذي أقام السّيِّدَ المَسيحَ حيًّا مِن الموت، سيُقيمُنا نحن أيضًا أحياءً بقُدرتِهِ.

ألا تعلمونَ أنّ أجسامَكم بمَثابةِ أعضاءٍ في جِسمِ السّيِّدِ المَسيحِ؟ فهل ترونَني على صَوابٍ، إن أنا جمعتُ - لا سَمَحَ اللهُ - بين أعضاءِ المَسيحِ وامرأةٍ عاهرةٍ فاجرةٍ؟ لأنّكم تعلمونَ أنَّ مَن يُواقِعُ عاهرًا، يَصيرُ معها جَسدًا واحدًا. لأنّ التّوراةَ تقولُ عن

(1) تدلّ العبارة اليونانية المألوفة «الطعامُ للبطن، والبطن للطعام» على أنّ الجسد للجنس والجنس للجسد. وكان اليونانيون يعتقدون أن جسد الإنسان يتلاشى عند الموت ولا يبقى منه سوى الروح. لهذا السبب كانوا يسخرون من عقيدة بعث أجساد الأموات لدى اليهود وأتباع السيد المسيح. وقد أثّر هذا الاعتقاد اليوناني في أتباع المسيح من أهل كورنتوس، فكانوا يعتقدون أنّ الروح هي أهمّ ما يميّز الإنسان عند الله، أمّا الجسد فيمكن للإنسان أن يفعل به ما يشاء بما في ذلك الاستسلام للشهوات الجنسية.

مُعاشرةِ الرَّجلِ امرأتَه: «يَصيرُ الاثنان واحدًا».[1] أمّا مَن يَنضمُّ إلى السَّيِّدِ المَسيح، فيتّحدُ مَعه بالرُّوح.

فاجتنبوا الفحشاءَ! واعلموا أنّ ما من خَطيئةٍ تصيبُ جسمَ الإنسانِ مِثل هذه الخطيئةِ، لأنّ الفحشاءَ ذنبُها في حقِّ الجِسم. ألا تعلمونَ أنّ اللهَ جَعَلَ روحَه المُقدَّسة في قُلوبِكم؟ أفلا تصبحُ أجسادُكم بذلك بيتَ اللهِ؟! ما أنتم لأنفسِكم مالكينَ، بل قدَّم اللهُ ثمنًا باهظًا حين افتداكم بتَضحيةِ سيِّدِنا عيسى، فارفعوا شأنَه تعالى بحِفاظِكم على أجسادِكم.

الفصل السّابع

7: 1ـ16 بقاء المؤمن على وضعه الاجتماعي

وأمّا بخُصوصِ سؤالِكم عن أُمورٍ تشابهتْ عليكم فكتبتم أنّه «خيرٌ للرّجلِ ألاّ يُعاشِرَ زَوجتَهُ». ولكن أنّى للنّاسِ أن يُمسِكوا إرْبَهم، فليَكُنْ لكلِّ رَجلٍ زَوجتُهُ، ولكلِّ امرأةٍ زَوجُها.[2] وليوفِ كلٌّ مِنهما حقَّ زوجِهِ، فقد وَهَبَتِ المرأةُ جسدَها لزَوجِها، وكذلك وَهَبَ الرَّجلُ جَسَدَهُ لزوجتِهِ. فلا يتهاجَرِ الزَّوجان في الفراشِ إلاّ عن اتِّفاقٍ ولفترةٍ مَحدودةٍ، وذلك قصدَ الانقطاعِ إلى الصّلاةِ، وبَعدَ الفراغِ من العِبادةِ عليكم أن ترجعوا إلى المُعاشرةِ الزَّوجيَّةِ، حتّى لا يوقِعَ الشّيطانُ بين الزَّوجين، بسببِ عدمِ قُدرتِكم على ضَبطِ أنفسِكم. وما هذا منّي إليكم بالأمرِ المَرسومِ، بل هو اقتراحٌ لستم مُلزَمينَ بِهِ. وإنّي أتمنَّى لو أنّ جَميعَ النّاسِ مِثلي، لا تتسلَّطُ عليهم الرَّغبةُ في المُعاشرةِ الجِنسيّةِ. ولكن هذا لا يَنطبقُ على الجَميعِ، فلكلِّ إنسانٍ كَرامةٌ مِن اللهِ يتميَّزُ بها عن الآخر.[3]

وليعلمِ الأراملُ مِن الرِّجالِ والنِّساءِ وكُلُّ الّذين لم يَبقَوا مُتزوّجينَ أنّه خَيرٌ لهم أَن

(1) يبيّن بولس أنّ العلاقات الجنسية لا تتمّ إلاّ في إطار الزواج مستشهدًا على ذلك من التوراة، سفر التكوين، 2: 24.

(2) كان العهر الجنسي منتشرًا في كورنتوس. وفي زمنٍ ما كان معبد الإلهة أفروديت يضمّ ألف كاهنة يشتغلن مومسات.

(3) تستدعي كلمات بولس هنا كلمات سيدنا عيسى في الإنجيل (متّى، 19: 10-12).

يعزفوا مِثلي عن الزّواجِ. فإن لم يضبطوا أنفسَهم فليتزوَّجوا، إنّ الزّواجَ خيرٌ مِن التَّحَرُّقِ بالشَّهوةِ.[1] أمّا المُتزوِّجونَ، فعليهم الاقتداءُ بكلامِ سيِّدِنا المَسيحِ لا بكلامي أنا: لا تتركِ المرأةُ زَوجَها،[2] وإن تَرَكَتْهُ فلتبقَ دون زَوجٍ أو فلتُصالِح زَوجَها، وعلى الرَّجلِ أيضًا ألاَّ يُطلِّق زَوجتَهُ.

أمّا فيما يخصُّ المؤمنين الّذين لم يؤمِن أزواجُهم بَعدُ، فلم تصِلْني تعاليمُ بخُصوصِهم مِن سيِّدِنا عيسى. ولكنّي أقولُ لكم: لا يُطلِّقِ الأخُ المؤمنُ غيرَ المؤمنةِ إن رَضِيَتْ أن تَعيشَ معه. ولا تُطلِّقُ المؤمنةُ غير المؤمن إن رضيَ أن يَعيشَ مَعها. فغيرُ المؤمنِ مِن الرِّجالِ يُشرقُ عليهِ نورُ إيمانِ زوجتِهِ، وغيرُ المؤمنة يُشرقُ عليها نورُ إيمانِ زَوجِها، كذلك أبناءُ هذه الرّابطةِ الزَّوجيَّةِ لا يكونونَ نَجسينَ أو مَرفوضينَ، لأنّهم يَحظَوْن بقَبسٍ من نورِ اللهِ.[3] أمّا إذا رفضَ غيرُ المؤمنِ مِن الزَّوجين أن يَحيا مع المؤمنِ وسَعى إلى الانفصالِ، فالمؤمنُ غير مُقيَّدٍ في هذه الحالةِ. فاللهُ دَعانا لنَعيشَ في سلامٍ. واذكرْن، أيَّتها الزّوجاتُ المؤمناتُ، أنّ أزواجَكنّ غيرَ المؤمنين قد يَهتَدونَ بفضلِكنّ، وهكذا يَفوزونَ بالنّجاة. واذكروا أيّها الأزواجُ المؤمنون، فلربَّما تكونونَ سببَ نَجاةِ زَوجاتِكم.

7: 17-24

ولكن اعلموا، أحبابي، أنّه على كُلّ مؤمنٍ أن يَبقى على وضعِهِ الّذي كان عليه حين استجابَ لدَعوةِ اللهِ. هذا هو المَبدأُ الّذي أوصي به كُلَّ جَماعاتِ المؤمنين. فإنِ اهتدَى فيكم يَهوديٌّ مَختونٌ إلى الإيمانِ، فلا يُحاولْ أن يُزيلَ علامةَ ختانِهِ. وإذا اهتدى مَن كان غيرَ مَختونٍ إلى الإيمانِ فلا يختَتِنْ فيتهوَّدَ.[4] فلا فرقَ إذن بين يَهوديٍّ وغيرِ يَهوديٍّ،

(1) يوجّه الحواري بولس للأرامل اللواتي لم يبلغن سنّ الستّين سنة نصيحة مماثلة لما ورد هنا، وذلك في رسالته الأولى إلى تيموتاوي، 5: 14.
(2) توجد بعض تعاليم سيدنا عيسى (سلامه علينا) بشأن الانفصال والطلاق بين الزوجين في الإنجيل: انظر متّى 5: 31-32، 19: 3-9، ومرقس، 10: 2-12، ولوقا، 16: 18.
(3) يستنكر بولس هنا الاعتقاد السائد الذي يرى أنه إذا كان المؤمن (أو المؤمنة) متزوجا من غير المؤمن، فإن المؤمن يصبح نتيجة هذا الزواج نجسا أو مرفوضا عند الله.
(4) كان الختان في زمن بولس عبارة عن قطع جزء بسيط من القُلفة، وليس إزالة كاملة للقلفة كما هو الختان في العصر الحديث. لذلك كان من الممكن إعادة القلفة إلى مكانها عبر إجراء عملية جراحية. فقد كان بعض اليهود المختونين يحاولون أن يُزيلوا بهذه العملية علامة الختان، كي

إلّا بطاعةِ وصايا اللهِ. نعم، ليبقَ كلٌّ على حالِهِ لحظةَ استجابتِهِ لدَعوتِه تَعالى. فإذا كانَ حينَذاك عبدًا مَملوكًا، فلا ضيرَ، ولكن إذا سَنَحَت له فُرصةٌ للتَّحَرُّرِ فلْيغتنمْها، إنّ ذلك خيرٌ. إنّ المؤمنين الّذين كانوا عبيدًا يُصبِحونَ أحرارًا للهِ، والّذين آمنوا وهُم أحرارٌ يَصيرونَ عبيدًا لسيِّدِنا المَسيح. لقد أعتقَ اللهُ نفوسَكم بثمنٍ باهظٍ، فلا تكونوا عبيدًا للبشرِ. لذا يا إخوَتي في الإيمانِ، على كُلِّ واحدٍ مِنكم أن يكونَ على وضعِه حين أصبح من المُهتدين.

7: 25–40

أمّا بخُصوصِ إخوانِنا الخاطبين، فأنا لا أملكُ وصيَّةً مُباشرةً مِن سيِّدِنا عيسى لأوصي بها، ولكنّي سأنصَحُكم بما أراه مُناسِبًا، لأنّ سيِّدَنا برحمتِهِ مَنَحَ لي حِكمةً ويُمكنُكم أن تثِقوا بها. فبسببِ ما يواجهُه المؤمنونَ الآن مِن ضِيقٍ،[1] أعتقدُ أنّه مِن الخيرِ أن يَبقى كُلٌّ على حالِه. فمَن كان خاطبًا لبنتٍ، فليُبقِ على ما بينهما من عُهودٍ، ومَن كان أعزبَ فلا يُحاولْ أن يَتزوَّجَ الآن. ولكنّه إن تَزوَّج لا يَعني أنّه ارتكبَ خَطيئةً. ولا تقعُ الفَتاةُ في خطإٍ إن تَزوَّجت، ولكنّ المُتزوِّجينَ يُلاقونَ في هذا الزَّمنِ مَصاعِبَ وإنّي أُريدُ أن أحمِيَكم مِنها.

إخوَتي في الإيمانِ، لم يعُدْ لديكم كثيرٌ مِن الوقتِ لأنّه يَبدو أنّ أزمةً ستحلُّ بكم. فبالنِّسبةِ إلى المُتزوِّجين، فليكنْ تَركيزُهم على ما يُرضي سيِّدَنا عيسى لا على زَوجاتِهِم فقط، وأمّا الحَزانى مِنكم، فعليهم أن يُركِّزوا على إرضاءِ سيِّدِنا لا على آهاتِهِم، وعلى الفَرِحين أن يُركِّزوا على إرضاءِ سيِّدِنا لا على بَهجَتِهِم، وبالنِّسبةِ إلى المُشترين، عليهم أن يَهتمّوا بسيِّدِنا المَسيحِ لا بمُمتلكاتِهِم. وعلى الّذين يَستعملونَ أُمورَ هذه الدُّنيا أن يَستفيدوا مِنها ولا يَنهمِكوا فيها، إنّ هذه الدُّنيا زائلةٌ وكُلُّ ما فيها زائلٌ.

أحبَّتي، أُريدُ أن أخفِّفَ مِن هُمومِكم، فإنّ غيرَ المُتزوِّجِ يَهتمُّ بأُمورِ سيِّدِنا عيسى،

= ينسجموا مع المجتمعات غير اليهودية. ومن ناحية أخرى وُجد بعضٌ من غير اليهود الذين آمنوا بسيدنا عيسى وقيل لهم عن خطأ إن عليهم أن يختتنوا، ليتمّ قَبولهم كمؤمنين. ولكنّ بولس يبيّن أنّه لا حاجة للختان من عدمه لقبول المؤمنين عند الله.

(1) «الضيق» الذي يشير إليه بولس يعني على الأرجح، الاضطراب الذي وقع في مدينة كورنتوس بسبب أزمات النقص في الحبوب. وتوجد شواهد تؤكّد حصول نقص في الحبوب في كورنتوس ثلاث مرات خلال الفترة التي تزامنت مع كتابة هذه الرسالة.

ويَسعى إلى إرضائِهِ، أمّا المُتزوِّجونَ فعليهم أن يَهتمّوا بمَسؤوليّاتِهم في الدُّنيا، بما في ذلك إرضاؤُهم لزَوجاتِهم، فاهتماماتُهم مُنقسِمةٌ. ويُمكنُ للعزباءِ أو المَخطوبةِ العذراءِ أن تهتمَّ بأُمورِ سيِّدِنا عيسى، فتُكرِّسَ جِسمَها ورُوحَها له (سلامُهُ علينا). أمّا المُتزوِّجةُ فلا بدَّ أن تَهتمَّ بمَسؤوليّاتِها الدُّنيويَّةِ، بما في ذلك إرضاءُ زَوجِها. وما قولي هذا إلاّ لصالِحِكم، وما أبتغي أن أقيِّدَ به الحُرِّيَّاتِ، ولكنَّ رَغبتي هي أن أشرحَ لكم كيف يُمكِنُكم أن تَعيشوا حياةً كريمةً وأن تَخدِموا سيِّدَنا عيسى دون ارتباكٍ. فإن رأى أحدُكم، كما كتبتم لي، أنّه يَتصرَّفُ تَصرُّفًا غيرَ لائقٍ مع خَطيبتِهِ، وأنّه لا يَستطيعُ أن يكبَحَ شَهواتِهِ فليتزوَّجْها إذن، وهو في ذلك ليس بخطَّاءٍ. نعم، فليتزوَّجا، إنّ في ذلك قرارًا سليمًا. وأمّا مَن رأى أن لا يَقترنَ بخَطيبتِهِ العَذراءِ، وأنّه يُسيْطرُ على شَهوتِهِ، وأنّه لا داعي أن يَتزوَّجَ خَطيبتَهُ في الحين، فليكنْ له ذلك، لأنّه حسنًا يفعلُ. فمَن اختارَ مِنكم الزَّواجَ الآن، فصَوابًا يَفعلُ، ونظرًا إلى الضّيقِ الحالي، فإنّه مَن أجّل زَواجَهُ يكونُ قد اختارَ الطَّريقَ الأفضلَ.

وعلى الزَّوجةِ أن تَبقى على عَهدِها لزَوجِها ما دام حيًّا، فإن مات زَوجُها صار بإمكانِها أن تَتزوَّجَ مَرّةً أُخرى مَن تُريدُ، شرطَ أن تتزوَّجَ مِن مؤمنٍ بسيِّدِنا فقط. وإنّي أرى أنّها تكونُ أكثرَ سَعادةً إن بقيَتْ حُرَّةً من القيودِ. أحِبَّتي، هذه وصاياي وفقًا لِما فهمتُهُ مِن رُوحِ اللهِ.

الفصل الثّامن

8: 1-6 لا تأكلوا الذّبائح في معابد الوثنيين

وأمّا بخُصوصِ ما كتبْتُموه لي في رِسالتِكم، فقُلتم: «إن أكلنا في مَعابدِ الوثنيِّين لُحومًا أُهِلَّتْ لغيرِ اللهِ،[1] فلا ضَرَرَ يصيبُنا، فنحن أهلُ العِلمِ اللّدُنّيِّ الغيبيِّ». لكن ما

(1) كانت الحيوانات تذبح في كورنتوس بشكل منتظم خلال العبادات الوثنية التي كانت تُقام في المعابد. وكان بعض هذا اللحم يُستهلك خلال تلك العبادات بينما يباع الباقي في أسواق كورنتوس، فكانت أغلب اللحوم الموجودة في الأسواق مصدرها الحيوانات التي ذُبحت في المعابد. وقد كتب مؤمنو كورنتوس إلى الحواري بولس يسألونه هل يجوز لهم المشاركة في

أكثرَ المُتكبِّرينَ المُفتخِرينَ بمَعرفتِهم! أمّا المُحِبّون لإخوانِهم، فهَمُّهم هدايتُهم وتَرسيخ الإيمانِ في قُلوبِهم. إنّ أدعياءَ المَعرفةِ أكثرُهم جاهلونَ، أمّا المُحبّونَ لإخوانِهِم، فهُم أهلُ العِلمِ لا ريبَ.

ولقد كتبتُم: «نحن نَعلمُ أنّ الأصنامَ آلهةٌ مُزيَّفةٌ يَنحرونَ لها، وأنّه لا إلهَ إلاّ اللهُ، فأيُّ ضَرَرٍ يصيبُنا إن أكَلْنا لحمًا في مَعبدِ الوثنيّين؟» وإنّ الوثنيّين لَواهِمونَ، إذ تتكاثرُ عِندهم الآلهةُ والأسيادُ في السّماءِ والأرضِ، أمّا نحن فنشهدُ أن لا إلهَ إلاّ اللهُ الأبُ الرَّحمن الرَّحيم، خالِقُ كلِّ شيءٍ، لأجلِهِ نَحيا أجمعينَ. ونَشهدُ أن لا سيِّدَ لنا إلاّ سيِّدُنا عيسى المَسيح الّذي بِهِ خلق اللهُ العالَمينَ، ولنا بِهِ الخُلودُ في جِوارِهِ.[1]

8: 7–13

نحن نعي هذه الحقيقةَ، ولكنَّ بَعضَ المؤمنين ليسوا واعينَ مِثلَنا، وهُم تعوَّدوا على وَهمِ أُلوهيَّةِ الأصنام، وهُم إلى الآن عندما يأكلونَ مِن ذلك اللحم يشعُرونَ أنّهم شُركاءُ في عبادةِ الأصنام. وهُم عاجزونَ عن التَّمييزِ أنّ هذا اللحمَ لحمٌ لا غيرَ، لأنّهم لم يتيقَّنوا بَعدُ أنّ الأوثانَ باطلٌ، فإن خالفوا ما أمَرَهم بِهِ ضَميرُهم ارتدّوا عن إيمانِهم وشعُروا أنّهم يتنجّسونَ. إنّ ما تقولونَهُ صَحيحٌ، إذ تقولونَ: «لا يُقرِّبُنا الطَّعامُ إلى اللهِ. فإن رَفَضْنا أن نأكُلَ، ما كُنّا خاسِرينَ، وإن أكلْنا، لم نكسِبْ أيَّ شيءٍ» هذا ما تقولونَ، ولكن انتبهوا أحِبَّتي إلى الآخرين، حتّى لا يكونَ امتيازُ انضمامِكم إلى ولائم الوثنيّين سببَ تَضليلِ المؤمنين الّذين يَعْجزونَ عن التَّمْييز.[2] إنّكم قُدْوَتُهم من بين العالَمين، أنتم أصحابُ المَعرفةِ بأنّ هذا اللحمَ لا يَضُرُّ. فإن رآكم أحدُهم تجلسونَ وتأكلونَ لحمًا في مَعبدٍ وَثنيٍّ، فإنّه قد يَغْفل عن الدَّوافعِ وَراءَ عملِكم، فيتشجَّعُ ويَقْتدي بكم ويُخالفُ تَبكيتَ

= الأكل خلال تلك الشعائر الوثنية (8: 4)، وهل يجوز لهم أيضًا أكل اللحم الذي يذبح في المعابد ويُباع في الأسواق (10: 25–27).

(1) لأنّ الله هو ربّ كلّ شيء وخالق كل شيء بما في ذلك الطعام، فإنّ ما تمّ تقديمه من طعام للأوثان لا يمكنه أن يؤثّر روحيا على أتباع السيد المسيح.

(2) يشير بولس هنا على الأرجح إلى بعض مؤمني كورنتوس الأغنياء الذين كانوا يتمتّعون بوضع اجتماعي متميز يؤهّلهم لحضور ولائم خاصة بما في ذلك الولائم الوثنية وكانت هذه الولائم تقتصر على وجهاء المدينة فقط. ولم يرغب هؤلاء الأغنياء في التخلي عن هذه الامتيازات الاجتماعية المرموقة.

ضميرِهِ ويُقبِلُ على ذلك الطَّعامِ فيَعتبِرُ نفسَهُ مُشْرِكًا![1] وعندئذٍ يتحوَّلُ عِلمُكم هذا إلى معوَلٍ يهدِمُ إيمانَ المَساكينِ الَّذين ضَحّى السيِّدُ المَسيحُ بنفسِهِ من أجلِهِم. وإنَّكُم إذ كنتُم تُذنِبونَ في حقِّ إخوانِكم في الإيمانِ، وتقودونَهم إلى ارتكابِ ما يَعتبرونَهُ ذنبًا، فإنّما تُذنِبونَ في حقِّ سيِّدِنا المَسيحِ! فاعتبروا! إن كان بَعضُ الطَّعامِ سببًا في تَضليلِ إخواني المؤمنين، فلأتركَنَّهُ حتّى لا يَضِلَّ أخي في اللهِ.

الفصل التّاسع

9: 1-18 بولس يدافع عن تصرّفاته باعتباره حواريًّا

ألستُ حُرًّا أُطعِمُ نفسي بنفسي؟ ألذلك تَزعُمونَ أنّي لستُ حَواريَّ السّيِّدِ المَسيح؟ حسنًا، ألم أعايِن سيِّدَنا عيسى مُباشرةً؟! ألستُم ثِمارَ عملي في سَبيلِ سيِّدِنا عيسى؟![2] حتّى وإن ادَّعى بَعضُ النّاسِ أنّي لستُ حَواريَّ السّيِّدِ المَسيح، فإنّي أحْظى بهذا المَقامِ في نَظَرِكم، لأنّ إيمانَكم بُرهانٌ على حقيقةِ رِسالتي مِن السّيِّدِ المَسيح. هكذا أُدافِعُ عن نفسي تجاهَ الّذين ينتقِدونَ سُلوكي زاعِمين أنّه ليس سُلوكَ الحَواريّين.

يا إخوتي، ألا يحقُّ لنا أن نحصلَ على طعامِكم وشَرابِكم لأنّنا دُعاةٌ للهِ؟ ألاَ يحِقُّ لنا أن نتكفَّلَ بنَفقاتِ زَوجةٍ مؤمنةٍ نتَّخذُها رَفيقةً في أسفارِنا، كما يفعلُ إخوةُ سيِّدِنا عيسى وبُطرسُ الصَّخرُ وبَقيَّةُ الحَواريّين؟ أمّا أنا وبَرنابا، فهل فُرِضَ علينا وحدَنا أن نعملَ بأيدينا لنكسِبَ رِزقَنا؟ فهل رأيتم جُنديًّا يعملُ ولا ينتظِرُ مِن عملِهِ أجرًا مَرْسومًا؟ أم هل

---

(1) ربّما تمّت دعوة بعض مؤمني كورنتوس إلى حفلات في المعابد الوثنية المحليّة حيث تناولوا طعاما قُدّم سابقا للأوثان. فرغم أن أكلهم من هذا الطعام لا يعني إيمانهم بالأصنام، فأنه إذا شاهدهم مؤمنون آخرون يأكلون منه، فقد يعتقدون أنهم شاركوا في الاحتفالات الدينية التي يُعَظَّم فيها الوثن في ذلك المعبد (وهي ممارسة يدينها بولس في هذه الرسالة، انظر 10: 18-22)، وقد يؤدّي هذا الأمر إلى اعتقادهم أنّ المؤمن يجوز له أن يشترك في مثل هذه الممارسات الوثنيّة، وهذا سيؤدي إلى فقدان إيمانهم.

(2) بعد أن ذكّر الحواري بولس مؤمني كورنتوس أن الناس يمتلكون حق أكل ما يريدون، وأن عليهم في بعض الحالات أن يتنازلوا عن حقوقهم إذا كانت سببا لتضليل إخوتهم في الإيمان، جعل نفسَه مثالاً يحتذى به في هذا المجال، وذكّرهم بتنازله عن حقه في الدعم المالي، لكي لا يكون عائقًا يحول بين استجابة الناس إلى الرسالة.

رأيتم مَن يَزرَعُ كرومَهُ ويكونُ مِن أكْلِ ثَمرِها مَحرومًا؟ أم هل رأيتم راعيَ قَطيعٍ لا يأخذ مِن لبنِ قطيعِهِ رِزقًا مَعلومًا؟

ولا تحسَبوا أحبَّتي أنّ هذا الكلامَ يستندُ على منطقٍ بَشريٍّ فقط، بل وَرَدَ في التَّوراةِ قولٌ شبيهٌ بِهِ: «لا تسُدّوا فمَ الثّور وهو يَدوسُ الحصادَ».[3] هل قَصَدَ اللهُ الثِّيرانَ؟ أم أشارَ به إلينا فكان وحْيًا مُنزَّلاً من أجلِنا يُقيمُ في النّاسِ عَهْدًا: إنّ الفلاّحَ يَعملُ ويَنتظرُ مُقابلَ جُهده من الحصاد، كذلك يكسِبُ الدُّعاةُ إلى اللهِ رِزقَهم من الّذين استجابوا لدَعوتِهم. فإذا كُنّا زَرَعنا فيكم الخيراتِ الرُّوحيَّةَ، فهل يكونُ كثيرًا علينا أن نحصِدَ من خيراتِكم الماديَّةِ؟ ونحن أولى بخيرِكم من غيرِنا، أولئك الّذين تُغْدِقونَ عليهم بأموالِكم. فهل طالبْنا بحقِّنا؟ كلاّ! بل تحمَّلنا كُلَّ شيءٍ، حتّى لا نعيقَ رِسالةَ السّيِّدِ المَسيح.

وإنّكم لَتعلمونَ، أنّ الّذين يَخدِمونَ في حَرَمِ بيتِ اللهِ يَحصُلونَ على رِزقِهم مِن الذَّبائحِ والقَرابينِ، فلا يَضيعُ نَصيبُهم ممَّا يُقدَّم بل يأخذونَهُ. ولقد أمرَ السّيِّدُ المَسيحُ أنّ الّذين يَدعونَ النّاسَ إلى رِسالتِهِ، يَحصُلونَ على رِزقِهم مِن الّذين يَستفيدونَ مِن دَعوتِهِم. ولكنّي تنازَلتُ عن كُلِّ حُقوقي من أجلِ الرِّسالَة، وما قَصْدي إذ أكتبُ عنها الآن أن أُطالبَ بها، بل إنّي أُفضِّلُ الموتَ على أن يَحرِمَني أحدٌ من هذا الافتخار. ومع ذلك فليس لي الحقُّ أن أفتخرَ بأنّي داعيةٌ إلى رِسالةِ السّيِّدِ المَسيح، لأنّ هذا واجبٌ فَرَضَهُ اللهُ عليَّ، وإن تركتُه كنتُ من العُصاةِ، والويلُ لي إن كنتُ من العُصاةِ! لو أنّي عملتُ فيه باختياري، لاستحْقَقْتُ كلَّ ثَواب. وإنّي في الحقيقةِ داعيةٌ، وليس الأمرُ باختياري، بل أنا أقومُ بالمَسؤوليةِ الّتي كلَّفَني اللهُ بها. ومع كُلِّ هذا، هل يحقُّ لي أن أحصُلَ على ثَوابٍ؟ أجل، ثَوابي أنّي أُنادي برِسالةِ السّيّدِ المَسيح، وبُشراي فيكم مَجّانًا، ولا أنتظرُ مُقابلاً ماديًّا شأنَ سائرِ الدُّعاةِ.

9: 19-27

ولستُ مُضطرًّا لطاعةِ النّاس لأنّهم يدْعَمونَني، ولكنّني خدمْتُهم بتواضعٍ لكي ينجوَ منهم أكبرُ عددٍ مُمكن. فكنتُ أعيش مع اليهودِ على نمطِ اليهودِ التّقليديّينَ حتّى

---

(3) من التوراة، سفر التثنية، 25: 4.

يؤمنوا بسيِّدِنا المَسيحِ. نعم، أصبحتُ مِثل الّذي كان تحت حِمايةِ التَّوراةِ، وإن كنتُ في الحقيقةِ مُتحرِّرًا مِن حِمايتِها، حتّى يهتَدوا إلى الإيمانِ بالسَّيِّدِ المَسيح، وكنتُ أبدو مِثل الّذين يجهلونَ شَريعةَ النّبيِّ موسى عندما كنتُ بينهم، مع أنّي تحت حِمايةِ شَريعةِ المَسيحِ، وتجنَّبْتُ ما كان يبدو عند النّاسِ ذنبًا، أُراعي في ذلك تردُّدَ المُتردِّدينَ حتّى يَرسخَ في قُلوبِهم الإيمانُ. أفلا ترَوْنَ، إذن، أنّي ألتزِمُ بِعاداتِ النّاسِ حين أكون بينهم، وأهديهم إلى سيِّدِنا عيسى بكُلِّ السُّبُلِ فيفوزونَ بالنّجاةِ. أجل، أعملُ كلَّ ما أستطيعُهُ لنشرِ رِسالةِ سيِّدِنا، لأحصُلَ على نَصيبٍ من بَركاتِها.

وإنّكم لتعلمونَ أنّ جَميعَ المُتسابقين يُشارِكونَ في السِّباقِ، والفائزُ واحدٌ فقط، فاستَبِقوا الفوزَ مِثله في سبيلِ اللهِ لعلَّكم تفلحونَ، وكُلُّ رياضيٍّ يَلتزِمُ تَدريباتٍ كثيرةً شاقةً يتهيَّأُ بها ليَفوزَ بإكليلٍ من الغارِ سيذبُلُ بَعد حينٍ. أمّا نحن فَلْنَجتَهِد كي نَفوزَ بإكليلٍ يَبقى إلى الأبدِ! وإنّي لسبّاقٌ وهَدَفي أمامي، ومُلاكِمٌ ضرباتُهُ في مَحلِّها، لا كمَن يضربُ في الهَواءِ، بل أُخضِعُ جسمي ليُطيعَني. فكيف بعد أن دعوتُ غيري إلى الثباتِ، أَضِلُّ وأُصبحُ مِن الخاسرينَ؟!

الفصل العاشر

10: 1ـ13 لا تضلّوا فتعبدوا الأصنام مثل بني إسرائيل قديمًا

إخواني في اللهِ، احذَروا أن يُنْزِلَ اللهُ عليكم بسببِ الأصنامِ ما أنزلَهُ على آبائِنا الأوّلين. فكما نِلْنا النَّجاةَ بسيِّدِنا عيسى، كذلك نجّا اللهُ كلَّ النّاسِ زَمَنَ النّبيّ موسى بخُروجِهِم مِن مِصرَ تحت سَحابةٍ، وعبَروا كلُّهم البَحرَ الأحمرَ بأمانٍ وسَلامٍ. لقد عبَروا جَميعُهم البَحرَ وكانوا في ذلك كأنّهم يَتطهَّرونَ في ماءِ البَحرِ والسَّحابةِ، وهذا التَّطهُّرُ دَليلٌ على أنّهم صاروا أتباعَ النّبيّ موسى مِثلما نحن بتَطهُّرِنا أصبحنا لسيِّدِنا عيسى مُريدينَ. ولقد تشاركوا كلُّهم في طَعامٍ مِن السَّماءِ مِثلَما نتشارَكُ في الخُبزِ استحضارًا لذِكرى المَسيحِ، وكما نتشارَكُ في كأسٍ واحدةٍ لذِكرى إراقَةِ دَمِ السَّيِّدِ المَسيحِ مِن أجلِنا، كذلك شَرِبوا كُلُّهم مِن الشَّرابِ الرُّوحانيِّ الّذي أخرجَهُ اللهُ إليهم مِن صَخرةٍ

هَداهم إليها، ولقد كانت الصَّخرةُ هَيئةَ السّيِّدِ المَسيح الرّوحانيَّةَ بينهم الّتي كانت تُرافِقُهم في سَفرِهم، ورَغم أنّ اللهَ أنعمَ عليهم جَميعًا، فإنّ أغلبَهم كانوا عُصاةً آثمينَ، فلم يَرضَ اللهُ عَنهم، بل عاقبَهم وسقَطوا أمواتًا في الصَّحراءِ.

وما هذا إلا عِبرةٌ ليُنذِرَنا كي لا نَشتهيَ السَّيئاتِ مِثلهم، فلا نكون كبَعضِ بني إسرائيلَ نَعبُدُ الأصنامَ، وكما جاءَ في التَّوراةِ: «جَلَسَ النّاسُ ليأكُلوا ويَشربوا بشَرَهٍ مُحتفلينَ، ثُمّ قاموا وانفَلَتوا في ضَلالِهم لاهينَ». وعلينا ألاّ نَرتكِبَ الفحشاءَ. فلقد أنزلَ اللهُ عليهم عقابَه فمات مِنهم ثلاثةٌ وعِشرونَ ألفًا في يوم واحدٍ. ويَنبغي أن لا نَمتحنَ وَفاءَ مَولانا، كما فعل بعضُهم، فأرسلَ اللهُ عليهم الثَّعابينَ، تلدغُهم فيموتونَ، ويجبُ ألاّ تتذمَّروا مِثل بَعضِهم، أولئك ضربَهم مَلاكُ الموتِ فصاروا مِن الهالكين. ولقد ذَكَرَ اللهُ في الكِتابِ كلَّ هذه الأحداثِ، عِبرةً ونذيرًا لنا نحن الّذين نَعيشُ آخِرَ أيّام هذه الدُّنيا.(1)

فلْيَنتَبِهْ كلُّ مَن يَظنُّ أنّه في حصنٍ أمينٍ مِن تأثيرِ الشِّركِ، فيُكْثِرَ مِن التَّردُّدِ على الولائم في المَعابدِ الوثنيَّة، لينتبِهْ كي لا يَسقُطَ في الضّلالِ. أمّا عندما تواجهونَ المحنَ والإغراءاتِ العاديَّةَ، فلا خوفَ عليكم مِنه، كذلك هو قدَرُ البشرِ، وإنّ اللهَ لِوعدِه أمينٌ، فلن يسمَحَ أن يصيبَكم بلاءٌ لا تقدرون عليه، بل يهديكم في المِحنةِ إلى سَبيلٍ للخُروج مِنها، حتّى تكونوا لها مُحتملينَ.

10: 14-22

فاجْتنِبوا، أحِبّائي، بكلِّ حزم ما يرتبطُ بعبادةِ الأصنام. واعلموا أنّي أتحدّثُ إليكم باعتبارِكم عُقلاءَ، فاحكُموا في ما أقولُ: ألسْنا إذ نُقدِّمُ الشُّكرَ على كأسِ الشَّرابِ، ونشربُها جَميعًا تِذكارًا لإراقَةِ دمِ سيِّدِنا عيسى، نكونُ مَعه في رباطٍ روحانيٍّ صَميم؟ هل أنتم لذلك مُدرِكونَ؟ وعِندما نشتركُ في تقسيمِ الخُبزِ ونأكلُ مِنه تِذكارًا لسيِّدِنا عيسى، نكونُ مَعه في رباطٍ روحانيٍّ وَثيق؟ ولأنّنا مع السّيِّدِ المَسيح مُتَّحِدونَ، فإنّنا حين نتقاسمُ رَغيفًا واحدًا نعلنُ أنّنا جَماعةٌ واحدةٌ مِن أتباعِهِ رَغم كثرتنا.

فتأمَّلوا في عاداتِ بني إسرائيلَ: أليس كلُّ الّذين يشتركونَ في أكلِ ذبائحِ الحَرَمِ

---

(1) يهدف بولس من هذه القصة إلى تعليم قُرّاء رسالته أن عقاب الله يطال عباده المختارين أيضًا إذا استمروا في ارتكابهم للذنوب والمعاصي.

المُقدَّسِ إخوةً في تواصلٍ مع اللهِ؟ أتدرِكونَ قصدي؟ ليس الصَّنَمُ إلهًا حقيقيًّا ولن تجعلَهُ القرابينُ المُقدَّمةُ إليه إلهًا. ولم يكن هذا ما قَصدتُهُ، بل قَصَدتُ أنّ الوثنيّين، إذ يُقدِّمونَ ذبائحَهم إلى صَنَمٍ لا يدخلونَ مَعه في علاقةٍ روحيَّةٍ بل في علاقةٍ مع الجِنّ والشَّياطينِ. وإنّي أخافُ علَيكم أن تقعُوا في رباطٍ مع الشَّياطينِ حين تأكلونَ في المَعابدِ الوثنيَّةِ. فكيف تشربونَ مِن كأسِ سيِّدِنا عيسى ومِن كأسِ الشياطينِ في الآن نفسِهِ؟! وكيف تجمعونَ بين مائدةِ ذِكرى سيِّدِنا عيسى ومائدةِ الشَّياطينِ؟! إنّ هذا التَّصرُّفَ يُثيرُ غيرةَ سيِّدِنا، وهل أنتم قادرونَ على تَحمُّلِ غضبِهِ؟!

10: 23_33 حذار من تضليل الآخرين

يا أهلَ كورنْتُوسَ، أنتم تردِّدونَ: «نحنُ أحرارٌ طُلقاءُ مِن آثامِنا، فلنا أن نعمَل ما نشاءُ!» أمّا أنا فأقولُ لكم: هل كلُّ ما تفعلونَهُ نافعٌ؟ وهل كلُّ أفعالِكم تثبِّتُ النّاسَ في الإيمانِ؟ فليُقدِّمْ كلُّ واحدٍ مِنكم مَصلحةَ الآخرين على مصلحتِهِ الشَّخصيّة. نعم يا أخي، إنّ كلَّ ما يُباعُ في سوقِ اللحمِ لا يضُرُّ بإيمانِكَ، فكُلْ مِنه ولا تخَفْ ولا تُبالِ، إن كان مَذبوحًا لصنمٍ أو مُقدَّمًا لتِمثالٍ،[1] فقد جاء في الزَّبورِ: «للهِ الأرضُ وكُلُّ ما عليها».[2] وإن دَعاكَ غيرُ المؤمنِ إلى طَعامٍ، وأردْتَ شرفَ التَّواصلِ، فكُلْ مِمّا يُقدِّمُه إليك، وأرِحْ ضَميرَكَ من السُّؤالِ، ولا تسألْ مُضيفَكَ هل كان اللحمُ مَذبوحًا ومُقدَّمًا للأصنامِ. أمّا إن قيل لك: «إنّ هذا الطَّعامَ قُربانٌ للأصنامِ»، فأمْسِكْ عن الأكلِ وراعِ من أخبرَكَ، واحترِمْ رأيَه، فمع أنّك على يَقينٍ أنّ هذا اللحمَ هو مُجرَّدُ لحمٍ لا غيرَ، فامتنِعْ عن الأكلِ مُراعاةً لمَن أخبرَكَ بالأمرِ، حتّى لا يظنَّ أنّك تشارِكُهُ في عِبادةِ الأصنامِ. هل تكون حُرِّيّتي الشَّخصيَّةُ بابَ اتّهامي بالشِّركِ المُبينِ؟ كلاَّ! فلنَحْذَرْ إذن أن يُلْحِقَنا النّاسُ بالوثنيِّين، ويُسيئوا إلى سمعَتِنا، بسببِ رزقٍ من اللهِ كُنّا عليه مِن الشّاكِرين. فاحْرصوا أن ترفَعوا شأنَ رَبِّكم بين النّاسِ، في كلِّ ما تأتونَ، في طَعامِكم وشَرابِكم وفي كلِّ ما تفعلونَ، فلا تكونوا سببًا لضَلالِ الآخرين، سواء كانوا يَهودًا أو غيرَ يَهود، أو إخوانِكم

(1) رغم أن مؤمني كورنتوس لا تجوز لهم المشاركة في الاحتفالات الدينية الوثنية والأكل من الطعام المقدّم للأوثان مع الوثنيين، فإنّه يجوز لهم في المقابل أكل ذلك اللحم إذا بيع في الأسواق العامّة.

(2) من كتاب الزبور، المزمور 1: 24.

مِن جَماعةِ المؤمنين. بل كونوا على نَهْجي: إنّي أسْعى في ما أعملُ إلى رِضا كلِّ النّاسِ، لا أعملُ لمَصلحتي، بل أوجِّهُ اهتمامي إلى الجَميعِ حتّى يكونوا من النّاجين.

الفصل الحادي عشر

11 : 1

اقتدوا بي كما أقتدي بالسّيِّدِ المَسيحِ.

11 : 2ـ16 في الاجتماعات العامّة: السّلوك الملائم للنّساء والرّجال

إنّي لأُثْني عليكم لأنّكم تذكرونَني دائمًا، وتحافِظونَ على التّعاليمِ الّتي سلَّمتُكم إيّاها.(1) ولكن اعلَموا أمرًا غفَلْتم عنه: إنّ أصلَ كلِّ رَجلٍ هو السّيِّدُ المَسيحُ، وأصلَ المَرأةِ هو الرَّجلُ، وأصلَ المَسيحِ هو اللهُ.(2) إنّ الرَّجلَ لَيُهينُ السّيِّدَ المَسيح إن صلّى أو تنبَّأَ ورأسُه مُغطًّى كالوثنيّين،(3) وإنّ المَرأةَ لَتُهينُ زَوجَها إن صلَّت أو تنبَّأت سافرةً كغيرِ

---

(1) يتعرّض المقطع اللاحق لبعض الأسئلة التي كان يطرحها الكورنتيون عن الشكل الذي ينبغي أن تكون عليه اجتماعاتهم، باعتبارهم مؤمنين بالمسيح إذ يعتبرون أنفسهم إخوة في الإيمان، فهل تكون اجتماعاتُهم بمثابة لقاء عائليٍّ خاصٍّ، أم بمثابة اجتماع علني عام حتّى ولو كان هذا الاجتماع داخل بيت؟ علما أنّ الطريقة التي يتصرّف بها أعضاء العائلة الواحدة فيما بينهم تختلف كثيرا عن الطريقة التي يتعامل بها الناس بعضهم مع بعض علنا في اجتماعاتهم العامّة، كما أن وجبات طعامهم تختلف أيضا. أمّا السؤال عن النساء اللواتي لا يسترن رؤوسهن فإنه يتعلق بسلوكهن كما لو كنّ في فضاء خاص. ويرى بولس أنه ينبغي اعتبار اجتماعاتهم عامة وعلنيّة رغم كونهم بمثابة عائلة واحدة في الإيمان، وعليهم أن يتصرّفوا خلالها بطريقة لا تزعج الآخرين.

(2) كلمة «أصل» في اللغة العربية الواردة هنا هي ترجمة لكلمة وردت في النصوص اليونانية القديمة، وترجمت غالبا بكلمة «رأس»، وقد تُستخدم بمعنى مجازي يشير إلى أصل الشيء أو مصدر نموّه. وهذا هو المعنى المرجّح الذي كان يفهمه الكورنتيون من كلام بولس. وكلمة «رأس» في اليونانية القديمة لم تكن تفيد معنى «الحاكِم». والمسألة المبدئية التي يناقشها بولس هنا، هي أن السيد المسيح يُعتبر مصدر شرف لكل رجل (زوج) من المؤمنين، في حين أن الرجل (الزوج) يُعتبر مصدر شرف لزوجته. وفي النهاية يُعتبر الله مصدر شرف السيد المسيح. ولذا يؤكد بولس على المؤمنين رجالا ونساء أن يُظهروا في سلوكهم احترامَهم ووقارهم لمصدر شرفهم.

(3) كان من عادات الرومان أن يغطّي الكهنة والقادة الذين يشرفون على العبادة الوثنية رؤوسهم أثناء أدائهم شعائر الصلاة أو تقديم الأضاحي. ويبدو أنّ بعض أتباع سيدنا عيسى (سلامه علينا) في

المُتزوِّجات، وهي ليست أفضلَ مِن الزّانيَةِ الّتي أُجْبِرَتْ على حِلاقَةِ شَعرِها، وإذا لم تُغطِّ المَرأةُ رأسَها فلْتَحْلِقْ شَعرَها! فإذا كان عارًا عليها أن تبدُوَ زانيةً فعليها بالحِجاب،[1] وإنّ الرَّجلَ ليُخْطِئُ إذ يُغَطِّي رأسَه كالوثنيِّين أثناءَ الصَّلاةِ، فلقد خُلِقَ ليكونَ ظِلَّ اللهِ، ويَرفَعَ شأنَهُ تعالى. إضافة إلى هذا، فالمَرأةُ عليها أن ترفَعَ من هَيبةِ رَجُلِها أيضًا.[2] فلقد خُلقَت مِنه وما خُلِقَ منها، ووُجِدَت لأجلِهِ، وما وُجِدَ من أجلِها، لذا يجبُ على المَرأةِ أن تختارَ بكلِّ حِكمةٍ كيف تتصرَّفُ في هذا الأمرِ بسببِ الملائكة.[3] واعلَموا، أحبابي، أنّنا أتباعُ سيِّدِنا عيسى المَسيحِ، رِجالاً ونِساءً، فلا يَستغني أحدُنا عن الآخرِ. فلئن خُلِقَتِ المَرأةُ مِن الرَّجلِ، فهو مِنها مَولودٌ، وكلُّ شيءٍ مِن اللهِ.

فاحكُموا بأنفسِكم، هل ترَوْنَ صَوابًا في صَلاةِ المَرأةِ سافرةً؟ ألا يُعَدُّ الشَّعرُ الطَّويلُ في الرَّجلِ عيبًا؟ ولكنّه فَخرٌ للمَرأةِ لأنّه سِترٌ لها، فمَن أرادَ أن يُجادِلَ في هذا الأمرِ، فعليه أن يعلَمَ أنّ صَلاةَ المَرأةِ سافرةً ليست مِن عاداتِنا ولا من عاداتِ جَماعاتِ المؤمنين.

= كورنتوس كانوا يُغَطُّون رؤوسهم عن قصد حين يصلّون أو يتنبّؤون، مقلدين النخبة الوثنية، وذلك كوسيلة لجلب الانتباه إلى منزلتهم الدنيوية. وقد أدّى هذا إلى حدوث انقسامات بين المؤمنين، كما أساء هؤلاء احترام السيد المسيح رغم أنّه مصدر شرفهم بمحاولتهم الحصول على الشرف بوسائل دنيوية.

(1) كان من المتوقع أن ترتدي نساء كورنتوس الحجاب إسوة بنساء روما، ليُظهرن للناس أنّهن متزوّجات، وكان رفض المرأة المتزوجة ارتداء الحجاب يدل على تنكّرها للعلاَقة الزوجية التي تربطها بزوجها. وقد شبّه الحواري بولس التنكّر للحياة الزوجية بممارسة الزنى، قائلاً إنّ رفْض المرأة وضع حجاب الزواج عملٌ مُخز مثله مثل تعرُّض المرأة لحلق شعرها عقابا لها على كونها زانية. وإضافة إلى ذلك كانت نساء الطبقة الراقية اللواتي كنّ يرغبن في عرض تصفيفات شعرهن العصرية، لم يكنَّ يلتزمْنَ بستر الرأس. وقد أدّى ذلك إلى اختلاف في الرأي بين نساء الطبقة الراقية والنساء الأخريات اللواتي كنّ يرين أن الأخلاق عرضة للانتهاك. ورغم أن النساء لم يكنّ يرتدين حجابًا بين أفراد أسَرهن، فإنّ بولس أكّد أن اجتماعات المؤمنين أشبه بالاجتماعات العمومية وإن كانوا مقرّبين جدا بعضُهم من بعض مثل أفراد الأسرة الواحدة.

(2) ورد في التوراة في سفر التكوين 1: 27 أن الله خلق الرجل والمرأة ليكونا ظلّه تعالى. وبولس لا يريد هنا القول إنّ النساء لا يستطعن تمجيد الله، بل على الإنسان ألاّ يقلد ممارسات الوثنيين فيدنّس شرف الخالق الذي صوّره، وقياسا على ذلك لا يجوز للمرأة أن تعرّي شعرها وتدنس شرف زوجها لأن الله خلق حواء كي تكرم آدم.

(3) يؤكّد بولس ضرورة ارتداء المرأة للحجاب حتّى لا تجلب العار لزوجها بإيحائها للناس أنها غير متزوجة.

11: 17-34 في الاجتماعات العامّة: ما يحدث خلال عشاء ذكرى السّيّد المسيح

وإنّي أعاتِبُكم على أمرٍ آخرَ: لا أرى في اجتماعاتِكم سببًا لمَدحِكم، إذ لا يَكونُ فيها نفعٌ بل ضَرَرٌ في أغلبِ الأحيانِ، ولقد بَلَغني أنّكم حين تجتمعونَ، تَحْدُثُ بينكم انقساماتٌ، وإنّي أصدِّقُ ما بَلَغني، فلا بُدَّ مِن وجودِ الخِلافاتِ بينكم حتّى يُمحِّصَكم اللهُ ويُظهِرَ المُخلصينَ مِنكم. وفي الحقيقةِ، أنتم لا تَحترِمونَ العشاءَ الّذي تتناولونَهُ إكرامًا لسيِّدِنا عيسى في اجتماعاتِكم! فبَعضُكم يأكلُ بشرهٍ عشاءَهُ الخاصَّ كاملاً، ولا يُقدِّمُ مِنه شيئًا لبقيّةِ الحاضرينَ في العشاءِ العامِّ المُقدَّسِ، ولهذا السببِ يَسْكَرُ بَعضُكم ويجوعُ البَعضُ الآخر،[1] فكأنَّكم تفتَقِدونَ للطّعامِ والشّرابِ وبيوتُكم خاليةٌ من الطَّعامِ! فكيف تستَهينونَ بجماعةِ اللهِ؟! لماذا تجْعلونَ إخوانَكم الفُقراءَ يَخجلونَ؟ فماذا أقولُ لكم في هذا الأمرِ؟ أتراني مادحَكم؟ كلا، لستُ مادحَكم!

فاسمَعوا مِني ما بَلَغني مِن تَعاليمِ سيِّدِنا: لقد أخذ سيِّدُنا عيسى خُبزًا في الليلةِ الّتي خانَه فيها يَهوذا وحَمِدَ اللهَ وقسَّمَهُ بينَ الحَواريّين، وقال: «هذا هو جَسَدي الّذي أُضَحّي بِهِ من أجلِكم. فكلوا مِن هذا الخُبزِ دائمًا تِذكارًا لي». ثُمّ أخذ الكأسَ بَعد العشاءِ وقال للحُضورِ: «هذه كأسُ ميثاقِ اللهِ الجَديدِ معكم، ميثاقٌ يُبرَمُ بإراقةِ دَمي من أجلِكم. فكلّما شَرِبْتم مِنها، فافعَلوا هذا تِذكارًا لي». فكلّما أكلتم مِن هذا الخُبزِ وشَرِبتُم مِن هذه

(1) عند إقامة أغنياء اليونان والرومان حفلاً يستقبلون فيه ضيوفًا من طبقتهم الاجتماعية الراقية، كانوا يُجلسونهم في أفخم الغرف ويُقدّمون لهم أفخر الطعام، في حين يجلس الآخرون في غرفة أخرى مجاورة حيث يقدم لهم طعام وشراب أدنى مستوى في غالب الأحيان. وكان المؤمنون في كورنتوس يجتمعون في بيوت الأغنياء لإحياء ذكرى سيدنا عيسى (سلامه علينا)، فكان المضيفون يتّبعون عادات وتقاليد عصرهم التي عرفوها في الاحتفالات والاجتماعات اليونانية والرومانية. وكان المؤمنون الأثرياء لا ينتظرون بقيّة المؤمنين بل يأكلون بشَرَه حتّى أن بعض المؤمنين الفقراء الذين تأخّروا لا يجدون شيئا يأكلونه. وقد انتقد بولس معاملة مؤمني كورنتوس للأغنياء على نحو أكثر احتراما وإكراما مما يُعاملون به الفقراء، إذ كان يرى أن مثل هذه التصرفات تتطابق مع القيم الوثنية وتتناقض مع تعاليم سيدنا عيسى. وربّما كان مؤمنو كورنتوس إذا اجتمعوا أيضا للعشاء مع بعضهم بعضا، حمل كل واحد منهم طعامه الخاصّ معه. وفي هذه الحالة كان الأغنياء يأتون بطعام فاخر وفير، ويرفضون مشاركة الفقراء فيه، وبالتالي يبقى بعض الفقراء جائعين.

الكأسِ، تُخبرونَ بتَضحيةِ حياةِ سيِّدِنا عيسى حتّى يتجلّى ملِكًا إلى العالمين.[1]

لذا، فكلُّ مَن أكلَ من خُبزِ سيِّدِنا عيسى أو شَربَ من كأسِهِ دون أن يَحترِمَ إخوتَهُ في اللهِ، فقد أساء لسيّدِنا عيسى، فيُثقِلُ بذلك كَاهِلَهُ بذنبِهِ لأنّه استخفّ بالّذين ضَحّى مِن أجلِهم السّيِّدُ المَسيحُ بجَسدِهِ ودمِهِ.[2] فاختبرْ نفسَك، وانظرْ إن كنتَ تحترمُ إخوتَك في الإيمانِ، ثُمّ كلْ مِن خُبزِ المَسيحِ واشرَبْ من كأسِهِ، فعلى الآكلينَ والشّاربينَ احترامُ جَماعةِ المؤمنينَ، وإلاّ جَلَبوا على أنفسِهِم العقابَ،[3] ولذلك أُصيبَ كثيرٌ مِنكم بالضّعفِ والمَرضِ ومات بَعضُكم. فإذا راقَبنا أنفسَنا، فلن يَحِلَّ علينا هذا العقابُ الأليمُ. إنّما يُعاقبُنا اللهُ في الدُّنيا ويؤدِّبُنا حتّى لا يُهلِكَنا غضبُه كما يُهلِكُ الأشرارَ يومَ الدِّين.

إخوَتي في الإيمانِ، فلْيَنتظِرْ بَعضُكم بعضًا إذا اجتمعتُم لعشاءِ سيِّدِنا المَسيحِ، وإن كان أحدُكم جائعًا، فليَأْكلْ في بيتِهِ قبلَ قُدومِهِ إلى العَشاءِ، حتّى لا يَنزِلَ عقابُ اللهِ عليكم بسببِ أنانيَّتِكم، أمّا القضايا الأُخرى الّتي طرحتُموها، فسأنْظُر فيها عندما أكونُ بينَكم.

---

(1) ليس المراد من العشاء التذكاري معنى تذكُّر شخص ميت، بل المراد هو المعنى ذاته الذي نجده في كتب الأنبياء الأقدمين. فقد سار أتباع سيدنا عيسى (سلامه علينا) على نهج بني يعقوب الذين كانوا يجتمعون لإحياء عيد الفصح وتذكّر يوم حرّرهم الله. وقد مدّد سيدنا عيسى معنى تحرير عباد الله الصالحين وإنقاذهم تحت قيادة النبي موسى (عليه السّلام) ليشمل تضحية السيد المسيح بنفسه لتحرير الناس وإنقاذهم من سطوة الشيطان. وهذه الآية تشير إلى أنّ بولس يحثّ المؤمنين على إحياء هذا الحفل التذكاري بشكل منتظم، ولكن الإنجيل لا يحدّد كيفية إحيائه ولا عدد مرّاته.

(2) يقول بولس إنّ المؤمنين عندما يفضلون الأغنياء على الفقراء من أعضاء جماعتهم خلال الحفلِ فإنهم يحتفلون بطريقة لا تليق بالمؤمنين. ولأنه يدرك صعوبة تغيير العادات، فإنه يقترح تسوية لهذا الأمر، رغم تعارضها مع تعاليم السيد المسيح، وهي أن يتناول الغنيّ وجبته الخاصّة في منزله، حتّى إذا حضر حفل ذكرى تضحية سيدنا عيسى يتساوى الجميع في قيمة الوجبة التذكارية التي يتمّ تناولها.

(3) يمثل تصرّف المؤمنين بمثل هذا السلوك الوارد في الآيتين 20–21 عجزا لإدراك هؤلاء أن جماعة المؤمنين هي أمّة الجسد للسيد المسيح (10: 17، 12: 27). فإذا عامل مؤمن غيره في الجماعة باستخفاف، فإن هذه المعاملة تكون في حقّ سيدنا عيسى نفسه، وهو ما يستوجب حكم الله عليه.

الفصل الثّاني عشر

12: 1ـ11 في الاجتماعات العامّة: الكرامات من روح الله

والآن يا إخوَتي في الإيمانِ، بخُصوصِ ما سألتُموني عن كَراماتِ رُوحِ اللهِ، لا أُريدُ أن تكونوا مِن الغافلينَ.[1] إنّكم تعلمونَ أنّكم عِندَما كنتم وثنيِّين، كنتم مُنجَرفينَ نحو الضَّلالِ في خِدمَةِ الأصنامِ الّتي لا يُمكِنُها أن تتكلَّمَ مع النّاسِ أو تُرشِدَهم أبدًا. فاعلَموا أنّ مَن يتكلَّمُ بإرشادٍ مِن رُوحِ اللهِ، لا يطلبُ اللعنةَ على النّاسِ أبدًا باسمِ سيِّدِنا عيسى،[2] ثُمّ لا أحدَ يشهَدُ أنّ عيسى مَولاهُ إلاّ بهدايةٍ مِن رُوحِ اللهِ.

واعلَموا، وإن تعدَّدَتْ الكَراماتُ في المؤمنين، أنّ مَصدرَها واحدٌ ألا وهو رُوحُ اللهِ. وإنّ الخدماتِ في سَبيلِ سيِّدِنا المَسيحِ مُتنوعةٌ، ولكنّ سيِّدَنا عيسى الّذي نخدِمُه واحدٌ. والأعمالُ الصّالحةُ مُتعددةٌ، ولكنَّ اللهَ الّذي يَمنحُ المؤمنين القُدرةَ على فعلِ الصّالحاتِ واحدٌ. فتظهرُ تجلّياتُ رُوحِ اللهِ في كلِّ واحدٍ مِنّا للمَنفعةِ العامَّةِ،[3] فمثلاً ينالُ أحدُكم القُدرةَ على الكلامِ بالحِكمَةِ أو فضلَ تعليمِ الآخرين بقوَّةِ رُوحِ اللهِ. وبرُوحِ اللهِ أيضًا يَحظى بَعضُكم بالإيمانِ الرّاسخِ، وبَعضُكم الآخرَ بقُدرةِ شِفاءِ المَرضى، فهُناك مَن تَجري على يَديه المُعجزاتُ، وهناك مَن تتجلّى فيه كرامةُ النّبوءةِ، وهُناك مَن له قُدرةُ تَمييزِ ما يهبُهُ اللهُ وما يوسوسُهُ الشَّيطانُ. وهناك مَن يتمتَّعُ بكرامةِ التَّكلُّمِ

(1) يتناول بولس في هذا القسم مسألة سعي مؤمني كورنتوس إلى إعلاء منزلتهم في المجتمع، وذلك من خلال افتخارهم بكراماتهم من روح الله، ويؤكّد أنّ تلك الكرامات إنما مُنحت من أجل الآخرين في جماعة الإيمان لا من أجل الافتخار بها شخصيًّا.

(2) انتشرت بين الوثنيين في ذلك الزمن عادة طلب حلول اللعنة على أعدائهم باسم أحد آلهتهم خاصة آلهة العالم السفلي. وكانت اللعنات تُكتب على ألواح من الرصاص ثم تدفن في الأرض قرب منبع ماء أو في معبد وثني. وربّما شعر المؤمنون في كورنتوس أنهم قد يستخدمون قوة اسم سيدنا عيسى في لعن خصومهم بسبب انتصاره (سلامه علينا) على الموت.

(3) قائمة الكرامات المذكورة هنا ليست شاملة، بل هي نموذج لا غير، وذلك لخدمة جماعة المؤمنين. وهناك قوائم أخرى ذُكرت في رسالة بطرس الصخر الأولى، 4: 10- 11 ورسالة روما، 12: 6- 8. فقد كان الله بروحه تعالى يهب لكلّ مؤمن كرامة، ولكن قد ينال بعض المؤمنين أكثر من كرامة واحدة، فمثلاً كان بولس يقوم بمعجزات، كما كان يتحدّث بقوّة روح الله بلغات لم يتعلمها.

بالألسنةِ المُتنوَّعةِ مِن رُوحِ اللهِ، وهناك مَن يُترجِمُ هذه اللُغاتِ.[1] إنّ كلَّ هذه الكَراماتِ مَصدرُها الأوحد رُوحُ اللهِ، وإنّ اللهَ يُوزِّعُها على المؤمنين كما يشاءُ.

12: 12-31

فرَغم تَعدّد الأعضاءِ، فإنّ جِسمَ الإنسانِ واحدٌ، هكذا هي جمَاعةُ السّيِّدِ المَسيحِ واحدةٌ وإن اختلفتْ أدوارُ المؤمنين. حتّى وإن كان بيننا يَهودٌ وغير يَهودٍ، أحرارٌ وعبيدٌ، فنحن انْغمسنا صِبغةً للهِ في أُمّةِ الجَسدِ الواحد لسيِّدِنا عيسى المَسيحِ بفضلِ رُوحِ اللهِ،[2] ورغم اختلافِنا فقد نهلنا جَميعًا مِن مَنبعٍ واحدٍ ألا وهو رُوحُ الله.

نعم، إنّ جِسمَ الإنسانِ يتكوَّنُ مِن أعضاءٍ مُختلفةٍ. فلو قالت القدمُ: «ما أنا بيدٍ، فلا أنتمي إلى هذا الجِسم»، فإنّ هذا القولَ لا يبطِلُ انتماءَها إلى الجِسم. ولو قالت الأُذُنُ: «أنا لستُ عينًا، فلا أنتمي إلى هذا الجِسم»، وفإنّ هذا القولَ لا يُبطِلُ انتماءَها إلى الجِسم. ثُمّ لو كان الجِسمُ كلُّه عينًا، فكيف نسمَعُ؟ ولو كان الجِسمُ كلُّه أُذُنًا، فكيف نشمُّ؟ إنّ اَللهَ رتَّبَ كلَّ عضوٍ مِن أعضاء الجِسم ترتيبًا، فلو تكوَّنَ جِسمُ الإنسانِ مِن عُضوٍ واحد، ألا يكونُ بذلك جِسمًا غريبًا؟ نعم، إنّ أعضاءَ الجِسم تختلف، ولكنّ الجِسمَ واحدٌ. هل تقدرُ مثلاً العينُ أن تقولَ لليدِ: «أنا لا أحتاجُ إليكِ»؟ كلاّ! أو يَجرُؤُ الرأسُ أن يَقولَ للقدمين: «أنا في غنى عنكما»؟ كلاّ، إنّ الأمرَ عكسُ ذلك، فالأعضاءُ الّتي تبدو ضَعيفةً في الجِسم، لا يُمكنُ في الحقيقةِ الاستغناءُ عنها، والأعضاءُ الّتي نعتقدُ أنّها أقلُّ شأنًا مِن بقيّةِ الأعضاءِ، هي الّتي تستحِقُّ منّا مَزيدًا مِن العنايةِ والتّكريم، والأعضاءُ الّتي نَستحي منها تستحقُّ مَزيدًا من الوقارِ، أمّا الأعضاءُ الّتي لا نَستحي بها، فلا تَحتاجُ إلى كلِّ هذا الحياءِ والتّكريمِ. إنّ اللهَ كوّن جِسمَ الإنسانِ بحِكمةٍ، ففَرَضَ

---

(1) قد تمنح روح الله المقدسة هبة القدرة على التكلم بلغات لم يتعلمها المؤمن من قبل. وقد يكون ذلك عبارة عن صلاة أو تسبيح، مثلما حصل مع أتباع سيدنا عيسى (سلامه علينا) بعد صعوده إلى السماء حيث حلّت عليهم خلال اجتماعهم روح الله وتجلّت في شكل ألسنة من النار ووهبتهم القدرة على التسبيح بكل لغات الأقوام المجتمعين معهم في عيد الفصح آنذاك (انظر سيرة الحواريين 2: 1-12).

(2) تنبأ النبي يحيى (عليه السّلام) بالتطهّر بروح الله عوضًا عن التطهر بالماء فقط (انظر مرقس، 1: 7-8)، وقد تحقّقت هذه النّبوءة في سيرة الحواريين عندما هبّت روح الله على الحواريين وأتباع سيّدنا عيسى الآخرين (سيرة الحواريين 2: 1-41)

كرامةً أعمقَ للعُضوِ المُحتَقَرِ، حتّى لا يدخلَ شِقاقٌ بين أعضاءِ الجسم، وحتّى تتساوى في الاعتناءِ بَعضِها ببعض. فمَثلُ المؤمنين في مَحبَّتِهِم وتعاطفِهِم مَثَلُ الجَسَدِ، فإذا اشتكى مِنه عُضوٌ تداعى له سائرُ الأعضاءِ بالسَّهرِ والحُمّى، وإذا نال عُضوٌ التَّكريمَ فرِحَتْ لتكريمِهِ بقيَّةُ الأعضاءِ.

كذلك أنتم يا أحِبّائي، لكلِّ واحد مِنكم دورُهُ في هَيئةِ السَّيّدِ المسيح، ولقد خصَّ اللهُ كلَّ مُؤمنٍ بمَكانِهِ الخاصِّ، وأوَّلُهم الحَواريّون، وثانيهم المكرَّمونَ بالتَّنبُّؤ، وثالثُهم المُعلِّمونَ المُرشِدونَ.[3] ثُمّ مَن تَجري على أيديهم المُعجزاتُ، والشّافونَ للمَرضى، أو الّذين يُعينونَ غيرَهم، أو قادةُ الجَماعاتِ، أو المُتكلِّمونَ بشتّى اللُّغاتِ بقُدرةٍ خارقة. فهل كلُّ المؤمنين حَواريّون؟ هل كلُّهم أصحابُ نَبوءةٍ، أم مُرشِدونَ، أم صانعو مُعجزاتٍ، أم لغيرِهم شافون؟ هل يتمتَّعُ كلُّ المؤمنين بكَرامةِ إتقانِ لُغاتٍ غَريبةٍ، أم كلُّهم مُترجِمونَ لهذه اللُّغاتِ؟ كلاّ! فاسعَوْا إلى أهمِّ الكَراماتِ إذن. وسأبيِّنُ لكم الآن ما يَفوقُها جميعًا، ألاَ وهو المَحبَّةُ.

الفصل الثّالث عشر

13: 1-13 في الاجتماعات العامّة: المحبّة أعظم من الكرامات

ولو كان لأحدِكم قُدرةُ الكلامِ بكلِّ لُغاتِ البشرِ والملائكةِ،[4] ولكنَّ قلبَه يَميلُ عن مَحبَّةِ الآخرين، فإنّه كالنُّحاسِ تسمعُ له صوتًا دون مَعنى، أو كالأجراسِ تُقْرَعُ بلا انسجام! ولو كان لأحدِكم كرامةُ النُّبوءَةِ وكان عالمًا بكلِّ الأسرارِ، وفاهمًا لكلِّ الأشياءِ، وإن بلغَ بإيمانهِ قوَّةً ينقلُ بها الجِبالَ، ولكنَّهُ خالٍ من مَحبَّةِ الآخرين، فإنّه لا مَكانةَ لهُ عِندَ اللهِ. ولو تصدَّقَ أحدٌ بكُلِّ أملاكِهِ للفُقراءِ، أو ضَحّى بحياتِهِ في حَريقٍ في سَبيلِ اللهِ حتّى يفتخِرَ بتقواهُ،[5] ولكنَّهُ بلا مَحبَّةٍ للآخرين، فإنّه لا أمل له في الجَزاء.

(3) كان المرشدون المعلّمون يستندون في تعليم المؤمنين على تعاليم الأنبياء القدامى وتعاليم الحواريين.

(4) كان اليهود يعتقدون أن الملائكة يتكلمون في عبادتهم لله بلغة خاصة بهم.

(5) اُعتُبر تقديم الإنسان نَفْسَهُ كي يُحْرَق في سبيل مجتمعه، تصرّفًا شجاعًا في اليونان وغرب تركيا في القرن الأوّل للميلاد.

المَحبَّةُ تدفعُ الإنسانَ ليكونَ صَبورًا مشفِقًا، لا يعرفُ الحسدَ ولا التَّباهي ولا التَّكبُّرَ. ومَحبَّةُ الآخرين لا تَجعلُهُ وقِحًا أنانيًّا، ولا أهوَجَ ولا مُتتبّعًا أخطاءَ النّاسِ في حقِّهِ، لا يُفرِحُهُ ظلمُ الظّالمين، بل يُسعِدُهُ الحقُّ. إنّ مَحبَّةَ الآخرين تجعلُ المُحِبَّ آيةً في الصَّفحِ عن العالمين، وهو دائمًا في الإيمانِ راسخٌ، وبالخير الّذي سيُنزِلُهُ اللهُ على أحبابِهِ واثِقٌ، ومُتحمِّلٌ لكلِّ المَصاعبِ في سبيلِهِم.

واعلَموا أنّ لكراماتِ النّبوءةِ حُدودًا، ولكراماتِ التّكلُّمِ بلُغاتٍ شتّى زَمَنًا مَعدودًا، وأنّ للمَعرفةِ قيدًا يُبطِلُها، أمّا مَحبَّةُ الآخرين فما أرى لها في الزَّمانِ قيودًا! مَحدودةٌ هي المَعرفةُ وكرامةُ النّبوءَةِ، فإذا جاء يومُ الجَلاءِ ورفعِ الحِجابِ، أمسى المَحدودُ زائلاً مَفقودًا. ولأضرِبَنَّ على ذلِكَ مَثلاً: حين كنتُ طفلاً صَغيرًا كان كلامي وتفكيري وإدراكي كطفلٍ صَغيرٍ، ولمّا صرتُ رَجُلاً، تركتُ تَصرُّفاتِ الأطفالِ. واسمَعوا مِني مَثلاً آخر: إنّكم تعلَمونَ أنّ المِرآةَ لا تجعلُ شكلَ الإنسانِ واضحًا،[1] كذلك هَيبةُ اللهِ في هذه الدُّنيا لا نَراها بوضوحٍ، لكنّنا في الآخرةِ سنراها بكلِّ جلاءٍ.[2] مَحدودةٌ هي مَعرفتي عن اللهِ في الدُّنيا، ولكنَّها ستكونُ في الآخرة مَعرفةً شاملةً، وسأعرِفُ اللهَ حقًّا كما يَعرفُني اللهُ حقًّا.

إنّ فضائلَنا الأبديَّةَ ثلاثٌ: الإيمانُ واليقينُ والمَحبَّةُ، وأعظمُها المَحبّةُ.

الفصل الرّابع عشر

14: 1-12 في الاجتماعات العامّة: خير الكرامات أنفعها للنّاس

يا أحِبّائي، اجتهِدوا في مَحبَّةِ الآخرين، وأقبلوا على كراماتِ رُوحِ اللهِ، وخاصّةً كرامةَ النّبوءَةِ. إنّ مَن يتنبَّأُ يكونُ لإخوانِهِ مُفيدًا، أمّا مَن يتكلَّمُ بلُغةٍ مَجهولةٍ فيُخاطِبُ اللهَ فقط، فينطِقُ بما لا تدركُه الأفكارُ، وهو في ذلك يَقتدي برُوحِ اللهِ، ولا يُخاطِبُ

(1) كانت المرايا تصنع من مادة البرونز في ذلك الزمن، لذلك كان الناظر فيها لا يرى صورته واضحة.

(2) عند عودة سيدنا عيسى (سلامه علينا) سيصلح كل الأشياء، وسيتمكّن المؤمنون من رؤيته مباشرةً ومعرفته بطريقة لا يمكن أن تتحقّق في هذه الحياة.

النّاسَ. ولذلك فكرامتُهُ لا تقوّي إلا إيمانَهُ، في حين أنّ مَن يتنبّأُ ينمّي إيمانَ جَماعةِ المؤمنين، ويشدُّ عزيمتَهُم ويقوّيهم. فأُريدُ مِنكم إذن أن تتكلّموا بشَتى اللّغاتِ بقُدرةِ رُوحِ اللهِ، ولكنَّ الأولى أن تكونوا أصحابَ النّبوءَةِ، فعملُ صاحِبِ النّبوءَةِ أهمُّ مِن عملِ صاحبِ اللّغاتِ، إلاّ إذا كان يُترجِمُ لكي تستفيدَ جماعةُ المؤمنين.

إخوتي في اللهِ، لو حدَّثتُكم بلُغاتٍ لا تفهمونَها، فكيف تستفيدونَ إن لم يكنْ كلامي إلهامًا من اللهِ أو علمًا أو نبوءةً أو هديًا به تهتدونَ؟ فرَغم أنّ الآلاتِ الموسيقيةَ كالنّاي أو القيثارةِ هي أدواتٌ مِن جَمادٍ، فإنّنا لا نستطيعُ أن نميّزَ ما يصدُر عنها مِن ألحانٍ، إلاّ إذا تميَّزَت أنغامُها بَعضُها عن بَعض. وإن كان صوتُ بوقِ الحَربِ غير بيِّن، فمَن يَستعدُّ للقتالِ؟ كذلك شأنُ المُتكلِّم كلامًا غيرَ مَفهوم، أيُّ فضلٍ في قولِهِ وكلامِه إن توارى عنّا مَعنى ما يقولُ؟ كأنَّه يكلِّم الهواءَ! لا شكَّ أنَّ في العالمِ لُغاتٍ كثيرةً، لكلماتِها مَعنى مَفهومٌ. ولكنّني إن لم أفْهم ما يُقالُ، كنتُ عن المُتكلِّم محجوبًا، وكان المُتكلِّمُ عني غَريبًا. أعلمُ أنّ فيكم حَماسًا للكراماتِ، فحاولوا أن تتفوَّقوا في الكراماتِ الّتي تشدّونَ بها أزرَ المؤمنين.

14: 13-25

يجبُ على الّذي يتكلَّمُ بلُغةٍ غيرِ مَعروفةٍ أن يسألَ اللهَ القُدرةَ على تَرجمتِها، فإذا تضرَّعْتُ بكلامٍ غيرِ مَفهومٍ، تضرَّعْتُ برُوحي وبَقي عقلي عاطلاً. فكيفَ السّبيلُ؟ عليَّ إذن أن أدعُوَ مَرَّةً بيني وبين روحي، ومَرَّةً أُخرى أجعلُ دُعائي بيِّنًا. وأن أُنْشِدَ وأُسبِّحَ مَرَّةً خِفيةً وأُخرى عَلَنًا. فيا أخي، إنْ حَمَدْتَ اللهَ بروحِك، وكان كلامُك غريبًا، فكيفَ سيفهمُهُ الحاضرونَ، وكيف يشاركونَك بعدَ الحمدِ بالقولِ «آمين»؟ وقد يكونُ كلامُ حمدِك للهِ عظيمًا، ولكن لا فائدةَ فيه للمؤمنين! الحمدُ للهِ الّذي جعلَني أتكلَّمُ لُغاتٍ خارقةٍ أكثرَ مِنكم جميعًا، غيرَ أنَّه خيرٌ للمؤمنين أن أكتفيَ بخمسِ كلماتٍ يفهمونَها، ويتعلَّمونَ مِنها، عِوَضَ أن أتكلّمَ بلُغةٍ خارقةٍ فأقولُ عشرةَ آلافِ كلمةٍ لا يُمكنُهم فهمُها.

إخوتي في الإيمانِ، كونوا كالأطفالِ في كلِّ ما يتعلَّقُ بالشّرِّ، ولكن كونوا راشدينَ في تفكيرِكم. ولقد جاء على لسانِ النّبيِّ أشعيا قولُ اللهِ: «لأكلِّمنَّ هذا الشَّعبَ مِن

خِلالِ أشخاصٍ تكونُ لغتُهم غَريبةً، وبشفاهِ أجانبَ، ومع ذلك لن يسمَعوا لي».[1] إذن، يا إخوتي، بإمكانِكم أن ترَوْا في كلامِ النّبيِّ أشعيا أنّ وجودَ كرامةِ التّكلُّم بلُغاتٍ عَديدةٍ يُشيرُ إلى عقابٍ مِن اللهِ للذين يرفضونَ وصاياهُ. أمّا وجودُ كرامةِ النّبوءةِ فدليلٌ على أنّ اللهَ مع المؤمنين، فإذا اجتمعَ المؤمنونَ، وأخذوا يتكلّمونَ بلُغاتٍ خارقةٍ، ثُمّ دخَلَ عليهم شَخصٌ مِن غير المؤمنين أو مِن الّذين لا يتمتّعونَ بهذه الكَرامات، أفلا يَرونَ ذلك جُنونًا؟! أمّا إن تنبّأْتم، ودخل عليكم أحدٌ من غيرِ المؤمنين أو أحدٌ لا يتمتّعُ بهذه الكراماتِ، فسيسمَعُ منكم كلامًا يعاتبُهُ ويدينُهُ، لأنّه عندما يستمعُ إليكم، تنكشِفُ خفايا قلبِهِ فيتوبَ إلى اللهِ راكعًا ساجدًا، وسيعترفُ بوجودِ اللهِ بينكم.[2]

14: 26-40 النّظام في اجتماعاتكم للعبادة

إخوَتي في الإيمانِ، إنّ خُلاصةَ كلامي هي: عندما تجتمعونَ ويكونُ لكلِّ واحدٍ مِنكم نَشيدٌ أو إرشادٌ أو إلهامٌ، أو بيانٌ بلُغةٍ غيرِ مَعروفةٍ أو مُترجمةٍ، فعليكم أن تُقَوُّوا إيمانَ الحاضرين. فإن شاء بَعضُكم أن يتكلَّمَ بلُغاتٍ خارقةٍ، فاستمِعوا لاثنَين مِنهم أو إن شئتم لثلاثةٍ لا أكثرَ، الواحدَ بعد الآخرِ، واجعَلوا لحديثِهم مُترجِمًا. فإن غابَ المُترجمونَ فليمتنِعْ صاحبُ اللُغاتِ عن الكلامِ، وليُناجِ ربَّه في همسٍ غيرِ مُبينٍ. أمّا الّذين يملِكونَ كرامةَ النّبوءَةِ، فاستمِعوا لاثنين مِنهم أو ثلاثةٍ، وقيِّموا كلامَهم، فإن جاء من اللهِ إلهامٌ لغيرِهم مِن الجالسين، فلْيسكُتْ مَن كان فيكم خَطيبًا، بذلك تكونُ لكم جَميعًا فُرصةٌ أن تتنبَّؤوا واحدًا بعد الآخر حتّى يتعلّمَ جميعُ الحاضرين ويتشجَّعوا. وعلى الّذين يتنبَّؤونَ أن يتحكَّموا في كرامةِ النّبوءةِ الّتي يملِكونَها، إنّ اللهَ لا يُريدُكُم أن تكونوا في فوضى واضطرابٍ، بل يُريدُكُم أن تعيشوا في السّلامِ، كما هو الحالُ في كل جماعاتِ الصّالحين.

وعلى النِّساءِ ألاّ يَرفعنَ أصواتَهنّ في الاجتماعِ، فلا يَحِقُّ لهنَّ أن يُحدِثْنَ الهَرجَ والفَوضى، بل عليهِنَّ الخضوعُ لنظامِ الاجتماعِ، كما جاء في كُتُبِ الأوّلين، فإن أرادتِ امرأةٌ أن تسألَ عن أمرٍ مَعلومٍ، فلتَسألْ زوجَها في بيتِها، لأنّه عيبٌ على النِّساءِ أن يُحدِثْنَ

(1) من كتاب النبي أشعيا، 28: 11- 12.

(2) لن تساعد الرسالة المقدّمة بلغة غير مفهومة غير المؤمنين أن يهتدوا إلى الإيمان ولن تساعد المؤمنين على تقويّة إيمانهم، وهذا خلافا للنبوءة التي تُقدّم بلغة يفهمها الجميع بسهولة.

الهَرَجَ عند الاجتماع. فإن اعترَضَ أحدُكم على كلِّ هذه التَّعاليم، فدَعوني أسألُكم: يا أهلَ كورِنْتُوس، هل أنتم مَصدرُ رِسالةِ اللهِ؟ وهل أنّها وُجِّهت إلَيكم فقط؟

فاعلَموا أنّه إذا ظنَّ أحدُكم أنّه نبيٌّ أو يتمتَّعُ بكراماتٍ، فعليه أن يفهمَ أن ما تقرؤونَهُ عني هو من وصايا سيِّدِنا (سلامُهُ علينا). فإن تجاهلَ أحدٌ ذلك فتجاهَلوه.

إخوَتي في الإيمانِ، ارغَبوا في كرامةِ النّبوءةِ، ولا تمنَعوا كرامةَ صاحبِ اللُّغاتِ. لكن يَجبُ أن يكونَ كلُّ شيءٍ بقَدرٍ مَرسومٍ، ونظامٍ مَعلومٍ.

الفصل الخامس عشر

15: 1ـ11 انبعاث السّيّد المسيح من الموت

والآن، يا إخوتي في اللهِ، أُريدُ أن أذكِّرَكم بالبُشرى الّتي بلَّغتُكم إيّاها، فقبِلتُموها وكنتم ثابتينَ فيها، والإيمانُ بها يَجعلُكم مِن النّاجين، إذا استمرَرتم في طاعتِكم لِرسالةِ اللهِ، أمّا إذا أنكرتم الآن القيامةَ والنُّشورَ، وأصرَرتم على ذلك، فباطلٌ إيمانُكم.

إنّي علمتُ بهذا الأمرِ العظيم، وأُعلِمُكم به، فهو لبُّ الإيمانِ: مات السّيِّدُ المَسيحُ لتُغفرَ ذُنوبُنا تصديقًا لما جاء في كُتُبِ الأوَّلين، ثُمّ واراه الثّرى، وفي اليوم الثّالثِ أحياه اللهُ، تصديقًا لما جاء في صُحُفِ الأنبياءِ، ثُمّ بعد بَعثِهِ حيًّا تَجلّى لصَخرٍ ثُمّ لبقيّةِ الحَواريّين الاثني عشرَ،[1] وتَجلّى بَعد ذلك لأكثرَ من خمسِ مِئةِ أخٍ وأُختٍ من المؤمنين، كانوا معًا مُجتمِعين. ولئن توُفِّيَ بَعضُهم فإن أغلبَهم باقٍ على قيدِ الحياةِ، ثُمّ تجلّى بعد ذلك ليعقوبَ، ومِن بعدِه لكلِّ الحَواريّين.[2] وأخيرًا تَجلّى لي، فكنتُ في

(1) يبدو أنّ عبارة «الاثني عشر» قد تحوّلت إلى تعبير يشير إلى مجموعة حواريي سيدنا عيسى الأصليين، وأنها اُستُخدِمَتْ هنا رغم عدم وجود يهوذا الأسخريوطي الذي خانه ولم يعد جزءاً من المجموعة التي ظهر فيها سيدنا عيسى (سلامه علينا) عندما بُعث حيا.

(2) بما أن يعقوب ذُكِر هنا مضافا إلى «الاثني عشر»، فمن الواضح أنه ليس «يعقوب بن زَبَدي» ولا هو «يعقوب بن حَلْفي»، بل هو يعقوب أخو سيدنا عيسى (سلامه علينا). ولم يكن يعقوب يعتقد أن سيدنا عيسى هو المسيح المنتظر قبل قيامته (سلامه علينا)، ولكن بعد ذلك آمن وأصبح زعيما بارزا بين المؤمنين في القُدس. وتشير عبارة «كل الحواريين» إلى الجماعة الأوسع التي تشمل المؤمنين الآخرين إلى جانب جماعة «الاثني عشر».

ذلك كالجَنين الّذي يَخرجُ في غيرِ ميعادِهِ المَعلوم! فأنا أقلُّ الحَواريّين شأنًا، والحقُّ أنّي لستُ للقبِ حَواريِّ المَسيحِ أهْلاً، فقد اضطهدْتُ جَماعةَ اللهِ. غيرَ أنَّ اللهَ أنعمَ عليَّ بفضلِهِ فصرْتُ على ما أنا عليه الآن، ولم يكن فضلُهُ عليَّ دون طائل، بل كان جِهادي أعظمَ مِن جهادِ سائرِ الحَواريّينَ. ولكن هل كنتُ أنا صاحبَ الجهدِ الكبيرِ؟ كلاّ، بل إنَّ اللهَ هو الّذي جعلَ فيَّ هذا الجهدَ بفضلِهِ. إذن فنحنُ الحَواريّون سواءٌ، لأنّنا ندعو إلى الرّسالَةِ نفسِها الّتي آمنتم بها.

15: 12ـ19 البعث والنّشور

فإذا علِمتم أنّ ما نَدعو إليه من بلاغ، هو أنّ السّيِّدَ المسيحَ بُعِثَ حيًّا في زمنِنا، فكيف يَزعُمُ بعضُكم أنّ اللهَ لا يبعَثُ الأمواتَ من جَديدٍ؟ فإذا أنكَروا حقيقةَ بَعثِ الأمواتِ، فقد أنكَروا بذلك انبعاثَ السّيِّدِ المَسيحِ أيضًا، فلا مَعنى إذن لرِسالتِنا، ولا لإيمانِكم بها بل إنّنا سنكونُ عندَئذٍ شُهودَ زورٍ للهِ، لأنّنا شهِدنا أنّه أحيا السّيِّدَ المَسيح، بينما هو لم يُقِمْهُ ما دام الأمواتُ لا يُبْعَثونَ. فإذا كان الأمواتُ لا يَقومونَ مِن قُبورِهم، فكذلك السّيِّدُ المَسيحُ لم يُبْعَث مِن الموتِ خالدًا، وإذا لم يُبعَثِ السّيِّدُ المَسيحُ، فإيمانُكم هباءٌ، وستظَلّونَ في ذُنوبِكم ضالينَ، وبات الّذين ماتوا مِن أتباعِ السّيِّدِ المَسيحِ مِن الخاسرينَ. ولو أنّ ثقتَنا في سيّدِنا المَسيحِ لا تتعدّى هذه الدُّنيا، لكُنَّا أشقى الخلقِ جميعًا!

15: 20ـ34

والحقُّ أنّ السّيّدَ المَسيحَ بُعِثَ حيًّا إلى الأبدِ، وإنّ في هذا بُرهانٌ على أنّ الأمواتَ يُبْعَثونَ، ومَثلُهُ في ذلك كمَثلِ باكورةِ الحصادِ الّتي تدُلُّ على بقيّةِ الحصادِ العظيم.[1] فكما حلَّ عقابُ الموتِ على كُلِّ البشرِ بخطيئةِ إنسانٍ، فإنّ القيامةَ لكُلِّ البشرِ تكونُ بفضلِ إنسانٍ، وكما تَلقى ذُرِيَّةُ آدمَ كلُّها الموتَ، فإنّ أحبابَ السّيّدِ المَسيحِ يُبعَثونَ جميعًا إلى الخُلدِ، كلٌّ بحسبِ رُتبتِهِ: يكونُ السّيِّدُ المَسيحُ أوّلَ الخالدينَ، ثُمّ حين يَتجلّى ملكًا، يأتي دورُ أهلِهِ فيُبْعَثونَ، ثُمّ يحلُّ يومُ الحِسابِ، فيقهَرُ سَيِّدُنا المَسيحُ كُلَّ

(1) يناقش الحواري بولس هنا معنى قيامة سيدنا عيسى من الأموات ومغزاها، باعتباره أول من يبعثه الله من بين الأموات، ولن يموت بعد ذلك أبدا. وسيُبعث أتباعه (سلامه علينا) خالدين مثله، ولذلك شبّهه بولس بباكورة الحصاد.

ما في الغيبِ مِن الجنِّ والشَّياطينِ، ثُمّ يُرجِعُ الأمرَ كُلَّهُ إلى اللهِ الأبِ الأحدِ الصَّمّد. إنّ حُكمَ السَّيِّدِ المَسيح قدَرٌ محتومٌ، حتّى يعلوَ رقابَ كُلِّ أعدائِه،(1) وسيكونُ الموتُ آخرَ المَهزومينَ. فكما جاء في الزّبور الشَّريفِ: «جعلَ اللهُ كُلَّ أمرٍ تحتَ قدميْه». وعندما يقولُ اللهُ «كُلَّ أمرٍ» فإنّ عبارةَ «كلّ أمر» لا تشمَلُ اللهَ، فهو الّذي أخضَع للسّيّدِ المَسيحِ كُلَّ شيءٍ.(2) وحينما يَخضَعُ للسّيِّدِ المَسيحِ كلُّ ما في الوجودِ، يَخضعُ المَسيحُ للهِ، ليكونَ المُلكُ للهِ وحدَه.

وهناك ناسٌ يتطهَّرونَ بالماءِ نيابةً عن الّذين ماتوا سابقًا، فأيُّ مَعنى لِما يفعلونَهُ إن كان هؤلاءِ الأمواتُ لا يُبْعَثونَ؟ ولماذا يتطهَّرونَ بدلاً مِنهم؟ وإن لم يكُن بَعثٌ ونشورٌ، فلماذا نواجِهُ نحن الحَواريّون الخطرَ في كُلِّ حينٍ؟ إنّي أقسِمُ لكم أنّي أواجِهُ الموتَ كلَّ يوم! وهو الحقُّ بلا ريب، والحقُّ أيضًا أنّي فَخورٌ سعيدٌ بكم أنتم المؤمنين بسيِّدِنا عيسى المَسيح! فلو كنتُ إنسانًا فانيًا لا أقوم من اللَّحْدِ، فأيُّ فائدة تُرْجى مِن كُلِّ ما أقومُ به؟ أقصِدُ الجهدَ الّذي أبذلُهُ في سبيلِ اللهِ هُنا في مدينةِ أفاسوسَ، كأنّي أُصارِعُ الوحوشَ، فإن كان عمَلي لا يتجاوَزُ هذه الدُّنيا، فما الفائدةُ مِنه؟ وإن كان الأمواتُ لا يُبْعَثونَ، فدعونا نأكلُ ونشربُ، لأنّنا غدًا نموتُ!(3)

أحبَّتي، احذروا الضَّلالَ، فقد قيل: «صُحبَةُ الأشرارِ سُمُّ أخلاقِ المُحسنينَ».(4) عودوا إلى صَوابِكم واجتَنِبوا الإثمَ، لأنَّ بَعضَكم لا يعرفُ اللهَ، وما قولي هذا فيكم إلا لتَخْجَلوا.

---

(1) يلمّح الحواري بولس هنا إلى الزبور، مزمور 110: 1، الذي يقول إن المسيح سيحكم من السماء إلى أن يُهْزَم أعداؤه نهائيا، وتشير عبارة «يعلو الرقاب» إلى الانتصار التام.

(2) يقتبس بولس هنا من الزبور، مزمور 8: 6 الذي يتحدث عن السلطة التي أعطاها الله لآدم على كل النباتات والحيوانات في البَدء، ولكن بولس يطبِّق هذه السلطة التي مُنحت لآدم على المخلوقات، على سيدنا عيسى (سلامه علينا). فَقَدَ آدمُ مقامَ الهيبة والشرف عندما عصى الله، أمّا سيدنا عيسى فاستعاد تلك الهيبة والشرف والسلطان عندما كسر شوكة إبليس.

(3) يقتبس بولس هنا من كتاب النبي أشعيا، 22: 13. وقد وبّخ النبي أشعيا أولئك الذين لا يتوبون عن ذنوبهم عندما يُهدَّدُون بالحرب، ويقارن بولس أولئك الناس بالمؤمنين في وقته الذين لا يؤمنون ببعث الموتى.

(4) يقتبس بولس هنا من مسرحية يونانية كتبها «ميناندار» Menander.

15 : 35-49 أجساد المؤمنين بعد القيامة

وإنّ سائلاً مِنكم لَيسأَلُ: «كيف يَقومُ الموتى؟ وبأيِّ جسمٍ يَعودونَ؟» إنّ هذا هو الجهلُ المُبينُ، فالبِذرَةُ عليها أن تموتَ قبل أن تخرُجَ من تحتِ التُّربَةِ. وإنّ ما تزرَعونَهُ مِن بُذورٍ لن يكون هو نفسُهُ النّباتَ الّذي سينبتُ مِن الأرضِ، إن هوَ إلا بذرةٌ مِن قمحٍ بذرتُموها، أو غيرُها من البُذورِ. وإنّ اللهَ هو الّذي يكسوها كما يشاءُ، وهو الّذي يُعطي لكلِّ بِذرةٍ جسمًا خاصًّا بها. وهل رأيتم لأجسامِ المَخلوقاتِ فيما بينها شبيهًا، فللنّاس نوعٌ من الأجسامِ مَعروفٌ، وكذلك الحيواناتِ والطّيورِ والأسماكِ، كُلٌّ له نوعٌ، وتوجدُ أجسامٌ سماويّةٌ، وأجسامٌ أرضيةٌ. وللسّماويّةِ مِنها جمالٌ في جمالِ الأجسامِ الأرضيَّةِ غيرُ مَعروفٍ. وللشّمسِ جمالُها، وللقمرِ حسنُه، وللنّجومِ ألَقُها، بل إنّ لكُلِّ نجمٍ ألقًا مُختلفًا عن سائرِ النُّجومِ.

إنّ هذا مِثالٌ لكم عن حالِ قيامةِ المَوتى: يُدْفَنُ الجسمُ الدُّنيويُّ تحت التُّرابِ ومآلُهُ الانحلالُ، ثُمّ يُبعثُ جسمًا خالدًا ينأى عن الزّوالِ، يُدْفَنُ الجسمُ حَقيرًا ويُبْعثُ مكرَّمًا ذا جلالٍ، يُدفنُ الجسمُ ضَعيفًا ويُبْعَثُ قويًّا، يُدفنُ جسمًا دُنيويًّا فانيًا ويُبْعَثُ جسمًا نورانيًّا. وكما توجدُ أجسادٌ تُنْسَبُ إلى الدُّنيا، توجَدُ أجسادٌ أُخرى تُنْسَبُ إلى الآخرة، فلقد جاء في التَّوراةِ: «فكان آدمُ، الإنسانُ الأوّلُ، كائنًا حيًّا».[1] أمّا سيّدُنا عيسى فهو بمَثابةِ آدمُ الأخيرُ ورُوحِ اللهِ وهو مَن سيُحيي أَرواحَنا. وهكذا ترَوْنَ أنّ الجسمَ الدُّنيويَّ يأتي أوّلاً، أمّا الجسمُ النّورانيُّ فيأتي لاحقًا، وإنّ آدمَ، الإنسانَ الأوّلَ، أرضيٌّ مِن تُرابٍ، أمّا السّيِّدُ المَسيحُ، الإنسانُ الثّاني، فهو من السّماءِ. إنّ الّذين يَنتمونَ إلى الأرضِ يشبهونَ آدمَ الرَّجلَ الأرضيَّ، والّذين ينتمونَ إلى السَّماءِ يشبهونَ سيِّدَنا المَسيحَ الرَّجلَ السَّماويَّ. وكما كُنّا على صورةِ آدمَ الرَّجلَ الأرضيَّ، فسنكونُ على صورةِ عيسى الرّجلِ السّماويِّ.[2]

---

(1) من التوراة، سفر التكوين، 2: 7.

(2) يملك المؤمنون بسيدنا عيسى أجساما بشرية الآن وهي تشبه الجسم الذي كان عليه أبونا آدم، وهذه الأجسام ستموت بسبب النفس الأمّارة بالسّوء، إلا أن المؤمنين سيملكون عندَ القيامة أجسامًا أبدية غير فانية مثل جسم سيدنا عيسى (سلامه علينا)، ولهذا السبب عليهم الآن أن يسلكوا سلوكًا يليق بأتباع سيدنا عيسى.

15: 50–58

إخوَتي في الإيمانِ، إنّي أؤكِّدُ لكم أنّ جِسمَ الإنسانِ الّذي يبْلَى ليسَ له في مَملكةِ اللهِ الأبديَّةِ نَصيبٌ. نعم، إنّ الفاني لا يَصيرُ خالدًا. فافْقَهوا عني هذا السّرَّ المَكنونَ: إنّ بَعضَ أتباعِ السّيّدِ المَسيحِ لن يَموتوا قبل أن يَتجلّى (سلامُهُ علينا) ملِكًا، ولكن حين ينفخُ الملاكُ في الصُّورِ الأخيرِ، ويدوّي صوتُه، يُبْعَثُ الأمواتُ خالدينَ، وعِندئذٍ نتغيَّر جميعًا في لمحةِ بَصرٍ حتّى لا نقعَ في الموتِ مَرّةً أُخرى! إنّ الجسدَ البالي يتحوَّلُ إلى جسدٍ لا يبلى، نعم إنَّ الجسدَ الفاني يتحوَّلُ إلى جسدٍ لا يَفْنى، فعِندما نصبِحُ خالدينَ يحدُثُ ما بشَّرَت به كُتُبُ الأوَّلين: «هلكَ الموتُ وجاءَ اللهُ بالنَّصْرِ العظيمِ!»[1] مَهزومٌ أنتَ يا موتُ فأين نصرُك الآن؟! يا موتُ، قد كسرَ اللهُ شوكتَك!»[2] لقد حلَّتْ على النّاسِ شوكةُ الموتِ عِندما فتحَ آدمُ بابَ الإثمِ، ثُمّ كشفت الشَّريعةُ خطرَ السّوءِ في حياتِنا، فالحمدُ للهِ الّذي جعلنا ننتصرُ على السّوءِ بفضلِ تَضحيةِ سيِّدِنا عيسى المَسيحِ.

فاصمُدوا أحِبّائي في إيمانِكم ولا تتزحزَحوا أبدًا. واجتهِدوا دائمًا في خِدمةِ سيِّدِنا عيسى، فإنّ جهْدَكم في سَبيلِ سيِّدِنا لن يذهبَ هباءً.

الفصل السّادس عشر

6: 1–4 جمع التّبرّعات للمؤمنين الفقراء في القدس

وأمّا بخُصوصِ سؤالِكم عن جَمعِ التّبرُّعاتِ للمؤمنين المُحتاجين في القُدسِ،[3] فإنّي أوصيكم بما أوصَيْتُ به جَماعاتِ المؤمنين في غلاطيةَ. ليدَّخِرْ كُلُّ واحدٍ مِنكم يومَ الأحدِ مِن كلِّ أسبوعٍ مَبلغًا مِن المالِ، واحتفِظوا بهِ حتّى لا تستعجلوا جمعَ المالِ عند حُضوري، وعِندما أحضُر بينكم أُرْسِلُ إلى القُدسِ الشَّريفِ كُلَّ المالِ الّذي

(1) من كتاب النبي أشعيا، 25: 8.

(2) من سفر النبي هوشع، 13: 14.

(3) كان كثير من المؤمنين في القُدْس فقراء بسبب المجاعة أو الاضطهاد. وقد عمل بولس جاهدا أثناء رحلته الثالثة في الدعوة إلى جمع التبرُّعات من المؤمنين غير اليهود لمساعدة المؤمنين الفقراء. وقد أراد بولس أن يُظهر للمؤمنين اليهود الذين شكّكوا في حقيقة إيمان المؤمنين من غير اليهود أن شكّهم لا أساس له من الصحة، ورأى في ذلك فرصة لتقوية الوحدة بين المؤمنين.

جمعتموه مع المُرسلين الّذين اخترتُموهم، وأمُدُّهم برسائلِ توصيةٍ لأهلِها، أو أرافِقُهم إن أردتُم ذلك.

16: 5ـ12 بولس ينوي زيارة كورنتوس

غير أنّي سأمرُّ، قبل وصولي إليكم، بمقاطعةِ مَقْدونيا، لأنّي أرغَبُ في البقاءِ فيها بَعضَ الوقتِ. فقد تطولُ إقامتي بينَكم أو قد أُضطَرُّ لقضاءِ فصلِ الشِّتاءِ عِندكم، حتّى تساعدوني على رِحلتي حيثما ذهبتُ. لا أُريدُ أن تكونَ زيارتي إليكم قصيرةً بل أرجو أنْ أبقى بينَكم بَعضَ الوقتِ، إن سمح لي مَولاي. أمّا الآن فسأبقى في أفاسوسَ إلى عيدِ الخمسين،[1] إذ فتحَ اللهُ لي بابًا واسعًا إلى نجاحِ الدَّعوةِ، رَغم مُعارضةِ الكثيرين.[2]

فعِندما يَزورُكم الأخُ تيموتاوي، اجعلوه يشعُرُ باطمئنانِ البالِ بينكم، لأنّه داعيةٌ مِثلي لرسالةِ اللهِ، فاحذَروا أن تستهينوا بِهِ أو تهينوه، بل ساعِدوه على الرَّحيلِ في أمانِ اللهِ ليحضُرَ إليَّ، إنّي أنتظرُ وصولَه مع مَن مَعه مِن المؤمنين. وأمّا بخُصوصِ الأخِ شَمسيّ، فقد ألححتُ عليه أن يسافِرَ إليكم مع بقيَّةِ المؤمنينَ، لكنَّه لم يرغَبْ في ذلك الآن، وإنّه لقادِمٌ إليكم حينَ تسنحُ له الفُرصةُ.

16: 13ـ24 الختام

يا أحِبَّتي، احذروا تعاليمَ الضّلالِ، واثبُتوا في إيمانِكم، وقوُّوا بَعضُكم بَعضًا، وتصرَّفوا دائمًا بالمَحبَّة.

إخوَتي في الإيمانِ، إنّكم تعرفونَ أنّ عائلةَ اِسْتِفاناسَ هم بَواكير المُهتدينَ إلى الإيمانِ في جَنوبِ اليونانِ. نعم، هم طلائعُ الحصادِ العظيم، وقد جعلوا دُنياهم لخدمةِ المؤمنين. فسَخِّروا أنفسَكم لخدمتِهم ولأمثالِهم ولمَن يعملُ معهم. وإنّي لفَرِحٌ بمجيءِ

---

(1) كان عيد الخمسين اليهودي احتفالاً ببداية موسم حصاد الحنطة وكان يقع في آخر الربيع في اليوم الخمسين بعد الفصح، إذا بدأنا العدّ من اليوم الذي يُحْتَفَل فيه بأوّل حصاد للشعير (انظر التوراة، سفر اللاويين، 23: 9- 14).

(2) كان بعض الوثنيّين المعارضين لبولس من أصحاب الحرف، من الذين يصنعون النماذج الفضّيّة لمعبد «أرطاميس» Artemis. وكانوا يعتقدون أن بولس كان يسبّب خسائر مالية لهم عندما كان يعلّم الناس أن الأصنام ليست حقيقية (انظر سيرة الحواريين، 19: 23- 41).

اِسْتِفاناسَ وبَخيتَ وأخائي، فقد ساعدوني نيابةً عنكم،[1] فأراحوا فؤادي، كما أراحوا أفئدتَكم من قبلُ. فأَكْرِموهم.

وإنّي أُرسلُ إليكم مِن ولايةِ آسيا بتحيّاتِ جماعاتِ المؤمنين. وإنّ عقيلاً وبركةَ وكلَّ مَن يَجتمعونَ معهما في دارِهما مِن جماعةِ الإيمانِ يبلِّغونكُم سلامَهُم إخوانًا في السّيِّدِ المَسيح،[2] ويُسلِّم عليكم جميعُ المؤمنين هُنا في أفاسوسَ. فسلِّموا بَعضُكم على بَعض بقبلةٍ طاهرةٍ.

وها أنا أكتبُ لكم هذه التّحيَّةَ بخطِّ يدي: سلامٌ مني أنا بولُسُ. فلْيبْعُدْ عن أهلِ بيتِ اللهِ كُلُّ مَن لا يحبُّ سيِّدَنا عيسى! عجِّلْ بقدومِكَ يا مَولانا المَسيح! ليكن فضلُ سيِّدِنا عيسى معكم. وأُهدي إليكم جميعًا مَحبَّتي يا إخواني مِن أتباعِ سيِّدِنا عيسى المَسيحِ.

(1) من المحتمل أن يكون هؤلاء الرجال المذكورون هنا هم الذين حملوا إلى بولس رسالة الكورنتيين الموجّهة إليه (انظر رسالة كورنتوس الأولى 7: 1).

(2) تشير عبارة «مقاطعة آسيا» إلى المقاطعة الرومانية التي تقع غرب تركيا الحالية وكان هؤلاء المؤمنون يجتمعون في البيوت للصلاة والعبادة، ولم يكن لديهم بيت خاص يتعبّدون فيه. ولقد ساعد عقيل وبركة بولس في تأسيس جماعة المؤمنين في كورنتوس (انظر سيرة الحواريين، 18: -1 4)، ورافقاه بعد ذلك إلى مدينة أفاسوس في مقاطعة آسيا. وعندما كتب بولس هذه الرسالة كانا لا يزالان هناك في أفاسوس، وكانت تجتمع في تلك الفترة مجموعة من المؤمنين في منزلهما.

مدخل إلى رسالة كورنتوس الثانية

للاطّلاع على حالة مدينة كورنتوس في تلك الفترة يحسن للقارئ أن يعود إلى المدخل في رسالة كورنتوس الأولى.

يَختلفُ العلماءُ حول هذه الرسالة، ما إذا كانت في الأصل رسالة واحدة أم رسالتين كَتبَهما الحَواري بولس ثم جُمعتا لاحقا في رسالة واحدة.

وكانت سلطة الحَواري بولس موضع تشكيك عندما كتب هذه الرسالة إلى المؤمنين في كورنتوس. لقد سعى الدعاة الدجّالون من أصل يهودي إلى التشكيك في شرعية بولس باعتباره حواري السيد المسيح، وفي المقابل ادّعَوا أنّهم حواريون حقيقيون. ولم يكن سعيهم إلا لجعل المؤمنين في كورنتوس تحت سلطتِهم الخاصّة. ويبدو أنّهم يشبهون الدعاة الدجّالين المذكورين في رسالة غلاطية، وأنّهم كانوا يُحاولونَ فَرْض العاداتِ اليهوديةَ مثل الختان وشعائر الطعام على غير اليهودِ باعتبارها شرطًا للانتماء إلى جماعة الله.

لقد عارض بولس بشدّة سلوكيات المؤمنين الخاطئة في رسالة سابقة كتبها إلى أهل كورنتوس. وفي هذه الرسالة يبدو قلِقًا بشأن ردّة فعلهم تجاه تلك الرسالة السابقة، وبدا قلِقًا أيضًا بشأن التأويل الخاطئ من طرف الذين كانوا يزعمون أنهم حواريون لأنّه ألغى زيارته لهم بعد أن خطّط لها من قبل. لقد استغلّ هؤلاء الدجّالون قسوة أسلوبه في رسالته السابقة إلى أهل كورنتوس وإلغاءه لزيارته لهم لتكوين مناخ معارض بين المؤمنين ولإضعاف سلطته عليهم. فكانوا يروّجون فيما بينهم أن سلوك بولس لا يليق بحواري حقيقي للسيد المسيح. وقالوا إنّه يجب على أهل كورنتوس اتّباعهم، لأنّهم أحقُّ بالقيادة من بولس.

فضّل بولس أن يتجنّب توضيح شرعيته كحواري لأنّه كان يعتبر ذلك البيان افتخارًا ومخالفًا لتواضع السيّد المسيح (سلامه علينا).

تُمثّل طريقة الحواري المناسبة للقيادة إحدى القضايا الرئيسية في هذه الرسالةِ.

فبالنسبة إلى بولس مثلاً، عندما زار أهل كورنتوس خدَمَهم دون مقابل، في حين أن الدعاة الدجّالين وبعضًا مِنْ مؤمني الطبقة الراقيةَ في كورنتوس كانوا يعتقدون أنه يجب على جماعات المؤمنين أن يدفعوا أموالاً لمعلميهم. ذلك أن الحواري الذي يكسب رزقه من حرفة، يكون عرضة لاستخفاف الناس لأن الأغنياء يحتقرون أصحاب الحرف.

كان بولس يَجْمعُ تبرّعات المؤمنين غير اليهودِ في اليونان للمؤمنين الفقراءِ في القدس. وكان يحثّ مؤمني كورنتوس على تَجديد التزامِهم بالتبرّع. إن غاية الحواري بولس من هذا العمل هي كشف حقيقة إيمانِ الذين آمنوا بالسيد المسيح من غير اليهودِ من خلال أعمالِهم، وتأكيده على وحدة جماعات المؤمنين بالسيد المسيح.

بسم اللّٰه تبارك وتعالى

رسالةُ الحَواريّ بولُس الثّانية إلى أحباب اللّٰه في كورِنْتوسَ

الفصل الأوّل

1: 1ـ2 تحيّة

هذه الرِّسالةُ من بولُس، حَواريِّ سيِّدِنا عيسى المسيح بأمرِ اللهِ، ومِن الأخِ تيموتاوي، وهي موجَّهةٌ إلى جماعةِ أحبابِ الله في مدينةِ كورنْتوس، وإلى جميع عبادِ اللهِ الصّالحين في جنوبِ اليونان كلِّه. السَّلامُ عليكم والرَّحمةُ مِنَ اللهِ أبينا الصَّمَد، ومِن سيِّدِنا عيسى المَسيحِ (سلامُهُ علينا).

1: 3ـ11 اللّٰه يقوّينا في الضّيق

تباركَ اللهُ الأبُ الرَّحيم لِسيِّدِنا عيسى المَسيح، أجل، الأبُ الرَّحمن الرَّحيمُ، مَنبعُ كلِّ فرجٍ على عبادِهِ، وهو لنا صاحبُ الفرج من كُلِّ ضيقٍ، وبعونِهِ تَعالى نفرِّجُ عن المُبتَلينَ والّذين يُعانونَ الضّيقَ. وعلى قدر آلامِنا في الدَّعوةِ إلى الإيمانِ بالسّيِّدِ المَسيح، يفرِّجُ اللهُ عنّا بفضلِه (سلامُهُ علينا). إنّ الضّيقَ الّذي نحن فيه غايتُهُ تشجيعُكم ونجاتُكم. وعندما يأخذُ اللهُ بأيدينا نأخذُ بأيديكم، لعلَّكم تحتملونَ بصبرِ الآلامَ نفسَها الّتي نُعانيها نحن أيضًا. أنتم تتألّمونَ كما نتألَّمُ، ونحن على يقينٍ أنّ اللهَ سيفرِّجُ عنكم كما يفرّجُ عنّا.

إخوتي في الإيمانِ، اذكروا الضّيقَ الّذي أصابَني في مُقاطعةِ آسيا،[1] إنّه ضيقٌ يَفوق

(1) كانت آسيا اسما لمقاطعة رومانية تُمثّل الجزء الغربي من تركيا اليوم، وكانت عاصمتها أفاسوس التي جعلها بولس – لفترة من الزمن – مقرَّه الرئيسي للدعوة إلى رسالة سيدنا عيسى في المقاطعة كلها. (انظر كورنتوس الأولى، 16: 8).

طاقتي، وكنتُ أحمِلُ روحي على كفّي كأنّني أسيرٌ نحو الإعدام. وهذا كلُّه حتّى لا أتوكَّلَ على نفسي، بل على اللهِ الّذي يُحيي المَوتى، وهو الّذي نجّاني من موتٍ محقَّقٍ، وما زال يُنجّينا ونحن على يقينٍ أنّه سيُنجّينا دائمًا. وأنتم تدعَمونني بالدُّعاءِ لي، فعندما يستجيبُ اللهُ لدعائِكم، يحميني من الظّالمين، وحينَئذٍ سيحمَدُ اللهَ كثيرٌ من النّاسِ على نجاتي.

1: 12-24 امتناع بولس عن زيارة أهل كورنتوس

إنّي لفخورٌ وضميري شاهدٌ أنّي أتصرَّفُ مع الجميعِ، وخاصّةً معكم أنتم، بأمانةٍ وإخلاصٍ من عند اللهِ. وهذا السّلوكُ لم يصدُر عن نفسي أو عن حِكمةٍ بشريّةٍ، بل صدر بفضلِ اللهِ. ورسائلي إليكم كانت واضحةً وموجَّهةً دون غموضٍ أو تعتيم، وكان بإمكانِكم أن تفهموها وتُدرِكوها. وأرجو منكم أن تفهَموا عني كُلَّ شيءٍ، حتّى وإن كنتم لا تعرِفونَني كما يَنبغي. وعِندما يتجلّى مَولانا عيسى المَسيحِ مَلِكًا ستفتخرونَ بي كما أفتخرُ بكم.

وكنتُ في الماضي واثقًا مِن ثقتِكم بي فعزَمتُ أن أزورَكم مرَّتين، وهكذا تستفيدونَ في ذهابي وإيّابي. نعم، كنتُ أنوي أن أمُرَّ بكم وأنا في طريقي إلى مَقدونِيا في شمالِ اليونان، وعِند عودَتي أمُرُّ بكم من جَديدٍ لتساعدوني في رِحلتي إلى مُقاطعةِ يَهوذا في فلسطين، وهو ما لم يَحدُث. فهل غيّرتُ رأيي بِطيشٍ أم تكلّمتُ كأهلِ الدُّنيا، عندما أقولُ كالجاهلِ «نعم» بينما أقصِدُ «لا»؟[1] كلاّ يا أحبابي، إنّما نحن دُعاةُ اللهِ، واللهُ أمينٌ على وعدِهِ، علَّمَنا ألاّ نُخلِفَ وعدًا ولا نخونَ عهدًا. إنّ عيسى المَسيحَ، الابنَ الرُّوحيَّ للهِ[2] الّذي دعوناكم للإيمانِ به، أنا وسِلواني وتيموتاوي، لم يُخلِف وعدًا وهو صادقٌ

(1) يُعتبر كرمُ الضيافة أمرا مهمّا في العصر القديم، وكان الناس يتشرّفون باستضافة ضيف مهمّ بارز. وربما انزعج المؤمنون في كورنتوس من عدم زيارة بولس لهم واعتبروا ذلك إخلالاً بوعده وإهانة وشكا في كرم ضيافتهم. وحاول معارضو بولس في كورنتوس إقناع المؤمنين هناك أنه لا يمكن الوثوق ببولس لأنه متقلّب في مواقفه واستندوا في ذلك على تغيير خطّته التي وعد بها.

(2) عبارة «الابن الروحي لله» الواردة هنا (أو ابن الله في ترجمات أخرى) استخدمت في كتب الأنبياء القديمة كلقب لملك بني يعقوب الذي اختاره الله. فهي لا تشير إلى الإنجاب، بل إلى العلاقة الحميمة بين سيدنا عيسى والله. فمقام سيدنا عيسى أمام الله مقام الابن البكر في الأسرة. وهو أيضا كلمة الله الأزلية التي ألقاها الله إلى مريم العذراء.

أمينٌ في وعودِه دائمًا. والسَّبيلُ إلى تحقيقِ وعودِ اللهِ نَلمَسُه بفضلِ مَولانا المَسيحِ. لذا نحن نستجيبُ له ونختِمُ دعاءَنا بقول «آمين»، حتّى نبيِّنَ أنّنا نؤمنُ بسيِّدِنا عيسى المَوعودِ، إكرامًا لمَجدِ اللهِ. هو اللهُ الّذي أنعمَ علينا جميعًا حتّى نكونَ بمَولانا المَسيحِ راسخين في الإيمان، وهو الّذي اختارَنا وختمَنا بخاتمِهِ، فزرعَ روحَه تَقدَّس وتَعالى في قلوبِنا ضمانًا منه لوفائِه لنا بكلّ وعودِهِ.(1) ويشهدُ اللهُ أنّي ما امتنعتُ عن الرُّجوعِ إلى كورنتوسَ إلا شفقةً عليكم حتّى لا أُعاتبَكم عِتابًا شديدًا. وما قصدي في ذلك أن أتشدَّدَ عليكم في طريقةِ إيمانِكم، ولكن هدفُنا هو فرحُكم، ونحن نعملُ معًا لفائدتِكم وصلاحِكم. لأنّكم لا تَثبُتونَ إلا بالإيمانِ الّذي في قُلوبِكم.

الفصل الثّاني

2: 1-4 سبب الامتناع عن الزيارة

لذلك عزمتُ ألاّ أزورَكم مرَّةً ثانيةً زيارةً تُخَلِّفُ لنا الحزنَ. فإن أحزنْتُكم بعتابي الشديدِ، فمَن ذا الّذي يجعلُني أفرحُ؟ إنّه بالتأكيدِ لا يمكنُ أن يكونَ مَن أحزنتُه! لذلك حملتُ رسالتي إليكم عتابًا ونصحًا كي تعملوا بنصائِحي. وكنتُ أرجو ألاّ تسبِّبَ لي الحزنَ بعدمِ طاعتِكم لي عندَ زيارتي إليكم، بينما يجبُ عليكم أن تكونوا مَصدرَ فرحي وكما تعلمون فرحي مِن فرحِكم دون شكٍّ. والقسوةُ الّتي ضمَّنْتُها في الرِّسالةِ كَسَرَتْ قلبي وأحزنتني وأبكتني. وما كان قصدي أن أجرَحَكم وأؤلِمَكم ولكنّي أردْتُ أن تلمسوا مَدى مَحبَّتي لكم.

2: 5-11 مسامحة من أخطأ

وأنا لا أبالغُ إذا أعلمتُكم أنّ مَن تسبَّبَ في الحزنِ لم يسبّب لي الحزن لوحدي، بل

(1) ساد عند أغلب اليهود آنذاك اعتقاد بحلول روح الله بقوّة في نهاية هذه الدنيا (انظر مثلاً كتاب النبي حزقيال (ذي الكفل)، 39: 28-29؛ وكتاب النبي يوئيل، 2: 28). لقد حظي أتباع المسيح الأوائل بحلول روح الله، فرأوا أنّهم يعيشون الأيام الأخيرة لهذه الدنيا. ووصف بولس هبة روح الله للمؤمنين بعربون (أي دفعة أوليّة) وهو بمثابة لمحة عن حياة الآخرة.

أحزنكم جميعًا،[1] وقد تجنَّبُهُ أكثرُكم، وهذا العقابُ كافٍ له وعليكم الآن أن تسامِحوه وأن تشجِّعوه، بعد أن تاب عن إثمِهِ، لكي لا يغمُرَهُ الحزنُ العميقُ. وألتمِسُ مِنكم أن تعبِّروا عن مَحبَّتِكم له من جديدٍ، فإنّي طلبتُ مِنكم في الرِّسالةِ أن تطرُدوه لكي أختبرَ طاعتَكم لكلِّ أوامري. فلئن سامحْتُموه، سامحتُهُ أنا أيضًا مِن أجلِكم، رَغم أنّ هذا الأخَ لم يرتكب ذنبًا في حقّي، ولكنّي أسامِحُه بأمرِ السَّيِّدِ المَسيح، ولا بُدَّ من هذا حتّى لا يستغلَّنا الشَّيطانُ ويوقعَ بيننا، ونحن على علمٍ بحيلِهِ.

2: 12-17 رسالة السّيّد المسيح تفوح بنفحات النّجاة

ولمّا وصلتُ مدينةَ تِرواسَ لأنشرَ بشارةَ سيِّدِنا المَسيحِ، وجدتُ سيِّدَنا عيسى قد فتح لي البابَ واسعًا. ولكنّي لم أكن مُرتاحَ البال، لأنّي لَم أجِدِ الأخَ تيتوسَ هناك. فتركتُ إخْوتي في الإيمانِ وودَّعْتُهم وجئتُ هُنا إلى مَقْدونيا كي أراهُ.

ألا للهِ الحمدُ، هو الّذي يتيحُ لنا فُرصَ الدَّعوةِ دائمًا، بعد أن جعلَ قُلوبَنا أسيرةَ أمرِ مَولانا عيسى المَسيحِ، وها نحن نسيرُ في موكبِ نصرِه.[2] وهو الّذي يجعلُنا أيضًا ننشرُ مَعرفةَ السَّيِّدِ المَسيح كالرّيحِ العطرةِ الزّكيّةِ. فمَثَلُنا عند اللهِ كمَثَلِ بخورٍ يقدِّمه سيِّدُنا عيسى للهِ، فيفوحُ بين أهلِ النَّجاةِ وأهلِ الهلاكِ. إنّ رسالتَنا تفوحُ مِنها رائحةُ الموتِ والفناءِ للّذين يسلكونَ طريقَ الهلاكِ. وهي تملأُ القُلوبَ بالحياةِ والخُلودِ بالنِّسبةِ إلى النّاجين.[3] يا لعظمةِ رسالةِ ربِّنا، فمَن هو القادرُ على نشرِها؟ إنّ الّذين يتاجرونَ برسالةِ

---

(1) تتحدَّث هذه الفقرة (الآيات 5-11) عن فرد من جماعتهم قام بمخالفة خطيرة وربّما يكون قد وقع في زنى المحارم كما ورد في رسالة كورنتوس الأولى (5: 1)، ففرضت عليه الجماعة عقوبة لتأديبه. وبما أنّ هذا المذنب قد أظهر ندما صادقا على ذنبه وتوبةً نصوحًا، فبولس يحثّ هذه الجماعة على إنهاء عقوبته وإعادة دمجه في صفوف المؤمنين.

(2) يبدو أنّ بولس كان يستخدم صورة الموكب لتكريم القائد العسكري المنتصر ليصف انتصار السيد المسيح (انظر أيضا كتاب الزبور، مزمور 68: 18، والذي تمّ استخدامه في رسالة بولس إلى أحباب الله في أفاسوس، 4: 8).

(3) إنّ إشارة بولس إلى أتباع سيدنا عيسى بوصفهم رائحة المسيح الزكيّة (عبق المسيح) قد تلمّح إلى البخور الذي يتمّ إحراقه في مواكب النّصر الرومانية. وربما كان يلمِّح من جهة أخرى بذكره للموت والحياة إلى قصّة يهودية تقليدية وردت في كتاب «وصيّة إبراهيم» وهو من الكتب اليهودية المنحولة. وهذه القصة تكشف أنّ الموت عندما يأتي إلى الأبرار، تفوح رائحة عطرة، لكن عندما يأتي الموت إلى الخطاة المذنبين تسود رائحة متعفّنة.

اللهِ ويُغُشّونَ النّاسَ كثيرونَ، وما نحن، بحمدِ اللهِ، مِنهم أبدًا![1] فنحن نعلمُ أنّ اللهَ لكلامِنا سميعٌ عليمٌ، ولذلك دعوْنا النّاسَ بإخلاصٍ لرسالةِ اللهِ، دُعاةً من اللهِ ورُسُلاً من السّيِّدِ المَسيحِ.

الفصل الثّالث

3: 1-6 الله مصدر قوّة الدّعاة

تُرى هل تتَّهمونَنا مرّةً أُخرى أنّنا نفتخرُ بأخلاقِنا وأنفسِنا؟ أم نحن كغيرِنا من النّاس، نحتاجُ مِنكم أو من غيرِكم إلى خطابِ توصِيَةٍ؟[2] كلاَّ، بل أنتم خطابُ التّوصيةِ المَنقوشِ في قُلوبِنا! وبإمكانِ النّاسِ جميعًا رؤيَتُهُ وقراءتُه بكلِّ سُهولةٍ. نعم، تبيَّنَ أنّكم أنتم رسالةُ السّيِّدِ المَسيحِ لأنّكم استجبْتُم لدعوتِنا، وهذه الرِّسالةُ لم تُكتَبْ بحبرٍ، بل هي مِن رُوحِ اللهِ الحيِّ القيّومِ، ولم تُنقَش على ألواحٍ من حجرٍ، بل نُقِشَتْ على قلوبِكم.[3]

(1) انتشر في ذلك الزمن كثير من الفلاسفة والمعلمين الجوّالين والدعاة، وكان أكثرهم يتكسّب بما يأخذه من أجرة مقابل تعليمه للآخرين، وفي بعض الحالات يتسوّل لكسب المال. وكان الناس يعتبرونهم دجالين نصّابين، ولذلك كان الفلاسفة يرون أنه من الضروري الدفاع عن أنفسهم ضدّ هذا الاتّهام. أما بولس فقد كان يقوم بالوعظ برسالة السيد المسيح مجّانا، لذلك أظهر إخلاصه، خلافا للدجّالين الذين كانوا يعارضونه.

(2) في القديم عندما كان اليهود يسافرون إلى أماكن بعيدة، كانوا يحملون في أغلب الأحيان رسائل توصية تخبر أصحاب المنازل من اليهود بأنهم جديرون بالثقة. واستمرّ أتباع المسيح على هذه العادة، وبما أنّ بولس كان حواريا وهو أوّل من كوّن جماعة المؤمنين في كورنتوس، فإنه لم يكن بحاجة إلى رسالة تزكية (توصية به). أما الدجّالون الذين جاؤوا إلى كورنتوس مدّعين أنهم حواريون، فكانوا يستخدمون مثل تلك الرسائل لأجل أن يستمع المؤمنونَ إلى دعوتهم. كما طلب هؤلاء الدجّالون من الكورنتيين إعطاءهم رسائل توصية كي ينشروا أباطيلهم في أماكن أخرى. وكان الغرض من تلك الرسائل الحصول على كرم الضيافة، ليُصبح أولئك المعلّمين قارين ينتفعون بمقابل مادي.

(3) أعطى اللّه النبي موسى على جبل سيناء الوصايا العشر أو البنود العشرة الأهمّ لميثاقه وعهده مع بني يعقوب التي كُتبت على ألواح حجرية (التوراة، سفر الخروج، 31: 18؛ وسفر التثنية، 5: 22). وبعد ذلك بمئات السنين، وعد الله النبي أشعيا بشريعة جديدة للناس (انظر كتاب النبي أشعيا، 2: 3) وأعلن النبي إرميا أنّ هذه الوصايا ستُكتب على القلب (سفر إرميا، 31: 31-34)، وقد تنبّأ النبي حزقيال (ذو الكفل) بأنّ الله سيزيل القلب المتحجّر لهذا الشعب، وأن الله كما تنبّأ إرميا سيكتب كلمته على قلوب ليّنة. (سفر النبي حزقيال، 11: 19-20؛ و 36: 26-27).

أجل، أنتم ثمارُ دَعوتِنا، وإيمانُكم بالسّيِّدِ المَسيحِ يؤكِّدُ أنّنا على صوابٍ. واعلموا، يا أحبابي، أنّنا لا نملكُ كفاءةَ العملِ من تلقاءِ أنفسِنا، وإنّما قُدرتُنا ونجاحُنا من عندِ اللهِ. فهو الّذي أهّلَنا حتّى ندعوَ النّاس إلى ميثاقِهِ الجديدِ، القائم على روحِ اللهِ، لا على أساسِ حروفِ الشّرعِ القديمِ، فالشَّرعُ يحكمُ بالهلاكِ على مَن يُخالِفُ أوامِرَهُ، أمّا روحُ اللهِ فتبعثُ فينا الحياةَ.

3: 7_18

أما علمتُم أنّ اللهَ قد أعطى بني يعقوبَ نظامًا مَنقوشًا على ألواحٍ من الحجرِ وأمرَهم أنَّ مَن يخرجُ عن هذه الحُدودِ يكونُ من الهالكين. ولقد صَحِبَ نزولَ هذا النِّظامِ بَهاءٌ عظيمٌ، حتّى إنّهم عجَزوا عن النَّظرِ إلى وجهِ النبيِّ موسى لِمَا كان عليه من نورٍ وبَهاءٍ، ولكنّه سُرعانَ ما زال.[1] فماذا عن نِظامِ رُوحِ اللهِ؟ ألا يكونُ مَصحوبًا بنورٍ أسنى وإشراقٍ أبهى؟ فإذا كانت رسالةُ العقابِ مُحاطَةً بنورِ اللهِ، أفلا تكونُ رسالتُهُ الّتي تجعلُ النّاسَ مَرضيِّين مُحاطةً ببهاءٍ أجلَّ وأعظمَ!؟ إنّ للنّظامِ القديمِ نورًا قد مَضى وولّى، واليومَ يغمرُهُ نورٌ مِن اللهِ تنزَّلَ في نظامٍ أبهى. لقد كان لَنظامِ بنَي يعقوبَ نورٌ أفِلَ سناؤُهُ، وإنّ لميثاقِنا الأبديِّ نورًا أعظمَ وبهاءً أبقى.

إنّ يقينَنا بكُلِّ هذا عظيمٌ، لذلك ندعو إلى اللهِ بكلِّ جُرأةٍ وصَراحةٍ. ونحن لسنا كالنّبيِّ موسى الّذي كان يحجبُ وجهَه عن قومِهِ حتّى لا يَروا زوالَ بَهائِه وظلمةَ نوره. ولقد عمِيَتْ بصائرُهم، فلا ينظرونَ، هذه غشاوةُ موسى ما زالَت على أعينِهم تُغشّي أبصارَهم حين يردِّدونَ تلاوةَ الميثاقِ القديم، فلا يفهمونَ، ولن تُرفَعَ عنهم إلا حين يُبْصِرونَ حقيقةَ المَسيحِ الكريمِ. أجل، إنّهم حين يَقرؤونَ توراةَ النّبيِّ موسى لا يفْقَهونَها إلى يومِنا هذا، بسببِ هذه الغشاوةِ الّتي تُعْمي قلوبَهم، ولكن عندما يَتوبُ أحدُهم ويَهتدي إلى مَولانا، تُرْفَعُ عنه الغشاوةُ. إنّ مولانا هو صاحبُ الرُّوحِ، فإذا حلَّتْ روحُه فينا، أصبحنا أحرارًا فعندما تُرفَعُ عنّا هذه الغشاوةُ، نرى بهاءَ اللهِ يُشرِقُ من خلالِ سيِّدِنا المَسيحِ. إنّه نورُ اللهِ ونحن كالمرآةِ نَعكس ذلك البَهاءَ. لقد وهبَ لنا سيِّدُنا عيسى روحَ اللهِ فيَزيد فينا بَهاؤه (سلامُهُ علينا) أكثرَ فأكثرَ.

(1) عندما هبط النبي موسى (عليه السّلام) من جبل سيناء، كان وجهه شديد التوهّج نتيجة لقائه مع ربه. لكن عندما بدأ الوهج يتلاشى، وضع النبي موسى حجابا على وجهه كي لا يلاحظ شعب بني يعقوب أن الوهج بدأ يخفّ فيواصل بذلك تعظيم النبي موسى وتبجيله كممثّلٍ لِله.

4: 1ـ12 الدّعاة مثل فخّار فيه كنز ثمين

وبِما أَنّ اللهَ في رَحمتِهِ كَلَّفَنا مهمَّةَ تبليغِ هذه الرِّسالةِ، فإنّنا لا نتوانى في نشرِها. ولكنّنا ننبذُ كلَّ ما يفعلُهُ النّاسُ في الخفاءِ وهم خجلونَ. فلا خداعَ في أقوالِنا، ولا تشويهَ لرسالةِ اللهِ. إنّ اللهَ علينا رقيبٌ، إنّنا ننشرُ رسالةَ الحقِّ علنًا، فيعلمُ النّاسُ أنّنا في تبليغِ رسالةِ اللهِ مُخلصونَ. فإذا كانت بِشارتُنا غامضةً، فهي غامضةٌ عند الهالكين، فالشَّيطانُ الّذي يَطغى على هذه الدُّنيا قد أعمى عُقولَ الرّافضين وبصائرَهم فصاروا في ظلمةٍ لا يفقَهونَ البُشرى بالمَسيح. إنّ في هذه الرِّسالةِ بَهاءَ السّيِّدِ المَسيح، وهو ظِلُّ اللهِ في الأرضِ. فنحن لا نبشّرُ بأَنفسِنا، بَل نَدعو بعِيسَى المَسيح سيِّدًا، ونحن خدمٌ لكم مِن أجلِ سَيِّدِنا عيسى. إنّ اللهَ الّذي أشرقَ بنورِهِ مِن الظّلام حين خَلَق الكونَ، أشرَق بنورِهِ في قُلوبِنا أيضًا حتّى نعرفَ بَهاءَه تعالى، بهاءً ونورًا رأيناه في وجهِ سيِّدِنا المسيحِ.(1)

وما نحن إلاّ آنيةٌ من فخّارٍ تحوي هذا النّورَ الرّبّانيَّ، ليظهرَ أن قوَّتَنا الخارقةَ مَصدرُها اللهُ لا نحن. ونحن نواجهُ الصّعوباتِ من كُلِّ النّواحي، لكنّنا لا ننهارُ. وعندما يُعارضُنا النّاسُ ننزعجُ، ولكنّنا لا نيأسُ! يضطهدُنا النّاسُ، لكنَّ اللهَ لا يتخلَّى عنّا أبدًا. يضرِبونَنا، لكنّنا لا نتحطَّمُ. نُقاسي الآلامَ دائمًا في سبيلِ سيِّدِنا عيسى، ونشارِكُ بذلك في موتِهِ، فتتجلّى حياتُهُ في حياتِنا أيضًا. وما دمنا على قيدِ الحياةِ، فإنّنا نواجِهُ خطرَ الموتِ من أجلِ سيِّدِنا المَسيحِ، حتّى تتجلّى حياتُهُ (سلامُهُ علينا) في أجسامِنا الفانيَةِ. وإنّنا نواجِهُ الموتَ صامدين، وهو ما جعلَ مآلَكم دارَ الخُلدِ.

4: 13ـ18

ونحن مُستمرّونَ في الدَّعوةِ لأنّنا نحْظى بالإيمانِ الّذي يذْكُرُهُ الزّبورُ في الآيةِ

---

(1) يشير بولس هنا إلى التوراة، سفر التكوين، 1: 3.

الشَّريفةِ: «آمنتُ باللهِ، لذلك تكلَّمتُ».(1) ونحن ندرِكُ أنّ اللهَ بعثَ سيِّدَنا عيسى حيًّا مِن الموتِ، وأنّه سيُحيينا نحن أيضًا مع السّيِّدِ المَسيحِ فيجعلُنا وإيّاكم في حَضرَتِه في النّعيمِ.(2) إنّا لأجلِكم نتحمَّلُ كلَّ هذه الشّدائدِ، فكُلَّما وصلَ فضلُ اللهِ إلى المَزيدِ من النّاسِ، ازدادوا حمدًا وتسبيحًا للهِ تمجيدًا لهُ تعالى.

ولذلكَ لن يَضعُفَ عزمُنا، مع أنّ كيانَنا الخارجيَّ يفنى، ولكنّ اللهَ يجدِّدُ دواخلَنا يومًا بعدَ يوم. وإنّ الضّيقَ الّذي نواجهُهُ في هذه الدُّنيا هيِّنٌ عابرٌ، يهيِّئُ لنا مَجدًا عظيمًا أبديًّا يتجاوزُ التّصوَّرَ. لذلك فنحن لا نُبالي بما نراهُ مِن مَتاعِبَ في هذه الدُّنيا، بل نَشتاقُ إلى ما ينتظرنا عند ربِّنا. فما هذه الدُّنيا إلاّ سَرابٌ، وما لا نراهُ هو الأبديُّ المقيمُ.

الفصل الخامس

5: 1–10 بيتنا في السّماء

وما أجسامُنا في هذه الدُّنيا إلا خيامُ راحلين، لا نقيمُ فيها إلا قليلاً، وما مَصيرُها إلاّ الفناءُ. ولكنَّ لنا في الآخرةِ ديارًا نقيمُ فيها إلى الأبدِ، إنّها أجسامٌ خالدةٌ يكوِّنُها اللهُ ولا تكوِّنُها أيدي البشرِ. إنّ أبدانَنا تتألَّمُ في هذه الدُّنيا وتتأوَّهُ، بينما نحن في شوقٍ عظيمٍ إلى اكتساءِ أجسامٍ سماويَّةٍ خالدةٍ نستريحُ فيها، فعندما نلبسُها لا تكونُ أرواحُنا دونَ أجسادٍ، ولكنّ أجسامَنا في هذه الدُّنيا تئِنُّ وتتألَّمُ، لا بسببِ رغبتِنا في تركِ أجسامِنا بعد الموتِ، بل بسببِ رغبتِنا في أن نكرَّمَ بأجسامٍ جديدةٍ من السّماءِ، لكي يبتلعَ الخلدُ ما هو فانٍ فينا. اللهُ هو الّذي وعدَنا بتلك الأجسامِ الجديدةِ، وهو الّذي أحلَّ في قلوبِنا روحَهُ تَقدَّس وتَعالى ضمانًا مِنه لنا بوعدِهِ.

لذلك، فإنّ ثقتَنا كبيرةٌ بوعدِ اللهِ، رغم وجودِنا مغتربين في هذا الجسمِ المؤقَّتِ عن حضرَةِ مَولانا (سلامُهُ علينا)، وإنّنا نَحيا بإيمانِنا بهذا الوعدِ وليس بما نراه، نعم، إنّنا

(1) يشير بولس هنا إلى كتاب الزبور، مزمور، 116: 10، وسياقه هو الثناء على الله وحمده على النجاة من الموت.

(2) كان الإغريق يعتبرون بعث الأجساد يوم القيامة فكرة غريبة ومرفوضة. فكان بعض مؤمني كورِنتوس لديهم شكّ في حقيقة يوم القيامة، رغم اعترافهم بقيامة السيد المسيح في الماضي.

على ثقةٍ بوعدِ اللهِ، نرغَبُ في تركِ هذا الجسم الدّنيويِّ لكي نلقى مَولانا عيسى ونقيمَ معه عندَ اللهِ. إنّنا نتوقُ إلى رِضاه، سواءٌ كنّا في هذه الدُّنيا، أم كنّا في جوارِه المَجيد، وواجبٌ علينا أن نقفَ يومَ الحِسابِ أمام كرسيِّ قضاءِ سيِّدِنا المَسيح، حتّى ينالَ كلُّ واحدٍ منا جزاءَ ما عمِلَ في حياتِهِ، خيرًا كان أم شرًّا.

5: 11_21 أعاد الله العالم إليه بالسّيّد المسيح

نحن نهابُ السّيِّدَ المَسيحَ، لذلك نُحاولُ أن نُقنِعَ الآخرين برسالتِهِ. ورغم افتراءِ النّاسِ، فإنّ اللهَ عليمٌ بصفاءِ سَريرتنا. وأرجو أن تكونوا قد اقتنعْتم بذلك في قُلوبِكم. إنّنا لا نمدَحُ أنفسَنا لكم، بل نُعطيكم فُرصةً لتفتخِروا بنا وتردُّوا على هؤلاءِ المُعلِّمينَ الدجّالينَ الّذين يفْخَرونَ بظواهرِ الأُمورِ ولا يُبالونَ بإخلاصِ القُلوبِ. فإن لم تفهموا كلامي وبدوْتُ لكم فاقدًا للصّواب، فاعتبِروا أنّ هذا الكلامَ بيني وبين اللهِ، وإن بدا مَعقولاً فهو لفائدتِكم. فإنّ مَحبَّةَ السّيِّدِ المَسيحِ تتملَّكُنا فنخدمُهُ بكلِّ طاقتِنا، لأنّنا ندركُ أنّ سيِّدَنا عيسى ضَحّى بنفسِهِ من أجلِ النّاسِ جميعًا، ونحن أيضًا بإيمانِنا به انقطَعنا جميعًا عن حياتِنا القديمةِ. نعم، لقد ضَحّى بنفسِه من أجلِ النّاسِ جميعًا حتّى لا يعيشَ أهلُ الخُلدِ لإرضاءِ أنفسِهم فيما بعد، بل لإرضاءِ السّيِّدِ المَسيحِ الّذي مات وبُعِثَ حيًّا فِدًى لهم.

لذا يا أحبابي، لقد توقّفْنا عن تقييمِ النّاسِ حسب مَقاييسَ بشريَّةٍ، مع أنّ تقييمي للسّيِّدِ المسيحِ قد خضع لهذه المَقاييسِ، لكنّي اليومَ أعرفُه على حقيقتِهِ. إنّ كلَّ مَن يؤمنُ بالمسيحِ ينضمُّ إلى خلقِ اللهِ الجديدِ. ولم يعُدْ يرتبِطُ بالقديمِ، بل أصبحَ مِن خلقِ اللهِ الجديدِ.(1) وكلُّ هذا بفضلِهِ تعالى، هو الّذي أعادَنا إلى نفسِهِ بشفاعةِ السّيِّدِ المسيحِ وكلَّفَنا مهمَّةَ إرجاعِ الآخرين إليه، لقد أعادَ اللهُ العالمَ إليه من خلالِ السّيِّدِ المَسيحِ، وبذلك توقَّفَ عن مُحاسبَةِ أخطائِهم، ثمّ استأمنَنا على الرّسالةِ الّتي بها يمكنُهم العودةُ إليه تائبينَ.

فما نحن إلا سُفراءُ السّيِّدِ المسيحِ في النّاسِ، فكأنّما اللهُ يدعوهم بنا، ونحن نتوسَّلُ

---

(1) لقد حدث أمر جديد في تاريخ البشر بسبب ما أنجزه الله من خلال العمل الفدائي للسيد المسيح (سلامه علينا) وقيامته منتصرًا بذلك على الموت، وهكذا أصبح جميع أتباع سيدنا عيسى جزءا من خلق الله الجديد. وفي كتاب النبي أشعيا (65: 16–18) كانت عبارة «الخلق الجديد» تستخدم بشكل خاص للإشارة إلى حياة الآخرة (بعد الموت والقيامة)، كما في النصوص ما بعد النبي أشعيا مثل كتاب اليوبيلات Jubilees و"مخطوطات البحر الميت".

إليهم نيابةً عن السّيِّدِ المَسيحِ أن يتوبُوا إلى الله. فالسّيِّدُ المَسيحُ الّذي لم يرتكب ذنبًا أبدًا، حمَّلَهُ اللهُ وِزرَ ذُنوبِنا، حتّى إذا آمنّا به نِلنا مَرضاةَ اللهِ.

الفصل السّادس

6: 1-13 نحن عباد الله المخلِصون

بما أنّنا نعمل معًا في سبيلِ اللهِ، فلا تتقبّلوا فَضلَ اللهِ باستِخفافٍ ولا تتجاهلوه.[1] فلَقَد جاءَ في كِتابِ النّبيِّ أَشَعيا قَولُ اللهِ: «لقَدِ استَجَبتُ لكَ برضائي على أُمَّتي، وساعَدتُكَ حين وَهَبتَهُم النَّجاةَ».[2] فاعلموا أنّ مَوعِدَ رضى اللهِ قد حان. نعم، اليومَ هو يومُ النّجاةِ!

ونَحنُ، الحَواريّون، نسلُكُ سيرةً لا تجعَلُ أحدًا يضِلُّ عن الحقِّ، حتّى لا نُلامَ في الدّعوةِ. بل نحن نبرهِنُ في كلِّ الأحوالِ أنّنا عبادُ اللهِ المُخلصون: ففي سبيلِ اللهِ تحمَّلنا أنواعًا مِنَ البلاءِ والمُعاناةِ والضّيقِ والضّرب والسجنِ وشغبِ الرّعاعِ، والعملِ الشاقِّ، وأيّامًا لم نرَ فيها نومًا ولا طعامًا. ونحن نُثبتُ صدقَنا بطهارةِ الحياةِ والعِلمِ واللُّطفِ والصّبرِ الجميلِ، وبحُلولِ روحِ اللهِ فينا وبحُبِّنا الخالصِ للآخرين، وبالكلامِ الصّادقِ وقُدرةِ اللهِ وسلاحِ الحقِّ في الهُجومِ وفي الدِّفاعِ، سواءٌ نُكرَّمُ أو نُهانُ، وسواءٌ نمدحُ أو نلامُ. وإنّهم ليَزعمونَ أنّنا مضِلّونَ كاذِبونَ دجّالونَ، واللهُ يشهَدُ أنّنا لصادقونَ! لكنَّهم لا يعرفونَ مَقامَنا، رغمَ أنّنا مَعروفونَ عندَ اللهِ، ويُقالُ إنّنا قريبًا سنَموتُ، مع أنّنا أحياءٌ في ظِلِّ أمانِ اللهِ! تطارِدُنا السُّلطاتُ وتعاقبُنا، فلا نلينُ ولا نموتُ! فهم ينظُرون إلينا كحَزانى مع أنّنا فَرِحونَ دائمًا! نحن فُقراءُ مع أنّنا نجعلُ الآخرينَ أغنياءَ! وكأنّما لا شيءَ في أيدينا مع أنّنا باللهِ نملِكُ الدّنيا وما فيها!

---

(1) بما أنّ بولس وأصحابَه يمثّلون السيد المسيح (سلامه علينا) في الأرض، فإذا تعرّضوا إلى معاملة سيئة من طرف المؤمنين في كورنتوس فهذا يعتبر في الحقيقة إهانة في حق السيد المسيح الذي أرسلهم. لذا ناشدهم بولُس أن يتوبوا إلى الله من جديد من خلال تصالحهم مع بولس، رسول المسيح.

(2) يقتبس بولُس هنا من كتاب النبي أشعيا، 49: 8.

يا أهلَ كورُنتوسَ الأعزاءَ، لقد كلَّمتُكم بصراحةٍ، وفتحتُ لكم قلبي. وما منعتُ عنكم حُبّي، ولكنَّكم تميلونَ إلى غيري. أنا لا أضيقُ بكم، وإنّما الضّيقُ في قُلوبِكم! إنّكم عِيالي، فعامِلوني كما أعامِلُكم، وافتَحوا قُلوبَكم كما فتحتُ لكم قلبي.

6: 14-18 بيت الله الحي القيّوم

احذَروا مِن أهلِ الدُّنيا وانتَبِهوا إلى حبائِلِهم. هل يتّفقُ الصَّلاحُ مع الضّلالِ؟ وهل يتَّحِدُ النّورُ مع الظّلامِ؟[1] وهل يتحالَفُ المَسيحُ مع الشّيطانِ؟ كذا أمرُ المؤمنِ لا يشترِكُ مع الوثَنِيِّ أبدًا، وكذا بيتُ اللهِ لا يقبَلُ الأصنامَ.[2] لأنّنا نحن بيتُ اللهِ الحيِّ القيّوم، وهو ما قالَهُ اللهُ في كُتُبِ الأوَّلين: «إنّي سأسكُنُ في قُلوبِهم وأتحرَّكُ بينَهم، فأنا سأكونُ لهم ربًّا، وهم سيكونونَ أُمَّتي». لذا، علينا أن نعمَلَ كما قال اللهُ تعالى على لسانِ النبيِّ أشعيا: «اخرُجوا من بينِ الأشرارِ وانبُذوهم. واجتَنِبوا نجاسَتَهم وأنا أتقبَّلُكم».[3] وقال تعالى أيضًا: «أنا أكون لكم في مَقام الأب، وأنتم عيالي، بَنونَ وبَنات مِن أهلِ بَيتي».[4]

الفصل السّابع

7: 1

أَيُّها الأحِبّاءُ، لقد وعدَنا اللهُ كلَّ هذه الوعودِ، فتطَهَّروا مِن كلِّ رِجْسٍ يُفسِدُ الجسمَ والرّوحَ، وهَبُوا أنفسَكم للهِ وأخلِصوا له واتَّقوهُ.

---

(1) في لغة الوحي اليونانية الأصلية، يستخدم بولس هنا مجازيا صورة النير وهو أداة لربط اثنين من البهائم للحراثة، لكي يشير إلى الارتباط بأهل هذه الدنيا، ويستند في هذه الصورة إلى وصيّةٍ وردت في التوراة، سفر التثنية، 22: 10، وربما كان القصد من هذه الوصية دعم تحريم التوراة لزواج المؤمنين بالوثنيين (انظر التوراة، سفر التثنية، 7: 3).

(2) في لغة الوحي اليونانية الأصلية، يستخدم بولس هنا مجازيا صورة النير وهو أداة لربط اثنين من البهائم للحراثة، لكي يشير إلى الارتباط بأهل هذه الدنيا، ويستند في هذه الصورة إلى وصية وردت في التوراة، سفر التثنية، 22: 10، وربما كان القصد من هذه الوصية دعم تحريم التوراة لزواج المؤمنين بالوثنيين

(3) يقتبس بولُس هنا من كتاب النبي أشعيا، 52: 11.

(4) يبدو أنَّ بولُس يطبّق في هذا الموقع كلمات الله التي تتعلّق بالمسيح الملك المنتظر على جماعة أتباع سيدنا عيسى (انظر كتاب النبي صموئيل الثاني، 7: 14).

7: 2ـ7 فرح بولس بالتّائبين

أرْجوكُم أن تُفسِحوا لنا مكانًا في قلوبِكم، فأنا لم أظلِم أحدًا مِنكم وإن كذبَ المُدَّعون، ولم أؤذِ فرْدًا منكم، ولم أستَغِلَّ أحدًا مِنكم. وما أقولُ هذا لألومَكم، فلقد قلتُ لكم سابقًا إنَّ منزلَتَكُم كبيرةٌ في قلبي، فلا الموتُ ولا الحياةُ باستطاعَتِهِما إبعادي عنكم. وثِقَتي فيكُم عظيمَةٌ وفخري بكم قويٌّ. إنّ الشّدائِدَ الّتي تُواجِهُني لم تَحجُبْ فَرَحي عِندما وصَلَتْني أخبارُكم، فتشجَّعتُ كثيرًا وفاضَ قلبي فَرَحًا.

دعوني أعُد إلى كلامي بخُصوصِ الأخِ تيتوسَ وبَحثي عنه. لمّا حضَرتُ إلى مَقْدونِيا، أنهَكَني التّعَبُ كثيرًا، وكنتُ في ضِيقٍ يُحيطُ بي مِن كُلِّ جانبٍ: يُنازِعُني خُصومٌ في الخارجِ، وفي أعماقي كنتُ خائفًا عليكُم. ولكنَّ اللهَ الّذي يشُدُّ أزرَ البائسين، شَدَّ عزيمتي بمَجيءِ تيتوسَ وبالأخبارِ الّتي حَمَلَها إليَّ حولَ رُدودِ فعلِكم على خطابي القاسي.[1] فقد أخبَرَني عن شوقِكم لرؤيَتي، وندَمِكم على سيئاتِكم وذُنوبِكم، وتحمُّسِكم لِتأييدي ودَعْمي. ولقد فرِحَ الأخُ تيتوسُ بعمَلِكم وصِدْقِكم، ففرحتُ بفرحِهِ وازداد شوقي إليكُم.

7: 8ـ16

ورغم أني ندِمْتُ في البدايةِ على الخطابِ الّذي وجَّهْتُه إليكم لأنّي جعلتُكم تحزَنونَ، فإنّي لستُ نادمًا الآن. وإنّي اليوم فرِحٌ مَسرورٌ بكم، لا لأنّي أحزَنتُكم، بل لأنّ حزْنكم جعلَكُم من التّائبين. فنحنُ في الحقيقةِ لم نُلحِقْ بكم الأذى لأنّ حزْنكم كان يُرضي اللهَ. إنّ نارَ الحزنِ تُمَحِّصُنا لنتوبَ، ولنكونَ من النّاجين. لا تندَموا على حُزنِكم هذا، لكنَّ الحزنَ الّذي ينبَعُ من أهلِ الدُّنيا لا تَلحقُه التّوبَةُ، ومآلُه الخسرانُ الأبديُّ. فتأمَّلوا في نتائجِ حُزنِكم الّتي تُرضي الله. لقد كنتم جادّين في مُعالجَةِ الأمرِ، فاستنكَرتم الخطيئةَ وغضِبتم وانزعَجتم، ثمّ أظهَرتم شوقَكم إليَّ وولاءَكم لي فعاقَبتُم ذلك المُذنبَ. وبذلك برْهنتم على أنّكم قد قُمتم بالمَطلوبِ لإصلاحِ الأمرِ. وفي الحقيقةِ لم يكنِ الهدفُ من الخطابِ الّذي أرسلتُهُ إليكُم عقابَ الظّالمِ أو إنصافَ المَظلومِ، بل كان هدَفي إعطاءَكم فُرصَةً لتُبَرهِنوا على مَدى ولائِكم لي أمامَ اللهِ. فواسَيْتم قلبي

(1) انظر شرح معنى هذا الخطاب القاسي في المدخل إلى هذه الرسالة.

بما فعلتُم، وازدادَ فَرَحي عند رؤيةِ سعادةِ تيتوسَ، لأنّكم أرحتم بالَهُ جميعًا بأعمالِكم. لقد افتخرتُ بكم وبإيمانِكم قبلَ أن يزورَكم، فما خيَّبْتم رجائِي فيكم. لقد كنتُ صادِقًا معكم دائمًا، واتَّضح الآنَ أنّ افتِخاري بكم لتيتوسَ هو الحقُّ. وإنّ محبَّتَه لكم تزدادُ كلَّ حينٍ، كلَّما تذكَّرَ مَدى طاعتِكم، وكيفَ رحَّبتم بهِ بكلِّ احترامٍ وهيبةٍ، إنّ فرَحي بكم كبيرٌ، لأنّي أستطيعُ أن أثِقَ بكم بكلِّ يقينٍ.

الفصل الثّامن

8: 1–15 أهميّة السّخاء

يا إخوَتي، أُريدُ أن أخبِرَكم عن جماعاتِ المُؤمنينَ في مَقْدونِيا،(1) وكيفَ أنعمَ اللهُ عليهِم بفضلِهِ فكانوا متفَوِّقينَ في العطاءِ رغم المُعاناةِ الشَّديدةِ الّتي وقَعوا فيها، وما كَسرَ الفقرُ المدقِعُ نفوسَهم بل فرِحوا فرَحًا عظيمًا وساعَدوا المُحتاجينَ بسخاءٍ عظيمٍ. وإنّي أشهَدُ أنّهم تبرَّعوا قدْرَ طاقتِهم ويزيدُ! وقاموا بذلك من تلقاءِ أنفسِهم، ولقد طلَبوا منّا بإلحاحٍ أن يحظَوْا بشرفِ إعانةِ المؤمنين المُحتاجين في القُدسِ. وفي إقْبالِهم على هذا المَعروفِ تجاوَزوا كلَّ توقُّعاتِنا. وكانوا في ذلك يُطيعونَ السَّيِّدَ المَسيحَ أوّلاً ويَطيعونَنا ثانيًا، وِفقَ ما يُرضي اللهَ. وهذا ما دَفَعني أن أشُدِّدَ على الأخِ تيتوسَ(2) أن يختِمَ هذا العملَ الخيرِيَّ بينكم الّذي بدأَهُ سابقًا. إنّي أشهَدُ أنّكم سبّاقونَ إلى أعمالِ الخيرِ بمُختلِفِ طُرُقِه: في الإيمانِ والفصاحَةِ والمَعرفةِ وتحمُّسِكم لمَرضاةِ اللهِ، ومَحبَّتِكم لنا. ورجائي أنْ تَتَفوَّقوا في هذا العملِ الخيريِّ أيضًا.

ولا أطلبُ منكم هذا على سبيلِ الأمرِ، بل أخبرْتُكم عن حَماسِ المؤمنين الآخرينَ، حتّى أشجِّعَكم على إثباتِ صدقِ مَحبَّتِكم، وإنّكم لتَعرِفونَ فضلَ سيِّدِنا عيسى المَسيحِ،

---

(1) هذه الجماعات من المؤمنين في مقدونيا كانت هي الجماعات نفسها التي كوّنها الحواري بولُس من قبل في مدن فيليبي، تسالونكي، وربما بيرية. (انظر كتاب سيرة الحواريين، 16: 12 إلى 17: 13).

(2) كان تيتوسُ مؤمنا بسيدنا عيسى، ولم يكن من بني يعقوب بل كان من اليونانيين، وعمل مباشرةً مع الحواري بولُس ورافقه سابقا في رحلته إلى القدس. (انظر رسالة غلاطية 2: 1–3).

وكيف افتقرَ من أجلِكم وهو الغنِيُّ، لتغتَنوا بفقرِهِ بفضلِ اللهِ.

يا إخواني، دَعوني أنصَحُكم في جمعِكم للتبرُّعاتِ: لقد كنتم في السَّنةِ الماضيَةِ أوَّلَ السّاعين لتقديمِ المُساعدَةِ، وكنتم أوَّلَ من قدَّمَها، فأتِمّوا ما بدأْتُموه خيرٌ لكم، وليَتَناسَبْ حَماسُكم منذُ البدايةِ مع تنفيذِكم لهذا العطاءِ، واجعَلوا ذلك على قدرِ طاقَتِكم. واللهُ يقبَلُ كلَّ ما تقدِّمونَهُ بحَماسٍ وحسبَ إمكانيّاتِكم، لأنّه تعالى لا يُكلِّفُكم ما لا تملكونَهُ. ولا أعني أنْ أدفعَكم في العطاءِ إلى الضّيقِ لتجعَلوا غيرَكم في رخاءٍ، بل المُساواةُ بينكم هي هدفي، فأنتمُ اليومَ في رخاءٍ، وتستطيعونَ إعانَتَهم في سَدِّ حاجياتِهِم، عسى أن تَعوزوا يومًا فيُقْبِلونَ عليكم بكلِّ خيرٍ، وهكذا تكتَمِلُ المُعادلةُ، وهذا ما قالَهُ اللهُ في التّوراةِ: «الّذي جمَعَ كثيرًا لم يَفضُلْ عنه شيءٌ، والّذي جمع قليلاً لم يَنقُصْهُ شيءٌ».[1]

8: 16–24 تيتوس ورفيقاه في الدّعوة

الحمدُ للهِ الّذي جعلَ في قلبِ تيتوسَ الاهتمامَ نفسَهُ الّذي أملِكُهُ تُجاهَكم. فلمّا طلبنا مِنه أنْ يزورَكم، رحَّبَ بالطَّلَبِ، وإنّه لمُقْبِلٌ عليكم من تِلقاءِ نفسِهِ في حَماسٍ كبيرٍ. وأرسَلنا معه أخًا آخَرَ مدَحَتْ كلُّ جماعاتِ المؤمنين عملَهُ في نشرِ البُشرى بالسّيِّدِ المَسيحِ، ولقد اختارَهُ المؤمنون حتّى يكونَ لنا رفيقًا في السَّفرِ إلى القُدسِ لحمْلِ هذه التّبرُّعاتِ إلى مُستحِقّيها، وبذلك نرفَعُ شأنَ سيِّدِنا ونبرهِنُ على استعدادِنا لإعانَتِهم. وقد رأينا أن يُرافِقَنا هذا الأخُ وتيتوسُ في السّفرِ لكي نتجنَّبَ اتّهامَ أحدٍ لنا بالاختلاسِ من هذه المبالغِ الكبيرةِ. لأنّنا نسعى دائمًا للنَّزاهَةِ والعفَّةِ أمامَ اللهِ، ونرغَبُ في توضيحِ نزاهَتِنا أمامَ النّاسِ أيضًا.

ولقد أرسَلنا معهما أحدَ إخوتِنا الّذي أثبَتَ لنا أمانَتَهُ واجتهادَهُ في أُمورٍ كثيرةٍ، وها هو الآنَ مُتحمِّسٌ أكثرَ لمُساعدتِكم في جمْعِ التّبرُّعاتِ لأنّه على ثقةٍ كبيرةٍ أنّكم ستُساندونَهُ في هذا المَشروعِ. إنْ سَألَكم أحدٌ عن تيتوسَ، فأجيبوهُ إنّه رَفيقي ومُساعِدي في الدَّعوةِ بينَكم، أمّا الأخوانِ اللّذانِ سيُرافِقانِهِ، فيُمثِّلانِ جماعاتِ المؤمنينَ، فيرفعانِ

(1) يقتبس بولُس هنا من التوراة، سفر الخروج، 16: 18، الذي يصف كيف جمع بنو يعقوب المنّ الذي رزقهم الله إياه كغذاء لهم في الصحراء.

شأنَ السّيِّدِ المَسيحِ.[1] فرَحِّبوا بهم جَميعًا وأظهِروا لهم مَحبَّتَكم، حتّى تعلمَ كُلُّ جَماعاتِ المؤمنينَ أنّنا على حَقٍّ بافتخارِنا بكم.

الفصل التّاسع

9: 1-9 مساهمات من أجل الإخوة الفقراء في القدس

في الحقيقةِ، لا داعي أنْ أُكرِّرَ كلامي بخُصوصِ مُساهَمَتِكم في مُساعدةِ إخوانِكم المؤمنين في القُدسِ، فإنّي مُتأكِّدٌ من حَماسِكم لهذا الأمرِ. ولقد افْتَخَرْتُ بهذا الحَماسِ بين الإخوةِ في مَقْدونيا في شمالِ اليونانِ وقلتُ لهم: «إخوَتُكُم في الجنوبِ كانوا مُستَعدّينَ للتّبرُّعِ مُنذُ السَّنةِ الماضيَةِ». وهذا ما شجَّع أكثرَهم للتّبرُّعِ أيضًا. فأرْسَلتُ إليكم الإخوةَ الّذين ذكرتُهُم آنِفًا لأتيَقَّنَ أنّكم بالفعلِ مُستَعِدّونَ كما أخبرتُهم، وقد جمعتم كلَّ مُساهَماتِكم، حتّى لا يظهرَ افتِخاري بكم في هذا الأمرِ باطلاً. فإذا رافَقَني بَعضُ المؤمنين من الشّمالِ في زيارةِ إليكم، ثمّ رأوا أنّكم غيرُ مُستَعِدّين لتقديم التّبرُّعاتِ، أصابَنا الحرجُ لأنّنا كُنّا على ثقةٍ كبيرةٍ بوعودِكم، ولا شكَّ أنّ الحرجَ سيصيبُكم أيضًا. لذا استحسنْتُ أن أرسِلَ إليكم هؤلاءِ الإخوةَ قبلَ وصولي، حتّى يتأكَّدوا أنّكم جمَعتم ما وعَدتم بهِ منْ تبرُّعاتٍ وفيرةٍ. فعندَما أصِلُ، تكونُ تبرُّعاتُكم جاهزةً هديَّةً تقدِّمونَها بكلِّ فرَحٍ، ما أنتم عليها بمجبَرينَ. وتذكَّروا، يا أحبابي، أنَّ منَ زرَعَ قليلاً يَجْني قليلاً، ومَنْ زرَعَ كثيرًا يَجْني كثيرًا. فعلى كلِّ واحدٍ منكم أن يتبرَّعَ حسبَ نيَّتِهِ فلا يكونَ مُتردِّدًا ولا مُجبَرًا، لأنَّ اللهَ يحِبُّ منْ يُعطي بِسُرورٍ.[2] واللهُ قادرٌ على إغنائِكم بوافرِ النِّعَمِ،

---

(1) اختار اليهود الذين يعيشون في الشتات ممثّلين للجاليات اليهودية المحليّة كل سنة للسفر إلى القدس لتسليم الضريبة لبيت الله، وكان العرف يشترط استقبال المبعوثين بكل احترام وإكرام. كان بولس يتّبع عادةً مشابهةً لهذا العرف، حين شجّع جماعات المؤمنين بالمسيح بتفويض ممثّلين لهم كي يحملوا المساعدات للمؤمنين الفقراء في القدس. وكان الأخ تيتوسُ يمثّل بولُس في المجموعة، لذا كان من الواجب استقبال تيتوس بكل حفاوة وترحيب كما يُستَقْبَلُ بولس. بما أنّ هؤلاء الممثّلين قد وقع اختيارهم من بين جماعات المؤمنين كلها، فإن الكورنتيين لا يستطيعون القول أنّهم كانوا أزلام بولُس يعملون معه على سرقة أموالهم.

(2) يلمِّح الجزء الأول من كلام بولس هنا إلى التوراة، سفر الخروج، 25: 2, 35: 5, 35: 21-22، وسفر التثنية، 15: 10.

فتَفيضُ عليكم بما يَفوقُ حاجَتَكم ويَزيدُ لتتبرَّعوا بهِ، كما جاء في الزَّبورِ الشَّريفِ: «يتصدَّقُ الصّالحون للفُقراءِ بسخاءٍ، ويذْكُرُ اللهُ إحسانَهم إلى الأبدِ».[1]

9: 10ـ15

إنّ اللهَ هو الّذي يرزُقُ أصحابَ الزَّرعِ بالبُذورِ فيزرَعونَ، وبالقوتِ فيأْكُلونَ، وهو الّذي يرزُقُكم رِزقًا يُغنيكم، حتَّى إنّكم تَأخُذونَ مِنهُ عطاء لإخوانِكم بسخاءٍ، وسيُغنيكم بكُلِّ النِّعمِ فتكونوا دائمًا من أهلِ البرِّ، حتّى إذا وَزَّعنا صدقاتِكم على فُقراءِ المؤمنينَ في القُدسِ لهَجوا بالحمدِ للهِ. فما تقدِّمونَهُ من إحسانٍ لا يفيضُ على حاجاتِ إخوتِنا في الإيمانِ فقط، بل يجعلُهم شاكرين للهِ أيضًا. ونتيجةَ عملِكم الصّالحِ هي أنَّ أتباعَ السّيِّدِ المَسيحِ من اليهودِ في القُدسِ سيسبِّحونَ للهِ شاكرينَ، لأنَّ سخاءَكم لهم ولجميعِ المؤمنين سيُثبِّتُ طاعتَكم لبُشرى السّيِّدِ المسيحِ. وسيَتَوَجَّهونَ من أجلِكم بالدُّعاءِ للهِ أيضًا بما يحمِلونَهُ من مَحبَّةٍ عميقةٍ في قلوبهم تُجاهَكُم، لأنَّهم تَيَقَّنوا أنَّ فضلَ اللهِ فائقٌ فيكم. فالحمدُ للهِ على هذه الهِبَةِ الّتي تفوقُ الوصفَ!

الفصل العاشر

10: 1ـ6 سلطة بولس الحواري

أحِبَّائي في كورنْتوس، إنَّ بَعضَكم يزعُمُ أنّي ليِّنٌ حينَ أكونُ بينَكم، صارمٌ في رسائلي عندَما أبتعِدُ عنكم. ولكنّي أنا بولُسَ أدعوكم بسماحَةِ السّيِّدِ المَسيحِ ولطفِهِ أن ترفُضوا هذه المزاعِمَ. أرجوكم، لا تدفَعوني أن أعامِلَكم بقسوَةٍ حين أكونُ بينَكم، إذ لا بُدَّ من مُحاسبةِ الّذين أساؤوا الظنَّ فينا. إنَّهم يعتقِدونَ أنّنا نحيا كأهلِ الدُّنيا، ولكنَّهم مخطِئونَ، فنحنُ وإنْ عِشنا في هذه الدُّنيا، فإنّنا لا نُحارِبُ كما يفعَلُ أهلُها. لأنَّ الأسلحَةَ الّتي نُحارِبُ بها ليسَتْ أسلحةً دُنيويَّةً، بل نُحارِبُ الأباطيلَ بقوَّةِ اللهِ وكأنّنا في ذلك ندُكُّ حصونَ حجَجِهِم الواهيةِ دكًّا وندمِّرُها تدميرًا، فندْحَضُ زيفَ فاعِلي الشَّرِّ، ونزيحُ

(1) يقتبس بولُس هنا من كتاب الزبور، مزمور 112: 9، وهي فقرة تشير إلى الشخص الذي يتَّكِلُ على الله ويوزّع المال على الفقراء والمساكين.

كلَّ عائقٍ يسُدُّ طريقَ انبلاجِ النّورِ في قُلوبِ النّاسِ. ونأسُرُ كُلَّ فِكرٍ مُتمرِّدٍ ونُخضِعُهُ لطاعةِ السّيِّدِ المَسيحِ. وعندما تكتمِلُ طاعتُكم، سنُعاقِبُ كلَّ من يلِجُّ في عِصيانِه.

10: 7ـ18

انظروا إلى الأُمورِ على حقيقَتِها: فإنْ زَعَمَ أحدُكم بتَكَبُّرٍ أنّه حَواريُّ السّيِّدِ المسيحِ، فليَفهَم أنّني حَواريٌّ أيضًا، بالمِقدارِ نفسِهِ. ولئنْ بالَغتُ قليلاً في الافتخارِ بسُلطاني باعتِباري حَواريَّ السّيِّدِ المسيحِ، فلا أحدَ يُمكِنُهُ أن يكذِّبَني أو يُحرجَني، لأنَّه (سلامُهُ علينا) أمدَّني بسُلطانٍ لبُنيانِكم لا لخرابِكم، وفيما يخُصُّ رسائلي فأنا لم أسعَ فيها إلى تخويفِكم أبدًا، فمنكم مَن يقولُ: «إنَّ كلامَ بولُس إلينا قاسٍ وصارمٌ عندما يبتعِدُ عنا، أمّا حضورُهُ بيننا فغيرُ مَهيبٍ، وكلامُهُ سخيفٌ». فلْيَعلَمْ هؤلاءِ النّاسُ أنّ ما لَمَسوهُ مِن حَزمٍ في رَسَائِلي، سيَرونَهُ فعلاً حينَ أحضُرُ بينكم.

نحنُ لا نتجرَّأُ أن نساويَ أنفسَنا بالمُدَّعينَ الّذين يمدَحونَ أنفُسَهم حتّى نَبدوَ نحنُ الحَوارِيِّينَ بعيدينَ عن مُستَواهم. يا لغَبائِهم! هل يقيسونَ أنفسَهم على أنفسِهم أم يقارِنونَ أنفسَهم بأنفسِهم؟! أمّا نحنُ، فلا نفتخرُ بما أنجزَهُ غيرُنا، بل نفتخرُ فقط بما حَدَثَ في الأماكنِ الّتي أرسَلَنا إليها اللهُ. وهذا السُّلطانُ يشمَلُكم أيضًا. ونحنُ لم نتجاوَز حَدًّا في إعلانِنا أنّنا نملِكُ سُلطةً عليكم، لأنّنا نحنُ أوَّلُ مَن بلَّغَكم البُشرى بالسّيِّدِ المَسيحِ. إنّنا لا نفخَرُ بجهودِ غيرِنا مِن الدُّعاةِ، وإنّما نفخَرُ بالعملِ الّذي قُمنا به. ونرجو أن يقْوَى إيمانُكم، وأن تمتدَّ دعوتُنا من خلالِكم حتّى نبلِّغَ بِشارةَ السّيِّدِ المسيحِ إلى بلادٍ أبعدَ من بلادِكم، فلا يُمكِنُ لأحدٍ أن يتَّهِمَنا أنّنا افتخَرنا بعملِ غيرِنا. إنّ ما جاءَ في كتابِ النبيِّ إرميا لَيَنطَبِقُ على عملي هذا: «مَن أرادَ أن يَعتزَّ، فليَعتزَّ باللهِ».[1] فلا قيمةَ لمَن يمدَحُ نفسَهُ عندَ اللهِ، وإنّما الخيرُ في مَنْ مدَحَهُمُ اللهُ ورضِيَ عنهم.

(1) يقتبس بولُس هنا من كتاب النبي إرميا، 9: 24.

11: 1-15 التّحذير من الّذين يدّعون أنّهم حَواريون

ألاَ فاصبِروا عليَّ، واحتمِلوا مني حَديثي عن نَفسي، حتّى لو بدا حماقةً. فاحتمِلوهُ مِني، أرجوكم، فأنا غَيورٌ عليكم غيرةَ اللهِ. فكَما يدَبِّرُ الأبُ خطبَةَ ابنتِهِ ويحميها، ويسلِّمُها طاهرةً لزوجِها، كذلك جعلتُ إيمانكم بسيِّدِنا عيسى راسِخًا حتّى تكونوا مُخلِصينَ لهُ طاهِرينَ. وإنَّ خَوفي كبيرٌ أن يُضِلَّكم أحدٌ عن ولائِكم وإخلاصِكم للسّيِّدِ المَسيحِ،[1] ويخدَعَكم كما خدَعَتِ الحيَّةُ أُمَّنا حوّاءَ، ولقد جاءَكم الّذينَ يَبُثّونَ بينَكم الزّيفَ والأخطاءَ عن سيِّدِنا المسيحِ، وعن صفاتِ روحِ اللهِ، فيُخالِفونَنا ويجحَدونَ تَعاليمَنا. ولقد شوَّهوا البُشرى بالسّيِّدِ المسيح فقَبِلتُموهم فَرِحينَ بما فَعَلوا. ولقد زَعَموا أنّهم حَوارِيّون عظماءُ، فاعلَموا أنّي لستُ أقلَّ منهم شَأنًا، وإنْ لم أكُن بليغًا، فلا تَنقُصُني المَعرفةُ، ولقد وضَّحنا لكم هذا الأمرَ في كلِّ حينٍ بطُرُقٍ مُختلِفةٍ. فهلِ ارتَكَبتُ ذنبًا عندَما بلَّغتُكم رِسالَةَ اللهِ دونَ مُقابِلٍ؟ بل تَكَفَّلتُ بحاجياتي بعَمَلِ يَدي، فأنزَلتُ مَقامي، لِيَرتفعَ مَقامُكم.[2] ولقد اعتنَت بي جماعاتٌ أُخرى من المؤمنين، وكأنّي كنتُ أسلِبُهم لأخدِمَكم أنتم دونَ مُقابِلٍ. وعندَما احتجْتُ وأنا بينَكم، لم أُثقِلْ على أحدٍ منكم في طلبِ حاجياتي، ولقد كَفاني الإخوةُ الّذين أقبَلوا من مَقْدونِيا ما أحتاجُ

(1) يصف بولُس معارضيه بالزناة الذين يدفعون العذارى المخطوبات إلى الانحراف، وهذا يعتبر جريمة عقابها الطرد والإبعاد في القانون الروماني، والموت في شريعة التوراة (سفر التثنية، 22: 23-27).

(2) كان المعلّمون الإغريق يكسبون رزقهم برعاية أحد السادة الكبار، أو من خلال طلبهم أجرةً مقابل عملهم التعليمي، أو بالاستجداء. أمّا الحواري بولس فقد اختار العمل بحرفة يدوية لسدّ حاجياته، وكان المؤمنون في كورنتوس يتحرَّجون من عمل بولُس، وخاصة الذين كانوا ينتمون إلى طبقة النبلاء الثرية. وربما فسّر الكورنتيون عدم قبول بولس لضيافتهم تحديًّا لمنزلتهم وشرفهم. ولعلّ اجتناب بولُس لقبول أجرة مالية كان كي لا ينعته الناس أنه مجرّد سفسطائي عام يعلّم لأجل كسب المال، أو لكي لا يُعوّل عليهم في احتياجاته. وقد انتقده معارضوه أمام المؤمنين في كورنتوس بسبب عمله اليدوي، معتبرين أنّ هذا العمل فاضح مهين.

إليهِ. وسأحرِصُ ألاّ أُثْقِلَ عليكم أبدًا.[1] وها أنا أؤَكِّدُ لكم بحقِّ السَّيِّدِ المَسيحِ، أنّه لن يقْدِرَ أحدٌ منكم في بلادِ اليونانِ أن يُكذِّبَ حقيقتي الّتي أفخرُ بها، ألا وهي دعوتي إلى السَّيِّدِ المسيحِ بلا مُقابِلٍ وإنّي رَفَضتُ تبرُّعاتِكم لي، لا عن كُرْهٍ، بل عن مَحبَّةٍ لكم، واللهُ عليمٌ بذلك، ولكنّي سأستمِرُّ في تكفُّلي بنفسي لكي أدحَضَ زيفَ الدّجّالينَ الّذين يتحيَّنونَ الفُرصةَ ليجعلوا عملَنا مساويًا لعمَلِهم. هم الدَّجّالونَ، فاحذَروهم، وما هم بالحَوارِيِّينَ، يخادِعونكم ويدَّعونَ أنّ المسيحَ أرسَلَهم إليكم. ولا عجَبَ، فحتّى الشَّيطانُ يموِّهُ فيتَّخِذُ لنفسِهِ شكلَ ملاكٍ من نورٍ، فليسَ من الغريبِ إذن أن يأتيَ إلينا أعوانُهُ في ثيابِ الصّالحينَ، ومآلُهم سيكونُ على قدْرِ أعمالِهم.

11: 16-33 معاناة بولس

وأكَرِّرُ قولي مَرّةً أُخرى: لا يَظُنَّنَّ أحدٌ منكم أنِّي غبِيٌّ، ولئِن اعتقَدتم ذلك فاقبَلوا مِني افتِخاري كما تقْبَلونَهُ من هؤلاءِ الدّجّالينَ.

والآن سأتَصَرَّفُ كغبِيٍّ وسأتجرَّأُ على الافتِخارِ بنفسي، ولكِن تيَقَّنوا أنّ ما سأقولُهُ الآن غيرُ صادرٍ عن سيِّدِنا المَسيحِ. فإذا تَباهَى الآخرونَ بإنجازاتِهم الدُّنيَويَّةِ، أفلا أتباهى أنا أيضًا؟ هل تحسَبونَ أنّكم عقلاءُ في حينِ أنّكم تَحتمِلونَ الجهلةَ بكلِّ سُرورٍ؟ حقًّا إنّكم في ضَلالٍ مُبينٍ. فكيفَ تحتمِلونَ مَن يستعبِدُكم، ويستغِلُّكم، ويسلِبُكم، ويتعالى عليكم، ويلطِمُكم على وُجوهِكم؟[2] يا للمَهانَةِ! كم كنّا ضُعفاءَ في مُعاملتِنا لكم!

وما دُمتُ أتكلَّمُ في غباءٍ، فسأتجرَّأُ على الافتِخارِ بكُلِّ ما يفتخِرُ بهِ هؤلاءِ الدّجّالونَ بكلِّ جُرأةٍ. إنّهم يتباهونَ لأنّهم عِبرانِيّونَ، وأنا أيضًا عِبرانِيٌّ صميمٌ! وهم يتفاخَرونَ لأنّهم مِن بني يعقوبَ، فأنا أيضًا مِن بني يعقوبَ! ويفتخِرونَ أنّهم ينحَدِرونَ مِن نسلِ النّبيِّ إبراهيمَ، فأنا أنحَدِرُ أيضًا منَ الأصلِ نفسِهِ.[3] فكيفَ يتباهَونَ بِخِدمتِهم

---

(1) لمّا كان بولُس مدعوما مِن قِبَل مجموعات أخرى من المؤمنين في اليونان، لم يكن يقبل دعم الكورنتيين المادي له كمقابلٍ لما يقدّمه لهم من بركات روحية، وهو ما جعلهم مدينين له دائمًا، فتجنّبَ الاعتماد عليهم ولم يكن مُلْزَما لإرضائهم.

(2) الاستعباد الذي يتحدّث عنه الحواري بولُس هنا هو فرض القواعد والعادات الإنسانية المناقضة للحرية التي تتمتّع بها جماعة أتباع السيد المسيح.

(3) كان الدعاة الدجّالون يهودا مثل بولُس. وكان هؤلاء الدجّالون يعلّمون الناس أنه من الواجب على غير اليهود تبنّي العادات اليهودية والتهوّد كي يصبحوا جزءًا من أمّة الله. أما بولُس، فكان يعلّم الناس بوحيٍ من الله أنّ كلّ الذين يتّبعون سيدنا عيسى (سلامه علينا) هم أمّة الله الحقيقيّة.

للسَّيِّدِ المَسيحِ؟ فسأتكلَّمُ كالمعتوهِ لأنّي أفوقُهم في خِدمتي له (سلامُهُ علينا)، ففي سَبيلِهِ كنتُ أجاهِدُ أكثرَ مِنهم، وسُجنتُ وتعرَّضتُ للجَلْدِ والتَّعذيبِ وذُقتُ ألوانًا من الموتِ أكثرَ منهم. فقد جَلدَني اليَهودُ خمسَ مَرّاتٍ، في كلِّ مرَّة تسعًا وثلاثينَ جلدةً. ورَجَموني بالحِجارةِ مَرَّة. وضرَبَني الرّومانُ بالعِصيِّ مَراتٍ ثلاثًا. وتحطَّمَتْ بي السَّفينةُ مَرّات ثلاثًا. وقضَيتُ يومًا كاملاً، بنهارِهِ وليلِهِ، في عرض البحرِ بعد أن غرقت سفينتي. وواجَهتُ في أسفارٍ عديدةٍ مَخاطِرَ من الأنهارِ الجارِفةِ، ومَخاطِرَ من قُطّاعِ الطُّرُقِ، ومَخاطِرَ شتَّى من اليهودِ ومن غيرِ اليهودِ، ومَخاطِرَ في المُدُنِ ومَخاطِرَ في القِفارِ، ومَخاطِرَ في البحرِ ومَخاطِرَ من الّذين يدَّعونَ الإيمانَ. لقد اجتَهَدتُ وعانيتُ في سَبيلِ السّيِّدِ المَسيحِ التَّعَبَ والسَّهَرَ، وقاسيتُ جوعًا وعَطَشًا وبرْدًا وعَراءً. وينضافُ إلى هذا كلِّهِ، انشِغالي اليوميُّ بكلِّ جماعاتِ المؤمنينَ الّتي أرعاها. فعندَما يَضعُفُ إيمانُ أحدِهم، فكيفَ لا أتعاطَفُ معه ولا أحزَنُ من أجلِهِ؟! وعندَما يَضِلُّ أحدُهم عنِ الإيمانِ، فكيفَ لا أغضَبُ على مَن أضَلَّهُ؟!

فإذا كنتُ مُضطَرًّا للافتِخارِ، فإنّي سأَفتَخِرُ بما يُظهِرُ عزمي رغمَ الضّعفِ الّذي أقاسيهِ. ¯ فعندَما كنتُ في مدينةِ دِمَشقَ، أمَرَ الحاكِمُ الّذي يعمَلُ تحتَ سُلطةِ المَلِكِ الحارثِ، ملكِ الأنباطِ،[1] أن تُحرَسَ بَوّاباتُ المدينةِ حتّى يُقبَضَ عليَّ. ولكنّ إخواني دبَّروا أمري فوضعوني في قُفَّةٍ، وأنزلوني مِن نافِذةٍ في السّورِ تُطِلُّ على خارِجِ المدينةِ، فنَجَوْتُ مِنْ يدِ الحاكِمِ. وليَشهَدِ اللهُ الأبُ الرّحيم لِسيِّدِنا عيسى - تبارك إلى الأبد- أنّي في هذا مِن الصّادقينَ.

الفصل الثّاني عشر

12: 1-10 رؤى بولس

لا فائدةَ تُرجى منَ التّباهي والتّفاخُر، ولكنّي مُضطَرٌّ إلى ذلك حتّى أدافِعَ عن مَكانتي

(1) كان الملك الحارث الرابع، الذي زوّج ابنته إلى أنتيباس بن هيرودس، حاكما على العرب الأنباط لمدّة تمتدّ تقريبا من سنة 9 قبل الميلاد إلى سنة 40 للميلاد. وربما كان الإمبراطور الروماني «كاليغولا» قد أعاد دمشق إلى مملكة الحارث من جديد، لأنها كانت فيما سبق جزءا من أراضي مملكته.

كحواريِّ سيِّدِنا المَسيحِ، فدَعوني أحَدِّثُكم الآن عن الرُّؤى الّتي تجلَّتْ لي منَ اللهِ وعن غيرِها ممَّا كَشَفَهُ لي تعالى. فاعلَموا أنّي منذُ أربعَ عشرةَ سنةً رُفِعتُ فجأةً إلى السَّماءِ الثّالثةِ، إلى حَضرةِ اللهِ تعالى. فهل حدَثَ ذلك بجسمي أم بغيرِ جسمي؟ لا أعلمُ، بل اللهُ هو العليمُ! نعم، اللهُ وحدَهُ يعلمُ إنْ كنتُ رُفِعتُ بِجسمي أو بغيرِ جِسْمي. ولكنّي أعلَمُ أني رُفِعتُ إلى حَضرةِ اللهِ، إلى فردوسِ النَّعيم، وهناك سَمِعتُ أُمورًا مُدهشةً لا يمكنُ التَّعبيرُ عنها، ولا يَحِقُّ للإنسانِ النطقُ بها.(1) إنّ هذا الحدثَ يستحِقُّ الافتخارَ، ولكنّي لن أفتخِرَ به، بل سأفتخِرُ بضَعفي. وحتّى لو افتخَرتُ به، فأنا لستُ غبيًّا، لأنّ كلَّ ما ذكرتُه حقيقةٌ. ومع ذلك امتنعتُ عن التّباهي بنفسي، لأنّي أريدُ من النّاسِ أن يعرِفوا حقيقَتي بِسَماعِ كَلامي والنَّظَرِ في أعمالي فَقَط.

وبسببِ عظمةِ التّجلِّيّاتِ الّتي عايَنتُها، وكي لا أتكبَّرَ بها فقد سُمِحَ لأحدِ أعدائي -وهو عونٌ من أعوانِ الشّيطانِ- أن يُعَذِّبَني كشوْكةٍ تنْغرِزُ في جِسمي!(2) فاستَنجَدتُ بمولايَ عيسى ثلاثَ مرّاتٍ أن يُبعِدَ عني شوكَةَ اللعينِ. فقال لي: «فَضلي يَكفيكَ، ففي ضَعفِكَ تكتمِلُ قُدرتي». إذن بكُلِّ سُرورٍ أفتخِرُ بضَعفي، لكي يَعلَمَ النّاسُ أنّ القوَّةَ الكامنةَ فيَّ إنّما هي قوّةُ السيِّدِ المسيحِ! وإنّي لأرضَى في سَبيلِهِ أن أتحمَّلَ الضّعفَ والإهانةَ والبلاءَ والاضطهادَ وكلَّ المَصائبِ، فأنا حينَ أكونُ ضَعيفًا، فإنّي في الحقيقةِ قويٌّ بقوَّةِ مَولايَ المسيحِ.(3)

12: 11-21 اهتمامات بولس

لقد تصرَّفتُ كغبيٍّ حين تباهَيتُ بنَفسي. ولكنَّكم دفَعتُموني إلى ذلك دفعًا! وكان منَ الواجبِ عليكم أن تفتخِروا بي، لا أن تَدفعوني إلى الافتِخارِ بنَفسي، فرَغمَ أنّي لا أساوِي شيئًا، فأنا لستُ أقَلَّ شأنًا مِن هؤلاءِ الدَّجّالينَ الّذين يدَّعونَ أنّهم حَوارِيّون.

---

(1) تقول النصوص اليهودية إنّ الله سيوجد «الجنةَ»، على الأرض في الحياة الآخرة، لكنها الآن محفوظة في السماوات. وهي نظير جنةَ عدن التي عاش فيها آدم وحواء.

(2) يُطلق على الأشخاص الذين يُسبِّبون العذاب والإرهاق للآخرين لقب الأشواك في كلّ من التوراة (سفر العدد، 33: 55) وكتابات الأنبياء (حزقيال (ذو الكفل)، 2: 6; 28: 24؛ وميخا، 7: 4).

(3) في الديانات الوثنية، كان يتمّ عرض القوّة الإلهية من خلال العجائب الخارقة، أما بالنسبة إلى بولس، فإن قوّة الله هي التي تمكّن الإنسان الضعيف في ذاته من التحمّل والصبر.

فحينَ كنتُ معكم برهنتُ لكم أنّي حَواريُّ السّيِّدِ المَسيحِ بصَبْري على كلِّ ضيقٍ، وبالكراماتِ الّتي جرَت على يَدي، وبالأعمالِ الخارقَةِ والمُعجزاتِ الّتي أظهَرتُها بينكم. فهل عاملتُكم مُعاملةً أدنى مِن الجماعاتِ الأخرى؟ إلاّ أنّي لم أُثْقِلْ عليكم بمعاشي! فإنْ كان هذا ظُلمًا، فأرجوكم سامِحوني!

أنا مُستعِدٌّ الآن أن أزورَكم للمَرَّةِ الثّالثةِ. ولن أُثقِلَ عليكم بحاجياتي، فأنا أريدُكم أنتم لا مالَكم. وإنّي لكم في إيمانِكم أبٌ حنونٌ، فالأولادُ لا يُنفِقونَ على والديهم، بل يُنفِقُ الوالدانِ على أولادِهم. فها أنا أبذُلُ نفسي ومعها كلُّ شيءٍ من أجلِكم بكلِّ سُرورٍ. فإن كان حُبُّكم مُهجتي، فكيفَ تَبخلونَ بحُبِّكم عليَّ؟ إنّ بعضًا منكم يَعترفونَ أنّي لم أُثْقِلْ عليكم بحاجياتي، ولكنّهم يَزعمونَ في الوقتِ نفسِهِ أنّي مُحتالٌ أسلِبُكم أموالَكم بالمَكرِ والخديعةِ! هل أكونُ قد استغلَلتُكم من خلالِ الرِّجالِ الّذين أرسلتُهم إليكم لِيُساعِدوكم في جَمْعِ التَّبَرُّعاتِ من أموالِكم؟[1] ولقد رجوْتُ الأخَ تيتوسَ أن يَزورَكم، وأرسلتُ معهُ الأخَ الّذي ذكرتُهُ سابقًا. فهل أخذَ تيتوسُ لنفسِهِ شيئًا؟ ألم يكُن مِثْلي صادقًا مُستقيمًا؟ ألم نَسلُكْ معًا الطّريقَ القويمَ نفسَهُ؟[2]

ورُبَّما تعتقِدونَ أنّنا نُدافِعُ عن أنفسِنا بكلِّ ما نقولُهُ. كلاّ، إنّنا أتباعُ السّيِّدِ المسيحِ واللهُ يشهَدُ لنا، وإنّما قَصدُنا، يا أحِبائي، ترسيخُ إيمانِكم. وإنّي لأخشى أن أجِدَكم على غيرِ ما أُريدُ وتجِدوني على غيرِ ما تُريدونَ عندما أزورُكم، وأخافُ أن يكونَ بينَكم نزاعٌ وحسدٌ وغضبٌ وتحزُّبٌ وافتراءٌ، وشتائمُ وكبرياءُ وفتنةٌ. وأخافُ أيضًا أن يُذِلَّني رَبّي بسببِكم عندما أزورُكم، فأبكي لِفشلي في إرشادِ الّذين أذنبوا مِن قبلُ ولم يتوبوا ولم يرجِعوا عمّا ارتكَبوا مِن فسادٍ وفحشاءَ وفِسقٍ.

---

(1) كان الدجّالون الذين يعارضون بولُس يدَّعون أنّ امتناعه عن قبول دعم ماديّ من الكورنتيين، دليلٌ على عدم حبِّه لهم. واتّهموه بقولهم إنّ استقلاله المادي ناتج عن سرقة المال الذي جمعه لإغاثة المؤمنين الفقراء في القدس.

(2) أراد بعض المؤمنين في كورنتوس إعلاء شأنهم في المجتمع من خلال تقديمهم الدعم المالي للحواري بولس باعتباره معلّمًا مهمًّا. وعندما رفض قبول دعمهم، انتقدوه كثيرًا، كما انتقدوه أيضا بسبب جمعه المال لمساعدة المؤمنين الفقراء في القدس.

الفصل الثّالث عشر

13: 1ـ10 تحذيرات أخيرة

ستكونُ هذه زيارتي الثّالثةَ لكم. وعندما أصِلُ إليكم، سأعملُ بينَكم بما جاءَ في التّوراة: «لا حُكمَ في قضيّةٍ إلا بشهادةِ شاهدين أو ثلاثةٍ»،[1] ولقد حذَّرتُكم في زيارتي الثّانيةِ إليكم، والآن وأنا غائبٌ أكرِّرُ على سمعِكم ما قلتُه سابقًا، فاعلَموا أنّي إذا حضَرتُ بينَكم لن أُشفِقَ على الّذين أذنبوا مِن قبلُ، ولم يتوبوا عن ذُنوبِهم. وهذا هو دليلي القاطعُ الّذي طالبتُم بهِ دائمًا على أنّي أتكلَّمُ بلسانِ السّيِّدِ المَسيح! تزعُمونَ أنّي كنتُ بينَكم ضَعيفًا ذليلاً، فاعلَموا أنّ سيِّدَنا عيسى ليس ضَعيفًا بل إنّه قويٌّ، وأنا سأحاسِبُكم بقوَّتِه. إنّه وإن بدا في صَلبِهِ ضعيفًا، فإنّهُ الآن حيٌّ بقوَّةِ اللهِ، كما هو شأنُنا نحن أتباعُه إذ نعيشُ الضُّعفَ نفسَهُ، ولكنّنا عندَما نتعامَلُ معَكم سننعَمُ بحياةِ السّيِّدِ المَسيحِ القويّةِ بفضلِهِ وقُدرَتِهِ تعالى.[2]

اختَبِروا أنفسَكم، وتبيّنوا إن كنتم في الإيمانِ راسِخينَ. أجل، عليكم أن تختبِروا أنفسَكم! ألاَ تعرِفون أنّ سيِّدَنا عيسى المَسيحَ يَسكُنُ قُلوبَكم، إلاّ إذا فشِلتم في امتحانِكم وعُدتم خائِبينَ. ولكنَّكم ستعلَمونَ لا ريب حين أزورُكم أنّي حَواريُّ المسيحِ وأنّي فُزتُ في الامتحانِ. وإنّي أسألُ اللهَ ألاّ تَرفُضوا تأديبَنا فتكونوا بذلك من المُذنِبينَ، وأرجو أن تتوبوا قبلَ مَجيئي إليكم لكي لا أعاقِبَكم بسُلطتي، حتّى لو بدَوتُ للنّاسِ فاشِلاً وغيرَ قادِرٍ على مُمارسةِ سُلطَتي. فلا حاجةَ لتنفيذِ سُلطتي إن فعلتم الصَّوابَ،

---

(1) تفرض التوراة (سفر التثنية، 17: 6; 19: 15) على اليهود وجوب شاهدين على الأقل حتّى يتمكّنوا من توجيه تهمة إلى شخص ما. وقد اتَّبع أتباع السيد المسيح هذه القاعدة (انظر متَّى، 18: 16; والرسالة الأولى إلى تيموتاوي، 5: 19). اعتبر بولُس زيارته الموالية إلى كورِنتوس بمثابة دعوة قضائية في محكمة ووعدهم أنّه سيكسب القضيَّة.

(2) كان المؤمنون في كورنتوس يشبهون الوثنيين الموجودين حولهم بانبهارهم بفصاحة القادة وبمعجزاتهم، وكانوا يعظّمون المتكلّمين وصانعي المعجزات أكثر من تعظيمهم لله. لهذا السبب كان بولُس يؤكّد للكورنتيين أن قوّة الله قد كُشفَ عنها في عمل سيدنا عيسى (سلامه علينا)، أي في تضحيته على الصَّليب، الذي بدا لهم ضعفًا.

ولكنّي مُضطَرٌّ لمُمارسةِ سُلطتي عليكم فقط عندَما تبتَعِدونَ عن الصَّوابِ. فنحنُ على استعدادٍ أن نَبدو ضُعفاءَ إن كان هذا يؤدّي إلى تقويةِ إيمانِكم، وندعو اللهَ أن تكونوا في إيمانِكم راشِدينَ. وأكتبُ إليكم هذهِ الرِّسالةَ وأنا غائِبٌ عنكم، راجِيًا ألاّ أقسُو عليكم حينَ أَحِلُّ بينَكم. فلقد أمَرَني مَولاي (سلامُهُ علينا) أن أرَسِّخَ إيمانكم، لا أن أهدِمَهُ.

13: 11ـ14 تحيّات ختامية

وفي الختامِ، يا إخوتي في الإيمانِ، أصلِحوا ما بينَكم منَ الأخطاءِ، واعمَلوا بما نصَحتُكم بهِ، وكونوا في وِفاقٍ وسلامٍ، فاللهُ الّذي يمنحُ المَحبّةَ والسّلامَ يكونُ معكم. سلِّموا بَعضُكم على بَعضٍ بقُبلَةٍ طاهرةٍ. واعلَموا أنّ كلَّ المؤمنينَ يسلِّمونَ عليكم. رجاؤُنا أن تكونَ مَحبَّةُ اللهِ معكم جميعًا، وأن يكونَ فضلُ سيِّدِنا عيسى المَسيحِ بينكم، وأن يدومَ تواصلُكم برُوحِ اللهِ.

مدخل إلى رسالة غلاطية

كانت غلاطية مقاطعة رومانية تقع وسط ما يُعرف بتركيا اليوم، وهي إحدى المناطق التي أعلن فيها الحواري بولس رسالة السيّد المسيح (سلامُهُ علينا)، وكوّن فيها الكثير من جماعات المؤمنين. وكان الغرض من كتابة هذه الرّسالة، نسخها وتداولها بين تلك الجماعات.

ويعتقد معظم الباحثين المعاصرين أنّ هذه الرّسالة موجَّهة إلى الجماعات التي كوّنها بولس وبرنابا في هذه المدن: أنطاكية وإيقونية في منطقة فريجية، ولِسترة ودَربة في إقليم ليقونية، وأنّ بولس كتب هذه الرّسالة خلال رحلته الدّعوية التي قام بها صحبة برنابا (انظر سيرة الحواريّين، 13: 14 – 14: 23). ويعتقد بعض الباحثين أنّ الرّسالة إلى مؤمني غلاطية كُتبت في مدينة أنطاكية في سوريا في الفترة الممتدّة بين سنتي 48 و49 للميلاد، في حين يرجّح آخرون أنّها كُتبت في مدينة أنطاكية أو كورنتوس في الفترة الممتدّة بين سنتي 51 و53 للميلاد.

ونستطيع أن نفهم من خلال هذه الرّسالة أكثر المواضيع جدالا، تلك التي واجهها الأتباع الأوائل لسيّدنا عيسى (سلامه علينا). وأثّرت الطّريقة التي تناول بها بولس هذا الجدال بدرجة كبيرة على مستقبل دعوة رسالة السيّد المسيح. وكانت هذه الرّسالة بمثابة ردٍّ من الحواري بولس على أتباع السيّد المسيح من اليهود الذين اتّجهوا إلى غلاطية لنشر فهمهم الخاطئ لرسالة السيّد المسيح والمشوَّه لها، زاعمين أنّ عملهم يصحّح دعوة بولس، ويُكمِّل عقيدة المؤمنين بسيدنا المسيح من خلال حثّهم على ضرورة الختان، ومراعاة التّقاليد اليهوديّة الأُخرى من تحريم الطّعام وتحليله والاحتفال بالأعياد اليهودية والحفاظ على السّبت وقوانينه، حتّى يدخلوا بشكل كلّي في الدّيانة اليهوديّة. وبذلك يصبح أهل غلاطية من الورثة الحقيقيّين للنّبي إبراهيم (عليه السّلام)، وينضمّون إلى شعب الله المختار حسب ادّعاء دعاة التهويد.

فجاء ردّ الحواري بولس أنّ النّاس ينتمون إلى أُمّة الله، ويرثون الوعود التي أعطاها

لإبراهيم (عليه السّلام)، لا بدخولهم إلى الشّعب اليهودي، بل بالتوكّل الكامل على الله تعالى من خلال رسالة سيّدنا عيسى المسيح (سلامه علينا).

هكذا عالجت الرّسالة إلى مؤمني غلاطية الصّراع الذي أدّى في نهاية المطاف إلى انعقاد اجتماع خاصّ جمع الحواريّين بغيرهم من قادة المؤمنين لمناقشة هذه المسائل، وفيه خلصوا إلى إصدار قرار بهذا الشأن (انظر سيرة الحواريين، الفصل 15).

بسم الله تبارك وتعالى

رسالة الحَواريّ بولُس إلى أحباب الله في غلاطية

الفصل الأوّل

1: 1ـ5 تحيّة

مِن بولُسَ الحَواريِّ: ما كنتُ يومًا مِن النَّاسِ مُرسلاً، ولا أصبحتُ بِأَمرِهِم حَواريًّا مُختارًا، بل أَرسلَني سيِّدُنا عيسى المَسيحُ بإذنِ اللهِ الأبِ الصَّمَدِ الّذي أَحياهُ مِن الموتِ.[1] وقد قمتُ بكتابةِ هذه الرِّسالةِ مع جميعِ الإخوةِ المؤمنين معي، إلى جماعاتِ أَحبابِ اللهِ في مُقاطعةِ غَلاطِيَةَ.

سلامُ اللهِ ورَحمتُهُ يتنزَّلانِ عليكم مِن اللهِ أبينا الرَّحمن الرَّحيم، ومِن سيِّدِنا عيسى المَسيحِ. هو الّذي ضَحَّى بِنفسِهِ حتّى يَمحوَ ذُنوبَنا ويُنقِذَنا مِن فَسادِ هذه الدُّنيا الشِّريرةِ،[2] تلكَ إرادةُ اللهِ أبينا الرَّحيم، لتكُنْ له الهَيبةُ إلى أبد الآبِدين، آمين.

1: 5ـ10 التّحذير من الرّسالة المزيّفة

إنّي لَمُندهشٌ مِنكم دهشةً شديدةً! كيف تتركونَ اللهَ الّذي هداكم بفضلِ سيِّدِنا المَسيحِ بكُلِّ هذه السُّرعةِ، إنّكم لَتاركوهُ تعالى إلى قَولِ زورٍ كذوبٍ، بعيدٍ عن البُشرى

(1) ادعّى خصوم الحواري بولس أنّ سلطتهم تفوق سلطته، زاعمين أنه عُيّن من طرف جماعة المؤمنين في أنطاكية فقط، في حين تمّ إرسالهم من قبل الجماعة في القدس. وفي بداية رسالته يدحض بولس ادّعاءاتهم ويبيّن تفوّق سلطته على سلطتهم، لأنّه أرسل من قبل سيّدنا المسيح (سلامه علينا) بشكل مباشر. ومن الواضح أنّ بولس يعتبر أنّ سلطته تتساوى مع سلطة الحواريّين الاثني عشر.

(2) يقول بولس إنّ أتباع سيّدنا عيسى (سلامه علينا) لم ينتموا منذ الآن إلى عصر الحاضر الذي يعمّه الشّرّ، بل صاروا ينتمون إلى عصر آتٍ وهو عصر مملكة الله الموعودة الأبديّة لأنّ المسيح المنتظر قد حَلَّ.

السّارّة! وإنَّ مِن النّاسِ مَن يضايِقونكم ويشوِّهون رسالةَ السّيِّدِ المَسيح. ألا لَعنةُ اللهِ على كلِّ مَن دعاكم إلى غيرِ ما دعَوناكم إليهِ، حتّى إن كنّا نحن مَن دعا، أو ملاكٌ مِن السَّماءِ، إنّا قد أخبرناكم مِن قبلُ وها نحن نردِّدُ قولَنا مِن جديد: إنَّ كلَّ مَن يأتيكم بِغيرِ ما أتيتُكم به تتنزَّلُ عليه لعنةُ اللهِ ربِّ العالَمين!

وإنَّ بَعضَكم يَزعُمونَ أنّي أتملّقُ النّاسَ حتّى يتّبعوني عندما لا أُجبِرُ غيرَ اليهودِ على الختان. ولكن هل تصدِّقون الآنَ زعمَهم؟ هل في عتابي وتقريعي استِرضاءٌ للنّاسِ؟ أنا لا أُنافِقُ النّاسَ أبدًا، إنَّما أنا خادمُ السّيِّدِ المَسيحِ، وإنّ كلامي خالِصٌ لوجهِ اللهِ، وحُبٌّ لمَولاي المسيحِ![1]

1: 11-24 رفض بولس للمشكّكين

إخوَتي في الإيمانِ، اعلَموا أَنّ البُشرى الّتي بلغتُكم إيّاها لم تكن مِن اختراعِ بشر، ولا مِن تعليمِهِم ولم تصدُر عنهم، وإنّما هي ما كشَفَهُ لي سيّدُنا عيسى المَسيحُ مُباشرةً!

وتعلمونَ كيف أنّي كنتُ مُتمسِّكًا بدينِ اليهودِ في حياتي، وكنتُ أسعى جاهدًا إلى اضطهادِ أُمّةِ اللهِ كي أُبيدَهم مِن الوجودِ.[2] وكنتُ أكثرَ أترابي عِلمًا بدينِ اليهودِ، وأكثرَهم حَماسًا لتقاليدِ آبائنا الأوّلين. ولكنَّ اللهَ بِفضلِهِ اصطفاني وأنا في بَطنِ أُمّي، واختارَني فَردًا مِن صَحابةِ السَّيِّدِ المَسيحِ. فلمّا شاءَ أن يتجلّى أمامي الابنُ الرُّوحيّ له

---

(1) أخبر الحواري بولس المؤمنين غير اليهود أنهم انضمّوا إلى شعب الله دون إجبارهم على ممارسات يهوديّة معيّنة كقواعد الأكل، والأعياد وخاصّة الختان. كان الإغريق والرّومان ينظرون بازدراء إلى هذه الممارسات، وخاصة الختان الذي كان يُنظر إليه كتشويه وحشي للجسم. وقد ادّعى دعاة التّهويد الذين كانوا معارضين لبولس أنّه كان يروم «إرضاء النّاس» من خلال استغنائه عن الختان وغيره من التّقاليد اليهوديّة، وذلك حتّى يجعل اتّباع السيّد المسيح أمرًا يسيرًا على غير اليهود. وهؤلاء الدّعاة الذين ادّعوا أنهم حواريّو السيّد المسيح نعتوا بولس بالنّفاق أيضًا لأنّه طالب بالختان في بعض الأحيان عندما يكون الأمر في صالحه (انظر غلاطية 5: 11). ورأى المعارضون أنّ الإيمان بالمسيح المنتظر عند اليهود يستوجب الالتزام بالعادات التي كانوا يرون فيها فرائض واردة في ميثاق الله مع اليهود. وزعموا أنّ بولس توصّل إلى حلّ توفيقي بعدم إجبار غير اليهود على اتّباع هذه العادات، وبذلك اعتبروا هذا الأمر تبسيطًا للرّسالة واستخفافًا بها.

(2) كان بولس يضطهد أتباع السيّد المسيح من اليهود قبل أن يصبح مؤمنًا بسيّدنا عيسى، لأنّه كان يعتقد أنّهم يخونون التّقاليد الدّينيّة اليهوديّة (انظر سيرة الحواريّين 8: 1-3). ويُطلق مصطلح اليهوديّة على المعتقدات والممارسات التي تطوّرت خلال الفترة الممتدّة بين آخر كتابات الأنبياء الأوّلين ومجيء السيّد المسيح.

تعالى[1] لكي أُبشِّرَ به أُممًا مِن غير اليهودِ، لم أكن أحتاجُ إلى استشارةِ النّاسِ في حَقيقةِ الرُّؤيا! فلم أذهبْ إلى الحَواريِّين في القُدسِ، أُولئك الّذين اختارهم اللهُ لنشرِ الرِّسالةِ قَبلي. بل ذهبتُ إلى بلادِ العَربِ،[2] ثُمّ رجعتُ إلى دِمشقَ. وبَعدَ ثلاثِ سَنواتٍ مِن اهتدائي سِرتُ إلى القُدسِ حتّى أتعرَّفَ بالحَواريِّ بُطرسَ الصَّخرِ، وأَقمتُ عندَهُ خمسةَ عَشَرَ يومًا لا غير. حتّى إنِّي لم أَجدْ حاجةً إلى زيارةِ بَقيَةِ الحَواريِّين، مع أنّي زُرتُ الحَواريَّ يَعقوبَ أخَ سيِّدِنا عيسى. وإنِّي أُعلنُ أمامَ اللهِ أنّ ما تقرؤونَهُ منّي حقٌّ يقينٌ.

وبَعدَ ذلك تجوَّلتُ في بَعضِ بِلادِ سوريا وكيلِكيّة. ورَغم كلّ ما قمتُ به، فإنّ جماعاتِ أتباعِ السَّيِّدِ المَسيح في فِلسطِينَ لم تكن تعرف عنِّي شيئًا باستثناءِ ما بَلَغها عنّي مِن النّاسِ، إنَّ «الرَّجلَ الّذي كان يضطهِدُنا سابقًا، أصبحَ الآنَ داعِيةً بالإيمان الّذي حاولَ إبادتَهُ مِن قبلُ». فكانوا يسبِّحونَ اللهَ بسببِ اهتدائي إلى الإيمانِ بالسّيِّدِ المَسيحِ.

الفصل الثّاني

2: 1-10 اعتراف الحَواريِّين ببولُس

وبَعدَ أَربعَ عشرةَ سنةً، ذهبتُ مرّةً أُخرى إلى القُدسِ، برفقةِ بَرْنابا وتيتوسَ.[3] ولم

(1) إن كلمة «الابن الرّوحي لله» هنا تعريب للمصطلح الذي يُترجم عادة بكلمة «ابن». ولكن لا علاقة لمعناه مطلقا في لغة الوحي اليونانية بعملية الإنجاب المألوفة. معاذ الله! بل هو لقب مجازي للملك المختار الذي يجب أن يكون من سلالة النبي داود. وهذا اللّقب يشير إلى الصّلة الحميمة بين الله والسيّد المسيح، وعلى هذا الأساس يمنح المسيح أتباعه الحقَّ ليكونوا من أهل بيت الله. ويعني هذا اللّقب أيضًا أنّه المسيح المنتظر الذي يحكم المملكة الأبديّة التي وعد الله بها عباده الصّالحين. وهو كلمة الله التي ألقاها إلى مريم العذراء فأصبحت بشرا بقوّة روحه تعالى. وكلمة الله، حسب الإنجيل، هي صفة قائمة في ذاته تعالى. ومن هذا المنطلق نفهم السّلطة التي يمتلكها السيّد المسيح (سلامه علينا) على بيت الله وهي سلطة شبيهة بسلطة الابن البكر في العائلة. وترد قصة ظهور السيّد المسيح لبولس في سيرة الحواريين، أي أعمال الرّسل 9: 1-22؛ 22: 3-16؛ و26: 9-18.

(2) تشير بلاد العرب هنا إلى مملكة العرب الأنباط التي كانت تمتدّ من المنطقة المحيطة بدمشق جنوبًا مرورًا بالبتراء عاصمة المملكة.

(3) كان الحواري برنابا يهوديًّا من قبرص، وكان يعمل إلى جانب بولس على نشر رسالة السيّد المسيح (انظر سيرة الحواريّين 13: 1 14-: 28). كان تيتوس تابعا لسيّدنا عيسى، ولم يكن

أذهبْ إلاّ بِرؤيا مِن اللهِ أَمَرَني فيها بهذه الرِّحلةِ، واجتَمَعتُ في القُدسِ اجتِماعًا خاصًّا بكبارِ المؤمِنين، وكشفتُ لهم دَعوايَ لغيرِ اليهودِ، لعلَّهم يقتنِعونَ بصِحَّتِها، ويَعترِفونَ بها، حتّى لا يضيعَ جُهدي في الرِّسالةِ هَباءً.[1] ولقد وافقَ هؤلاء الكبارُ على رسالتي، ولم يفرِضوا الخِتان على تيتوسَ رفيقي في الدَّعوةِ مع أنّه يونانيٌّ. ولقد طَرحَ هذا المَوضوعَ بَعضُ مَن يَزعمونَ أنّهم أَتباعُ المَسيحِ، فاندَسّوا بيننا يتربَّصونَ، ويُفسِدونَ ما مَنّ اللهُ علينا من خِلال سيِّدِنا عِيسى المَسيحِ الّذي حرَّرَنا مِن تقاليدِ الدِّينِ، وكانوا يتعمّدونَ استعبادَنا مِن جديد. ولكنَّنا لم نستسلِم ولم نخضَع لطلَبِ خِتانِ تيتوس ولو لحظةً واحدةً، حتّى نُحافظَ على رِسالةِ سيِّدِنا المَسيحِ الحقِّ مِن أجلِكم.[2]

ويَحظى الحَواريّونَ يَعقوبَ وصَخرٍ ويُوحنَّا بمكانةٍ عاليةٍ بين المؤمنين، ولكنّي لا أُبالي بمكانتِهم تلكَ، لأنَّ اللهَ لا يُحابي أحدًا، فهؤلاء الحَواريّونَ إذن لم يُضيفوا شيئًا إلى دَعوتي بين غيرِ اليهودِ. لكنّهم في المُقابِلِ رأَوا أنّ اللهَ قد جعلَني مُناديًا برسالَةِ سيّدِنا عيسى بينَ غيرِ اليهودِ، كما أوكَلَ إلى بُطرُسَ الصَّخرِ أن يكونَ مُناديًا إلى سيّدِنا بين اليهودِ. لأنَّ اللهَ اختارني وقَوّاني مُرسَلاً لغيرِ اليهودِ مثلما اختار صَخرًا وجعلَهُ حَواريًّا وقَوّاهُ مُرسَلاً إلى اليهودِ وعِندَما رأى يَعقوبُ وصَخرٌ ويُوحَنَّا (باعتبارِهِم أركانَ جَماعةِ المؤمِنين) فَضلَ اللهِ عليَّ صافحوني باليدِ أنا وبَرْنابا، مُؤكِّدينَ أنَّنا نُشارِكُهم في الدَّعوةِ، فاتّجهُ برسالةِ المَسيحِ مع بَرنابا إلى غيرِ اليهودِ، وَهُم يتّجهون إلى اليهودِ. ولم يطلبوا مِنّا شيئًا سِوى تَجميعِ المالِ لفُقراءِ القُدسِ، وهو ما كنتُ دائمًا أرغب فيه بشِدّةٍ.

= يهوديًّا. وقد عمل في وقت لاحق على نشر رسالة السيّد المسيح إلى جانب بولس في مدينة أفاسوس. ومن هناك أرسله بولس كمندوب له للمؤمنين في مدينة كورنتوس (انظر رسالة بولس الثّانية إلى مؤمني كورنتوس 8: 23). وبعد مرور بضع سنوات على هذا الحدث، تركه بولس في جزيرة كريت للإشراف على جماعات المؤمنين هناك (انظر الرّسالة إلى تيتوس 1: 5).

(1) يردّ الحواري بولس على منتقديه في غلاطية الذين ادّعوا أن سلطته أقل شأنًا من سلطة الحواريين في القدس الشريف، ويشير أن ذهابه إلى القدس لم يكن استجابةً لدعوة الحواريين في القدس، أو استجابة لسلطة أي إنسان آخر، بل كان طاعة لأمر الله فقط.

(2) بما أنّ اليهود ركّزوا باستمرار على الختان باعتباره علامة تميّزهم عن غيرهم، فجعلوا منه أساسا لهويّتهم، إذ اعتبر معظمهم المختونين فقط من اليهود، والمختونون وحدهم شركاء في ميثاق الله، وهم فقط المنتمون لشعب الله المختار. فليس من الغريب إذا أن يحاول بعض أتباع سيّدنا عيسى من اليهود فرض الختان على تيتوس (انظر سيرة الحواريّين 15: 5).

2: 11-14 بولس يُعاتب صخرًا

ولمّا قَدِمَ صَخرٌ إلى مَدينةِ أنطاكيةَ، واجَهتُهُ أمام المَلإِ في أمرٍ أتاهُ كان فيهِ على خطإٍ جَسيم. إنّه كان يأكلُ خُبزًا ومِلحًا مع الإخوانِ مِن غيرِ اليهودِ، إذ أقبلَ عليه مِن عندِ الأخِ يَعقوبَ بَعضُ الرِّجالِ مِن اليهودِ المؤمنين، فامتنعَ عن الأكل مع إخوانِهِ وانزَوى ليأكلَ وَحدَهُ خائفًا مِن انتقادِ هؤلاء الّذينَ يَصِرُّونَ على خِتانِ كلِّ أتباعِ المَسيحِ وتَهويدِهم، حتّى يقبَلوهُم إخوةً لهم في الإيمانِ.[1] وانساقَ معه في هذا النِّفاقِ آخرونَ مِن المؤمنِينَ اليَهودِ الموجودينَ هُناك، بل إنّ بَرنابا نفسَهُ انقادَ إلى نِفاقِهِم، فلمّا رأيتُ أنَّهم يَنحرِفونَ عن نَهجِ سيِّدِنا المُستقيم، خاطبتُ بُطرُسَ الصَّخرَ على مَسمعِ جَميعِ الحاضرينَ: «أنتَ، يا صَخرُ، يهوديُّ الأَصل، ولكنّك لا تكترثُ لعاداتِ اليهود. فكيفَ تَرفُضُ إيمانَ غيرِ اليهودِ؟! أليس في امتناعِكَ عن الأكلِ مع المؤمنين، إجبارٌ لهم على العاداتِ الّتي تركتَها؟!»[2]

2: 15-21 لا فرق بين المؤمنين

«اسمعْ يا صخرُ، نحن يهودٌ أَبًا عَن جَدٍّ، ولسنا مِن الأغرابِ. ويوجدُ في شعبِنا مَن يزعُمُ أنَّ غيرَ اليهودِ خطّاؤونَ لكونِهِم أَغرابًا! ونَحن اليهودُ نعلَمُ أنَّ اللهَ لا يَرضى عن

(1) في ذلك الزّمن في الشّرق الأدنى القديم، كان تقاسُم الطّعام أمرًا مهمًّا جدًّا وهو تعبير عن قبول الآخر. وكان لتقاسم وجبة الطّعام بُعدٌ ديني في التفكير اليهودي. ومع ذلك، كان معظم اليهود لا يتقاسمون سوى الطّعام الذي خضع لقوانين الأكل الخاصّة بهم، إضافة إلى تقاليد أخرى تطوّرت بعد ذلك. وكانت هذه القوانين الخاصّة بالأكل مهمّة جدًّا بالنسبة إلى اليهود، حيث يُنبذ من الشعب كل يهوديّ يأكل الدّم. ومدحوا أبطال اليهود العظماء الذين عاشوا في الفترة التي سبقت مجيء السيّد المسيح مباشرة بسبب ولائهم لقوانين الأكل ورفضهم تناول طعام الأغراب. وشهدت فترة كتابة هذه الرّسالة توتّرًا كبيرًا بين اليهود وقوّات الاحتلال الرّوماني في فلسطين، لذلك كان من الطّبيعي بالنسبة إلى اليهود أن يحافظوا على التّقاليد التي تميّزهم عن بقيّة الشّعوب، أمّا بالنسبة إلى أتباع السيّد المسيح، فقد أظهروا منذ البداية روح الوحدة والإخاء من خلال تقاسُم وجبات الطّعام مع بعضهم بعضا (انظر سيرة الحواريّين 2: 42، 46). وقد وافق الحواري بطرس من قبلُ على أنّ هذه القوانين لا تخصّ أتباع المسيح من غير اليهود (سيرة الحواريّين 11: 1-18)، لكن يبدو أنّه قد غيّرَ موقفه بسبب ضغط أتباع الحواري يعقوب.

(2) يدلّ رفض الحواري بطرس للأكل مع المؤمنين من غير اليهود، على رفضه الضمني لمساواة هؤلاء مع المؤمنين اليهود، وهو إقرار إلى حدٍّ ما أنهم غير طاهرين وغير مقبولين لدى الله ما لم يتّبعوا القوانين والتقاليد اليهوديّة الخاصّة بالأكل والختان والسّبت. ويشير بولس إلى أنّ بطرس بتصرّفه هذا إنّما يجبرهم على اتّباع مثل هذه العادات كشرط لقبولهم إخوة في الإيمان.

النّاسِ بِسببِ تمسُّكِهم بشكليّاتِ التَّوراةِ، بل يَجعلُ الإنسانَ مِن جَماعتِهِ بإيمانِهِ بسيِّدِنا عيسى المَسيحِ، لذلك آمنّا بِالسّيّدِ المَسيحِ كي نَحظى بمَرضاةِ الله، فلا نكتفي بشكليّاتِ التّوراةِ. إنَّ اللهَ لا يَرضى عن عِبادِهِ لأنّهم مُتمسِّكون بشكليّاتِ التَّوراةِ.[1]

«يا صخرُ، لن يتقبّلَنا اللهُ عِندَهُ إلاّ بحقِّ سيّدِنا المَسيحِ، وأمّا اليهودُ الّذين يَقولونَ إنّنا خَطّاؤونَ لأنّنا نأكلُ مع الأجانبِ مِن المؤمنينَ الّذين لا يَكترثونَ لعاداتِ التَّوراةِ، فباطلٌ ما يُروِّجونَهُ، أترى أنَّ السّيِّدَ المَسيحَ يَدعونا إلى الآثام، حينَ يَطلبُ مِنّا أن نأكلَ مع إخوانِنا الأغرابِ؟! حاشا للهِ![2] فإذا عدتُ إلى بِناءِ ما هَدمتُهُ مِن عاداتِ الدِّينِ الّتي كنتُ أُدافعُ عنها وأَحميها في الماضي، فإنّي أخونُ بذلك إيماني بالسّيِّدِ المَسيحِ!»

نعم، كنتُ مُتحمِّسًا لِلتّوراة، ولكنّي تَحرَّرتُ مِن حَماستي، وبُعِثتُ مِن قيودِ تقاليدِها، وحَسبي أن أَحيا الآنَ لمَرضاةِ اللهِ.[3] لكأنّي صُلِبتُ مع السّيِّدِ المسيحِ ورحلَتْ حياتي القديمةُ، ولكنّي الآنَ حيٌّ لأنَّ المَسيحَ يَحيا في قَلبي، وما حَياتي الآنَ، إلاّ حَياةُ الإيمانِ، وهو الإيمانُ بالمَسيحِ، الابنِ الرُّوحيِّ للهِ الّذي أَحبَّني فافتداني بنفسِهِ، فكيف أَكونُ بِفَضلِ اللهِ عليَّ كفورًا؟ فلو كان الحُصولُ على مَرضاةِ اللهِ ناتجًا عن الانتماءِ إلى أهلِ التّوراةِ، فلا حاجةَ إذن لتَضحيةِ السّيّدِ المسيح![4]

---

(1) لا يقلّل بولس من قيمة توراة النّبي موسى في حدّ ذاتها، لأنّه يؤكّد بوضوح أنّها مقدّسة ومستقيمة وطاهرة (انظر الرّسالة إلى مؤمني روما 7: 12). لكنّه يعارض الاستخدام الخاطئ للتوراة كأساس للقبول عند الله.

(2) إنّ ما أثار دهشة الحواري بولس هو اكتشافه أنّ إخوانهم المؤمنين اليهود قد اعتُبروه ورفاقه من الضّالّين بسبب تناولهم الطّعام مع المؤمنين من غير اليهود. فعلى الرّغم من أنّ اليهود وغيرهم قد آمنوا على حد سواء بسيّدنا المسيح كشرط لقبولهم لدى الله، فإنّ جماعة من الحواري يعقوب ظلّت تصرُّ على اعتبار المؤمنين من غير اليهود من الضّالّين، أي خارج شعب الله، شأن اليهود الذين تجاهلوا تلك الحدود والتّقاليد من خلال تناولهم الطّعام مع إخوانهم من غير اليهود.

(3) كان بولس يهوديا متحمسًا للتوراة، وقد اضطهَد بعنف المؤمنين بسيدنا عيسى (سلامه علينا) من أجل الحفاظ على الهوية المميزة لبني اسرائيل وحقوقهم. وفي تلك الفترة وجد نفسه يومًا وجهًا لوجهٍ مع السيد المسيح الذي انبعث حيًا من الموت، ونتيجة ذلك اللقاء تغيَّرَ فهمُه تمامًا لشرع النّبي موسى ووعود ميثاق الله.

(4) لقد أعادت تضحية السيّد المسيح وقيامته تشكيل شعب الله، فأخرجته من تحت حكم الدّيانة اليهوديّة إلى عالم جديد ما زال الله بصدد تشكيله.

الفصل الثّالث

3: 1-12 أساس قبول الله للإنسان

يا أَهلَ غلاطيَةَ، أيُّها الأغبياءُ! هل أَصابَكم أَحدٌ بِالعين؟! لقد أوضحنا لكم بِكلِّ دقّةٍ صَلبَ سَيِّدِنا عيسى المسِيحِ. دعوني أسأَلُكم عن أمرٍ واحدٍ لا غيرَ: هل كرَّمَكم اللهُ برُوحِهِ لأَنَّكم تقلِّدون شكليّاتِ التَّوراةِ، أَم لأَنَّكم قَبِلتم رِسالةَ السّيّدِ المَسيحِ وآمنتم بها؟ هل بَلغَتْ بلاهتُكم إلى هذا الحدِّ؟ لقد بدأْتُم مَسيرتَكم باعتمادِكم على رُوحِ اللهِ، فهل تظُنّونَ أنَّكم قادرونَ على الوصولِ إلى نِهايةِ الطَّريقِ باستغنائِكم عنها، مُكتفين بالتّقاليدِ البشريّةِ؟[1] تُرى، هل كانت تجاربُكم في الإيمانِ كلُّها دون جَدوى؟ كلاّ! إنَّما يَمنحُكمُ اللهُ رُوحَهُ ويُجري على أَيديكمُ الكَراماتِ، لا بتمسُّكِكم بشكليّاتِ التَّوراةِ، بل بإيمانِكم برسالةِ السّيِّدِ المَسيحِ!

أَفما رأَيتم ما جاءَ في التَّوراةِ عنِ النَّبيِّ إبراهيمَ، إذ آمن بوعدِ اللهِ فحَسَبَهُ تَعالى مَرضيًّا،[2] لذا، فكلُّ الّذين آمنوا بوعدِ اللهِ يَنتسِبونَ إلى أصلِ إبراهيم، لا رَيب، ويُعتبرونَ مِن شعبِ اللهِ المُختارِ![3] بل إنَّ اللهَ أوحى في الكتابِ أنَّهُ يجعلُ مِن غيرِ اليهودِ عبادًا صالحينَ لأنّهم يتوكَّلونَ على وعدِهِ، ولقد كَشَفَ تَعالى هذه البُشرى لإبراهيمَ منذُ زمانٍ بعيدٍ حين قال: «بِكَ سَتَنعَمُ شُعوبُ الأَرضِ كلِّها ببَركاتي».[4]

لذا، فإنَّ اللهَ يباركُ كلَّ مَن آمن بوعدِهِ، مِثلَما باركَ النَّبيَّ إبراهيمَ لإيمانِهِ. أمّا الّذين

---

(1) يقارن الحواري بولس حلول قوّة روح الله في الإنسان، بالتّعليم الذي يبرز الاختلافات الجسديّة والعرقيّة. وحسب بولس فإنّ التركيز على الختان قد صنع حاجزًا عرقيًّا منع رحمة الله عن غير اليهود، وجعل اليهود الذين كانوا خاضعين لهذه التقاليد ينقادون بضعفهم الإنساني.

(2) يقتبس بولس هنا من التوراة، سفر التكوين 15: 6.

(3) ترتبط هوية الناس في المجتمع اليهودي ارتباطًا وثيقًا بعلم الأنساب الخاصّ بهم. لكن الحواري بولس يشير إلى أن الانتساب الصحيح للنبي إبراهيم هو الانتساب المبني على الثقة بالله الذي أقام سيدنا عيسى حيًّا من بين الأموات. فإبراهيم (عليه السّلام) لم يكن يهوديًّا ولكن الله قبله بسبب إيمانه وتوكّله عليه. ودون هذا الإيمان والتوكّل على الله، يكون الانتساب العرقيّ للنّبي إبراهيم فاقد للأهميّة.

(4) التوراة، سفر التكوين 12: 3

اتّكلوا على شكليّاتِ التّوراةِ، فاللعنةُ تلاحقُهم، لأنّه ورد في التَّوراة: «كلُّ مَن يترك بعضَ الأوامرِ المَذكورةِ في كتابِ التَّوراةِ ويتّبعُ بعضَها الآخر تلاحقُه اللعنةُ».[1] لا أحدَ يَنالُ مَرضاةَ اللهِ بفضلِ شكليّاتِ التّوراةِ، أفَلا تُبصرونَ؟ فلقَد جاءَ على لسانِ النّبيِّ حبَقوق: «كلُّ مَن يَرضى اللهُ عنهُ يَحيا بالإيمانِ الحياةَ الرَّضية».[2] أمّا نَهجُ الإيمانِ هذا، فإنّه يَختلفُ عن نَهجِ الشَّرعِ القائمِ على المَبدإ الّذي ذُكر في التَّوراةِ: «مَن يَتمسَّك بكُلِّ هذه الوصايا يَحيا الحياةَ الرَّضيّة».[3]

3: 13-18

وتخبرُنا التَّوراةُ أنّ كلَّ مَن يتعدّى حُدودَ ميثاقِ اللهِ تلاحقُه اللعنةُ، ولكنَّ السّيّدَ

(1) يقتبس الحواري بولس من التوراة، من سفر التثنية 27: 26. جاء أيضًا في سفر التثنية ذكر بركات الطاعة لشريعة النبي موسى مذكورة في 28: 1- 14، أما لعنات العصيان فمذكورة في 28: 15-68. ويعتقد بعضُ المفسّرين أنّ بولس يريد القول إنّ اليهود تصيبهم اللعنة ما لم يتّبعوا وصايا التوراة بشكل كامل. لكن ذلك غير صحيح، لأن شريعة موسى (عليه السّلام) تنصّ على التكفير عن الخطايا، والتوبة، والغفران من خلال النظام القرباني في حرم بيت الله. وهذا هو سبب وصف بولس نفسه بأنه كان «بلا عيب» قبل أن يهتدي إلى الإيمان بالسيد المسيح (انظر فيليبي 3: 6). إنما يقول بولس إنّ أصحاب النظرة الإقصائية القومية الضيقة لميثاق الله يسيئون التعاطي مع جوهر تعاليم شريعة موسى، حيث تمثل الثقة والتوكل على الله أساس العلاقة بين الله والبشر. ويؤكّد في 3: 12 أن وصايا التوراة نزلت لمساعدة الناس على التعبير عن توكلهم وطاعتهم لله بشكل عملي. لكن معارضي بولس كانوا يفضّلون اتّباع بعض التقاليد اليهودية من أجل التفاخر أنهم شعب الله المختار، واستخدموا هذه التقاليد لإقصاء الشعوب الأخرى، وهكذا حاولوا منع بقية الشعوب من إمكانية الإيمان والتوكل على الله، خاصّة أن الله وعد أن يبارك هؤلاء من خلال النبي إبراهيم (عليه السّلام). وهؤلاء اليهود يُنكرون جوهر ميثاق الله ألا وهو ورحمة الله ووعوده، وبذلك تصيبهم اللعنة كما جاء في شريعة موسى (عليه السّلام).

(2) يقتبس بولس هنا من كلمات النّبي حبقوق (2: 4)، وقد قالها قبل أن يغزو البابليون بني إسرائيل بفترة قصيرة. لقد وعد الله أنّه سيحفظ حياة كلٍّ من يتوكّل عليه رغم ما سيصيب الشّعبَ من كوارث. وقد اقتبس بولس هذه الآية ليحثّ المؤمنين على الإيمان بالله والتوكّل عليه كَسِمَة ملازمة لحياتهم من البداية إلى النهاية، أي أنّ مفتاح العلاقة مع الله هو التوكّل عليه والإيمانَ به، وليس الوفاء لبعض التقاليد.

(3) يقتبس بولس هذا المقطع من التوراة، سفر اللاّويين 18: 5، والغاية منه هي وصف سلوك المؤمن المنتمي إلى ميثاق الله. جاءت شريعة النّبي موسى كوسيلة لتنظّم الحياة في إطار الميثاق، لا كأساس للميثاق نفسه، وتهدف إلى المحافظة على كيان شعب بني يعقوب حتّى لا يتوهوا ويتشتّتوا في العالم. والحياة الرّضيّة عند بولس لا تكون بالانتماء إلى شعب بني يعقوب بل بالإيمان بالله والتوكّل عليه.

المَسيحَ أنقذنا مِنها، وتحمَّلَها عِوضًا عنّا، كما وَرَدَ في التّوراةِ: «كلُّ ميّتٍ يُعلّقُ على خشبةٍ فقد حلّتْ عليه اللعنةُ».[1] وإنَّما حمل عنَّا سيِّدُنا عيسى عقوبةَ الانفصالِ عن أُمَّةِ الميثاقِ حتّى يُنعمَ اللهُ ببركاتِهِ على المؤمنينَ به مِن كلِّ الأُممِ، وَعدًا مِن اللهِ لسيّدِنا إبراهيم، وعلى أساسِ الإيمانِ بالسَّيِّدِ المسيحِ نَحظى بهبةِ رُوحِ اللهِ وفقًا لِما جاءَ في وعدِهِ تَعالى.[2]

إخواني المؤمنين، أَخواتي المؤمناتِ، سأُعطيكم مَثَلاً عن المُعاملاتِ بين النّاسِ: فإذا قام شخصانِ بإبرامِ ميثاق، فلا أحد غيرَهما يمكنُهُ إبطالُهُ أو الإضافةُ إليهِ.[3] كذلك شأنُ ميثاقِ اللهِ حينَ اختارَ إبراهيمَ نبيًّا، إذ وهب اللهُ وَعدَه لإبراهيمَ وذُريتِهِ. والقصدُ مِن الوعدِ أنْ ينالَه فَردٌ مُعيَّنٌ، لا ذرِّيَّتُهُ كلِّها، وكان يُشيرُ بذلك إلى نسلِهِ الّذي هو السّيِّدُ المَسيح.[4] لقد أقام اللهُ معَ النَّبيِّ إبراهيمَ ميثاقًا، فكيف لتوراةِ النَّبيِّ موسى وقد أُنزِلَت بعدَ ذلك بأربعِ مئةٍ وثلاثينَ سنةً تَقريبًا أَن تُلغيَ ذلك الميثاقَ؟ هذا يَعني إبطالَ وعدِ الله! أيُمكنُ أن نُصبحَ مِن أُمّةِ إبراهيمَ فنرثَ مِنَ اللهِ البركاتِ باعتمادِنا على التّوراةِ؟ كلاّ! إذن يَصيرُ الوعدُ وعدًا مَنسيًّا! والحقُّ أَنَّ اللهَ أَعطى سيِّدَنا إِبراهيمَ (عليه السّلام) هذا الوعدَ نِعمةً منهُ.

3: 19-29 القصد من التّوراة

هل تعلمون لماذا أُنزِلَتِ التّوراةُ على النّاسِ؟ أنزَلَها اللهُ، بَعدَ وعدِهِ للنَّبيِّ إبراهيمَ

---

(1) ذُكرت اللّعنة المشار إليها هنا في الآية 10. ويقتبس بولس هنا من التوراة، سفر التثنية 21: 23. إنّ كلّ من يخلُّ بالميثاق يجلب لنفسه اللّعنة والاستبعاد من شعب الميثاق.

(2) ما دام الغريب مستبعدًا من أهل الميثاق، فإن غير اليهود لا نصيب لهم في البركات الخاصّة بأهل الميثاق أي اليهود. لكنّ غطرسة بني يعقوب مع إحساسهم بالتّفرّد والتّفوّق على بقيّة الأمم جعلتهم خارج الميثاق لأنهم أساءوا فهم جوهره وحجر أساسه، ألا وهو الثّقة بالله والتوكّل عليه.

(3) يمكن تعديل الميثاق من قبل الطّرفين المعنيّين، ولكن لا دخل لطرف ثالث في ذلك. ويريد بولس أن يبيّن أنّ شريعة النّبي موسى هي الطّرف الثّالث فلا تأثير لها على ميثاق النّبي إبراهيم.

(4) تشير كلمات بولس عن نسل النبي إبراهيم إلى الميراث الذي وعد الله به النّبي إبراهيم (انظر التوراة، سفر التكوين 13: 15؛ 17: 8؛ 26: 3؛ 28: 4؛ 28: 13 و 35: 11-12). ومن المرجّح أنّ بولس قد اقتبسها من سفر التكوين 35: 11-12، لأنّها تأكيد نهائي من الله على وعوده للنبي إبراهيم، وهي موجّهة إلى يعقوب (عليه السّلام) قبل انتقاله وابنائه إلى مصر بفترة وجيزة. وحدث كل هذا قبل نزول شريعة النبي موسى بـ 430 سنة.

لِحمايةِ النّاسِ مِنَ المَعاصي والخطايا. وإنَّها لَباقيَةٌ حتّى يأتيَ سليلُ النَّبيِّ إبراهيمَ السَّيِّدُ المسيحُ المَوعودُ للنّاس. ثُمَّ إنَّ اللهَ أعطاها للملائكةِ ليُنزلوها على النّبيِّ موسى، فكان (عليه السّلام) الصِّلةَ بينَ اللهِ والنَّاسِ. كذلك شأن الاتِّفاق بين طرفينِ، فلا بدّ من وسيطٍ بينهما، أمّا وعدُهُ تعالى للنَّبيِّ إبراهيمَ فكان رحمةً منهُ بلا وَسيطٍ ولا مُقابلٍ.

هل يعني هذا أنَّ التّوراةَ ووعودَ اللهِ في تعارُضٍ شديدٍ؟ كلاّ! بما أنَّ التّوراةَ عاجزةٌ عَن جعلِنا مِن الخالِدينَ، فكيفَ تكون هي أساسَ قبولِ اللهِ للمؤمنين؟! إنَّ كُتُبَ اللهِ السَّماويّةَ تكشفُ أنَّ النّاسَ مُقيَّدون بالذّنوبِ والخطايا سواءٌ أكانوا يهودًا أم غيرَ يهودٍ، لهذا فَإنَّ الصِّراطَ المستقيمَ للحُصولِ على الوعودِ، هو الإيمانُ بسيِّدِنا عيسى المَسيحِ المنتظِرِ.

فقد كنّا نحن اليهود، قبل قدومِ السّيّدِ المسيح، تحت حِراسةِ التّوراةِ، مُقيّدين إلى أن ينكشِفَ لنا طريقُ الإيمانِ هذا، ولقد كانت التّوراةُ بمَثابةِ الوَصيّ علينا، تقودُنا إلى الإيمانِ بالمَسيحِ، لنفوزَ بمَرضاةِ اللهِ، ولمّا حلَّ بيننا هذا الإيمانُ، لم نعُد في حاجةٍ إلى حِمايةٍ من التّوراةِ بعد أن أصبحنا تحت حِمايةِ السّيّدِ المسيح.

يا أَهلَ غلاطيَةَ، أنتم جميعًا مِن أهلِ بيتِ اللهِ الآنَ، لأنّكم آمنتم بسَيّدِنا عيسى المسيحِ. وبعد أن تطَهّرتم بالماءِ صِبغةً للهِ، فإنّ كلَّ الفضائلِ في حياةِ السَّيِّدِ المَسيح هي لكم بُردةٌ ورِداءٌ، كلُّكُم عند اللهِ سواءٌ، لا فَرقَ بين يهودٍ وغُرباءَ، وعبيدٍ وأحرارٍ، ورجالٍ ونساءٍ، فكلُّكم واحدٌ باعتِصامِكم بالسّيِّدِ المسيحِ، وبما أنّكم صِرتم تابعين للسّيِّدِ المسيحِ، فأنتم حقًّا أُمّةُ النَّبيِّ إبراهيمَ (عليه السّلام) ومِن أصلِهِ الشَّريفِ، وورثةُ بركاتِ اللهِ الّتي وعدَهُ بها.

الفصل الرّابع

4: 1-7 أهل بيت الله

إخوتي في الإيمانِ، اسمعوا هذا المَثَلَ لَعَلَّكُم تفهمونَ. إنّ الوريثَ حينَ يكونُ قاصِرًا يَكُونُ شَبيهًا بالعبدِ، رَغمَ أنّهُ بعدَ زمنٍ مَحدودٍ يصيرُ صاحبَ كُلِّ الأملاكِ، فهُوَ

الآنَ تحتَ رعايةِ الأَوصِياءِ والوُكَلاءِ إلى حين بلوغِ السنِّ الّذي يعيّنه أَبوهُ. كذلك كانَتْ حالَنا نحن اليَهود، كنّا في الماضي كالعبيدِ تحت طُغيان الكائناتِ الغَيبيَّةِ،[1] ولمّا حانَ الوقتُ المُناسِبُ، بَعَثَ اللهُ سيّدَنا عيسى الابنَ الرُّوحيَّ له تعالى، فألقَاهُ إلى امرأةٍ اسمُها مَريمُ، وصارَ تحت حِمايةِ التّوراةِ ليُحرِّر الّذين تحت حِمايتِها، لِنكونَ مِن أهلِ بيتِ اللهِ.

أمّا أنتم في غلاطيَةَ، يا من آمنتم بالسّيِّدِ المَسيح، فقد أصبحتم أيضًا مِن أهلِ بَيتِ اللهِ، وكانَ سيّدُنا عيسى، الابنُ الرُّوحيُّ للهِ، وَسيلَةَ روحِهِ تعالى إلى قُلوبنا، وإنّكم لَتقولون مُقتدين بِروحِهِ تَقدَّس وتَعالى: «يا اللهُ أنتَ أبونا الرَّحمن!»[2] فلا تكُونوا بَعدَ الآنَ عَبيدًا، بل أنتم أهلُ بَيتِ اللهِ، ووَرَثَةُ بَركاتِهِ تعالى.

4: 8–20 بولس يعاتب أهل غلاطية

يا أَهلَ غلاطيَةَ! ألم تكُونوا وَثَنِيّينَ مُنقَطِعينَ عنِ اللهِ، أَلَمْ تكُونوا مُقَيَّدين للأصنام والأوثانِ؟ أصنامٌ ليس لها أصلٌ ولا وجودٌ،[3] وها أنتمُ الآنَ مِنَ العارِفينَ بِاللهِ، والحَقُّ أنّ اللهَ هو مَن اعترفَ بكم فأَصبَحتُم مؤمنين. فكيفَ ترتدُّون وتُصبحون عَبيدًا مرَّةً أُخرى لتلك الكائناتِ الغَيبيَّةِ؟! مع أنّ هذه الكائناتِ ضَعيفةٌ حَقيرةٌ! فأنتم تعتقدون أنّكم تَنالون مَرضاةَ اللهِ حينَ تَحتَفِلون بيوم السَّبت أو بأعياد وشُهور وسِنينَ خاصّة، فتُقلِّدون بذلك بني يَعقوبَ،[4] إنَّ خوفي عليكم كبيرٌ، فهل ذهب جُهدي معكم هباءً؟!

---

(1) يقول الحواري بولس إنّ جميع النّاس، سواءٌ كانوا يهودًا أو غيرهم، كانوا في الماضي تحت طغيان كائنات نزويّة متقلّبة تنتمي إلى العالم الغيبي. والتزم المؤمنون في غلاطية بالتّقاليد الدّينية اليهوديّة كوسيلة لإرضاء الله، وهذا يعني العودة إلى طغيان هذه الشياطين التي تحاول التّحكّم فيهم من خلال التّعاليم التي ينشرها الدّجّالون.

(2) الكلمة الآرامية «أبا» تترجم غالبًا بكلمة «الأب». وكانت هذه الكلمة تعبّر في كثير من الأحيان عن احترام الآخرين لسيّد يقوم برعايتهم. وشاع في ذلك الزّمن استخدام مصطلحات تدلّ على القرابة للإشارة إلى العلاقات بين السّادة وبين رعيّتهم. والفكرة الأساسيّة هنا تشير إلى أنّ المؤمنين بالسيّد المسيح يمكنهم الدّخول في ميثاق فريد مع الله.

(3) يقول بولس هنا أنّ الوثنيّين كانوا يعبدون من وراء الأصنام والآلهة الوهميّة الشّياطين التي سكنت هذه الأصنام. انظر الرّسالة الأولى إلى مؤمني كورنتوس 10: 19–20.

(4) «الشهور الخاصّة» تشير إلى الاحتفال الديني اليهودي بالقمر الجديد. و«السنوات» تشير إلى سنوات يهودية مقدّسة لا زراعة ولا غرس فيها. وكان اليهود المتشدّدون يحترمون هذه المناسبات بكل تفاصيلها. ويريد بولس أن يؤكّد أنّ العودة إلى القواعد والاحتفالات والمواعيد الدّينيّة من طرف مؤمني غلاطية هي عودة إلى العبوديّة الوثنيّة تحت شياطين العالم الغيبي،

- إخوَتي في الإيمانِ، أُناشدُكم أن تتحرَّروا مِثلي مِن العاداتِ اليهوديَّةِ. فأنتم تعلمون عندما زُرتُكم أوّلَ مرّة أنّي تحرَّرتُ مثلَكم مِن تلكَ العاداتِ. هل تذكُرون حينَ زُرتُكم وأقمتُ بينَكم بسببِ مَرضي؟ فعاملتُموني كما يُعامَلُ الضَّيفُ الكريمُ. حينَذاكَ دَعوتُكم إلى رسالةِ البُشرى بِسَيِّدِنا عيسى المسيحِ، ولقد سبَّبَ لكم مَرضي مَتاعِبَ كثيرة، ولكنّكم لم تنفِروا مِنّي ولم تحتقِروني، بل رحَّبتُم بي كأنّي ملاكٌ مِن اللهِ، بل كَأنِّي عيسى المَسيحُ نفسُه! كنتم فَرِحين بكلِّ هذا، فأينَ فرحُكم الآن؟ إنّي لكم شاهدٌ: لقد أحببتُموني حُبًّا شديدًا، وكنتم مُستعدّين لتقديم أعيُنِكم إليّ، لو لَزِمَ الأَمرُ! إنّي مُستمِرٌّ في دعوتِكم إلى الخير، فهل صرتُ الآن عدوَّكم لأنّي أخبرتُكم بالحَقِّ المُبين؟

إنَّ الَّذين يُشوِّهون رسالةَ سَيِّدِنا عيسى مُتحمِّسونَ لجعلِكم أَتباعًا لهم، فاحذَروا نواياهم، إنَّهم يسعَوْن إلى إبعادِكم عنّي، لتُصبِحوا أتباعًا خالِصينَ لهم. فما أجملَ أن يعتنيَ الأخُ بأخيهِ، لو واظبَ على هذا الاهتمامِ، وإنِّي أعتني دائمًا بأُمورِكم، سواءٌ كنتُ غائبًا أم حاضِرًا. يا أولادي الأَحبّاء، لقد قاسيتُ ألمًا شبيهًا بوجَعِ الولادةِ حينما أرشدْتُكم للإيمان، وها أنا أُقاسي الوجَعَ نفسَه لتَنطَبِعَ فيكم صفاتُ المَسيحِ السَّمحاءُ. ليتَني كنتُ بينَكمُ الآن، فأتكلَّمَ معكم مُباشرةً بكلِّ لطفٍ، فأنا في حيرَةٍ مِن أَمرِكم.

4: 21-31 مَثَلُ هاجر وسارة

يا مَن تريدون أن تكونوا تحت حِمايةِ التَّوراةِ: ألا تنتبِهون إلى ما جاءَ فيها؟ فقد ورد أنَّ النّبيَّ إبراهيمَ له ولدانِ، أحدُهما مِن هاجَرَ جاريَتِهِ والآخرُ مِن سارةَ زوجتِهِ، وأنَّ ابنَ الجاريَةِ وُلِد بشكلٍ طَبيعيٍّ، أمّا ابنُ الحُرَّةِ فقد وُلِدَ تحقيقًا لوَعدِ اللهِ. وهذا كلّهُ يحمِلُ مغزًى، إذ لِكُلِّ امرأةٍ مِنهما ميثاقٌ: فهاجَرُ هي ميثاقُ اللهِ الَّذي أقامَهُ مع النّبيِّ موسى في جبلِ سيناءَ، حيث استعبَدَتْ شريعةُ موسى بني يعقوبَ، والآن مَدينةُ القُدسِ تمامًا مثلَ جبلِ سيناءَ في بلادِ العربِ هي موطنُ ميثاقِ العبيدِ، لأنّها هي ومَن يسكُنُها من بني يعقوبَ مُقيَّدون بعاداتِهم الدِّينيّةِ. أمّا سارةُ الزَّوجةُ الحُرَّةُ، فترمُزُ إلى مَدينةِ القُدسِ

= لأنّهم بهذا السّلوك يتخلّون عن هدى روح الله ويتّبعون عادات البشر، حتّى لو كانت هذه عادات يهوديّة دينيّة. والأمر هنا شبيه بشيوخ عادوا الى طفولتهم وطلبوا الرّعاية من مرّبي أو وصيّ. كان المؤمنون بسيّدنا المسيح من غير اليهود في غلاطية منساقين وراء هذه التقاليد كما كانوا سابقًا منساقين وراء الآلهة الوهميّة التي كانت في اعتقادهم واسطة بين البشر والله.

السّماويّةِ، وهي أُمُّنا.[1] إذ قال اللهُ على لسانِ النّبيِّ أشعيا: «يا أَيّتها المَحرومةُ مِنَ الأَبناءِ، كوني سعيدةً، يا مَن لم تلدي قَطُّ، هلّلي الآن وأَبْشِري، قديمًا لم يكن لكِ أبناءٌ، فانظُري الآن إنّهم أكثَرُ مِن أبناءِ امرأةٍ وَلودٍ مُتزوِّجةٍ منذُ زمنٍ قَديم!»[2]

إخوتي في اللهِ، أنتم أمثالُ النّبيِّ إسحَقَ، ورثةُ وَعدِ اللهِ للنّبيِّ إبراهيمَ. وإنَّكم تعلمونَ أنّ البعضَ يرى أنّ الابنَ الّذي وُلِدَ بالطَّريقَةِ الطَّبيعيّةِ كان يَضطهِدُ الابنَ الّذي وُلِدَ بقوّةِ رُوحِ اللهِ، هكذا يضطهِدُنا الآن عبيدُ شريعةِ بني يعقوب.[3] وقد جاءَ في التّوراةِ أنّ سارةَ قالتِ للنَّبيِّ إبراهيمَ: «اطرُدِ الجاريَةَ وابنَها، فَابنُ الجاريةِ لَن يَرِثَ مع ابنِ الحرَّةِ».[4] وهو شأنُنا، نحن أبناءُ الحُرَّةِ، فقد تحرَّرنا مِن شريعتِهِم وتقاليدِهم، ولسنا عبيدًا مثلَ أبناءِ الجاريةِ.[5]

---

(1) كان فقهاء اليهود يقولون أنّ «مدينة القدس العليا» هي نموذج لمدينة القدس في الأرض، وستقام على الأرض في زمن المسيح المنتظر. لكنّها هنا تشير إلى مدينة الله السّماوية، التي يسودها السّيد المسيح ويسكنها كلّ من آمن به.

(2) يقتبس بولس هنا من كتاب النّبي أشعيا 54: 1. وهذا المقطع يتضمّن صورة مجازيّة عن الله، فهو زوج لمدينة القدس. إذ قال الله على لسان النّبي أشعيا أنّ المدينة المهجورة التي خسرت أهلها إلى المنفى في بابل، سيُعاد بناؤها وستُبارَك بأبنائها العائدين وسيفوق عددهم الأبناء الذين فقدتهم. ويشرح بولس أنّ وعود كتاب النّبي أشعيا في الفصل 54 موجّهة الآن إلى جماعة المؤمنين في العصر الجديد، أي زمن إقامة مدينة القدس السّماويّة، إلاّ أنّ أغلب أفراد جماعة المؤمنين أصبحوا من الأمم غير اليهوديّة، ولمّا استجابت لرسالة السيّد المسيح أصبحت أعمالها تؤتي خيرا أكثر من بني يعقوب، رغم العقم الرّوحي الذي أصابهم في الماضي.

(3) لا يمكن استخدام كلام بولس هنا لتغذية أيّ عداء تاريخي بين أحفاد إسماعيل وأحفاد إسحاق (عليهما السّلام)، وذلك لسببين، أوّلهما أنّ اللهَ قد حلّ مسألة التّنافس بين الأخوين إذ بارك كلاًّ منهما في مجاله المختلف. وقد حصل النّبي إسحاق على البركة في بيت النّبي إبراهيم من خلال ميراثه، وحصل سيّدنا إسماعيل على البركة في الصحراء. والسبب الثّاني أنّ بولس عكس رمزيّة التّراتب العرقي إذ أصبح سيّدنا إسماعيل زمزًا لليهود وسيّدنا إسحاق رمزًا للمؤمنين من الأمم الأخرى.

(4) يقتبس بولس هنا من التوراة، سفر التكوين 21: 10

(5) لا تعني الإشارة إلى العبودية هنا العبوديّة في مفهومها المألوف، ولكن المقصود بها سيطرة التديّن والتّقاليد والفرائض على اليهود الذين لم يتّبعوا طريق السيّد المسيح وتعاليمه التي تحثُ على التحرّر من تلك القيود الدّينيّة البشريّة.

5: 1-12 الإيمان يحرّر من تقاليد بني يعقوب

إنّ السّيّدَ المسيحَ قد حرَّرَنا مِن عبوديَّةِ التّقَاليدِ، فَابقَوا في الإيمانِ راسخين، واحذَروا الرُّجوعَ لتلك التّقاليدِ. وإنِّي -أنا بولُسَ الحَواريَّ- أقولُ لكم إن قبلتم الخِتان، فقد استغنيْتم عَن السّيّدِ المسيح ولن ينفعَكم عندَئذٍ! وإنِّي أحذّرُكم مرَّةً أُخرى: فكلُّ مَن رضِيَ بالختانِ فعليه أن يُطبِّقَ شَرائعَهم وعُهودَهم كلَّها.(1) وإنَّكم إذ تحاولون نيلَ مَرضاةِ اللهِ بانضِمامِكم إلى أهلِ التّوراةِ، فإنّكم تنفصلون عَن السّيّدِ المسيحِ وتخسَرونَ فضلَ اللهِ عليكم.(2) أمّا نحن، أهلُ رُوحِ اللهِ، فإنّنا على يقينٍ أنّ اللهَ سيَرضى عنّا على أساسِ إيمانِنا بسيّدِنا عيسى المَسيحِ، ونحن ننتظرُ بلهفةٍ تحقيقَ وعودِهِ لنا. إنَّنا ننتمي إلى سيِّدِنا عيسى المَسيحِ، فلا يهمُّنا الختانُ مِن عدمِهِ، بل همُّنا الوحيدُ هو المحبّةُ النابعةُ من الإيمانِ.

لقد كنتم تسيرون على الصِّراطِ المستقيم، فمَن حالَ بينكم وبين طاعةِ الحقِّ؟ لقدِ استجبتم لدعوةِ اللهِ، لكنّ هذا الإغراءَ الّذي يَدعونكم إليه ليس من اللهِ دون شكّ! وهو شَبيهٌ بالمَثَلِ القديم: «خَميرةٌ صَغيرةٌ تُخمِّرُ كلَّ العَجينِ».(3) وإنّي على يقينٍ أنّ السّيّدَ المسيحَ سيُغيثُكم لتَرفُضوا هذه الأكاذيبَ، وأيًّا كان مَن يُزعِجُكم، فإنّ اللهَ سيُنزِلُ عليه عقابَهُ!

إخواني في الإيمانِ، إن جاءكم مَن يزعُمُ أنِّي أدعو إلى مُمارسةِ الخِتانِ فلا تُصدِّقوهُ!

---

(1) اعتبر معظم اليهود أنّ ختان المؤمن بالسيد المسيح يجبره على التزام أسلوب الحياة اليهودية ككلّ. ولم يكن المطلوب مجرّد فعل واحد هو الختان، وإنّما اقتضى الأمر اندماجه في الشعب اليهودي وانسلاخه عن الهوية غير اليهودية.

(2) يعتبر بولس هنا أنّ إصرار دعاة التّهويد على انتماء غير اليهود بشكل رسمي إلى الشّعب اليهودي من خلال الختان، هو اعتراف منهم أن إيمانهم بسيّدنا المسيح غير كاف وبذلك يستغنون عن إيمانهم به ويقطعون علاقتهم به (سلامُهُ علينا). وحصروا دور سيّدنا عيسى في اليهود فقط، بدلاً من اعتباره سيّدًا ومخلّصًا لجميع البشر.

(3) ورد استخدام رمز الخميرة كثيرًا في الإنجيل كرمز للشّرّ والفساد. والفكرة هي أنّ قليلاً من الشّرّ يمكن أن يكون سببًا في إفساد الكثير من النّاس.

فلو كنتُ أدعو إلى الختانِ والتَّهويدِ، فلماذا اضطهدني بنو يعقوبَ؟ وإنّما أُنادي ألاّ نجاةَ إلاّ بفضلِ تضحيَةِ سيِّدِنا عيسى بنفسِهِ على الصَّليبِ، وإنّ قَولي هذا هو ما يُثيرُ غضبَهم. أَلا ليتَ الّذين يزعِجونكم بأكاذيبِهم لا يَقتصِرونَ على الخِتانِ فقط، بل يبتُرونَ أنفسَهم بَتْرًا![1]

5: 13–26 الإرشاد الإلهي

إخوتي في الإيمانِ، إنّ السّيّدَ المسيحَ قد حرَّرَكم مِن تَقاليدِ اليهودِ والوثنيِّين، فاحذَروا أن تَجعلوا حرِّيَّتَكم حبلاً تمدُّونَه للنَّفسِ الأَمّارةِ بالسُّوءِ، بل اخدُموا بعضَكم بعضًا بالمَحبّةِ. إنَّ مَقصَدَ شريعةِ النّبيِّ موسى كلِّها يَعودُ إلى وصيَّةٍ واحدةٍ: «أَحبب جارَكَ كما تُحبُّ نفسَكَ».[2] أمّا إذا اعتدى أَحدُكم على الآخرِ، هذا يعضُّ أخاهُ، وذاكَ يَفترِسُ صاحبَهُ، فاحذَروا أن تدفَعوا بأنفسِكُم إلى الفناءِ!

فافهَموا قَصدي: اقتَدوا برِوحِ اللهِ، إنّها تَحميكم مِن هَوى النّفسِ وأَعمالِها، لأَنّ ما تُريدُه النّفسُ يُخالفُ إرشادَ روحِ اللهِ، فكلٌّ منهما يُحارِبُ الآخرَ. فإذا كنتَ تُريدُ الشَّرَّ، فإنَّ رُوحَ اللهِ أمامَكَ سَدٌّ مَنيعٌ، وإن كنتَ تَنشدُ الخيرَ، فالنَّفسُ الأمّارةُ بالسُّوءِ تُعيقُك، فليسَ باستطاعتِكَ دائمًا أن تفعلَ الحَسناتِ الّتي تنوي القيامَ بها. وإذا كنتم تَقتدونَ برُوحِ اللهِ، فلا حاجةَ لكم إلى حِمايةِ التّوراةِ.

فالأعمالُ النّاتجةُ عَن أَهواءِ النّفسِ فهي واضحةٌ، إنّها الفحشاءُ واتِّباعُ الشَّهواتِ والفجورُ، وعبادةُ الأصنامِ والسِّحرُ والبُغضُ والهيجانُ والغيرةُ والنِّزاعُ والأنانيّةُ والتَّحزُّبُ والخصامُ والحسدُ والسُّكْرُ والمُجونُ، إلى آخرِهِ، وكما حذَّرتُكم سابقًا، فإنّي أُكرِّرُ تحذيرَكم مرَّةً أُخرى، إنَّ الّذين يَمْضون في ارتِكابِ هذه الخطايا، لن يكونَ لهم نَصيبٌ في المَملكةِ الرّبّانيّةِ المَوعودةِ.

أمّا خِصالُ المؤمِنين النّاتجةُ مِن رُوحِ اللهِ، فَهي المَحبّةُ والفرحُ والسّلامُ والصّبرُ واللُّطفُ

---

(1) لم يكن الشّخص المخصيّ مقبولاً بين المؤمنين في زمن الأنبياء القدامى قبل مجيء سيّدنا عيسى (سلامه علينا). انظر التّوراة، سفر التّثنية 23: 1.

(2) كتب الحواري بولس الفكرة ذاتها إلى المؤمنين في روما (انظر رسالته إلى أهل روما 13: 8–10). وفي الحالتين اقتبس من التّوراة، سفر اللاّويين 19: 18. ونجد تلميحا لهذا الكلام من الشّريعة لدى سيّدنا المسيح في الإنجيل (انظر متّى 7: 12).

والصَّلاحُ والأمانةُ والوداعةُ والعفافُ. وما مِن شرعٍ يمنعَ هذه الفضائلَ بين النّاس.[1] لقد قام المؤمنون بسيِّدِنا عيسى المسيح بِصَلبِ أهواءِ نفوسِهِم وشهواتِها. وبما أنّنا نَحيا بقوَّةِ رُوحِ اللهِ، فعلينا أن نَسيرَ وفقَ إرشادِ رُوحِه تعالى، فلا مَجالَ للتكبُّرِ والتَّحدّي والحسدِ.

الفصل السّادس

6: 1-10 وصايا أخيرة

إخواني في الإيمانِ، إنّكم تهتدون برُوحِ اللهِ، فإن أذنبَ أحدُكم فقرِّبوه منكم وانصَحوه وارشِدوه، وانتبِهوا كي لا تقَعوا في الإغراءِ الّذي وقع فيهِ. وتعاونوا واحمِلوا بعضُكم أعباءَ بَعضٍ، إنّكم بهذا تحقِّقون وصيَّةَ السّيّدِ المسيحِ.[2]

إنّ الّذين يظُنّون أنّهم مُترفِّعون عَن مُساعدةِ الآخرين، فإنّما يَخدعون أنفسَهم، لأنّهم في الحقيقةِ دونَهم، لو كانوا يعلَمون! لهذا السّببِ، حاسِبوا أنفسَكم وانظُروا في أعمالِكم ولا تمُدّوا بأعيُنِكم إلى ما يفعلُ غيرُكم، فمَن رضِيَ بأعمالِه لنفسِهِ كان بها فخورًا. فكلُّ إنسانٍ مَسؤولٌ عَن أفعالِهِ.

ومَن يتعلَّمُ رسالةَ اللهِ فَعَليهِ أن يُشارِكَ مُرشدَهُ في كلِّ الخيراتِ الّتي يملِكُها.

واحذَروا أن تخدَعوا أنفسَكم، إنّ اللهَ بكلِّ شيءٍ عليمٌ، ولا مَفرَّ مِن عدالتِه! إنّما تُجزَونَ بأعمالِكم، و«إنّما تَحصِدونَ ما تزرَعونَ». إنّ الّذين يسعَوْن إلى إرضاءِ أهواءِ نفوسِهِم، لن تجنِي أيديهم إلاّ الخُسران. أمّا الّذين يسعَوْن إلى مَرضاةِ روحِ اللهِ، فسينالون مِن رُوحِهِ تعالى نصيبًا في دارِ الخُلدِ. فلا تمَلّوا فعلَ الخيراتِ، فتحصُلوا على جزائِكم يوم الدِّينِ إن كنتم عليه صابرين. واغتنِموا ساعاتِ الخيرِ واحسِنوا إلى جميعِ النّاسِ، واحسِنوا خاصَّةً إلى إخوانِكم في الإيمانِ.

---

(1) يزعم بعض المتديّنين أنّ شريعة النّبي موسى أو غيرها من الشّرائع ضرورية لاستئصال الأنانيّة والشّرّ. ولكن بولس يقول أنّه لا حاجة للمؤمن إلى أيّة شريعة لبلوغ الفضيلة من هذا القبيل، ما دام ينعم بروح الله في قلبه، وهذا كاف لدفعه إلى الخير.

(2) إن مفاد شريعة السيّد المسيح هي أن يحبّ بعضنا بعضًا كما أحب سيّدنا المسيح النّاس جميعًا (انظر يوحنّا 13: 34، رسالة كورنتوس الأولى 9: 21). وتحدّث الحواري يوحنّا بإطناب عن هذا الموضوع في رسالته الأولى.

6: 11ـ18 ختام

وها أَنا، بُولسَ، أَكتبُ إليكم بِيَدي هذه الكلماتِ الخِتاميَّةَ.[1] إنّ الّذين يتباهَوْن بالمَظاهرِ البشريَّةِ، يُحاولون إجبارَكم على الخِتانِ والتّهويدِ، كي لا يتعرّضوا للاضطِهادِ في سبيلِ الحقِّ: إذ لا نجاةَ إلاّ بتضحيةِ السّيّدِ المسيح بحياتِهِ على الصَّليب. بل إنّ دُعاةَ الخِتانِ هؤلاء، لا يعمَلون بكلِّ أحكام التّوراة، ولكنَّهم يرغَبون في ختانِكم ليفتَخِروا أَنّكم أَصبَحتم تابِعين لدينِهم،[2] أمَّا أَنَا فما فخري إلاَّ بتضحيّة سيِّدَنا عيسى المسيحَ بنفسِهِ مَصلوبًا مِن أجلِنا، والدُّنيا بعد ذلك مَصلوبةٌ في نظري، وأنا مَصلوبٌ في نظر أهلِها.

فالخِتانُ مِن عدمِهِ لا أَهميَّةَ له، بل الشّيءُ المُهمُّ هو انضِمامُنا إلى خَلْقِ اللهِ الجديدِ.[3] السَّلامُ والرّحمةُ على كلِّ الّذين يَسلُكون هذا الطّريقَ. فإنّهم الأَخيارُ المُصطفون.[4]

فلا يُزعِجْني أحدٌ بعد الآن! إنّ جسمي يحملُ جُروحًا وعلاماتٍ تدلُّ على ما لاقَيتُهُ مِن عذابٍ في سبيلِ إخلاصي لسيّدِنا عيسى.

إخوتي، ليَكُن فَضلُ سيِّدِنا عيسى المسيحِ معكم دائمًا. آمين.

---

(1) من المرجّح أنّ بولس أملى معظم هذه الرّسالة على أحد الكتّاب، ولكنّه في هذا الموضع كتب هذه الكلمات بنفسه ليُثبت أنّه من كتب هذه الرّسالة، لأنّ المؤمنين في غلاطية كانوا يعرفون خطّ يديه من خلال رسائله السّابقة لهم. وقد كان هذا الأمر شائعًا في العصور القديمة.

(2) يؤكّد الحواري بولس مرّة أخرى أنّ المهتمّين بالختان وغيره من التّقاليد ينحصر اهتمامهم فقط بالمظاهر الخارجيّة، ولكنّه يقرّ أنّه على الرّغم من تحمّسهم لشريعة النّبي موسى في التوراة فإنّهم في الحقيقة لا يفكّرون إلاّ في أنفسهم، ولا يحقّقون الهدف الأساسيّ من الشريعة ألا وهو محبّة الله ومحبّة الآخرين.

(3) يتّفق هذا الأمر مع تعاليم بولس في مواضع أخرى. فالسيّد المسيح (سلامه علينا) كسر بتضحيّته وطأة الخطيئة والموت، وبقيامته بدأ الخلق الجديد أو العهد الجديد. وأصبح المؤمنون بالسيّد المسيح شركاء في هذا الخلق الجديد الذي سيكتمل بنزول السيّد المسيح من السّماء ملكًا على الأرض.

(4) لقد ورد حرفيًّا في اليونانيّة أنّ أولئك الذين يسلكون هذا الطّريق يوصفون بـ «إسرائيل الله». وقد اختلف العلماء بشأن عبارة «إسرائيل» هنا، إذ يرى بعضُهم أنّها تعني اليهود القلائل الذين ظلوا أوفياء لله باتباعهم سيّدنا المسيح، ويرى آخرون أنّها تشير إلى جميع المؤمنين بالسيّد المسيح كورثة للنّبي إبراهيم (كما يقول بولس في هذه الرّسالة في الفصل الثّالث). ويرجّح معظم العلماء التّفسير الثّاني.

مدخل إلى رسالة أفاسوس

قد يكون الحواري بولس هو كاتب هذه الرّسالة بين سنتي 60 و62 بعد الميلاد، وذلك أثناء إقامته الجبريّة في منزله في روما. وتمّ القبض عليه ليُحَاكَم بتهمة باطلة ألا وهي انتهاكه لقدسيّة حرم بيت الله في القدس.

واتّفق علماء الإنجيل أنّ هذه الرّسالة قد كُتبت إلى جماعة في منطقة تُعرف اليوم بغرب تركيا. ومن المرجَّح أنّها كانت موجَّهة إلى المؤمنين من غير اليهود في مدينة أفاسوس وغيرها من مدن المنطقة حيث كان من المفترض أن ينشروا الرّسالة فيما بينهم. وربّما تمّ إرسال هذه الرّسالة إلى مدينة أفاسوس أوّلا باعتبارها المدينة الرّئيسيّة في المنطقة. وقد قضى بولس حوالي ثلاث سنوات في تأسيس مجموعة أتباع السيّد المسيح (سلامه علينا) في مدينة أفاسوس (انظر سيرة الحواريّين 20: 31)، ولكن في الوقت الذي كتب فيه هذه الرّسالة ظهرت جماعات أُخرى في العديد من المدن والقرى في تلك المنطقة. ومن الواضح في هذه الرسالة أنه سمع عن إيمانهم دون أن يلتقيهم.

تشبه هذه الرسالة إلى حد كبير الرسالة التي كتبت إلى المؤمنين في مدينة كولوسي المجاورة لمنطقة أفاسوس. ومن المرجَّح أن هاتين الرّسالتين قد كُتِبتا في فترتين متقاربتين بالتّوازي مع كتابة رسالة بولس إلى فليمون. فمن الأفضل إذن قراءة كلّ من المدخل إلى رسالته إلى أحباب الله في كولوسي ومدخل رسالته إلى فليمون ومدخل هذه الرّسالة معًا.

نحن نعلم من خلال حديث الحواري بولس الموجَّه إلى شيوخ أفاسوس من المؤمنين أنّه حريص على وحدتهم في جماعتهم النّاشئة (انظر سيرة الحواريّين 20: 28 – 31). وكان يتطلّع إلى مواجهة كلّ من يعتبر غيرَ اليهود من المؤمنين مختلفين وأقلّ شأنًا من اليهود المؤمنين بالسيّد المسيح. إنّ هذا الالتباس يعكس العلاقات العرقيّة المتوتّرة بين اليهود وغيرهم التي انتشرت في الإمبراطورية الرّومانية في ذلك العصر. بالإضافة إلى ذلك فإنّ بولس كان مهتما بنمط حياة المؤمنين في أفاسوس، وسعى أن يكون نمط عيشهم مختلف عن نمط عيش الوثنيّين.

لقد كانت مدينة أفاسوس في زمن الحواري بولس إحدى المدن الرّئيسيّة في الإمبراطوريّة الرّومانية. ونظرا لأهمية موقعها الذي كان يمثّل مفترق الطّرق التّجارية فقد كان النّاس يتوجّهون إليها من كلّ الأصقاع. وكانت مدينة مشهورة بسبب وجود المعبد الهائل المخصّص للإلهة "أرطاميس" اليونانيّة (وتدعى ديانا عند الرّومان)، وكانت تُعرف بكثرة السّحرة والمشعوذين، وباعة التّعاويذ والتّمائم. وكان النّاس يقومون بهذه الممارسات السّحرية كي يحصلوا على القوّة الرّوحيّة، ويقاوموا هجوم الكائنات الغيبيّة عليهم. وارتبطت عبادة الإلهة "أرطاميس" بشكل وثيق بممارسات السّحر، وبكلّ ما يتعلّق به من معتقدات. وكان عبدة الإلهة أرطاميس يُمجّدونها باعتبارها تفوق بقيّة الآلهة قوّة وقدرة وسلطة، وكانوا يعتبرونها أيضًا أقوى من الشّياطين ومن الأفلاك ذات القوّة الرّوحيّة حسب اعتقادهم، بل إنّ اليهود في تلك المنطقة كانوا يمارسون السّحر ويستعينون بالملائكة للتغلُّب على الشّياطين.

وتؤكّد هذه الرّسالة على سلطة الله وعلى تفوُّق السيّد المسيح (سلامه علينا) على كلّ القوى الغيبيّة. وخصّص جزءا مطوّلا منها وجّه فيه بولس المؤمنين وأرشدهم إلى كيفيّة مواجهة هذه الكائنات الغيبيّة. وكان الحواري بولس يعالج دون شكّ احتياجات المؤمنين، الذين يعيشون في منطقة تطغى عليها أعمال السّحر والتنجيم والخوف من الموت ومن الشّياطين، وكانوا بذلك في صراع يوميّ مع هذا الخوف وهو ما جعلهم يلتجئُون أحيانًا إلى هذه الأعمال السّحريّة.

ويشير بولس في هذه الرّسالة إلى تفوُّق السيّد المسيح على جميع الكائنات الغيبيّة، ويؤكّد أن قوّة السيّد المسيح في متناول المؤمنين.

بسم الله تبارك وتعالى

رسالة الحَواريّ بولس إلى أحباب اللّه في أفاسوس

الفصل الأوّل

1: 1ـ2 تحيّة

هذه الرّسالةُ مِن بولُس، حَواريِّ سيِّدِنا عِيسى المَسيحِ بأمرِ اللهِ، مُوجّهةٌ إلى عِبادِ اللهِ الصّالِحينَ في مدينةِ أفاسوس،[1] المُخلصين لسيِّدِنا عيسى المَسيحِ (سلامُهُ علينا). السلامُ عليكم والرّحمةُ مِنَ اللهِ أبينا الصَّمَدِ ومِن سيّدِنا عيسى المسيحِ.

1: 3ـ14 امتيازات أتباع السّيّد المسيح

تباركَ اللهُ الأبُ الرّحيم لِسيِّدِنا عيسى المسيحِ، فهو الّذي باركنا بكُلِّ البركاتِ الرُّوحيّةِ الّتي تفيضُ مِن عُلاه لأنّنا اعتَصَمنا بالسّيّدِ المَسيح.[2] فاختارَنا اللهُ بانتِمائِنا إليه (سلامُهُ علينا) قبلَ خلقِ العالمين، حتّى نكونَ مَنذورين لهُ دون شوائبَ. نعم، إنّه بمَحبّتِهِ قد قدَّرَ وقضى مُنذُ البدايةِ أن نكونَ مِن أهلِ بيتِهِ بفضلِ عيسى المسيحِ، فكان هذا ما شاء وارتضى. ولذلك نُسبِّحُهُ على فضلِهِ المجيدِ الّذي غمرَنا بهِ لأنّنا مِن جماعةِ سيِّدِنا الحَبيبِ (سلامُهُ علينا).

---

(1) كانت مدينة أفاسوس تحتوي على ميناء، وكان عدد سكانها يبلغ 200,000 نسمة تقريبًا. وكانت تعتبر المدينة الرابعة في الإمبراطورية الرومانية من حيث عدد السكان بعد روما والإسكندرية وأنطاكيا في سوريا، وكانت عاصمة مقاطعة آسيا الرومانية أيضًا.

(2) يوجد في هذا المقطع الافتتاحي ما يقارب أحد عشر مصطلحا مختلفا للإشارة إلى بني يعقوب وردت في الأصل في التوراة وغيرها من كتب الأنبياء الأوّلين. إن هذه المصطلحات تنطبق على أتباع سيّدنا المسيح الآن، يهودا كانوا أو غير يهود. وبما أنّ اليهود وغيرهم لديهم عادات وتقاليد مختلفة، فربّما نشب توتُّر بينهم في تجمُّعاتهم، ولكنّ بولس باستعماله المصطلحات نفسها لكلتا الجماعتين، كان يذكّرهم أنّهم جميعا جماعة واحدة باعتبارهم أتباع السيّد المسيح، وعليهم السّعي معا لمرضاة الله.

- إنّ اللهَ حرّرَنا وغفرَ لنا ذُنوبَنا بتضحيةِ سيِّدِنا عيسى بدمِهِ الزكيّ،[1] وأغدق علينا فضلَهُ بِكُلِّ ما فيه مِن حِكمةٍ ونُهى، وأبدى لنا مَقاصِدَهُ الخفيَّةَ المُتعلِّقَةَ بِهِ (سلامُهُ علينا)،[2] تِلك الّتي ارتضى كشفَها لنا، وهي عودةُ كُلِّ الكائناتِ لِلخُضوعِ لِسُلطةِ السّيّدِ المسِيحِ في الأجلِ المُسمّى، كُلِّ الكائناتِ في الغيبِ وكُلِّ ما فوق الثّرى.

اللهُ هو المُهيمنُ على كُلِّ شيءٍ، ويُقدِّرُ كُلَّ الأُمورِ كما يُريدُ ويَرضى، فهُو الّذي اختارَنا أوّلاً مِن بني يعقوب لنكونَ مَنذورينَ لهُ ولنكونَ ورثةَ وعودِهِ بين النّاسِ وجعلنا مِن جماعةِ سيِّدِنا عِيسى، حتّى نُسبِّحَهُ ونرفعَ شأنَهُ بين العالَمينَ، لأنّنا أوّلُ مَن وضعَ الأملَ في سيِّدِنا المسيحِ (سلامُهُ علينا). وأنتم أيُّها الأغرابُ، ها إنّكم تنضمُّونَ إلى جماعةِ المسيحِ، بعد أن سمِعتم وآمنتم بِرسالةِ الحقّ، إنّ اللهَ يُبشِّرُكم أنّكُم أصبحتم مِن أهلِ النّجاةِ. ولأنّكم تؤمنونَ بِالسّيِّدِ المسيحِ، فقد ختمَكُمُ اللهُ بوسمِهِ إذ أعطاكُم رُوحَهُ تقدّس وتعالى، تِلك التّي وعَدَ بها مُنذُ القديمِ. ورُوحُ اللهِ ضَمانٌ مِنهُ تعالى، على أنّهُ سيفي بِوعدِهِ وأنّهُ سيجعلُنا وَرَثَةَ بركاتِهِ، ومِن خاصّتِهِ، ومِن المُتحرِّرينَ. إنّنا لِهذا نُسبِّحُ بِحمدِهِ جلَّ جلالُهُ![3]

1: 15-23 دعاء بولس للمؤمنين في أفاسوس

ولهذا السّببِ، مُذ علِمتُ بإيمانِكم بِسيّدِنا عيسى، وبِمَحبّتِكُم لجميعِ المؤمنينَ، لم

(1) توجد في التّوراة تعليمات تنصّ على أنّ كلّ من يخالف أوامر الله عليه أن يقدّم أضحية وذلك من أجل نيل الغفران (انظر سفر اللاّويين الفصل 4). ويلمّح بولس إلى تلك العادات في هذا المقطع.

(2) وُجد في زمن الحواري بولس العديد من الأديان الوثنيّة وكان بعضها يفرض على أتباعه عادات وتقاليد سريّة. واستعملت هذه الأديان الوثنية الكلمة اليونانية mysterion للإشارة إلى الشعائر الدّينيّة السّرية التي يستعملونها لانضمام أعضاء جدد إليهم. وقد استعمل بولس الكلمة اليونانية نفسها للإشارة إلى أمر كان في السّابق مخفيا وكشفه الله الآن لعباده من خلال روحه تقدّس وتعالى.

(3) سجّل النّبي يوئيل (عليه السّلام) وعد الله أنّه سيفيض على البشر من روحه في أواخر أيّام هذه الدّنيا (انظر كتاب النّبي يوئيل 2: 28 – 29). وأخبر النّبي حزقيال (ذو الكفل) أيضا قومه أن الله سيمنحهم قلوبا جديدة ويجعل روحه تحلّ فيهم (سفر حزقيال 36: 26 – 27). ولأنّ بني يعقوب قد آمنوا بهذا الوعد، فقد تحدّث الحواري بولس في رسالته حول روح الله «كضمان»، وهو ما يعني أنّ هؤلاء الذين تلقّوا روح الله في هذه الحياة، كأنّما بدؤوا اختبار حياة الآخرة التي وعد الله بها أمّته.

أتخلَّ عن حمدِ اللهِ لأجلِكم، وإنِّي أدعو لكم باستمرارٍ وأسألُ اللهَ الأبَ المَجيدَ، ربَّ سيّدِنا عيسى المسيحِ، أن يجعلَكم بِرُوحِهِ على الحِكمةِ والهُدى، لِتعرِفوهُ حقَّ المَعرِفةِ، وأسألُهُ أن يُنيرَ بَصائرَكم لكي تُدرِكوا اليقينَ الّذي منحَهُ لِكُلِّ الّذين استجابوا لدعوَتِهِ، وهُم إرثُهُ الغالي المَجيدُ، عبادُهُ الصّالحونَ، وأن تُدرِكوا قوّةَ اللهِ الفائِقةَ العظيمةَ الّتي منحَها لنا نحنُ المؤمنين، إنّها القُدرةُ الخارِقةُ الّتي بعث بها السّيِّدَ المسيحَ حيًّا مِن بينِ الأمواتِ إلى أبدِ الآبِدين، ثُمّ جعلهُ على يُمناهُ في السّماء فوق كُلِّ الكائِناتِ الخفيّةِ مِن الملائِكةِ والجنِّ والجان والشّياطِين، وجعل اسمَهُ فوقَ كلِّ الأسماءِ، وإنّ اسمَه يطغى عليها في الآخرةِ كما في هذه الدُّنيا،[1] وجعل كلَّ شيءٍ تحت تَصرُّفِهِ (سلامُهُ علينا) وبهذا السُّلطانِ يكونُ وكيلَهُ تعالى مِن أجلِ جَماعةِ المؤمنين، الّذين يُجسّدونَ السّيِّدَ المسيحَ، باعتبارِهِ فيضُ اللهِ الّذي يحِلُّ في الكونِ كُلِّهِ.

الفصل الثّاني

2: 1ـ10 من الضّلال إلى النّجاة

ولقد كُنتم مِن الهالِكينَ مغضوبًا عليكم لِما ارتكبَتْ أيديكُم مِن الخطايا في ما مَضى، إذ كُنتم تسلُكونَ طُرقَ أهلِ الدُّنيا، في دَربِ إبليسَ زَعيمِ الشّياطينِ والجنِّ الّتي تُهيمنُ على جوِّ هذا العالمِ، ويتحكّمُ إبليسُ الآن في كلِّ مَن يعصي الله.[2] ونحنُ مِن

(1) شاع في زمن بولس أنّ بعض السحرة والشيوخ الروحانيين قد حاولوا السيطرة على الملائكة والشياطين والجن من خلال استعمال أسماء تلك الكائنات الغيبية. وفي هذه الرسالة، يستعمل بولس الأسماء الشائعة التي كان يستعملها الناس في تلك الفترة للإشارة إلى هذه الفئات من الشياطين والملائكة. وعندما يقول بولس أنّ اسم سيدنا عيسى (سلامه علينا) هو فوق كل هذه الأسماء فإنّ ذلك يعني أن سيدنا عيسى هو أسمى منهم ويتفوّق عليهم قوّة، ولا يمكن استعمال اسمه دون إذنه. وكان الناس يعتقدون أن بعض الملائكة والشياطين يسيطرون على البشر وحكامهم. ومع ذلك، فإنّ بولس يؤكّد أنّ أتباع السيد المسيح لن يخضعوا بعد الآن لهذه الكائنات.

(2) كان الناس يعتقدون في ذاك العصر أن هناك عدة سماوات واختلفوا في عددها. واعتقدوا أيضًا أن الشياطين كانت تهيمن على السماء الدنيا التي أطلقوا عليها اسم «الجو». وهذه السماء كانت منخفضة جدًّا وبعيدة عن مستوى سماء عرش الله والملائكة المقرّبين من العرش.

بني يعقوب كنّا فيما مَضى مِثلَهم نحيا حسب رَغَباتِ النّفسِ وما يُمليهِ علينا الهَوى. ومِن الطّبيعيِّ أن نستحِقَّ غضبَ اللهِ مِثلَ بقيّةِ أهلِ الدُّنيا.[1]

ولكنّ اللهَ كان بنا رَحيمًا كريمًا، وكان حُبُّهُ لنا عظيمًا! نعم، نحنُ مِن بني يعقوب كُنّا مِن الهالِكينَ بِسببِ آثامِنا، ورَغم ذلك جعلنا اللهُ بِفضلِ قيامةِ سيِّدِنا المسيح خالِدينَ! مَرحى يا إخوَتي مِن غير بني يعقوب، لقد صِرتُم مثلَنا بِفضلِ اللهِ مِن أهلِ النّجاةِ، ولأنّنا ننتمي إلى سيِّدِنا عيسى المَسيحِ، فقد جعلنا اللهُ معه مِن أهلِ الخُلدِ، وأنعمَ علينا بالجُلوسِ إلى جانبِ مَولانا المَسيحِ في عِلّيِّين،[2] وهكذا يظهرُ غِنى فضلِ اللهِ علينا في الأجيالِ القادمةِ مِن خلالِ سيِّدِنا عيسى المَسيح.

نعم يا إخوَتي، لقد صِرتُم بفضلِ اللهِ مِن النّاجين، وهذا ليس نَتيجةَ جُهدِكم بل هُو عطاءٌ مِن اللهِ، ولا هُو بما كسَبتُم بفضلِ أعمالِكم، لِكي لا يتفاخَرَ بعضُكُم على بعضٍ، إنّ اللهَ ميَّزَنا بِالصّورةِ الّتي نحنُ عليها، فجعلَنا مِن خلقِهِ الجَديدِ بِواسِطةِ سيِّدِنا المَسيحِ كي نسلُكَ طريقَ الصّالحاتِ كما حدَّدَ لنا ذلِك مُنذُ القديم.

2: 11–22 وحدة المؤمنين في سيّدنا المسيح

لذلك يا إخوَتي مِن غيرِ اليهودِ، لا تنسَوْا أنّكم كنتم مَنبوذينَ لأنّكم لم تكونوا مِن بني يعقوب. فقد كان هؤلاءِ يفتخِرُونَ أنّهم أهلُ الخِتانِ، أمّا أنتم فقد أطلَقوا عليكم تسميَّةَ غيرِ المَختونينَ بازدِراءٍ، مع أنّ ما يتباهَوْنَ بِهِ ليس سِوى جُرحٍ خارجيٍّ يأتيهِ البشرُ.[3] ولقد كنتم حينئذٍ دون سيِّدِنا المَسيحِ، مَنبوذينَ من بني يعقوب أهلِ ميثاقِ اللهِ، ومُبعَدينَ عن عُهُودِهِ تعالى ووُعُودِهِ، فكنتم تعيشونَ دونَ يقينٍ، وحُرِمتم في دُنياكم مِن

(1) كان بنو يعقوب يعتقدون أنّ إبليس يسيطر على جميع شعوب العالم ويحكمهم جميعًا باستثناء شعبهم. وقد فسّر بعض علماء الدّين اليهودي أنّ كلّ خطيئة إنّما هي نتيجة مباشرة لتأثير الشّياطين. ولم يوافق الحواري بولس على هذه الفكرة. ولكنّه في المقابل أكّد أنّ له تأثيرًا غير مباشر ويمكن أن نشعر به في العالم كلّه. ولن ينجو أحد من هذا التّأثير بسبب انتمائه العرقيّ، ولكنّه ينجو فقط بسبب إيمانه بسيّدنا عيسى المسيح.

(2) تعني عبارة الجلوس إلى جانب السيد المسيح في السماء أن المؤمنين يتمتّعون معه بسلطة على قوى الشيطان كلها. فالمؤمنون إذن سيكونون في عناية الله وليس من الضروري أن يسيطر عليهم الخوف من القدر، أو من الشياطين، أو من تأثير الكواكب (الأفلاك).

(3) كان الختان علامة مادّية تميّز اليهودَ عن غيرهم. واعتقد اليهود في زمن بولس أنّه لا أحد غيرهم دون ختان يمكنه أن يكون جزء من أمّة الله.

التّواصُلِ معه سُبحانَه وتعالى، ولكِن ها أنتمُ الآنَ مِن جماعةِ سيِّدِنا عيسى المسيح، وقد كنتم مِن قبلُ مُبتعِدينَ عنِ اللهِ، فصِرتُم مُقرَّبين مِنه تعالى بفَضلِ تَضحيةِ السّيِّدِ المَسيح بدمِهِ الزَّكيّ، لأنّه (سلامُهُ علينا) قد صالحَ بين بني يعقوب وغيرِهم مِن الشّعوبِ، إذ جمَعَهم فأصبَحوا مُتّحِدينَ، وهَدَمَ جِدارَ البُغضِ والكراهيّةِ الّذي كان يفصِلُ بعضَنا عن بعض.[1] وعِندما ضَحّى سيِّدُنا المَسيحُ بِحياتِهِ ألغى عاداتِ بني يعقوب وتقاليدَهم الّتي وقَفت سدًّا منيعًا، فمنَعت غيرَ اليهودِ مِن مُشارَكتِهم في العهدِ مع اللهِ، فصالحَ بين الجماعتَيْن، وجعلَ مِنهُما أُمّةً واحدةً جديدةً تنتمي إليه (سلامُهُ علينا). فبتضحيّتِهِ على الصَّليبِ، قَضى على العُدوانِ الّذي بينهُما، فأصبحا بذلك جماعةً واحدةً وأعادهُما إلى نورِ اللهِ. لقد حملَ السّيّدُ المَسيحُ إلى الجميعِ البُشرى، والمُصالحةَ الكُبرى: بُشرى للأغرابِ الّذين كانوا مُبعَدينَ عنِ اللهِ، وبُشرى لَنا نحنُ مِن بني يعقوب، وقد كُنّا مُقرَّبين مِنهُ. لأنّه بالسّيّدِ المَسيحِ لنا جميعًا سبيلُ الوُصولِ إلى اللهِ الأبِ الرّحيم بفَضلِ رُوحِهِ الواحدةِ.

فأنتم مِن الآنَ لم تعُودوا أجانِبَ غُرباءَ، بل صرتُم إخوةً في أُمّةِ اللهِ، ودخلتُم أهلَ بيتِهِ تعالى، الّذي جعلَ أساسَهُ الحَوارِيِّين والأنبِياء، في حين جعل سيِّدَنا عيسى المَسيح حجرَ الزّاويةِ المَتين! ونحنُ المؤمنين به أصبَحنا مُترابِطينَ كحجرِ البِناءِ، فبتكاتُفِنا نصيرُ بيتًا مُقدّسًا للمولى[2] وها أنتم أيّها الأغرابُ قد أصبحتُم بسيِّدِنا المَسيحِ جُزءًا لا يتجزأُ مِن صرحِ اللهِ الّذي تحلُّ فيهِ رُوحُهُ تعالى.

---

(1) وجد في زمن بولس تقسيم اجتماعي صارم بين اليهود وغيرهم، حتّى في حَرَم بيت الله في القدس إذ كانت هناك باحات يسمح لغير اليهود بالدخول إليها، وأخرى لا يدخلها سوى اليهود. وإن «جدار البغض والكراهية» ربما يكون تلميحا إلى ذلك الفاصل بين هذه الباحات. ويستعمل بولس هذا التعبير المجازي لوصف القطيعة بين اليهود وغيرهم.

(2) كان بيت الله في القدس مركزا للعبادة حيث كان بنو يعقوب يتقرّبون إلى الله. وقد بُني بيت الله الأول تحت إشراف النبي سليمان (عليه السّلام) ووجدت في حرمه مواضع متمايزة، بعضها يخصّ الناس العاديّين، وبعضها الآخر يخصّ الأحبار. أمّا في زمن بولس فقد أُدخلت إضافات على حرم بيت الله بطريقة أحدثت فيه فواصل تحول دون وصول النساء وغير اليهود إلى بعض الأماكن. ويقول بولس في هذا المقطع أنّ الله يعتبر كل أتباع السيد المسيح بيته الحقيقي، وأنّ الحواجز التي تفصل بين مختلف الناس قد أُزيحت من هذا البيت الروحاني.

الفصل الثّالث

3: 1-13 بولس رسول إلى غير اليهود

لِهذا السَّبَب، أنا بولُسُ سَجينٌ الآن في سبيلِ سيِّدِنا عيسى المَسيحِ مِن أجلِكم أنتم أيّها الأغراب.[1] وإنّكم بلا شكّ تعلمُونَ أنّ اللهَ كرَّمَني حِين أمرني أنْ أُعلن رِسالةَ فضلِهِ عليكم. ولقد ذكرتُ لكم آنِفًا في رِسالتي هذه باختِصارٍ كيف كَشَفَ اللهُ لي ما كان خفيًّا مِن مَقاصدِه، فإذا قرأتُم ما أكتبُهُ إليكم في هذه الرِّسالةِ، فستفقهُونَ ما علِمتُ عن سِرِّ اللهِ في سيِّدِنا المَسيح. ولقد جهِلَ النّاسُ هذا السِّرَّ فيما مَضى، وها هو يكشِفُهُ برُوحِهِ تعالى لعِبادِهِ الصّالحينَ: الحَوارِيّين مِنهُم وأصحابِ كرامةِ النّبوءة. وهذا السِّرُّ هو: حِينما يؤمِنُ النّاسُ مِن كُلِّ الأُممِ برسالةِ سيِّدِنا المَسيح، يرِثونَ بركاتِ اللهِ المَوعودةَ مع بني يعقوب، فيُصبِحونَ معًا أعضاءً سواسيةً في أُمّةِ الجسدِ الواحدِ للسّيِّدِ المَسيح.[2]

أجل، لقد فضّلني اللهُ وجعلني مُناديًا رسُولاً، ومَنَحَني قُوّةً حتّى أُتمِّم هذا البلاغَ المُبين، وإنّي لأَقلُّ قدرًا مِن كُلِّ عبادِهِ الصّالحين، ولكنّ اللهَ شرَّفني حتّى أُعلِنَ إلى غيرِ اليهودِ رِسالةَ السّيِّدِ المَسيحِ الّتي لا تُحَدُّ قيمتُها بِحُدودٍ، وأكشِفَ لكُلِّ النّاسِ مَقاصِدَ اللهِ الخفيّةِ، فاللهُ الّذي خلقَ كلَّ مَوجودٍ، شاءَ أن يكتِمَها عن النّاسِ مُنذُ البدء. ولقد كان هدفُهُ إظهارَ وُجوهِ حكمتِهِ كُلِّها في جميعِ أبعادِها لكُلِّ الكائناتِ الغيبيّةِ، مِن الملائكةِ والجِنِّ والشّياطين، مِن خِلالِ جماعةِ المسيحِ المُوحَّدةِ.[3] إنّ هذا هو قصدُ اللهِ الأزليُّ، وقد أتمّهُ تعالى بِواسِطةِ سيِّدِنا عيسى المسيحِ. إنّنا حينَ نؤمِنُ به (سلامُهُ علينا)، يُمكِنُنا

(1) يبدو أن الحواري بولس كان تحت الإقامة الجبرية في روما عندما كتب هذه الرسالة. (انظر سيرة الحواريين 28: 16، 30).

(2) اعتبر بنو يعقوب أنّ بركات الله الموعودة تنحصر في سلالة النّبي إبراهيم فقط، ولا شكَّ أنّهم صُعقوا من كلام بولس حين قال إنّ من حقّ غير المختونين من غير اليهود أن ينضمّوا إلى أهل ميثاق الله إلى جانب اليهود.

(3) إنّ بعض الكتابات اليهوديّة قبل زمن السيّد المسيح (سلامُهُ علينا) تتحدّث كيف يكشف الله عن قوّته وجلاله لملائكته من خلال أمّته، فيمجّدونه. واعتبر النّاس الملائكة حكّامًا على مختلف الشعوب. فعندما وحّد الله جميع أتباع السيّد المسيح الذين ينتمون إلى مختلف الأعراق والبلدان، فقد بيّن أنّ سلطته تفوق سلطة الملائكة وتشمل جميع شعوب الأرض والممالك.

جميعًا التّقرُّبُ بكلِّ ثقةٍ واطمِئنان إلى حَضرةِ اللهِ على حدٍّ سواءٍ. فلا تقنطوا لِما أنا فيهِ مِن عذابِ القُيودِ، بل افتخِروا بالشّدائدِ الّتي أتحمّلُها مِن أجلِكم.

3: 14ـ21 بولس يسأل الله أن يقوّي المؤمنين

وإنّي حين أتأمّلُ في كلِّ هذه الأُمورِ الرّبّانيّةِ العظيمةِ، أسجُدُ أمام اللهِ الولِيِّ الرّحيم، فهُو الّذي خَلَقَ الولاء بين أفرادِ الجماعاتِ في الغيبِ وبين النّاسِ. ومِن أجلِكم أسألُهُ تعالى السّندَ والتّأييد، وأن يَمنحَكُم بِرُوحِهِ القُوّةَ في أعماقِكم حسب غِناهُ المَجيدِ، وأسألُهُ أيضًا أن يحلَّ السّيِّدُ المَسيحُ في أفئِدتِكم بالإيمانِ، وأن تكونوا ثابِتين راسِخين في المَحبّةِ، وأن يكونَ بِاستطاعتِكم أن تكتسِبوا مع كُلِّ المؤمنين، القُوّةَ الحقيقيّةَ في كلِّ أبعادِها مِن عرضٍ وطولٍ وعُلوٍّ وعُمقٍ، حتّى تُعاينوا قُوّةَ اللهِ الخارِقَةَ،[1] وأن تختبِروا مَحبّةَ السّيِّدِ المسيحِ، الّتي تفوقُ إدراكَ المُدرِكينَ، فيعُمَّكم فيضُ اللهِ العميمُ.

سُبحانَ اللهِ القدير، هُو الّذي بِقُوّتِهِ السّاريةِ فينا يفعَلُ أكثرَ بكثيرٍ مِمّا نطلُبُ أو نَتصوَّرُ، فلِيكُن لهُ الجلالُ والإكرامُ، بِفضلِ الإيمانِ بسيِّدِنا عيسى المسيحِ، وبِأعمالِ جماعةِ المؤمنينَ، في كُلِّ زمنٍ وحينٍ، وإلى أبدِ الآبدينَ. آمين.

الفصل الرّابع

4: 1ـ6 الوحدة والتّعدُّد

أنا السَّجينُ في سَبيلِ الدَّعوةِ إلى السّيِّدِ المَسيحِ أُوصِيكم أن تعيشوا كما يليقُ بِالّذين استجابوا لدعوَةِ اللهِ. فتحلَّوْا دائمًا بالتّواضُعِ واللُّطفِ والصَّبرِ، ولْيَتحمَّلْ بَعضُكم أخطاءَ بَعضٍ بِكُلِّ مَحبّةٍ،[2] واجتهِدوا كي تظلّوا مُتّحِدينَ بِرُوحِ اللهِ وفي السّلامِ الّذي يربِطُكم بَعضَكم ببعضٍ. فكُلُّنا ننتمي إلى أُمّةِ الجسدِ الواحِدِ ونتمتَّعُ بقَبَسٍ مِن رُوحِ

(1) إنّ هذه العبارات التي تشمل الأبعاد من عرض وطول وعمق وارتفاع كانت تستعمل في نصوص اليونان الوثنيين للحديث عن القوّة الخارقة.

(2) في المفاهيم اليونانية القديمة هناك تصوّر عند الناس يقول أن التواضع والحِلم واللّطف والتضحية بالنفس هي بمثابة ضعف. ولكن الحواري بولس يوضّح أنه ينبغي على الناس تبادل المحبة فيما بينهم، تلك التي كانت متجلّية في تواضع السيد المسيح (سلامه علينا).

اللهِ الواحدةِ، كما دَعانا تعالى لنَحظى معًا بيقينٍ واحدٍ. ولنا سيّدٌ واحدٌ، وإيمانٌ واحدٌ، وتطهُّرٌ واحِدٌ صِبغةً للهِ. لا إلهَ إلاّ اللهُ الأبُ الأحَدُ الصّمد، وهو فوقَ الجميعِ، يَحلُّ فينا وبيننا نحن المؤمنين جميعًا.

4: 7_16

أجل، ففضلُ اللهِ العظيمُ يغمُرُ كلَّ واحدٍ منّا، حسَب عظمةِ تضحيةِ سيِّدِنا المَسيح. فقد أوحى اللهُ في الزّبورِ بهذا الفضلِ الكبير: «عندَما صعِدَ مَولانا مُنتصِرًا إلى العُلى، أخذَ معهُ عددًا كبيرًا مِن الأسرى، وأعطى قومَهُ هِباتٍ».[1] فقولُهُ: «صعِدَ» يدُلُّ على أنّ (سلامُهُ علينا) قد نزَلَ إلى أسفلِ الأرضِ. إنّ مَن نزَل إلى الأسفلِ هو الّذي صَعِدَ فوقَ كُلِّ السّماواتِ، حتّى يهيمِنَ مِن عليائِهِ على كُلِّ المَوجُوداتِ مُغدِقًا على قومِهِ الهدايا، فجعل بعضَهُم حَواريّين، وبعضَهُم يتمتَّعونَ بكرامةِ النّبوءة، أو دُعاةً، أو مُشرفينَ ومُرشِدينَ، حتّى يُؤهِّلوا المؤمنين للقيامِ بِعملِ اللهِ، ولِيُشرفوا على تَنميتِهِم كأعضاءٍ لأُمّة الجسد الواحد للسيّدِ المَسيح حتّى نصل إلى دَرجةِ تَوَحُّدِنا جَميعًا في الإيمانِ والحُصولِ على العِلمِ واليقينِ بالسيّدِ المَسيح، الابنِ الروحيّ لله، فنَرتقي بذلك إلى مَقامِ الإنسانِ الكامِلِ، ونَصِلَ إلى فَيْضِ صِفاتِ السّيِّدِ المسيح.

وهكذا لا نظَلُّ في إيمانِنا كالأطفالِ غيرَ راشِدينَ، ولا ننقادُ إلى الضّلالِ بكذبِ الكاذِبينَ واحتيالِهم، ولا نستمِعُ إلى تعاليم الدّجّالينَ، فتعبثُ الرِّياحُ والأمواجُ بإيمانِنا كقارِبٍ يُساقُ على غيرِ هُدى. بل علينا أن نكونَ صادقين ومُحِبِّين بعضُنا لِبعضٍ، فنرتَقِي مِن كلِّ النَّواحي حتّى نُشابِهَ السّيِّدَ المسيحَ أكثرَ فأكثرَ، باعتبارِهِ رأسَ جماعةِ المؤمنين،[2] وبهِ تتماسَكُ أعضاءُ الجِسمِ فيقومُ كُلُّ عضوٍ بِدورِهِ، فينمو الجِسمُ كلُّهُ ويتكامَلُ بالمَحبّةِ.

---

(1) يقتبس بولس هنا من كتاب الزّبور في الترجمة اليونانيّة (مزمور 68: 17-18) وفيه يصف كيف غادرت تجلّيات الله جبل سيناء وحلّت في القدس لإقامة مملكة الله الموعودة. ويشير بولس من خلال هذه الكلمات إلى صعود السيّد المسيح وارتقائه وتتويجه في السّماء. وبهذه الطريقة، يشير إلى أن مملكة السيّد المسيح هي استمرار للمملكة ذاتها التي تمّ تأسيسها قبل قرون في القدس تحت حكم النّبي داود (عليه السّلام).

(2) عندما قال بولس إنّ السيد المسيح هو بمثابة الرأس وإن المؤمنين هم جسد تلك الرأس، فهو يشير إلى المفهوم الطبي الشائع في زمنه، والذي يعتبر الرأس الجزء الذي يوجّه الجسد كلّه ويقوّيه.

4: 17ـ24 تجدُّد العقل والرّوح

وإنّي أُلِحُّ عليكم في وصيّةٍ باسم سيّدِنا عيسى (سلامُهُ علينا): لا تتّبعوا بعد الآن سيرةَ عَبَدةِ الأوثانِ، فأفكارُهُم باطِلةٌ، وبَصائرُهم غارقةٌ في الظُّلُماتِ، جَهَلةٌ وقد تمادوا في عنادِهم، وهم مَحرومونَ مِن الحياةِ في حَضرةِ اللهِ. لا يستطِيعُونَ التّمييزَ بين الخيرِ والشّرِّ، مُستسلمُونَ للفواحِشِ، مُنغمِسُونَ في كُلِّ فسقٍ لا يرتوُونَ.

وإنّ هذِهِ الصِّفاتِ تُخالفُ تمامًا ما تعلّمتُمُوهُ مِن مَبادِئَ حين أصبَحتم تابعينَ للسّيِّدِ المَسيحِ. فطريقُهُ (سلامُهُ علينا) هُو طريقُ الحقِّ، وإذا تعلَّمتم كلِمتَهُ صِرتُم تابعين لهُ (سلامُهُ علينا). فاخلَعوا عنكم سيرتَكم الماضيةَ، وكلَّ ما تدعُوكُم إليهِ النّفسُ الفاسِدةُ مِن الهَوى. وجدِّدُوا ما فيكم مِن مَشاعِرَ ونُهًى. ولِتكُنِ النّفسُ الجديدةُ كِسوةً لكم خلقَها اللهُ ليعكِسَ صِفاتِهِ، لِتكونوا مَرضيِّين عنده ومَنذورين له بالحقِّ.

4: 25ـ32

لذا، تجنَّبوا الكذِبَ، وكونوا صادِقين مع جيرانِكم، فكلُّنا مُوحّدُونَ كالأعضاءِ لأنّنا أتباعُ سيِّدِنا المَسيحِ. ولقد جاء في الزَّبُورِ: «ولئِن غضِبتم فاجتنِبوا خطأَ الخطّائينَ»،[1] فلا تغرُبَنّ الشّمسُ وأنتُم غاضِبونَ، فلا تجعَلوا غضبَكُم يفسحُ المَجالَ لدخولِ إبليسَ بينكم. فمَن كان مِنكُم سارِقًا قبل إيمانِهِ، فليتوقّفْ عن السّرقةِ، وليجتهدْ في عملٍ شريفٍ، ليكفلَ نفسهُ ويُعين المُحتاجينَ.

وإذا تكلّمتُم، فلا تتفوّهوا ببذِيءِ الكلامِ، بل قولوا قولاً صالحًا ينفعُ السّامِعينَ، ويدفعهم إلى ما هو خير. ولا تُزعِجوا رُوحَ اللهِ تَقدَّس وتعالى بسوء أعمالِكم، إنّ اللهَ ختمكُم بِرُوحِهِ ضمانًا منه بأنّكم ستتحرَّرونَ يومَ الدِّينِ. وانبُذُوا الشّرَّ بأنواعِهِ مِن حقدٍ وغضبٍ وهَيَجانٍ وعِراكٍ وشَتيمةٍ وغيرِهِ. ومُقابل ذلك كونوا لُطفاءَ رُحماءَ على بَعضِكم، وكونوا مُتسامِحينَ كما سامَحَكُم اللهُ بِفضلِ السّيِّدِ المَسيحِ.

(1) يقتبس بولس هنا من كتاب الزّبور، (مزمور 4: 4 في الترجمة اليونانيّة) حيث نبّه النبي داود كل الذين يصابون بالغضب ألاّ يرتكبوا إثما باتّهامات كاذبة أو نشر الإشاعات.

5: 1_14 الحياة في نور الله

أنتُم يا عِيال اللهِ الأحِبّاءَ، اقتدُوا بصِفاتِ اللهِ الحَميدةِ. واسلُكُوا في المَحبّةِ سيرةَ السّيِّدِ المَسيحِ، فهُو الّذي أحبّنا وضَحّى بنفسِهِ مِن أجلِنا كقُربانٍ ذي رائحةٍ ذكيّةٍ لِمَرضاةِ اللهِ.(1)

واحرِصوا ألاّ تتسرَّبَ إليكم ذُرّةٌ من الفُجورِ والشّهوات والفحشاءِ، فهذا لا يليقُ بعِبادِ اللهِ الصّالِحين. واترُكوا السّفاهةَ وسُخفَ الكلامِ وبذِيءَ القولِ، وفي المُقابلِ احمدوا اللهَ واشكروهُ. فلا ريبَ أنّ أهلَ الفُجورِ والشّهوةِ والفحشاءِ، لا نَصيبَ لهُم في مَملكةِ سيِّدِنا المَسيحِ، وهي المَملكةُ الرّبّانيّةُ العُظمى، ذلك أنّ أهلَ الشّهواتِ في الحقيقةِ لا يَعبدونَ اللهَ، بل هُم في ذلك بمَثابةِ عبدةِ الأصنامِ.

فلا يخدعنّكُم الّذين يبرّرونَ هذه السّيئاتِ، فاللهُ يُعاقِبُ العُصاةَ الآثمين بلا ريبٍ. فلا تُشارِكوهم في أعمالِهِم السّيّئةِ. ولقد كنتم في ما مَضى قابعِينَ في الظُّلُماتِ، وأصبحتُم الآن تنعمونَ بالنّورِ بفضلِ سيِّدِنا (سلامُهُ علينا)، فاسلُكُوا في حياتِكُم سيرةَ أهلِ النُّورِ. والنُّورُ الّذي فيكم يُثمِرُ الخيرَ والصّلاحَ والحقَّ. فاسعَوْا لمَعرفةِ ما يُرضي سيِّدَنا عيسى، ولا تُشارِكوا في سُوءِ الأعمالِ الّتي لا جَدوى مِنها، بلِ اكشِفوها على حقيقتِها، فكلُّ ما يفعلُهُ الأشرارُ في الخفاءِ، نخجلُ مِنهُ ومِن ذِكرِهِ. ولكن كُلُّ الأشياءِ الّتي تظهَرُ في النُّورِ تنكشِفُ على حقيقتِها، ولقد أضاءَ نورُ اللهِ ليكشِفَ ما يأتونَهُ مِن شَرٍّ وفُجورٍ، لِهذا يُقالُ: «انهضْ أيُّها النّائِمُ واترُكْ سُبُلَ الموتِ، فيُشرِقَ عليك السّيِّدُ المَسيحُ بنورِهِ».(2)

---

(1) كان المؤمنون يتقرّبون إلى الله بتقديم القرابين التي يقع حرقها كما ورد في التوراة، وكانت هذه العبادة ترضي الله كثيرًا، وهذا ما تمّ وصفه بـ «رائحة تَقَبَّلَها اللهُ برضًى» (انظر التوراة، سفر التكوين 8: 21، وسفر الخروج 29: 18، 25، 41) رغم أنّ الله في غَنًى عن مثل هذه العبادات (انظر كتاب الزّبور، مزمور 50: 7-15 وكتاب النّبي هوشع 6: 6).

(2) من المرجَّح أن بولس اقتبس من نشيد استعمله الأتباع الأوائل للسيد المسيح، وفيه يظهر بعض التشابه مع آيات في كتاب النبي أشعيا 26: 19، 60: 1.

فانتبِهُوا إلى سيرةِ حياتِكم، ولا تسلُكوا سُلوكَ الحَمقى بل كونوا عُقلاءَ، واغتنِموا الفُرصَ لفعلِ الخيرِ، لأنّ هذه أيّامٌ يَسودُها الشّرُّ، فلا تتصرّفوا بَطيشٍ، بل أدرِكوا ما يُرضي مَولاكُم، ولا تسْكرُوا بالخمرِ لأنّ في ذلك خرابًا، بل كونوا مُفعَمينَ برُوحِ اللهِ. وإذا اجتمعتُم، فتذاكرُوا ما في المَزاميرِ، والأناشيدِ الدِّينيّةِ، ورتّلوا وسبّحوا، وأنشِدوا لمَولاكم في قُلوبِكم، واحمَدوا اللهَ الأبِ الرَّحيم بِاسمِ سيِّدِنا عيسى المَسيحِ على كُلِّ شيءٍ وفي كُلِّ حِينٍ.

5: 21ـ33 تعاليم للزّوجات والأزواج

وبما أنّكم تهابونَ السّيِّدَ المَسيحَ، فلِيكُنِ الاحترامُ مُتبادلاً بينكم.[1] يا أيّتُها الزّوجاتُ، كما تحترِمْنَ مَكانةَ السّيِّدِ المَسيحِ، اِحترِمْنَ مَكانةَ أزواجِكنّ. إنّ الرَّجُلَ أصلُ المَرأةِ، كما أنّ السّيِّدَ المَسيحَ أصلُ جَماعةِ المؤمنين، ومُنقذُهم باعتبارِهم أُمّةَ الجسد الواحد لهُ على الأرضِ، فكما تحترِمُ جماعةُ المسيحِ مَكانتَهُ (سلامُهُ علينا)، فعلى الزّوجاتِ أن يَحترِمْنَ مكانةَ أزواجِهِنّ في كُلِّ أمر.

أمّا أنتم أيُّها الأزواجُ، فأحِبّوا زوجاتِكم كما أحبَّ سيِّدُنا المَسيحُ جماعةَ المؤمنينَ، فقدّمَ (سلامُهُ علينا) حياتَهُ تضحيّةً مِن أجلِهِم، ليجعلَهُم مَنذورينَ لِنفسِهِ وطاهرينَ بِالماءِ وبِرسالةِ اللهِ، حتّى يكونوا أُمّتَهُ الخاصّةَ كعروسٍ بهِيّةِ الجمالِ، خاليَّةٍ مِن التّجاعيدِ ومِن العُيوبِ ومِن النُقصانِ، بل هي مُقدّسةٌ كاملةُ الأَوصافِ. فيا أيُّها الرِّجالُ أحِبّوا زوجاتِكم كما تُحِبّون أجسامَكم. إنّ الرَّجلَ الّذي يحبُّ زَوجتَه في الحقيقةِ يُحبُّ نفسَه، فلا أحدَ

(1) شاع في القديم نشر قوائم الأحكام الأُسريّة التي توضّح واجبات كلِ شخص من أهل البيت. وقد سمّى الباحثون هذا المقطع (من 5: 22 إلى 6: 9)، بـ«الأحكام الأسريّة». وخلافا للقوائم التي كانت منتشرة بين الناس، نجد قوائم أخرى في الإنجيل تركّز على مسؤوليات أصحاب المراكز الكبرى في المجتمع الأسري (الأزواج والآباء والأسياد) تجاه الأضعف منهم (الزوجات والأطفال والعبيد). ونذكر على سبيل المثال أنّ مجموعة الأحكام القديمة العادية لم تنصَّ أبدا على وجوب محبة الزوج لزوجته، لكن هذه القوائم كانت توجّه الأزواج لكي يجبروا زوجاتهم على الخضوع لهم. ويوجد فرق آخر شاسع بين الأحكام الأسرية التي ذكرت في الإنجيل وتلك التي دعا إليها الفلاسفة والأدباء الوثنيون، ويتمثّل في ضرورة خضوع جميع الأعضاء من جماعة المؤمنين بعضِهم لبعض كما ورد في الإنجيل.

يكرهُ جسمَهُ، بل يُطعِمُهُ ويَعتني بِهِ، كذلِك فعل السَّيِّدُ المَسيحُ مع أُمَّتِهِ، فنحنُ أعضاءُ جماعتِهِ. وهو ما نجِدُهُ في التّوراةِ في قوله تعالى: «لهذا السَّبب يتركُ الرَّجلُ أُمَّهُ وأباهُ ليقترِنَ بزوجتِهِ فيُؤلِّفانِ عائلةً جديدةً وباقترانِهما يُصبِحانِ واحدًا».[1] إنّ في هذا لَسِرٌّ عَظيمٌ، وفيهِ نلمَسُ وحدةَ السّيِّدِ المَسيح مع أُمّتِهِ. وخُلاصةُ القول: يا أيّها الرِّجالُ، أحِبّوا زوجاتِكُم كما تُحِبّونَ أنفسَكم. وأنتنّ، أيّتُها الزّوجاتُ، اِحترِمْنَ مكانةَ أزواجِكنّ.

الفصل السّادس

6: 1–4 تعاليم للآباء والأبناء

أيُّها الأبناءُ، أطيعوا والِديكم لأنّكم تُؤمِنونَ بالسّيِّدِ المَسيحِ، وهذا هو السُّلوكُ السَّليمُ. «أكرِم أباك وأُمَّك» إنّ هذه هي أوّلُ وَصيّةٍ في التّوراةِ مَصحوبةٍ بوعدٍ مِن اللهِ. وهذا هو الوعدُ الرّبّانيُّ: «أكرِم أباك وأُمَّك خيرًا تلقَ، فتنعم بحياةٍ طويلةٍ في الأرضِ».[2]

وأنتم أيُّها الآباءُ، لا تُعامِلوا أبناءَكم بقسوةٍ وشِدّةٍ فتُثيرونَ غضَبَهم، بل أدِّبُوهُم بِأدبِ سيِّدِنا المَسيح وتوجيهِهِ الرّشيدِ.

6: 5–9 تعاليم للعبيد والسادة

أيّها العبيدُ،[3] أطيعُوا ساداتِكم باحتِرامٍ وهيبةٍ، وأخلِصوا لهم كأنّكم تُطيعونَ في ذلك السّيِّدَ المَسيح. فأطيعوهم دائمًا ليس فقط حِين يُراقِبونكم لاستِمالتِهِم حتّى تنالوا

(1) التوراة، سفر التكوين 2: 24.

(2) التوراة، سفر التثنية 5: 16.

(3) مثّلت نسبة العبيد في المجتمع اليوناني والروماني ثلث عدد السكّان في تلك الحقبة التاريخيّة. فقد كان بعض النّاس يولدون عبيدًا، أو يتحوّلون إلى عبيد لاحقًا عندما يجري بيعهم أو يقعون أسرى في الحرب أو يعجزون عن دفع ديونهم. إنّ في التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الأنبياء الأوّلين ضوابط ونظامًا يخصّ المؤسّسات الاجتماعيّة كالعبوديّة والطّلاق. وهذا لا يعني أنّ الله يرضى الاستعباد والطّلاق لعباده، لكنّ هذه التّوجيهات الإلهية هي بمثابة الطّريقة العمليّة التي تنظّم مثل هذه الأمور. وسعى بولس إلى تقويض فكرة العبوديّة، رغم أنّه لم يتحدّ هذه المؤسّسة بصورة مباشرة. ولأنّ العبيد أصبحوا أتباعًا للسيّد المسيح، فقد صاروا عبيدًا له، يخدمونه ويعملون بما يرضي الله. وتحدّى بولس أيضًا نظام العبوديّة من خلال أوامره التي وجّهها لأصحاب العبيد الذين كانوا أتباعًا للسيّد المسيح لكي يعاملوا خدّامهم بكلّ احترام.

رِضاهم، بل أطيعوهم كطاعتِكم لِلسّيِّدِ المَسيح، طالِبِينَ في ذلك رِضا اللهِ مِن صَميمِ قُلوبِكُم، واخدِموهم بِكُلِّ رِضى، وكأنّكم في ذلك تخدُمُونَ مَولانا، لا عامَّةَ النّاسِ، لأنّكم تُدرِكونَ أنَّ جزاءَ مَولانا سيصِلُ إلينا جميعًا، عبيدًا كُنّا أم أحرارًا، كُلٌّ حسَب حسناتِهِ.

أمّا أنتم أيُّها الأسيادُ، فعليكم أن تُعامِلوهم بِكلِّ لُطفٍ دونَ تَهديدٍ، بِما أنّكم تعلمونَ أنّ لكم سيّدًا واحدًا في السّماءِ لا يُحابي أحدًا.

6: 10ـ20 الكفاح ضدّ الشّيطان

وإضافةً إلى ما ذكرتُهُ سابقًا، كونوا أقوياءَ بِمَولانا وبقُدرتِهِ العظيمةِ، وتحصَّنوا بما مَنَحَهُ اللهُ لأوليائِهِ مِن سِلاحٍ، لتتمَكَّنوا من ردِّ كيدِ إبليسَ اللّعينِ، فنضالُنا ليسَ ضدَّ البشرِ بل ضِدَّ الشّيطانِ وكلِّ أعوانِهِ الأقوياءِ في الغيبِ مِن الجِنِّ والشّياطين، الّذين يطغَوْنَ على هذه الدُّنيا المُظلِمةِ. فاعتمِدوا على سِلاحِ اللهِ الكاملِ في صُمودِكم في وجهِ الشّيطانِ أثناءَ محنتِكم، فتستمرّوا راسِخِينَ في إيمانِكم حتّى نِهايةِ مَعركتِكم معهُ. فاصمُدوا واتّخِذوا الحقَّ حِزامًا، ومَرضاةَ اللهِ عنكم دِرعًا يحمِي صُدورَكم، واعتمِدوا على رِسالةِ سلامِ اللهِ، فتكونوا في ذلك مِثلِ الجُندي الّذي ينتعِلُ حِذاءهُ استعدادًا لِلمَعركةِ،[1] واجعلوا الإيمانَ تُرسًا تردّونَ بِهِ سِهامَ الشّيطانِ المُشتعِلةَ نحوكُم،[2] واجعلوا النّجاةَ على رؤوسِكُم كأنّها خُوذةٌ تحتمُونَ بها، وتمسّكوا بِكلامِ اللهِ سيفًا مِن رُوحِهِ تَعالى. وتضرّعوا دائمًا بِهِدايةِ رُوحِ اللهِ في كلِّ صلواتِكم وابتهالاتِكم. وتيقّظوا واستمِرُّوا في الدُّعاءِ مِن أجلِ عِبادِ اللهِ الصّالحين كُلِّهِم. واذكُرونِي في دُعائِكم، لكي يُكرِمَني اللهُ بالجُرأةِ والبيانِ حتّى أكشفَ السِّرَّ الرّبّانِيَّ، ألا إنّ أُمّةَ اللهِ مَفتُوحةٌ للجميعِ دُون تمييزٍ بين الأعراقِ والمِللِ والشُّعوبِ. فأنا مَن أوكَلَهُ اللهُ بهذِهِ الرِّسالةِ، حتّى وإن كُنتُ الآنَ في سبيلِها مقيّدًا في السّلاسِلِ، فاطلُبُوا لي القُدرةَ مِن اللهِ كي أنشُرَ رِسالتَه بِكُلِّ جُرأةٍ كما يجبُ.

---

(1) استعمل النّبي أشعيا الكلمات نفسها لوصف قدمَيْ حامل الرّسالة (52: 7). وقد كان الناس في زمن النّبي أشعيا يتنقّلون حفاة عادة بشكل طبيعي. وفي هذا المقطع، وُصف الذين ينشرون رسالة سيّدنا عيسى بانتعالهم أحذية لحماية أقدامهم وتشبه هذه الأحذية تلك التي ينتعلها جنود الرّومان.

(2) كان الرّومان يحملون دروعًا مكسوّة بالجلد، ويمكن نقعها بالماء لتنطفئ السّهام المشتعلة نارًا، تلك الموجّهة إليهم.

6: 21ـ24 ختام

سيزُورُكُم الأخُ طيخي الحبيبُ، مُعاوِني الأمينُ في الدّعوةِ إلى رسالةِ سيِّدِنا المسيحِ، فيُبلّغكم أخباري. ولقد أرسلتُهُ إليكم حتّى يُعلِمكُم بأحوالِنا ويُقوّي عزيمتكم.

يا إخواني وأخواتي في اللهِ، لِيَكُنْ لكم السّلامُ والمَحبّةُ ومَزيدٌ من الإيمان مِنَ اللهِ الأبِ الرَّحيمِ ومِن سيّدِنا عيسى المَسيح. فليصِل فضلُ اللهِ إلى كُلِّ الّذين يُحِبُّونَ سيِّدَنا عيسى المسيح مَحبّةً خالِدةً على مَدى الأزمانِ.

مدخل إلى رسالة فيليبّي

كانت مدينة فيليبّي تقع في مقدونيا شمال اليونان، وسُمِّيت بهذا الاسم نسبة إلى فيليب الثّاني ملك مقدونيا والد الإسكندر الأكبر. وغزاها الرّومان بعد عصر الإسكندر الأكبر بسنوات عديدة واستوطنوها بعد سنة 30 قبل الميلاد، وظلّت الثّقافة اليونانيّة سائدة رغم حكم الرّومان. وبرزت هذه المدينة عندما أنشأَ الرّومان الطريقَ الإغناطي الذي يصل بين شرق الإمبراطوريّة والموانئ البحريّة على السّاحل الغربيِ لليونان. وكانت غنيّة بمناجم الذّهب والفضّة القريبة منها.

ومثّلت جماعة المؤمنين بالسيّد المسيح في فيليبّي أوّل جماعة أسّسها الحواري بولس في أوروبا. ووردت إشارة إلى الأحداث التي ساعدت على تأسيس الجماعة حوالي سنة 50 بعد الميلاد في سيرة الحواريّين 16: 9-40. ووصل الحواري بولس صحبة رفاق عمله سلواني وتيموتاوي ولوقا إلى مدينة فيليبّي في رحلته الثّانية للدّعوة، مرورًا بالمنطقة التي تُعرف بتركيا اليوم. وفي ميناء تَرْواس رأى بولس رؤيا مفادها أنّ السيّد المسيح (سلامه علينا) يأمُره بنشر الرّسالة في مقدونيا (انظر سيرة الحواريّين 16: 9).

وعندما شرع بولس ورفاقه في نشر رسالة السيّد المسيح في فيليبّي، آمن عدد كبير من الناس به (سلامه علينا)، ولكنّ بعضهم وقفوا ضدّه وطالبوا بسجنه، وهذا ما حصل فعلاً. ولكن في النّهاية أُطلق سراحُه واضطُرّ إلى مغادرة المدينة. وزار بولس فيليبّي مرّة أخرى في رحلته الدّعوية الثّالثة، وفيها قوّى إيمان المؤمنين، وتعلّق به مؤمنو فيليبّي تعلّقًا كبيرًا، لذلك أرسلوا إليه رجلا يدعى زهرائي ليعتني به ويأتيهم بأخباره عندما كان في السّجن (انظر رسالة فيليبّي 2: 25).

يبدو أنّ بولس قد كتب هذه الرّسالة عندما كان معتقلاً، وكانت تهمته الدّعوة إلى رسالة السّيد المسيح (فيليبّي 1: 7)، لكنّ بولس كان يجهل إن كان سيحكم عليه بالإعدام (فيليبّي 1: 20؛ 2: 17). لذلك يعتقد بعض المفسّرين أنّ الرّسالة كُتبت في

السّجن في أفاسوس في الفترة التي تمتدّ من السنة 54 إلى السنة 57 للميلاد. واعتقد غيرهم من المفسرّين أنّ حادثة السّجن وقعت في مدينة قيصريّة في الفترة الممتدّة من السنة 58 إلى السنة 60 للميلاد. وعلى كل حال، فإنّه من المرجّح أنّ روما هي المكان الذي كُتبت فيه هذه الرّسالة حوالي السنة 60 إلى السنة 63 للميلاد، حيث كان بولس يقيم تحت الإقامة الجبريّة (انظر سيرة الحواريّين 28: 16؛ 30-31).

وأراد بولس في بداية هذه الرّسالة أن يقدّم شكره إلى المؤمنين في مدينة فيليبّي (فيليبّي 1:5؛ 4: 10-19). وأخبر فيها أيضًا عن أحواله (فيليبّي 1: 12-26؛ 4: 10-19)، وأمر المؤمنين أن يتشبّثوا بإيمانهم بالسيّد المسيح (سلامه علينا)، سعداء مهما كانت الظّروف (فيليبّي 1: 27-30؛ 4:4). وحثّهم أيضًا على التّماسك والوحدة والتواضع في ما بينهم (فيليبّي 2: 1-11؛ 4: 2-5).

كما حذّرهم من الذين يَدّعون تعليم صراط السيّد المسيح، في حين أنّ ما يُعَلِّمونه باطل (فيليبّي 3: 1-21). ومدح بولس أيضًا تيموتاوي وزهرائي (فيليبّي 2: 19-30)، وحثّ المؤمنين أن يتّخذوه قدوة لهم في الإيمان. وكان بولس سعيدًا رغم توقّعه الحكم بالإعدام لمّا كان في السّجن، لأنّ مولاه السيّد المسيح كان إلى جانبه (فيليبّي 2: 17-18).

بسم الله تبارك وتعالى

رسالة الحَواريّ بولُس إلى أحباب الله في فيليبّي

الفصل الأوّل

1: 1-2 تحيّة

هذه الرِّسالةُ مِن بولسَ وتيموتاوي خادِمَيْ سيِّدِنا عيسى المَسيحِ، وهي موجّهةٌ إلى جميعِ عِبادِ اللهِ الصّالِحينَ في مَدينةِ فيليبّي، أي أتباعِ سيِّدِنا عيسى المَسيحِ، وإلى المَشايخِ المُشرِفينَ والمُساعِدين.[1] السّلامُ عليكُم والرّحمةُ مِنَ اللهِ الأبِ الصَّمَدِ ومِن سيِّدِنا عيسى المَسيحِ.

1: 3-11 الدّعاء

أمّا بَعدُ، إخوتي في الإيمانِ، فكلّما ذكرتُكم أشكرُ اللهَ ويغمرُني الفرحُ عِندما أدعو لكم جَميعًا، فلقد كنتُم لي شُركاءَ بِأموالِكم وأنفسِكم في نَشرِ البُشرى بِسيِّدِنا عيسى مِن أوّلِ يومٍ فيه آمنتُم بِها إلى يومِنا هذا. إنّ اللهَ بادرَ وأنعمَ عليكم حتّى تقوموا بِهذا العملِ الصّالِحِ، وإنّي على يقينٍ أنّه سيَستمِرُّ في ذلك إلى اليومِ الّذي يَتجلّى فيهِ سيِّدُنا عيسى المَسيح.

ويَحِقّ لي أن أتمتّعَ بهذا الشُّعورِ، لأنّ مَكانَتَكم مَحفوظةٌ في قلبي. إنّي الآن مُقيّدٌ في السِّجنِ وسأُدافِع عن نَفسي وأُبيِّن أمامَ المَحكمةِ أنّ رِسالةَ سيِّدِنا عيسى هي الحقُّ. وإنّكم شُركائي تستمتِعونَ معي بِفضلِ اللهِ، لأنّكم تُساعِدونَني في مِحنتي وفي الدّعوةِ إلى البُشرى به (سلامُهُ علينا). اللهُ يشهَدُ أنّ شوقي كبيرٌ إليكم جميعًا، وهذا الشّوقُ نابعٌ مِن حَنانِ سيِّدِنا عيسى المَسيحِ عليكم.

---

(1) المشرفون أو المشايخ هم كبار قادة كلّ جماعة من أتباع السيد المسيح (سلامه علينا)، أمّا المساعدون أو المدبّرون فيسهرون على تلبية الاحتياجات للمؤمنين، كتوزيع الطعام والمال على الفقراء.

وإنّي أدعو الله أن تقوى مَحبّتُكم بَعضِكم لبَعض، ومعها يَتعمَّقُ عِلمُكم بِاللهِ وفَهمُكم له، وهكذا يتوضّحُ لكم طريقُ الرَّشادِ فتكونونَ طاهرينَ خالينَ مِن الشّوائبِ إلى اليوم الّذي يَتجلّى فيهِ سيِّدُنا المَسيح، وأرجو أن تَمتلِئَ حياتُكم بِالخيرِ النّابعِ مِن مَرضاةِ اللهِ بِفضلِهِ (سلامُهُ علينا)، لأنّ فِعلَ الخيرِ يكشِفُ لِلنّاسِ طريقَ اللهِ فيسبِّحونَهُ ويَحمَدونَهُ.

1: 12-19 انتشار الرّسالة

إخوتي في اللهِ، أُريدُ لكُم أن تعلموا أنّ الأحوالَ المَريرةَ الّتي مَررتُ بها، ساعدت في الحَقيقةِ على انتِشارِ البُشرى بِهِ (سلامُهُ علينا)، فالحَرَسُ المَلكيُّ كلُّهُ وعامّةُ النّاس هنا يَعرِفونَ أنّي سَجينٌ في سَبيلِ السّيّدِ المَسيح. ولقد رأى الإخوةُ المؤمِنونَ به (سلامُهُ علينا) كيف كان اللهُ يدعمني رَغم وجودي في السِّجنِ، فاشتدّتْ عزيمَتُهم لِنشرِ الرِّسالةِ بِكلِّ جُرأةٍ دونَ خوفٍ.

إنّ بَعضَ المؤمنينَ كانوا يَدْعُونَ إلى الإيمانِ بِالسّيّدِ المَسيح بِدافعِ المُنافسةِ والحَسَدِ، ولكِنّ بَعضَهم الآخر كانوا يَدعونَ إليهِ بسعةِ صدرٍ، بِدافعِ مَحبّتِهم لي، وهم يَعلمونَ أنّ اللهَ أقامني لأدافع عن حَقيقةِ البُشرى بسيّدِنا أمام السُّلطاتِ، أمّا أولئك الحاسِدونَ، فينادونَ بِالسّيّدِ المَسيحِ بِدافِعِ المُنافَسةِ وإعلاءِ شأنِهم، لا بدافعِ إخلاصِهم، وإنّما سعيهم هو مضاعفة مُعاناتي في السِّجنِ. إلاّ أنّي لا أُبالي، طالما تتِمُّ الدّعوةُ إلى السّيّدِ المَسيحِ مَهما تكن الطّرق، سواءٌ كانت بِدافِعِ التّظاهرِ والرّياءِ أم بِدافِعِ الإخلاصِ والوفاء. إنّي مَسرورٌ بِهذا، وسيستمِرّ فرحي وسروري، لأنّي على يقينٍ أنّه سيتِمُّ إطلاقُ سراحي بِفضلِ دُعائِكم لي وبِمَعونةِ رُوحِ سيِّدِنا عيسى المَسيحِ.

1: 20-30

إنّ ما أرجوه وأنتظِرُه مِن اللهِ هو ألاّ يَخيبَ أملي أبدًا، بل سأظلُّ جريئًا دائمًا في حديثي عن السّيّدِ المَسيحِ وأسعى بِكلِّ كياني لِرفعِ شأنِهِ (سلامُهُ علينا)، سواءٌ عِشتُ أم متُّ. إنّ حياتي وقْفٌ لِمَولاي المسيحِ، فإنْ مُتُّ فيا لفرحي، لأنّي سأكون في حَضرتِهِ، وإنْ بقيتُ حيًّا بينكم فسيَكونَ بإمكاني أن أقومَ بِأعمالٍ كبيرةٍ مِن أجل مَولانا. ترى، أيُّ الأمرينِ أحسن خيارًا وأحسن تخْييرًا؟! وإنّي في حيرةٍ بين أمريْنِ: فأنا في شوقٍ

لأن أموتَ لأنّي سأكونَ إلى جانبِ السّيّدِ المَسيحِ، وهذا أفضلُ خيارٍ بالنِّسبةِ إليّ. لكنَّ بقائي على قيدِ الحياةِ هو أشدُّ ضَرورةً لكم، لأنّي على يقينٍ أنّكم في حاجةٍ إليّ، لِذلِكَ سأظلُّ إلى جانبِكم جميعًا لِكي يزداد رسوخُكم في الإيمانِ وسُرورُكم بِهِ، وعندما أزوركم مرّةً أُخرى يزداد فخرُكم بسيِّدِنا عيسى المَسيحِ لأنّي أصبحتُ حُرًّا.

ومَهما حصلَ لي، تابِعوا واجِباتِكم أيّها المؤمِنونَ،[1] كما يليقُ ببُشرى سيِّدِنا المَسيحِ. فإذا حللْتُ بينكم وعاينتُ أحوالَكم، أو وصلتْني أخبارُكم في غيابي، تأكّدتُ أنّكم متكاتِفونَ بِقلبٍ واحِدٍ تجاهِدونَ في سبيلِ الإيمانِ بالبُشرى. لا تخافوا أبدًا مِن الخُصوم. إنّ في جرأتِكم هذِهِ دليلاً واضِحًا لهم على أنّ اللهَ سيُهْلِكُهم وسيُنجّيكم بفضلِهِ تعالى. إنّ اللهَ قد أنعم عليكم بِشرفِ الألم الشّديدِ في سبيلِ الإيمانِ بسيِّدِنا عيسى المسيحِ، ولم ينعِم عليكم بالإيمانِ وحدَهُ، فأنتم تخوضونَ الآن المَعركةَ نفسَها الّتي رأيتُموني أخوضُها عِندما كنتُ بينكم في مدينةِ فيليبّي، ويصِلُكم أنّي ما زلتُ على الحالةِ نفسِها.[2]

الفصل الثّاني

2: 1-11 التّواضع في السّيّد المسيح

بما أنّكم أصبحتُم أقوياءَ بانتِمائِكُم إلى السّيّدِ المَسيحِ ومَحبتُّهُ تواسيكم، وأنتم مُتوحِّدونَ بروحِ اللهِ، وقد حلّت الشَّفقةُ والرَّحمةُ على قُلوبِكُم، فاغمروني بالفرحِ عِندما أراكُم على وِفاقٍ، تُوَحِّدُكم المَحبّةُ في قلبٍ واحِدٍ وهدفٍ واحد. ولا تتنافُسوا مُتحزِّبينَ، ولا تتباهوا أمامَ النّاسِ، بل تواضعوا بتَفضيلِ الآخرينَ على أنفُسِكُم. واسعوا إلى ما فيهِ الخيرُ لِلآخرين، ولا تسعوا إلى ما فيهِ خيرُكُم فُرادى، وكونوا على فِكرِ سيِّدِنا عيسى المَسيحِ:

(1) تصف عبارة «تابعوا واجباتكم» في اللغة اليونانية وفاء المواطن المقيم في دولة حرّة بالتزاماته المدنية. وقد كان اليهود يستخدمون مثل هذه العبارة للدلالة على طاعة شعبهم لشريعة الله (انظر سيرة الحواريين 23: 1).

(2) تعرض الحواري بولس للضرب المبرّح وأودع السجن عند دخوله فيليبّي أول مرة للدعوة (انظر سيرة الحواريين 16: 16-40).

إنّهُ قائِمٌ مُنذُ الأزلِ في ذاتِ اللهِ وُجودًا، ولم يكُن إلى مُساواةِ اللهِ ساعيًا قَصودًا،[1]
بل ترك مقامَهُ العالي، واتّخذ مكانةَ العبدِ، وجاءَ إلينا في هيئةِ إنسانٍ تَجسيدًا،
وأطاع اللهَ بِذُلِّ ذليلٍ حتّى كان على صَليبِ المُجرِمينَ شاهِدًا مَشهودًا،[2]
فرفع اللهُ شأنَهُ عاليًا وجعل لهُ أعظمَ الأسماءِ تمجيدًا،
لذلك سَتَنحَني ملائِكةُ السّماءِ كُلّها، وكُلُّ البَشَرِ على الأرضِ، وكُلُّ الشّياطينِ والجِنِّ في العالمِ السُّفلي وسيركعونَ أمام سيِّدِنا عيسى
ويُبايِعونهُ جميعًا على الملإِ بِقولِهِم: «إنّ عيسى المسيحَ سيِّدُ العالمين»، تمجيدًا للهِ الأبِ الرَّحيم.[3]

2: 12-18 تضيئون كالنّجوم

يا أحبابي، لقد أطَعتُموني دائمًا عِندَما كُنتُ بينكُم، فاحرِصوا على طاعتي عِند غيابي، واصمُدوا في إيمانِكُم واتّقوا اللهَ كي تفوزوا بِالنّجاةِ في النِّهايةِ. لأنّ اللهَ هو الّذي يُنشِئُ فيكُمُ الإرادةَ والقُدرةَ على العملِ لإرضائِهِ.[4]

---

(1) يرى أغلب العلماء أنّ بولس اقتبس هذا المقطع 2: 6-11 من نشيد أو من عقيدة موجزة تعبّر عن الإيمان الذي انتشر في ذلك العصر، واستندوا في ذلك إلى بنية المقطع وأسلوبه. وشاعت الاقتباسات الشّعريّة عند الكتاب الإغريق في تلك الفترة، غير أنّ بعض العلماء يرون أنّ هذا المقطع من إبداع بولس نفسه.

(2) طالب أتباع سيّدنا المسيح الأوائل بتفسير لمغزى موته على الصّليب، لأنّ الصّلب كان شكلا من أشكال الإعدام الأكثر تعبيرًا عن وضاعة المصلوب، ويُنفّذ فقط على المجرمين من غير الرّومان عبيدًا كانوا أو من بقية المنتمين إلى طبقات المجتمع الدّنيا. وقد كان اليهود يقدّرون الشّهداء كثيرا بسبب طاعتهم لله التي تصل حدَّ الموت. وفي هذا المقطع يوصف السيّد المسيح بالطّريقة نفسها بـ «عبد الله المخلص الأمين،» وهو أسلوب مقتبس من كتاب النّبي أشعيا (انظر الفصلين 52 و53).

(3) يلمّح الحواري بولس هنا إلى كتاب النّبي أشعيا 45: 23 الذي ذكر أن كلّ الأمم ستخضع لله في النّهاية. ويشير في ذلك إلى السيّد المسيح على اعتبار أنّه صفيُّ الله المختار، كما يقول إنّ الذين يكرّمونه إنما يكرّمون الله الذي اختاره، وسيكون من بين الرّاكعين، الملائكة «في السّماء»، إذ كان الوثنيّون اليونان يعبدون آلهة السّماء والأرض والبحر والعالم السفلي، وكانت أرواح الموتى حسب الأساطير اليونانيّة تقيم في العالم السفلي. لذلك يقول بولس إنّ جميع المخلوقات مهما كان نوعها ستعترف بسلطة السيّد المسيح الذي يفوق مقامُه كل مقام.

(4) لا نجد نظيرًا في الكتابات التي تسبق زمن الإنجيل لفكرة الحواري بولس هنا بأنّ الله يُنشئ في المؤمنين الإرادة والعمل لأجل طاعته، باستثناء ما جاء في التّوراة والزّبور وغيرهما من كتب الأنبياء في إطار حديثها عن روح الله.

فاعملوا بِما أمركُم بِهِ تعالى دون تذمُّرٍ أو جِدالٍ،[1] حتّى تكونوا عيالَ اللهِ نُزهاءَ طاهِرينَ. فكما تُنيرُ النُّجومُ ظلامَ السّماءِ، أنيروا بِأعمالِكُم بين أهلِ الفسادِ والضّلالِ.[2] واعتصِموا بِرِسالةِ الخُلدِ، حتّى إذا تجلّى سيِّدُنا المسيحُ، أمكنني أن أفتخِرَ أنّ سعيي وتعبي لم يذهبا هباءً، ولقد دفعَكم إيمانُكُمُ القويُّ إلى تقديم أنفُسِكُم قرابين للهِ، وخِدمتِهِ بِكُلِّ إخلاصٍ، فحتّى إن سُفِكَ دمي قُربانًا مِن أجلِكُم، فسأفرحُ بِذلِك كثيرًا، وسأفرحُ أكثر بِثباتِ إيمانِكُم.[3] فافرحوا لأنّي مُستعِدٌّ أن أُضحِّي بِحياتي مِن أجلِكُم، واستعِدّوا أنتُم بِدورِكُم لِلتّضحيةِ في سبيلِ الآخرين بِكُلِّ سُرورٍ.

2: 19–24 الأخ تيموتاوي

وقريبًا سأرسِلُ الأخَ تيموتاوي بِمشيئةِ سيِّدِنا عيسى، فيُريحُ قلبي بالأخبارِ الّتي سيحمِلُها عنكُم، فلا أحد لي مِثلهُ يُشاركُني في مَشاغِلِ المُؤمنين مُشاركةً صادِقةً. فالجميعُ يسعى إلى مصلحتِهِ الخاصّةِ، مُتجاوزًا ما يقصدُهُ سيِّدُنا عيسى المَسيحُ. أمّا تيموتاوي، فتعرفونهُ وقد سبقَ لكم أن امتحنتم معدنَهُ، وكان نِعمَ المُعينُ يُساعِدُني في الدّعوةِ إلى سيِّدِنا المسيحِ كما يُساعِدُ الابنُ أباهُ، لِذلِك سأُرسِلُهُ إليكم حالما أعرِفُ القرارَ الّذي سيُصدِرُهُ القُضاةُ الرّومان في حقّي،[4] ومَولاي عيسى المَسيحُ جعلني على ثِقةٍ أنّي سألقاكُم قريبًا.[5]

---

(1) يشير الحواري بولس إلى معاملة بني يعقوب للنّبي موسى (عليه السّلام) عندما كان في صحراء سيناء، حيث كانوا يتذمّرون ويشتكون باستمرار، وهو ما أدّى بهم إلى أن الله اعتبر أنّهم من غير أهل بيته بل هم جيل فاسد ضالّ (انظر التوراة، سفر التّثنية 32: 5). ويحثّ بولس سامعيه على اتّباع سلوك يخالف سلوك هؤلاء الضّالّين.

(2) يستخدم بولس هنا صورة تشبه كثيرًا تلك الصورة التي استخدمها النبي دانيال (عليه السّلام) عندما شبّه عباد الله الصالحين بالنجوم. (انظر كتاب دانيال 12: 3) ونجد صورًا مشابهة لذلك في الإنجيل أيضا، (انظر متى 5: 16 و13: 40–43).

(3) فرضت التوراة على بني يعقوب تقديم الأضاحي لله، وقرابين من الماء والشّراب تكريمًا له تعالى. ويقول بولس هنا إنّ مضطهديه سيقتلونه بسبب إيمانه بسيّدنا المسيح (سلامه علينا)، وستكون حياته بمثابة شراب مسكوب فوق قربان طاعتهم وصلاحهم.

(4) كان إرسال الأخبار في ذلك العصر صعبًا جدًّا، لأنه يستوجب رسولاً وكان هذا الأمر محفوفًا بالمخاطر في غالب الأحيان. لذلك فضّل بولس الانتظار حتّى يتمكّن من إرسال معلومات تتعلّق بنتيجة محاكمته.

(5) من المحتمل أن بولس تمكّن من الذهاب إلى فيليبّي بعد إطلاق سراحه من إقامته الجبرية في

2: 25-30 الأخ زهرائي

أمّا أخونا زهرائي الّذي أرسلتُموهُ إليّ فكان سَنَدي في ضيقي فهو يجاهِدُ إلى جانِبي كمُعاوِنٍ ورفيقٍ لي،[1] ولكنّي رأيتُ أن يعود إليكُم لأنّه مشتاقٌ إليكم جميعًا. ولقد انزَعَجَ لأنّكُم علِمتُم بمرضِهِ، وقد مَرِضَ فعلاً مَرضًا شديدًا أوشَكَ فيه على الموتِ، واللهُ لم يشفِقْ عليه وحده، بل أشفق عليّ أنا أيضًا، لكي لا يزيدَني حُزنًا على حُزنٍ، وهذا ما جعلني أُعجِّلُ في عودتِهِ إليكُم، فإذا أبصرتُموهُ فرحتُم كثيرًا، وقلَّ همّي. فاستقبِلوهُ بفرحٍ وسُرورٍ، كما يليقُ بشهامةِ أتباعِ سيدنا المَسيحِ، واكرِموا أمثالَهُ،[2] لأنّهُ خاطر بِحياتِهِ من أجلِ سيّدِنا المَسيحِ ليساعدَني، وعرَّضَ نفسَه للموتِ في تقديمِ المُساعَدَةِ نيابةً عنكم لأنّكم عجَزتم عن ذلك بسببِ بُعدِكم.

الفصل الثّالث

3: 1-11 أساس القبول عند الله

وبعدُ، يا إخوتي، افرَحوا لإيمانِكم بسيِّدِنا المَسيحِ، وها أنا أكرِّرُ لكم التّحذيرَ الّذي وضّحتُهُ سابقًا، ولن أمَلَّ مِن ذلك، لأنّ هذا التّحذيرَ يَحميكُم مِن الضّلالِ. فاحذروا الملاعين، مُرتكبي السّوء، دُعاةَ تشويهِ الجِسم،[3] لأنّنا نحنُ أهلُ الخِتانِ الحقِّ، ونحنُ

= روما، لأنه ذكر حقيقة عودته إلى مقاطعة مقدونيا في رسالة وجّهها بعد ذلك إلى الأخ تيموتاوي (انظر الرسالة الأولى إلى تيموتاوي 1: 3)

(1) اسم زهرائي هو تعريب للاسم اليوناني Epaphroditus. وهو يعني "محبّ الإلهة أفروديت" وتدعى أيضا "فينوس"، و"الزهراء" باللّغة العربية، لكنه يختلف عن الأخ زُهري المذكور في رسالة كولوسي ورسالة فليمون.

(2) كان بولس يحرص في ثنائه على زهرائي بسبب مرضه الخطير الذي منعه في غالب الأحيان من مساعدة بولس، وقد عيّنه أهل فيليبّي من أجل هذا الغرض. ولأن فيليبّي كانت مستعمرة رومانية، فربّما تأثّر المؤمنون هناك بفكرة الرومان السلبية عن الشخص الذي يفشل في المهمّة التي توكل إليه، فيجلب لنفسه الخزي مهما كانت ظروف فشله. لذلك يطلب بولس من أهل فيليبّي تكريم زهرائي لأنه خاطر بحياته في سبيل خدمته عوضًا عنهم.

(3) إنّ خصوم بولس المذكورين هنا يشبهون الدُّعاة الدّجّالين الذين صادفهم في غلاطية، وكانوا يحاولون إقناع غير اليهود بضرورة الختان كشرط لمرضاة الله. ولكن لم يكن واضحًا أنّ هؤلاء

نتعبَّدُ اللهَ بِهدي روحِهِ تعالى، ونفتخِرُ بِالسّيّد المَسيحِ، ولا نُعوِّلُ على امتيازاتٍ بشريةٍ،[1] فإن خطر على بالِ أحدٍ أن يُعوِّلَ على ما ينتسِبُ إليهِ، فأنا أحقُّ بِذلِك مِن كُلِّ النّاس،[2] فقد خُتِنتُ في اليومِ الثّامِنِ بعد وِلادتي، وأنا أنتمي إلى بني يعقوبَ، ومِن قبيلةِ بنيمين تحديدًا، فأنا عِبرانيٌّ صميمٌ إذن، وكُنتُ أنتمي إلى طائِفةِ المُتشدِّدين، وهي أكثرُ الطوائفِ تعصُّبًا لِلدّينِ اليهودي، وبِسببِ حَماسي الشّديدِ كُنتُ أضطهِدُ جماعةَ المؤمنين بسيِّدِنا عيسى المسيح. فإن يكُنِ رِضوان اللهِ بِالتِزامِ الإنسانِ شَرْعَ اليهودِ، فقد كُنتُ إذن، خاليًا من أيِّ نقص.

وقديمًا اعتقدتُ أن هذا يُحسَب لفائدتي، غير أنَّني بمُجرّدِ إيماني بِسيِّدِنا عيسى المسيحِ رأيتُ أنّ ذلك خسرانٌ، إن اكتفيتُ به وحدَه،[3] وأنا على يقينٍ أنّ هذا كلُّهُ لا يُساوي شيئًا مُقارنةً بالكنزِ العظيم، ألا وهو معرفةُ مَولاي عيسى المَسيح! وأنا مِن أجلِهِ ألقيتُ بكلِّ الأشياءِ، وهي في ناظِريّ مُجرّدُ كُناسةٍ، وذلِك حتّى أحظى بِقُربِهِ (سلامُهُ علينا)، فلستُ مَرضيًا عِند اللهِ على أساسِ انتمائي إلى أهلِ التّوراةِ، بل على أساسِ ثِقتي بِسيّدِنا المَسيحِ، لأنّ اللهَ رَضِي عنّي بناءً على يقيني وثِقتي في السّيّدِ المَسيحِ.

= جاؤوا فعلاً إلى فيليبّي، أم أنّ بولس يحذّر هنا من خطر قدومهم فقط؟ ويرى أنّهم حرّفوا معنى الختان حتّى غدا مجرَّد عمليّة تشويه للجسد لا جدوى منها.

(1) يقول الحواريّ بولس إنّ حلول روح الله، علامة للإشارة إلى قومه الحقيقيّ، وهو الختان الحقّ. لقد كان اليهود يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار اعتمادا على ميزات بشريّة، أي على شجرة النّسب وانحدارهم من نسل النّبي إبراهيم (عليه السّلام)، ولكن بولس يؤكّد أنّ هذا السّند لا قيمة له. واعتقد معظم اليهود أنّ لا حضور فاعل لروح الله في زمنهم، أمّا بولس فقد أشار إلى حضور روح الله بين أتباع سيّدنا عيسى (سلامه علينا) وكيف كانوا منقادين بروحه دليلاً قويًّا على أنّ سيّدنا عيسى هو المسيح الموعود حقًّا.

(2) يبرهن الحَواري بولس هنا أنّه لا يتساوى فقط مع الذين يحثّون على التزام العادات اليهوديّة وتقاليدهم، وإنّما يتفوّق عليهم في كلّ ما يفتخرون به. فإذا استحقّ أحد الثّناءَ على أساس أصله الشّريف، أو دراساته الكثيرة، أو حياته الفاضلة، فنصيب بولس من هذه الأشياء سيفوقهم جميعاً.

(3) يتحدّث بولس عن الخطى التي اتّبعها مقتديًا بالسيّد المسيح (سلامه علينا)، الذي تخلّى عن مقامه وامتيازاته ومرتبته الرّفيعة في سبيل طاعته لله. وكان بنو يعقوب يفتخرون بأصلهم الشّريف الذي اعتبروه دلالة على أنهم شعب الله المختار. ولكن بولس يقول إنّه شريك في هذا الأمر أيضًا، وكان متحمّسًا كثيرًا للتوراة، غير أنه بعد تجلّي سيّدنا المسيح (سلامه علينا) رئيسًا يملكًا لأمّة الله، تبيّن له أنّ سبيله القديم في تعبيره عن إخلاصه لله خاطئ. إنّ المنتمون لأمّة الله حقًّا هم مخلصون للملك، أمّا مسألة الأصل والتقاليد فلا قيمة لها.

وغايتي أَن أعرفَهُ (سلامُهُ علينا) وأختبرَ قوَّةَ قيامتِهِ وأُشاركَهُ في آلامِهِ وأقتدي بِنُبلِ مَوتِهِ، على أملي أن أُبعثَ حَيًّا مِن بينَ الأموات بِرَحمتِهِ تعالى.[1]

3: 12ـ21 السّعي إلى الهدف

ولا أدَّعي أنّي فُزتُ بتلك الامتيازاتِ أو بلغتُ درجةَ الواصلينَ إلى اللهِ، بل إنّي أواظبُ في سعيي إلى التّمسُّكِ بالكمالِ الّذي مِن أجلِه تمسّك بي سيّدُنا عيسى المَسيح. أحِبّائي، لا شكَّ أنّي لم أفُزْ بعدُ، ولكِنّ أمرًا واحِدًا يعنيني، أن أتركَ ما ورائي وأبذلَ كلَّ جُهدي في سبيلِ التقدّمِ إلى الأمام. إنّ مَثلَ شوقي إلى نعيم اللهِ كمَثلِ مَن يعدو في سِباقٍ فلا يُبصِرُ غير هدفِهِ. وهذه هي دعوةُ اللهِ السّماويّةُ الّتي وجّهها إلينا بِواسِطةِ سيّدِنا عيسى المَسيحِ.[2]

وعلى الرّاشِدين في الإيمانِ منّا أن يتّفِقوا على هذا الهدفِ العظيم، حتّى لو حصلَ بينكم اختلافٌ في بَعضِ الأُمور، فإنّ اللهَ يُنيرُ لكُم ما اختلفتُم حولهُ. فأَطيعوا رِسالةَ اللهِ بِقدرِ فهمِكم لها.

إخوتي في اللهِ، اِقتدوا بي، وسيروا على مِنوالِ سبيلِنا نحنُ الحَواريّين، ولقد أعلمتُكُم مِرارًا، وها أنا أكرّرُ ذلِك مرّةً أُخرى ودُموعي تنهمِرُ، أنّ الّذين يسلُكونَ سبيلَ العِداءِ لِتضحيةِ سيِّدِنا عيسى على الصّليبِ عددُهم كبير، وهؤُلاءِ مَصيرُهم الهلاكُ، لأنّهم يعبدون شهوات بُطونِهم، ويفتخِرون بِكُلِّ ما نستحي مِنه، إنّهم مُنشغِلون بِأُمورِ حياةِ الدُّنيا. أمّا نحنُ فمِن أهلِ السّماءِ، ومِنها ننتظِرُ بِشوقٍ عظيمٍ مُنجّينا سيِّدَنا عيسى المَسيح[3] الّذي سيحوِّلُ أجسامَنا الدُّنيويةَ الوضيعةَ إلى أجسامٍ مِثل جسمِهِ المَجيدِ، بِقوةٍ يجعلُ بِها كُلَّ شيءٍ تحت أمرِهِ الشّديدِ.

---

(1) سار بولس على خطى السيد المسيح، فتحمّل أشكالاً من المعاناة، وهو على يقين أنه سيفوز بالمجد يوم بعثه، شأن مولانا المسيح (سلامه علينا). وفي ذلك الزمن اعتقد عدد كبير من اليهود أن القيامة ستأتي بعد فترة من المعاناة.

(2) يقارن بولس نفسه بعدّاء رياضي، حيث يحصل الفائز على إكليل من أوراق الغار وقد يحصل في بعض الأحيان على جائزة مالية.

(3) لم يحصل إلاّ عدد قليل من النّاس في الإمبراطورية الرّومانيّة على امتياز المواطنة، في حين يؤكّد بولس أنّ كل من ينتمي إلى المملكة الربّانيّة تحت سلطان سيّدنا عيسى المسيح يجلب لنفسه احترامًا أكثر.

4: 1-9 وصايا أخيرة

إخوتي الأعِزّاءَ، إنّي مُشتاقٌ إليكم كثيرًا، وإنّكم فرَحي وتاجُ رأسي، فاعتصِموا يا أحِبّائي بِالسّيّدِ المَسيح.

وأُناشِدُ سالِمةَ وسعيدةَ أن تكونا على وِفاقٍ، لأنّهما تؤمنان بسيِّدِنا (سلامُهُ علينا)، يا أخي رفيقُ، وأنت دون شكٍّ الرّفيقُ المُخلِصُ،[1] أطلبُ مِنك أن تساعدَ الأختين سالمِة وسعيدة، لأنّهُما جاهدتا معي في الدّعوةِ إلى البُشرى به (سلامُهُ علينا)، إضافةً إلى أخي كليمنْت وكُلِّ الدُّعاةِ، الّذين أعانوني وأسماؤُهُم سُجلت في سِجلِّ الخالِدينَ.

يا أحبابي، افرَحوا دائِمًا، نعم افرَحوا، لأنّكُم تنتمون إلى جماعةِ سيّدِنا المسيحِ، ولا تُلِحّوا على النّاسِ في أخذِ حُقوقِكُم، لأنّ سيِّدَنا عيسى سيتجلّى قريبًا بالإنصافِ. ولا تجعلوا هُمومَ الحياةِ تُلازِمكم أبدًا، بل توجّهوا بالدُّعاءِ والابتِهالِ والحَمدِ إلى اللهِ في كلِّ ما تحتاجونَ إليه، وسلامُ اللهِ الّذي يعجزُ البشرُ عن إدراكِهِ، يحرُسُ قُلوبَكُم وعقولَكُم لأنّكم راسِخونَ في الإيمانِ بسيّدِنا عيسى المسيحِ.

وأخيرًا يا إخوتي، تأمّلوا في كُلِّ حقٍّ شَريفٍ، واذكُروا ما هو صالحٌ طاهِرٌ، وكلّ ما نحِبُّ ونقدِّرُ، وانظُروا في كُلِّ طيِّبٍ مَحمودٍ، واعملوا بِما علّمتُكم، وحافِظوا على كُلِّ ما سمعتُموهُ وأبصرتُموهُ مِني، وسيكونَ اللهُ السّلامُ معكم خير حافظٍ!

4: 10-20 شكر بولس

إنّي سعيدٌ وأتوجّهُ بالشكرِ لِسيِّدِنا عيسى، لأنّي أخيرًا رأيتُ أنّكُم عُدتُم للاهتِمامِ بي. ها إنّكم تُرسِلون المُساعدةَ مع الأخِ زهرائي، ولا أعني أنّكُم أهملتُموني سابِقًا، ولكِن الفُرصةُ لم تسنح لكُم كي تُعبّروا عنِ اهتِمامِكُم بي، ولا أعني أنّي أحتاجُ إلى

(1) استخدم الكتّاب الإغريق الكلمة اليونانية (syzygos) للتّعبير عن ارتباط وثيق مثل ارتباط الزّواج أو العمل. ويرى بعض المفسّرين أنّ بولس يشير هنا إلى رفيق له في الدّعوة، بينما يرى آخرون أنّ هذه الكلمة هي الاسم الشّخصي للرّجل الذي خاطبه بولس.

ما تجودونَ بِهِ عليّ، فقد تعلّمتُ أن أكونَ قنوعًا مهما كانت الظُّروف، وإنّي قادِرٌ على العيشِ في السّرّاءِ والضّرّاءِ، وقد أدركتُ هذا السِّرَ: أن أكونَ مِن القانِعينَ في كُلِّ الأحوالِ، فقد اختبرتُ الشّبعَ والجوعَ، والفرَجَ والضّيقَ، وإنّي لقادِرٌ على تحمُّلِ كُلِّ حالٍ بِمعونةِ السّيّدِ المَسيحِ لأنّهُ يُقوّيني.[1]

وخيرًا فعلتُم، عِندما ساهمتم في تقليلِ مَتاعِبي. ¯ يا أحبابي في فيليبّي، إنّكم تُدرِكون جيّدًا أنّكُم ساعدتُموني مُنذُ الأيّامِ الأُولى الّتي آمنتُم فيها بِالسّيّدِ المَسيحِ، حتّى عِندما كُنتُ مُحتاجًا في مدينةِ تسالونكي، ساعدتُموني مرّات ومرّات، وعِندما تركتُكُم في مَقدونيا وقصدتُ مناطِق أُخرى في اليونانِ لِنشرِ الدعوة، لم تصِلني معونةٌ مِن أجلِ عملي الرّوحانيّ إلاّ مِن جماعتِكُم. وأنا أذكرُ هذا، ليس رغبةً منّي في هداياكُم، بل أطلبُ مِن اللهِ أن يُجازيكُم على سخائِكُم، فأنا الآن أنعمُ في خيرٍ وفيرٍ، وأملِكُ ما يتجاوز حاجتي، لأنّي استلمتُ الهدايا الّتي أحضرها إليّ الأخُ زهرائي، وعطاياكُم هي بمثابةِ قُربانٍ رائِحتُهُ ذكيّةٌ ويُرضي الله. وكما كفاني اللهُ ما أحتاجُ إليهِ، سيكفيكُم أيضًا كُلُّ ما تحتاجونَ إليه بفضلِهِ وغِناهُ المَجيدِ بواسِطةِ سيِّدِنا عيسى المسيحِ، فَالحمدُ للهِ أبينا الرَّحمن الرَّحيم الآن وإلى أبدِ الآبدينَ. آمين.

4: 21–23 تحيّات ختاميّة

سلِّموا على كُلِّ عِبادِ اللهِ الصّالِحين، أتباعِ سيِّدِنا عيسى المَسيحِ، ويُسلِّمُ عليكُم جميعُ المؤمنين معي ولاسِيّما الّذين هُم مِن حاشيةِ القيصرِ. فليكُن فضلُ سيِّدِنا عيسى المسيحِ معكُم أجمعينَ. آمين.

(1) رفض بولس باعتباره داعية للسيد المسيح (سلامه علينا) الاشتغال تحت رعاية أيّ أحد من المؤمنين، بل سعى إلى جعل المؤمنين تحت رعايته. ولتحقيق رغبته هذه، اعتمد غالبًا على نفسه في كسب معاشه من صناعة الخيام، وتحمّل مصاعب كثيرة من أجل ذلك، وهكذا أثبت حقيقة رسالة السيد المسيح (سلامه علينا). مع العلم أنّه كان يقبل بعض المساعدات التي تصله من جماعات المؤمنين عندما كان بعيدًا عنهم كي لا يظنّ أحد أنها مكافأة لعمله الروحاني بينهم، بل هي هدية لدعم الجماعات التي عمل معها.

مدخل إلى رسالة كولوسي

تقع مدينة كولوسي في وادي نهر ليكوس، أي ما يعرف اليوم بغرب تركيا، وتحديدًا في المناطق الداخليّة التي تبتعد عن الساحل ومدينة أفاسوس وهي ليست بعيدة عن مدينة اللاذقية الواقعة في المنطقة نفسها. وبما أنّ مدينة كولوسي قد تعرّضت إلى زلزال مدمّر سنة 61 للميلاد، فمن المرجّح أنّ هذه الرسالة قد كُتبت قبل ذلك التاريخ من قبل الحواري بولس حوالي سنة 60 للميلاد أثناء فترة اعتقاله في منزله في روما. وهي موجّهة تحديدًا إلى المؤمنين في مدينة كولوسي.

وتشبه هذه الرسالة إلى حدّ كبير تلك الرسالة التي كتبها بولس إلى المؤمنين في مدينة أفاسوس. ومن المرجح أن بولس كتبها تزامنًا مع الفترة التي كتب فيها رسالته إلى فليمون، أمّا رسالة أفاسوس فأُرسلت إلى المنطقة نفسها، وحملها طيخي، الشّخص نفسه الذي حمل هذه الرّسالة. لذا، فمن الأفضل قراءة مداخل هذه الرّسائل: رسالة كولوسي، رسالة فليمون ورسالة أفاسوس معًا.

لم تبرز مدينة كولوسي الصّغيرة في الفترة الرّومانية، ولم تكن تمثّل مركزا حضاريا مهمّا مثل روما والإسكندريّة. وهناك دلائل تشير إلى وجود الدّيانة اليهوديّة في محيط مدينة كولوسي منذ القرن السّادس قبل الميلاد. ويبدو أنّ اليهود كانوا يقلّدون بطرق متعدّدة الممارسات الوثنيّة التي كانت تحيط بهم، الدّينيّة منها والثّقافيّة. وكانوا يمزجون أفكارا وثنيّة عديدة في معتقداتهم الدّينيّة. واتّخذ الوثنيّون بدورهم بعض ممارسات اليهود كجزء من شعائرهم الدّينيّة. وبما أنّ النّاس كانوا يخافون خوفًا شديدًا في هذه المنطقة من الجنّ والنّجوم والقدر واللّعنات والآلهة المتعدّدة، فقد حاولوا حماية أنفسهم باستدعاء الملائكة أو غيرها من الكائنات الغيبيّة الخيّرة لتساعدهم وتتوسّط لهم لدى الإله الأعظم الذي يتفوّق في قوّته على الآلهة كلّها حسب اعتقادهم. وكانوا يحملون التمائم والتعاويذ لحمايتهم، ويمارسون شعائر خرافيّة تتعلّق بالسّحر والقوّة بحثا عن الحماية أو طلبًا لمعرفة غيبيّة. وكان النّاس يمارسون أشكالاً مختلفة

من الطّقوس والشّعائر بغية إدخال شخص ما في عضويّة جماعاتهم كطريقة لاستمالة الكائنات غير المرئيّة، وكثيرًا ما أضاف النّاس الصّيام والتزهّد والتّنسّك وغيرها من الممارسات إلى هذه الشّعائر الوثنيّة.

وأخطأ العديد من الوثنيّين حين اعتبروا أنّ الحركة الجديدة التي تنتمي إلى السيّد المسيح هي حركة تزهّد، ويعود هذا الاعتبار الخاطئ إلى موقف أتباعه (سلامه علينا) تجاه الخطيئة الجنسيّة والسُكْر، وما من شكّ أنهم رأوا الرّأي نفسه في ما يتعلّق بالدّيانة اليهوديّة. لذلك اتّخذوا الممارسات اليهوديّة نفسها كطريق للتزهّد والتنسّك.

أسّس زُهري، رفيق بولس، جماعة المؤمنين في مدينة كولوسي (1: 7، 4: 12)، ولحق ببولس عند اعتقاله في روما (انظر رسالة كولوسي 4: 12 وفليمون 23 وسيرة الحواريين 28: 16 – 31). وعندما كتب بولس هذه الرّسالة، كان زُهري قد عاد لتوِّه من وادي نهر ليكوس، وهكذا أخبر بولس بأحوال جماعات المؤمنين في المنطقة، ولئن حمل زُهري بعض الأنباء السّارّة عن هؤلاء المؤمنين، فقد حمل معه أيضا بعض الأخبار المتعلّقة بالمشاكل الكبيرة التي يتخبَّطون فيها. وانتشرت بعض التعاليم الخاطئة في كولوسي، وعالجها بولس في هذه الرّسالة. ومن الواضح أنّ بعض المؤمنين لا يزالون على ميلهم إلى الممارسات نفسها التي كانوا يتّبعونها قبل إيمانهم بالسّيّد المسيح (سلامُهُ علينا). فكانوا يدافعون مثلاً عن استدعائهم للملائكة بهدف حمايتهم أو للتوسّط بينهم وبين الله، ولهذه الأسباب ألحُّوا على المؤمنين بالانخراط في جماعات وثنيّة سرّيّة، لذلك كانوا يهملون تكريم سيّدنا عيسى، أو يقلّلون من مكانته معتقدين أنّه يحظى بالمكانة نفسها التي تحظى بها الملائكة، وتبعًا لذلك لا بدّ من استدعائه بالطّريقة نفسها التي تُستدعى بها الملائكة.

ورفض بولس بشدّة كلّ الذين يعلّمون هذه التّعاليم وكلّ ما يروّجون له، معتبرًا أنّهم ينقادون بوسوسة الشّياطين. إنّ المؤمنين في كولوسي باتّباعهم تعاليم هؤلاء الأشخاص المضلِّلين، يعودون إلى الخضوع للكائنات الغيبيّة التي عايشوها عندما كانوا وثنيّين. ولكنّ بولس أخبر المؤمنين في رسالة كولوسي أنّ سيّدنا المسيح، بما أنّه كلمة الله الأزليّة، فقد وُجد قبل وجود هذه الكائنات الغيبيّة، ومن خلاله تمّ خلقها جميعًا. لذلك فإنّ سيّدنا عيسى (سلامه علينا) يتفوُّق عليها كلّها.

وحصل المؤمنون على نصيب في دار الخلد بسبب قيامة السّيّد المسيح، كما حصلوا على وسائل تمكّنهم من الوصول إلى الفيض الرّبّاني. فالسّلطة التي يتمتّع بها السّيّد المسيح تكفي لحماية المؤمنين من قوّة الكائنات الغيبيّة في حياتهم اليوميّة. وفي المستقبل سيضع السّيّد المسيح (سلامه علينا) حدًّا للصّراع القائم بين النّاس والشّياطين، وعندئذٍ سيعمّ السّلام في الأرض والسّماء.

بسم الله تبارك وتعالى

رسالة الحَواريّ بولُس إلى أحباب الله في كولوسي

الفصل الأوّل

1: 1-2 تحيّة

هذِهِ الرِّسالةُ مِن بولُسَ حَواريِّ سيِّدِنا عيسى المَسيحِ بِأمرِ اللهِ، ومِن الأخِ تيموتاوي إلى عِبادِ اللهِ الصّالِحين، الإخوةِ المُخلِصينَ لِسيِّدِنا المسيحِ في مَدينةِ كولوسي، السّلامُ عليكم ورَحمةُ اللهِ أبينا الأحدِ الصَّمَدِ.

1: 3-12 شكر ودعاء

نحنُ نَحمدُ اللهَ الأبَ الرَّحيمَ لِمَولانا عيسى المَسيحِ حِينَ نَدعو لكم دائمًا، فقد عِلمنا كيف آمنتم به (سلامُهُ علينا)، ومَدى مَحبّتِكم لِعِبادِ اللهِ الصّالِحين جَميعًا. وأنتم تفعَلونَ هذا لأنّكم على يقينٍ بِما أعدَّه اللهُ لكم في السَّماءِ. ولقد صِرتم على هذا اليَقينِ مُذ سمِعتم رِسالةَ الحقِّ، حين بلغتْكم البُشرى بسيِّدِنا عيسى. إنّها تنتشِرُ وتثمِرُ بين النّاسِ في أنحاءِ المَعمورةِ كلِّها، وكان هذا شأنكم مُذ سَمِعتم وأدركتُم حَقيقةَ فضلِ اللهِ على النّاسِ، ولقد تقبّلتموها عن أخينا العَزيزِ زُهري، رَفيقِنا في الدَّعوةِ،[1] ذلِك العبدِ المُخلِصِ الأمينِ لِسيِّدِنا المَسيحِ، الّذي يَنوبُ عنّا أنا وتيموتاوي بينكم في غيابنا عنكم. ولقد أخبرَنا أخونا زُهري بِمَحبّتِكم النّابعةِ مِن رُوحِ اللهِ تُجاه الآخرين. ومُذ بَلَغنا هذا الأمر، لم ننقطِع عن الدُّعاءِ مِن أجلِكم، راجينَ من اللهِ أن تكونوا حُكماءَ مُدرِكينَ

---

(1) كان زُهري (في اليونانيّة Epaphras) صديق بولُس ورفيقه في الدّعوة، وهو من بلَّغ رسالة سيّدنا عيسى إلى أهل كولوسي. وكان على الأرجح من أهل تلك المدينة (4: 12)، وقد أمضى مدّة من الزّمن رفيقًا لبولُس أثناء إقامته الجبريّة في منزله في روما (انظر رسالة فِليمون، 23، 24 وسيرة الحواريّين 28: 16).

لِنفحاتِ رُوحِهِ، حتّى تغمرَكم حقيقةُ ما يُرضيهِ. ونحن نَدعو لهذا لتسلكوا سُلوكًا يليقُ بِسيّدِنا (سلامُهُ علينا) فتُرضُونَهُ كلَّ الرِّضا، وأنتم تقومونَ بأنواعِ الصّالِحاتِ كلِّها بينما تزداد مَعرِفتُكم باللهِ. فليُمْدِدْكم تعالى بِفضلِ قُدرتِهِ الجَليلةِ بِالقوّةِ فتتمكّنوا مِن الصُّمودِ بكلِّ ثباتٍ وصَبرٍ، وتفرَحوا شاكِرينَ اللهَ الأبَ الرَّحيمَ، الّذي أهّلكم للحُصولِ مع بقيّةِ عِبادِهِ الصّالِحين على نَصيبِكم مِن نورِهِ تعالى.[1]

1: 13-23 عظمة شأن السّيّد المسيح

واللهُ نَجّانا مِن الشّيطانِ ومِن أعوانِهِ الطّاغينَ في الظُّلُماتِ، وجاءَ بِنا فأصبحنا بِفضلِهِ في مَملكةِ الحَبيب، الابنِ الرُّوحيّ له تعالى،[2] الّذي فدانا بِحياتِهِ فغفرَ اللهُ ذُنوبَنا.

إنّ السّيّدَ المَسيحَ هو ظِلُّ اللهِ الّذي لا تُدرِكُه الأبصارُ، وإنّه سيِّدُ كلِّ المَخلوقاتِ،[3]
فبِهِ خلقَ اللهُ كُلَّ الكائناتِ، سواءٌ مِنها ما في الأرضِ وما في السَّماواتِ،
ما يُرى مِنها وما لا يُرى، مِن الملائكةِ والجِنِّ والشّياطينِ وغيرِها مِن الغيبياتِ.[4]

---

(1) يتعمّد بولس في هذه الآية استخدام مصطلح من التوراة يشير إلى أرض كنعان التي ائتمنها الله لبني يعقوب بعد موت النّبي موسى (عليه السّلام). وكان اليهود في زمن سيّدنا عيسى (سلامه علينا) يستخدمون المصطلح نفسه في تقاليدهم للإشارة إلى أنّهم سيحصلون على الجنّة في الآخرة. يستخدم بولس هذه المصطلحات ليؤكّد أنّ أتباع السيّد المسيح، أيّا كان انتماؤهم العرقي، هم من شعب الله الذين سيدخلون الجنَّة. استُخدمت كلمتا «النّور» و«الظّلام» للإشارة إلى الخير والشرّ والصِّراع القائم بينهما.

(2) عبارة «الابن الرّوحي لله» الواردة هنا، هي ترجمة للعبارة اليونانيّة التي عُرّبت بصيغة «ابن الله». وهي موجودة في كتب الأنبياء الأوّلين وكانت لقبًا لملك بني يعقوب الذي اختاره الله. وهذا المصطلح لا يشير إلى تناسل بشري، بل يشير إلى العلاقة الوثيقة التي تجمع سيّدنا عيسى مع الله، ومقامه أمام ربّه مثل مقام البكر في العائلة. ويرى بعضُ المفسّرين في هذا تلميحًا إلى أنّه أيضا كلمة الله الأزليّة وقد أرسل إلى الأرض ليصبح بشرا يولد من مريم العذراء.

(3) يصف بولس سيّدنا عيسى (سلامه علينا) هنا بـ«سيّد كلّ المخلوقات» وفي الترجمات التاريخيّة بـ«بكر المخلوقات كلها»، وكان اليهود يستخدمون العبارة ذاتها للتعبير عن الحكمة الإلهيّة. فعلى سبيل المثال، وصف الكاتب اليهودي «فيلون» كلمةَ الله بأنّها: «التعبير الصّادق عن ذات الله وابنه البكر». ويمكن أن يكون مصطلح «البكر» في اللّغة اليونانيّة مرادفا لمعنى لقب «الابن الروحي لله» الذي أُطلق كلقب على المَلك. ولا علاقة لمصطلح «البكر» بعمليّة الانجاب المألوفة، بل هو إشارة إلى سلطة الملقّب بالبكر. فكما يحظى الولد البكر بالأولويّة في العائلة دون بقيّة أفرادها، كذلك يتمتّع السّيّد المسيح بالسّلطة والتفوُّق على كلّ ما خلقه الله في الكون.

(4) مصطلحات «الملائكة والجن والشياطين وغيرها من الغيبيات» تعادل مصطلحات «العروش» و«القِوى» و«الحكّام» و«السلطات» في النص اليوناني الأصلي وتشير إلى كائنات غيبيّة.

نعم، بِفضلِهِ خلقَ اللهُ له كلَّ المَوجوداتِ، هو الّذي سبَق كلّ شيءٍ
وبِهِ يُحافِظُ اللهُ على كلِّ المَخلوقاتِ، وهو رأسُ الّذين اختارَهمُ اللهُ في الجماعاتِ،
وهو أوّلُ مَن أحيا اللهُ خالِدًا مِن بينِ الأمواتِ،(1) ليتصدَّرَ كلّ الكائناتِ،
لقد رضيَ اللهُ أن تفيضَ في مَولانا المَسيحِ كلُّ ما له مِن صِفاتٍ،
وبِفضلِ ما قدّمه على الصّليبِ مِن تَضحياتٍ، أعاد اللهُ النّاسَ إليهِ وأقام بينهم المُصالحات،
وبِتضحيةِ السّيّدِ المَسيحِ الحَليمِ، أعادَ اللهُ إليهِ كلَّ ما في الأرضِ وما في السّماواتِ.(2)

ولقد كنتم في ما مَضى مُبعَدينَ عنِ اللهِ، في عداءٍ معَهُ بِسببِ أفعالِكم وأفكارِكم الشّرِّيرَةِ، لكِنّ اللهَ أعادَكم إليهِ حينَ ضَحَّى السّيّدُ المَسيحِ بجِسمِهِ على الصّليبِ، حتّى يأتيَ بِكم أمامَه تعالى مَنذورينَ، طاهِرينَ مِن كلِّ الشوائبِ، لا لومَ عليكم، على أن تظلّوا ثابِتينَ في إيمانِكم، ولا تنحَرِفوا أبدًا عن يقينِكم ببُشرى السّيّدِ المَسيحِ الّتي بُلِّغَت إليكم. وبلغَت إلى العالَمين أيضًا، وأنا بولسُ أصبحتُ بِهذِهِ الرِّسالةِ داعيةً بَشيرًا.

1: 24-29 كفاح بولس في الدّعوة

فرِحٌ أنا بالآلامِ الّتي مِن أجلِكم أُعانيها، لأنّي أُعوِّضُ عن غيابِ السيّدِ المسيحِ حين أُلاقيها، فأتلقّى العذابَ نيابةً عنه مِن أجلِ جماعتِه وأفديها وإنّي لَخادِمُها وراعيها، لأنّ اللهَ كلّفني نَشْرَ الرِّسالةِ كاملةً إليكم أنتم مِن غيرِ اليهودِ. يا لَهُ من سِرٍّ أخفاهُ اللهُ على مَدى العصورِ والأزمانِ وها هو الآن يُجلّيهِ لِعبادِهِ الصّالِحين،(3) لأنّ اللهَ أرادَ لهم أن

(1) يمكن لكلمة «الرّأس» أن تعني في اليونانيّة: «السّلطة» (2: 10)، أو «الجزء الأكثر احتراما وتشريفا»، أو «الأصل» أي مصدر الرّزق (2: 19). وكان الفلاسفة الرّواقيّون يقولون إنّ كلمة الله مثل العقل أو الرّأس المدبِّر للكون، والكون بمثابة جسمه. ويصف النّص اليوناني السيّد المسيح بـأنّه «البكر من الأموات»، وأراد بولس بهذا التعبير أن يشير إلى أن سيّدنا عيسى (سلامه علينا) هو أوّل من بُعث من الموت بجسم خارق لا يبلى. ولا شك أنّ أناس آخرون بُعثوا أحياء بأجسامهم الدّنيويّة قبل زمن سيّدنا عيسى، ولكنّهم ماتوا مرّة أخرى في انتظار بعثهم يوم القيامة.

(2) عندما يقول بولس إنّ الله قد أعاد إليه كل ما في السماوات، فهو يقصد أن الله سيجبر الشياطين وغيرها من الكائنات الغيبية الشريرة أن تخضع للسيد المسيح. ورغم ذلك، ستواصل هذه الكائنات نشاطها في العالم، لكنّها في الواقع لا تملك قوّةً حقيقيةً تتحدّى بها مملكة سيدنا المسيح.

(3) تشير الكلمة اليونانية (mysterion أي السرّ أو اللّغز)، في الأديان الوثنيّة التي كانت سائدة

يَعرِفوا أنّ كنوزَ سيِّدِنا المسيحِ وبهاءَه تشملكم أنتم أيضًا يا مَن لستم يَهودًا، وهذا هو السِّرُّ العظيمُ: إنّ مولانا المسيحَ يَحيا في قلوبِكم أنتم أيضًا، وأنّه أساسُ ما أنتم عليهِ مِن يقينٍ في حُصولِكم يومَ الدّينِ على مَقامٍ مَجيدٍ. إنّنا دُعاةٌ له (سلامُهُ علينا) بين النّاسِ، مُنذِرونَ مُبشِّرونَ بِكلِّ حِكمةٍ حتّى نقدِّمَهم للهِ راشِدينَ في إيمانِهم بالسّيّدِ المَسيحِ،[1] وهذا هو هدفُ سعيي واجتِهادي، بِفضلِ قوّتِهِ الفائِقةِ (سلامُهُ علينا) الّتي تعمَلُ في فؤادي.

الفصل الثّاني

2: 1-5 تحذير من المضلّلين

إخوَتي في كولوسي، أريدُ لكم أن تعلَموا مَدى جِهادي لأجلِكم ولأجلِ المؤمِنينَ في مَدينةِ اللاّذقيّةِ،[2] ولأجلِ بَقيّةِ الّذين لم يقابِلوني شَخصيًّا مِثلكم، حتّى يكونوا في قُلوبِهِم أقوياءَ، فتتمتّنَ بينهم أواصِرُ المَحبّةِ، ويرسخَ يَقينُ إدراكِهم لِسِرِّ اللهِ ألا وهو سيِّدُنا المَسيحُ، ففيهِ تكمنُ كُنوزُ الحِكمةِ والمَعرِفةِ الإلهيّةِ. وإنّي لأخبرُكم بِهذا حتّى لا يخدعَكم المُخادِعونَ بِمَعسولِ الكلامِ، فإن كنتُ لا أقيمُ بينكم بِالجِسمِ، فإنّي أُقيمُ معكم بِالرّوحِ، وإنّي فرِحٌ بِكم لأنّي أراكم مُتكاتِفينَ ثابِتين في إيمانِكم بِمَولانا المَسيحِ.

2: 6-15 الانتصار على الشّياطين

وما دمتم لِمَولانا عيسى المَسيحِ مُبايعينَ، فاسلُكوا سَبيلَهُ، واثبُتوا على كُلِّ ما

= في كولوسي، إلى الشّعائر السرّيّة والرّموز التي يتمّ إخفاؤها عن الذين لم يدخلوا ديانتهم بعد. واستخدم بولس الكلمة بالمعنى نفسه الذي استخدمه النبيّ دانيال، مشيرا إلى مقصد الله من الخطة السرّيّة لأواخر أيّام العالم. وكانت هذه الخطّة مخفيّة عن أذهان النّاس سابقًا، غير أنّها ظهرت مع السيّد المسيح بشكل واضح لجميع النّاس.

(1) استخدم العرفانيّون وأعضاء الأديان السرّيّة كلمة «كامل» أو «راشد» كتعبير لوصف الذين انضمّوا إلى ديانتهم، فتعلّموا شعائر سريّة ومعرفة خاصّة بهم. أما بولس فقد استخدم هذا التعبير ليشير إلى المؤمنين الذين يعرفون ما يرضي الله ويواظبون على فعله.

(2) مدينة اللاّذقية هنا لا تشير إلى المدينة التي تحمل الاسم نفسه في سوريا، وإنما هي مدينة كانت تقع في غرب ما يُعرف بتركيا اليوم.

علّمَكم الأخُ زُهري بخُصوصِهِ (سلامُهُ علينا). وعندئذٍ تزدادونَ إيمانًا بِهِ، فتتجذّرونَ فيهِ وتتعمّقونَ وتبْنونَ أنفسَكم على هديِهِ، شاكِرينَ اللهَ الشُّكرَ كلَّه. وانتبهوا أحبابي، ألاّ يَغْويكم أحدٌ فتكونوا أسرى ضَلالِهِ بِفلسفَتِهِ وفكرِهِ الخادعِ القائمِ على عاداتِ البشرِ ووسوسةِ الكائناتِ الغيبية،[1] لا على أساسِ حَقيقةِ السّيّدِ المَسيحِ. لأنّ الفيضَ الرّبّانيَّ قد حَلّ في جَسَدِهِ (سلامُهُ علينا)، وتبلغونَ هذا الفيضَ بِهِ، إنّه يَفوقُ ما في الغيبِ مِن ملائِكةٍ وجِنٍّ وشياطين. ولقد وُسِمتم بِحقيقةِ الخِتانِ، فخلَعتم عن نفوسِكم أهواءَها، ويكونُ هذا خِتانًا في الرُّوحِ، الّذي أجراهُ السّيّدُ المَسيحُ، وهو ليس خِتانًا خارِجيًّا يُصيبُ الجِسمَ بِالجُروحِ. إنّكم تَطهّرتم بِالماءِ دليلاً على إيمانِكم بِهِ (سلامُهُ علينا)، وكأنّكم بذلك تدفِنونَ حياتَكم القديمةَ، وكما قام (سلامُهُ علينا) مِن الموتِ، فقد وُهِبتم كذلك حياةَ الخُلدِ لأنّكم وَثقتم بِقُدرةِ اللهِ، وهي القُدرةُ الّتي بِها بُعِثَ السّيّدُ المَسيحُ مِن الموتِ خالِدًا. وقد كنتم أيّها الأغرابُ مِن الهالِكينَ، لأنّكم كنتم في الوثنيّةِ ونفوسُكم غيرُ مُطهَّرة، غير أنّ اللهَ أحياكم مع السّيّدِ المَسيحِ، إذ عَفا عن خَطايانا كلِّها. وألغى التّقاليدَ الّتي فرَضها الشّرعُ القديمُ وما يتعلّق بها مِن تَعقيدات تَحُولُ بيننا وبين اللهِ، وقد خلّصنا اللهُ مِنها وعلّقها على الصّليبِ،[2] وهكذا نَزَعَ سِلاحَ الجِنِّ والشّياطينِ مِنهم، فهُزِموا وقُيِّدوا أذِلاّءَ في ركبِ مَولانا.

2: 16–23 ترك عادات الزّهد

فلا تسمَحوا إذَن لِلنّاسِ أن يَحكُموا عليكم ويُلزِموكم باتّباعِ تقاليدَ دينيّةٍ همُّها

(1) تشير الكلمة اليونانية «ستويكيا» (stoicheia) والتي تُرجمَت هنا بعبارة "الكائنات الغيبيّة"، إلى عناصر الطبيعة، إضافة إلى الشّمس والقمر والنّجوم التي اعتبرها الفرس والإغريق وغيرهم آلهة أو كائنات غيبيّة.

(2) كان الشّخص المديون بمال في زمن بولس يوقّع على صكّ الدّيون للشّخص الذي أدانه حتّى يعترف بقيمة ديونه. وبناءً على هذه العادة، كان فقهاء اليهود يعتبرون أنّ من ارتكب خطيئة فقد أصبح مَدينا لله. ولكن من الواضح أنّ الدّعاة الدجّالين في كولوسي كانوا يفرضون بعض التّقاليد اليهودية على النّاس (انظر 2: 16 و2: 21–22)، ويؤكّدون على ضرورة اتّباعها لأنّ كل من يخالفها يخطئ في حق الله. أما بولس فيؤكد هنا أنّ الله قد حذف أو ألغى ذلك الصكّ، وهذا يعني أنّ تجاهلنا لتلك التّقاليد لا يُعتبر ذنبًا، والله لا يؤاخذنا عليها. وهذا لا يعني أنّ أحكام شريعة النّبي موسى قد نُسِخَت أو لم تعد تمثل معيار الحقّ والباطل عند الله.

المَأكلُ والمَشربُ والاحتفالُ بِأعيادِ بَني يَعقوبَ أو فاتِحِ الشّهرِ أو يوم السَّبتِ،[1] وهذه التّقاليدُ ليست سوى ظِلٍّ يشيرُ إلى الحقيقةِ المُنتظرةِ، ألا وهْيَ حقيقةُ السّيّدِ المَسيح. فلا تسمَحوا لأحدٍ أن يدينَكم ويُصِرَّ على إخضاعِكم لِعادات الزُّهدِ أو المُغالاةِ في احترامِ الملائكةِ، زاعمينَ أنّهم رأوا ذلك في رؤى أثناء شَعائرِهم لإدخالِ النّاسِ إلى جماعاتٍ وثنيّةٍ سِريّةٍ، وهم في الحَقيقةِ مُتكبّرونَ بأفكارِهم الدُّنيَويّةِ الواهية،[2] فأضاعوا الصِّلةَ بالسّيّدِ المَسيحِ الّذي هو رأسُ أُمّةِ الجسدِ الواحد، فكما تُشَدُّ مَفاصِلُ الجِسم كلّه بِالرّأسِ فتتغذّى وتَنمو، كذلِك يَرعى سيِّدُنا المَسيحُ كلَّ المؤمِنينَ ويجعَلهم يتقرّبونَ إلى اللهِ. أي أحبابي، إنّكم حين أصبحتُم مِن أتباعِ السّيّدِ المَسيح، فقد تحرَّرتم مِن سُلطانِ الكائناتِ الغَيبيةِ في هذِهِ الدُّنيا، كما يَتحرَّرُ العبدُ الميتُ مِن سُلطانِ طاعةِ الحُكّام. فلِماذا تخضعونَ إلى الآن لِتقاليدِ أهلِ الدُّنيا؟! إنّما هي مِن وسوسةِ تِلك الشّياطين مِثل: «اجتنِب هذا، واحذر مذاقَ هذا، واحترِس مِن إمساكِ ذلك، إنّها تنجِّسكم».[3] إنّها ليستْ سوى عاداتٍ تتعلّق بأُمورٍ زائلةٍ تُستهلكُ، نعم هي لا تتعدّى أن تكونَ سوى أحكامٍ وتعاليمَ بشريّةٍ وهي تبدو كأنّها قولٌ حكيمٌ في نظرِ الّذين اختاروا هذِهِ العقيدةَ طوعًا، بِما فيها مِن تقشّفٍ وتعسّفٍ على الجسمِ، وفي النّهايةِ هي لا تقوى على ردِّ أهواءِ النّفسِ.

(1) من الواضح أنّ هذه التّقاليد بما فيها من تعيين أيّام خاصّة مقدّسة، تستند إلى الثقافة اليهودية، ولكن يبدو أنّ هدف الذين يبثّون هذه العقائد الخاطئة في كولوسي هو دعوة النّاس إليها لكسب دعم الملائكة ورضاها. وفي بعض المجموعات الدّينيّة الوثنيّة منعوا بعض الأطعمة لتحضير النّاس للانضمام إليها.

(2) يستخدم بولس هنا تعبيرا تقنيّا يشير إلى المرحلة النّهائيّة في شعائر الاحتفال للدّخول في إحدى الدّيانات السرّيّة المحليّة. فقد كان بعض الدجّالين يحاولون تضليل المؤمنين في كولوسي مدّعين أنّ كلّ من أنهى تجربة شعائر هذا الاحتفال يمكنه الحصول على حماية من الكائنات الشريّرة الخارقة: نجوما كانت أم كائنات غيبيّة فوق الأرض أو أسفلها.

(3) إذا أطاع المؤمنون في كولوسي التعاليم الخاطئة التي ينشرها المضلِّلون، فإنّهم سيعودون إلى الوضع الأوّل عندما كانوا وثنيّين أذلاّء تحت سيطرة الشّياطين (أي قبل أن يؤمنوا بسيّدنا المسيح)، وهذه الشّياطين تحاول أن تسيطر عليهم من خلال التّعاليم الباطلة.

الفصل الثّالث

3: 1ـ11 اسعَوا إلى الأمور الإلهيّة

أيّها الأحبابُ، لقد أقام اللهُ السّيّدَ المَسيحَ مِن الموتِ، فوهبَ لكم معه حياةَ الخُلودِ، فاجعَلوا سَعيَكم إلى كُلِّ ما هو سَماويٌّ رَبّانيٌّ، حيث تلقَوْنَ السّيّدَ المَسيحَ جالِسًا على يمينِ اللهِ، فاترُكوا أُمورَ الدُّنيا، واعتَنوا بِالشّأنِ الرّبّانيِّ المَجيدِ، فلقد أصبحتُم الآن تابِعينَ لِلسّيِّدِ المَسيحِ، وانقطَعتم عن حياتِكم القديمةِ، وحياتُكم الجديدةُ مُستتِرةٌ في الغيبِ عِند اللهِ مع السّيِّدِ المَسيحِ، وعندما يتجلّى، يرفَعُ اللهُ قدْرَكم علانيَةً كما رفع قدرَه (سلامُهُ علينا). فاقتلوا صوتَ الأهواءِ في نُفوسِكم: صوت الفِسقِ والفَحشاءِ والشّهواتِ والرَّغباتِ الهوجاءِ والطّمعِ الّذي يُضاهي عِبادةَ الأصنام، فهذِهِ الأهواءُ بابٌ يَحلّ مِنه غضبُ اللهِ على مَعشرِ العُصاةِ الآثمينَ، وحين كنتم مِن أهلِ الدُّنيا كنتم تقترفونَ هذه الآثامَ أيضًا. والآن فقد آن الأوانُ، فتجنّبوا الغضبَ والهيجانَ والخُبثَ والشّتمَ وبذيءَ الكلام، ولا تكذِبوا بَعضُكم على بَعضٍ، لأنّكم نزعتُم النّفسَ القديمةَ وأعمالَها، وتحلّيتم بحُلّةِ النَّفسِ الجَديدةِ الّتي تتجدَّدُ فيكم وتنمو بمَعرفةِ الخالقِ كلَّ يوم، حتّى تتّصِفوا بِصِفاتِهِ تعالى، لِذلِك ما هَمَّكم أن يكونَ بَعضُكم يَهوديًّا أو غير يَهوديّ، مَختونًا أو غير مَختونٍ، عبدًا أو حُرًّا، بَربريًّا أو أعجميًّا. فالمَسيحُ هو الأمرُ العظيمُ، وهو مُقيمٌ فيكم على حدٍّ سواء.

3: 12ـ17

ألا إنّكم أنتم الّذين اختارَهم اللهُ، ونذرَهم وأحبَّهم،[1] فتَحلّوا بِهذِهِ الأخلاقِ: بالحَنانِ واللُّطْفِ والتّواضعِ والوَداعةِ والصّبرِ، واحتملوا بَعضُكم بَعضًا، وإن أخطأ أحدٌ في حقِّك فاصفَحْ عنه، كما صفح عنكم السّيِّدُ المَسيحُ. والمَحبّةُ هي تاجُ هذِهِ

(1) كانت عبارات «أُمّة الله المختارة» و«المنذورون» و«الأحباء»، مصطلحات قصد بها الأنبياءُ القدامى شعب بني إسرائيل، لكنّ الحواري بُولُسَ هنا يوظفها للإشارة إلى جميع أتباع سيدنا عيسى المسيح من كلّ الأمم مهما كان انتماؤهم العرقي أو الديني.

الخِصالِ كُلِّها، فتحلّوْا بِها لأنّها تجمعُ كلَّ هذِهِ الخِصالِ في وَحدةٍ مُتكامِلةٍ. وقد دَعاكم اللهُ إلى السّلام إذ ضَمَّكم إلى أُمّة السّيّدِ المَسيح كأعضاءٍ لجسدٍ واحدٍ، فاجعَلوا هذا السّلامَ يَسودُ قلوبَكم، وكونوا للهِ شاكِرينَ، وليسكُنْ أفئِدتَكم كلامُ السّيّدِ المَسيح بكلِّ غِناه، وعلِّموا وأرشِدوا بَعضُكم بَعضًا بكلِّ حِكمةٍ. وابتهلوا للهِ ورتِّلوا آياتٍ مِن الزَّبورِ وأناشيد دينيّةٍ وسبِّحوا بحَمدِهِ دائمًا مِن كلِّ قُلوبِكم، واجعلوا قولَكم وفِعلَكم مَهما يكن، لائِقًا بِمَقامِ مَن يُمثِّلُ سيِّدَنا عيسى، رافِعينَ بحقِّهِ الشُّكرَ للهِ الأبِ الرَّحمنِ الرَّحيم.

3: 18ـ25 المؤمن والأسرة

أيّتها الزّوجاتُ، احترِمنَ مَكانةَ أزواجِكُنّ، كما يَليقُ بِالزَّوجةِ الّتي تؤمِنُ بِسيّدِنا عيسى. وأنتم أيّها الأزواجُ، أحِبّوا زَوجاتِكم ولا تعامِلوهنّ بِقسوةٍ.[1] وأنتم أيّها البَنونُ والبَناتُ، أطيعوا والِديكم في كُلِّ شيءٍ، فهذا يُرضي سيِّدَنا عيسى. يا أيّها الآباءُ، لا تدفعوا أبناءَكم إلى الغضبِ لكي لا ييأسوا. يا أيّها العبيدُ، أطيعوا أسيادَكم في هذِهِ الدُّنيا في كُلِّ شيءٍ، فأطيعوهم لا أمام عيونِهم فقط، بل بِقلبٍ يَملؤُه الوفاءُ، لأنّكم مِن الّذين يَهابونَ سيِّدَنا المَسيح عن تَقوى. ومَهما عمِلتم فاجعلوا عملَكم نابعًا مِن القلبِ، كأنّما تتوجَّهونَ به لسيِّدِنا (سلامُهُ علينا) لا لِعامّةِ النّاسِ. واعلموا أنّ سيِّدَنا سيكافِئكم بِما وعدَ اللهُ مِن ميراثٍ، إنّما السّيّدُ المَسيحُ هو فِعلاً مَن تتوجّهونَ إليه بِعملِكم، أمّا مَن يفعلُ الشّرَّ، فإنّه ينالُ جزاءَ شَرِّهِ، واللهُ لا يظلِمُ أحدًا.

الفصل الرّابع

4: 1

يا أيّها الأسيادُ، عامِلوا عبيدَكم بالعدلِ والقِسطِ، واعلموا أنّكم أيضًا عبيدٌ للهِ سيِّدِ السَّماءِ.[2]

(1) كان المعلِّمون الوثنيُّون الذين يعلّمون الأخلاقَ عادةً ما يشدّدون على ضرورة أن يقود الزوج زوجته ويسيّر أمرَها، أمّا بُولُسُ فقد شدّد هنا بدلاً من ذلك على ضرورة أن يحبَّ الزوج زوجته.

(2) يشير بولس في هذه الرّسالة بشكل واضح إلى مساواة النّاس جميعًا أمام الله، لكنّه لم يتعامل مع العبوديّة كمؤسسة، بما أنّه لم يتمكّن من تغييرها أو إلغائها. بل كان يرشد المؤمنين ويدعوهم

4: 2_6 وصايا أخيرة

واظبوا على الصّلاةِ والدُّعاءِ، متيقِّظينَ حامِدينَ، وتوجَّهوا بالدُّعاءِ مِن أجلِنا حتّى يفتحَ اللهُ لنا بابًا لنبلِّغ رِسالتَه ونعلِن سِرَّ السّيّدِ المَسيحِ، فأنا مِن أجلِ ذلك مُقيّدٌ هنا، فادعوا لي حتّى أقومَ بِواجِبي فأعلِنَ الرِّسالةَ جَهرًا. تصرَّفوا بِحكمةٍ مع الّذين لم يؤمِنوا بَعدُ بسيِّدِنا المَسيحِ، واغتنِموا كلَّ فُرصَةٍ لِهِدايتِهِم إلى الحقِّ، واجعَلوا حَديثكم معهم طيِّبًا مَليحًا، لِتعلموا ما تقولونَ، فتجيبوهم جَوابًا صَحيحًا.

4: 7_18 تحيّات ختاميّة

وسيعلِمُكم الأخُ طيخي بِكُلِّ أخباري، فهو مُعاوِني الأمينُ ورَفيقي في الدَّعوةِ إلى رِسالةِ سيِّدِنا (سلامُهُ علينا). أرسلتُه إليكم بِصِفةٍ خاصّةٍ ليخْبِرَكُم بِأحوالِنا ويشدَّ مِن عَزائِمِكم في هذا الضّيقِ الّذي نحن فيهِ، وقد أرسلتُ معه أيضًا أخانا المَحبوبَ الأمينَ نافِعًا وهو واحِدٌ مِن جماعتِكم، وسيخبرانِكم بِكُلِّ ما وقعَ هنا مِن أحداثٍ.

يسلِّمُ عليكم أخونا أرِسْتَرْكي المُعتقَلُ مَعي هنا، وكذلِك مَرقُسُ قريبُ بَرنابا، وأوصيتُكم سابقًا أن ترحِّبوا بِمَرقُس إذا زاركم. ويسلِّمُ عليكم أيضًا يَشوع الصِّدّيق. وكلُّ الّذين ذكَرتُهم هنا هم إخوتُنا في الإيمانِ مِن اليهودِ، وهؤلاء يَعملون مَعي وحدَهم في الدَّعوةِ إلى مَملكةِ اللهِ، وهم خيرُ المُساعِدينَ لي.(1) ويسلِّمُ عليكم أخوكم في جماعةِ المؤمِنين، زُهري، وهو تابعٌ مُخلصٌ لِسيِّدِنا المَسيحِ، ويبتهِل إلى اللهِ مِن أجلِكم بِإلحاحٍ دائمًا، أن يجعلَكم راشدينَ وفي إيمانِكم راسِخينَ وأن تتمتّعوا بيقينِ مَرضاةِ اللهِ في سعيِكم، وإنّي أشهدُ يا إخوتي، أنّه يهتمُّ بِأُمورِكم كما يَعتني بِجماعاتِ المؤمِنين في مَدينةِ اللاّذِقيةِ وفي مَدينةِ هيرابُلس. ويسلِّمُ عليكم الحَبيبُ لوقا الطّبيبُ، وأخونا ديمـاس أيضًا. سَـلِّموا على الإخوةِ والأخواتِ في اللاّذِقيةِ، وعلى الأخـتِ نِمْفاس وعلى جَماعةِ المؤمِنين الّذين يجتمِعونَ في دارِها. وأوصيكم بعد قِراءةِ هذِهِ الرِّسالةِ أن ترسِلوها إلى جماعةِ الإيمانِ في اللاّذِقيّةِ ليقرؤوهـا أيضًا، واقرؤوا أنتم

= إلى التصرُّف وفقًا لمبادئ المساواة التي تتضمّنها رسالة السيّد المسيح. ونجد هذه الفكرة بشكل واضح في رسالته التي كتبها إلى فِليمون.

(1) تعجّب بعض قرّاء هذه الرّسالة في زمن بولس دون شكّ عندما رأوا كيف سعى المؤمنون من اليهود أو غيرهم سويًّا إلى نشر الدّعوة إلى الإيمان بالسّيّد المسيح.

بدورِكم ما أرسلتُه إلى إخوانِنا في اللاذقيّةِ. وبلِّغوا أرْشيبي ما يَلي: «احرِصْ على إتمامِ العملِ الّذي كلّفَك بِهِ مَولانا». وها أنا أكتبُ لكم تحيَّتي بِخطِّ يدي: سلامٌ مِنّي أنا بولسَ، واذكروا أنّي هنا رَهينُ الاعتِقالِ، فليكنْ فضلُ اللهِ عليكم.[1]

(1) دأب الناس في القرن الأول للميلاد على إملاء رسائلهم على ناسخ، لكنهم كانوا يحرصون على كتابة الجملة أو الجملتين الأخيرتين من الرسالة بخطّ أيديهم لتأكيد صحتها وأصالتها. وكان الحواري بولس يتّبع هذه العادة.

مدخل إلى رسالة تسالونكي الأولى

تسالونكي هي مدينة بحريّة كبيرة تقع في منطقة ما يُعرف اليومَ بشَمال اليونان، وكانت عاصمةَ مقاطعة مقدونيا الرّومانية، ومركزا تجاريّا هامّا يقع في مفترق الطرق الرئيسية. وكان عددُ سكانها ما يقارب 200,000 نسمة وكان بينهم عددٌ من اليهود الذين يملكون مكانًا خاصًّا للعبادة. ومثّلت هذه المدينةُ مركزًا لعبادة آلهة الإغريق ومصر.

وكوّن الحَواري بولس ورفاقُه سنة 50 للميلاد تقريبًا، جماعةً جديدةً من المؤمنين أقام بينها فترةً من الزمن لتثبيت إيمانهم، وهو ما جاء في سيرة الحواريين (17: 1-14). ولكنّ هذه الجماعةَ سرعانَ ما اصطدمت بمقاومة بعض اليهود الذين شعروا بالغيرة وخسران تعاطف الناس معهم حين شرع العديدُ منهم في اتّباع رسالة سيدنا عيسى المسيح (سلامه علينا). فاضطُرّ بولس ورفاقُه إلى مغادرة تسالونكي والذهابِ إلى أماكن أخرى. فتوجّه بولس إلى أثينا في مقاطعة أخائية جنوبَ اليونان (انظر سيرة الحواريين 17: 15-33)، ثمّ إلى مدينة كورنتوس، حيث التحق به رفيقُه تيموتاوي الذي حمل معه معلوماتٍ عن حالة المؤمنين في تسالونكي (سيرة الحواريين 18: 1-5). وكتب بولس رسالته هذه بعد اطلاعه على تلك المعلومات، وحدث هذا تقريبًا سنة 51 للميلاد.

إنّ محبّةَ بولس لمؤمني تسالونكي واضحةٌ من خلال إشاراته العاطفية إلى إيمانهم الرّاسخ (1: 3-10، 2: 14، 3: 6-9)، وحسرتِه على عدم تَمَكّنه من العودة إليهم من جديد (2: 17-20). وفي هذه الرسالة يُشجّعهم على مواجهة مِحَنِهم (3: 3-5)، ويكتب إليهم عن الحياة الصالحة (4: 1-12)، ويحثّهم على الاستعداد لِتَجلّي سيدنا عيسى المسيح مِلِكًا مُتوَّجًا (5: 1-11)، ويُخبرهم عن مصير المؤمنين الذين سيموتون قبلَ حلول ذلك اليوم (4: 13-18).

بسم الله تبارك وتعالى

رسالة الحَواريّ بولُس الأولى إلى أحباب الله في تَسالونْكي

الفصل الأوّل

1: 1 تحيّة

هذه الرِّسالةُ من بولُس وسِلواني وتيموتاوي،[1] إلى جماعةِ أحبابِ اللهِ في مَدينةِ تَسالونْكي، المُعتصمينَ باللهِ الأبِ الصَّمَدِ، وبسيِّدِنا عيسى المَسيح. السّلامُ عليكم ورَحمةُ اللهِ.

1: 2-10 الحمد لله على إيمان جماعة تسالونكي

إنّا نَحمَدُ اللهَ دائمًا مِن أجلِ إيمانِكم، ونواظبُ على الدّعاءِ مِن أجلِكم. نعم، نحمدُ الله أبانا الرَّحمنَ حين نَذكرُ حَسَناتِكمُ الّتي تنبَعُ مِن إيمانِكم ومِن مَحبّتِكم للنّاسِ ومِن جُهودِكم في مُساعدتِهِم، ومِن ثباتِ يقينِكم بسيِّدِنا عيسى المَسيح. يا إخوتَنا في الإيمانِ، إنّنا نعلمُ أنّ اللهَ يُحبُّكم وأنّهُ اختارَكُم لأُمّتِهِ،[2] لأنّنا حين بلّغناكم بُشرى سيِّدِنا المَسيح، لم يكُن ذلك مُجرَّدَ كلام، بل كان مَصحوبًا بقوّةِ اللهِ ورُوحِهِ تَعالى الّتي أظهرتْ لكم صِدقَ رِسالتِنا، فازدادَ يَقينُكم بِها. وأنتم تَعلَمونَ مِن خلالِ سيرتِنا عندما كنّا بينكم كيف سَعَيْنا لفائدتِكم، ولهذا السّببِ قَبِلتم الرِّسالةَ بفرحِ رُوحِ اللهِ، رغم الضّيقِ الّذي كنتم تواجهونَهُ.[3] وهكذا فأنتم تقتادونَ بسيِّدِنا عيسى أوّلاً وتَقتادونَ بنا

(1) كان سِلواني وتيموتاوي مرافقيْن لبولس عندما أعلن البشارة بالمملكة الربّانيّة في تسالونكي. وقد ساعداه هناك في تنظيم جماعة المؤمنين الجُددِ وتثبيتِ إيمانهم.

(2) اعتبر شعب بني يعقوب نفسَه الشّعبَ المختار، ولكنّ الحَواري بولس يستعمل هذا المصطلح لوصف المؤمنين في تسالونكي، مع أنّ أغلبهم من غير اليهود.

(3) غضب مُعظم الوثنيين عندما رأوا اليهود يُهوّدون الكثير من الوثنيين ويُبعدونهم عن دينهم. ولكنّ

ثانيًا، فأصبحتم قُدوةً لكلِّ المؤمنينَ في اليونانِ، مِن مَقْدونيا في الشّمالِ إلى أخائيّة في الجَنوبِ.[1] لأنّ عملَكم لم يقتصر على نشرِ رِسالةِ السّيِّدِ المَسيحِ في اليونانِ فحسبُ، بل انتشرتْ أخبارُ إيمانِكم باللهِ في كُلِّ الأرجاءِ، فلا حاجةَ بنا إلى تأكيدِها. إنّ النّاسَ يُردِّدونَ كيفَ رَحّبتُم بنا عِندما أتيناكم ببلاغِ البُشرى، وولّيتم وجوهَكم عن الأصنامِ واهتديتُم إلى اللهِ الحيِّ الحقِّ.[2] ويُردِّدونَ أيضًا أنّكم تنتظرونَ في شوقٍ تجلّي الابنِ الرُّوحيّ للهِ ملِكًا مِن السَّماءِ.[3] نعم، سيِّدُنا عيسى الّذي أحياهُ اللهُ مِن بينِ الأمواتِ! وبه ننجو مِن أهوالِ يومِ الدِّينِ![4]

الفصل الثّاني

2: 1-9 طبيعة الدّعوة في تسالونكي

يا إخواني وأخواتي في الإيمانِ، أنتم تَعلَمونَ أنّ زيارتَنا لكم لم تذهب سُدى، وإنّكم تعرِفونَ أيضًا أنّنا قبل أن نحضُرَ إليكم، أساء قادةُ مَدينةِ فيليبّي مُعاملتَنا وأهانونا.[5] ورَغم ذلك وهب الله لنا الجُرأةَ لنُعلِن لكم بُشراهُ تعالى، رغم شِدّة المُعارضةِ في تَسالونكي.

= أتباع سيّدنا عيسى (سلامُهُ علينا) كانوا أكثر توفيقًا من اليهود في هداية الوثنيين إلى رسالتهم، ولذلك كان عداء الوثنيين لهم أشدَّ من عدائهم لليهود.

(1) قُسِّمتْ اليونان في ذلك الزمن إلى مقاطعتين رومانيتين، مَقدونيا في الشمال وأخائية في الجنوب.

(2) كان معظم المؤمنين بسيّدنا عيسى (سلامه علينا) في تسالونكي من غير اليهود، وكانوا سابقًا من عبدة الآلهة المحليّة في غالب الأحيان.

(3) إن مصطلح «الابن الرّوحي لله» هنا تعريب للمصطلح الذي يُترجَم عادةً بكلمة «ابن». وفي كتب الأنبياء الأقدمين كان هذا المصطلح لقبًا لملِك بني يعقوب الذي يختاره الله، وهو لا يعني التناسل، ولكنه يشير إلى الصلة الوثيقة التي تربط بين سيدنا عيسى والله. ومكانتُه (سلامُهُ علينا) عند الله تضاهي مكانة البكر في العائلة. ويرى البعض في هذا تلميحًا إلى أنّه الكلمة الأزلية التي ألقاها الله إلى مريم العذراء فصارت بشرًا.

(4) برهنت قيامةُ سيّدنا عيسى (سلامه علينا) من الموت على أنّ كلّ عباد الله الصالحين سيُبعثون أحياء من الموت ومصيرهم الجنة. (انظر رسالة كورنتوس الأولى، 15: 20-23)

(5) لقد تعرّض بولس وسِلواني إلى معاملة سيّئة في مدينة فيليبي قبل فترة وجيزة من وصولهما إلى تسالونكي، وبأمر من السلطات تمّ نزعُ ثيابهما وضرْبُهما بالعصي بطريقة مُذلّة أمام الناس، فتعرّضا إلى التعذيب دون محاكمة (انظر سيرة الحواريين، 16: 22-23). وفي ذلك انتهاكٌ لحقوقهما بوصفهما مواطنين رومانيَّيْن.

وإنّا لقادرونَ على مواجهةِ المُعارضينَ، لأنّنا لا نُضِلُّ أحدًا ولا نحتالُ على أحدٍ ولا نُغري أحدًا.[1] وما حَديثُنا إليكم إلاّ حَديثُ المُمْتَحَنينَ الّذين امتحنهمُ اللهُ فائتَمَنَهم على رِسالتِهِ، فلا نَسعى إلى مَرضاةِ النّاسِ، بل نَسعى إلى مَرضاةِ اللهِ العليم بِما تُكِنُّ صُدورُنا. وإنّكُم لتعلمونَ أنّ كلامَنا هو الحقُّ، وما هو بِزُخرُفِ القولِ، وما أضمَرْنا طمَعًا بِما في أيديكم. واللهُ يَشهدُ على صِدقِنا، ولم نُحاول أبدًا الحُصولَ على مَديحِ المادِحينَ، سواءٌ منكم أو مِن غيرِكم، رَغم حقِّنا في طلبِ الكثير منكم، باعتبارِنا حَوارِيّي السّيِّدِ المَسيح.[2] وكُنّا نَحْنو عليكم كما تحنو الأُمُّ على أولادِها. فنحن نُحبُّكم حُبًّا شَديدًا إلى دَرجةِ أنّنا لم نكُن على استعدادٍ لتقديم البُشرى بسيِّدِنا المَسيحِ وحدَها، بل خاطَرْنا بحياتِنا مِن أجلِكم، فأنتم قُرّة أعيُنِنا.[3] أيُّها الإخوةُ والأخواتُ، إنّكم تَذكرونَ بلا شكٍّ كيف كنّا نجتهدُ ونتعبُ عندما كنّا مَعكم. أجل، عملنا ليلاً نهارًا حتّى نكسب رِزقَنا كي لا نُصبِح عالة على أحدٍ. وهكذا كان دأبُنا عندما بلّغناكم البُشرى مِن الله.[4]

2: 10-16

واللهُ يَشهدُ، وأنتم تشهدونَ، كيف كنّا في تَسالونْكي، مُخلصينَ مُستقيمينَ نُزَهاء مع المؤمنين جميعًا. وتَعرِفونَ جيِّدًا أنّنا عاملنا كلّ واحدٍ منكم كما يعامِلُ الأبُ أبناءه! فكُنّا نشجِّعُكم، ونشُدُّ على أيديكم، ونلحُّ عليكم أن تعيشوا كما يليقُ بمَعرفةِ اللهِ الّذي

(1) يقارن بولُس نفسَه بالدُّعاة الذين يدّعون إعلانَ رسالة سيدنا عيسى (سلامه علينا) وهم في الحقيقة يشوّهون الرسالة لكسب مالٍ أو نيل شهرة (انظر هذه الرسالة 2: 5-6). وقديمًا انتشر في منطقة البحر الأبيض المتوسّط فلاسفة ومتديّنون دجّالون محتالون، وهو ما جعل الفلاسفة الصادقون يترفّعون عنهم في ممارساتهم ويستنكرون ما قام به هؤلاء الدجّالون.

(2) كان الحَواريون يتمتّعون بحقّ حصولهم على الدّعم الماديّ من قِبل جماعة المؤمنين، ورغم ذلك لم يكن بولس نفسُه يستفيد دائمًا من هذا الحقّ (انظر رسالة كورنتوس الأولى، 9: 3-14؛ وكورنتوس الثانية 11: 7-11).

(3) أكّد الحواري بولُس أنّ هذا الادّعاء لم يكن مجرّد كلام، بدليل أنّه خاطر بحياته في تسالونكي وتعرّض للضرب المبرّح في سبيل المؤمنين.

(4) واصل بولس عمله في صناعة الخيام لتأمين عيشه رغم ارسال مؤمني فيليبي مالاً لدعمه في تسالونكي عندما كان يقوم بالدّعوة. وفي تلك الفترة كان عدد كبير من المرشدين يزاولون تعليمهم بالتوازي مع ممارسة حرفة تعلّموها عن آبائهم.

يَدعوكم إلى مَملكتِهِ المَوعودةِ وحُضورِهِ المَجيدِ.[1]

ونحنُ يا إخواني نشكر الله شُكرًا لا يَنقطعُ لأنّكُم عندما سَمِعتم رِسالةَ اللهِ الّتي بلّغناكم إيّاها قبِلتموها، لا كَرِسالةٍ مِن البشرِ، بل رِسالةٍ مِن ربِّ العالَمين! أجل، إنّها رسالةٌ تُغيّرُ ما في أنفسكم. يا إخوتي، لقد تحمّلتم مَتاعِبَ شَديدة مِن أبناءِ شَعبِكم في تَسالونْكي، وبهذه الطَّريقةِ اقتدَيتم بالمؤمنين بسيّدِنا عيسى المَسيحِ الّذين اضطهدهم شعبُهُم بنو يعقوب في مُقاطعةِ يَهوذا في فِلسطين. إنّ اليهود هم الّذين قَتلوا سيِّدَنا عيسى وأنبياء قبلهُ، وها هم الآن يضطهِدونَنا نحن أيضًا ويُطارِدونَنا. إنّ عملَهم هذا لا يُرضي الله أبدًا، ويُعادونَ النّاس جميعًا بمُحاولةِ منْعِنا مِن إرشادِ غيرِ اليهودِ إلى دَربِ النَّجاةِ. وهكذا يُراكمونَ آثامَهم وذُنوبَهم، وفي النّهايةِ يَحِلُّ عليهم غضبُ اللهِ.[2]

2: 17-20 الشّوق لزيارة المؤمنين

أيُّها الأحبابُ، لقد اشتقنا إليكم كثيرًا بعدما أُجبرنا على فِراقِكم،[3] رغم أنّه لم يَمض على فِراقِنا إلاّ زمنٌ قصيرٌ. وبذَلنا جهدًا كبيرًا لرؤيتِكم مَرّة أُخرى. ومع أنّكُم كنتم غائبينَ عن أعينِنا، فإنّكُم تسكنونَ قُلوبَنا! ولقد كُنّا عازِمينَ على زيارتِكم مَرّة بعد مرّةٍ، وخُصوصًا أنا بولُس، لكنّ الشَّيطانَ عاقنا.[4] ونحن على يقينٍ أنّكُم راسِخونَ في

(1) سيدفع إيمان هؤلاء المؤمنين الجدد إلى تضحية كبيرة، فمنذ الآن لن يشاركوا في المراسم التي تُقام عادةً في تسالونكي لتعظيم الإمبراطور وتقديم القرابين والأضاحي له، استنادًا إلى الزّعم الشائع أنّه إله. وسيعتبر الناس انتماءهم إلى المملكة الرّبّانيّة الموعودة رفضًا لتقديم الولاء للإمبراطور.

(2) في زمن نشر هذه الرسالة، ازداد استياءُ يهودِ مقاطعةِ يهوذا في فلسطين ورفضُهم للاحتلال الرّوماني، واشتدّ كُرهُهم ونفورُهم من غير اليهود عمومًا، وهو ما أدّى إلى تصدّيهم لأولئك اليهود الناطقين باليونانية والذين آمنوا بسيدنا عيسى وأخذوا في نشر رسالته بين غير اليهود (انظر سيرة الحواريين 21: 20-22).

(3) أُضطرّ بولس ورفاقُه إلى مغادرة تسالونكي والذهاب إلى بلدة بيريّة بسبب الاضطهاد الذي تعرّضوا له من اليهود الذين لم يؤمنوا برسالة المسيح (انظر سيرة الحواريين، 17: 5-10). ثم ذهب بولس من هناك إلى مدينة أثينا (سيرة الحواريين، 17: 13-15).

(4) لم يتمكّن بولس من العودة إلى تسالونكي بسبب مانع ملموس حال دون ذلك، وهو ما عبّر عنه بعبارة «الشيطان عاقنا»، وربّما المانع تمثّل هذا المانع في معارضة حكّام المدينة وتأثيره على رفاق بولس هناك. وأجبر رجالُ السلطة أصحابَ بولس في جماعة المؤمنين في تسالونكي، على دفع كفالة تجعلهم مسؤولين قانونيًا عن بولس وسلواني، كما أجبروا بولس وسلواني على مغادرة المدينة دون العودة إليها ثانيةً. (انظر سيرة الحواريين، 17: 8-9)

إيمانِكم، ولهذا غمرَتنا الفَرحةُ والفَخرُ بكم. ولأنّكم آمنتم برِسالةِ سيِّدِنا عيسى الّتي بلّغناكم إيّاها، فإنّكم أنتم إكليلُنا الّذي سنفتخِرُ به يوم يَتجلّى (سلامُهُ علينا) بيننا ملِكًا.(1)

الفصل الثّالث

3: 1ـ5 الفرح لثباتهم في الإيمان

ولمّا نفدَ صَبرُنا لعدمِ وُجودِ أخبارٍ تصِلُنا مِنكم، ولشوقِنا العظيم إليكم، رأينا أنّه مِن الأفضلِ أن نُرسِلَ إلَيكم الأخَ تيموتاوي وأبقى أنا وَحدي في أثينا. إنّهُ رَفيقي في سَبيلِ اللهِ في الدَّعوةِ إلى سيِّدِنا المَسيح. أرسلناهُ ليَشُدّ عزمَكم ويقوّي إيمانكم،(2) كي لا يتزعزع بِسببِ ما تُعانونَهُ مِن بلاءٍ. يا أَحبابَنا، إنّكم تعرِفونَ أنّنا نحن المؤمنينَ بسيِّدِنا عيسى نَصيبُنا أن نُعاني هذه الشّدائدَ. فلقد أعلمناكم عندما كُنّا بينكُم أنّنا بِسببِ إيمانِنا بهِ (سلامُهُ علينا) سنلقى الشِّدّةَ عاجلاً. وهذا ما حَدَثَ فعلاً كما تعرِفونَ. ولِهذا أرسلتُ تيموتاوي، حين نفد صَبري، لِكي يُخبرني عن أحوالِ إيمانِكم خشيةً أن يكون إبليسُ قد أغواكم فيضيعَ تعَبُنا سُدى.

3: 6ـ13

وها قد رجع تيموتاوي مِن عِندِكم، حاملاً معه أخبارًا سارّة عن إيمانِكم ومَحبّتِكم.(3) وأخبرَنا أنّكُم تَذكرونَنا بالخيرِ دائمًا، وأنّكم مُشتاقونَ إلى رُؤيتِنا، كما نشتاق إلى رُؤيتِكُم كثيرًا، فإيمانُكم هذا شدَّ عزائِمَنا في مُعاناتِنا واضطهادِنا، فطابتْ لنا الحياةُ ما دمتم راسِخينَ في إيمانِكم بالسّيِّدِ المَسيح. وإنّ فرحتَنا كبيرةٌ أمام اللهِ بِسببِكم! فكيف نوفّي الله حقّ الحمدِ ونُثني عليهِ حقّ الثّناءِ، على هذا الفرحِ العظيمِ! وإنّنا نواظبُ على سؤالِ

(1) استُخدمتْ كلمتا «التاج» و«الإكليل» في جميع الأدبيات اليهودية والإغريقية والرومانية في ذلك الزمن للإشارة إلى المكافأة عن الأعمال الجليلة. وليس المقصود به من الإكليل هنا التاج المَلكي بل المقصود إكليل الزهور أو ورق الغار الذي يوضع على رأس المنتصر. ووردت كلمتا «التيجان» و«الأكاليل» في كتب الأنبياء الأوّلين كرمز للثواب في الآخرة في بعض الأحيان.

(2) رغم أنّ بولس وسلواني مُنِعا من العودة إلى تسالونكي، إلا أن تيموتاوي لم يُمْنَع من ذلك.

(3) ذهب بولس من أثينا إلى كورنتوس (انظر سيرة الحواريين 18: 1). وهناك زاره تيموتاوي حاملاً معه أخبار المؤمنين في تسالونكي (انظر سيرة الحَواريين 18: 5).

رَبِّنا، ليلاً نهارًا أن نراكم وجهًا لوجه فنُزوِّدَكم بِما تَحتاجونَهُ في إيمانِكم! أسأَلُ اللهَ أبانا الرَّحمنَ، وسيِّدَنا عيسى مَولانا أن يفتحَ لنا طريقَ زيارتِكم. وأسأَلُ سيِّدَنا (سلامُهُ علينا) أن تَفيضَ مَحبَّتُكم لبَعضِكُم بَعضٍ وأن تحبُّوا النّاسَ جميعًا على قدرِ مَحبّتِنا لكم وأن يُثبِّتَ قُلوبَكم وينذرَكم إليه تعالى، وألاّ تشوبكم شائبةٌ يومَ تقِفونَ في مَحضرِ اللهِ أبينا الرَّحمنِ الرَّحيم، عندما يَتجلّى سيِّدُنا عيسى ملِكًا مع كلِّ أوليائِهِ الصّالحين.(1)

الفصل الرّابع

4: 1-12 الحياة المرضيّة لله

إخوتَنا في اللهِ، واستنادًا إلى ما ذكرناهُ في هذه الرِّسالةِ، فإنّنا نُلحُّ في رَجائِنا مِنكم باسم سيِّدِنا عيسى المَسيح أن تسلكوا في حياتِكم ما يُرضي اللهَ، كما تَعلّمتُم مِنّا وكما تعملَونَ فعلاً. ونحن نؤكّدُ في طلبِنا مِنكم أن تتفوّقوا في هذا المَجالِ، وإنّكم لتعلمونَ وَصيةَ مَولانا المَسيحِ الّتي بلّغناكم إيّاها: إنّ اللهَ يُريدُكم أن تتحلَّوْا بالقُدسيةِ، فامتنِعوا عنِ الفَحشاءِ. فليضبِط كُلُّ واحدٍ مِنكم نَفسَهُ ليكونَ مِن الطّاهرينَ الشُّرفاءِ، ولا يتّبِعْ شَهواتَهُ كالوثنيّينَ الّذين يَجهلونَ اللهَ! وليصُنْ كُلُّ واحدٍ مِنكم عِرضَ أخيه في الإيمانِ ولا يُسِئ إليهِ. ولقد أخبرناكم مِنْ قبلُ وحذّرناكم تَحذيرًا شَديدًا أنّ اللهَ يُعاقبُ كُلَّ مُعتدٍ آثِمٍ شرّيرٍ. لأنّ اللهَ قد دَعانا إلى حياةِ الطَّهارةِ، حياةٍ لا نَجاسة فيها ولا فَحشاء. فكلُّ رافِضٍ لهذه الوصايا هو في الحَقيقةِ لا يَرفضُ كلامَ النّاسِ بل يَنأى عن كلامِ اللهِ الّذي يُنزِّلُ عليكم رُوحَهُ تَقدَّس وتَعالى.

وإنّكم لا تحتاجونَ مِنّا إلى تَذكيرٍ بمَحبّةِ إخوانِكُمُ المؤمنينَ، فاللهُ قد علّمكم أن تُحِبّوا بَعضُكم بَعضًا. وإنّكُم لتُحِبّونَ جميع إخوانِكُم في مَقدونيا كُلِّها حُبّا حَقيقيّا، لكنّنا نُناشِدُكم يا أحبابَنا أن تتفوّقوا في مَحبّتِهم، وأن تحرصوا على حياةٍ هادئةٍ، وألاّ تتدخّلوا في شُؤونِ غيرِكم، وأن تَكسبوا رِزقَكم بِكدِّكم وتعبكم كما علّمناكم، فإنّكم بذلك تنالونَ احترامَ غيرِ المؤمنينَ، فلا تعتمدوا على أحدٍ لِسدِّ حاجاتِكم.

(1) انظر ما جاء من ذكر الملائكة التي سترافق سيدنا عيسى في تجلّيه عند قيام الساعة (انظر مَتّى 13: 41-42؛ 25: 31؛ ورسالة تسالونكي الثانية 1: 7).

4: 13ـ18 تجلّي السّيّد المسيح ملِكًا

والآنَ يا إخوتي في الله، نُريدُكم أن تتيقّنوا بما سيؤولُ إليهِ يومَ الدّينِ كلّ مَن مات مؤمنًا بسيِّدِنا (سلامُهُ علينا)، حتّى لا يُصيبكم حُزنٌ مثل أولئك الّذين لا يقين لهم بدارِ الخُلدِ. بما أنّنا نؤمنُ أنّ سيِّدَنا عيسى قد مات، وأنّ اللهَ نصَرَهُ على الموتِ فبُعث حيًّا، فنحن على يقينٍ أنّ اللهَ سيبعثُ كلَّ الّذين ماتوا مِن أتباع سيِّدِنا عيسى بَعث الخُلودِ، حتّى يُرافِقوه عند تجلّيه.[1] ونحن نخبرُكم بما قالهُ سيِّدُنا (سلامُهُ علينا)، أنّ الأحياءَ والأمواتَ على حدٍّ سواء سيَستقبلونَ سيِّدَنا المَسيح عِند تجلّيهِ فلن يسبق في ذلك المؤمنونَ الأحياءُ إخوانَهم المؤمنينَ الّذين ماتوا.[2] إنّ سيِّدَنا عيسى سينزِلُ مِن السَّماءِ

---

(1) من المُحتمَل أنّ المؤمنين في تَسالونْكي قد تساءلوا، هل من الممكن أن يكون رفاقُهم الذين ماتوا أقلّ حظًّا من المؤمنين الأحياء؟ فحسَبَ اعتقادهم لن يشهد المؤمنون الأمواتُ تجلّي سيدنا عيسى كملك ولن يشاركوا في جلاله حينئذ. ويبدو أنّهم لم يعرفوا بعدُ نوعيّة العلاقة التي تربط بين بعث الأموات وتجلّي سيدنا عيسى في نهاية الدنيا. فإذا حلّت القيامةُ بعد تجلّي سيدنا عيسى ملكًا، فإن الموتى سيُحرَمون من حضور هذا الحدث العظيم في حين سيتمتّع بمشاهدته الأحياءُ فقطَ. وهذا ما جعل بولس يؤكّد لقرّائه في رسالته هذه ويُطمئنُهم أنّ أصدقاءهم الرّاحلين لن يخسروا أيّ امتياز عند تجلّي سيدنا المسيح. ومن الواضح أيضًا أنّ بعض المؤمنين في تسالونكي قد أساؤوا فهمَ تعليم سابق حول تجلّي السيد المسيح، إذ تصوّروا أنّ جميع المؤمنين سيظلّون على قيد الحياة حتّىٰ موعدً تجلّيه. وعندما واجهوا حقيقة موت بعض إخوانهم المؤمنين، خطرَ هذا السؤالُ في أذهانهم: «هل سيُبعث أولئك الذين ماتوا حقًّا؟» وفي الآيات التالية يوضّح بولُس ما سيحدث.

(2) كلمة «تجلّيه» هي ترجمة للكلمة اليونانية «باروسيا» parousia، وتعني المجيء أو الوصول أو الحضور. وقد أعلن أتباعُ المسيح الأوائلُ أنّه (سلامه علينا) هو الملِك المسيح المنتظر سيّدًا على جميع البشر. أمّا الآن فيحكم (سلامُهُ علينا) الأرضَ من الغيب حيث يجلس على عرشه في السماء. وعندما يتجلّى من السماء سيُعلن بدايةَ ممارسته للملك الأبديّ على الأرض علنًا. وكانت الكلمة اليونانية «باروسيا» parousia تُستعمل لوصف مراسم الترحيب بقدوم ملِك أو مسؤول كبير إلى المدينة. وتشمل هذه المراسم إعلانًا مهيبًا عن قدوم الملك، ثمّ يُنفخ في الصور (البوق) لإعلان وصوله الوشيك كي يعلم سكانُ المدينة أنّ عليهم تركَ أعمالهم وكلّ ما في أيديهم، والتوجّهَ فورًا إلى بوّابة المدينة الرئيسية للاصطفاف على جانبي الطريق، واستقبال الملك والترحيب به والهتاف له عندما يقترب وحاشيته. وهذا الجانب من مراسم الترحيب الذي يشمل الاجتماعَ والهتاف أثناء مرور الملك الزائر تطلق عليه كلمة "أبانتيزيس" apantesis، وقد تُرجمت في الآية 17 بجملة: "استقبال الموكب الرّبّاني لملكنا الكبير". وفي تلك المراسم، كان الملك يدخل المدينة بينما كان سكّانُها يسيرون وراءه ويحيطون به في هالة كبيرة. وعندما يصبح الجميعُ داخلَ المدينة، تبدأ الاحتفالات التي يرافقها في الغالب تقديمُ الملك هدايا لسكّان المدينة. وقد وجد الرؤساء اليونانيون والرومان في استخدام هذه العبارات عن السيّد المسيح تعدّيًا عليهم لاعتقادهم أن القيصر هو الوحيد الذي يستحقّ مثل هذا الشرف.

ويأمرُهم بِصوتٍ عالٍ أن يخرُجوا مِن القُبورِ بإذنِ اللهِ خالدينَ، وسيُنادي كبيرُ الملائكةِ النّاسَ كلِّهم، وستسمعُ جميعُ الكائناتِ صوتَ صورِ اللهِ العظيم. عِندئذٍ سيَبعثُ اللهُ المؤمنين الأمواتَ أوّلاً،[1] ثُمّ يجتذبُنا اللهُ نحن المؤمنينَ الّذين ما زلنا على قيدِ الحياةِ، وبعدها سنَرتفع بِإذنِه فوق السَّحابِ. وفي اللّحظة ذاتِها سيَرفعُ اللهُ كُلَّ مَن عاد إلى الحياةِ مِن المؤمنينَ، فنَحظَى جميعًا بِالميزةِ نفسِها وهي شَرفُ استِقبالِ المَوكبِ الرَّبّانيّ لمَلِكِنا الكبيرِ سيِّدِنا عيسى في الجوِّ، لنَكونَ مَعهُ بعد ذلك خالدينَ إلى الأبدِ. فشُدّوا عزائمَكم بهذا الكلامِ فيما بينكُم.

الفصل الخامس

5: 1ـ11 الاستعداد لتجلّي السّيّد المسيح

يا إخوتَنا، أنتم لا تحتاجونَ أن نكتُبَ إليكم عن مَوعِدِ تَجلّي سيِّدِنا عيسى.[2] فإنّكُم على يقينٍ أنّ يومَ تجلّيه يأتي فَجأةً، تمامًا كما يأتي من يُباغِتُ الغافِلينَ ليلاً. فبينما يقولُ أهلُ الدُّنيا: »ها نحن في أمانٍ وسلام» يأتيهُمُ الهلاكُ بغْتةً، مثلما يُفاجئ المَخاض الحُبلى، وما هُم على الفِرارِ بِقادرينَ. أمّا أنتم يا أحبابي فلستُم في الظُّلُمات ولا مِن الغافِلينَ، حتّى يُباغِتكم تَجلّي سيِّدِنا عيسى مَلِكًا كما يُباغِتُ المَشدوهينَ الغافِلينَ. لا! هذا لن يَكونَ مَصيرُنا، لأنّنا أهلُ النّورِ ونهتدي بِالإيمانِ! فلسنا نقبعُ في سَوادِ اللّيلِ، ولا نحن تائِهونَ في الضّلالِ، فلا تغفلوا ولا تناموا كما يفعلُ المَذهولونَ! بل علينا أن نكونَ أكثر يَقظة وأن نضبِطَ أنفسَنا. فمَثَلُ الّذين لم يستعِدّوا لِتجلّي سيِّدِنا عيسى مِلِكًا كمَثَلِ السُّكارى في اللّيلِ يفقِدونَ الوعي بما حولهم. وبما أنّنا أهلُ النّورِ المُهتدونَ، فعلينا أنَ

---

(1) «كبير الملائكة» هو في الغالب الملاك ميخائيل (انظر كتاب النبي دانيال، 10: 13-21).

(2) رغم أن أتباع سيّدنا عيسى كانوا يدعونه الملك والسيّد، فقد كان عليهم الانتظار لفترة قبل تجلّيه (سلامه علينا) واستلامه منصب الملك على الأرض بشكل علني. وكان المؤمنون في تسالونكي على يقين أنه (سلامه علينا) سيتجلّى بعد فترة، وهو ما جعل بولُس يشجّعهم على انتظار تلك اللحظة بكل صبر ويقين أنّ السيد المسيح سيأتي لا محالة. وفي الثقافة السائدة آنذاك، كان جميع الناس يعلمون أنّ الأحداث المهمّة لا يمكن أن تتأخّر عن موعدها، فمثلا زيارة مسؤول مهم أو ضيف شرف أو حلول عريس في الحفل لا يتمّ إلا في الوقت المناسب. ووصول سيدنا عيسى لن يتأخّر أبدا لأنه عند تجلّيه، تكون تلك اللحظة هي الوقت المناسب لتجلّيه.

نَتبَهَ ونلبسَ الإيمانَ والمَحبّةَ دِرعًا، واليقينَ بنجاتِنا خُوذةً لنا. فلقد قضى اللهُ القديرُ أنْ لا نُقاسي غضبَهُ، بلِ اختارَنا حتّى نكونَ ناجينَ بِشفاعةِ سيِّدِنا عيسى المَسيح! فلقد ضَحّى سيِّدُنا عيسى بنفسِهِ مِن أجلِنا كي نَحيا جميعًا معه، سواءٌ كُنّا أحياء أو أمواتًا عِند قدومِهِ. فشجِّعوا بَعضُكُم بَعضًا، وشُدّوا عزائمَكم كما تفعلونَ الآن.

5: 12–28 الختام

أيُّها الإخوانُ، إنّا نطلبُ مِنكم أن تُكرِموا قادتَكمُ المَسؤولينَ عن جَماعاتِ المُؤمنين بِالسّيّدِ المَسيحِ، الّذين يجتهِدونَ في سَبيلِ الاعتِناءِ بكم وإرشادِكم.[1] فعامِلوهم بكلِّ احترامٍ ومَحبّةٍ مِن أجلِ ما يفعلونَهُ. وعيشوا معًا بِسلامٍ آمنين.

ونُناشِدُكم، أيُّها الإخوَةُ، أن تُرشِدوا الكسالى وتُشجِّعوا الخائِفينَ وتُساعِدوا الضُّعفاء وأن تصبِروا على جميعِ النّاسِ. واحذَروا أن يُجازي أحدٌ مِنكم الشَّرَّ بِشرٍّ، بلِ اسعَوْا دائِمًا إلى الخيرِ في تعامُلِكم مع بَعضِكم بَعضٍ ومع الآخرينَ. كونوا دائِمًا فَرِحينَ، وواظِبوا على الصَّلاةِ والدُّعاءِ، واحمدوا اللهَ على كُلِّ حالٍ، فهذا ما يُريدُهُ اللهُ مِنكم بما أنّكم قد آمنتم بسيِّدِنا عيسى المَسيح. واحذَروا أن تُعيقوا عملَ رُوحِ اللهِ، ولا تَحتقِروا أصحابَ كرامةِ النُّبوءَةِ، بلِ امتحِنوا تَفاصيلَ كلامِهم. وإن كانت نُبوءاتُهم قد صدرَت فِعلاً عن اللهِ، فاعملوا بها.[2] واجتنبوا كلَّ أنواعِ الشَّرِّ.

ها أنا أدعو اللهَ السّلامَ أن يجعلَكُم مَنذورينَ لهُ تمامًا، وأن يحفظَكم في الرُّوحِ والنَّفسِ والجِسمِ بِلا شَوائِبَ عِندما يتجلّى سيِّدُنا عيسى المَسيحُ مَلِكًا. إنَّ اللهَ الّذي اختارَكم وفيٌّ في تحقيقِ وُعودِهِ.

إخوَتي في اللهِ، ادعُوا اللهَ لنا! وبقُبلةٍ طاهرةٍ بلّغوا سلامي إلى جَميعِ الإخوة. وإنّي أُناشِدُكم بِاسمِ سَيِّدِنا عيسى أن تَقرؤُوا هذه الرِّسالةَ على كلِّ الإخوةِ المؤمنين. لِيَكُنْ فَضلُ سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ معكم جميعًا!

---

(1) كان القادة المؤمنون غالبا أكثر ثراء من غيرهم في تسالونكي، وهم الذين فتحوا بيوتهم لاجتماعات المؤمنين. وبما أنّ أغلب الناس أمّيين في ذلك الزمن، والأغنياء متعلّمين، فقد كان هؤلاء قادرين على تعليم غيرهم ما جاء في الكتب السماوية.

(2) كان الحَواري بولس يعلم أنّه يوجد عدد كبير من الذين يدّعون مشاهدة رؤىً من الله، أو أنّ الله كلّفهم برسالة خاصّة، لكنّ بولس كان يحثّ المؤمنين على اختبار مثل تلك الادّعاءات ليتأكّدوا من مدى مطابقتها للوحي.

مدخل إلى رسالة تسالونكي الثّانية

كَتَبَ الحَواري بولس هذه الرسالةَ تقريبا سنة 51 أو 52 للميلاد، أي بعد فترةٍ قصيرة من كتابته لرسالته الأولى المُوجَّهةِ إلى مُؤمِني تسالونكي (انظر مدخل رسالة تسالونكي الأولى).

يبدو أنّ الأمور في ذلك الوقت كانت مُلتبِسةً لدى المؤمنين في مدينة تسالونكي حول مسألة تجلّي سيّدنا عيسى (سلامه علينا)، مَلِكا متوَّجا من السّماء. وكان بعض المؤمنين يظنّون أنّ تجلّيه (سلامه علينا) بات وشيكا، لذلك فما من سببٍ يدعوهم لمواصلة عملهم لكسب رزقهم. وكان بعضهم قلِقًا لاعتقادهم أنّ السيّد المسيح قد تجلّى فِعلاً، وأنّهم أخطؤوا موعد ذلك الحدَث العظيم. فعلى الرّغم من أنّ مُؤمني مدينة تسالونكي كانوا نموذجا في الإيمان والمحبّة، إلاّ أنّ عددا كبيرا منهم كان عرضة للتّعاليم الخاطئة على ما يبدو.

لذلك ارتأى الحواري بولس أن يُراجِع معهم بعضَ الحقائق التي علّمهم إيّاها عندما كان معهم. ويذكّرهم في هذه الرّسالة أنّ تجلّي سيّدنا عيسى المسيح (سلامه علينا) سيَسبَقه ظهورُ إنسان شرّير وسيحاول ادّعاء امتلاك السّلطان الذي هو ملْك لله وحده، وسيطلب من الناس أن يعبدوه. وسيَقترِن ظهورُ هذا الشّرّير بعلامات تدلّ على هويّته حتّى يتمكّن المؤمنون من التعرّف عليه فلا ينقادون وراءه.

لكن، وبما أنّ هذا الدجّالَ الشرير لم يظهر بعدُ، فعلى المؤمنين أن يتأكّدوا أنّ سيّدنا المسيح لم يتجلّ بعد، وأنّ أملهم في تجلّيه لم يذهب سُدًى. وبما أنّ موعد تجلّيه (سلامه علينا) ليس وشيكا، فعلى المؤمنين أن يَستَأنفوا أعمالهم التي كانوا يزاولونها لكسب عيشهم حتّى لا يكونوا عالة على غيرهم.

بسم الله تبارك وتعالى

رسالة الحَواريّ بولُس الثّانية
إلى أحباب اللّه في تَسالونْكي

الفصل الأوّل

1: 1-2 تحيّة

مِن بولُس وسِلْواني وتيموتاوي إلى جماعةِ أحبابِ اللهِ في مَدينةِ تسالونْكي، المُعتصِمينَ بِاللهِ أبينا الرّحيم وبِسيِّدِنا عيسى المَسيحِ. السّلامُ عليكم والرَّحمةُ مِن اللهِ أبينا الأحدِ الصَّمَدِ، ومِن سيِّدِنا عيسى المَسيح.

1: 3-12 شكر ودعاء

إخوتي في الإيمانِ، إنّ مِن واجبِنا أن نحمدَ الله دائمًا مِن أجلِكم. كيف لا؟ وإيمانُكم يَنمو ويَنمو، ومَحبّةُ كُلِّ واحدٍ مِنكم للآخرينَ تزيدُ، فأنتم مَصدرُ فخرِنا مِن بين جماعاتِ المؤمنين كُلِّها، لِما أظهرتُموه مِن صَبرٍ وإصرارٍ على الإيمانِ باللهِ رغم ما تُعانونَهُ مِن ظُلمٍ واضطِهادٍ.

وصَبرُكم العظيم يؤكِّدُ لنا أنّ اللهَ سيُنصفُ جميعَ النّاسِ بعَدلِهِ، وسيُجازيكم خاصّةً بنَصيبٍ في مَملكتهِ الرَّبّانيّةِ الّتي مِن أجلِها تتحمّلونَ المُعاناةَ.[1] وبما أنّ اللهَ عادِلٌ سيُجازي بِضيقٍ كلَّ الّذين يُضايِقونكم.[2] وسيُفرِّجُ اللهُ عنكم وعنّا أيضًا، وسيَتِمُّ ذلك

(1) ناقش الكتّاب اليهودُ في تلك الفترة الزّمنية قيامَ السّاعة وقيامةَ الأتقياء انطلاقًا ممّا جاء في صُحُف الأنبياء الأوّلين، وهذا الاهتمام كان مقترنًا في فكرهم بثواب الله لعباده الذين تحمّلوا الآلام والمعاناة، وإنّ معاناتهم لَتُشبه المخاضَ الذي يسبقُ ظهورَ المملكة الربّانية مباشرةً. كما تحدّث بعضُ الفلاسفة عن الآلام الّتي تكشف مكانة صاحبها ومنزلتَه عند ربّه.

(2) تعرّض المؤمنون في تَسالونكي إلى الاضطهاد على ما يبدو، من قِبَل جيرانهم من غير اليهود، بسبب إصغائهم لتعاليم بولس وتَحوّلِهم إلى أتباع للسيّد المسيح.

عند تجلّي سيّدِنا عيسى مِن السَّماءِ مع ملائكتِهِ الأقوياءِ تحوطُهُم نارٌ مُتوهِّجةٌ،[1] ليُعاقِبَ كُلَّ الّذينَ يَرفُضونَ مَعرِفةَ اللهِ، ويَعصُونَ البِشارةَ بِمَولانا عيسى. وعقابُهُم الخُسرانُ الأبديُّ، والطَّردُ بَعيدًا عن حَضرةِ سيِّدِنا (سلامُهُ علينا) وعن هَيبةِ قوّتِه. وسيَكونُ هذا يومَ يَتجلّى (سلامُهُ علينا)، فيرفعُ أتباعُهُ الصّالِحونَ قَدْرَهُ، ويُهلِّلونَ إعجابًا بِهِ. وبِما أنّكم قبِلتم دَعوتَنا وآمنتُم بِرسالةِ اللهِ فستكونونَ مِن بينِ أولئك الصّالِحينَ.

لِهذا فنحنُ نَدعو مِن أجلِكُم دائِمًا كي تكونوا أهلاً لِعظمةِ هذِهِ الدَّعوةِ الرَّبّانيّةِ، ويُعينَكُم بقوّتِهِ تَعالى لِكي تُكمِلوا ما نَويْتُموهُ مِن صالحِ الأعمالِ النّابعةِ مِن إيمانِكُم. ولأنّ سِيرَتَكُم حَسَنةٌ، يُرفعُ شأنُ سيِّدِنا عيسى ويُرفعُ شأنُكُم إلى جانبِهِ أيضًا، وهذا كُلُّهُ فَضلٌ مِن اللهِ ومِن سيِّدِنا عيسى المَسيحِ.

الفصل الثّاني

2: 1-12 ظهور الدّجّال

والآنَ يا إخوتَنا في اللهِ، نُريدُ أن نوضِّحَ لكم بَعضَ التّفاصيلِ الّتي تتعلّقُ بتَجلّي سيِّدِنا عيسى المَسيحِ مَلِكًا وكيفَ سنتهيّأُ في حَشْدٍ لنَحتفِلَ بتجلّيهِ.[2] فنَرجُوكم ألاّ تضطَربوا أبدًا ولا تنزعِجوا مِن كلامِ أولئك الّذين يَزعُمونَ أنّ زمنَ تجلّي سيِّدِنا (سلامُهُ علينا) قد ولّى وأنّكُم لم تكونوا على علمٍ بِهِ، وهُم يَدَّعونَ في ذلك نُبوّةً مُزيّفةً أو كلِمةً سمِعوها أو رسالةً ينسُبونَها إلينا نحنُ الحَواريّينَ.[3] فاحْذروا خِداعَهم في كُلِّ الأحوالِ. إنّ يومَ

(1) ارتبطتْ النّارُ في التوراة وفي غيرها من كتب الأنبياء غالبا بتجلّيات الله، وبالمكان الذي فيه سيُعاقَب الأشرارُ. ويؤكِّد بولس أنّ عباد الله الصّالحين سينالون النّجاة من آلامهم، وهو ما أكّدته الكتابات اليهوديّة في ذلك الزّمن. وهو ما سيتمّ يومَ الحساب عندما يُنصِف الله عباده ويُجازي الأشرار منهم.

(2) يشير بولس هنا إلى ما كتبه في رسالته الأولى إلى المؤمنين في تَسالونكي، 4: 13 حتّى 5: 1.

(3) دفعتْ التّعاليمُ التي نَشَرها بعضُ الدجّالين إلى حيرة بعض مؤمني تَسالونكي بشأن تفاصيل تجلّي السيّد المسيح ملِكًا في المستقبل. ولم يؤمن الوثنيون في تسالونكي ببعث الأموات في المستقبل، وهو ما جعل بعضَ المؤمنين هناك يُسيئون فهْمَ تعليم بولس. وفي كلّ الأحوال، فقد أخطأ بعضُ المؤمنين في اعتقادهم أنّ سيّدنا عيسى قد تجلّى في الأرض فعلاً، وأنّهم كانوا في غفلة عن هذا الحدث. ويُذكّرهم بولُس هنا، أنّ حدوث بعض الأمور المميّزة سيَسبَق تجلّي سيّدنا عيسى، وهذا سيجعل قدومَه واضحا للجميع.

تجلّيهِ لن يكونَ إلاّ بَعدَ قيامِ فِتنةٍ عظيمةٍ، ويَظهَرُ الدَّجّالُ ومَآلُهُ الهلاكُ،[1] وسيُعادي كُلَّ صنمٍ وكُلَّ مَعبودٍ وسيدّعي أنّهُ مُتعالٍ عليها، بل سيَجلِسُ في أقدَسِ مَكانٍ في حَرَمِ بيتِ اللهِ وسيُنادي كُفرًا أنّهُ اللهُ نَفسُهُ.[2] تعالى عن ذلكَ اللهُ العَظيمُ!

فهل تَذكُرونَ أنّي أخبرْتُكم بهذا حين كنتُ بينكُم؟ وإنّكُم لتعلمونَ ما يَحولُ دون ظُهورِ الدَّجّالِ في الوقتِ الحاضرِ، فلن يَظهَرَ إلاّ في الزّمنِ المُحدَّدِ. رغم انتشارِ الفَسادِ بين النّاسِ خِفيةً، فإنّهُ سيَظلُّ مُتخفّيًا إلى حين إزاحةِ مَن يُقيِّدُهُ مِن أمامِهِ،[3] فيَظهَرُ الدَّجّالُ المُفسِدُ حينئذٍ، ولكنّ سيّدَنا (سلامُهُ علينا) سيَقضي عليهِ بنَفخةٍ مِن فَمِهِ، وسيُبيدُهُ بِهَيبةِ تجلّيهِ.

وعندما يَأتي الدّجّالُ سيَقومُ بأعمالِ الشَّيطانِ ومِنها أنواعُ الخَوارقِ الخادِعةِ كُلِّها، والمُعجزاتِ المُزيّفةِ وآياتِ الكذبِ، وسيأتي بِقَوافِلِ الشُّرورِ، فيَخدعُ النّاسَ الّذين يَسيرونَ على دَربِ الهَلاكِ، لأنّهُم يَرفُضونَ حُبَّ الحقِّ الّذي يَمنحُ النّجاةَ. ولهذا السّببِ يُغرِقُهم اللهُ في ضَلالٍ مُبينٍ، حتّى يُصدِّقوا هذِهِ الأكاذيبَ كُلِّها.[4] وإنّهُم سيُعاقَبونَ لأنّهُم لم يُصدِّقوا الحقَّ بل كانوا يستمتِعونَ بالشّرِّ.

2: 13-17 الثبات

أمّا نحنُ يا إخوانَنا، فَعَلينا أن نَحمدَ اللهَ دائمًا مِن أجلِكُم، يا من يُحِبُّهُم مَولانا

---

(1) وَرَدَ ذِكر هذا الدجّال الشرّير المتمرّد في سفر النبي دانيال، 11: 36-39، وفي رسالة يوحَنّا الأولى، 2: 18.

(2) حدثَ أمرٌ مُشابهٌ لما يتحدّث عنه بولس هنا قبل حوالي قرنين، أي في سنة 168 قبل الميلاد، وذلك عندما بدأ المَلك أنطيوخوس إبيفانوس بصُنع تمثال لنفسه ووَضعَه للعبادة في بيت الله في القدس. لكنّ بعض المفسّرين يعتقدون أنّ بولُس يشير هنا إلى بيت الله بشكل مجازي، وفي تلك الحالة فإنّ بولس يقول بوضوح، إنّ الدجّال سيحاول انتحال سلطة الله وسيدعو النّاس إلى عبادته، وهي لا تجوز إلاّ لله وحده.

(3) تَعدّدتْ الآراءُ حول هويّة مَن يحول دون ظهور الدجّال، إذ ذهب بعضُ الباحثين في تفسيرهم أنّ السّلطة الرّومانية التي تحمي النظامَ الامبراطوري هي التي تَمنع إبادةَ أتباع السيّد المسيح. وذهب بعض الباحثين إلى القول أنّ المشار إليه هنا هو روح الله أو ربّما يكون ملاكًا مثل ميخائيل أو الملاك المسؤول عن حراسة سجن الشياطين أسفل الأرض. (انظر رسالة يهوذا 1: 6).

(4) يقول النّبي أشعيا في كتاباته، إنّ الله سيُعاقب النّاسَ بالعمى، وهم الذين اختاروه لأنفسهم من قبلُ (انظر أشعيا، 29: 9-10). ونلاحظ أنّ بولس أعاد الفكرةَ نفسَها بعدَ عدّة سنوات في رسالته إلى المؤمنين في روما (1: 18-32).

(سلامُهُ علينا)، فقدِ اختاركم لِتكونوا مِن أوّلِ النّاجينَ، فأصبحتُم بفضلِ رُوحِهِ تَقدَّس وتَعالى مِن عِبادِ اللهِ المَنذورينَ لأنّكم آمنتُم بِرِسالةِ الحقِّ. وقد دَعاكُم اللهُ إلى النَّجاةِ عندما بلّغناكم البُشرى، والآن بِاستِطاعتِكُم أن تحصُلوا على نَصيبٍ مِن مَجدِ سيِّدِنا عيسى المَسيحِ. فاثبُتوا أيُّها الإخوةُ في الإيمانِ، وتمسّكوا بِكُلِّ التّعاليمِ الّتي علّمناكُم إيّاها، سواءٌ ما سمِعْتُموهُ أو ما قرأتموهُ في رسائِلِنا.

أسألُ سيِّدَنا عيسى المَسيحَ، واللهَ أبانا الرَّحيمَ الّذي أحبَّنا وأنعمَ علينا براحةٍ لا تَنقطِعُ، وبيَقينٍ عظيمٍ، أن يُقوّي أفئِدتَكُم ويَشُدّ أزْرَكم في كُلِّ عملٍ صالحٍ وقولٍ حَسَنٍ.

الفصل الثّالث

3: 1ـ5 الدّعاء

والآنَ يا إخوتي في الإيمانِ، نسألُكُم الدُّعاءَ مِن أجلِنا، حتّى تنتشرَ رسالةُ سيِّدِنا بِسُرعةٍ بين النّاسِ فتَلقَى الاحتِرامَ والتَّبجيلَ، كما بجّلتُموها حين بَلَغَتْكم. وتَضرّعوا إلى اللهِ حتّى يُنعِمَ علينا النَّجاةَ مِن الضّالّين الأشرارِ. فليس كُلُّ النّاسِ بمؤمنينَ. ولكنّ سيِّدَنا عيسى بوُعودِهِ أمينٌ، سيشدُّ أزرَكم وسيَحميكُم مِن الشَّيطانِ اللَّعينِ. ولقد مَنَحَني سيِّدُنا (سلامُهُ علينا) ثِقةً كبيرةً بأنّكم تَعمَلونَ الآن بِوصايانا وستواصلونَ العملَ بها، فلْيَهْدِ سيِّدُنا المَسيحُ قُلوبَكُم إلى مَزيدٍ مِن مَحبّةِ اللهِ وإلى الصُّمودِ النّابعِ مِنه (سلامُهُ علينا).

3: 6ـ15 الوحدة

أيُّها الإخوةُ، إليكُم هذا الأمرَ مِنّا بِاسمِ سيِّدِنا عيسى المَسيحِ: اِجتنِبوا كلَّ كسولٍ مِن المؤمنين لا يَعملُ بِالتّعاليمِ الّتي وصلتْكُم مِنّا. فأنتُم تَعرِفونَ أنّنا قُدوةٌ لكم في الحياةِ، فاقتَدوا بِنا. فكَما رأيتُم حينَ كُنّا بينكم، لم نكُنْ مِن الكسالى. فما أردنا أن نقبلَ الطّعامَ مِنكم دون مُقابِلٍ، بل كنّا نَجتهدُ في عملِنا ليلاً نهارًا حتّى لا نكون عِبئًا ثقيلاً على أحدٍ. مع أنّنا نحنُ الحَواريّونَ نملِكُ حقَّ دَعمِكُم لنا، ولكِن أردنا أن نكونَ لكم أُسوةً حَسَنةً، حتّى تفعلوا مِثْلَنا. ولمّا كُنّا بينكم أقَمنا فيكم هذه الوَصيّةَ: مَنْ لا يَعملْ لا يأكلْ.

ولقد جاءتِ الأنباءُ أنّ بَعضَكُم كسالى لا يَعملونَ، ويتدخّلونَ في شؤونِ غيرِهم.[1] ونحنُ نأمُرُ هؤلاءِ الكسالى ونوصيهِم بِسُلطانِ سيِّدِنا عيسى المَسيحِ أن يَعملوا بِهُدوءٍ وأن يَكسِبوا رِزْقَهُم بِكدِّ يمينِهِم.

أمّا البقيّةُ مِنكم أيُّها الإخوةُ، فلا تَمَلّوا مِن فِعلِ الخير. وإنْ كان أحدُكُم لا يتّبِعُ ما نقولُهُ في هذِهِ الرِّسالةِ، فتجنّبوهُ وقاطِعوهُ حتّى يَخجلَ ويتوبَ عن تصرُّفاتِهِ. ولا تعتبِروهُ عدوًّا لكم، بل أرشِدوهُ كأخٍ لكم.[2]

3: 16-18 تحيّات ختاميّة

أسألُ اللهَ السّلامَ أن يَمنحَكُم سَلامَهُ مَهما كانت الظُّروفُ دائمًا! ولْيكُن مَولانا مَعكم جميعًا.

وها أنا أكتُبُ إليكم بِخطِّ يدي هذِهِ التَّحيةَ: السّلامُ عليكم مِنّي أنا بولُس. وهذا بُرهانٌ منّي على أنّ هذه الرِّسالةَ هي رِسالتي، لا رَيب فيها.[3] ليكُنْ فَضلُ سيّدِنا عيسى المَسيحِ معكم جميعًا.

---

(1) ربّما اعتقد بعضُ المؤمنين في مدينة تسالونكي أنّهم لا يحتاجون إلى العمل، لأنّ سيّدنا عيسى سيتجلّى في الأرض ملكًا قريبا. وربّما اتّبع بعضُهم أسلوب حياة الفلاسفة المتجوّلين، مثل بولُس ورفاقه، رغم اجتهادهم في العمل لتأمين حاجاتهم الخاصّة خلافا للفلاسفة الكلبيّين، وربّما اتّبع بعضُ المؤمنين في تسالونكي طريقةَ عيش الكلبيّين إلى حدّ كبيرٍ، أولئك الذين اختاروا التسوّل وشجب الآخرين والتدخّل في شؤونهم بدلاً من العمل.

(2) لا يجب أن يُفرَض الانضباط ضمن جماعة المؤمنين بقسوة وكأنّه عقوبة، بل يجب اتّباع أسلوب ليّن لتصحيح السلوك واستعادة العلاقات السليمة. وتوجد بعض الفقرات الأخرى التي تعالجُ موضوعَ الانضباط ضمن جماعة المؤمنين. انظر: متّى، 18: 15-20؛ ورسالة كورنتوس الأولى، 5: 1-13، وكورنتوس الثانية، الفصول 5-11.

(3) تشير هذه الكلماتُ إلى أنّ بولُس كان يُملي هذه الرسالةَ على ناسخ، وبعد ذلك يضيف بنفسه بعض الكلمات كي يتأكّد المؤمنون في تسالونكي من صحّة رسالته وحقيقتها.

مدخل إلى رسالة تيموتاوي الأولى

تعتبر الرّسائل الثّلاث: تيموتاوي الأولى وتيموتاوي الثانية وتيتوس، متميزة شكلا ومحتوى من بين رسائل الحواري بولس كلّها. ويبدو أن بولس قد كتبها في مرحلة متأخرة من حياته. وتناول فيها العديد من المواضيع، ومنها موضوع الدّعاة المضلّلين الذين شدّدوا على العرفان. وتهتمّ هذه الرّسائل الثلاث بالعقيدة الصحيحة وبطريقة تنظيم جماعة المؤمنين. إنّ هذه الرّسائل ليست موجّهة لعامّة المؤمنين، وإنّما هي موجهة إلى القادة الذين يرشدون هذه الجماعات ويوجّهونها. وسُمّيت هذه الرّسائل في العصر الحديث بـ "الرّسائل الرّعوية"، لأنّها تخاطب اهتمامات المرشدين الرّوحانيّين المسؤولين عن إرشاد جماعة المؤمنين ورعايتهم.

ومن المرجح أنّ هذه الرّسالة قد كُتبت في مقدونيا الواقعة شمال اليونان، وهي موجّهة لتيموتاوي، مساعد الحواري بولس ورفيقه في رحلتيه الثانية والثالثة للدعوة (انظر سيرة الحواريّين 16: 3، 19: 22). وكان بولس عادة يرسل تيموتاوي في مهمّات خاصّة، ويظهر في هذه الرّسالة أنّ بولس قد أرسله إلى مدينة أفاسوس ليشرف على جميع المؤمنين في المنطقة. وتيموتاوي هو ابن لأب وثنيّ وأمّ يهوديّة مؤمنة بالسيّد المسيح، واهتدى إلى الإيمان بفضل بولس.

تميّزت هذه الرّسائل لبولس (تيموتاوي الأولى، تيموتاوي الثانية وتيتوس) بأسلوب خاصّ وتعابير متميّزة نجدها في رسائل بولس السّابقة، لكنّ ترتيب هذه التعابير يختلف عن بقيّة الرّسائل. ويعتقد علماء الكتاب المقدّس والمفسّرون المحافظون، أنّ بولس هو الذي كتب هذه الرّسائل، في حين يرجّح آخرون أنه استعان بناسخ، واستدلّ بعضهم الآخر على أن لوقا هو ذلك الناسخ. ويقول فريق ثالث أن هذه الرّسائل هي مقتطفات من كتابات بولس التي تمّ جمعها من قبل محرّر.

وإذا افترضنا أنّ بولس هو الذي كتب هذه الرّسائل، فإنّ تاريخها يعود إلى فترة سجنه الثاني في روما، أي بعد سنة 62 للميلاد. واستنادا إلى الموروث، فقد تمّ تعذيبه بأمر من الإمبراطور نيرون، فلقي مصرعه شهيدا في تاريخ غير معلوم بين الفترة الممتدّة من سنة 63 إلى سنة 67 للميلاد.

بسم الله تبارك وتعالى

رسالة الحَواريّ بولُس الأُولى إلى تيموتاوي

الفصل الأوّل

1: 1ـ2 تحيّة

مِن بولُس حَواريّ عيسى المَسيحِ بِأمرِ اللهِ مُنجّينا وعيسى المَسيحِ أملِنا اليقينِ، أُرسِلُ هذهِ الرِّسالةَ إلى تيموتاوي، ابني الحَقيقيّ في الإيمانِ. السّلامُ عليك والفضلُ والرَّحمةُ مِن اللهِ أبينا الأحدِ الصَّمَدِ ومِن سيّدِنا عِيسَى المَسيحِ (سلامُهُ علينا).

1: 3ـ11 التّحذير من الدّعاة المضلّلين

تيموتاوي الحَبيبُ، إنّي أُناشِدُك، كما ناشدتُك سابقًا حين تركتُك وسافرتُ إلى مَقْدونيا، أن تَبقى في مَدينةِ أفاسوس لِكي تأمُرَ بَعضَ الدُّعاة ألاّ يُعلِّموا الإخوةَ التّعاليمَ الباطِلة. إنّهُم يُعلِّمونَ المُؤمِنينَ خُرافاتٍ يَهوديةً عنِ الأنبياءِ، ويَروونَ عنهم أنسابًا لا نِهايةَ لها.[1] فيَنتشِرُ بين المُؤمِنينَ نِقاشٌ لا جَدوى مِنهُ، فيُحرَمونَ مِن الإيمانِ الحقِّ ويبتعِدونَ عن قَصدِ اللهِ. وإنّ الهَدَفَ مِن أمري هذا هو المَحبّة الصّادِرة عن قلبٍ طاهِرٍ، وعن نيّةٍ صافيةٍ، وعن إيمانٍ مُخلِصٍ. ولكِنّ بَعضَ النّاسِ ضلّوا عن هذِهِ الفَضائِلِ وانحرفوا إلى المُجادلاتِ الباطِلةِ. إنّهُم يَرغبونَ في أن يُصبحوا خُبراءَ في أُمورِ التّوراة، مع أنّهُم لا يُدرِكونَ الكلامَ الّذي يتفوّهونَ بِهِ ويُردّدونَهُ بِكُلِّ ثِقةٍ.

إنّنا نعلمُ، نحنُ المُؤمِنونَ، أنّ التّوراةَ نافِعةٌ حين نسلُكُ فيها النَّهجَ السَّليمَ. ونحنُ

(1) من المرجح أن بولس يتحدث عن القصص التي ينشرها الناس والتي كانوا يتصرفون في مضمونها بناءا على قصص حقيقية وجدت في كتب الأنبياء القدامى (انظر رسالة تيتوس 1: 14). وربما قصد بولس بكلمة «الأنساب»، الطريقة التي كان يتبعها بعض الناس بإدّعاء نسب شريف مزيّف مع أنهم لا ينتسبون إلى أصل شريف. وقد وظّف أفلاطون وغيره من الفلاسفة من بعده عبارة «خرافات وأنساب» بطريقة سلبيّة.

نعرِفُ أنّ اللهَ لم يوجّه شَرائِعَ التّوراة لِلّذين نالوا رِضاهُ، بل للآثمينَ العُصاةِ، والّذين لا يَخشَوْنَ اللهَ، ولِلخُطاةِ، ولِلكُفّارِ بلا دين، ولقاتِلي آبائِهم وأُمهاتِهِم، ولسافكي الدِّماءِ، وللّذين يأتونَ الفواحِشَ، ولمُمارسي الشُّذوذَ الجِنسيَّ، ولِتُجّارِ الرّقيقِ، ولِشُهودِ الزّورِ ولِلكذّابين. إنّ اللهَ أنزل هذِهِ الشّريعةَ لِكُلِّ مَن خالف الإرشادَ الصَّحيحَ الّذي يوجدُ في البُشرى المَجيدةِ بِالسّيِّدِ المَسيحِ، الّتي ائتمنني عليها اللهُ تَبارك وتَعالى.

1: 12ـ17 الشّكر على رحمة الله

الشُّكرُ لِسيِّدِنا عيسى المَسيح، الّذي وثِق بي وأيّدني واختارني لِخدمتِهِ. مع أنّني تجّرأتُ عليهِ (سلامُهُ علينا) وأَهنتُهُ واضطهدتُ أتباعَهُ وأسأتُ إليهم سابِقًا. لكِنّه رَحِمَني لأنّني لم أكُن أدرِكُ ما فعلتُهُ، ولم أُؤمِن بِهِ حينها، فما أعظَمَ فيضَ فضلِ سيِّدِنا (سلامُهُ علينا)، الّذي جَعَلَني أُؤمِنُ بِهِ وأستَمِدُّ مَحبّتي مِنهُ لِلنّاسِ جميعًا!

إنّ هذا القولَ الّذي ستَسمعونَهُ صادِقٌ أمينٌ، وعلى الجميعِ أن يُصدِّقوهُ: «لقد جاء سيِّدُنا عيسى المَسيحُ إلى هذا العالمِ لينقِذَ الضّالّين»، وقد كُنتُ أكبرَهم. ومع أنّي كُنتُ أشدّ الضّالّين، فإنّ مَولاي عيسى المَسيح قد رَحِمَني ليَرى النّاسُ صَبرَهُ الواسعَ فيّ، وإنّي في ذلِك لأُسوةٌ لهُم، إذ يُمكِنُهُم أن يُؤمنوا بِهِ وينالوا نَصيبهُم في دارِ الخُلدِ أيضًا. فليكُنِ الجَلالُ والإكرامُ إلى الأبدِ، لِملكِ العالَمين، الحيِّ الّذي لا يَموتُ، ولا تُدرِكُهُ الأبصارُ، اللهُ الواحِدُ الأحدُ. آمين.

1: 18ـ20 التّذكير بالمَسؤوليات

أي بُنيّ تيموتاوي، إنّي أوصيكَ فاستمِعْ لِما أقولُهُ لك وفقًا للنُّبوءاتِ الّتي وجّهوها إليك سابِقًا، فاتبعْها حتّى تُجاهِد في سَبيلِ الخَيرِ. كُنْ في الإيمانِ راسِخًا، واحفظْ ضَميرَكَ في صَفاءٍ. إنّ الّذين رَفَضوا الضَّميرَ الصّافي تحطّمتْ فيهِم سَفينةُ الإيمانِ. ومِن بينهم هيمْناوي واسكَندرُ الّذين طردتُهُما مِن جَماعةِ المُؤمنين، فأصبحا عُرضةً لِلشَّيطانِ أملاً في أن يتأدّبا فلا يكفُرا بِاللهِ.[1]

---

(1) وقع هذان الشخصان تحت سطوة إبليس (انظر رسالة أفاسوس 6: 12؛ رسالة يوحنّا الأولى 5: 19)، وذلك عندما طردهما بولس من جماعة المؤمنين (انظر رسالة كورنتوس الأولى 5: 5). وطرْد هذين الشخصين من جماعة المؤمنين سيساعدهما على فهم قيمة التوبة وضرورة العودة

الفصل الثّاني

2: 1ـ7 صلاة الجماعة

وأوّلُ وصيةٍ أوصيكُم بِها، أن يَكونَ دُعاؤكم وصلاتُكم وتضرُّعُكم وحَمدُكم مِن أجلِ خَيرِ النّاسِ أجمعينَ، وتوجَّهوا بِالدُّعاءِ خاصّةً للمُلوكِ وأصحابِ النُّفوذِ،[1] لِكي نَحيا في هُدوءٍ وطمأنينةٍ، بِكُلِّ تَقوى ووَقار. إنّ الدُّعاءَ لهم حسنٌ ويُرضي اللهَ مُنجّينا. إنّه يُريدُ لِجميعِ النّاسِ أن يَهتدوا إلى الحقِّ وأن يَصيروا مِن النّاجينَ. فلا إلهَ إلاّ اللهُ، ولا شَفيعَ بينَهُ وبينَ النّاسِ إلاّ الإنسانُ عيسى المَسيحُ الّذي ضَحّى بِنفسِهِ فِديةً لِلنّاسِ جَميعًا. وبهذا الفِداءِ، كشف اللهُ في الوقتِ المُحدّدِ عن رَغبتِهِ في نَجاةِ البَشريّةِ جَمعاءِ، لِذلِك جَعَلَني اللهُ داعيةً وحَواريًّا فأرسلني إلى الأُممِ مِن غيرِ اليهودِ لأُرشِدهُم إلى الإيمانِ الحقِّ. وما قولي هذا بِكَذِبٍ، بَل هو الحقُّ المُبينُ.

2: 8ـ15

فإنّ طلبي مِن الرِّجالِ في كُلِّ جماعةٍ هو أن يَرفعوا أياديهم طاهِرةً بالدُّعاء، دون غضبٍ أو عِراكٍ. وأطلُبُ مِن النِّساءِ أن يلبسْنَ لِباسًا مُحتشِمًا وأن يتزيّنَّ زينةً تدُلُّ على الوَقارِ والحياءِ، ويتجنّبْنَ المُبالغةَ في التّبرُّجِ في تَصفيفِ الشَّعرِ، والتّحلّي بِالذّهبِ واللآلِئِ، ولا يلبسْنَ المَلابِسَ الفاخِرةَ، ولتكُن زينتَهُنّ أعمالاً حَسَنةً تَليقُ بِاللاتي يقلْنَ إنّهنّ مِن الأتقياءِ.[2]

= إلى الجماعة من ناحية، والمحافظة على الصلاح الأخلاقي لبقية أفرادها من ناحية أخرى. ويبدو أن هيمْناوي كان يعلّم المؤمنين أن البشر لن يبعثوا يوم القيامة بأجسادهم، وربما ذكر هذه الفكرة حتّى يساير بعض معتقدات الإغريق التي ترى أن جسد الإنسان يقل أهمية عن روحه.

(1) كان الرّومان يسمحون للشعوب التي يهزمونها بمواصلة عبادة آلهتها الأصلية. وفي المقابل، فرضوا على هذه الشعوب عبادة الإلهة «روما» وروح الإمبراطور كبرهان على ولائها لهم. وكان يُسمح لليهود بإعفاء خاص من هذه العبادات، بما أنهم يعبدون إلها واحدا. وكان عليهم أن يسألوا الصحّة والعافية للإمبراطور عوضا عن تقديم الصلوات والقرابين لروحه.

(2) كانت زوجات الرّومان في الغالب يُمدحن لأنّهن محتشمات، عفيفات، مطيعات، لكن أسلوب جديد في التعامل ظهر زمن كتابة هذه الرّسالة، ويتمثل في أن ترتدي الرّومانيات ثيابا مثيرة على

وعلى النِّساءِ أن يتعلّمْنَ بِلا جلبةٍ ولا عِصيانٍ.[1] ولا أسمحُ لِلمَرأةِ أن تُعلِّمَ الرّجُلَ تعليمًا فيهِ تتسلّطُ عليهِ. بَل عليها أن تستمعَ إلى التَّعليم في هُدوءٍ واحتِرام.[2] لأنّ آدمَ خُلِق أوّلاً ومِن بَعدِهِ خُلِقَت حوّاءُ،[3] ولم يكُن آدم هو الّذي انخدع، بلِ المَرأةُ هي الّتي انخدعَت فوقعَت في العِصيانِ. لكنّ المرأةَ رغم ما ابتليَت به، فبِإمكانِها أن تَنجو مِن الموتِ عِند الوِلادةِ، إذا تَمسّكَت بِالإيمانِ والمَحبّةِ والتّقوى والحياءِ.[4]

= طريقة لباس العاهرات، وأن يصففن شعورهن حسب موضة ذلك الزمن، وأن يسرفن في وضع الحليّ. واعتبرت النساء اللاتي تنتهجن نهج «المرأة الرومانية الجديدة»، أنّ الحمل غير مرغوب ويجب التخلص منه، في حين لا يعترضن على الزنى. وأحست العديد من الزوجات المحترمات بضغط اجتماعي كبير لاتّباع هذا الأسلوب الجديد. وقد نتج عن هذه الظاهرة مشاكل كبيرة في صفوف جماعات المؤمنين، الذين يحرصون على المحافظة على سمعتهم، وخاصّة النساء منهم. لذلك أخبر بولس المؤمنات أن يجتنبن هذا النمط من العيش، وأن يعشن باحتشام واحترام.

(1) لقد كانت النساء قديما غير متعلمات في الغالب، وعندما قرر بولس السماح لهن بتعلّم أمور دينيّة اعتُبر ذلك حدثا مهمّا، رغم علمه أنهنّ في بداية تعليمهن، وينتظرهن الكثير للتعلّم.

(2) الكلمة اليونانيّة المترجمة هنا بكلمة «تعلّم» يمكن أن تعني إعطاء معلومات أو إصدار أوامر. لكن بولس يوضح هذه العبارة بقوله أنه لا يصحّ للمرأة أن تسيطر على الرّجل. ومن المحتمل أنه يشير هنا إلى العلاقات بين الأزواج والزوجات، لا إلى جميع الرّجال والنّساء، واستنادا إلى هذا، فإنه يرى أن الزوجة لا يحقّ لها السّيطرة على زوجها، بل عليها احترامه.

(3) يبدو أن بولس لم يتعمّد مقارنة جميع النسوة في جميع الأزمان بحواء، لأنه قارن سابقا كل المؤمنين في كورنتوس في رسالته إليهم، نساء ورجالا، بحواء (انظر رسالة كورنتوس الثانية 11: 3). إضافة إلى ذلك، فإن الدّعاة المضلّلين المشار إليهم هنا رجالا (انظر رسالة تيموتاوي الأولى 1: 20 ورسالة تيموتاوي الثانية 2: 17) وربّما يقارن بولس هنا النّساء المؤمنات غير المتعلّمات في أفاسوس بحوّاء.

(4) نتج عن خطيئة حوّاء عناء الولادة، حسب ما جاء في التوراة (سفر التكوين 3: 16). وكان فقهاء اليهود يرون في موت المرأة عند ولادتها نتيجة لعصيان حوّاء، ولكنهم كانوا يعتقدون أن التقوى يمكن أن تؤدي إلى نجاة النّساء من بعض عواقب البلاء المسلّط على حوّاء وغيرها من النّساء. وربّما كان بولس يشير إلى تحرير النّساء التّقيّات من بعض عواقب خطيئة حوّاء. ويبدو أن بعض مذاهب العرفان كانت تنظر إلى الإنجاب كأمر دنيويّ يجب تجنّبه. وكان يُعتقد أن النّساء اللّواتي أنجبن ستعترضهن صعوبات في ارتقائهن إلى العالم الرّوحيّ. ويوجد تفسير آخر لهذا المقطع، يرى أن بولس ربّما أنكر التّعاليم العرفانيّة تلك، وذكر أنّه من الأفضل للنّساء أن يكن أمّهات، وهذا لا يحول دون أن يصبحن من النّاجين رغم إنجابهن.

3: 1ـ7 قادة المؤمنين: الشّيوخ المشرفون

هذا قولٌ صادِقٌ أمينٌ: مَن طلب أن يَكونَ شيخًا مُشرِفًا، فقد أراد أن يَقومَ بِعملٍ كَريم.[1] وعلى الشّيخِ أن يَكونَ مُنزَّهًا عنِ الشّوائبِ ولا يَخونُ زَوجتَهُ، وعليهِ أن يكونَ عاقِلًا رَصينًا، ذا حياءٍ، مِضيافًا، قادِرًا على إرشادِ النّاسِ، ولا مُعاقِرًا للخمرِ ولا عَنيفًا، بَل عليهِ أن يكونَ لطيفًا مُسالِمًا، غير طامِعٍ في المالِ. وليكُنْ مُحسِنًا لِتدبيرِ عائِلتِهِ، فيُنشِئُ أبناءَهُ على احتِرامِهِ فيُطيعونَهُ في كُلِّ شيءٍ. فكيف لِمَن لا يُجيدُ سياسةَ أهلِ بيتِهِ أن يسوسَ جماعةَ بيتِ اللهِ العظيمِ؟ وعلى المُشرِفِ على المؤمِنين ألاّ يَكونَ حديث الإيمانِ، كي لا يقع في الكِبرياءِ، فيَلقى العِقابَ الّذي لقيهُ الشَّيطانُ. ويَجِبُ أن يَكونَ أيضًا ذا سُمعةٍ ووَقارٍ عِند غيرِ المُؤمِنين، لِكي لا يلحقه اللومُ والافتِراءُ، فيقع في مِصيدةِ الشّيطانِ اللّعينِ.

3: 8ـ13 قادة المؤمنين: المساعدون

وكذلِك شأنُ المُدبِّرينَ المُساعِدينَ:[2] عليهِم أن يكونوا وَقورينَ مُحترمينَ، لا

(1) كان الإغريق يلقّبون الشّخص الذي يدير تنظيما دينيا أو مدنيا بـ «المشرف»، واستعمل اليهود لفظة «الشّيوخ» للدّلالة على المنصب نفسه. وتستعمل العبارتان بالمعنى نفسه في الإنجيل (انظر سيرة الحواريّين 20: 17، 28؛ ورسالة تيتوس 1: 5 – 7؛ ورسالة بطرس الأولى 5: 1 – 2). لقد كان المشرف مسؤولا عن التعليم والوعظ والإرشاد (انظر رسالة تيموتاوي الأولى 3: 2، 5: 17)، وتدبير شؤون الجماعة (تيموتاوي الأولى 3: 5؛ 5: 17)، ورعاية جماعة المؤمنين وحمايتهم من الوقوع في الضّلال (سيرة الحواريين 20: 28-31).

(2) تُرجمت الكلمة اليونانية هنا بـ «الوكيل المساعد»، وتشير إلى الذين يساعدون الشّيوخ في الاعتناء بالجماعة، مثلما ساعدوا جماعة المؤمنين في أمورهم اليوميّة. وتمّ ذكر هذا المنصب لأوّل مرة باعتباره منصبا رسميّا في سيرة الحواريّين 6: 1 – 8. وقد تكون النّساء المذكورات هنا من اللّواتي تحظين بمركز هامّ بين جماعة المؤمنين، أو ربّما كنّ زوجات لبعض المسؤولين. وقد تحدّث بولس في رسالته إلى روما، عن امرأة تدعى «فيبي» وكانت تقوم بدور الوكيل المساعد (انظر رسالة روما 16: 1). وتوجد وثائق للسّلطة الرّومانية تشير إلى بعض النّساء من أتباع السيّد المسيح قمن بهذا الدور حوالي سنة 112 للميلاد.

مُزدوجي لسانٍ، وعليهِم أيضًا ألاّ يُدمِنوا الخمرَ، ولا يطمعوا في الحُصولِ على المَكاسِبِ الخَسيسةِ. بَل عليهِم أن يَعتصِموا بما كَشَفَ اللهُ مِن سِرِّ الإيمانِ بِضَميرٍ صافٍ، فاختبِروهُم في البِدايةِ، حتّى إذا كان عملُهُم خالٍ مِن العُيوبِ فدعوهُم يَعملونَ. وعلى كلِّ امرأةٍ ترغبُ في خِدمةِ جَماعةِ المُؤمنين أن تكونَ ذات هَيبةٍ، وألاّ تفتري على أحدٍ، وأن تَكونَ عفيفةً أمينةً في كُلِّ شيءٍ. وعلى الوكيلِ المُساعدِ أن يُخلِصَ لِزَوجتِهِ ويُحسِن تَدبيرَ بيتِهِ ورِعايةِ أبنائِهِ. إنّ الّذين يُتقِنونَ عملَهُم هذا، يَحظونَ بِشأنٍ رفيعٍ بين النّاسِ، فيتمتّعونَ بِجُرأةٍ ويقينٍ في إيمانِهِم بسيِّدِنا عيسى المَسيحِ.

3: 14ـ16 السرّ العظيم

يا تيمُوتاوي، ها أنا أُرسِلُ إليك هذا الخِطابَ وأنا أرجو أن أزورَك قريبًا، ولكِن ها أنا أُرسِلُهُ إليك حتّى إذا ما حَدَثَ طارِئ يُؤخِّرُني عن زيارتِكُم، تكونُ على علم كيف تتصرَّفُ في بيتِ اللهِ، أي أُمّةِ اللهِ الحيِّ بِاعتبارِها رُكنُ الحقِّ وأساسُهُ المَتينُ. إنّ سِرَّ نَهجِ اللهِ لا ريب عظيمٌ:

فلقد تَجلّى المَسيحُ بَشرًا سَويًّا
وجاء مِن رُوحِ اللهِ تأكيدٌ أنّه كان زَكيًّا
شاهدتْهُ الملائِكةُ
ونُوديَ بِهِ بينَ الشُّعوبِ
فأصبحَ النّاسُ في كُلِّ العالمِ بِهِ مُؤمنِينَ،
ورَفَعَهُ اللهُ إليهِ بِجَلالٍ وتَعظيمٍ.[1]

الفصل الرّابع

4: 1ـ5 الدّعاة المضلّلون

لقد جاءَ الوحي مِن رُوحِ اللهِ بِكُلِّ وضوحٍ، إنّهُ في آخِرِ أيّامِ هذِهِ الدُّنيا سيتّبعُ بَعضُ

(1) تتضمن هذه الآية جزءا من نشيد قديم.

النّاسِ أكاذيبَ الجانِ وعقائدَ مُضِلّة مِن الشّياطين، فيَرتدّونَ بذلك عن الإيمانِ، وما يُروِّجُ هذِهِ الأكاذيبَ إلاّ المُنافِقونَ الكذّابونَ، الّذين اكتوَت قُلوبُهم بالنّارِ. فينهوْنَ النّاسَ عنِ الزّواجِ ويُحرِّمونَ أنواعًا مُعيّنةً مِن الطَّعَامِ،[1] ولكِنّ اللهَ خلق هذِهِ الأطعِمةَ ليأكُلها المُؤمِنونَ العارِفونَ بالحقِّ شاكِرينَ. حَسَنٌ هو كُلُّ ما خَلَقَهُ اللهُ. فما علينا أن نُحرِّمَ شيئًا بَل نقبلُهُ حامِدينَ، فيَصير طاهِرًا بِذِكرِ كلِمةِ اللهِ والدُّعاءِ إليهِ.

4: 6_16 نصائح لتيموتاوي

وأنت يا تيموتاوي، إذا عرضتَ هذِهِ الوصايا على الإخوةِ، فستكونُ خادِمًا صالِحًا لِسيِّدِنا عيسى المَسيحِ، وستُغذّي قلبَك بِحقائِقِ الإيمانِ والعَقيدةِ السّليمةِ الّتي تتبعُها. فابتعِد عنِ الخُرافاتِ الدّينيةِ الباطِلةِ وحِكاياتِ العَجائزِ، وروِّض نفسَك بِتقوى اللهِ. فإذا كان في تَرويضِ الجِسمِ بَعضٌ مِن الخيرِ، ففي التّقوى كُلُّ الخيرِ، لأنّ فيها وَعدٌ يَجمعُ خيرَ دارِ الدُّنيا وخيرَ دارِ الآخِرةِ. ما أصدقَ هذا القول، وما أجدرَهُ أن يُقبَلَ قُبولاً تامًّا. فإذا كُنّا في حياتِنا نتعبُ ونُجاهِدُ في سَبيلِ التّقوى، فلأنّنا وضعنا ثِقتَنا في اللهِ الحيِّ مُنجّي النّاسِ جميعًا، وخاصّةً المُؤمِنين مِنهُم.

وأكِّدْ على الإخوةِ تأكيدًا في كُلِّ هذِهِ الأُمورِ وعلِّمْهُم إيّاها، ولا تَسمحْ لأحدٍ مِنهُم أن يستخِفَّ بِحداثةِ سِنِّك، بَل كُنْ قُدوةً لهُم في الكلامِ والتّصرُّفِ وفي المَحبّةِ والإيمانِ والطّهارةِ. وحافِظْ على تِلاوةِ الكُتُبِ السّماويةِ على الجَماعةِ مِن أجلِ الوَعظِ والتّعليمِ إلى حين قُدومي إليك. ولا تُهمِلْ كرامةَ رُوحِ اللهِ الّتي حَصلتَ عليها عِندما وضع الشُّيوخُ أياديهم عليك لِتعيينِك لِلعملِ في سَبيلِ اللهِ اِستنادًا على النُّبوءةِ.[2]

واعْمل بِوصاياي إذن، وابذُل جهدَك فيها وسيُعاوِنُ الجميعُ نجاحَك. واحرص جيِّدًا على سُلوكِك وعلى تعليمِكَ، واستمِرّ فيهِما، وبهذا ستحصلُ على النّجاةِ مع كُلِّ الّذين يستمِعونَ إليك.

---

(1) أخطأ العرفانيّون حين اعتقدوا أن العالم الماديّ شرّ، وأثّرت بعض تعاليمهم على المؤمنين بالسيّد المسيح.

(2) تعوّد قادة اليهود وضع أياديهم على شخص ما لتعيينه لعمل دينيّ، في حين كان قادة أتباع المسيح يضعون أياديهم على شخص ما لطلب كرامة له من روح الله. ومن المحتمل أنّ الكرامة التي تمّ ذكرها هنا تشير إلى قدرة تيموتاوي على التعليم واعلان رسالة سيّدنا المسيح (سلامه علينا) التي وهبها الله إياها من خلال روحه.

5: 1ـ2 معاملة المؤمنين

لا توبِّخِ الشُّيوخَ، بلِ انصحهُم وعامِلْهُم كآباءٍ لك. واجعلِ الشُّبّانَ كإخوتِك، والعجائزَ كأمّهاتٍ، والشّابّاتِ كأخواتٍ بِكُلِّ طهارةٍ.

5: 3ـ8 إعالة الأرامل

واعتنِ بالأراملِ اللّواتي يفتقِدْنَ لِمُعيلٍ. فإن كان للأرملةِ أولادٌ أو أحفادٌ، فواجبُهم الأوّلُ هو الاعتناءُ بها، فيردّوا إحسانَها ببِرٍّ كَريم، وهذا السُّلوكُ يُرضي اللهَ. أمّا الّتي لا مُعيلَ ولا مُعينَ لها، فهي وَحيدةٌ في الدُّنيا ولا رَجاءَ لها إلاّ في اللهِ، فإليهِ تبتهِلُ وتُصلّي ليلاً نهارًا.[1] أمّا الأرملةُ الّتي استسلمَت للملذّاتِ، فهي في الحَقيقةِ تسلكُ طريقَ الموتِ والهلاكِ مع أنّها على قيدِ الحياةِ. وبلِّغْ المُؤمِنينَ هذا حتّى لا يلقَوْنَ لائمةً من أحدٍ. إنّ كُلَّ مُؤمِنٍ لا يُساعِدُ أقارِبَهُ، خاصّةً أهلَ بيتِهِ، يُنكِرُ بذلك الإيمانَ حقّ الإنكارِ، ويُصبِحُ أشدَّ شرًّا مِن الكُفّار.

5: 9ـ16 الأرامل في خدمة المؤمنين

ولا تسجّلوا في سِجلِّ إعالةِ الأراملِ إلاّ الّتي بلغتْ السّتّين مِن عُمرِها، وكانت أمينةً لِزوجِها، وعُرِف عنها العملَ الصّالِحَ، وربّتْ أولادَها أحسن تَربية، واستضافتْ الغُرباءَ، وغسلتْ أرجُلَ المُؤمِنينَ،[2] ومدّتْ يدَ العونِ لِمَن عانى الضّيقَ، فكانت مُستعدّةً دائمًا للقيامِ بِكُلِّ الأعمالِ الصّالِحةِ.

(1) اعتمدت الكثير من الأرامل على المهر ومساعدة عائلاتهن للعيش في زمن بولس. وقد ساءت أوضاع بعض الأرامل بسبب الفقر لأنّهن لا يتمتّعن بالتأمين على الحياة، ولا ينتفعن بمساعدات من الدولة كما هو الحال اليوم. وربما لاحظ بولس أن هذه الجماعات من المؤمنين كانت تمنح دعما لبعض الأرامل اللواتي لم يكن في حاجة له. لذلك لفت انتباههم إلى الأرملة التي لا دخل لها ولا أقارب يساعدونها.

(2) في ذلك العصر كان الغبار يملأ الشّوارع وكان النّاس ينتعلون الصنادل، فكان من الضروري لأغلبهم غسل أرجلهم عند دخولهم إلى البيوت، وكان من واجب الأقل شأنا في البيت غسل أرجل الزوّار. أما السيّد المسيح فقد قام بغسل أرجل حواريّيه ليكون قدوة يقتدون بها. وبذلك اعتبر أتباعه أن القيام بهذا الفعل فضيلة.

ولا حاجةَ لِلجَماعاتِ أن يُعينوا أرملةً شابّةً قد تميلُ إلى مُعاشرةِ الوثنيّين، وتتزوّجُ بَعدِ ذلِك مِن أحدِهِم فتستغني عن إيمانِها بسيّدِنا المَسيحِ. وهكذا تُصبِحُ مُذنِبةً لأنّها نكثتْ عهدَ إيمانِها. فإذا أعتنُموها، فإنّها ستتعلّمُ الكسلَ والتّنقُّلَ مِن بيتٍ إلى آخر والثّرثرةَ، وتتدخّلُ في أُمورٍ لا تَعنيها وتُثيرُ كلامًا غير لائق. فعلى الأرملةِ الشّابّةِ إذن أن تتزوّجَ وتُنجِبَ وتعتني بِبيتِها، فلا تُمكِّنُ مَن يُخاصِمُ المُؤمنينَ مِن فُرصةِ الافتراءِ عليهِم. لأنّ بَعضًا مِنهُنَّ قدِ انحرفْنَ وسعيْنَ وراءَ الشّيطانِ. أمّا بالنِّسبةِ إلى الأراملِ العَجائزِ، فعلى المُؤمِنةِ الّتي لديها أراملُ في أقاربِها أن تعولَهُنّ فلا يُثقِّلْنَ بذلك على جَماعةِ المُؤمنين بِالنّفقةِ عليهنّ، فتتفرّغُ الجماعةُ لإعانةِ الأراملِ المُحتاجاتِ وليس لهُنّ مُعيلٌ.[1]

5: 17ـ25 مشايخ المؤمنين

إنّ الشُّيوخَ الّذين يُحسِنونَ القيادةَ، وخاصّةً الّذين يَجتهِدونَ في الوعظِ والإرشادِ، يَستحِقّونَ مِن المُؤمنين الإكرامَ إضافةً إلى المُساعدةِ الماديّةِ لِتلبيةِ احتياجاتِهِم.[2] وكما جاءَ في الكِتابِ: «لا تسُدّوا فمَ الثّورِ وهو يدوسُ الحصادَ». وجاء في الكِتابِ أيضًا: «يستحِقُّ العامِلُ أجرًا على عملِهِ وجهدِهِ».[3] ولا تُقِمْ على شيخٍ دَعوى إلاّ بِشاهِدينِ أو ثلاثةِ شُهودٍ.[4] أمّا الشُّيوخُ الّذين يُذنِبونَ ولا يتوبونَ، فعاتِبْهُم أمامَ الجميعِ حتّى يكونوا عِبرةً لِلبقيّةِ.

وأوصيك أيضًا أمامَ اللهِ وأمامَ سيّدِنا عيسى المَسيحِ وأمامَ الملائِكةِ المُختارينَ،

---

(1) تعهدت جماعات المؤمنين بقائمة من الأرامل للعناية بهنّ من خلال توفير الدّعم المادي، شرط خدمتهنّ للمؤمنين وتجنّبهن الفاحشة. وكانت نسبة الأرامل اللّواتي يستطعن الإنجاب تمثّل ثلث عدد النّساء في ذلك الزمن. واعتبر أفراد المجتمع الترمّل أحيانا خطرا على سمعتهم لأن الأرامل قد يصبحن زانيات. فإذا انحرفت بعض الشّابات منهن وخرجن عن الأعراف الاجتماعيّة، فهذا يتيح الفرصة لبعض خصوم جماعة المؤمنين لاتّهامها بقبولها هذا السّلوك اللاّأخلاقي.

(2) ورد في النص اليوناني الأصلي أنّ الشّيوخ الذين كانوا يؤدون أعمالهم على نحو جيّد يستحقون «تكريما مضاعفا»، وهذا يعني أنهم يستحقون الاحترام والمكافأة المالية.

(3) يقتبس بولس هنا من التوراة، سفر التثنية 25: 4 كما يقتبس من كلمات سيدنا عيسى المدوّنة في لوقا 10: 7.

(4) يذكّر بولس هنا بالمبدأ الموجود في التوراة (سفر التثنية 19: 15) وبتعاليم سيدنا عيسى (متّى 18: 15 – 17).

أنْ تُقيمَ كلَّ ما أوصيتُك بِهِ دون مُحاباةٍ أو انحيازٍ لأحدٍ. وعِندما تُعيِّنُ شُيوخًا على الجماعاتِ فلا تتسرّع بوضعِ يدِك على رُؤوسِهِم، بلِ اختبِرْهُم جيِّدًا وتأكّدْ مِنهُم، حتّى لا تحمِلَ وِزرَهم إذا أذنبوا. واحفظ نفسَك طاهِرًا.

ولا تشربِ الماءَ وحدهُ، بَلِ امزِجهُ بِقليلٍ مِن شَرابِ العِنبِ، لأنّي أعلمُ أنّك تُعاني مِن ألمٍ في بَطنِك ومِن أمراضٍ كثيرةٍ. ولا تنسى أنه يوجدُ بين النّاسِ مَن كانت ذُنوبُه ظاهِرةً قبل إجرائكَ الامتِحانِ معه، ومِنهُم مَن لا تنكشِفُ ذُنوبُه إلاّ بعد اختِبارِه. كذلِك شأنُ الأعمالِ الصّالِحةِ فهي واضِحةٌ في غالبِ الأحيانِ، أمّا إذا كانت مَخفيةً فإنّها ستظهرُ لا مَحالة.

الفصل السّادس

6: 1-2 واجبات العبيد المؤمنين

وعلى العبيدِ مِن أتباعِ السّيِّدِ المَسيحِ أن يُعامِلوا أسيادَهُم بِكُلِّ احترامٍ، حتّى لا يَفتري أحدٌ على اسمِ اللهِ تَعالى وعلى تَعاليمِنا. وعلى العبيدِ ألاّ يستخِفّوا بِسادتِهِم لأنّهُم إخوةٌ في الإيمانِ، بَل عليهم أن يخدموهم أكثر لأنّ المُستفيدينَ مِن خِدمتِهِم مُؤمِنونَ وأحِبّاءُ. فعلِّمْ هذِهِ المَبادِئَ وانصحْ بها.

6: 3-10 أهميّة التّعاليم السّليمة

إنّ تعاليمَنا صحيحةٌ سليمةٌ وهي مِن سيِّدِنا عيسى المَسيحِ، وتُؤدّي إلى التّقوى حتّى وإن عارضَها بَعضُ الدُّعاةِ الدَّجّالينَ. وهؤلاء الدّجّالينَ، مُتكبِّرونَ جَهَلةٌ، ولديهم رغبةٌ سقيمةٌ في النِّقاشِ والجِدالِ، مِمّا يُثيرُ الحسدَ والعِراكَ والافتِراءَ وسوءَ الظُّنِ. فهؤلاء دائِبونَ على إثارةِ النِّزاعاتِ، وأفكارُهُم فاسِدةٌ وهُم ضالّونَ عنِ الحقِّ، والتّقوى عِندهُم وَسيلةٌ يغتنونَ بِها فقط. حقًّا إنّ التّقوى مع القناعةِ كنزٌ لا يفنى. فنحنُ لم نجلبْ معنا شيئًا إلى هذِهِ الدُّنيا، ولن نأخُذ مِنها شيئًا عِند مُغادرتِها. إذا كُنّا نملكُ طعامًا وكساء فلنكتفي بِهِما قانِعينَ. أمّا الّذين يَسعوْنَ لِجمعِ الثّروةِ، فمآلُهُم الوُقوعُ في الفِتنةِ وفي مِصيدةِ الشّيطانِ لا رَيب، وينقادونَ بِأهوائِهِم العمياءِ المُضِرّةِ الّتي تؤدّي إلى خُسرانِهِم

وهلاكِهم. إنّ حُبَّ المالِ مَنبعُ أنواعِ الشّرِّ كُلِّها، وقد ضلّ بَعضُ النّاسِ عنِ الإيمانِ فأصابوا نُفوسَهم بآلامٍ كثيرةٍ بِسببِ لهفتِهِم على المالِ.

6: 11-21 وصايا أخيرة

أمّا أنت يا تيموتاوي فإنّك رجُلُ اللهِ، فابتعِدْ عن هذا كُلِّهِ. واسع إلى مَرضاتِهِ تعالى والتّقوى والإيمانِ والمَحبّةِ والصَّبرِ واللّين. وجاهِدْ في سَبيلِ الإيمانِ بِكُلِّ هذِهِ السُّبُلِ، واعتصِمْ بِدارِ الخُلدِ الّتي دَعاك اللهُ إليها، حين اعلنتَ إيمانك بالبيانِ الحسنِ أمام عددٍ كبيرٍ مِن الشُهودِ. وأوصيك أمام اللهِ المُحيي، وأمام سيّدِنا عيسى المَسيحِ الّذي أعلن بيانَهُ الحَسَنَ أمام الحاكِمِ بيلاطُس البُنْطي، أن تعملَ كُلَّ ما أمرتُكَ به بِأمانةٍ ودون تَقصيرٍ أو عيبٍ إلى حينِ تجلّي سيِّدِنا عيسى المَسيحِ، فسيُرسِلُهُ اللهُ في الوقتِ المَعلومِ. تبارك اللهُ، السُّلطانُ الوحيدُ، مِلكُ المُلوكِ وربُّ الأربابِ، وحدهُ الّذي لا يموتُ، وهو في نورٍ لا يقترِبُ مِنهُ أحدٌ. لم يرهُ إنسانٌ، ولا يقدِرُ أحدٌ أن يراهُ. فليكُنْ لهُ الإكرامُ والعِزّةُ إلى أبدِ الآبدين. آمين.

وعليك أن توصي الّذين يملِكونَ أُمورَ هذِهِ الدُّنيا ألاّ يتكبّروا وألاّ يتوكّلوا على الغِنى الزّائِلِ، بَل عليهم أن يتوكّلوا على اللهِ واهِبِ كُلِّ الخيرات الّتي نتمتّعُ بِها. وعليك أن توصيهم أيضًا أن يستخدِموا أموالَهُم في عملِ الخيرِ، وأن يُكثِروا مِن عملِ الصّالِحاتِ، وأن يُعطوا المُحتاجينَ بسخاءٍ وأن يُشارِكوا غيرَهُم في الخيراتِ. وهكذا يدّخِرونَ لأنفُسِهِم كنزًا يكونُ أساسًا متينًا لِما هو آتٍ، لِنيلِ الحياةِ المَرضيةِ في الآخِرةِ.

يا تيموتاوي، حافِظْ على الأمانةِ الّتي عِندَك، وتجنّب الكلامَ التّافِهَ مِن الدُّعاةِ الدَّجّالينَ، واجتنِبْ النِّقاشَ معهُم وكُلَّ ما يدّعونَ مِن عِرفانٍ. ومَن يتّخِذ هذا العِرفانَ سَبيلاً يضِلُّ عنِ الإيمانِ. فليكُنْ فضلُ اللهِ عليكُم أجمعينَ.

مدخل إلى رسالة تيموتاوي الثانية

تُعتَبر الرّسائلُ الثلاثُ، تيموتاوي الأولى وتيموتاوي الثّانية وتيتوس، متميّزةً في الشّكل والمحتوى من بين رسائل الحواري بولس كلِّها. ويبدو أنّ بولس قد كتبها في زمنٍ متأخّر من حياته. ولمزيد من المعلومات حول التأليف وتاريخ كتابة هذه الرّسالة، يُمكن العودةُ إلى مدخل رسالة تيموتاوي الأولى.

لقد تَمَّ إطلاقُ سراح بولس في المرّة الأولى سنة 62 للميلاد، أيْ بعدَ مرور فترة من الزّمن على الحوادث المدوَّنةِ في نهاية كتاب سيرة الحواريّين (أي أعمال الرّسل). ومنذ ذلك الوقت تابَعَ بولس عملَه في نشر الرّسالة، وربّما يكون قد توجّه في البدء إلى إسبانيا، ليَعُود بعدها إلى اليونان ثمّ إلى جزيرة كريت. ومن المحتمَل أيضا أنّ هذه الرّسالة قد كُتبت بعد رحلته تلك، أي عند عودته إلى روما، حيث سُجن مرّة أخرى، حوالي سنة 67 للميلاد.

وكُتبت هذه الرّسالةُ خلال فترة سجن بولس في روما للمرّة الثانية عندما كان ينتظر إعدامَه، فأرسل هذه الرّسالة إلى تيموتاوي، وفيها آخرُ التّحذيرات والتّوجيهات إليه. وكتَبَ هذه الرّسالة لسببين: أوّلهما دوافعُ شخصيّة، وثانيهما ضرورةُ معالجة المشاكل المنتشرة بين جماعات المؤمنين. وقد شعر أنّه وحيد لا مُعينَ له، وكان يرجو تيموتاوي أن يلتحق به سريعا، وفي الأثناء كان خصوم بولس يعملون على نشر رسالتهم المُزيَّفة في مقاطعة آسيا، وازداد الوضع سوءا مقارنةً بالفترة التي كتب فيها رسالته الأولى لتيموتاوي، إذ كان قلِقا بسبب انتشار التّعاليم المزيّفة وظهور شقاق داخلي بين المؤمنين. فحثّ بولس تيموتاوي على التركيز على تعليم الكتب المقدّسة والحقائق الموجودة فيها. وكانت الرّسالة في أغلب أبعادها بمثابة آخر وصايا الحكمة من بولس قبل موته الوشيك.

بسم الله تبارك وتعالى

رسالة الحَواريّ بولُس الثّانية إلى تيموتاوي

الفصل الأوّل

1: 1ـ2 تحيّة

مِن بولُسَ حَواريِّ سيِّدِنا عيسى المَسيح، أرسلني اللهُ بأمرٍ مِنه لأبلّغَ العالَمينَ وعدَه بدارِ الخُلدِ لكلِّ المؤمنينَ بِهِ (سلامُهُ علينا). إلى ابني الحَبيبِ تيموتاوي. لك الفَضلُ والرَّحمةُ والسّلامُ مِن اللهِ أبينا الأحدِ الصَّمَدِ، ومِن سيّدِنا عيسى المَسيحِ.

1: 3ـ12 شدّ عزيمة تيموتاوي

أحمَدُ اللهَ الّذي أتقرّبُ إليه بضَميرٍ خالِصٍ، كما أَخلَصَ إليه آبائي الأوّلونَ، وأَذكُرُك في تضرُّعاتي ليلاً نهارًا وفي كلِّ حين. وأَذكُرُ الدُّموع الّتي كُنتَ تَذرفها لحظةَ افتراقِنا، فيزدادُ شوقي لرؤيتِك ليَمتلئ فؤادي فرحًا. وأتذكّرُ إيمانَك الصّادقَ أيضًا، ذلِك الإيمانَ الّذي أشرق في قلبِ جدّتِك لويزة سابِقًا، ثُمّ أشرق في قلبِ أُمِّك فائزة، وأنا على يقينٍ أنّ هذا الإيمانَ في قلبِك الآن.

ولهذا أُنبِّهُك لتتذكّرَ اللّحظةَ الّتي وَضعْتُ فيها يدي عليك لِتعيينِك لِخدمةِ اللهِ،[1] وأن تُلهِبَ مِن جَديد الكَرامةَ الّتي حَصلتَ عليها في تِلك اللحظةِ. لا تخشَ أحدًا، فقد أعطانا اللهُ رُوحَه، لا رُوحَ الخَوفِ، بل رُوحَ القوّةِ والمَحبّةِ والبَصيرةِ. فلا تَتردّد حين تَدعو النّاسَ إلى الإيمانِ بسيِّدِنا عيسى، ولا تَخجل مِنّي أنا السَّجين في سَبيلِهِ، ولكنّي أطلُبُ مِنك أن تُشاركَني المَصاعبَ والمشقّاتِ في سَبيلِ البُشرَى بِهِ (سلامُهُ علينا)، مُتوكّلا على قُدرةِ اللهِ.

(1) كان قادة المؤمنين بالسّيّد المسيح يَضَعون أيديهم على النّاس كعلامة لتعيينهم للوعظ أو لتعليم أناس آخرين من أتباع السّيّد المسيح، اقتداءً بالعادات اليهوديّة.

إنّ اللهَ جعلَنا مِن النّاجينَ، ودَعانا إلى العيش مَنذورينَ له، لا على أساسِ أعمالِنا، بل بِموجِبِ مَقاصِدِهِ وفَضلِهِ الكَريم. وقد أراد مُنذُ الأزلِ أن يَمنَحَنا فَضلَهُ مِن خِلالِ سيِّدِنا عيسى المَسيح. ولكِنّهُ لم يَكشِف عن فَضلِهِ هذا إلاّ بتَجلّي مُنجّينا (سلامُهُ علينا) فهو الّذي سَحَقَ الموتَ وأنار طَريقَ الحياةِ والخُلودِ ببُشراه. ولقد اختارني اللهُ لهذه الرِّسالةِ فكنتُ رَسولاً مُرشِدًا وداعيةً إليها، فأنا أُقاسي في سَبيلِها الضّيقَ هُنا في السّجنِ، لكِنّي لا أترَدَّدُ لأنّي أعرفُ اللهَ الّذي وثقتُ به، وإنّي على يقينٍ أنّه تَعالى قادرٌ على حفظِ ما أودعتُهُ عنده إلى اليومِ العظيم.

1: 13ـ18

فتمسّكْ بالمَبادئ الّتي سمعتَها منّي، واجعَلْها مثالاً يُحتذى، إضافةً إلى مَحبّتِك لِسيِّدِنا عيسى المَسيح وإخلاصِك لِلمؤمنينَ. واحفظ الوَديعةَ الصّالِحةَ، فهي رسالةُ اللهِ الّتي جَعَلتُك عليها وكيلاً، وحافِظْ عليها بعونِ رُوحِ اللهِ الّتي حلّت فينا.

وإنّك تعلمُ أنّ كلَّ المؤمنينَ في مُقاطعةِ آسيا قد تخلَّوْا عنّي، لا سيّما فيغالي وهارموجْني. وتَرَكَني أنيسُ أيضًا، فلْيَرحمْه سيّدُنا عيسى ولْيشفع لأهلِ بيتِهِ أجمعينَ. لقد كان سابِقًا يَزورُني مَرّات عديدة ويُدخلُ الفرحَ على قلبي، ولم يَخجل مِنّي يومًا بسبب سَجني وقُيودي، حتّى إنّه بَذَلَ جهدًا في بَحثِهِ عنّي عندما كان في روما إلى أن وَجَدَني في السِّجن. وإنّك تعرفُ كم خدمني هذا الأخُ الكريمُ وأنا في مَدينةِ أفاسوس. أجل، فليرحمه سيّدُنا عيسى وليشفع له يومَ الدِّين!

الفصل الثّاني

2: 1ـ13 الاجتهاد لنيل مرضاة سيّدنا عيسى

وأنت يا بُنيّ، كُن مِن الأقوياءِ بما أنعمَ اللهُ عليك مِن فَضلٍ، لأنّك تابعٌ لِسيِّدِنا عيسى المَسيح. وما سَمِعتَهُ منّي مِن أُمورٍ أمامَ الكثيرِ مِن الشُّهودِ، فأودِعْهُ أمانةً لِلّذين تجدُرُ بِهِم الثِّقةُ، ليَكونوا أيضًا قادِرينَ على تَعليمِ الآخرينَ. وكما يَحتمِلُ الجُنديُّ الأمينُ المُعاناةَ والضّيقَ، عليك أن تَحتمِلَ مِثلي المُعاناةَ في سَبيلِ مَولانا عيسى

المَسيحِ. إنّ كلَّ جُنديّ يُريدُ إرضاءَ قائدِهِ لا يَشغَلُ نفسَهُ بالشؤونِ الّتي لا تمُتُّ بِصِلةٍ بِمُهمّتِهِ العَسكريّةِ. ولا يَفوزُ المُصارِعُ بإكليلِ النَّصرِ إلاّ إذا اتّبع قوانينَ المُباراة، ولا بُدّ للمُزارعينَ الّذين يَتعَبونَ في الحقلِ أن يَكونوا أوّل مَن يَحصلُ على نَصيبٍ مِن ثِمارِ زِراعتِهِم. يا تيموتاوي، تأمّل في ما قُلتُ لك، وسيُساعِدُكَ سيِّدُنا عيسى لتكونَ مِن المُبصرينَ.

تذكّرْ يا بُنيّ أنّ سيّدَنا عيسى المسيح، سَليلَ النّبي داود ووَريثَهُ، قد بُعِث حيًّا مِن بين الأمواتِ. وهذه هي البُشرى الّتي أُنادي بها، وفي سَبيلِها أُعاني الآلامَ، إذ كُبّلتُ بالأغلالِ كالمُجرمينَ، ولكِن رِسالةُ اللهِ لا تكبّلها قيودٌ! ولذلك فأنا أصبرُ على كُلِّ مَكروهٍ في سَبيلِ نَشرِ البلاغِ البَشير، حتّى يَحصُلَ كُلُّ الّذين اختارهُم اللهُ على النّجاةِ والمَجدِ الخالدِ مِن سيِّدِنا عيسى المَسيحِ. إنّ هذا القولَ الّذي ستسمعونَهُ صادقٌ أمين:

إن مُتنا في سَبيلِه، فسنَحيا معهُ خالِدِينَ.

وإن تحمّلنا الآلامَ مِن أجلِه، فسنكون معهُ في الآخرةِ مِن الحاكمينَ.

وإنّه سيُنكرنا إن كنّا له مُنكِرينَ.

وإن أصبحنا غير أُمناء فإنّه يبقى الأمين،

لأنّه غير قادر على أن يُنكرَ جوهرَهُ الكريم.

2: 14–26 إرضاء العبد لربّه

ذكِّرْ بهذِهِ الأُمورِ الإخوةَ في اللهِ، وحذّرْهم أمام اللهِ مِن الجِدالِ العقيم، إذ لا يَنفعُ الجِدالُ في شَيءٍ بل يؤدّي إلى خَرابِ إيمانِ كُلِّ مَن يَسمعُهُ. واجتهِدْ لكي تكونَ رَجُلاً يُرضي اللهَ، مُتفوّقًا ولا يَتردّدُ في عملِهِ، مُستقيمًا في تَفسيرِ رِسالةِ الحقِّ. وتجنّبِ الجدلَ السّخيفَ الفاسِدَ، فهو يزيدُ أصحابَهُ فسادًا، وجدلُهم هذا سيَنشرُ تعاليمَهم كالسَّرطانِ الخَبيثِ في الجِسمِ السَّليم. ومِن هؤلاء المُجادلينَ هيمْناوي وفيلاتي، اللّذيْن انحرفا عن سَبيلِ الحقِّ بِزعمِهِما أنّ أمرَ بَعثِ الأموات قد حَلَّ ومَضى،[1] وبِقولِهِما هذا يَجعلان

(1) رأى الإغريق الوثنيّون أنّ بعث الأجساد في المستقبل أمرٌ غريب وغير مقبول طالما اعتقدوا أنّ العالم المادي فاسد وأقلّ شأنا من العالم الرّوحي. وربّما قام بعض الدّعاة المضلِّلين مثل هيمناوي وفيلاتي بتعليم النّاس أنّ بعث الأموات ليس أمرا مادّيا ولكنّه أمر روحيّ فقط في سبيل إيصال رسالة السيّد المسيح لتكون أكثر قبولا عند الإغريق.

بَعضَ المؤمنينَ يَرتدّونَ عن إيمانِهم. إلاّ أنّ الأساسَ المَتينَ الّذي وَضعَهُ اللهُ يَبقى ثابتًا، وهو مَختومٌ بِما جاء في التّوراةِ: «إنّ اللهَ بِخاصّتِهِ عليمٌ». وجاء أيضًا: «إنّ على الّذين يَستنجدونَ باسمِ مَولانا أن يكونوا عنِ الشّرِّ مُبعدين».[1]

وإنّك لترى، في الدّارِ فَسيحةِ الأرجاءِ، كلَّ أنواعِ الأواني، مِن ذَهبٍ وفِضّةٍ، وخَشبٍ وفَخّارٍ، فبَعضُها يُستعملُ لمُناسِبات خاصّة، ويَبقى البَعضُ الآخر لاستِعمالٍ يوميّ عاديّ. فإذا حفِظَ الإنسانُ نفسَه طاهرًا مِن كُلِّ الشُّرورِ الّتي ذَكَرناها، يكون كالإناءِ الثّمينِ المُخصَّصِ للهِ، فينفعُ بذلِك خِدمةَ ربِّ البيتِ، ويَكون مُستعِدًّا لفعلِ صالحِ الأعمالِ.

يا تيموتاوي، تجنّبْ أهواءَ الشّبابِ، واسْعَ إلى مَرضاةِ اللهِ والإخلاصِ والمَحبّةِ والسّلامِ مع الّذين يَستغيثونَ بسيّدِنا عيسى بِقلبٍ طاهِرٍ. وتجنّبْ المُجادلات الغبيّةِ الحَمقاءِ، فأنت تعلمُ أنّها تفتحُ بابَ الخِصام. فلا يَجوز لعبادِ اللهِ الصّالحينَ أن يُخاصموا النّاسَ، بَل عليهم أن يُشفِقوا على جميعِ النّاس، ويَكونوا قادرينَ على التّعليمِ، صابرينَ على إساءةِ النّاسِ، وعليك أن توجّهَ مُقاوِمي الإيمانِ بِلُطْفٍ، لعلّ اللهَ يَهديهِم إلى التّوبةِ فيُدركوا الحقَّ، ويَعودوا إلى رُشدِهِم، فيتخلّصوا مِن قيدِ الشّيطان الّذي أطبق عليهِم ليَعمَلوا بإرادتِهِ.

الفصل الثّالث

3: 1ـ9 الأيّام الأخيرة لهذه الدّنيا

واذكُر، أيّها الحَبيبُ، أنّه ستمرُّ على النّاسِ أوقاتٌ عَسيرةٌ في آخر أيّامِ هذه الدُّنيا، فيُصبِحُ النّاسُ أنانيّينَ، مُتهافتينَ على المال، مُتكبّرينَ، شتّامينَ، لا يُطيعونَ والِديهم، ناكرينَ للجميلِ، فاسِقينَ، وتنعدِمُ الشّفقةُ والرّحمةُ من قلوبِهم، فيَفْترونَ على غيرهم وتجمحُ بهم الأهواءُ، فيُعادونَ الخيرَ بكلِّ شراسةٍ، خائنينَ، طائِشينَ، تنتفخُ صُدورُهم

(1) اقتبس الحواري بولس من التّوراة، سفر العدد الفصل 16، حيث جاءت قصّة تحدّي قارون ورجال آخرين لسلطة النّبي موسى (عليه السّلام). ولكنّ الأرض تصدّعت وانشقّت وابتلعتهم جميعا. وربّما ذكر بولس هذه القصّة ليبيّن مدى أهميّة البعث وخطورة تضليل هيميناوي وفيلاتي.

تكبُّرًا، ويُفضِّلونَ الملذّات على اللهِ، ويتمسَّكونَ بقُشورِ التَّقوى، ويُرفُضونَ جَوهرَها، فانأى عن هؤلاءِ النّاسِ جَميعًا. فبَعضُهم يَتسلَّلُ إلى البُيوتِ ويوقِعُ النِّساءَ الضَّعيفات المُثقَلات بالخَطايا في حَبائلِه، فتنقدنَ إلى الشّهواتِ بِكلِّ أنواعِها بالاستماعِ المُتواصلِ إلى تَعاليمَ دينيّةٍ جديدةٍ في حين أنّهنّ عاجزات عن تَمييزِ الحقّ مِن الباطل. وكما عارضَ السّاحِرانِ يَنّيسُ ويَمْبِريسُ النبيَّ موسى في القَديم، يُعارِضُ هؤلاءِ الدُّعاةُ الدَّجّالونَ الحقَّ بعُقولِهم الفاسدةِ، وهكذا يَكونُ إيمانُهم مُزيّفًا.[1] ولكِنّهُم لن يَصِلوا إلى مُرادِهِم، فحماقَتُهُم ستنكشِفُ كما انكشفَت حَماقةُ يَنّيس ويَمْبريس للنّاسِ جميعًا.

3: 10ـ17 الابتلاء والثّبات في الإيمان

أمّا أنت فإنّك على عِلمٍ بتَعليمي وسِيرتي ومَقاصِدي وإيماني وصَبري ومَحبّتي وثباتي. فأنت تعرِفُ كيف اضطَهَدني غيرُ المؤمنينَ في مُقاطعةِ غلاطية، حيث حَلّ بي البلاءُ المُبينُ في بلدات أنْطاكية وإيقونية ولِسْترة، ولكِنّ مَولاي أنقذَني مِن كُلِّ ذلك فنجوتُ.[2] فكُلُّ مَن يَسعى إلى العيشِ بتَقوى كمُؤمِنٍ بسيِّدِنا عيسى المَسيحِ يَلقى الاضطهادَ أيضًا. أمّا أهلُ الشرِّ والدَّجّالونَ، فيَزدادُ شرُّهم وهُم الخادِعونَ المُنخدِعونَ. وأمّا أنت فاثبُتْ على التَّعاليمِ الّتي تلقّيتَها مِنّا وتيقّنتَ مِنها، لأنّك تثِقُ بالّذين أرشدوك، فمُنذُ صِغرِك اطّلعتَ على الكُتُبِ السّماويةِ المُقدّسة، فهي تَجعلُ المُؤمِنَ حكيمًا لينالَ النّجاةَ بإيمانِهِ بسيِّدِنا عيسى المَسيح. فهذِهِ الكُتُبُ كُلُّها وَحيٌ مِن اللهِ، تُفيدُ في التّعليمِ وفي رَدِّ الضَّلالِ وفي تَصحيحِ الخطإِ وفي الإرشادِ إلى ما يُرضي الله، وبالإيمانِ بهذه الكُتُبِ يَكونُ المؤمنُ التَّقيُّ الصّالحُ مُؤهّلاً لِلقيامِ بِكُلِّ الأعمالِ الصّالِحةِ.

---

(1) يقارن بولس خصومه بـ «ينيس» و«يمبريس»، السّاحرين المصريّين اللّذين واجها النّبي موسى، كما ورد في بعض القصص اليهوديّة.

(2) ذُكرت هنا بلدة أنطاكيا التي تقع في إقليم بيسيديّة (انظر سيرة الحواريين 13: 14-52) حيث وُفق بولس وبرنابا في دعوة النّاس إلى الإيمان برسالة سيّدنا عيسى (سلامُهُ علينا). وجاء ذكر عمل بولس في كلّ من إقونية ولسترة في سيرة الحواريّين (أي أعمال الرسل) 14: 1 – 20. ويمكن أن يكون تيموتاوي قد سمع عن معاناة بولس في لسترة لأنّه كان من تلك المنطقة.

4: 1ـ8 بولس يشير إلى وفاته

أُناشِدُك أمام اللهِ وأمام سيِّدِنا عيسى المَسيحِ الّذي سيَتجلّى لإقامةِ المَملكةِ الرّبّانيّةِ بين النّاس، وعندئذٍ سيُحاسِبُ الأحياءَ والأمواتَ، أُناشِدُك أن تَدعو إلى رِسالةِ اللهِ، سواءً كان النّاسُ على استعدادٍ لسماعِها أم لم يَكونوا. ووبّخ المؤمنين وحذّرهم وشُدَّ عزيمتَهم بكلِّ صَبرٍ خِلال تعليمِهم. فإنّهُ سيأتي زَمَنٌ لا يطيقُ فيه النّاسُ إرشادًا سليمًا لا مَحالة، بل سيتّبعون أهواءَهم، وسيَميلونَ لِما يُطربُ آذانَهم مِن كلامِ الدُّعاة. إنّهم يُعرِضونَ عن سماعِ الحقّ، ويميلونَ إلى الخُرافاتِ. أمّا أنت، فكُن يقظًا في كلِّ الأحوالِ، وتحمّلْ المشقّاتِ، وكُن داعيًا بَشيرًا ومُخلِصًا في خدمتِك للهِ.

أمّا أنا فقد آن الأوان لأُضحّي بحياتي،[1] وحانتْ ساعةُ رَحيلي عن هذا العالَم. فلقد جاهدتُ في سَبيلِ الخير، وبَلَغْتُ نِهايةَ السّباق، وحافظتُ على الإيمانِ الحقّ. وَها أنّي أنتظرُ مِن اللهِ أن يُجازيني بِرِضاه كما يَنتظِرُ الفائزُ في السِّباقِ أن يُتوَّجَ بإكليلِ الانتصارِ، إنّه الإكليلُ الّذي سيُقدّمُهُ لي سيِّدُنا عيسى الحَكَمُ العَدلُ يومَ الدِّين، ولستُ وحدي مَن يَنتظِرُ الجَزاءَ بل يَنتظِرُهُ كلُّ مَن يَشتاقُ إلى تجلّيهِ العظيم.

4: 9ـ18 تعليمات أخيرة

أسرِعْ إليّ، أيّها الحَبيب، فقد أصبح ديماسُ يميلُ إلى متاعِ الدُّنيا، فتركني وسلَكَ طريقَهُ إلى مَدينةِ تسالونْكي. أمّا الأخُ كِريسكي فقد اتّجه نحو مُقاطعةِ غلاطية، وتيتوسُ قصَدَ مُقاطعةَ دَلْماطِيَّة. وأرسلتُ الأخَ طيخي إليك في مَدينةِ أفاسوس، ولم يبقَ معي مُعينٌ سِوى لوقا. فمُرَّ على مَرقُس وأحْضِرهُ معك، لأنّهُ يُفيدُني كثيرًا في الدَّعوةِ. وعِندما تأتي، أحضِرْ معك العباءةَ الّتي تركتُها مع قَربُس في تَرْواس، وأحضِرْ أيضًا الكُتُبَ وخاصّةً مَصاحِفَ الجِلدِ.

---

(1) في النّص الأصلي اليوناني، يقارن بولس حياتَه بالسّوائل أو العطور التي تسكب كقربان لله إكراما للسيّد المسيح. وتقديم هذه السّوائل كقربان كان عادةً من العادات اليهوديّة والوثنيّة. وأثناء تقديم هذا القربان، يُسكب الشّرابُ مثل النبيذ أو الماء أو الزّيت، إكراما لله.

إنّ اِسكَنْدَرَ النَّحّاسَ[1] أساء إليّ وآذاني كثيرًا، فإنّ مَولانا سيُجازيه على قدر عملِهِ الأثيم. فاِحترِسْ مِنهُ، فإنّهُ كان مِن أشدِّ المُعارضينَ لرِسالتِنا.

ولقد دافعتُ عن نَفسي في المُحاكمةِ الأولى ضدَّ الّذين ظلموني، ولم يَحضُرْ أحدٌ مِن المؤمنينَ لِلدِّفاعِ عنّي، بل تركوني جميعًا. فيا ربّ اغفر لهم لأنّهم تركوني. ولكِنّ مَولاي عيسى مَنَحَني القوّةَ ووقف إلى جانبي، فتمكّنتُ مِن إعلانِ الدَّعوةِ بأكملِها، وسمع بها جميعُ الأغرابِ، فنجوتُ مِن خطرٍ يُضاهي خطرَ أنيابِ الأسد. وسيُنقذُني مَولاي مِن كُلِّ هُجومٍ شَريرٍ وسيحفظُني حتّى أدخلَ في مَملكتِهِ السّماويّةِ. فليكن للهِ الجلال إلى أبدِ الآبدين! آمين.

4: 19–22 تحيّات ودعاء

بلِّغْ سَلامي إلى الأُختِ بَرَكَةَ والأخِ عَقيلٍ وعائِلَةِ أنيسٍ. أُعلِمُك أنّ الأخَ أرِسْتي بَقِيَ في كورِنْتوس. ولقد تركتُ الأخَ طَرِيفي مَرِيضًا في مَدينةِ ميليتُسَ. فأسرِعْ إليّ قبلَ حُلولِ الشِّتاءِ. يسلّمُ عليك الإخوةُ يوبولي وبودي ولينو وكلودِيا وكُلُّ بقيةِ الإخوةِ. ليكنْ سيّدُنا مع رُوحِك. وفَضلُ اللهِ معكُم أجمعينَ.

(1) ربّما يكون الشّخص المشار إليه هنا هو الإسكندر المذكور في الرّسالة الأولى إلى تيموتاوي 1: 20.

مدخل إلى رسالة تيتوس

تُعتبر الرّسائلُ الثلاث، تيموتاوي الأولى وتيموتاوي الثانية وتيتوس، مُتميّزةً من بين رسائل بولس كلِّها من حيث الشكل والمحتوى. ويبدو أنّه كَتَبَها في مرحلة متأخّرة من حياته. ويَعتبِر المفسّرون المحافظون أنّ فترة كتابة هذه الرسالة تَلتْ فترة كتابة رسالة تيموتاوي الأولى وسبقت الفترةَ التي كُتبت فيها رسالةُ تيموتاوي الثانية. ولمزيد من المعلومات حول تأليف هذه الرسالة وتاريخِها، يُرجَى العودةُ إلى مدخل رسالة تيموتاوي الأولى.

يُوجِّه بولس هذه الرسالة إلى تيتوس الذي أرسله لمساعدة المؤمنين في جزيرة كريت، وهي جزيرة كبيرة في البحر الأبيض المتوسط وكانت مقاطعةً رومانيّة، وأغلب سكّانِها يشتغلون في الفلاحة وزراعة الفاكهة.

وقد اهتدى تيتوس إلى الإيمان بالسيد المسيح (سلامُهُ علينا) عن طريق الدّعوة التي نشرها بولس كما اهتدى قبله تيموتاوي. ولم يكن تيتوس من أصل يهودي، ولم يُذكر موطنُه الأصليُّ ولا المكانُ الذي عاش فيه. وقد رافق بولس وبرنابا إلى القدس، وكان موجودا عندما أصدر الحواريون والقادة في القدس فتوى مُفادُها أنّ الذين اتّبعوا السيد المسيح من غير اليهود لا يُفرض عليهم التهويدُ (انظر رسالة غلاطية 2: 1 – 9). وقد كان تيتوس برفقة بولس في رحلته الثالثة للدعوة، كما جاء في الرسالة الثانية إلى أحباب الله في كورنتوس. وقد قام تيتوس، باعتباره رفيقا لبولس، بِدورٍ مُهمٍّ في حلّ مشكلات عديدة كانت قائمةً بين جماعة المؤمنين في كورنتوس. وقد كلَّفه بولس بحمل رسالة شديدةِ اللّهجةِ إلى الكورنتيين، وبتدبّر أمر جمع التبرّعات من المؤمنين في كورنتوس لصالح الفقراء في القدس من أتباع السيد المسيح.

وترك الحواري بولس تيتوس على جزيرة كريت لتنظيم جماعة المؤمنين هناك قَبْلَ زمن كتابة هذه الرسالة، ولكي يَحُلّ الوضعَ المتأزّمَ الذي يتعلق بالدعاة المضلِّلين الذين تَسلّلوا إلى الجماعات. ويبدو وصفُ هؤلاء مُشابِهًا لأولئك الذين ذُكروا في

رسالة تيموتاوي الأولى. فربّما نَشروا تعاليمهم انطلاقا من مدينة أفاسوس داخل الجماعات الأخرى بسرعة. وحاول هؤلاء المضلّلون تهويد أتباع السيّد المسيح من خلال الختان، كما حاولوا السيطرة على الجماعات التي أسّسها بولس، وهو بدوره واجَهَهُم، لأنّهم ينتمون إلى الجماعة نفسها التي واجهها بولس في غلاطية، وتمّتْ الإشارةُ إليها في العديد من رسائل بولس المبكّرة. ونجح هؤلاء الخصوم في البداية، ولكنّ نجاحهم لم يستمرّ طويلا.

بسم الله تبارك وتعالى

رسالة الحَواريّ بولُس إلى تيتوس

الفصل الأوّل

1: 1ـ4 تحيّة

مِن بولُس عبدِ اللهِ، وحَوارِيِّ عيسى المَسيح. إنّهُ أرسلني حتّى أُنيرَ طريقَ الإيمانِ لِلمُختارينَ، فيسلكوا سَبيلَ الحقِّ الّذي يَجعَلُ النّاسَ مِن المُتّقينَ. وكلُّ مَن يُؤمِنُ برسالةِ السيِّدِ المَسيحِ يكونُ على يقينٍ بِدارِ الخُلدِ، تلك الدّارِ الّتي وَعَدَنا اللهُ بها مِن قَبْلِ خلقِ العالَمينَ، إنّ اللهَ لا يُخلِفُ ميعادًا وعدَنا بِهِ. فقد ظهَرت كلمتُهُ في الوقتِ المُحدَّدِ حينما بَعثَ الرِّسالةَ، وإنّي مكلَّفٌ بِتبليغِها بِأمرِ اللهِ مُنجِّينا، وها إنّي أكتُبُ إلى تيتُوسَ، ابني الحقيقيِّ في الإيمانِ الّذي نشترِكُ فيهِ جميعًا. السّلامُ عليك والرّحمةُ مِن اللهِ أبينا الأحدِ الصَّمَدِ، ومِن سيِّدِنا عيسى المَسيحِ مُنجِّينا.

1: 5ـ9 مهمّة تيتوس في كريت

أمّا بَعدُ، فإنّي تركتُك في جَزيرةِ كِريتَ حتّى تُنهي الإشرافَ على جَماعاتِ المؤمنينَ، فتُقيمَ بينَهم شُيُوخًا يُشرِفونَ عليهِم في كلِّ بلدةٍ كما أوصيتُك. وعلى الشّيخِ أن يكونَ مُنزَّهًا عنِ الشّوائبِ ومَن كانت لهُ زَوجةٌ واحدةٌ وأولادٌ مؤمنونَ، ليسُوا مُتّهَمينَ بِالفِسقِ أوِ العُقوقِ.[1] وعلى الّذين جعلَهُمُ اللهُ مُشرِفينَ على الجماعاتِ[2] أن يكونوا منزَّهينَ عنِ الشّوائبِ، في مَنأى عنِ العِنادِ والغضَبِ والسُّكرِ والعُنفِ، ولا يَسعَونَ إلى الكسبِ الحرامِ أبدًا.

(1) كان المجتمع يَتوقّع من الرّجال في تلك الفترة، وخاصّة المتقدّمين في السنّ، أن يكونوا متزوّجين ولديهم أطفال، لأنّه سيتمّ اختيار قادة الرّعيّة منهم. ومن الضّروري في ذلك الزّمن أن يَحظى قادةُ المناصب العامّة بقدر عال من الاحترام، ومن الأفضل أن يكون لديهم عائلاتٌ. وأن يكون لكلّ واحد منهم «زوجة واحدة»، وهذا يعني على الأرجح أنّه مخلصٌ لزوجته.

(2) استخدم المصطلحان: «المشرف» و«الشيخ» للدّلالة على المعنى ذاته في ذلك الوقت.

وعليهِم أن يَكونوا كُرَماءَ مضيافينَ، مُحِبِّينَ لِلخير، عُقلاءَ، صالِحينَ، أتقِياءَ، ذوي عِفّةٍ، وأن يتمسَّكوا برسالةِ الحقِّ الّتي ندعو إليها، وبِذلك يتمكّنونَ مِن الوعظِ والدّعوَةِ إلى التّعاليمِ الصّحيحةِ، وإفحامِ المُعارِضِينَ.

1: 10ـ16

نعم، لا بُدَّ أن تُقيمَ شيوخًا مُتّقينَ على المؤمنينَ، إذ يوجدُ كثيرٌ مِن الشُّيوخِ المُتمرِّدينَ على وَحيِ اللهِ الّذين يَخدَعونَ النّاسَ بِتافِهِ الأقاويلِ، وخاصّةً مِنهُمُ الّذين يَعملونَ على تَهويدِهِم. فلا بُدّ مِن إفحامِ هؤُلاءِ المُتمرّدينَ، لأنّهُم يُفسِدونَ إيمانَ عائِلاتٍ بأكمَلِها بِتعليمِهِم أُمُورًا باطِلةً، وما ذَلِك إلاّ سَعيٌ إلى المالِ الحرامِ،[1] وقد قال أحدُ أهلِ كِريتَ، الّذي يُعتبر نبِيًّا خاصًّا بِهِم: «إنّ أهلَ كريتَ دائِمًا كذّابونَ، وُحوشٌ لا يرحَمونَ، كسالى شرِهونَ».[2] وإنّ هذا القولَ حقٌّ فعاتِبْهم بِشِدّةٍ لِكي يكونَ إيمانُهم سَليمًا، فلا يُبالوا بِالخُرافاتِ اليهوديّةِ، ولا بِما فَرَضَهُ عليهُم المُرتَدّونَ عنِ الحقِّ.[3] إنّ كلَّ شيءٍ طاهِرٌ في نظرِ الطّاهِرينَ، أمّا الّذين يترُكونَ إيمانَهم بسيِّدِنا (سلامُهُ علينا)، فلا شَيءَ في نظرِهِم طاهِرٌ، فقد تنجَّسَت مَشاعِرُهم وضَمائِرُهم بِمُعتقداتِهم الباطِلةِ. ويَدَّعونَ أنّهُم عارِفونَ بِاللهِ، لكِنّهُم بِأفعالِهِم يكفُرونَ بِهِ، وهُمُ مَكروهونَ عُصاةٌ، لا يصلُحونَ لأيِّ عملٍ صالِحٍ.

---

(1) يمكن أن تكون عبارة «أمور باطلة»، إشارة إلى المضلّلين الذين يُصِرّون على ضرورة ختان غير اليهود وتهويدهم كجزء من إيمانهم بالسيّد المسيح. وقد تناول بولس وتيتوس هذه التّعاليمَ المضلّلة عند اجتماعهم مع القادة والحواريّين في القدس (انظر رسالة غلاطية 2: 1 – 10). ويبدو أنّ بعض المؤمنين حاولوا كسب المال مدّعين امتلاكَهم لرسالة الحقّ دون غيرهم (انظر رسالة تيموتاوي الأولى 6: 5). وحاول بعض الدّعاة تضليلَ النّساء لجعلهن يؤثّرن على عائلاتهنّ وبهذه الطّريقة يتمكّنون من السّيطرة على النّاس جميعا (انظر تيموتاوي الثّانية 3: 6، 7).

(2) يَقتبس بولس هنا من قصيدة لشاعر من جزيرة كريت له شأنٌ عظيم بين سكّان هذه الجزيرة. وهو ايبمَينديس، الذي عاش في القرنَ السّادس قبل الميلاد. وكانوا يعتبرونه نبيّا، وتَحقّقتْ بعضُ تنبؤاته كما شاع عنه.

(3) إنّ هذه الخرافات اليهودية تتضمّن قصصا موسّعة، أو تفاسير للقصص الواردة في كتابات الأنبياء الأوّلين. ويُشير بولس إلى الترتيبات والتفاسير التي طوّرها اليهودُ لوضعِ التطبيقات المفصّلة للأحكام في التّوراة وفي غيرها من كتب الأنبياء، وقد اعتبرها بولس خالية من القيمة.

الفصل الثّاني

2: 1-10 التّعاليم السّليمة

أمّا أنت، يا بُنيّ تِيتوسَ، فعلِّم المؤمنينَ في الجماعاتِ السُّلوكَ الّذي يتّفِقُ مع الإرشادِ السَّليم:[1] علِّمْ كِبارَ السِّنِ مِنهم أن يتحلَّوْا بالاستِقامةِ والوَقارِ والرَّصانةِ، وأن يَثبُتوا في الإيمانِ والمَحبَّةِ والصَّبرِ. وعلِّم العَجائزَ أن يتصرَّفنَ كما يَليقُ بنساءٍ تقيّاتٍ، وأن يبتعِدنَ عن النّميمةِ، ولا يُدمِنَّ الخمرَ، إنّما عليهنّ أن يكُنّ مُرشِداتٍ إلى الصّلاحِ، وعليهِنّ أن يُعلِّمن الزَّوجاتِ الشّابّاتِ حُبَّ أزواجِهنّ وأولادِهنّ، فيكُنّ بذلك عاقِلاتٍ عفيفاتٍ، يُحسِنّ العِنايةَ ببيوتِهنّ، ويحترِمنَ مَكانةَ أزواجِهنّ، حتّى لا يَستهينَ أحدٌ بِرسالةِ اللهِ.

وأرشِدِ الشُّبّان أيضًا ليكونوا عُقلاءَ. وعليك أن تكون أُسْوَةً لهُم في كُلِّ الأعمالِ الصّالِحةِ، وكُن رَصينًا، نَزيهًا في تَعليمِك، واجعل كلامَك خاليًا مِن كلِّ عيبٍ، فيَخْزَى خُصومُنا لأنّهم لا يَجِدونَ أمرًا سيِّئًا يَنسبونَهُ إلينا.

وأرشِدِ العَبيدَ مِن المؤمنين، كي يَحترِموا مَكانةَ سادتِهم، ويَسعَوْا إلى إرضائِهم دائمًا دون مُجادلة، فلا يَسرِقوا مِنهُم شيئًا، بل عليهُم أن يُظهِروا وفاءَهُم التّامّ. وبِهذا يَرفعُونَ في كُلِّ ما يأتونَهُ مِن أعمالٍ جَمالَ تعاليمِ اللهِ مُنجِّينا.

2: 11-15

هكذا علينا أن نعِيشَ في طاعةِ اللهِ الّذي أظهَرَ فَضلَهُ وبِهِ تكونُ نَجاةُ النّاسِ جميعًا. لقد أرشَدَنا اللهُ إلى ضَرورَةِ رَفضِ فَسادِ هذه الدُّنيا وأهوائِها، وإلى العيشِ في عِفّةٍ وصلاحٍ وتَقوى في هذه الدُّنيا فيما نَنتظِرُ بِكلِّ يقينٍ حُلولَ اليومِ السَّعيدِ، وفيهِ يَتجلّى

(1) كان الرّومان شديدي الحذر من الأديان الوافدة من الشرق لأنّها تدعو إلى تدمير الأخلاق والقيَم الأسريّة. وبما أنّ الدّعاة المضلّلين كانوا يسعون إلى هذه الغاية، وخاصّة إلى زعزعة النّظامَ الأسري، فقد كتب بولس ما يلي مبيّنا الأحكامَ الأسَريّة للمؤمنين، لكي لا تَلحقهم الشّبهاتُ أو الانتقادات. وبما أنّ العديد من هذه العائلات كانت تملك عبيدا، فقد كان من الضّروري أن يتعلّم كلاهما كيفيّة التّعامل مع الآخر.

سيِّدُنا عيسى المَسيحُ، ألا وهو هَيبةُ إلهنا العظِيم ومُنجِّينا.[1] لقد فدانا بنفسِهِ فأنقذَنا مِن كُلِّ عملٍ أثيمٍ،[2] وطهَّرنا وجعلَنا مِمَّن خَصَّهم لذاتِهِ، مُتحمِّسينَ لِعملِ الخيرِ.

فعلِّم المؤمنينَ هذه الأخلاقَ وشُدَّ عزمَهم. وبما أنّك تتمتَّعُ بِالحقِّ في مُعاتبتِهم، فلا تدَعْ أحدًا مِنهُم يستَهِينُ بك.

الفصل الثّالث

3: 1-11 سلوك المؤمن

ذكِّرِ المؤمنينَ أن يَحترِموا مَكانةَ الحُكّامِ وأصحابِ السُّلطةِ، وأن يُطيعوهم ويستَعِدُّوا دائِمًا لِلأعمالِ الصّالِحةِ، فلا يفترونَ على أحدٍ، ولا يتقاتلونَ، بل عليهِم أن يكونوا لُطفاءَ، ويُعامِلوا النّاسَ جميعًا بكلِّ احترام.

نحنُ أيضًا كُنّا جَهلَةً فيما مَضى، عُصاةً غيرَ مُهتدينَ، تستعبدُنا الشّهواتُ والأهواءُ، راكنِينَ لِلخُبثِ والحَسَدِ، وكُنّا نكرَهُ النّاسَ وهُم بِدورِهِم كانوا يكرَهوننا.

فلمّا أظهرَ اللهُ مُنجّينا أنّهُ لطيفٌ بِالنّاسِ بِمَحبّتِهِ،

نجّانا، لا بِفضلِ عملٍ عمِلناهُ لِمَرضاتِهِ، بل بِفَضلِ رَحمتِهِ.

فطهّرَنا مِن إثمِنا العَظيمِ، وجدَّدَ بِرُوحِهِ تَقدّس وتَعالى كيانَنا القَديمَ.

وأفاضَ الرُّوحُ علينا الفَيضَ العمِيمَ، لأنّنا آمَنّا بسيِّدِنا عيسى المَسيحِ مُنقذِنا الكريمِ.

فقد رَضيَ عنّا بِفَضلِهِ، وجعلنا وارِثينَ لِكُلِّ ما تعهّد بِهِ مِن وُعودٍ، مُتمتّعين بيقينِ دارِ الخُلودِ.[3]

إنّ هذا قولٌ صادِقٌ أمينٌ. وأُريدُ مِنك أن تُصِرّ عليهِ حتّى يَجتهِدَ المؤمنونَ باللهِ في فعلِ الصّالِحاتِ. إنّ في هذا خيرًا ونفعًا لِلعالَمين.

---

(1) يمكن أن نترجم هذه الكلمات بطريقة أخرى مثل: «تجلّي هيبة إلهنا العظيم ومُنَجّينا عيسى المسيح».

(2) يستعمل بولس هنا فكرة الافتداء، وقد تمّ استعمالُها في التّوراة للإشارة إلى بني يعقوب عند تحريرهم من العبوديّة في مصر. ويطبّق بولس هذه الفكرة على أتباع السيّد المسيح، سواء كانوا يهودا أم غير يهود.

(3) اعتبر بعض الباحثين أنّ الآيات من 4 إلى 7 شعر.

تجنّب سُخفَ المُجادلينَ، والنّظرَ في أنسابِ الآباءِ، والخِصامَ والنِّزاعَ بِشأنِ عاداتِ اليهُودِ وقوانينِهم. إنّ هذا كُلّهُ ضارٌّ ولا نفعٌ فيهِ. وكُلُّ مُثيرٍ لِلنِّزاعاتِ بين المؤمنينَ، فحذِّرهُ مَرّة أولى ومرّة ثانية فإذا لم يتّبعْ النّصيحةَ، قاطِعْهُ. إنّك تعلمُ أنّ كلَّ مَن يسلُكُ سُلوكَهُ يُضِلُّ ويُخطِئُ فيفتحُ بِذلِك بابَ العِقابِ على نَفسِهِ.

3: 12ـ15 تعليمات أخيرة

سأرسِلُ إليك الأخَ أرتيمَ أوِ الأخَ طِيخِي، وحالَ وصولِه اُبذُل ما في وُسعِك للَّحاقِ بي في مَدينةِ نُقوبلُسَ، حيثُ قرّرتُ أن أقضيَ فصلَ الشِّتاءِ. وابذُل كلَّ جُهدِك لِتُساعِدَ المُحامي زينَ وشَمسي اللّذيْن يستعدّان لِلسّفرِ، وقدِّمْ إليهما كُلَّ ما يَحتاجانه. ويَجِبُ على إخوانِنا أن يتعلَّمُوا أن يَجتَهِدوا في فعلِ الخيرِ لِتلبيةِ احتياجاتِ الآخرينَ، فلا يَكونوا عَديمي الفائدةِ. يُسلِّمُ عليك كُلُّ مَن معي. سلِّمْ على أحِبّائي المؤمنين. وليَكُن فَضلُ اللهِ عليكم أجمعينَ.

مدخل إلى رسالة الحَواري بولس إلى فِليمون

عاش فليمون مع عائلته على الأغلب، في مدينة كولوسي الواقعة في منطقة فريجيّة. وكان غنيّا يملك عبيدا كمعظم الأغنياء، ويستضيف لقاءات أتباع السيّد المسيح في منزله الواسع بدافع إيمانه بسيّدنا المسيح (سلامه علينا).

كتب الحواري بولس هذه الرّسالة نيابةً عن نافع (في اليونانيّة Onesimus)، وهو عبد رقيق هرب من بيت سيّده فليمون، ومن المرجَّح أنّ نافعا كان قد سرق بعض الأغراض من فليمون قبل هروبه. وكانت عقوبة العبد الهارب الموت حسب القانون الرّوماني. ولكنّ نافعا أصبح تابعا لسيّدنا المسيح (سلامه علينا) عن طريق بولس، وصديقا ومساعدا ذا قيمةٍ. وكان نافع ينوي العودة إلى فليمون، فكتب بولس هذه الرّسالة ليخبره أنّه سيُعيده إليه ويتوجّب على فليمون أن يرحّب بعودته كأخٍ في الإيمان، ولمّح إلى فليمون أن يعتقه من العبوديّة.

تتقارب كلّ من رسالة الحواري بولس إلى فليمون ورسالته إلى أحباب الله في كولوسي بشكل كبير، فقد تمّت كتابتهما في المكان نفسه، وتمّ توجيههما إلى الجماعة نفسها من المؤمنين وحَمَلهما طيخي، الشّخص نفسه، إلى كولوسي (أنظر رسالة كولوسي 4: 8-9). والتحيّة في الرّسالتين تتكرّر تقريبا، وكلتاهما تشير إلى وضع بولس المتعلّق بإقامته الجبرية في منزله، ومن المرجّح أيضا أنّه كتب رسالته إلى أفاسوس تزامنا مع كتابته لهاتين الرّسالتين. فمن الأفضل إذن قراءة المدخل إلى رسالة كولوسي والمدخل إلى رسالة أفاسوس بالتّوازي مع مدخل هذه الرّسالة.

ويبدو أنّ نافعا قد غادر روما صحبة طيخي حاملاً الرسائل الثلاث: رسالة إلى فليمون، ورسالة إلى أفاسوس ورسالة إلى كولوسي.

ومن المرجّح أنّ بولس قد كتب هذه الرّسائل بين سنتي 60 و61 للميلاد، أي في الفترة التي خضع فيها للإقامة الجبريّة في منزله في روما (انظر سيرة الحواريّين 28: 16 – 21). ويعتقد بعض الباحثين أنّها كُتِبَت قبل تلك الفترة عندما كان محبوسا في

أفاسوس أو في مكان آخر. وتنصّ هذه الرّسالة على كيفيّة تطبيق المؤمنين الأوائل لتعليمات سيدنا عيسى (سلامه علينا) في الحالات الشّخصيّة. وعند قراءتها مرفوقةً بالتعليمات الموجّهة للسّادة والعبيد في كولوسي (3: 22 – 4: 1)، تظهر بشكل جليّ طريقة تعامل أتباع السيّد المسيح مع مؤسسة العبوديّة. فبولس مثلا لم يتحدّث عن إلغاء العبوديّة لأنّ إلغاءها في ذلك الزّمن غير معقول. وفي المقابل يظهر مبدأ مساواة المؤمنين بوضوح: "كلُّكُم عندَ اللهِ سَوَاءٌ، لا فَرقَ بين يَهُودِ وغُرَبَاءَ، وعَبِيدٍ وأحرار، ورجالِ ونساءِ، فكُلُّكُم واحدٌ بِاعتِصامِكُم بِالسيّد المَسيحِ" (انظر رسالة غلاطية 3: 28).

بسم الله تبارك وتعالى

رسالة الحَواريّ بولس إلى فِليمُونَ

1: 1–3 تحيّة

هذه الرِّسالةُ مِن بولُس السَّجينِ في سَبيلِ سيِّدِنا عيسى المَسيح، ومِن الأخِ تيموتاوي، مُوجّهةٌ إليكَ يا حَبيبَنا ورَفيقَنا في عملِ اللهِ فِليمون، وإلى الأُختِ عافيةَ، وإلى أرْشِـيبي رَفيقِنا الّذي يُجاهدُ مَعنا في سَبيلِ اللهِ، وإلى جماعةِ المؤمنين الّذين يجتمعونَ في دارِكم.(1) السّلامُ عليكم والرَّحمةُ مِن اللهِ أبينا الأحدِ الصَّمَدِ، وسيّدِنا عيسى المَسيح (سلامُهُ علينا).(2)

1: 4–7 شكر ودعاء

أمّا بَعدُ، كلّما ذكرتُك في الدُّعاءِ، شكرتُ اللهَ على الأنباءِ الّتي تصِلُني عن إيمانِك بسيّدِنا عيسى، وعلى ما تكُنُّهُ مِن مَحبّةٍ لِجميع عبادِ اللهِ الصّالحينَ. أيُّها الأخُ الكريمُ لقد أعطيتَ بسَخاءٍ للآخرِينَ بسببِ إيمانِك،(3) فأنا أسألُ اللهَ أنّ سَخاءَك هذا سيجعلُك قادرًا على فهمِ كلِّ ما نَستطيعُ فِعلَهُ مِن خيرٍ في سَبيلِ سيِّدِنا المَسيح. يا أخي، لقد أفرحتَني وشجّعتَني في الإيمانِ، لأنّك شَرحتَ صُدورَ إخوانِك مِن عِبادِ اللهِ الصّالحينَ.(4)

---

(1) شاع في القديم التقاءُ أفراد المجموعات الدّينيّة في بيوت الأغنياء الذين دعّموها بهذه الطّريقة وحظي هؤلاء الأغنياء بمكانة محترمة عند هذه المجموعات.

(2) يعتقد بعض المفسّرين أنّ عافية زوجة فليمون وأرشيبي ابنه.

(3) تترجم كلمة koinonia هنا على أنّها "سخاء" وقد تمّ استخدامها غالبا لوصف الشّراكة في العمل أو الاشتراك في ممتلكات، وكان فليمون يدعم جماعات المؤمنين الذين يلتقون في بيته، ولهذا مدحه بولس لكرمه.

(4) اعتبر الرّومان والإغريق كرمِ الضيافة أمرا مُهمّا جدّا، في حين كان اليهود يقدّرونها كثيرا. وشاع عند أغنياء النّاس دعوةُ الأقلّ منهم غِنًى للعشاء في بيوتهم، وهذا ما قامت به الجماعات الدّينيّة أحيانا. والتزم أتباع السيّد المسيح هذا العُرفَ، فاستضاف فليمون وغيره من المؤمنين لقاءات إخوانهم وأعّدوا لهم العشاء في بيوتهم.

1: 8ـ16 رجاء بولس من أجل الخادم نافع

لذلك سأتجرّأُ وأسألُك مَعروفًا، مع أنّي أملِكُ الحقَّ مِن سيّدِنا عيسى أن أُكلِّفَك ذلك تكليفًا،[1] غيرَ أنّ ما بيننا مِن مَحبّةٍ يجعلُني أُناشدُك. أنا بولُسُ الشّيخُ المُسنّ، المُعتقلُ الآن في سَبيلِ سيّدِنا عيسى المَسيح، أرجو مِنك أن تُسامحَ عبدَك المُشرَّدَ نافعًا، الّذي أصبح بِمَثابةِ ابنٍ لي لأنّهُ على يَديّ اهتدى إلى الإيمانِ بسيّدِنا (سلامُهُ علينا) وأنا هنا مُقيّدٌ في السّجنِ.[2] وكان فيما مَضى غيرَ نافعٍ لك، أمّا الآن فهُو نافعٌ لكلَيْنا على حدٍّ سواء.

إنّي إذ أُرسِلُهُ إليك فكأنّما أُرسلُ قلبي وفؤادي، وكم كنتُ أرغبُ في بقائِهِ معي ليخدِمَني نيابةً عنك وأنا مَسجونٌ في سَبيلِ رِسالةِ السّيّدِ المَسيح. ولكنّي لم أرغب أن أتصرّف دونَ رِضاك حتّى يَكون الإحسانُ مِنك طوعًا، لا كَرهًا.

ولرُبّما ابتعدَ نافعٌ عنك قليلاً، ليَعودَ إليك عوْدًا أبديًّا، ومِن هُنا فصاعِدًا لن يَعودَ إليك عبدًا ذليلاً، بل أخًا حَبيبًا عَزيزًا بِالإيمانِ. فهُو مِن الآن عَزيزٌ عليّ، وأرجو أن يكونَ عزيزًا عليك تَحديدًا، فهُو مِن جهةٍ يَنتمي إلى أهلِ بيتِك، ومن جِهةٍ أُخرى مؤمنٌ مِثلُك بسيّدِنا (سلامُهُ علينا).

1: 17ـ22

فإذا كنتَ تراني رَفيقًا لك في الإيمانِ، فرحّبْ به كما تُرحّبُ بي. وإن كنتَ قد لقيتَ مِنهُ أذى، أو كان مَديونًا لك، فإنّي بذلك كَفيلٌ، وإنّي أكتبُ لك الآن بِخطِّ يدي ضمانًا موقّعًا مني: أنا بولُس الحَواريّ أَعِدُ بتَسديدِ الدّيْنِ، ولا داعي لتذكيرِك أنّك مَدينٌ لي بِحياتِك نفسِها، لأنّك فُزتَ بالنّجاةِ على يدي.[3] لهذا، أخي الحَبيب، قدِّمْ لي هذا

(1) رغم أنّ فليمون كان ثريًّا ومكانته رفيعة في المجتمع، فقد أعلن بولس أنّه أرفع مكانةً منه بل أنّه مشرف عليه، وهذا ما وافقه عليه فليمون، خلافا لما هو متداول بين الأغنياء الذين قاموا برعاية الفلاسفة والحكماء شرطَ أن يكونوا معلّمين لهم.

(2) اعتبر بولس نافعاً ابنا له اقتداءً بمنوال غيره من معلّمي الدين في عصره، وبذلك يلمّح لفليمون أنّه يوجد تناقضٌ بين كونه تابعا لبولس من جهة، وبين احتفاظه بنافع كعبد من جهة أخرى. ومن البديهي في هذا المجتمع أن لا شخص يستطيع أن يُبقِيَ ابنَ مُشرفه عبدا عنده.

(3) كان بولس على الأرجح يُملي هذه الرّسالة على ناسخ، ولكنّه على ما يبدو كتَبَ بعض الجمل في هذه الفقرة. وهنا يستعمل كلمات ليتحمّل مسؤولية الدَّين على عاتقه، حيث وقّع الورقة بخطّ

المَعروفَ مِن أجلِ سيّدِنا المَسيح، واشرحْ صَدري مِن أجلِهِ (سلامُهُ علينا). وإنِّي على يَقينٍ حين أكتبُ إليك أنّك ستجتهِدُ أكثرَ مِمّا طُلِبَ مِنك.[1]

وإضافةً إلى هذا، هيِّئ لي مكانًا أُقيمُ فيهِ، لأنِّي أرجو أن يَستجيبَ اللهُ لدعائِكم فيرُدّني إليكم بَعد حينٍ.

1: 23ـ25 تحيّات ختاميّة

ويُبلّغك زُهري السّلامَ، وهو مُعتقلٌ معي في سَبيلِ سيّدِنا عيسى المَسيح.[2] ويسلّمُ عليك أيضًا مَرقُسُ وأرِسْتُرْكي وديماسُ ولوقا، رِفاقي في الدَّعوةِ. فلْيكُنْ فَضلُ سيّدِنا عيسى المَسيح معكم أجمَعينَ.

يده وفيها وعد بسدّ الدّين، متّبعا في ذلك أسلوب الأوراق الرّسمية الموقّعة.

(1) قصد بولس من خلال العبارات: «اجتهد أكثر ممّا طُلب منك» أن يلمّح لفليمون بضرورة تحرير نافع من العبوديّة.

(2) كان زُهري صديق بولس ورفيقه في الدعوة، فهو الذي بلّغَ رسالة سيدنا عيسى لأهل كولوسي، ومن الأرجح أنّه كان من تلك المدينة (انظر رسالة كولوسي، 4: 12). وأمضى وقتا بصحبة بولس خلال إقامته الجبرية في منزله، كما ذُكر هنا. ويعني اسمه في اللغة اليونانية «الناذر نفسه لإلهة الحب أفروديت» والمعروفة أيضاً بـ «ڤينوس»، ولكنّنا ترجمنا معنى اسمه إلى «زهري». ولا علاقة له بالشخص المسمّى «زهرائي» المذكور في رسالة بولس إلى المؤمنين في فيليبي.

مدخل إلى الرّسالة إلى أتباع المسيح العبرانيين

إنّ كاتب الرسالة إلى أتباع المسيح العبرانيين مجهولُ الهويّة، وقد رَجّحَ العلماءُ أسماءً لبعض الأشخاص الذين ربّما يكون أحدهم قد كتب هذه الرسالة مثل بولس، ولوقا، وشمسي وغيرهم. ولكن لم يتوصّل أحدهم إلى تحديد هويّة الكاتب الحقيقي. ويبدو جَليّا أنّ كاتب هذه الرسالة له اطلاع واسع على التوراة وكتب الأنبياء الأخرى، وله معرفة وطيدة بالناس الذين يتوجّه إليهم بالخطاب في الرسالة، وهو متمرّس على الكتابة باللغة اليونانية، وصديق لتيموتاوي (13: 23).

واستخدم الكاتب في كتابة هذه الرسالة أسلوبا يونانيا راقيا، كما وظّف الأدوات البلاغية المألوفة في الثقافتين الإغريقية والرومانية. ورغم أنّ هذه الرسالةَ قد صُنّفت من جنس الرسائل، إلاّ أنّها تَفتقِد المقدّمة المألوفة في الرسائل، ولا تتضمّنُ اسم كاتبها. وربّما كانت هذه الرسالةُ أقربَ إلى الخطاب المحبوك بعناية، أو موعظة وضعت لجماعة معيّنة من المؤمنين، كاتبها متعمّق في كتابات الأنبياء القديمة المترجمة إلى اللغة اليونانية، وتَعلّمَ في المؤسسات اليونانية والرومانية آنذاك. لكن أسلوبه اليوناني يختلف تماما عن أسلوب الحواري بولس. إذن، فمن المستبعد أن يكون بولس هو كاتب هذه الرسالة.

وفي هذه الرسالة لا نعرف تحديدا الجمهور الذي يتوجّه إليه الكاتبُ بالخطاب كما أنّ عنوانها "إلى العبرانيين" ليس من وضع الكاتب، بل ربّما يكون ناسخٌ قد وضعه في القرن الثاني للميلاد لِما تحتويه هذه الرسالة من حُجَج تفسيريّة معقّدة مستمدّة من التوراة وكتاب الزبور ومن تقاليدَ يهوديةٍ أخرى تتعلّق بالعبادة. ويبدو من خلال مضمون الرسالة أنّ بعض قرّائها كانوا من اليهود الذين يتكلّمون اليونانية وقد رغبوا في التخلّي عن إيمانهم بالسيد المسيح والعودة إلى شعائرهم اليهودية.

وتشير المعلومات إلى أنّ هذه الرسالة قد كُتبت في الفترة الممتدّة بين سنتي 60 و90 للميلاد، إذ تناول الكاتب قضايا تَهمُّ جيلا ثانيا من المؤمنين عاش ما بين ثلاثين

أو أربعين سنة بعد صعود السيد المسيح إلى السماء. ورأى بعض الدارسين أنّ الرسالة كُتبت في الفترة التي تسبق سنة 70 للميلاد، لأنّ الكاتب أثبت فيها تفوّق السيد المسيح (سلامه علينا) على نظام الأحبار الكهنوتي بما فيه تقديمُ الأضاحي، واستند هؤلاء في قولهم إلى أنّ الرسالة لو كتبت بعد سنة 70 للميلاد لأشارت إلى حادثة تدمير بيت الله وحرمه المقدّس كدليل على أنّ الله تعالى قد نبذ نظام الأحبار. ولكنّ الكاتب لم يُبدِ أيَّ اهتمام ببيت الله في القدس أو بشعائر العبادة اليهودية في حرم البيت في عصره. وبدلا من ذلك ركّز على خيمة العبادة التي أمر الله النبي موسى ببنائها عندما كان فوق جبل سيناء، كما ركّز على شعائر العبادة التي وردت في التوراة في عهد موسى وهارون (عليهما السلام) ويشوع بن نون. كما حاول في هذه الرسالة أن يقارن بين جمهور مخاطبيه الذين قبلوا الميثاق الجديد، وبين اليهود الذين قبلوا الميثاق على جبل سيناء.

وكما هو معلوم، فقد كُتبت هذه الرسالة في زمن كان المؤمنون فيه يتعرّضون لاضطهاد شديد (13: 3) مثلما تعرّضوا للاضطهاد في الماضي (10: 32–34). ورغم أنّهم ظَلّوا لفترة من أتباع السيد المسيح (سلامه علينا) وتلَقّوْا تعاليمه الأساسية (6: 1–2) إلاّ أنّهم لم يأخذوا على عاتقهم القيادة كما يجب (5: 12). إذن، تهدف هذه الرسالة إلى حثّ المؤمنين على الإخلاص بما أنّهم يقاومون الاضطهاد وفتورَ الإيمان في الوقت نفسه.

بسم الله تبارك وتعالى

الرسالة إلى أتباع المسيح العِبرانيّين

الفصل الأوّل

1: 1-3 المسيح حبيب الله

لقد أَوحَى اللهُ فيما مَضَى على ألسِنَةِ أَنبيائِهِ إلى آبائِنا الأَوَّلينَ بِشتَّى الطُّرُقِ وفي مُختلفِ الأزمانِ. أمّا الآن، وفي أواخرِ أيّامِ هذه الدُّنيا، فَقَد أَوحَى إلينا بسيّدِنا عيسَى، الابنِ الرُّوحيِّ له تَعالى،[1] الّذي خَلَقَ به كلَّ شيءٍ، ثُمّ جَعَلَهُ مَن يَرِثُ الكَونَ وما فيه. والابنُ الرُّوحيُّ هو نورُ جَلالِهِ تَعالى، والتَّعبيرُ الصَّدوقُ[2] عن ذاتِهِ، وهو الّذي يَحفظُ كلَّ ما في الكونِ بِقوّةِ كلمتِهِ. صَعِدَ إلى اللهِ، بَعدَ أن طهَّرَ الإنسانَ مِن خَطيئتِهِ، وجلس على يمينِهِ جَلَّ جَلالُهُ في السَّماواتِ العُلى.

1: 4-14 شأن حبيب الله أعلى من شأن الملائكة

وهكذا احتلَّ سيِّدُنا عيسى مَحلاً أَعظمَ مِن مَقامِ الملائكةِ وأَبهى، كما أَنَّ لَقَبُهُ أَعظمُ

(1) إنّ تعبير «الابن الروحي» هنا تعريب للمصطلح الذي يُترجم عادة بكلمة «ابن». ولا علاقة لمعناه مطلقا بعملية الإنجاب المألوفة في لغة الوحي اليونانية، معاذ الله! بل هو لقب مجازيٌّ للملك المختار الذي يجب أن يكون من سلالة النبي داود. إنّ هذا اللّقب يشير إلى نوعيّة العلاقة التي تربط بين الله والسيد المسيح. وعلى هذا الأساس يَمنح المسيحُ أتباعه الحقّ ليكونوا أهل بيت الله. ويعني هذا اللقب أيضا أنّه المسيح المنتظر الذي يحكم المملكة الأبديّة التي وعد الله بها عبادَه الصالحين. وأنّه كلمة الله التي ألقاها إلى مريم العذراء فأصبحت إنسانًا بقوّة روح الله. وحسب الإنجيل، فإنّ كلمة الله هي صفة قائمة في ذاته تعالى. ومن هذا المنطلق يُمكن أن نفهم السلطة التي يتمتّع بها السيّد المسيح (سلامه علينا) بها على بيت الله وهي كسلطة الابن البكر في العائلة.

(2) اعتمدنا مصطلح «التعبير الصّدوق» وهو يقابل مصطلحا في اللغة اليونانية يشير إلى علامة الختم. واعتبر مفكّرون يهود، من باب المجاز، أنّ الله وسَمَ خَلقَه بختمه مثلما تضع الحكومة ختمها على العُمْلة، ولله المثل الأعلى. ويسمِّي هؤلاء الكتّاب غالبا هذا الختم «الحكمة الإلهية».

مِن ألقابِهم وأَرقَى. لأنّنا نَقرأُ في كِتاب الزَّبور عَن سيّدِنا عيسى: «أنت أقرب إليّ مِن الابنِ لأبيه، واليومَ على العَرشِ أجلسناك». ولم يُخاطِب اللهُ أحَدًا مِن الملائكةِ بهذه الطّريقَةِ مُطلقًا. وفي كِتابِ النَّبيِّ صَموئيل نقرأُ قولَ اللهِ عن سيِّدِنا عيسى دونَ غيرِهِ: «أنا أكونُ له في مَقامِ الأبِ وهو يَكونُ في مَقامِ ابني الرُّوحيّ».(1) ولقد جاءَ في التّوراةِ أَنَّ اللهَ رفع أَشرفَ أَحبابِهِ(2) فوقَ العالَمينَ: «علَى الملائكةِ أن يَنحَنُوا أَمامَهُ ساجدينَ». ولقد وُصِفَ الملائكةُ في كتابِ الزَّبورِ بقولِهِ تَعالى: «هُم رُسُلٌ كالرّياح، وخُدّامٌ مِثلُ لهيبِ النّارِ».(3) في حينَ جاءَ عن الابنِ الرُّوحيّ لله: «اللّهُمَّ، قائمٌ هو عَرشُكَ إلى أبدِ الآبدين! أَيُّها المُختارُ، أنتَ حاكِمٌ في مَملكتِكَ المَوعودةِ بصَولَجانِ العَدلِ. عاشِقٌ أنتَ أَيّها المَليكُ للحَقِّ ومُبغِضٌ لِلظُّلم، فيا لَلفرحِ إذ جَعَلَكَ اللهُ رَبُّك مَلِكًا فوقَ كلِّ المُلوكِ!»(4) ونجدُ عنه في كِتابِ الزَّبورِ أيضًا: «يا مَولانا، لقد أَسَّستَ في البَدءِ الأَرضَ، والسَّماواتُ مِن عَمَلِ يَدَيكَ، هي تَفنى بينما أنتَ سَرمَدي، كلُّها تَبلى كما يَبلى الثّوبُ. تَطويها كلَّها كَرِداءٍ، وتُغيِّرُها كالثّوبِ الّذي أصابَه البِلى، أَمّا أَنتَ فتَدومُ ولا تتغيَّرُ أبدًا، وسِنوكَ ليس لها انتِهاءٌ».(5)

ما خاطبَ اللهُ في كتابِ الزَّبور أحدًا مِنَ الملائكةِ كما خاطبَ سيّدَنا عيسى حينَ

---

(1) أُخذت هذه الاقتباسات من المزمور 2: 7 وكتاب النبي صموئيل الثاني 7: 14. ويحتوي كلا النّصين على كلمة «ابن»، وشاع لدى مفسّرين يهود أن يجمعوا بين نصّين يحملان مصطلحا أساسيّا مشتركا، ويشير كلا النّصين إلى أنّ وَعْد الله يتحقّق من خلال رجل من سلالة النبي داود ويكون الملك الأبدي. وقد جاء ذِكرُ هذين النصين معا في مخطوطات البحر الميت كإشارة للمسيح المنتظر. وتُرجم الاقتباس من المزمور الثاني غالبا بـ «اليوم ولدتُك»، وتشير كلمة «ولدتُك» إلى تتويج الملك، وعندما ينطبق هذا المصطلح على المسيح المنتظَر، وهو سيدنا عيسى (سلامه علينا)، فإن ذلك يشير إلى تعظيمه (سلامه علينا) عن طريق انبعاثه من الموت.

(2) يشير مصطلح «أشرف أحبابه» إلى الابن البكر في العائلة ويكون نصيبه من الميراث ضعف ما يناله بقيّةُ أبناء العائلة (انظر التوراة، سفر التثنية 21: 17)، واستعمل اليهود مصطلح «البكر» كناية عن الملك المختار من سلالة النبي داود (عليه السّلام) ليؤكّد أنّه يُكرّم أكثر من غيره، وكان من البديهي أن يعرف القرّاء اليهود أنّ هذا الاقتباس من كتاب الزبور، مزمور 97: 7، وقد يحيل هذا النّص لدى البعض على التقليد اليهودي وفيه يأمر الله ملائكته بتكريم آدم عندما خلَقه.

(3) كتاب الزبور، مزمور 104: 4.

(4) كتاب الزبور، مزمور 45: 6-7.

(5) كتاب الزبور، مزمور 102: 25-27.

أوحى إليهِ: «اجلِس على يَميني، حتّى أقهرَ أعداءَكَ وأجعلَهم تحتَ قدَميكَ صاغِرين».[1] فالملائكةُ إذن ليسوا سِوى خَدَمٍ مُطيعينَ وكائناتٍ غيبيَّةٍ يُرسِلُها اللهُ لِتَخدِمَ الفائزينَ بِالنَّجاة.

الفصل الثّاني

2: 1-4 التّحذير من الضّلال

بما أنّ سيِّدَنا عيسى أَعظمُ مِن الملائكةِ وغيرِهم مِن الرُّسُلِ، فَعَلينا أَن نتمسّكَ بِما سَمِعنا مِن رسالتِهِ حتّى لا نَضِلَّ. فإنّنا نعلمُ أَنَّ اللهَ جعَلَ ملائكتَه رُسُلاً بعثهم برِسالتِهِ إلى النّبيِّ موسى. فأقامَ تعالى تلك الرِّسالةَ شَرعًا لبني إسرائيلَ، وأذاقَ العِقابَ العادلَ كلَّ مَن تَعَدّاها وخالَفَها. فكيف لنا أن نَنجُوَ مِن عِقابِ اللهِ، إذا استَخفَفنا بالرِسالةِ العَظيمةِ الّتي تُنَجّي العالَمينَ، والّتي لم تَنزل بها الملائكةُ بل أنزلها سيِّدُنا (سلامُهُ علينا) مُباشرةً، وأعلَنَها بِنفسِهِ أوّلاً، ثُمّ أَكَّدَها لنا الحَواريّونَ الّذين سمعوها منه. ولقد أقامَ اللهُ على صِحَّةِ الرسالةِ حُجَجَ الإثباتِ، بالآياتِ الّتي أجراها على أيديهم، والعَجائبِ المُختلفةِ والمُعجِزاتِ، وبِما وَزَّعَهُ بِرُوحِهِ كيفما شاءَ مِن الكَراماتِ.

2: 5-13 تواضع السّيّد المسيح وآلامه

وما جعَلَ اللهُ الأيّامَ المُباركةَ المُنتظَرةَ الّتي نتكلَّمُ عَنها تحتَ سُلطانِ المَلائكةِ، بل سيكونَ لِلنّاسِ عليها السُّلطانُ المُبينُ. فَقَد جاءَ في ثَنايا الكِتابِ: «يا رَبّ، ما أهوَنَ البشرَ أمامَكَ! لماذا تنظُرُ إليهم وتُعيرُهُم اهتِمامَكَ؟ لقد جعلتَهُم دونَ الملائكةِ إلى حينٍ، ثُمّ كَلَّلتَهُم بالهَيبةِ وأَحلَلتَهُم مَقامًا كريمًا، وسخّرتَ لهم كلَّ شيءٍ».[2] وما لِهذا مِن مَعنى، إلاّ أَنَّ اللهَ لم يَترك شيئًا إلاّ أَخضعَهُ لسُلطانِ الإنسان. غيرَ أنّنا الآنَ لا نَرى أنَّ كلَّ الأشياءِ تَحتَ سُلطانِهِ.[3] وإنَّما نَرى سيِّدَنا عيسى المَسيحَ الّذي جَعَلَهُ اللهُ إلى حينٍ أدنى مِنَ

(1) كتاب الزبور، مزمور 110: 1.
(2) كتاب الزبور، مزمور 8: 4-6.
(3) خلق الله الإنسان وسخّر له بقيّةَ المخلوقات، وأمَرَه أن يخضع له تعالى وحده، ولكنّ البشر بعصيانهم فقدوا هذا المقام الرفيع.

الملائكةِ، حتّى يُقاسيَ آلامَ المَوتِ ليكونَ فِداءً لِكلِّ البشرِ، رَحمَةً مِن اللهِ تَعالَى. ثُمّ كَلَّلَهُ اللهُ بالهَيبةِ وأَحلّهُ مَقامًا كريمًا إذ ضَحَّى بحياتِه. إنَّ اللهَ مالكُ المُلكِ وهو قادرٌ على خَلقِ كلِّ شيءٍ. وحينَ أرادَ أن يَهديَ أَفواجًا مِن النّاسِ إلى ذلك المَقام الرَّفيع الّذي يَنتظِرُهُ أهلُ بيتِهِ، كانَ مِنَ الأَجدَرِ أن يُقاسي سيِّدُنا عيسى آلامَ المَوتِ مِن أَجلِهِم، فيفتحَ لهم سَبيلَ الفوزِ العظيم. وبهذه الآلام جَعَلَهُ اللهُ خَيرَ قائدٍ وخَيرَ نَصيرٍ. فإنَّ سيِّدَنا المسيحَ مِن أهلِ بَيتِ اللهِ، كما هو شأنُ الّذينَ نَذرَهُم (سلامُهُ علينا) عِبادًا صالِحينَ لله. ولهذا فإنّهُ (سلامُهُ علينا) لَيَدعو المؤمنينَ به إخوَةً وإنّه مُفتخِرٌ بذلك. إذ قال (سلامُهُ علينا) ما جاءَ في كتابِ الزَّبور: «يا الله، سأرفعُ ذِكرَكَ أمامَ إخواني، وأُرتِّلُ الأَناشيدَ وَسَطَ جماعةِ الإيمانِ حَمدًا لك وتَسبيحًا».[1] وقال أَيضًا ما جاءَ في كِتابِ النّبيِّ أَشعيا: «تَوَكَّلتُ على اللهِ...أنا ومَن وَهَبَهُمُ اللهُ لي مِن عيالِهِ».[2]

2: 14ـ18

ولأنَّ عيالَ اللهِ بشرٌ فانُونَ مِن لَحمٍ ودَمٍ، صارَ سيّدُنا عيسى بَشَرًا مِثلَهُم حتّى يموتَ فيَكسِرَ بذلك شوكةَ إبليسَ الّذي استَولَى عَلى القُدرةِ لِيَقودَ النّاسَ إلى الهَلاكِ، وهكذا حرَّرَهُم (سلامُهُ علينا) عندما ضَحّى بحياتِهِ، إذ كانوا طَوالَ حياتِهم في العُبوديّةِ يَهابونَ المَوتَ.[3] وواضِحٌ أنّ سَيِّدَنا عيسى لم يكن نَصيرًا لِلمَلائكةِ بَل كانَ نَصيرًا لآلِ النّبيِّ إبراهيم. لذلك كان لا بُدَّ للسّيّدِ المَسيحِ أن يُصبحَ بَشَرًا شَبيهًا بِكلِّ إخوتِهِ مِن جميعِ النَّواحي، حتّى يكونَ لنا حَبرًا شَفيعًا رَحيمًا أمينًا أمامَ اللهِ، فضَحَّى بنفسه مِن أَجلِ النّاسِ ليمحوَ ذُنوبَهم. وإذ قاسى الآلامَ والابتلاءات، فهو قادرٌ على إعانةِ كلِّ مَن يتعرَّضُ للابتلاءاتِ مِثلَه.

---

(1) كتاب الزبور، مزمور 22:22.

(2) كتاب النبي أشعيا 8: 17–18.

(3) يتمتّع سيدنا عيسى (سلامه علينا) بمكانة عالية مرموقة تفوق مكانة الملائكة، فانضمّ (سلامه علينا) إلى الإنسانيّة حتّى يمثِّلهم عند الله باعتباره آدم الثاني. وترتفع مكانة الإنسان يوم القيامة فوق مكانة الملائكة شأن المكانة التي يحظى بها السيد المسيح الآن.

3: 1-6 السّيّد المسيح أعظم من النّبي موسى

فيا إخوَتي الصّالِحينَ المَنذورينَ، يا مَن استجبتم لِلنِّداءِ السَّماويِّ، تأمَّلوا سيّدَنا عيسى، الَّذي نُبايعُهُ رَسولاً وكَبيرًا للأحبار شفيعًا. إنَّ اللهَ اختارَهُ، فكانَ أَمينًا له تَعالى، مِثلَما كانَ النَّبيُّ موسَى أَمينًا في آلِ بَيتِ اللهِ. لكنَّ سيّدَنا عيسى، أحقُّ بالتَّكريم مِن النَّبيِّ موسى، كما يَحظى مُشيِّدُ البَيتِ بمَديح يفوقُ مَنزلةِ البَيتِ. أليسَ لِكُلِّ بَيتٍ يُبنى بانٍ هو مِنه أَعلى، واللهُ لكلِّ شيءٍ بانٍ. إنَّ الخادمَ الأَمينَ في البَيتِ يَسعَى لِمَرضاةِ مَولاه، وكذلكَ النَّبيُّ موسَى، غَير أَنَّ كلَّ ما قامَ بِهِ هذا العبدُ الصّالِحُ كانَ صورة لِلحَقِّ الَّذي سيتجلّى بَعد ذلك، أَمّا السّيّدُ المَسيحُ، فكانَ يَسعَى في رعايتِهِ لِبَيتِ اللهِ لِمَرضاتِهِ تَعالى، كما يَسعَى الابنُ لإرضاءِ أَبيهِ. وبِما أَنّنا أتباعُ المَسيحِ فإنَّنا ننتمي إلى أهلِ بيتِ اللهِ حَقًّا، إذا تمسَّكنا بِثِقتِنا في اللهِ في هذا العالمِ، وافتَخَرنا بيقينِنا حتَّى المُنتهى.

3: 7-15 التّحذير من رفض رسالة الله

لذلك جاءَ وَحيٌ مِن رُوحِ اللهِ في كتابِ الزَّبورِ يقولُ: «اسمَعوا اليَومَ ما نحنُ قائِلونَ، ولا تكونوا غليظي الرِّقاب كما فعل آباؤُكمُ الأَوَّلونَ، عندما عصَوْني في صَحراءِ سيناءَ، حينَ كانوا يَمتحِنونَ وَفائي بِوُعودي. لَقَد كانوا يروْن مُعجِزاتي مُدَّةَ أَربَعين سنة، ورَغمَ ذلك بالغوا في اختبارِ صَبري. لذلك غَضِبتُ عليهِم، إذ كانت قُلوبُهُم ضالّةً دائِمًا، ويَرفُضونَ نَهجي المُستقيمَ، وأخيرًا غضبتُ عليهم وأَقسَمتُ أنَّهُم لن يَفوزوا بِالسَّكينةِ».[1]

فاحذَروا يا إخوَتي المؤمِنينَ، أن يَكونَ مِنكم ذو قَلبٍ أثيم، يَترِكُ إيمانَه ويَضِلُّ عَنِ اللهِ الحَيِّ القيّوم. ولَقَد ذَكرتُ لكم ما جاءَ في كتابِ الزَّبور: «اسمَعوا اليومَ ما نحن قائلونَ»، فَشُدّوا عَزمَ بَعضِكُم بَعضًا في كُلِّ يوم لِئَلاَّ تَخدعَكُم الآثامُ فتُخطِئوا وتتعنّتوا تُجاه الله. فإذا كنّا كما في البدايةِ مُعتصِمينَ بِحَبلِ اللهِ، وكُنّا على يَقينٍ بإيمانِنا حتّى

(1) كتاب الزبور، مزمور 95: 7-11.

النِّهايةِ، فسَنواصلُ مُشاركتَنا لأَهلِ السَّيّدِ المَسيحِ. إنّنا مِن هؤلاءِ لا شَكَّ، إن لم نكُن ساهينَ عمّا سمعنا مِن كلامِ اللهِ: «اسمَعوا اليَومَ ما نَحنُ قائِلونَ، ولا تكونوا غليظي الرّقاب كما كان آباؤُكمُ الأَوّلونَ، عندما عصوْني في صَحراءِ سيناءَ».

3: 16ـ19

فمَن يكونُ أولئك الّذينَ تمرَّدوا على اللهِ مع أَنّهم سَمِعوا قولَه تعالى؟ إنَّهم شَعبُ بَني يَعقوبَ، أولئكَ الَّذينَ أنقذَهمُ اللهُ مِن ذُلِّ العُبوديّةِ في مِصرَ حين اتّبعوا النَّبي موسى. فصاروا الشَّعبَ المَغضوبَ عليهِ طيلةَ أَربَعينَ سنة، وفيها أَقسَمَ اللهُ أَنَّهم مَحرومونَ مِن السَّكينةِ، بَعدَ أن كانوا مِن عِبادِ اللهِ المُختارينَ، ولكنَّهم أَسرَفوا في ذُنوبِهِم، وتمرَّدوا على اللهِ، فلَم يَفوزوا بِالسَّكينةِ في بِلادِ كَنعانَ، بل سَقَطوا في البَيداءِ وماتوا. إنَّ لنا مِن كُلِّ هذهِ الأَحداثِ عِبرة: لأَنَّهم لَم يثقوا باللهِ، فعَجَزوا عَنِ الفوزِ بِالسَّكينةِ وكانوا جاحِدينَ.

الفصل الرّابع

4: 1ـ13 الرّاحة الموعودة لمن يتوكّل على الله

وَعَدَ اللهُ عِبادَهُ الصّالِحينَ بِالفوزِ بِالسَّكينةِ، وما زالَ هذا الوَعدُ قائمًا، فعَلَينا أَن نَحذرَ ونَنتبهَ حتّى لا نُضَيِّعَ مثلهم فُرصَةَ الفوزِ بها. فقد سَمِعَ البُشرى الإلهيَّةَ آباؤُنا الأَوَّلونَ، كما سمعناها نحن، ولكنَّهم كانوا جاحِدينَ بالرِّسالةِ، فلَم يَستفيدوا مِنها ولم يَفوزوا بالنّجاةِ. أَمّا نحن فصَدَّقنا رِسالةَ اللهِ، ولذلك سَنَفوزُ بالسَّكينةِ والنَّعيم. إذ جاءَ في الزَّبورِ عَن الَّذين رَفَضوا رِسالةَ اللهِ: «وأخيرًا غضبتُ وأَقسَمتُ أنّهم لن يَفوزوا بِالسَّكينةِ». ولقد قالَ اللهُ هذا رَغمَ أَنَّه أَعَدَّها بَعدَ أن خَلَقَ العالَمينَ، إذ جاءَ الوَحيُ في ثَنايا الكِتاب: «وسَكَنَ اللهُ في اليومِ السّابعِ عن عَمَلِ الخَلقِ كلِّه».[1] أي، إنّهُ أوجدَ الرَّاحَةَ والسَّكينةَ. ثُمّ أَكَّدَ قائلاً: «لن يَفوزوا بِالسَّكينةِ».

فآباؤُنا الأَقدَمونَ سَمِعوا البُشرى الإلهيّةَ زَمنَ النَّبي موسَى، ولكنَّهم مُنِعوا بِسببِ

---

(1) التوراة، سفر التكوين 2:2.

عِصيانِهم مِن الفوزِ بِالسَّكينةِ. وكما ترونَ الآن، فإنّ السَّكينةَ في انتظارِ مَن يَدخُلُها. وقد حَدَّدَ اللهُ يَومًا لِلفوزِ بها، وإنّه ليومُنا هذا! وأخبَرَنا هذا بعدَ زمنِ عِصيانِ جيلِ النَّبيِّ موسى بِمِئاتِ السِّنينَ على لِسانِ النّبيّ داوُدَ[1] إذ قال في الزَّبورِ: «اسمَعوا اليومَ ما نحنُ قائِلونَ، ولا تكونوا غليظي الرّقاب كما كان آباؤُكم الأَوَّلونَ».

فتحَ يَشوعُ بنُ نونَ بلادَ كَنعان لِشَعبِ بَني يَعقوبَ، ولكنَّهم لَم يَفوزوا بِالسَّكينةِ في زمانِهِ، فحَدَّدَ اللهُ للنَّبيِّ داوُدَ زَمانًا لِلفَوزِ بِها غيرَ ذلكَ الزَّمانِ، ولهذا السَّببِ، فإنّ وَعْدَ اللهِ لعبادِهِ بِالسَّكينةِ ما يزالُ قائمًا، وهو راحَةٌ مِثلَ راحةِ اليَوم السّابعِ، فمَن يفوزُ بِالسَّكينةِ يتوقّف عن أعمالِهِ في هذه الدُّنيا، كما توقَّفَ اللهُ عن أَعمالِ خَلقِ الكونِ، فلْنَجتهدْ جَميعًا للفوزِ بها، فإنَّنا إن عَصَينا اللهَ مِثلَ بَني يَعقوبَ قديمًا، فَسنكونَ مِنَ الهالِكين.

فانتبِهوا لِرِسالةِ اللهِ. إنّها حَيَويةٌ فعّالةٌ، أَشَدُّ حِدَّةً مِن كلِّ سيفٍ صَقيلٍ ذي حَدَّينِ، فهي تخترِقُ الأَعماقَ، ما بين النّفسِ والرّوحِ، والمَفاصلِ والنِّخاعِ، تُمَحِّصُ نياتِ القلبِ والأفكارِ. فلا شيءَ مَخلوقٌ يَخفى على اللهِ. بل كلُّ شَيءٍ في الكَونِ أمامَه عارٍ مَكشوفٌ، وأمامه سنتعرّضُ لِلحِسابِ.

4: 14–16 حبيب الله خير شفيع

وبما أَنَّ سيّدَنا عيسى، الابنَ الرُّوحيَّ لله إمامُنا الأكبرُ الّذي عَرَجَ إلى السَّماءِ حتّى يَشفعَ لنا، فعَلَينا أن نَثبتَ على الإيمانِ الّذي نُعلِنُهُ رَغمَ أنّنا ضُعفاءُ، فهو علينا شَفيقٌ رَؤوفٌ، حَيثُ تعرَّضَ مِثلَنا لأنواعِ المِحَنِ كلِّها، إلاّ أَنّهُ مَعصومٌ مِن كلِّ الأَخطاءِ. فلنتقَرَّب إلى عَرشِ الرَّحمنِ بِالدُّعاءِ، بِكلِّ ثِقةٍ وثَباتٍ، فيَرحَمَنا ويَغمُرَنا بِفضلِهِ عِندَ الحاجَةِ.[2]

---

(1) لقد فهم النّاس في زمن النبي موسى (عليه السّلام) أنّ الكلمة الأصلية «الرّاحة» أو «السّكينة»، تشير إلى السّكن بأرض كنعان، وهذا ما لم يتمكّنوا من تحقيقه بشكل كامل، ولا سَلَفُهم ولا حتّى النبيّ داود (عليه السّلام). وكان الرومان يتحكّمون بأرض فلسطين زمن سيدنا عيسى (سلامه علينا)، فاعتقد اليهود أنّ ترميم مملكة داود وميعاد السّكينة المُنتظر سيحلّ في الأيام الأخيرة للعالم فقط.

(2) تحدّث الأنبياء الأوّلون عن صندوق الميثاق المقدّس كرمز لعرش الله، وتجلّيه تعالى. وكان للصندوق غطاء وعليه رسم لصورتي ملاكَيْن. ويرمز المشهدُ إلى عرش ملوكي يتكوّن من أشكال

5: 1-10 السّيّد المسيح أعظم من هارون وغيره من الأحبار

إنَّ كُلَّ رَئيسٍ للأَحبارِ إنّما هو رَجلٌ تَمَّ تَعيينُهُ مِن بينِ البَشَرِ إمامًا ينوبُ عنهم عندَ اللهِ العظيم، فيَرفَعُ للهِ الأَضاحي والقَرابينَ لِلتّكفيرِ عنِ الخَطايا. وهو مُعرَّضٌ مِثلُهم لِلضَّعفِ البَشَري، فقد يَعطِفُ على النّاسِ الغافلينَ الضّالّينَ. لذا عليه أن يُقدِّمَ القَرابينَ، تكفيرًا عمّا اقترفَهُ مِنَ ذُنوبٍ، وبَعدَ ذلك يُكفِّرُ عَن خطايا الأنام. ولم يكن لأحدٍ أن يتّخذَ لنفسِهِ هذه المكانةَ الشَّريفةَ مِن تِلقاءِ نَفسِهِ، بَل كانَ اللهُ هو الّذي يَختارُ مَن يُريدُ لهذه المكانةِ، كما اختارَ سيِّدَنا هارونَ كبيرًا للأَحبارِ.

وكذلك السيّدُ المَسيحُ لم يَرفَع نَفسَهُ ليكونَ كبيرَ الأحبارِ، بَلِ اللهُ هو الّذي اختارَهُ لذلك، إذ قالَ في الزَّبورِ: «أنت أقرب إليّ مِن الابنِ لأبيه، واليومَ على العَرشِ أجلسناك».[1] وقالَ عنه في المَزاميرِ أيضًا: «إنَّك أنتَ حَبرٌ إلى الأَبَدِ، على نظامِ المَلِكِ صادِقٍ».[2]

= لكائنات ذات أجنحة على مثال عروش ملوك الشرق الأدنى القديم. وصوّر النّاس آلهتهم كملوك متوّجَة على العرش. وبما أنّ صندوق الميثاق يرمز لتجلّي الله، فلم يُسمَح لليهود بالاقتراب منه. وكان محفوظا في المحراب الأقدس في بيت الله، بل إنّ كبير الأحبار لم يكن باستطاعته الاقترابُ منه إلا مرّة واحدة في السنة. أمّا الآن فإنّ السيد المسيح يرمز إلى حقيقة تؤكّد تجلّي الله بين الناس بدل صندوق الميثاق، ومع أنّه لم يُسمح للناس في ذلك الحين بالاقتراب من الصندوق، إلاّ أنّ البشر اليوم يمكنهم التقرّبُ من الله عن طريق السيد المسيح (سلامه علينا).

(1) كتاب الزبور، مزمور 2: 7.

(2) كان الملك صادق ملكا ورجلَ دين معاصرا للنبي إبراهيم (انظر التوراة، سفر التكوين 14: 17 ومزمور 104: 4). يقارنُ الكاتبُ بين السيد المسيح والملك صادق من خلال اقتباسه من المقطع الأخير من مزمور 110: 4. وهذه المقارنة تعني أنّ السيد المسيح رجل دين وملك في آن، وهذا يختلف عمّا أوردته المجموعة التي ألّفت مخطوطات البحر الميّت قائلين إنّ كبير الأحبار المختار يختلف عن الملك المسيح المختار، وميّزوا بينهما إذ توقّعوا أن يكون كبير الأحبار من سلالة لاوي بن يعقوب (عليه السّلام) بينما كان المسيح من سلالة يهوذا بن يعقوب (انظر هذه الرسالة 7: 14). فَكلا الملكين صادقٌ وسيدُنا المسيح كانا فريدين في التاريخ اليهودي، لأنهّما ملكان ورجُلا دين في الآن ذاته ولا ينحدران من سلالة لاوي، تلك السلالة المختارة لتعيين أحبار بني يعقوب.

وحينَما كان السّيّدُ المَسيحُ في هذه الدُّنيا، كان يَرفعُ إلى اللهِ أَدعيةً وَتَضرُّعاتٍ، بِصُراخٍ شَديدٍ ودُموعٍ ساجِمَةٍ، وكانَ يَعلَمُ أنّ اللهَ قادرٌ أَن يَبعثَهُ مِنَ المَوتِ، فاستجابَ له لِتقواهُ. ومع أنّه الابنُ الرُّوحيّ لله، فقد تحمَّلَ الآلامَ كما أرادَ له تَعالى، وهكذا أدركَ مَعنى الخُضوعِ لله. فأتمَّ غايتَهُ وأصبحَ قادِرًا على إنقاذِ تابعيهِ إلى الأبدِ، لأَنَّ اللهَ جعلَهُ كبيرَ الأحبارِ على نظامِ المَلِكِ صادقٍ.

5: 11_14 الدّعوة إلى الرّسوخ في الإيمان

وقد يَطولُ الحديثُ حول هذا الشأنِ، لكن يَصْعبُ تفسيرُهُ لكم لأَنَّكم لا تُبالونَ به. كانَ عليكم الآن أن تكونوا قادِرينَ على هِدايةِ سائرِ النّاسِ، بعد مُضيّ زمانٍ على اهتدائِكم، ولكنَّكُم تحتاجونَ إلى مَن يُذَكِّرُكم أُصولَ رِسالةِ اللهِ من جديدٍ. لأنّكم ما زِلتُم في الإيمانِ أطفالاً تَحتاجونَ إلى الحَليبِ، لا إلى الطَّعامِ القَويّ. إنّ مَن لم يَنضُج في الإيمانِ بَعدُ، يكونُ كالطِّفلِ الرَّضيعِ تنقصُهُ الخِبرَةُ لفعلِ الخيرِ، أمّا القادِرونَ على التّمييزِ بين الخَيرِ والشَّرِّ بِالمُمارسةِ، فإنَّهم تمامًا كالبالِغينَ القادِرينَ على هَضمِ الطَّعامِ القَوّي بسهولةٍ.

الفصل السّادس

6: 1_12

فلنتقَدَّمْ إلى ما بَعدَ الأُمورِ الأَساسيّةِ في رِسالةِ سيِّدِنا المَسيحِ وَلْنَسعَ جميعًا لنَكونَ مِنَ الرّاشِدينَ، ولن نعود مِن جَديدٍ لنضعَ أُسُسَ إيمانِنا الّتي تعلَّمناها فيما مَضى كالتَّوبةِ عن الأعمالِ الَّتي تؤدّي إلى الهلاكِ، والإيمانِ باللهِ، وشَعائرِ التّطهُّرِ بالماءِ، وكيفية وضع الأيادي على الرّأسِ،[1] وحَقيقَةِ انبعاثِ المَوتى وعِقابِ يَومِ الدّينِ. نعم، لِنتقدَّمْ

(1) كان المؤمنون يمارسون عادةً دينيّةً قديمة، وهي وضع الأيادي على الشخص عند تعيينه للقيام بمهمّة أو عمل ديني. وكان المؤمنون يمارسون هذه العادة عندما يطلبون لشخص البركةَ أو الشفاء. وفي هذا السّياق، يبدو أنّهم وضعوا أيديهم على المؤمنين الجدد بعد تطهّرهم بالماء، لطلب حلول روح الله القدوس عليهم.

إلى ما بَعدَ هذهِ الأُمورِ الأساسيّةِ، وهذا ما سنفعَلُهُ بإذنِ اللهِ.

ولا يُمكنُ أن يَعودَ الَّذينَ ارتدُّوا عَن الإيمانِ إلى الطَّريقِ القَويم. إنّهُم كانوا إلى نورِ الإيمانِ مُهتدينَ، واختبروا بركات السَّماءِ، وحَظُوا بحُلولِ رُوحِ اللهِ فيهم، ووجَدوا في رِسالتِهِ تعالى رَيحانًا وطيبًا، وأخذوا مِنَ المُعجزات والكرامات فكرةً خاطفةً عن الخَوارِقِ والقِوى الّتي ستتجلّى في الآخرةِ! إنّ الّذينَ ارتَدّوا عَن إيمانِهم بالسّيّدِ المَسيح رَغمَ كلِّ هذهِ البَرَكاتِ، فمُحالٌ إرجاعُهُم إلى التّوبةِ، إذ بارتدادِهم هذا يَصلِبونَ الابنَ الرُّوحيّ للهِ مَرَّةً أُخرى، ويُهينونَهُ عَلَنًا. إنَّ مَثَلَ مَن كانَ صالِحًا عندَ اللهِ مِنَ المؤمنينَ، كمَثَلِ الأَرضِ الّتي تَشرَبُ مِرارًا غَيثَ السَّماءِ النّازِلَ عليها، وتُنبِتُ لِمَن يَخدمُها خُضَرًا وثِمارًا، فيزيدُ اللهُ بركاتَهُ عليها. فإن هي أنبَتَتْ شَوكًا وحَسَكًا، فلا خَيرَ يُرجى منها، وعمّا قَريبٍ تحلُّ عليها لعنةٌ، فتكونُ النّيرانُ مآلَها.

أيُّها الأَحِبّاءُ، إنّا لَمُوقِنونَ، أنّكمُ الأَرضُ الطَّيِّبةُ وأنّكم إلى النَّجاةِ سائِرونَ، وما ضربنا لكم هذا المَثَلَ إلاَّ لنحذّرَكم. فما اللهُ بظلاّم حتّى يَرُدَّ عليكم عملَكُمُ المُضني في سبيلِهِ أو ما تُظهِرونَهُ مِن مَحبّةٍ له، إذِ اعتنيتم وما زلتم تَعتنونَ بغَيرِكم مِن عِبادِه الصّالِحينَ. ونحن نرغبُ بشِدّةٍ في أن يواصِلَ كلُّ واحدٍ منكم في المَحبَّةِ نفسِها لإخوانِهِ المؤمنين، وهكذا تَحصُلونَ على يَقينِكم في النّهايةِ. فلا تَغفلوا، وإنَّما اقتدُوا بِالّذين يَحصُلونَ على ما وَعَدَ اللهُ به بِالإيمانِ والصَّبرِ.

6: 13–20 وعد الله الأكيد

ولنَذكُرِ الآن وَعدَ اللهِ لأَبينا إبراهيم، إذ قَطعَ له عَهدًا، وأَقسَمَ بذاتِهِ، فلا أحدَ غيرَهُ أَعظَمَ مِنهُ حتّى يُقسِمَ به ولا نِدًّا.[1] وكما جاءَ في التَّوراةِ إذ أَوحى إلى النّبيّ إبراهيم: «سأُبارِكُكَ بلا ريبٍ وأُكثِرُ نَسلَكَ كثيرًا»[2] فصدَّقَ إبراهيمُ ما قالَهُ تعالى وَعدًا، وانتظرَ صابرًا، إلى أن ظفرَ بما وُعِدَ به. في حين أنّ النّاسَ عندما يُقسِمونَ، فإنّهم يُلزِمونَ أَنفسَهم بِمَن هو أَعظَمُ منهم شأنًا، ليجعلَهم بارّينَ بِما وَعَدوا به. والقَسَمُ لكلامِهم تثبيتٌ،

(1) إنّ الله لا يحتاج إلى قسَم، ولكنّه أقسم ليؤكّد للناس وعْدَه فيبدّد شكوكهم. وبما أنّ الله لا يُخلفَ وعده فهو يقسم بذاته باعتباره السلطان الأعلى، تأكيدا على أنّه لن يخلف وعده أو يغيّر مشيئته أبدا.

(2) التوراة، سفر التكوين 22: 17.

والتزامٌ بما وَعَدوا. ولم يَكتَفِ اللهُ بوعدِهم، بل أثبتَ وَعدَهُ لِلنَّبي إبراهيم بِقَسَم، حتّى يتيقّنَ الّذين حَصَلوا على وَعدِهِ أن لا تغييرَ في قرارِهِ أَبَدًا. وقَسَمُ اللهِ وَوَعدُهُ لنا ثابتانِ لا يَتَحوّلان، ويَستحيلُ أَن يَكذِبَ اللهُ فيهما. لذلك يُمكِنُنا نحن الَّذين نَلجأُ إليهِ أن نَطمئنَ كثيرًا بينما نَتمسَّكَ بوَعدِهِ لنا. هذا هو يَقينُنا، وهو العُروَةُ الوُثقَى لِنُفوسِنا، يُدخِلُنا إلى ما وَراءِ الحِجابِ السَّماويّ، حَيثُ عَرَجَ سَيّدُنا عيسى أمامَنا ليهَيِّئَ لنا الطّريقَ، وأصبحَ لنا الشَّفيعَ الأعظَمَ إلى أبَدِ الآبِدين، على نِظامِ المَلِكِ صادِقٍ.

الفصل السّابع

7: 1ـ10 الملك صادق أعظم من الأحبار من نسل هارون

كانَ المَلِكُ صادِقُ مَلِكَ مَدينةِ ساليم، وحَبرًا شَفيعًا أمامَ اللهِ. وعندما أقبل على النّبيّ إبراهيم الّذي عاد بعد مَعركةٍ كبيرةٍ انتصر فيها على أَربعةِ مُلوكٍ في شَمالِ فِلَسطين، فوَهَبَه بركةَ اللهِ،[1] فقدّم له النَّبيّ إبراهيمُ العُشرَ مِن الغَنائم. واسمُ المَلِك صادق يَعني مَلِكَ الإخلاصِ، بينما يَعني مَلِكَ ساليم «مَلِكُ السّلام» فلَم يذكُرِ الوَحيُ أنّ له أَبًا، ولا أُمًّا ولا نَسَبًا، ولم يذكُرِ شَيئًا عَن ولادتِهِ أو موتِهِ، وبذلك فَهو شَفيعٌ إلى الأَبدِ على مِثالِ السّيّدِ المَسيح، الابنِ الرُّوحيّ لله.

فانظُروا إلى ما عندَ المَلِكِ صادقٍ مِن عَظَمةٍ! إذ أعطاهُ أَبونا إبراهيمُ، أبو الأَنبياءِ جَميعًا، عُشرَ الغَنيمةِ. لَقَد عَيَّنَ اللهُ مِن عَشيرةِ لاوي ابنَ النَّبيِّ يَعقوبَ أحبارًا، وجاءَ في التّوراةِ أَنَّ مِن حَقِّهم أن يأخذوا العُشرَ مِنَ إخوانِهم، أي مِن بَقيةِ شَعبِ بَني يَعقوبَ، مع أَنّهم جميعًا يَنحدِرونَ مِن ذُرّيةِ النَّبيِّ إبراهيم، أَمّا المَلِكُ صادِقٌ فرَغمَ أنّه لا يَنحدِر مِن نَسلِ لاوي، لكنّه باركَ النّبيَّ إبراهيم الحاصلَ على وعودِ اللهِ ونالَ مِنه العُشرَ! وبذلك فهو أعظَمُ مِنَ النّبيِّ إبراهيم، إذ كلُّ مَن يُباركُ الآخرينَ، هو بلا ريب أعظمُ قَدرًا مِمَّن يَنالُ البركةَ. وفوقَ ذلك، إنَّ أَحبارَ بني يَعقوبَ الّذين يَجمعونَ العُشرَ هم بشر يَموتونَ، أَمّا

(1) كان الملك صادق في تلك الفترة ملك مدينة ساليم. (انظر ما يتعلّق به في التوراة، سفر التكوين 14: 8 – 24). وكانت لفظة ساليم تُطلق في الماضي على مدينة القدس (انظر كتاب الزبور، مزمور 76: 2).

المَلِكُ صادِقُ فهو أعظم منهم لأنّه لم يأتِ في الكِتابِ أنَّهُ قَضَى، بل هو حَيٌّ. ولو جازَ القولُ، لَقُلنا إنَّ بَني لاوي الّذين يأخذونَ العُشرَ، قد قاموا بدفع العُشرِ لِلمَلِكِ صادقٍ على يدِ النَّبيِّ إبراهيمَ، لأنّ النَّبي إبراهيم، عندما قَدَّمَ العُشرَ للمَلِكِ صادقٍ، قَدَّمَهُ نيابةً عن الذين يَنحدِرونَ مِنهُ. فلاوي، وإن لم يُولَد بَعدُ، فإنَّهُ كان في صُلبِ جَدِّهِ إبراهيم عِندَما التقى بالملِكِ صادقَ.

7: 11-19 وجه الشَّبه بين السَّيّد المسيح والملك صادق

كانت شريعةُ النّبيِّ موسى تُقيمُ نِظامَ الأحبارِ مِن عَشيرةِ لاوي، وتَحديدًا مِن نَسلِ سَيِّدِنا هارونَ. ولكنّ هذا النِّظامَ لم يكن قادرًا على تَقريبِ العابِدينَ إلى اللهِ بِشكلٍ كاملٍ، فاحتاجَ النّاسُ إلى حَبرٍ آخر يَختلِفُ عنهم تَمامًا، مِن غير نَسلِ سَيِّدِنا هارونَ، وعلى نِظامِ المَلِكِ صادِق، لأنّه كلَّما تَغيّرَ نِظامُ الأحبارِ، كان مِن الضَّروريّ أن تتغيّرَ الشَّريعَةُ وتَنصَّ على هذا التَّغييرِ.

كلّ هذا نلمُسُهُ في السّيّدِ المَسيحِ الّذي عَيَّنَهُ اللهُ كبيرَ الأَحبارِ، باعتبارِهِ لا يَنتمي إلى قَبيلةِ لاوي، بل يَنتمي إلى قَبيلةٍ لَم يَكُن يومًا ما أَحَدُ أَفرادِها حَبرًا في الحَرَم. فَقَد كانَ سَيِّدُنا المَسيحُ مِن عَشيرةِ يَهوذا، ولم يَرِد في تَوراةِ النَّبيِّ موسى أنَّ أحبارًا مِن هذه العَشيرةِ سيخرُجونَ. وحين ظَهَرَ كبيرُ الأَحبارِ الّذي يُشبِهُ المَلِكَ صادِق، بَدا عجزُ النِّظامِ القديمِ أَوضحَ على تقريبِ العابِدينَ إلى الله. وإنّما أصبحَ سَيِّدُنا عيسى كبيرَ الأحبارِ، لا لأنّهُ مِن عَشيرة لاوي، كما وَرَدَ في الكِتابِ، وإنّما لأَنَّهُ حَيٌّ وحَياتُهُ قَهَرَتِ الموتَ.[1] فقَد وَرَدَ عنهُ في الزَّبورِ: «إنّكَ أَنتَ حَبرٌ إلى الأَبدِ على نِظامِ المَلِكِ صادِقٍ». وهكذا ألغى اللهُ ما أَمَرَ به بِخُصوصِ نِظامِ الأحبارِ القديم، وأرسى حَبرًا على مِنهاجٍ جديدٍ، فَقَد عجزَ الأحبارُ عَن تقريبِ النّاسِ مِنَ اللهِ، لأنَّ الشَّريعةَ عجزَت عن تَحقيقِ مَقاصِدِهِ تعالى لِلعابِدينَ. فجعلَ اللهُ نِظامًا جَديدًا لِلّذين يتقرَّبونَ إليهِ، وإنّا لَواثِقونَ أنّ هذا النِّظامَ سيكونُ أفضل ممّا كان عليه.

(1) لم يكن سيدنا عيسى حبرا على أساس انحداره من سلالة لاوي بن يعقوب (عليه السّلام)، فهو ينحدر من ذريّة يهوذا، أخ لاوي. وحسب شريعة النبي موسى فإنّ الحبر لا يُعيَّن إلاّ من عائلة هارون من قبيلة لاوي بن يعقوب، وبذلك فإنّ سيدنا عيسى يُعتبر حبرا لسببٍ آخر لا علاقة له بالنسب.

7: 20ـ28

أمّا بِخُصوصِ تَعيينِ السّيّدِ المَسيحِ حَبرًا، فَقَد أَقسَمَ اللهُ كما جاءَ في الزّبورِ على ذلك -وما أقسَمَ أبدًا عِندَ تعيينِ أَحَدِ أحبارِ بني لاوي- أنَّ سيّدَنا عيسى حَبرٌ فقال: «إنّ اللهَ قَد أَقسَمَ ولا رادَّ لِقسَمِهِ! إنَّكَ أنتَ حبرٌ إلى الأَبدِ». ولذلك كانَ سيِّدُنا عيسى لميثاقِ اللهِ الجَديدِ ضامِنًا ودَليلاً، وهو أفضَلُ مِن الميثاقِ الأوّلِ.

فقد جعل اللهُ بينَ النِّظامَينِ فَرقًا آخَرَ: فالأحبارُ في النِّظامِ القديمِ كُثُرٌ، لأنّ الموتَ كانَ يمنعُهُم أن يُخَلَّدوا في مُهِمَّتِهِم. أمّا سيِّدُنا عيسى، فإنّه خالِدٌ، خلودَ شفاعتِهِ، إذ بُعِثَ مِنَ المَوتِ إلى الخُلودِ حَيًّا، وهو بشفاعتِهِ (سلامُهُ علينا) قديرٌ على نَجاةِ المُتقرِّبين إلى اللهِ تمامَ النَّجاةِ، لأنَّهُ حَيٌّ إلى الأَبدِ يَشفعُ لِلعابدينَ.

نعم، هذا هو سيِّدُنا عيسى كبيرُ الأحبارِ الَّذي كُنّا نَحتاجُ إليهِ، فهو المُقدَّسُ الطّاهرُ الزَّكي، المَعصومُ مِن ذُنوبِ البَشَرِ، الّذي رَفعَهُ اللهُ فوقَ الأكوانِ والعالَمينَ. وإن كانَ غيرِه مِن كبارِ الأحبار هؤلاء يَحتاجونَ إلى تقديمِ الأضاحي كُلَّ يوم حتّى يُكفِّروا عن ذُنوبِهم أوّلاً، وعن ذُنوبِ العابِدينَ ثانيًا، فإنّ سيِّدَنا المَسيحَ لا يَحتاجُ إلى هذا تَقديمِها، لأنّهُ ذاتُهُ قُربانُ القَرابينِ، إذ ضَحّى بِنَفسِهِ مَرَّةً واحدةً مِن أجلِ الآخرينَ. الشَّريعةُ تُقيمُ كِبارَ الأحبارِ بَشَرًا خَطّائينَ، أمّا قسمُ اللهِ الّذي جاءَ بَعدَها، فَقَد أقام السّيّدَ المَسيحَ، الابنَ الرُّوحيّ لله، شفيعًا كامِلاً إلى الأَبدِ.

الفصل الثّامن

8: 1ـ6 الميثاق الجديد

وخُلاصةُ ما أقولُه هو الآتي: وكما شَرَحنا سابِقًا، فإنَّ لنا حَبرًا شَفيعًا، وهو جالِسٌ في السَّماءِ على يَمينِ عَرشِ اللهِ جَلَّ جَلالُه، وهو يشفعُ في عِلّيين في الحَرَمِ الحَقِّ أقدسِ مكانٍ أقامَهُ اللهُ لا البَشَرُ. وبما أَنَّ مُهِمّةَ كُلِّ كبيرٍ مِنَ الأحبارِ هي تقديمُ الأضاحي والقرابينِ، فلا بُدّ أن يُقَدِّمَ سَيّدُنا عيسى شيئًا لله أيضًا. فلو كان (سلامُهُ علينا) في هذه الدُّنيا، لَما سَمَحَتْ له الشّريعةُ بأن يَكونَ حَبرًا، لأنّها تحصرُ الأحبارَ الّذين يَرفعونَ إلى

اللهِ القَرابينَ في عشيرةِ لاوي فقط. وأحبارُ بَني يَعقوبَ يَخدِمونَ في المِحرابِ الأَقدَسِ داخِلَ بَيتِ اللهِ، وهو ظِلٌّ وصورةٌ لبيتِ اللهِ الحَقيقيِّ في السَّماءِ. وهذا بيِّنٌ في التَّوراةِ في ما ذكرَهُ اللهُ للنَّبيِّ موسى قَبلَ أن يُقيمَ خَيمَةَ العِبادَةِ، عندما أوحى إليه: «انتبه يا موسى! أقِمِ الخَيمَةَ على المِثالِ الّذي أوحَينا به إليكَ على طُورِ سيناءَ!»(1) أمّا سيّدُنا عيسى، فجعلهُ اللهُ في مَكانةٍ رفيعةٍ، وعملُهُ أفضَلُ مِمّا يَقومُ به الأَحبارُ في هذهِ الدُّنيا، كما أنّ الميثاقَ الَّذي أَقامَهُ اللهُ مِن خِلالِهِ أفضَلُ مِن الميثاقِ القديمِ، لأنَّ هذا الميثاقَ الجَديدَ يَقومُ على وعودٍ أفضلَ.

8: 7ـ13

فَلَو كانَ الميثاقُ الأوَّلُ خاليًا من العُيوبِ وقادِرًا على تَلبيةِ ما نَحتاجُ إليهِ، لَما اضطُرِرنا إلى ميثاقٍ جَديدٍ، وعندما رأى اللهُ قديمًا مَدى تَقصيرِ النّاسِ في الميثاقِ، قال على لِسانِ النَّبيِّ إرميا: «إنَّ أيّامًا سَتأتي، أُقيمُ فيها ميثاقًا جَديدًا مع أَهلِ مَملكةِ إسرائيلَ الشَّماليّةِ ومَملكةِ يَهوذا الجَنوبيّةِ. وإنّهُ غيرُ الميثاقِ الّذي أَبرَمتُهُ مع آبائِهم الأوَّلينَ، حينَما أَمسَكتُ بِأَيديهم وأخرَجتُهُم مِن مِصرَ. ولأنَّهم زاغُوا عن ميثاقي تَركتُهُم، أمّا في الأيّامِ القادِمةِ، فَسأُبرِمُ مع بَني يَعقوبَ ميثاقًا جديدًا يَكونُ على النَّحوِ التّالي: في سَريرتِهِم تكونُ شَريعتي وفي عُقولِهِم أَنقُشُها، فأنا سأكونُ لهم رَبًّا، وَهُم سيكونونَ أُمَّتي. ولن يَكون مِن الضَّروريّ أن يُرشِدوا أَهلَ أُمَّةِ اللهِ وأقرباءَهُم بالقول: «كونوا مِن العارِفينَ بِاللهِ!» لأَنَّهُم كُلَّهم سيَعرِفونَني حَقَّ المَعرِفَةِ، مِن صَغيرِهم إلى كبيرِهِم، ولأنّي سأغفِرُ لهم ذُنوبَهم ولن أحسب عليهم خَطاياهُم».(2)

لَقَد أَبلَغَنا اللهُ تعالى بِالميثاقِ الجديدِ، وهذا يَعني أنّه جعل الميثاقَ الأوَّلَ قديمًا، فَلا بُدَّ أَن يَزولَ القديم.

---

(1) التوراة، سفر الخروج 25: 40.

(2) كتاب النبي إرميا 31: 31-34.

الفصل التّاسع

9: 1-10 تفاصيل الميثاق الأوّل

لقد فرَضَ الميثاقُ القديمُ على بَني يعقوبَ فرائضَ فيها شَعائرُ وقَوانينُ تُنظِّمُ العباداتِ في حَرَمٍ يَحتوي على خيمةٍ للعبادةِ في هذهِ الدُّنيا. وفيها قِسمانِ يَفصِلُ بينهما حِجابٌ: أوّلُهما «المِحرابُ المُقدَّسُ»، وفيهِ مِصباحٌ ذَهَبي، ومائِدةٌ يَضَعونَ عليها خُبزًا يَجعَلونَهُ قربانًا للهِ. وثانيهما مُتوارٍ خلف الحِجابِ يُدعى «المِحرابَ الأقدَسَ»، وفيهِ مَوقِدٌ مِن ذَهَبٍ للبَخورِ، وفيه صُندوقُ الميثاقِ المُغَطّى بالذَّهَبِ. ويَحتَوي هذا الصُّندوقُ على إناءٍ مِن ذَهَبٍ فيهِ المَنُّ طعامًا لبني يعقوب في الصَّحراءِ آنذاك وعَصا هارونَ الّتي أنبتَتْ بَراعمَ ولَوحَانِ مِن حَجَرٍ نُقِشَت عليهما وصايا الميثاقِ.[1] وفوقَ غِطاءِ الصُّندوقِ يوجَدُ شَكلانِ لِملاكينِ مُقرَّبَينِ يُظَلِّلانِ بأَجنحتِهِما الغِطاءَ، ويتجلَّى بينهُما جَلالُ نورِ اللهِ، حيثُ كانَ كبيرُ الأحبارِ يُكفِّرُ عَن ذُنوبِ بَني يَعقوب بِرَشِّ الدَّمِ. ويَكفيكُم هذا المِقدارُ مِنَ التّفاصيلِ، فالمَجالُ لا يَسمَحُ بِالمَزيدِ.[2]

ولَمّا قامَ بنو يَعقوبَ بِتَحضيرِ الأشياءِ الّتي يَحتاجونَ إليها، أخذَ الأَحبارُ يَدخُلونَ بِاطّرادٍ إلى المِحرابِ المُقدَّسِ ويَقومونَ بِشَعائرِ العبادةِ. أَمّا المِحرابُ الأَقدَسُ، فلا يَدخُلُه إلاّ كبيرُ الأحبارِ، مَرَّةً واحدةً كلَّ سنةٍ. ويأخذُ معه دائمًا دَمَ الأُضحيةِ حتّى يُكفِّرَ عَن ذُنوبِهِ وعَنِ ذُنوبِ بَني يعقوبَ الّتي كانوا يرتكِبونَها سَهوًا. وجاءت إشارةٌ من رُوحِ اللهِ من خلالِ هذه القوانينِ تؤكِّدُ أنّ طريقَ الدُّخولِ إلى المَكانِ الأَقدَسِ حيثُ تجلّيّاتُ اللهِ لَم يَكُن مَفتوحًا لِلجَميعِ، ما دامَ النِّظامُ القديمُ لبَيتِ العِبادَةِ قائمًا. وإنَّ في هذا لَعِبرةً لنا اليومَ، ومِن الواضحِ أَنَّ هذهِ الأَضاحي والقرابين لا يُمكِنُها أَن تُطَهِّرَ ضَمائرَ العابِدينَ. لقدِ اقتصرَ النِّظامُ القديمُ، على تَحليلِ بَعضِ الطَّعامِ والشَّرابِ وتَحريمِهِ، وعلى شَعائرَ

---

(1) ولمزيد من المعلومات عن «المنّ» انظر التوراة، سفر الخروج 16: 2-35. ولمزيد معرفة قصّة تَبرعُم عصا النبي هارون انظر التوراة، سفر العدد 16: 1-17: 11. ولمزيد من المعلومات عن ألواحَ الميثاق الحجرية، انظر سفر الخروج 34: 27-35.

(2) لمزيد من التفاصيل التي تخصّ حرَمَ خيمة العبادة وأدواته، انظر التوراة، سفر الخروج 35: 4- 40: 33.

مُختلفةٍ تكونُ شُروطًا لِلطَّهارةِ، بل إنَّ في نِظامِ الأَوّلينَ شَرائِعَ بَشَرية مَفروضة تنتهي حينَ يَحِلُّ النِّظامُ الجديدُ.

9: 11-22 تفوّق الميثاق الجديد

أَمّا الآن، فكبيرُ الأَحبارِ الَّذي اصطَفاهُ اللهُ هو السّيّدُ المَسيحُ الّذي حقَّقَ ما وَعَدَنا اللهُ به مِن بَركاتٍ، وعَرَجَ إلى المَكانِ المُقَدَّسِ الحَقيقيِّ في السَّماءِ، حتّى يَشفعَ لنا في أَعظم مكانٍ وأكمَلِهِ، مكانٍ لم تصنعه يدُ البشرِ ولا يَنتمي إلى هذهِ الدُّنيا. إنَّ أحبارَ بَني يعقوبَ لَيَدخُلونَ إلى المِحرابِ الأَقدَسِ بِدَمِ عُجولٍ وتُيوسٍ، أمّا سيّدُنا عيسى فضَحّى بحياتِهِ، فكانَ الفِداءُ بدَمِهِ للنّاسِ، حينَ دَخَلَ مرّةً واحدةً وبِصِفَةٍ نِهائيةٍ المِحرابَ الأَقدَسَ الحَقيقيَّ في السَّماءِ. إنّ نِظامَ الميثاقِ القديم يَقضي أن يَرُشَّ الأحبارُ على العابِدينَ دِماءَ الحَيَوانِ، وإنَّهم لَيَتَّخذونَ مِن رَمادِ عِجلةٍ ما ينثُرونَهُ على النّاسِ المُنَجَّسينَ ليصبحوا طاهِرينَ. أمّا تَضحيةُ سَيّدِنا المَسيحِ فهي أقدَرُ مِن تلك القرابين إذ تُطَهِّرُ قلوبَنا مِن الأعمالِ الّتي تؤدّي إلى الهلاكِ لكي نَعبُدَ اللهَ الحَيَّ القيّومَ. فقد قدّم المَسيحُ نفسَهُ للهِ بِقوّةِ رُوحِ اللهِ الأَزَليّ أُضحيةً لا عيبَ فيها لتُغفَرَ ذنوبُنا.

فعلى هذا الأَساسِ، فإنَّ السّيّدَ المَسيحَ هو الصِّلَةُ بَينَ اللهِ والنّاسِ ليُرسِي الميثاقَ الجَديدَ، وبه يَنالُ كلُّ الّذين استَجابوا لِدَعوةِ اللهِ نَصيبَهُمُ الأَبَديّ الّذي وُعِدوا به. ففي زمنِ الميثاقِ الأوّلِ لم يتحرَّرِ النّاسُ مِن ذنوبِهِم، ولكنَّ اللهَ بِتضحيتِهِ (سلامُهُ علينا) يُحرِّرُهُم مِن كلِّ الخَطايا.

فعندما يدخلُ النّاسُ في ميثاقٍ، يَجِبُ على أحدِهم أن يذبحَ حيوانًا كإشارةٍ لِما سيَحصُلُ معه لو خالفَ هذا الميثاقَ. فلا يُقامُ الميثاقُ إلا بَعدَ ذَبحِ هذا الحيوانَ.[1] وميثاقُ اللهِ القَديمُ لم يُبرَم إلاَّ بعدَ الذَّبحِ وتقديم الدَّم أيضًا. فبَعدَ أن بَلَّغَ النّبيُّ موسى جميعَ بَني يعقوبَ كُلَّ ما جاءت به التّوراةُ، خلَطَ دمَ عُجولٍ وتُيوس بالماءِ، وغَمَسَ فيه

---

(1) في زمن النبي إبراهيم وغيره من الأنبياء الأوّلين، كان الملوك وأصحاب السلطة يبرمون المواثيق بينهم وبين الأقل منهم سلطة، فيُطلب من هؤلاء غالبا ذبح الحيوانات كجزء من شعائر إبرام الميثاق. والغاية من هذه الشعائر أن يؤكد الشخص الأدنى سلطة موافقته والتزامه بالميثاق، حتّى إذا ما خالف هذا الميثاق يكون مصيره الموت مثلما هلكت تلك الحيوانات، وشُطرت إلى نصفين إشارة إلى الموت العنيف لمن يخالف الميثاق (انظر التوراة، سفر التكوين 15: 9-21).

حُزمَةً مِن نَباتِ الزّوفا وصوفًا أحمر، ورَشَّ مِنهُ على كِتابِ التّوراةِ وعلى جميعِ شَعبِ بَني يَعقوبَ. وقال: «بهذا الدّمِ يُبرَمُ الميثاقُ الّذي أوصاكُمُ اللهُ أن تتعَهَّدوهُ».[1] ونثَرَ مِنهُ على خيمَةِ العِبادةِ وعلى كُلِّ أدواتِ شعائرِ التّعبُّد. ولذلك يُمكنُ أن نقولَ إنّ التّوراةَ توصي بتَطهيرِ الأشياءِ بالدَمِ أو غيره، في حين أنّ الطّهارةَ مِن الذُّنوبِ لا تكونُ إلاّ بإراقةِ الدَّمِ فقط.

9: 23-28 السّيّد المسيح، الذِّبح العظيم

إنّ حرمَ المَقامِ المُقدَّسِ في الدُّنيا صورةٌ عن بيتِ اللهِ في عِلّيّين، فإن وجب تطهيرُهُ برَشِّهِ بدَمِ الذّبائحِ، فقد وجب تَطهيرُ أهلِ السَّماءِ بذَبيحةٍ أعظمَ وأسمى. فلقد دخلَ السّيّدُ المَسيحُ إلى المِحرابِ الأقدَسِ الحَقيقيِّ في السَّماءِ أين يَشفعُ الآنَ لنا في حَضرةِ اللهِ، ولم يَدخُل إلى المِحرابِ الّذي صَنعَتْه يدُ البشرِ لأنّه مُجرّد صورة مِنه. يَدخُلُ كبيرُ الأحبارِ إلى المِحرابِ الأقدَسِ، سَنةً بَعدَ سَنَةٍ، حاملاً دَمًا غَيرَ دَمِهِ، أمّا سيّدُنا المَسيحُ فَقَد دخل في السّماءِ، وقَدَّمَ دمَهُ لا دَمَ غيره فِداءً للمؤمنينَ، مرَّةً واحدةً لا مِرارًا وتكرارًا، وإلاَّ لَكانَ عليه أن يتعذَّبَ ويموتَ مَرّاتٍ ومَرّاتٍ مُنذُ خَلقِ العالَمين! غيرَ أنَّهُ، الآن، في آخرِ أيّام هذهِ الدُّنيا، ظهر مَرَّةً واحدةً وقدّم نفسَه ذِبحًا عظيمًا حتّى يَحمِلَ الخَطايا.[2] ولَقَد كُتِبَ المَوتُ على النّاسِ جَميعًا مرّةً واحدةً وبَعدَها يواجِهونَ الحِسابَ، كذلك قدَّمَ السّيّدُ المَسيحُ حياتَهُ فِديَةً مرَّةً واحدةً حتّى يَمحُوَ خَطايا الكثيرينَ. وإنَّهُ لآتٍ مَرَّةً أُخرى، لا لِيمحُوَ الذُّنوبَ بل لِيُنقذَ الّذين يَنتظِرونَ تَجلّيه بلهفةٍ.[3]

---

(1) التوراة، سفر الخروج 24: 8.

(2) اعتقد اليهود أنّ التاريخ ينقسم إلى قسمين: الزمن الرّاهن والعصر المبارك المنتظر. ومن خلال تعبير «آخر أيّام هذه الدنيا» يؤكّد الكاتب أنّ فترة وجود السّيد المسيح في هذه الدنيا كانت لحظة فارقة في التاريخ. وبما أنّ مملكة الله تبدأ بمجيئه (سلامُهُ علينا) فإنّ العصر المبارك المنتظر بدأ الآن.

(3) يقارن الكاتب هنا بين عودة سيدنا عيسى من السماء وبين خروج كبير الأحبار من المحراب الأقدس في بيت الله. وحسب تقاليد بني يعقوب، كان عليهم يوم الكفارة أن ينتظروا في ساحة الحرم، خروج كبير الأحبار من المحراب الأقدس داخل بيت الله بعد تقديم دم الأضحية (القربان). وبمجرّد خروج كبير الأحبار يَتيقّن العابدون أنّ خطاياهم قد غُفِرَت. ويمكن للناس أن يتيقّنوا بالطريقة نفسها، أنّ آثامهم قد غُفرت وذلك عند عودة السيد المسيح قادما من السماء.

الفصل العاشر

10: 1-10

إنَّ شَرعَ النَّبيِّ موسى ليسَ إلاّ ظِلَّ البَرَكاتِ المُنتظَرةِ وصورةً لها، لا الحقيقَةَ ذاتَها. لذلك لَم تستطع أضاحي الأحبارِ الّتي يُقدِّمونَها باستِمرارٍ حَولاً بَعدِ حَولٍ كما نصّت على ذلك شَريعةُ بَني يَعقوب أن تجعلَ النّاسَ مِن الواصِلينَ الأَطهارِ. وإلاّ فلماذا استَمرّوا في تقديمِ تلك القرابينِ؟ إنّ قُلوبَ العابدينَ، إذا تطهَّرَت مَرّةً، لن تَحتاج إلى تَطهيرٍ مَرّةً أُخرى، إذ يَزول الشُّعورُ بالذَّنبِ بالتّطهيرِ الأوّلِ. ولكنَّ القرابينَ الّتي تُقَدَّمُ كلَّ سنةٍ تُذكِّرُ العابدينَ بِخطاياهُم. فدِماءُ الثّيرانِ والتُّيوس لا يُمكِنُ أَن تَمحو ذنوبَ المُذنبين!

لذلك حينَ جاءَ سيِّدُنا المَسيح إلى هذا العالَم، قال ما وَرَدَ في الزَّبورِ: «يا الله، أنت لا تُريدُ أضاحيَ ولا قرابينَ مِن النّاسِ، ولكنَّكَ لِهذا الغَرضِ جعلتَ لي جِسمًا بَشَريًّا، وأنت لم تَرضَ بالذَّبائح وغَيرِها مِن القرابينِ يَحرقونَها أمامكَ ليُكفِّروا بها ذَنبًا عَصيًّا. ولقد قُلتُ لك: لَبَّيكَ اللَّهُمَّ، قد جِئتُ طَوعَ إرادتِكَ، كما أخبرتَ عنّي في كتابِكَ».(1)

إنّ في قَولِ السَّيِّدِ المَسيحِ دليلاً على عدمِ رِضَى اللهِ بكلِّ أنواعِ الأَضاحي والقرابين بما في ذلك الذَّبائحِ الّتي تُحرقُ تكفيرًا عَنِ الذّنوب، رَغمَ أنّها تُقدَّمُ وَفقًا لِما جاءَ في الشَّريعةِ. ويُضيفُ (سلامُهُ علينا) في قولِه أيضًا أنّه أَتى ليُتِمَّ إرادةَ اللهِ. فأوقفَ اللهُ تَقديمَ الذَّبائحِ الحيوانيّةِ حسبَ النِّظام القديم، ليُقيمَ النِّظامَ الجَديدَ على أَساسِ تَضحيتِهِ (سلامُهُ علينا). وأتمَّ اللهُ مَقصدَهُ بِتَضحيةِ سَيِّدِنا المَسيحِ بحياتِهِ فِديةً مَرّةً واحدةً، فأَصبَحنا لِلهِ مِنَ المَنذورينَ.

10: 11-18

وحَسَبَ الميثاقِ القديم، يَقِفُ أحبارُ بَني يعقوبَ ويقومونَ بِمُهمَّتِهِم أَمامَ المِحرقةِ يَومًا بعدِ يومٍ، فيُقدِّمونَ الأَضاحي عَينَها مَرّةً تِلوَ الأُخرى، رَغمَ عجزِهم عن مَحوِ

(1) كتاب الزبور، المزمور 40: 6-8.

الذُّنوبِ بها. أَمّا سيِّدُنا عيسى فقَد ضَحَّى بِحياتِهِ مَرَّةً واحِدةً فجعل أتباعَهُ طاهِرينَ مِن كُلِّ الخَطايا إلى الأَبَدِ، ثُمّ جلس عن يمينِ الله. وإنّ سيِّدَنا عيسى مُنذُ ذلك الوقتِ يَنتظِرُ أن يقهَرَ اللهُ له أعداءَهُ ويَرميهِم تحتَ قَدَمَيْهِ صاغِرينَ.[1] فهو بتضحيتِهِ مرّةً واحدةً جعلَ الّذين نذرَهُم للهِ مَقبولينَ قبولاً حاسِمًا عِندَ اللهِ إلى الأَبدِ.

وهذا وفقًا لِشهادةِ رُوحِ اللهِ أَيضًا، إذ جاءَ في كِتابِ النَّبيِّ إرميا: «أَمّا في الأَيّامِ القادمِةِ، فَسأُبرِمُ مع بَني يَعقوبَ ميثاقًا جديدًا على النَّحوِ التّالي: في سَريرتِهِم تكونُ شَريعتي وفي عُقولِهِم أنقُشُها».[2] ويقولُ اللهُ فوقَ ذلك: «ولن أحسِبَ ذُنوبَهُم وآثامَهُم فيما بَعدُ».[3] وإذ غفر اللهُ الذُّنوبَ والخَطايا إلى الأبدِ، فأيّ حاجةٍ إلى القرابينِ بعدَ ذلك!؟

10: 19-31 اثبتوا في الإيمان

لذا، يا إخوتي، فنحن قادِرونَ الآنَ على التّقرُّبِ إلى اللهِ في المِحرابِ الأَقدَسِ بِكُلِّ ثِقَةٍ، لأَنَّ سيِّدَنا عيسى فَدانا بِدَمِهِ. فعندما ضَحّى (سلامُهُ علينا) بِحياتِهِ مِن أَجلِنا، فتَحَ طَريقًا جَديدًا خالِدًا كَي نَمُرَّ وَراءَ الحِجابِ. وإنّهُ حَبرُنا العظيمُ، يُشرِفُ على أهلِ بيتِ اللهِ المؤمنينَ. فَلنتقرَّب مثلَه إلى حَضرةِ اللهِ بقلبٍ مُخلِصٍ وبإيمانٍ ثابِتٍ، بَعدَ أَن أصبحتْ ضَمائِرُنا طاهرةً مِنَ الذّنبِ بِإراقةِ دَمِهِ، وتَطَهّرتْ أَجسامُنا بِماءٍ نَقِي. ولِنتَشَبَّثْ دائمًا بالإيمانِ الّذي نُعلِنُهُ بِكلِّ يَقينٍ ودون تردُّدٍ، لأَنَّ اللهَ صادِقٌ في وَعدِهِ أَمينٌ. ولنسعَ إلى حَثِّ بَعضِنا بعضٍ على المَحبَّةِ وَعَمَلِ الخَيرِ. وعلينا أَلاّ نغفلَ عَنِ اجتِماعاتِنا كما دأَبَ البَعضُ، بل اجتمِعوا كي تُشَجِّعوا بَعضُكُم بَعضًا، خاصَّةً واليومُ المَوعودُ الّذي سيتجلّى فيه سَيِّدُنا مَلِكًا يَدنو مِنكم.

فإن استمرَّ أَحَدُنا عمدًا في ارتكابِ الخَطايا بَعدَ أن تَبيَّنَ الحَقَّ، فلا توجدُ أيُّ ذَبيحَةٍ قادرة على إزالةِ الذَّنبِ عنهُ بَعد تَضحيةِ السّيِّدِ المَسيح. بل إنّهُ يَنتظِرُ يومَ الدِّينِ بفزعٍ، يومَ يَلقى النّارَ المُرعِبةَ تلتهِمُ أعداءَ اللهِ جميعًا. وفي القديم، كان يُقتلُ كلَّ مَن يُخالِفُ شَريعةَ النَّبيِّ موسى دون رَحمةٍ بشهادةِ شاهِدَينِ أو ثلاثةٌ، فَحَسَبَ رأيكم كيفَ يَكونُ

---

(1) يشير الكاتب مرة أخرى لمزمور 110: 1.

(2) كتاب النبي إرميا 31: 33.

(3) كتاب النبي إرميا 31: 34.

عِقابُ الّذين رَفَضوا السّيّدَ المسيح، الابنَ الرُّوحيّ لله وداسُوهُ تحتَ أقدامِهم، أولئكَ الّذينَ اعتَبَروا دمَ الميثاقِ الّذي نذرَهُم به اللهُ، لا قيمةَ له، فأَهانوا رُوحَ اللهِ الرَّحيم؟ وإنّا على عِلمٍ بِما جاءَ في التّوراةِ، إذ قال تعالى: «لي وَحدي حقُّ القِصاصِ، وإنّي لأُجازي النّاسَ جَميعًا لا مَحالة». وقالَ أَيضًا: «سيُحاكِمُ اللهُ أهلَ الميثاقِ المُختارين».[1] فما أرهَبَ الوُقوعَ تحتَ عِقابِ اللهِ الحَيِّ القيّومِ!

10: 32-39

فلا تَنسَوْا يا أحبابي الأيّامَ الماضيةَ، بَعدَ أن أَصبحتُم تستنيرون بِنورِ الإيمانِ بِالسّيّدِ المَسيحِ، فصمدتم بنِضالِكم الطّويلِ، إذ قاسيتم الآلامَ كثيرًا. إنّكم تعرَّضتُم في سَبيلِ السّيّدِ المَسيحِ لِلذلِّ علنًا باضطِهادِكم وإهانتِكُم حينًا، وساندتُم الّذين قاسوا هذه المُعامَلاتِ حينًا آخر. فلَقَد تَعاطفتُم معَ المؤمنين السُّجناءِ، ولمّا صودِرتْ ممتلكاتُكم بسبب إيمانِكم، تقبَّلتُم ذلك بِسَعادةٍ ورِضى، إذ كنتم على يقينٍ أنَّ ما يَنتظِرُكم عندَ اللهِ خَيرٌ وأبقى. فَلا تُلقُوا بما جَهرتُم به عَن سيّدِنا المَسيحِ وراءَ ظُهورِكم، فإنَّ لهذهِ الشَّجاعةِ الجَزاءَ الأَوفى. وعليكم أن تصبروا على المُضايقاتِ، وأن تَعمَلوا بِما يُرضي اللهَ، فتنالوا الوَعدَ الأَسمى.

لقد أوحى اللهُ في كتابِ النّبيِّ حَبقّوقَ عَن سَيِّدِنا المَسيح: «آتٍ هوَ المُنتظرُ عَمّا قريب، ولن يَتأَخَّرَ. إنَّ كُلَّ مَن أرضى عنهُ يَحيا بِالإيمانِ الحَياةَ الرَّضيَّةَ، أَمّا أنا فلَن أَرضى عَن المُرتَدّينَ».[2] وما نحنُ يا إخواني مِن أَهلِ الرِّدَّةِ الهالِكينَ، بل نحنُ أَهلُ الإيمانِ النّاجونَ.

الفصل الحادي عشر

11: 1-16 ما هو الإيمان

ما هو الإيمانُ؟ إنّ الإيمانَ هو الدَّليل على حَقيقةِ ما نَنتظِرُهُ مِن وعود. فَرَغمَ أنَّنا

(1) التوراة، سفر التثنية 32: 35-36
(2) كتاب النبي حبقوق 2: 3-4.

لا نَرَى ما وَعَدَنا اللهُ بِهِ، فإنّنا بالإيمانِ نَملِكُ بُرهانَ وجودِهِ. وإنّما رَضِيَ اللهُ عَن آبائِنا لإيمانِهِم. ونحن نُدرِكُ بالإيمانِ أَنَّ اللهَ خلقَ الكونَ بكلِمَةٍ مِنهُ، فكُلُّ ما نَراهُ خُلِقَ مِن عَدَمٍ![1] إنّما بالإيمانِ قدّم هابيلُ قربانًا أفضلَ ممّا قَدَّمَه قابيلُ، وبفَضلِ إيمانِه رَضِيَ اللهُ عنه وعن قربانِهِ. فأصبَحَ بإيمانِهِ قُدوَةً للعالَمينَ رغم موتِهِ. وإنّما بالإيمانِ انتقل إدريسُ (عليه السّلام) إلى حَضرةِ اللهِ دون أن يموتَ. فَقَد وَرَدَ في التَّوراةِ أَنَّ إدريسَ اختَفى لأنَّ اللهَ رفعَهُ إليهِ، وقبلَ ذلك وَرَدَ في الكِتابِ أنّه كان عِندَ اللهِ مَرضِيًّا. ولا يُمكِنُ أن نبلغَ مَرضاةَ اللهِ دونَ إيمانٍ، فكُلُّ مَن تقرّبَ إليه، لا بُدَّ أن يُؤمِنَ بوُجودِهِ تعالى، وبأنَّه يُجازي خيرًا كُلَّ مَن يَسعى إليه. وبالإيمانِ بَنى النَّبيّ نوحٌ (عليه السّلام) سَفينةً ليُنقِذَ أهلَه مِنَ الطّوفانِ. أطاعَ اللهَ عندَما أَنذَرَهُ بكارثةٍ لا علامات لها ولا إشاراتٍ. وصارَ (عليه السّلام) بإيمانِهِ مِنَ المَرْضيينَ عِندَ اللهِ، وبإيمانِهِ أدانَ أهلَ الدُّنيا المُذنبين.

وبالإيمانِ أطاع النّبيُّ إبراهيمُ اللهَ، عندما أَمَرَهُ بمُغادرةِ أرضِهِ والتَّوجُّهِ نَحو الأرض الَّتي وعَدَه اللهُ بها نَصيبًا، وخرجَ وهو لا يَعلَمُ أينَ يَتّجِهُ. بالإيمانِ كانَ مُستعدًّا أن يكونَ غَريبًا في سَفَرِهِ، مُتنقلاً مِن مكانٍ إلى آخر في كَنعان، تلكَ الأَرضِ الّتي وَعَدَهُ اللهُ بِها، وكانَ يَسكنُ وأهلَ بيتِهِ في خيامٍ، كما عاشَ ابنُه إسحَقُ ومِن بَعدِهِ يَعقوبُ، وهُما الفائزان مِثلَهُ بوَعدِ اللهِ. فقد اشتاقَ النَّبي إبراهيمُ إلى رُؤيَةِ المَدينةِ المُقَدَّسَةِ الأبديّةِ، وهي المَدينةُ ثابتةُ الأُسُسِ، تلك الَّتي أنشأها اللهُ وبناها.

وبالإيمانِ أَيضًا، نالتْ سارةُ القُدرةَ على الإنجابِ، رغم أَنّها عاقرٌ وبلغتْ سِنَّ اليأس. ذلك لأَنّها آمَنت بأنّ اللهَ وفيٌّ لوعدِهِ. فكانَ لها مِن النَّبيّ إبراهيمَ شَعبٌ في كَثرتِهِ كالنُّجوم، أو كرِمالِ الشّاطئِ لا يُعَدّونَ، كلُّهُم مِن رجلٍ واحدٍ قاربَ الموتَ بشَيخوختِهِ دونَ أن يُنجِبَ.

كُلُّ هَؤُلاءِ ماتوا راسِخين في إيمانِهم، ماتوا قبلَ أَن يَنالوا ما وَعَدَ اللهُ به، بل كانوا على يقينٍ بتَحقيقِ وُعودِهِ في المُستقبلِ البَعيدِ، وبذلكَ فَرِحوا مُعترفين أَنَّهم غُرباءُ عابرون في هذهِ الدُّنيا. وكلُّ الّذين يَقولون ذلك إنّما يَكشِفون شوقَهم إلى وَطَنِهِم الحَقِّ. ولَو كانوا يَتُوقون إلى البلادِ الّتي هَجَروها، لأتيحتْ لهم فُرصةُ العَودةِ إليها. ولكنَّهم كانوا يَشتاقون إلى وَطَنٍ أَفضَلَ وأسمى، إنّهُ الوَطَنُ في النَّعيمِ. لذلك كانَ اللهُ مَسرورًا حين يَدعونَهُ رَبَّهُم، فأعَدَّ لهم حاضرةً في النَّعيمِ.

---

(1) التوراة، سفر التكوين 1: 1.

بالإيمانِ كانَ النَّبيّ إبراهيمُ (عليه السّلام) يُقدِّمُ إسحَقَ ابنَهُ للهِ ذبيحةً عندما امتحنه. أجل، إبراهيمُ الَّذي حَصَلَ على وَعدِ اللهِ، كانَ يوشِكُ أن يذبحَ ابنَهُ الفريد، رَغمَ أنَّ اللهَ قال له: «يا إبراهيم، مِن إسحَقَ يَنحدرُ الوَرَثةُ وبهم أُحقِّقُ وعدي لك».[1] وهو يَعلَمُ أنَّ اللهَ قادرٌ على إحياءِ ابنِهِ مِنَ الموتِ، وبطريقةٍ رَمزيّةٍ، استعادَ النَّبيُّ إبراهيمُ ابنَهُ مِنَ المَوتِ.

وبِالإيمانِ طلبَ النَّبيُّ إسحَقُ لابنَيهِ يَعقوبَ والعِيصِ بَرَكات في المُستقبلِ من اللهِ.

وبِالإيمانِ، دَعا النَّبي يَعقوبُ قَبلَ مَوتِهِ بالبَرَكاتِ لابنَيْ يوسُفَ، مُتوكِّئًا على عَصاهُ رافعًا صَلواتَهُ إلى اللهِ.

وبِالإيمانِ، أعلن النَّبيِّ يوسفَ أنَّ اللهَ سيُخرجُ بَني يَعقوبَ مِن مِصرَ، فأوصاهم قبلَ موتِهِ أن يَنقلوا معهم رُفاتَهُ.

وبِالإيمانِ، قام والِدا سَيِّدِنا موسى بإخفائِهِ مُدّةَ ثلاثةِ أَشهُرٍ عنِ النّاسِ، لأنّهما رأيا أنَّ ابنَهما ذو بَهاءٍ عظيمٍ، ولَم يَخشَيا أَمرَ فِرعَونِ مِصرَ الّذي حكَمَ بِقَتلِ كلِّ مَولودٍ ذَكرٍ لِبَني يعقوبَ.

وبِالإيمانِ رَفَضَ النَّبيّ موسى حينَ بَلَغ سِنَّ الرُّشدِ أَن يُدعى ابنًا لابنةِ فِرعَونَ، واختارَ أن يتحمَّلَ الذُّلَّ مع جماعةِ اللهِ، على أن يتمتّعَ بلذةِ الإثم الّتي لا تَدومُ. ورأى أَنَّ الإهانةَ الّتي يواجِهُها معهم في سبيلِ المَسيحِ المُنتظَرِ، خيرٌ مِن كُنوزِ مِصرَ وأبقى، لأنّه يعلَمُ أنَّ جزاءَه مِنَ اللهِ جزاءٌ أوفى. وبإيمانِهِ باللهِ ترك أرضَ النّيلِ وهو لا يَخشى غضبَ فِرعَونَ، بل كانَ ثابتَ الفُؤادِ، ذا عَزمٍ فأبصَر مَن لا تَراهُ عَينٌ. وبالإيمانِ أمرَ بَني يعقوبَ أن يحتفِلوا دائمًا بعيدِ الفِصحِ، وأن يَرُشّوا دماءَ الخرفانِ المَذبوحَةِ على قوائمِ الأبوابِ، ليتجاوزَ بذلك مَلاكُ الموتِ أبكارَ شَعبِهِ ولا يقتلهم.

وبالإيمان اجتازَ بَنو يعقوبَ البَحرَ الأَحمَرَ كأنَّهُم يَجتازونَ اليابِسَةَ، في حينِ رامَ المِصريونَ ذلك، فغرقوا!

وبِالإيمانِ طافَ بَنو يعقوبَ حَولَ مَدينةِ أريحا سَبعةَ أَيّامٍ لأنّها لم تُفتح لهم، ثُمّ بأَمرٍ مِنَ اللهِ انهارَت أَسوارُها ودَخلوها.

وبالإيمانِ رِحابُ العاهِرة لم تهلك في تلكَ المدينةِ معَ شَعبِها الّذين رَفَضوا طاعةَ اللهِ، لأَنَّها أَوَتْ اثنين مِن الكشّافة مِن جَيشِ بني يعقوبَ في دارِها عند مُطاردتِهما من قبل أعدائِهم.

---

(1) التوراة، سفر التكوين 21: 12.

11: 32ـ40

فهَل أَحتاجُ إلى المَزيدِ في استعراضِ الأَمثِلةِ؟ لا يَتَّسعُ المَجالُ كي أُحدِّثَكُم عَن إيمانِ جِدعونَ وإيمانِ باراقَ وَشَمشونَ، وفاتِح والنَّبيِّ داوُدَ والنَّبيِّ صَموئيلَ وَغيرِهِما مِنَ الأَنبياءِ الأقدمين. فبالإيمانِ تغلَّبوا على مَمالِكِ أَعدائِهِم، وحكَموا بالعَدلِ، وحَصَلوا على ما وعدهُمُ اللهُ بِهِ. وبالإيمانِ كَفَّ اللهُ مِن أجلِهِم أنيابَ الأُسودِ، وأَخمَدَ النّارَ المُشتعِلةَ واللَّهيبَ، وحَفِظَهُم مِن أن يُقتلوا بالسَّيفِ، وبالإيمانِ صارَ ضَعفُهُم استِبسالاً، فأَصبَحوا في الحُروبِ أبطالاً، يَكسِرونَ جُيوشَ الغُرَباءِ. واستَرجعَتْ بَعضُ النِّساءِ أَمواتَهُنَّ الَّذين بُعِثوا أحياءً، واحتملَ آخرونَ التَّعذيبَ، وفضَّلوا المَوتَ على أن يَكفُروا لكي يُطلَقَ سَراحُهُم، طمعًا في خيرِ جَزاءٍ مِن اللهِ يومَ القيامةِ. وغَيرَ هؤلاءِ مِن الَّذين تحمَّلوا الإِهانةَ والتَّعذيبَ وقيودَ السُّجونِ. ومِنهم من حوكِمَ، أو قُتِلَ رَجمًا بالحِجارةِ، أَو نَشرًا بالمَناشيرِ، أَو بالسَّيفِ، ومِنهم مَن تشرَّدَ واتَّخذ من جُلودِ الغنمِ والماعزِ لِباسًا، فكانوا مَحرومينَ، مُضيَّقًا عليهِم، مَظلومينَ. وقد طُردوا إلى الفَيافي والجِبالِ، واختبؤوا في المَغاراتِ وكُهوفِ الأَرضِ، ولَم يَكُن هذا العالَمُ جَديرًا بهم!

لقد رَضِي اللهُ عن هؤلاءِ جميعًا لإيمانِهِم، غيرَ أَنَّهم لَم يَروا تَحقيقَ ما كانوا به مَوعودينَ. فقَد وعدنا اللهُ بما هو أسمَى، فحَقَّقَ وُعودَهُ في زمنِنا مِن خِلالِ سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ، وهكذا لَم يَصِل أسلافُنا الصّالحونَ إلى الفَوزِ قَبلَنا، ولكنَّهُم في صُحبَتِنا سيبلغونَ الفَوزَ العظيم.

الفصل الثّاني عشر

12: 1ـ13 الله يؤدّب أهل بيته

إنَّ مَثَلَ هؤلاءِ الشّاهِدين على الإيمانِ، كمَثَلِ جماعةٍ عظيمةٍ مِن المُشاهدينَ يتحلَّقونَ حَولَنا. فلنَكُن كأنَّنا في سِباقٍ، ولنترُك جانبًا كُلَّ ما يَعُوقُنا عَنِ المَسيرِ، ولنتحرَّر مِنَ الذّنبِ الّذي يؤدّي إلى سُقوطِنا بِكُلِّ سُهولةٍ، كي نواصِلَ في سِباقِ الإيمانِ المُمتَدِّ أَمامنا بِعَزمٍ وتَصميمٍ. وكما أَنَّ المُتسابقينَ يُحدّدونَ هدفَهم جيّدًا، ثُمّ يَركُضونَ نحوه،

فإنّه علينا أن نَشخصَ بأبصارِنا إلى سيِّدِنا عيسى، فهو الّذي أسّسَ إيمانَنا وهو الّذي يَصِلُ به إلى غايتِهِ. لقَد تحمَّلَ عذابَ المَوتِ على الصَّليبِ، لا يُبالي بالذُّلِّ الّذي لَقِيَهُ، إذ كان يَرى ما يَنتظِرُهُ مِن سُرورٍ، ثُمَّ جلس على يَمينِ عَرشِ اللهِ. فاعتبِروا به، هو الَّذي تحمَّلَ عِداءَ الأشرارِ، حتّى لا تَقنَطوا ولا يَنهارَ إيمانُكم.

إنّكم لَتُجاهِدونَ ضِدَّ السّوءِ، ولكِن لَم تُسفَكْ دِماؤُكم بَعدُ. إخوتي، أتُراكُم نَسِيتُم نَصيحةَ النَّبيّ سُليمانَ الّتي وَرَدَت في الكِتابِ، وفيها يعتبِرُكمُ اللهُ مِن آلِ بيتِهِ؟ قال النَّبيّ سُليمان: «أي بُنَيَّ، لا تستخِفَّنَّ إذا ما أدَّبَكَ اللهُ، ولا تقنَطَنَّ إذا ما عاتبَكَ. فمَن أحبَّهُ اللهُ أدَّبَهُ، واللهُ يُعاقِبُ كُلَّ مَن يَجعله مِن أهلِ بيتِهِ».[1]

وقد يأخُذُ الأَبُ في تأديبِ أبنائِهِ بِالشّدَّةِ حتّى يَسيروا في طريق الصَّلاحِ. كذلك يُرسِلُ اللهُ عليكم ابتلاءاتِهِ لِلغايةِ نفسِها، فتحَمَّلوا الضّيقَ، فاللهُ ربُّكم وأنتم أهلُ بيتِهِ المَحبوبونَ. فإن لم يَبتَلِكم كي تكونوا من الصّالحين، كما يفعَلُ ذلك معَ الّذين هم من عيالِهِ، فذلك يَعني أنّكم مُدَّعُونَ ولستم في الحقيقةِ مِن أهلِ بيتِهِ. ونحن نَحترِمُ آباءَنا الّذين علَّمونا الصَّلاحَ وأدَّبونا. أفلا يَجدُرُ بنا الآن أن نَخضَعَ للهِ أبينا الرّحمنِ الرحيم، حتّى يجعلَنا مِنَ الخالِدينَ؟ وكان تأديبُ آبائِنا في الزَّمانِ مَحدودًا، بما رأوهُ مُناسِبًا. ولكِنَّ اللهَ يختبِرُنا دائمًا لِصالِحِنا حتّى نتمتّعَ بِقَبَسٍ مِن قُدسيّتِهِ. وإنّه لَطبيعيّ أن يَرى المَرءُ كلَّ تأديبٍ في حينِهِ مؤلِمًا، غيرَ أنّه سَيَرضى بعدَ قليلٍ حينَما تُفعَمُ نَفسُهُ صَلاحًا وسَلامًا مِن ذلكَ الاختبارِ.

فشَدِّدوا ما ضَعُفَ مِن عَزائِمِكم، وما وَهَنَ مِن قوّتِكُم. وسيروا على الصِّراطِ المُستقيم، حتّى لا يَنحرِفَ الّذين كانوا في إيمانِهِم ضُعفاءَ، بل يُصبحوا مِنَ السّالِمينَ الرّاشِدينَ.[2]

12: 14-29 اِحذروا الكفر

اِسعَوْا إلى السّلام مع جَميعِ النّاسِ، وإلى نَذرِ حَياتِكُم للهِ، فدون هذا، تعجزونَ عن رُؤيةِ سَيِّدِنا حينَ يَتجلّى. فاحذَروا أن تَغفلوا فتَخسَروا فَضلَ اللهِ، وأن يَنمو فيكم، كما

---

(1) يقتبس الكاتب هنا من سفر الأمثال 3: 11-12.

(2) تتضمّن هذه الكلمات تلميحا إلى ما جاء على لسان النبي سليمان في سفر الأمثال 4: 26.

ذكرتْ التَّوراةُ: «الضَّلالُ كالجذرِ المَريرِ»، فيخنُقَ منكم الكثيرَ ويُفسدهم.[1] فاحذَروا أن يَكونَ بينَكم الفاسِقونَ أَو المُستهتِرونَ أَهلُ الشَّهواتِ، الّذين لا يَهتمّون بِرسالةِ اللهِ، مِثلُ العِيصَ الّذي تَخلّى لأخيه النبيّ يعقوب عن بَركاتِ كونِهِ الابنَ البِكرَ مُقابلَ إشباعِ شَهوةِ الطّعام، غيرَ مُبالٍ أنَّ ما يطلبُهُ أبوهُ مِنَ البَركاتِ، مَصحوبٌ بِما وَعَدَهُ اللهُ به. وإنَّكم لتَعلَمون، أنَّ العِيصَ حين رَغِبَ أن يَستعيدَ ما أضاعَ مِن خيراتٍ، بعدَ أن كانَ بها مُستخِفًّا، رفض أبوهُ رَجاءَه، فلم يَجِد سَبيلاً إلى تَغييرِ مَوقفِ أبيه، رغمَ ما أبداهُ مِن إلحاحٍ ودُموعٍ وتَوسُّل.

يا إخوتي، لم يَحدُث معكم كما حدث مع بني يعقوب قديمًا في طورِ سيناءِ، فَلَم يَستطيعوا الاقترابَ مِن تَجلّياتِ اللهِ في الجبلِ، ولا لمسَ الجبلِ المُشتعِلِ نارًا. إنَّ فيهِ لظلمةً، وريحًا عاصفة وقتامةً، وهُتافَ بوقٍ، وصَوتًا مُرعِبًا لدرجةِ أنّهم التمسوا مِنَ النّبي موسى أَن يطلُبَ مِن اللهِ قطعَ هذا الخِطاب. فقد عَجزوا عنِ تحمُّلِ ما جاءَ عنِ اللهِ: «فإن مَسَّ الجبلَ إنسانٌ، أو حتّى حَيوانٌ، قُتِل رجمًا بالحِجارةِ».[2] وكان ما تَراهُ العَينُ عَظيمًا مُرعِبًا، فقالَ النّبيُّ موسَى: «إنّي أرتعِشُ مِنَ الخَوفِ».[3]

أَمّا أنتم يا إخواني، فَبِفَضلِ إيمانِكُم أصبحتم مِنَ المُقرَّبين، إذ دخلتمُ الحاضرةَ المُقدَّسةَ في عِلّيينَ، حاضرةَ اللهِ الحَيِّ القيّوم في السَّماءِ فوقَ جبلِ تِصْيونَ![4] وفيها تتلاقَى أَفواجٌ مِنَ الملائكةِ لا تُحصَى في احتِفالٍ بَهيجٍ. إنّكُم قادِمونَ إلى جَماعةِ عِيالِ اللهِ الشُّرَفاءِ الّذين دُوِّنَتْ أَسماؤُهُم في السَّماءِ. أجلْ، إنّكم قادمونَ إلى اللهِ الحَكَمِ العدلِ بين كلِّ البَشَرِ، وإلى الأمواتِ الّذين رَضيَ اللهُ عنهم ومَكّنَهُم مِن بُلوغِ حَضرتِهِ، كلُّ ذلك بِفَضلِ سيِّدِنا عيسى الّذي أَبرَم معنا ميثاقَ اللهِ الجَديدَ بِدَمِهِ المَسفوكِ الّذي يَحمِلُ مَغفِرةَ الذُّنوب، وإنّ دَمَهُ لأفضلُ مِن دَمِ هابيل الّذي طلبَ القِصاص.

فانتبهوا، ولا تَرفُضوا سَماعَ كلامِ اللهِ. إنَّ الّذين رَفَضوا أن يَستمِعوا إلى إنذارِ النّبيّ موسى الّذي يَنتمي إلى الأَرضِ، أصابَهمُ العِقابُ الشَّديدُ. وإذا ارتَدَدنا عَن سَيِّدِنا عيسى المُنزَّلِ مِن السَّماءِ، فلَن نُفلِتَ أبدًا مِن العِقابِ الشَّديدِ! تزلزلَتِ الأَرضُ بِصَوتِ اللهِ

---

(1) التوراة، سفر التثنية 29: 18.

(2) التوراة، سفر الخروج 19: 12-13.

(3) لم ترد هذه التفاصيل في التوراة ويبدو أنّ ما جاء هنا هو إشارة إلى وحي جديد.

(4) رغم أنّ جبل تِصْيون هو الجبل الذي بُنِيَت عليه مدينة القدس، فإنّ المصطلح يشير هنا إلى مدينة الله السماويّة ومن سيسكنها.

حينَما عَقَدَ معهُ الميثاقَ القديمَ، فَجاءَ كلامُ اللهِ تعالى على لسانِ النَّبيّ حَجّي: «لأُزَلزِلَنَّ مَرّةً أُخرى، لا الأَرضَ وحدها بل أيضًا السَّماواتِ العُلى!»[1] ومَعنى هذا أَنَّه سيُزَلزِلُ الدُّنيا، فيُزيلَ كلَّ ما فيها، وإنّما الأَبديُّ الثّابتُ المَتينُ هو ما يَبقى. فاحمَدوا اللهَ لأَنّه جعلنا نفوزُ بالمَملَكةِ الأَبديّةِ الرّاسِخةِ، واعبُدوهُ عِبادةَ خُشوعٍ ورَهبَةٍ يَرضى عنها. إنَّ قوّةَ اللهِ كالنّارِ المُلتهبةِ القاهرةِ.

الفصل الثّالث عشر

13: 1–14 وصايا أخيرة

اِستمِرّوا في مَحبّةِ بَعضِكم بَعضًا، إخوةً في اللهِ. ولا تَغفَلوا عن ضيافةِ الغُرباءِ، فقد استضافَ بَعضُ الأنبياءِ مَلائكة وهم لا يَدرونَ.[2] واعتنوا دائمًا بالأَسرى السُّجناء، كأنّكم أسرى معهم، وساندوا المَظلومينَ، كأَنَّما أنتمُ المَظلومونَ.

حافظوا على كَرامةِ الزَّواجِ، وابتعِدوا عن النَّجاسةِ، وأخلِصوا لِزَوجاتِكُم، إنَّ اللهَ يُنزلُ عِقابَه على الزُّناةِ والفاسِقينَ. طَهِّروا قلوبَكم مِن حُبِّ المالِ، واقتنعوا بما أعطاكمُ اللهُ. فقد أَوحى تَعالى في الكتابِ: «ما أَنا بِمُهمِلِكَ، وما أنا بتارِكِكَ».[3] ونُرَدِّدُ كذلك ما جاءَ في الزَّبورِ بكلِّ ثِقةٍ: «إنَّ اللهَ نَصيري فلا أَهابُ ما هُم بي فاعِلونَ».[4]

وتَذَكَّروا دائمًا المُرشدينَ الَّذين عَلَّموكم رسالةَ اللهِ، وتأمّلوا في سيرَتِهم حتّى نهايَتِها، واقتدُوا بإيمانِهم. فسيّدُنا عيسى المَسيحُ لا يتغيَّرُ أبدًا، لا اليومَ، ولا في ما مَضى مِن الأَيّامِ، ولا في ما تبقّى منها. فلا تتَّبِعوا عقائدَ الضَّلالِ الغَريبةَ ولا تنخدعوا بها. بل اثبُتوا في إيمانِكم بِفَضلِ اللهِ، لا بواسطةِ شَعائرِ الطَّعامِ الَّتي لا تنفعُ الَّذين اتَّكلوا عليها. وقَد ضَحّى سيِّدُنا عيسى بِحَياتِهِ مِن أَجلِ أَن تُغفَرَ ذنوبُنا، وليسَ لِلأَحبارِ إن تمَسَّكوا

---

(1) كتاب النبي حجّي 2: 6.

(2) تشير كتب الأنبياء القدامى إلى أنّ الملائكة تَظهر للناس على هيئة إنسان، فيعتقدون للوهلة الأولى أنّهم بشر، كما حدث مع النبي إبراهيم وغيره من الآباء الأوّلين (انظر التوراة، سفر التكوين، الفصل 18).

(3) يلمّح الكاتب هنا إلى التوراة، سفر التثنية 31: 6، 8.

(4) كتاب الزبور، مزمور 118: 6–7.

بِنِظامِ الخَيمَةِ المُقَدَّسَةِ أن يَستفيدوا مِن تلكَ التَّضحيةِ! فالأَحبارُ يَذبحونَ الحَيَواناتِ ويجعَلونَ دماءَها في المحرابِ المُقدّسِ قُربانًا لِلتَّكفيرِ عَن خَطايا الشَّعبِ كلِّه، أَمّا أَجسامُ الأضاحي فَتُحرَقُ خارِجَ المَكانِ الَّذي يُخَيِّمونَ فيه.[1] كذلك، تأَلَّمَ سيِّدُنا عيسى وضَحَّى بنفسِه خارِجَ بَوّابةِ مَدينةِ القُدسِ، حتّى يُطَهِّرَ بدَمِه جَماعةَ المؤمنينَ. لِذا بِما أَنَّ سَيِّدَنا قَد تحمَّلَ الذُّلَّ والإهانةَ خارِجَ المَدينةِ، فدَعُونا نَخرُجُ إليهِ ونَحمِلُ من شَعبِنا الذُّلَّ معهُ. فالدُّنيا ليستْ وَطَنًا لنا، بَل نحن نَسعى إلى وَطَنِنا في الآخرةِ.

13: 15-19

هكذا يجبُ أن نقدّمَ قربانَ تَسبيحٍ للهِ لا يَنتهي بفَضلِ السَّيّدِ المَسيحِ، وهو قربانٌ يَصدُرُ عن شفاهِنا نحن الّذين نُسبّحُ بحمدِهِ في العالَمينَ. لا تُهمِلوا صالِحَ أعمالِكم وإعانَةَ إخوتِكم بسخاءٍ، فهذه الأعمالُ هي بمَثابةِ القَرابين الَّتي تُرضي اللهَ. أطيعوا مُرشِديكم واحترموا مَكانتَهم، لأَنَّهم يَسهرونَ على العِنايةِ بكم، وإنَّهم سيُحاسَبونَ أمامَ اللهِ على عَمَلِهمِ الرّوحانيِّ. افعلوا هذا كي يَقوموا بِعَملِهِم بِفرحٍ لا بتذمُّرٍ، وإلاّ فأَنتمُ الخاسِرونَ.

فادعوا لنا، لأنّنا نحن على يقينٍ مِن نَقاءِ ضَميرِنا، ونَرغَبُ في أن نَحيا حياةً شَريفةً مِن كلِّ جَوانبِها. فاحرِصوا أَن تتضرّعوا إلى اللهِ مِن أجلِ أن أَعودَ إليكم في أقربِ وقتٍ.

13: 20-24 دعاء وتحيّة ختاميّة

إنّ اللهَ هو السّلامُ ومنه السّلامُ، وهو الَّذي بَعَثَ سَيِّدَنا عيسَى مِنَ الموت. وإنَّ سيَّدَنا هو الرّاعي العَظيمُ، وبِدَمِهِ أقامَ اللهُ معنا ميثاقَهُ الأَبَديّ. وإنّي لَسائِلٌ اللهَ تعالى، أَن يجعَلَكم قادِرين على فِعلِ ما يشاءُ مِن صَلاحٍ، وأن يَعملَ فينا ما يُرضيهِ بِحَقِّ سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ، لتكون له الهَيبَةُ إلى أَبدِ الآبدينَ. آمين.

إخوَتي المؤمنين، إنّي لأرجوكم أَن تحتمِلوا ما وَجَّهتُهُ إليكم مِن وَعظٍ في هذهِ الرِّسالةِ القَصيرةِ. واعلَموا أَنَّ أَخانا تيموتاوي قد أُطلِق سَراحُهُ مِنَ السِّجنِ. فإن وَصَلَ إليَّ بسُرعَةٍ، فسنزورُكم قَريبًا.

بلِّغوا سلامي إلى مُرشِديكم، وبَلِّغوهُ إلى جميعِ المؤمنين. ويُبَلِّغُكم إخوَتُكم في إيطاليا السّلامَ أيضًا. فَضلُ اللهِ عليكم أَجمَعين.

---

(1) يشير الكاتب هنا إلى الأحكام في التوراة، سفر اللاّويين 16: 3-28.

مدخل إلى رسالة الحَواري يعقوب

من المرجَّح أنّ الحَواري يعقوب الصدّيق هو كاتب هذه الرّسالة، ويرى البعضُ أنّه أخو سيّدنا عيسى المسيح (سلامه علينا) من أمّه مريم، ويرى البعض الآخر أنّه أحد أقربائه فقط (انظر متّى 13: 55، مرقس 6: 3، غلاطية 1: 19). وقد كتبها في الفترة الممتدّة بين سنة 40 للميلاد والفترة التي اندلعت فيها الثورةِ اليهوديّةِ ضدّ الرّومان بِداية من سنة 66 للميلاد.

كان يعقوب من القلائل الذين تجلّى لهم سيّدنا المسيح بعد انبعاثه من الموت (انظر رسالة كورنتوس الأولى 15: 7)، ومع مرور الزّمن أصبح قائدا لأتباع السيّد المسيح في القدس (انظر سيرة الحواريّين 12: 17؛ 15: 13-21؛ 21: 18؛ رسالة غلاطية 2: 9، 12)، إلى أن جاء أمْرُ كبير الأحبار أنانوس برَجمه حتّى الموتِ سنة 62 للميلاد. وفي الوقت الذي كتب فيه يعقوب هذه الرّسالةَ (أي أواخر الأربعيناتِ أَو أوائِل الخمسيناتِ بعد الميلاد)، كان أغلب المؤمنين بالسيّد المسيح يهودا، ولا شكّ أنّ الحواري يعقوب توقّع أنّ العدد القليل من المؤمنين من سائر الأمم سيكونون تحت عنايةِ الأغلبيّة اليهوديّة، خاصّة وأنّ دعوة الحَواري بولس إلى الإيمانِ بالسيّد المسيح بين غير اليهود لا تزال في بداياتها.

كان أغلب سكانِ فلسطين في ذلك الوقت من صغار الفلاحين. وقد أجبَرَ الأثرياء عددا كبيرا منهم على التخلّي عن أراضيهم، فأصبحوا مجرّد عمّال أَو فلاحين مستأجَرين، كما تعرّضوا إلي الاستغلال من قبل الأغنياء وخاصّة الأرستقراطيّة اليهوديّة والنخبة الدينيّة في أغلب الأحيان. وكان مُعظَم من آمن من اليهود بالسيّد المسيح في فلسطين من الفقراء في تلك الفترة. فكان من الطّبيعي أن يشعر هؤلاء بالاستياء من الأغنياء الذين سلبوهم أراضيهم مرّات عديدة، وظلموهم عندما استخدموهم كأجراء. كما تعرّضوا إلى الاضطهاد من النخبة الدينية، وهو ما دفع ببعض المؤمنين إلى الهروب إلى بلدانِ أخرى.

لقد أنتج صراعُ الطّبقات في المجتمع اليهوديِ صداما بين الحزب القومي للمتحمّسين (أو الغيورين) وبين مجموعات النّخبة التي تعاملت مع الرّومان المحتلّين. وفي زمن كتابة هذه الرّسالة أشتدّ تأثير المتحمّسين وزعموا أنّ الله يطلب من اليهود أَن يكونوا دعاةَ عنف تحقيقا لمرضاته تعالى، أمّا المؤمنون بالسيّد المسيح في فلسطين، فكانوا يشعرون أنّه لا خيار أمامهم إلاّ التّذمّر والاستياء والتحزّب، وأنّ كلّ ما يحيط بهم يدفعهم للالتحاق بصفوف المتحمّسين. وقد ادّعى المتحمّسون انحيازَهم إلى صفوف الفقراء، وبذلك استقطبوا المؤمنين الفقراء.

وكان الحواري يعقوب شديد القلق على ما قد يُقدِم عليه إخوانُه المؤمنون داخل فلسطين أو خارجها وخاصّة عندما رأى التأثير المتزايد لطائفة المتحمّسين عليهم. لقد كان لليهود الذين يعيشون في البلدانِ الأجنبيّة صلات وثيقة بفلسطين وتأثّروا تأثّرا عميقا بالاتّجاهات الدّينيّة والسّياسيّة الموجودة فيها، أمّا يعقوب فيدعو في هذه الرّسالة إلى الشّفقة والرّحمة على المسكين، وفي المقابل يُدين بشدّة العقائد الباطلة التي يدعو إليها المتحمّسون. فقد دعا المؤمنين ألاّ يَتّكلوا على أمور هذه الدّنيا وخاصّة المال، ودعاهم إلى نبذ الكراهيّة والنّزاع والشّتائم والغضب، كما وبّخ المرشدين الذين ينتمون إلى جماعات المؤمنين بالسيّد المسيح، ويسعَون إلى جَمع أكبر عدد من الأتباع في صفوفهم، ويخاطبون غيرهم من المؤمنين بقسوة وغلظة. ويبدو قلقُ يعقوب واضحا بشأن تراجع وحدة الجماعة وفتور المحبّة واللّطف فيها. وكان يدعو جماعة السيّد المسيح إلى الوحدة والرّحمة وإدانة الظلم، ويرفض في الوقت نفسه المشاركةَ في العنف. ويُعلن أنّ عدالة الله ستَحُلّ في الوقت المناسب.

بسم الله تبارك وتعالى

رسالة الحَواريّ يعقوب إلى أحباب الله

الفصل الأوّل

1: 1 تحيّة

هذه الرّسالةُ مِن يَعقوب، خادِمِ اللهِ ورَسولِهِ سيِّدِنا عيسى المَسيح. أُهدي سَلامي إلى كلِّ مَن آمَنَ بالسّيِّدِ المَسيحِ مِنَ أسباطِ بني يَعقوب الاثني عَشَرَ المُشتَّتينَ في أنحاءِ العالم.[1]

1: 2-11 الإيمان والصّبر

يا إخوتي في اللهِ، لقَد بَلَغَني أنّكم تُواجِهونَ أنواعًا شَتَّى مِن البَلاءِ والإغراءاتِ، ولكِن رَغمَ ذلك عليكم أن تفرحوا وأن تَعلموا أنّكم إذا نَجَحتم في امتِحان إيمانِكم، فستصمُدونَ بِهِ في تَجارِبَ أُخرى. نعم، كونوا دائِمًا صامِدين ولا تفشَلوا لكيْ تُصبِحوا صالحينَ راشِدينَ لا يَنقصُكم شَيءٌ.

فإذا شعرَ أحدُكم أنّه في حاجةٍ إلى حِكمةٍ وإرشادٍ مِن اللهِ أثناءَ الامتِحانِ، فعليهِ أن يسألَ اللهَ، لأنّه كَريمٌ مُجيبٌ لِلدَّعواتِ، ولا يَرُدُّ سائِلاً إذا سألهُ، ولا يلومُ أحدًا. ولكن

(1) قبلَ زمن الحواري يعقوب بقرون عديدة، تَشتّتَ معظم اليهود في الأرض واختفَوا إثر نفْيهم على يد القوّات الأشوريّة المنتصرة سنة 722 قبل الميلاد، وهم عشرة قبائل من مجموع قَبائل بني يعقوب الإثنتي عشرة الأصليّة. وقد كان أغلب الشعب اليهودي يَعتقد أنّ تلك القبائل المفقودة ستعود عند قيام السّاعة كما كانت من قبلُ. ويرى يعقوب أنّ أتباع سيّدنا عيسى من اليهود الذين وصلتهم هذه الرّسالةُ هم الورثة الحقيقيّون لشعب بني يعقوب، لأنّ إعادة تأسيس القبائل الإثنتي عشرة هي من مهامّ السيّد المسيح (انظر كتاب النّبي إرميا 3: 18، وكتاب النّبي حزقيال (أو ذو الكفل) 37: 19-24). ورغم أنّ العديد من القضايا التي تناولها يعقوب كانت من المعضلات التي واجهتْ اليهود في فلسطين، فقد اهتمّ بها كثيرٌ من يهود الشّتات أيضا.

عليهِ أن يسألَ اللهَ مُخلِصًا في إيمانِهِ، مُستَعِدًّا لاتّباعِ إرشادِهِ تَعالى. فإنّ المُرتابَ كَموجِ البحرِ تقذِفُهُ الرِّياحُ وتَدفعُهُ، فإن تردَّدتَ فَوَلاؤُكَ مُزدوجٌ بين وَلاءٍ للهِ ووَلاءٍ لِلدُّنيا، وأنتَ مُتقلِّبٌ في أعمالِكَ كُلِّها، فَلا تظُنَّنَّ أنّ اللهَ يَستجيبُ لِدُعائِكَ أبدًا!

إخوتي المؤمنين: إنّ على الأخِ المُستضعَفِ المِسكينِ أن يفتخِرَ أنّ اللهَ جعلهُ في مَقامٍ رَفيعٍ، وعلى الغنيِّ أن يفتخِرَ أيضًا لأنّهُ تعالى جعلهُ في مَقامٍ وَضيعٍ. إنّ مَثَلَ مالِ الغنيِّ كَزَهرِ العُشبِ زائِلٌ مَعدومٌ، فعندما تشتدُّ حَرارةُ الشّمسِ يَذبُلُ العُشبُ، ويَسقُطُ زَهرُهُ ويَزولُ بَهاؤُهُ. كَذا يفنى جاهُ الغنيِّ وكلُّ ما سعى إليهِ!

1: 12ـ18

هَنيئًا لِمَن يتمسَّكُ بإيمانِهِ حين يُواجِهُ البَلاءَ والإغراءَ، فإذا نَجَحَ في الامتِحانِ فإنّه سينالُ مِنَ اللهِ بعد فوزِهِ إكليلَ الحياةِ الخالدةِ الّذي وَعَدَ به كلَّ الّذين يُحِبّونَهُ. فإنْ تعرّضتم يا أحِبّائي للإغراءِ، فلا تَلوموا اللهَ على ذلك! إنّ الشَّرَّ لا يُمكِنُهُ أن يُغوي اللهَ، واللهُ لا يُغوي أحدًا. فلئِن وَقَعَ أحدُكم في الإغواءِ، فذلك بِسببِ ما في نَفسِهِ مِن أهواءٍ، تقودُهُ فترميهِ في مَهاوي الأخطاءِ. فإذا استسلمتَ للإغراءات، فإنّها ستحبلُ وتُنجبُ الإثمَ، والإثمُ إذا ما كَبُر، ولّد الهلاكَ!

إخوتي الأَحِبّاءَ، لا تَنخدِعوا بهذا المَوضوعِ، ولا تظُنّوا أنّ اللهَ يُرسِلُ إليكم الشَّرَّ والإغواءَ! بل إنّ كلَّ عَطاءٍ صالحٍ وكُلَّ هِبةٍ كامِلةٍ تَنزيلٌ مِن عندِ اللهِ الأبِ الرَّحيم، خالقِ أنوارِ السّماءِ. ولئِن دارَتْ هذه الأفلاكُ وتغيَّرَتْ مِنها الأشكالُ، فَاللهُ لا يتغيَّرُ أبدًا![1] وقد جعلنا مِن أهلِ بيتِهِ برسالةِ الحَقِّ كَما شاءَ، لِنُصبِحَ مِن بَواكيرِ خَلقِهِ الجديد.[2]

---

(1) يستنكر الحواري يعقوب هنا أن لا يباليَ الله بأمور البشر أو يتردّد ويتقلّب في مواقفه تجاههم، كما ظنّ بعض اليهود في زمنه. ويؤكّد أيضا أنّ الابتلاءات ليست محض صدفة، بل هي تدبير من الله الأمين في وعوده واللّطيف بعباده.

(2) وفقاً لتعاليم التوراة في سفر اللاّويين 23: 10، كان اليهود يقدّمون كلّ سنة الحزمةَ الأولى مِن باكورة حصاد الشّعير إلى بيت الله في مدينة القدس. وقد كانت هذه الحزمة علامة على أنّ الحصاد سيتمّ بعد هذا القربان. كذلك شأنُ اليهود الأوائل الذين آمنوا بسيّدنا عيسى عندما كانوا فئة قليلة ثم انضمّ إليهم عددٌ كبير من غير اليهود.

1: 19-27 السّمع والطّاعة

إخوتي الأحبّاءَ، اعلُموا أنّه على كلِّ واحدٍ مِنكم أن يستمِعَ إلى الآخَرين بعِنايةٍ وصَبرٍ، فيتأنَّى قَبلَ الكَلام، ولا يُسارِعَ إلى الغضب. فمَن يستسلِمُ للغضبِ يَحيدُ بغضبه عَن مَرضاةِ اللهِ.[1] إذَن، خَلِّصوا أنفسَكم مِن كلِّ نَجاسةٍ ومِن كلِّ ما تبقَّى في حياتِكم مِن حِقد، وتقَبَّلوا بِصدرٍ رَحبٍ رسالةَ اللهِ الّتي زرعها في قلوبِكم. إنّكم بها لَقادِرون على الفوز بالنّجاةِ.

لا تَكتفُوا بِسَماع رسالةِ اللهِ، بل اعمَلوا بها. ولا تَخدعوا أنفسَكم أنّكم تنجُونَ بِمُجرَّدِ سَماعِها. إنّ مَثَلَ الّذين يسمَعون الرِّسالةَ ولا يَعملون بها، كَمَثَلِ الغافلين الّذين يَشخَصون إلى وجوهِهم في المِرآةِ، ثُمّ حين يبتعِدون عنها يَنسَونَها! أمّا الّذين يتأمّلونَ في رِسالةِ سيِّدِنا المَسيح، وهي شريعةُ اللهِ الكامِلةُ الّتي يتحرَّرونَ بها، ويَحرِصونَ على تطبيقِها، فإنّهم لا ينسَوْنَ ما يَسمعونَهُ بل به يَعملونَ، واللهُ يُبارِكُ عَمَلَهم! وإن ظَنَّ أحدٌ أنّهُ مِن المُتديِّنينَ، وهو لا يُمسِكُ لِسانَهُ عن الكَلامِ الأثيم، فقَد خَدَعَ نفسَهُ، ولا جَدوى مِن دينِه! إنّ الدِّينَ الحَقَّ الطّاهِرَ عِند اللهِ أبينا الرّحيم يتجَلّى في الاعتِناءِ بشؤُونِ اليتامى والأراملِ في زَمَنِ عُسرِهِم، وفي صَوْنِ النّفسِ عن نواجِسِ الدُّنيا.[2]

الفصل الثّاني

2: 1-13 التّحذير من التحيّز

يا إخواني، كَيفَ تقولونَ إنّكم مؤمنونَ بسيِّدِنا عيسى المَسيحِ صاحِبِ الجَلالةِ في حين أنّكم تنحازونَ إلى بَعضِ النّاسِ دون غيرِهِم؟ لنفْترِضْ أنّ رجلاً مِنَ الأغنياءِ دخلَ

(1) كانت طائفة المتحمِّسين تشجّع النّاس على الهجوم على الرّومان والطّبقة الأرستقراطية التّابعة لهم، لأنّهم اعتبروا أنّ الله جعلهم وسيلة ليُنزل بها غضبَه على هؤلاء. أمّا الحواري يعقوب فيؤكّد أنّ هذه الطّريقة ليست مناسبة كردّة فعل إزاء البلاء والمحن، ويدين أفعال المتحمّسين ودعواتهم إلى العنف.

(2) يقول يعقوب إنّ الدّين الحقيقي يتناقض مع مفهوم الدّين لدى الثّوار اليهود، وهو مفهوم قائم على العنف والتشدّد، في حين أنّ الدّين الحقيقيّ يدعو إلى الدّفاع عن الضّعفاء في المجتمع، ويحثّ النّاس على تجنّب أخلاق أهل الدّنيا وطباعهم.

عليكم بِخواتِمَ مِن ذهبٍ وثِيابٍ فاخرةٍ، ودخل بَعدَهُ رجلٌ آخرُ فقيرٌ، يَرتدي مَلابِسَ باليةً، فلا يَجوزُ لكم أبدًا أن تعامِلوا الغنيَّ مُعاملةً مُميَّزةً، وتقولونَ له: «أهلاً وسهلاً، أقبِلْ وتَصَدَّرْ المجلِسَ»، في حين تقولون للفَقيرِ: «قِفْ مَكانَكَ، أوِ اقعُدْ عند أقدامِنا!»[1] أليسَ هذا التّصرّف دَليلاً على أنّكم تميّزون بين النّاس، وأنّكم صِرتم مِثل القُضاةِ الفاسدينَ تُضمِرونَ نوايا شرِّيرةً؟

اسمعوا يا إخوتي الأَحِبّاء: أَلا تعلمونَ أنّ اللهَ قد اختارَ في الدُّنيا المَساكين حتّى يغتَنوا بإيمانِهم بسيِّدِنا المَسيح، وحتّى يكونوا وَرَثَةَ المَملَكَةِ الّتي وعد بها مُحِبِّيهِ؟[2] أمّا أنتم فماذا تعملون؟ إنّكم تُهينونَ الفُقَراءَ وتَحترِمونَ الأثرياءَ، مع أنّ الأثرياءَ يَظلِمونكم وَيجُرّونكم إلى المَحاكمِ! أليسَ الأغنياءُ هُمُ الّذين يُهينونَ الاسمَ الشَّريفَ الّذي تَحمِلونَهُ، اسمَ سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ الّذي إليهِ تَنتَسِبونَ؟

ولقَد أوصانا مَولانا عيسى بالوصيّةِ الملكيَّةِ العُظمى، أن نُطيعَ ما جاءَ في الكِتاب: «أَحِبَّ جارَكَ كما تُحِبُّ نفسَكَ».[3] وإنّكم تُحسِنون إلى أنفسِكم إنْ اتّبعتم هذه الوصيَّةَ. أمّا إذا كنتم تُميِّزون بَعضَ النَّاسِ عن غيرِهم، فإنّكم ترتكِبونَ ذنبًا وقد أصبحتم حَسَبَ حُكمِ الشّريعةِ مِن المُعتدينَ.

واعلموا أنّ مَن يُخالِفُ وَصيّةً واحدةً مِن الشّريعةِ، حتّى وإن عَمِلَ بسائرِ الوصايا، فإنّه مُذنبٌ كأنّما خالَفَ الوَصايا كلِّها.[4] لأنّ اللهَ قال في التّوراةِ: «لا تزْنِ»، وقال أيضًا: «لا تقتُلْ بغيرِ حقٍّ». ورُبّما أنّكَ لم تَزنِ، ولكِنْ إذا قتلتَ إنسانًا، فقَد خالفتَ الشّريعة كُلِّها![5]

---

(1) ربّما أراد أتباعُ السيّد المسيح الذين خاطبهم الحواري يعقوب أن يعاملوا أصحاب القوّة والغنى معاملةً خاصّة، اعتقادا منهم أنّ هؤلاء سيُوفّرون المال والحماية للمؤمنين.

(2) تذكّرنا هذه الكلمات من يعقوب بكلمات سيّدنا عيسى في الإنجيل، لوقا 6: 20.

(3) يقتبس الحواري يعقوب هنا من التوراة، من سفر اللاّويين 19: 18. وللمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع انظر الإنجيل، متّى 5: 43-48.

(4) كان الفقهاء اليهود يعلّمون النّاس أنّ الانتهاك المتعمَّد لأصغر الوصايا، هو بمثابة انتهاك للشّريعة كلّها.

(5) يقتبس يعقوب هنا من التوراة. والاقتباس الأوّل مأخوذ من سفر الخروج 20: 14 وسفر التثنية 5: 18، بينما أخذ الاقتباس الثّاني من سفر الخروج 20: 13 وسفر التثنية 5: 17. وربّما لمّح يعقوب هنا إلى اليهود من طائفة المتحمّسين وغيرهم من المتمرّدين الذين كانوا لا يقربون الزّنى ولكنّهم لا يجدون حرجا في اغتيال اليهود العملاء للاحتلال الرّوماني.

فتذكَّروا، أحبابي، أنّ اللهَ سيُحاسِبُكم على كلِّ أقوالِكم وأفعالِكم حَسَبَ طاعتِكم لوصيّةِ المَحبَّةِ، فإن أحببتمُ الآخرين كما تُحبّون أنفسَكم، فستتحرَّرونَ مِن ذُنوبِكم. واذْكُروا أنّ اللهَ لن يرحمَ مَن لم يرحَم غيره يومَ الحِسابِ. أمّا الرّحيمُ فسَيغدقُ اللهُ عليهِ رحمتَهُ ويؤمنُه مِن عِقابِهِ!

2: 14-26 الإيمان بلا حسنات ميت

أيُّ فائدةٍ أيُّها الأحبابُ، إن رَدَّدَ أحدُكم أنّهُ مؤمنٌ، إذا كانت أفعالَهُ لا تَدُلُّ على أنّه صادِقٌ؟ فهل يَقدرُ إيمانُهُ هذا أن يَجعلهُ مِن النّاجين؟ كَلاّ![1] ولَئِن أتتْكم إحدى المؤمناتِ أو جاءَكم أحدُ المؤمنين، وكانت ثيابُهُ مُمزَّقة ولا يَملِكُ طعامَ يومِهِ، فخاطبتموه قائلين: «اذهَبْ في أمانِ اللهِ! ستَحظى بما تَحتاجُهُ مِن لِباسٍ وطعامٍ إن شاءَ اللهُ!» فأيُّ فائدةٍ سيَجنيها مِمّا تقولونَ، وأنتم تُمسِكون عنه ما يَحتاجُ إليهِ؟ كذاً شأنُ الإيمانِ، فإذا لم يُؤَدِّ إلى العملِ الصّالحِ، فهو إيمانٌ فانٍ!

وقَد يحتَجُّ عليَّ أحدُكم قائلاً: «الأمرُ سواءٌ في كلِّ الأحوالِ، فبَعضُ النّاسِ يملِكونَ الإيمان، وآخَرون يعمَلون صالِحًا، واللهُ سيَقبَلُ كِلَيهِما!» فأُجيبُهُ: «إنّي عاجزٌ عن رؤيةِ الإيمانِ فيكَ دونَ رؤيةِ صالِحاتِكَ. أمّا أنا فسأُريكَ إيماني بصالِحِ أعمالي!» أنت تؤمنُ وتشهدُ أنّه لا إلهَ إلاّ الله. فقد أحسنتَ! ولكنِ اعلَمْ أنّ الشّياطين هم أيضًا يؤمنون بهذا، ورغم ذلك يرتَعِشونَ خوفًا مِنَ العِقابِ!

يا للغباء! كيفَ يَجهلُ بَعضُكم أنّ الإيمانَ بلا حَسنات عقيمٌ؟ سأضرِبُ لكم مَثَلاً يتضمَّنُ شرحًا لهذا الأمرِ: كيفَ رَضِيَ اللهُ عن أبينا إبراهيم، وجعلهُ مِن الصّالِحينَ؟ أَلَم يَرضَ عنه بعَملِهِ عِندما قَدَّمَ ابنَهُ إسحَقَ على مَنَصَّةٍ ذَبيحًا لِله؟[2] أفلا تُبصرونَ كيف عمَلَ إيمانُه وأعمالَهُ معًا، وبالأعمالِ اكتَمَلَ إيمانُهُ؟ وهذا ما تعنيهِ التَّوراةُ بقَولِها: «آمَنَ إبراهيمُ بوعدِ اللهِ فحَسَبَهُ تَعالى مَرضيًّا».[3] وأصبح يُدعى «خَليلَ اللهِ»، فانظروا كيف

---

(1) من المحتمَل أنّ الحواري يعقوب قد استنكر موقفا شاعَ بينَ اليهود، وهو موقف قائم على المزج بين التّقوى والحماس الوطنيّ، وكلّ من يتبنّي هذا الموقف يُظهر التزامه بتعاليم التّوراة وكتب الأنبياء، بينما يسيطر عليه العنف والرّغبة في الهيمنة على الآخرين.

(2) يحيل يعقوب إلى الواقعة المذكورة في التّوراة، سفر التكوين 22: 1-14.

(3) التّوراة، سفر التكوين 15: 6.

يكونُ الإنسانُ مَرضيًّا عِند اللهِ بحَسناتِهِ، والإيمانُ وحدَهُ لا يكفي!

ويوجدُ مِثالُ آخَرَ في قصّةِ رِحابَ العاهِرةِ، فرغمَ أنّها زانيةٌ، فقد رَضيَ اللهُ عَنها برحمتِهِ بسَبَبِ أعمالِها الصّالِحةِ، إذ رحَّبَتْ باثنين مِن رِجالِ النّبيِّ موسى، وساعدَتْهما على الفِرارِ مِن مُطارديهِما، ووجَهَّتْهُما إلى طريقٍ آخَرَ آمن.[1] فكما أنّ الجِسمَ بلا رُوحٍ ميّتٌ، فكذلك الإيمانُ الخالي مِن الحسنات.

الفصل الثّالث

3: 1-12 ضبط اللّسان

يا إخوتي، يجبُ ألاّ يَكثُرَ بينكم المُرشِدونَ للنّاسِ في دينِهم. فإنّكم تعرِفونَ أنّنا نحنُ المُرشِدينَ نلقى حِسابًا أقسَى مِن حِسابِ سائرِ المؤمنينَ![2] وإنّكم تعرفونَ أنّنا جميعًا مُعَرَّضونَ للوقوعِ في أخطاء كثيرة. والّذي لا يخطئ في كلامِهِ مِن المُعلّمينَ المُرشدينَ فهو راشدٌ وقادِرٌ على إرشادِ أعضاءِ أُمّةِ الجسدِ الواحدِ كُلِّها.[3] وسأُقَدِّمُ لكم مِثالاً على ذلك: فحِين نضَعُ للخَيلِ اللِّجامَ الصّغيرَ نَستطيعُ أن نقودَها بسُهولةٍ مَهما كان حَجمُها. وكَذلك يستطيعُ الرُّبّانُ قيادةَ السُّفُنِ الكبيرة بدَفةٍ صَغيرةٍ، رَغمَ الرِّياحِ القَويَّةِ الّتي تدفَعُ أشرِعتَها. هكذا هو أمرُ اللِّسـانِ، فرَغمَ أنّه عُضوٌ صغيرٌ، إلاّ أنّ النّاسَ يتفاخَرونَ بواسطَتِهِ بما أتَوهُ مِن عمل كبير! وانظروا شأنَ شرارةِ النّارِ الصّغيرَةِ، كيف تُحرِقُ غابةً كبيرةً! كذلك اللِّسانُ، كَشُعلةِ النّارِ، إنّه مَصدرُ كلِّ أنواعِ الشُّرورِ المُنتشرةِ

(1) وردت الواقعة التي يشير إليها يعقوب هنا في كتب الأنبياء في الفصل الثّاني من سفر يشوع. ولا يؤيّد يعقوب هنا السّلوك الذي كانت تتّبعه رحاب، بينما يثني على إيمانها من خلال مساعدتها لعباد الله الصّالحين (انظر رسالة العبرانيين 11: 31).

(2) يتحدّث الحواري يعقوب في هذا المقطع عن أولئك الذين يقدّمون أنفسهم كمرشدين طمعا في مركز اجتماعي ومقابل مادّي. فبعضهم كان يزعم إرشاد النّاس إلى هداية الله بينما كان يلقّنهم حكمة زائفة يعتنقها الثّوار اليهود، مثل الدّعوة إلى العنف والفتنة.

(3) يستخدم يعقوب هنا كلمتي «الجسم» و«الأعضاء» في اللّغة اليونانيّة، وربّما أراد من ذلك مجازا جماعة المؤمنين بسيّدنا عيسى، أو ربّما قصد جسم الإنسان فقط. فإذا كان يعني جماعة المؤمنين فالآيتان 5-6 هما تحذير من الأذى المحتمل الذي سيصيب الجماعة بواسطة مرشد واحد ضالّ بينهم.

بين المؤمنين. إنّه يُفسِدُ كلَّ الجماعةِ، ويُشعِلُ النَّارَ في ما بينهم، وما هي إلاّ شرارةٌ أُخِذتْ مِن نارِ الجَحيم!

ولئن تحَكَّمَ الإنسانُ في مَصيرِ أنواعِ الوُحوشِ والطُّيورِ والزَّواحِفِ وكائناتِ البِحارِ، فإنّه يَعجزُ عَن التّحكُّمِ في لِسانِه. فاللِسانُ هو الشَّرُّ الّذي لا يَقعُ تحت سُلطانِ إنسانٍ! وهو إناءُ سُمٍّ قاتِلٍ، فبِهِ نحمَدُ ربَّنا أبانا الرَّحمن، وبِهِ نَطلبُ أن تحِلَّ اللعنةُ على النّاسِ الّذين خلقهمُ اللهُ ظِلَّه في الأرضِ. فبِلسانٍ واحدٍ نَلفَظُ الحمدَ واللَّعنات، وما هذا، إخوتي في اللهِ، بِالأمرِ الرشيدِ![1] أفتُخرجُ عَينٌ واحدةٌ ماءً فُراتًا وماءً مالِحًا أُجاجًا؟ وهل مِن شَجَرِ التّينِ نَغرسُ الزّيتون؟ أو هل يُمكِنُ أن نَجني التّينَ مِن الكَرم؟ أم هل نَستطيعُ أن نَشربَ مِنَ البحرِ ماءً سَلسَبيلاً؟ إنّ هذا، يا إخواني، غيرُ مَعقولٍ وغيرُ مَقبولٍ!

3: 13-18 الهداية الحقيقيّة

وإذا وُجِدَ بينكم مَن يَدَّعي أنّه مُرشِدٌ حَكيمٌ، وأنّ اللهَ يَهديهِ إلى الحَقِّ المُبين، فعليهِ أن يُبرهِنَ على ذلك بحياتِهِ الصّالِحةِ، مِن خِلالِ أعمالٍ يأتيها بتواضعٍ نابعٍ مِن حِكمةِ اللهِ.[2] أمّا إذا طغى على قُلوبِكُم الحسدُ والتّنافُسُ والتَّحَزُّبُ، فَلا تفتخِروا أنّ اللهَ قد هَداكم، فتنكِرونَ الحقيقةَ.[3] فالّذين يَفعلونَ هذا لا يَهتدونَ بِحِكمةِ اللهِ. وإنّما أفكارُهم دنيويّةٌ، بشريّةٌ، شيطانيّةٌ! وحيثُما يُوجَدُ الحسدُ والمُنافسَةُ والتَّحَزُّبُ تَحُلّ الفِتنةُ وأنواعُ الفَسادِ كلِّه.

---

(1) رغم أنّ بعضَ اليهود قد اعتبروا لعنهم للأعداء أمرا مقبولا نابعا من الوطنيّة، فقد أعلن الحواري يعقوب أنّ اللّعنات لا تليق بمن يتعبّد الله.

(2) كان المتحمّسون يعتبرون أنفسهم حكماء ومخلصين لدينهم بحثِّهم النّاس على العنف والثّورة ضدّ الرّومان. وكانت شعبيتهم تزداد يوما بعد يوم، في زمن كتابة هذه الرّسالة بسبب تزايد الظّلم. وقد حثّ الحواري يعقوب الفقراءَ على انتظار العدالة من الله تعالى، وبالتحلّي بروح التّسامح كَردٍّ على العنف. وقد برهن الزّمن على أنّ يعقوب كان أكثر حكمةً من دعاة العنف الثّوري، وذلك عقب ثورة اليهود في فلسطين في الفترة الممتدّة بين سنة 66 إلى سنة 70 للميلاد عندما تمّ تخريب مدينة القدس، واستعباد كلّ من نجا من الموت.

(3) المصطلح الذي يترجم عادة بكلمة «غيرة» هو إشارة إلى فكرة الزعيم الذي يعتبر نفسه غيورا أو متحمّسا للحقيقة، ويدخل في منافسة حادّة مع زملائه المتديّنين بهذا الشأن. أما المصطلح الذي يترجم أحيانا بـ«الأنانية» فهو يشير إلى طموح أولئك الزعماء لكسب أتباعٍ خاصّين بهم، ممّا يفسح الطريق أمام الفكر الطائفي.

أمّا إذا اهتدى أحدٌ بحِكمةٍ حقيقيّةٍ مِن عِندِ اللهِ، فهو لا رَيبَ طاهِرٌ حَليمٌ، واسِعُ الصَّدرِ سَمْحٌ كريمٌ، مَليءٌ بفضلِ اللهِ رَحمةً وحَسَناتٍ، لا نِفاقَ فيهِ ولا مُحاباةَ. والّذين يبذُرونَ بُذورَ السَّلام ويسعَونَ إليه، يَحصُدونَ مَرضاةَ اللهِ!

الفصل الرّابع

4: 1-12 التقرّب من الله

لِماذا كُلُّ هذا النِّزاعِ والخِصامِ بين جَماعاتِكم؟[1] أليسَ مِن الأهواءِ والحَسَد ما يُؤدّي إلى خِصامٍ عنيفٍ بين أعضائِكم؟ إنّكم تَشتَهون أمرًا فتسعونَ إليه حتّى تَحصُلوا عليهِ وبسببه تَقتُلون. وتَحسُدونَ غَيركم، فإذا عجزتم عَن نَيلِ ما ترغبونَهُ، تُخاصِمونَ وتُقاتِلونَ حَدَّ افتِكاكِهِ مِن أصحابِهِ! فهل عِلمتُم السّببَ الّذي يَحولُ دونَ حُصولِكم عليهِ؟ لأنّكم لا تطلُبونَهُ مِن اللهِ طَبعًا! حتّى وإن طلبتم مِنهُ أمرًا، فإنّه لا يُعطِيكم إيّاهُ، لأنّ نواياكم سيِّئةٌ، وتسعونَ إلى إرضاءِ أنفسِكم فقط.

فأنتم خائِنون كزوجَةٍ زانيةٍ! أفلا تعلَمون أنّ في حُبِّ الدُّنيا عَداوةً للّهِ؟! أجل، إنّ عاشِقَ الدُّنيا عَدوٌّ للهِ! ألا تفهَمونَ ما يَعنيه الكِتابُ إذ يقولُ: «إنّ الرُّوحَ الّتي حلَّت فينا بأمرِ من اللهِ تَغارُ علينا وتدفعُنا أن نكون مُخلصينَ»؟ ولكنّ اللهَ بفضلِ إيمانِنا به، يَمنحُنا قوّةً لكَي نترُكَ الشّهواتِ الدُّنيويّةَ، كما جاءَ في الكِتابِ أيضًا: «يَرُدُّ اللهُ المُتكبِّرينَ ويُنعم على المُتواضِعينَ».[2]

حسنًا، أسلِموا للهِ بخُضوعٍ، وقاوموا إبليسَ، فيَهرُبَ مِنكم. أقبِلوا إلى اللهِ، يُقبِل إليكم. واغسِلوا أيدِيَكم مِن ذُنوبِكم وشُرورِكم، أيُّها الخَطّاؤونَ، وطَهِّروا قلوبَكم يا مَن

---

(1) يخبرنا الحواري يعقوب أنّ الله يهدي المؤمنين إلى السّلام لا إلى العنف الثّوري الذي دعت إليه طائفةُ المتحمّسين. كما يخاطب في هذا المقطع من رسالته الفقراءَ والمستضعفين، ويشجّعهم على الامتناع عن قتل مضطهديهم والاستيلاء على ممتلكاتهم ويدعوهم إلى رفض العمل الذي حثّهم عليه بعضُ رجال الدّين. أمّا يعقوب فقد خالف آراء الأغلبيّة السّاحقة من شعبه عندما دعا إلى تنجّب العنف.

(2) يقتبس الحواري يعقوب هنا من التّرجمة اليونانيّة لسفر الأمثال 3: 34.

تتذبذبونَ بين الوَلاءِ للهِ والوَلاءِ لِلدّنيا![1] فاحزَنوا على سيِّئاتِكم، واصرُخوا، وابكُوا. واجعلوا ضَحَكاتِكم السَّخيفةَ تنقَلِبُ نُواحًا، وفرَحَكم يَنقلِبُ غمًّا. وتَواضَعوا للهِ، يَرفعْكم إلى مَقامٍ رَفيعٍ!

يا إخوتي، لا يَغتَبْ بَعضُكم بَعضًا. فمَن يُسِئ بكلامِهِ إلى أخيهِ أو يدينَهُ، يُسِئ إلى أعظمِ وصيَّةٍ في الشّريعةِ ويدينُها.[2] لأنّكَ عِندما تُدين الشّريعةَ تجعلُ نفسَكَ قاضيًا عليها ولا تَعملُ بها! في حينَ أنّ اللهَ وحدَهُ الحَكَمُ العَدلُ مَن أنزلَ الشّريعةَ، وهو القادرُ على جَعلِ الإنسانَ مِن الهالِكين أو مِن النّاجين! فمَن تخالُ نفسَكَ حتّى تُدين جارَكَ؟

4: 13ـ17 التّحذير من التكبّر

والآن انتبهوا يا مَن تتفوَّهون مُتكبِّرينَ: »سنذهَبُ اليومَ أو غدًا إلى ذلك المكَانِ المَعلوم، ونُقيمُ هناك عامًا نُتاجِرُ فيهِ ونَربحُ.« مهلاً! كيف تُخطِّطونَ وأنتم تَجهلونَ ما سيَحدُثُ غدًا؟! فما هي حياتُكم إذن؟ فأنتم لستم سِوى ضَباب يَظهَرُ لفترةٍ وَجيزةٍ ثُمَّ يَختفي! بل عليكم أن تقولوا: »إن شاءَ اللهُ، سَنَحيا وسنَفعلُ هذا الأمرَ أو ذاك.« ولكنّكم تفتخِرونَ بقُدرتِكم، وتعتقِدون أنّكم في غِنًى عَن عَونِ اللهِ. وما هذا الافتخارُ إلاّ شَرٌّ مُبين. فَمَن يَعرِفُ الخَيرَ ولا يَفعلُهُ، فهو مُذنبٌ.

الفصل الخامس

5: 1ـ6 تحذير للأغنياء

انتبِهوا أيُّها الأغنياءُ! عليكم بالبُكاءِ والنَّواحِ على ما سيَحُلُّ عليكم مِن شَقاءٍ! فكُنوزُكم مَصيرُها التّلفُ وثيابُكم ستَلقى البِلى، ويُصيبُ ذَهَبَكم وفِضَّتَكمُ الصَّدأُ بلا ريبٍ. وسيكونُ هذا الصَّدأُ دليلاً على فَسادِكم يومَ الحِسابِ وسيُصبِحُ كالنّارِ يشوِي

(1) يدين يعقوب «التّذبذب»، فيطلب من القارئ أن يختار هداية الله المؤدّية إلى السّلام، أو سبيل الشّيطان المؤدّي إلى الكراهيّة والقتال. ويشير بـ «الأيدي» إلى أفعال النّاس، و»القلوب» إلى أفكارهم.

(2) يشير الحواري يعقوب هنا إلى وصيّة سيّدنا عيسى الملكيّة (الوارد ذكرها في 2: 8) وتنصّ على «أن تحبّ جارك كما تحبّ نفسك،» ويحثّهم ألاّ ينتهكوها.

جُلودَكم! إنّ المالَ الّذي جَمعتُموهُ سيكونُ دليلاً على ظُلمِكم يومَ الدِّينِ! فانظروا إلى العُمّالِ الّذين يَشتغِلونَ في حُقولِكم ولم تدفَعوا إليهم أُجورَهم، فهُم يَصرخون للهِ، وحتّى أُجورُهم تشتكيكم إلى اللهِ، وقد سَمِعَ اللهُ رَبُّ القوّات صُراخَ الحاصِدين![1] أنتم تَعيشون في بذخ ورَفاهيَةٍ في هذه الدُّنيا، وأشبعتم نفوسَكم مِثل عِجلٍ مُهيَّإٍ لِيومِ الذَّبحِ! وحَكمتُم على التَّقيِّ المُخلِصِ للهِ فقتلتُموهُ، مع أنّه لم يُؤْذِ أحدًا منكم!

5: 7–12 الصّبر والتّحمّل

أمّا أنتم يا إخوتي، فَاصبِروا على هذا الظُّلم حتّى يتجَلَّى سيِّدُنا (سلامُهُ علينا)! وانظُروا كيف يترقّبُ الفلاَّحونَ بصَبرٍ نُزولَ مَطَرِ الخَريفِ ومَطَرِ الرّبيع. وبعدَها يترقّبونَ الثِّمار الثّمينة الّتي تَجودُ بها أرضُهم.[2] فكونوا أنتم أيضًا مِن الصّابِرينَ، وشُدُّوا أزرَكم، لأنّ سَيِّدَنا المَسيحَ سيأتي بالنّجاةِ قريبًا! يا إخوتي، لا يتذَمَّر أحدُكم مِن الآخر، حتّى لا يُحاسِبَكم اللهُ على ذلك! وانتبِهوا! إنّ سيِّدَنا عيسى، الحَكَمَ العادِلَ، واقِفٌ على الأبوابِ قريبٌ مِنكم! إخواني، اِقتدوا بالأنبياءِ الّذين تحمَّلوا الضِّيقَ والعَذابَ مِنَ الأشرارِ حينَ أتوا برِسالةِ اللهِ، وكانوا في ذلك مِنَ الصّابِرين! واصبِروا مِثلَهم، فما أعظمَ هَناءَ الصّابِرين! أما سَمِعتم بصَبرِ النّبيِّ أيّوبَ رَغمَ ما واجَهَهُ مِن كَربٍ، وكيف استَجابَ اللهُ له في النّهايةِ؟ لأنّ اللهَ بعِبادِهِ رَحمنٌ رَحيمٌ.

وإنّي لَمُحَذِّرُكم يا إخوتي مِن أمرٍ خطير: لا تَطلبوا مِنَ اللهِ أن يشهدَ لصِحَّةِ ما تقولونَ، حين تتكلَّمونَ وتُقسِمونَ لغوًا! فلا تَحلِفوا باللهِ ولا بالسّماءِ ولا بالأرضِ ولا غير ذلك، بل قولوا الحَقَّ دائمًا، حتّى يتيَقَّنَ النّاسُ أنّكم صادِقونَ حِينَ تقولونَ «نعم» أو «لا». ولَئِن أقسَمتم باللهِ بُهتانًا وزُورًا، فإنّ ذلك يكون عِند اللهِ ذَنبًا كبيرًا، وإنّ اللهَ شديدُ العِقابِ!

---

(1) اعتمد عدد كبير من العمّال في فلسطين في القرن الأوّل للميلاد على أجرة يوميّة لشراء الطّعام لأنفسهم ولعائلاتهم، وكلّ تأخير في دفع الأجرة لهم يُعتبر حكما عليهم بالجوع. ويشير يعقوب هنا إلى أنّ التّوراة قد نهت عن تأخير في دفع أجور العمّال ولو ليلة واحدة، لأنّ الله ينتقم للعامل المظلوم (انظر التّوراة، سفر اللاّويين 19: 13 وسفر التّثنية 24: 14– 15 15).

(2) يؤكّد الحواري يعقوب لقرّائه أنّ مضطهديهم سينالون عقابهم، لذلك عليهم بالصّبر وانتظار عدالة الله وتجنّب العنف. وهذا لا يعنيَ سكوتهم عن الظّلم أو منعهم من المقاومة بطريقة سلميّة.

5: 13ـ18 قوّة الدّعاء

ولَئِن مَرَّ أحدُكم بضيقٍ فلْيَدعُ اللهَ، ولَئِن فَرِحَ فليحمَدِ اللهَ. وإن كان فيكم مَريضٌ، فعليهِ أن يُنادِيَ شُيوخَ الجماعةِ، وسيَدعونَ له، ويَدهَنونهُ بالزّيتِ باسم سَيِّدِنا (سلامُهُ علينا)، فإنّ دُعاءَهم بالإيمانِ لِلمَريضِ شِفاءٌ، وبفَضلِ هذا الدُّعاءِ يُقيمُهُ السَّيِّدُ المَسيحُ مُعافى! فإن كان مَرضُهُ بسببِ ما ارتكبَهُ مِن ذُنوبٍ، فاللهُ سيَغفِرُ له، ولْيَعترِفْ بَعضُكم لِبَعضٍ بذُنوبِهِ، وارفعوا دُعاءَكم مِن أجلِ بَعضِكم حتّى يشفيكُمُ اللهُ.

واسمَعوا، إنّ دُعاءَ الإنسانِ المَرضيِّ عندَ اللهِ ذو وَقعٍ عَظيم. فقَد كان النّبيُّ إلياسُ كسائِرِ البشرِ، ودَعا اللهَ بِحَرارةٍ كي لا يُنزِلَ الغَيثَ على الأرضِ. فحَلَّ الجَفافُ ثَلاثَ سنين ونِصفَ سنةٍ.[1] ثُمَّ عادَ ودَعا اللهَ، فأمطرَتِ السَّماءُ، وأخرَجَتِ الأرضُ خيرَها.[2]

5: 19ـ20 اهتداء الأخ الضّال

إخوتي في الإيمانِ اعلموا عِلمَ اليَقين، إن كان أحدُكم ضالاً عن سَبيلِ الحَقِّ وأعادَهُ أخوهُ إلى الصِّراطِ المُستقيم، فقد أنقذَهُ مِنَ الهَلاكِ وخلّصَهُ مِن خَطايا كَثيرةٍ!

(1) انظر كتب الأنبياء، سفر الملوك الأوّل 17: 1.

(2) انظر كتب الأنبياء، سفر الملوك الأوّل فصل 18.

مدخل إلى رسالة صخر الأولى

جاء في كتابات بعضِ المؤمنين الأوائل اقتباساتٌ من هذه الرّسالة في نهاية القرن الأوّل للميلاد، حيث اعتبروا أنّ الحواري بطرس (أي صخر) هو مَن ألّفها. وقد تساءل بعضُ المفسّرين المعاصرين، كيف يستطيع بطرس، وهو صيّاد سمك من الجليل، أن يكتب هذه الرسالةَ بأسلوبٍ راقٍ في اللغة اليونانية. وتوجد في هذه الرسالة إشارةٌ إلى أنّ سلواني (المعروف أيضا باسم سيلا) قد ساعده في كتابتها (5: 12)، حيث أخذ أفكارَ بطرس ودوّنها بأسلوبٍ رفيع. وكان هذا الأمر منتشرا في تلك الفترة.

إنّ هذه الرسالة مُوجَّهةٌ إلى أتباع السيد المسيح (سلامه علينا) في خمس مقاطعات رومانيّةٍ ذاتِ ارتباط جغرافي وهي موجودة في تركيا اليوم. ويبدو من خلال محتويات الرسالة أنّ مُعظمَ هؤلاء الأتباع كانوا من غير اليهود ومن أصل وثنيٍّ، ويبدو أنّهم يُعانون من بعض الضغوطات وربّما يتعرّضون إلى اضطهاد وَشيكٍ. غير أنّ الكاتب يؤكّد أنّه لا يُمكن هزيمتهم بالاضطهاد والعذاب، لأنّ سيدنا عيسى (سلامه علينا) تَعذّب أيضا كي يحرّرهم من الخطايا، والله نَصَرَه وبعثه حيّا إلى الأبد. وسيشاركه هؤلاء حقيقةَ القيامة والفوز عندما يَتمسّكون به (سلامه علينا) بكلّ تصميم وثبات.

ويبدو أنّ هذه الرسالة قد كُتبتْ في فترة الاضطهاد الذي لم يَصْدُر بأمرٍ رسميّ من القيصر في القرن الأوّل للميلاد. وقد اتّفق الباحثون على أنّ ذكر بابل (5: 13) في هذه الرسالة إشارةٌ خفيّة إلى روما. ويبدو أنّ الحواري بطرس قد كتب هذه الرسالةَ في ظروف شاعَ فيها اضطهادٌ شديد في المدينة، فنَبّه المؤمنين الذين يخاطبهم إلى ضرورة تَوقّع اضطهاد وشيك في منطقتهم.

بسم الله تبارك وتعالى

رسالة الحَواريّ صخر الأُولى إلى أحباب الله

الفصل الأوّل

1: 1–2 تحيّة

مِن بُطرُسِ الصّخرِ، حَواريِّ سيّدِنا عيسى المسيحِ (سلامُهُ علينا). إلى عِبادِ اللهِ المُختارينَ المُغترِبينَ في هذه الدُّنيا، المُشتَّتينَ[1] في مُقاطعات البُنْطِ وغَلاطِيَة وكَبْدُوكيَة وآسيا وبِتَنْيَةَ. يا إخوتي، إنّ اللهَ الأبَ الرّحيم قد قدَّر فاختارَكم وخصَّكُم برُوحِهِ لِكي تُطيعوا سيّدَنا عيسى المَسيحَ، إذ بتضحِيَتِهِ بدمِهِ طهّرَكُم مِن ذُنوبِكم. ولْيَفِضْ عليكم فضلُ اللهِ وسلامُهُ.

1: 3–12 الحياة الجديدة

تباركَ اللهُ الأبُ الرَّحيم لسيّدِنا عيسى المَسيحِ، فهو برَحمتِهِ الواسعةِ جعلَنا نُولَدُ مِن جَديدٍ، حينَ بَعَثَهُ (سلامُهُ علينا) مِن بينِ الأمواتِ، ولذلك فنحن نعيشُ الآنَ على يقينٍ أنّنا سنَرِثُ الكنزَ المَحفوظَ لنا في السّماءِ، بَعيدًا عن التّلفِ والفسادِ والبِلى. ولأنّكم مُؤمِنون، فسيَحميكمُ اللهُ بقُدرتِهِ كي تفوزوا بالنّجاةِ الّتي سيكشفُها في اليومِ الآخِرِ أمامَ العالَمين.

ها إنّكمُ الآن تبتهجونَ بهذا الوَعْدِ، مع أنّكم لا بُدّ أن تُقاسوا أنواعًا من المِحَن إلى حين. فكَما أنّ النّارَ تكشِفُ قيمةَ الذّهبِ الثّمينِ، فإنّ المِحَن تكشِفُ إيمانكم فيَظهَرُ راسِخًا مَتينًا. وإنّ الإيمانَ أغلى مِن الذّهبِ الفاني، فَبِسببِ الإيمانِ تَنالون المَديحَ

(1) اليهود الذين عاشوا خارج فلسطين يُلقَّبون بـ «يهود الشتات». ورغم أنّ معظم قُرّاء هذه الرسالة لم يكونوا من اليهود، فقد استعمل الحواري بطرس هذا المصطلحَ كنايةً عنهم، ويشير بذلك إلى انضمامهم إلى أمّة الله.

والجَلالَ والكَرامةَ حين يَتَجلّى سيِّدُنا عيسى المَسيحُ للعالَمينَ. إنّكم لم تُبصِروهُ، ولكنّكم تُحبُّونَهُ. فرَغمَ أنّكم لا تَرَونَهُ، فإنّكم تؤمنونَ بِهِ. ولذلك تفرَحونَ فرَحًا عظيمًا جليلاً لا يوصَفُ. وإذ كنتم بِهِ مُؤمِنينَ، فإنّكم ستَحصُلونَ على الجَزاءِ العظيمِ، ألا وهو نَجاةُ نُفوسِكم.

تَنبّأَ الأنبياءُ الأوّلونَ بفضلِ اللهِ عليكُم، فاجتَهدوا في البَحثِ بعُمقٍ عن مَوضوعِ هذه النّجاةِ. وقد أوحى اللهُ إليهِم أنّ المَسيحَ المُنتظَرَ سيُقاسي الآلامَ، ثُمّ يَموتُ فيَنالُ مَقامًا مَحمودًا. فتحَرَّوْا لمَعرفةِ زمانِ حُدوثِ هذه الأُمورِ وأحوالِ العالمِ الّتي تُشيرُ إليها رُوحُ السّيّدِ المَسيحِ فيهِم. فأَوحَى اللهُ إليهِم أنّ رسالتَهُم لم تكُن لصالِحِهِم بل كانتْ لِصالِحِكُم أنتم. إنّها البُشرى الّتي سمِعتُموها مِن الّذينِ جعلَهُمُ اللهُ دُعاةً، مُؤيَّدينَ في ذلك برُوحِ اللهِ الّتي أرسلَها مِن السّماءِ. ما أعظمَ هذه الأُمورَ! فحتّى الملائكةُ تتوقُ إلى الاطّلاعِ عليها.

1: 13-25 تقرّبوا إلى الله بقدسيّة

فاحتكِموا إلى البَصيرةِ وطاعةِ اللهِ. وأيقِنوا بفَضلِهِ تعالى الّذي سيَحِلُّ عليكم حين يتجلّى سيّدُنا عيسى المَسيحُ لِلعالَمينَ. أنتم عِيالُ اللهِ المُطيعونَ، فلا تَستَسلِموا لأهوائِكم كما حدثَ معكم حِين كُنتم جَهَلةً. بل كونوا مَنذورينَ للهِ، وتحلَّوْا بالقُدسيةِ في كلِّ ما تَعملونَهُ. فاللهُ القُدّوسَ هو الّذي دَعاكم، وهو يَقولُ في التَّوراةِ: «تقرّبوا إليّ بقُدسيةٍ لأنّي أنا القُدّوسُ». (1)

أنتم تستنجِدونَ باللهِ أبيكم الرّحيم، وهو الحَكمُ العدلُ دون مُحاباة على أعمالِ النّاسِ أجمَعينَ. فاتّقوا اللهَ إذن وأنتم مُغتَربونَ في هذه الدُّنيا. فلقد حرَّرَكُمُ اللهُ مِن حَياتِكم التّافهةِ الّتي ورِثتُموها عن آبائِكُم، وما فَدَتْكُم فِضّةٌ ولا ذهبٌ ولا غيرُهُما مِن ثَرواتٍ تفنى، بل حرَّرَكم بدمِ سيّدِنا المَسيحِ الكريم، ودَمُهُ أزكى من دَمِ كبشٍ دونَ نقصٍ أو عيب. وقد قدّرهُ اللهُ لِهذه المُهمّةِ مِن قَبلِ خلقِ العالَمينَ، وأرسَلهُ في أواخرِ أيّامِ هذه الدُّنيا فِديةً لكم. وقد أحياهُ اللهُ مِن الموتِ ورفعَهُ إلى مَقامٍ كريمٍ، فأصبَحتم به واثقين بالله ومُؤمِنين إيمانًا راسخًا.

---

(1) تعني هذه العبارة: «تقرّبوا لي بقُدسيةٍ» أنّه على الناس أن يَهَبوا أنفسهم لله كلّيًا.

وبعدَ أن اتّبعتم رِسالةَ الحقِّ وطهَّرتُم نفوسَكم، صِرتُم قادرينَ على مَحبّةِ إخوتِكُم حُبًّا صادِقًا. فأحِبُّوا بَعضُكُم بعضًا بعُمقٍ. فلقد وُلِدتم الآن من جَديدٍ، لا من أبٍ بشريٍّ يَفنى، بل برسالةِ اللهِ الخالدة الّتي لا تَفنى. وقد جاء على لِسانِ النّبيِّ أشعيا (عليه السّلام) في الكِتابِ: «كالعُشبِ همُ البشرُ، وكزهرِ العُشبِ بهاؤُهُم. يَموتُ العُشبُ، ويَسقُطُ الزّهرُ، أمّا بلاغُ اللهِ فيَبقى إلى أبدِ الآبِدينَ». وهذه الرِّسالةُ هي البِشارةُ بسيّدِنا عيسى الّتي بلغَتْكم.

الفصل الثّاني

2: 1ـ8 أنتم أحبار منذورون لله

فاترُكوا إذن كلَّ شرٍّ، وكلَّ مَكر ونِفاق وحَسد، وكلَّ افتِراء، وكما يَتلهّفُ الطِّفلُ الوَليدُ على الحَليبِ، تلهّفوا على رِسالةِ اللهِ الطّاهِرةِ، كي تَنمُوا بها وتفُوزوا بالنّجاةِ، فقد ذُقتُم الإيمانَ بِسيّدِنا عيسى، فما أحلى الإيمانَ به (سلامُهُ علينا)[1]

فأَحيطوا بسيّدِنا الّذي اختارَه اللهُ ورفضَهُ الضّالّونَ. إنّهُ عِندَ اللهِ كريمٌ، إنّهُ الحَجرُ الأساسُ الحيُّ لبيتِهِ تعالى، وأنتُم أيضًا كالحِجارةِ الحيّةِ مِن مَعدن ثمينٍ، لِبناءِ بيتِ اللهِ الرُّوحانيّ. لا تُوضَعونَ في الدُّنيا، وإنّما في عِلّيِّين، لتكونوا أحْبارًا مَنذورينَ لهُ، تُقدِّمونَ إليهِ قرابينَ رُوحانيّة يتقبَّلُها اللهُ بشفاعةِ عيسى المَسيحِ. فقد أوحَى اللهُ في كتابِ النّبيّ أشعيا (عليه السّلام): «ها أنا في القُدْسِ أَضَعُ حجرًا كريمًا، هو حَجَرُ الزّاويَةِ لبيتِ اللهِ، ولا يَخيبُ كلُّ مَنْ وَثِقَ بهِ».[2] وإنّ هذا الحجرَ كريمٌ بالنِّسبةِ إليكُم أيُّها المُؤمنون، أمّا عِندَ غيرِ المُؤمنينَ، فهو كما وَرَدَ في كتابِ الزّبور: «الحَجرُ الّذي رَفَضَهُ البُناة صار حجر الأساسِ في بيتِ اللهِ». ويقولُ أيضًا إنّهُ: «حَجَرٌ يَجعلُ النّاسَ يتعثّرونَ، وهو صخرةٌ تجعلهُم يسقُطونَ». وهُم يتعثّرونَ لأنّهُم لم يطيعوا كلِمةَ اللهِ. وهكذا يواجِهونَ مَصيرهُمُ المَحتوم.

---

(1) يلمّح الحواري بطرس هنا إلى ما ورد في كتاب الزبور، مزمور 34: 8.

(2) انظر كتاب النبي أشعيا 28: 16. إنّ حجر الزاوية هو حجر الأساس في البناية، لأنّه يحدّد تصميمها واتجاهها.

2: 9–12 المختارون من الله

أمّا أنتم فإنّكم جماعةٌ اختارها اللهُ، أحبارٌ للمَلِكِ العظيم، أُمّةٌ مِنَ المَنذورينَ، خصَّهُم لذاتِهِ حتّى تَرفَعوا ذِكرَهُ بين النّاسِ، لأنّهُ أخرَجَكُم مِن ظُلُماتِ الشّرِّ إلى نورِهِ الباهِرِ.[1] ولم تكونوا مِن أُمّةِ اللهِ سابقًا، أمّا اليومَ فقد صِرتُم مِن أُمّتِهِ تَعالى. وكُنتم لا تتمتّعُونَ بِرحمتِهِ تعالى، أمّا الآن فأنتم تتمتّعونَ بها.[2]

يا أحِبّائي، إنّكم في هذه الدُّنيا مُغتَرِبونَ عابِرونَ، فأرجو منكم أن تبتعِدوا عن أهواءِ النّفسِ الّتي تُدمِّرُ حياتَكُم. ولتَكُنْ سيرَتُكم حسنةً بين غيرِ المُؤمِنينَ. فَمَعَ أنّ هؤلاء يَفترونَ عليكُم، ويعتبِرونكُم أشرارًا، فإنّهم يُراقِبون أعمالكُم الصّالحة. فإذا اهتدَوْا بِها إلى الإيمانِ، فسيَرفَعونَ شأنَ اللهِ يومَ الدِّينِ.

2: 13–25 الخضوع للسّلطات

اِحترِموا كلَّ سُلطةٍ بَشَرِيّةٍ لأجلِ سيّدِنا عيسى: اِحترِموا الملِكَ لأنّهُ الحاكِمُ الأعلى، والوُلاةَ لأنّهُم مُفوَّضونَ مِنهُ لمُعاقَبةِ الأشرارِ ومُكافَأةِ الأبرار. إنّ اللهَ يُريدُكم أن تفعَلوا الخيرَ فتُفحِموا الأغبياءَ الّذين يُوجِّهون إليكم تُهمًا سَخيفةً. لقد حرَّرَكُم اللهُ، ولكن لا تكونوا كَمَنْ يَجعلُ الحُرّيّةَ سِتارًا للشّرِّ، فأنتم عِبادُ اللهِ المُكرَمونَ. اِحترِموا جميعَ النّاسِ، وأحِبُّوا إخوتَكُم في الإيمانِ، واتّقوا اللهَ، وأكرِموا الملِكَ.

أيُّها العَبيدُ، اِحترِموا مَكانةَ أسيادِكم بكلِّ هَيبة، سواءٌ كانوا قُساة ظالِمينَ أم لُطفاء صالِحينَ. إنّ الّذين يَحتمِلونَ الألَمَ وقَسوةَ الظُّلم في سَبيلِ اللهِ، يَنالون مَرضاتَهُ تعالى. فإذا أنتم أخطَأتم، وعُوقِبتم وضُرِبتم، وتَحمَّلتم كَلَّ ذلك، فأيُّ أجرٍ تنتظِرونَ على هذا؟ أمّا إذا تألّمتم وتَحمّلتم الألَمَ رَغم أفعالِكم الخيّرةِ، فاللهُ سيَرضى عنكم. يا إخوتي، إنّ اللهَ دَعاكُم لِهذا السُّلُوكِ القويمِ، لأنّ السّيِّدَ المَسيحَ تحمّلَ الآلامَ مِن أجلِكم،

(1) أمَرَ الله النبيَّ موسى في التوراة أن يبلّغ بني يعقوب بأن يَكُونوا «أُمّة الله المنذورة»، وأن يَقوموا على خدمته كـ «أحبار» (انظر سفر الخروج 19: 6). وقد أشار الحواري بطرس بهذا المصطلح إلى أتباع السيد المسيح، مُبرزا أنّ أمّة الله تتألّف ممّن آمن بسيدنا عيسى من جميع الأمم.

(2) انظر كتاب النبي هوشع (1: 10) و(2: 23). قصَدَ الله بهذه العبارة أن يُلغِي إدانته لبني يعقوب التي أوحى بها إلى النبي هوشع. ووعد الله كذلك أن يُجدّد أمّته في أواخر أيام هذه الدنيا. ويعتقد بطرس مثلما اعتقد الحواري بولس أنّ غير اليهود الذين يؤمنون بالسيد المسيح سيَدخلون في صفوف الأمّة المتجدّدة التي جاء ذكرُها هنا. (انظر أيضا رسالة روما 9: 24 – 26).

وفي سبيلِكم جعلَ مِن نفسِهِ قُدوةً حتّى تكونوا على خُطاهُ سائرينَ. وورَدَ في كتابِ النّبيِّ أشعيا: «ما ارتكَبَ خطيئةً، وما كان أبدًا مِن الماكِرينَ». لقد شتموهُ ولكنّهُ لم يردَّ بالشّتيمةِ، وعذّبوهُ فلم يُهدِّدْهُم بالانتِقام، بل أسلَمَ أمرَهُ لله الّذي يحكمُ بالعدلِ. حَمَلَ ذُنوبَنا في جسمِهِ على الصّليبِ، لكي نَنقطع عنِ ارتِكابِ الذُّنوبِ ونَحيا لمَرضاةِ اللهِ. وبجِراحِهِ أصبحَت حياتُكُم سليمةً. لقد كنتم تائهينَ ضالّينَ كالغَنمِ، فاهتدَيتمُ الآن إلى سيّدِنا، راعي نُفُوسِكُم وحارِسِها الكريمِ.[1]

الفصل الثّالث

3: 1ـ7 الزّوجات والأزواج

وأنتنّ أيضًا أيّتها النّساءُ المؤمِناتُ، اِحترِمْنَ مكانةَ أزواجِكنّ، حتّى وإن كانوا مُتمرِّدين على رسالةِ اللهِ، فإنّ سيرَتكُنّ ستجذِبُهم نحو الإيمانِ بسيّدِنا عيسى دونَما حاجةٍ إلى إقناعِهِم بالكلام، وذلك حين يُبصِرونَ أن سيرتَكُنَّ تتّصِفُ بالتّقوى والوَقار والعِفَّةِ. فلْيَكُنْ جَمالُكُنّ لا في الزّينةِ الخارجيّةِ، كأشكالِ تَصفيفِ الشّعرِ، أو التّحلّي بالذّهبِ والجَواهرِ أو ارتداء الثّيابِ الفاخِرةِ، بل إنّ الجَمال أيّتها الأخواتُ، يكمُنُ في أعماقِ قُلوبِكُنّ وهو بهاءٌ خالدٌ في نُفوس وديعة مُطمئنة، وهو عِند اللهِ عَظيمُ الثَّمنِ. كذلك النِّساءُ الصّالحاتُ المُتوكِّلاتُ على اللهِ كُنَّ يتزيّنّ في القديم، مِن خِلالِ احترامِهنّ لأزواجِهِنّ، شأنَ سارَّةَ زوجةِ أبينا إبراهيمَ (عليه السّلام)، فقد كانت تُطيعُهُ وتَدعوهُ سيِّدَها، والمؤمِنات اليوم هُنّ بناتُها، إن فعلْن الخيرَ، ولم يستسْلِمن للخوفِ مِن رُدودِ أفعالِ أزواجِهِنّ.

وأنتم، أيّها الأزواجُ، اسْكُنوا لزوجاتِكم مُراعاةً لكوْنِهنّ أضعفَ مِنكم. وأكرِموهُنّ لأنّهنّ يرِثن مِثلُكُم ما أنعمَ اللهُ علينا مِن خُلدٍ، وإلاّ فإنّ اللهَ لن يستجيبَ لِدُعائِكُم.

---

(1) جاء في كتابات الأنبياء الأوّلين وفي كتابات أخرى في الشرق القديم أنّ مصطلح «الرّاعي» يُستَعمل في كثير من الأحيان للإشارة إلى الملوك والحكام. أمّا هنا فالمعنى المقصود هو المسيح الملك (سلامُهُ علينا).

3: 8-22 تحمّل العذاب في سبيل الخير

وأخيرًا، تعايَشوا معًا في وِفاقٍ، وأشفِقوا على بَعضِكم بعضًا وتبادَلوا المَحبّةَ فيما بينكم بكلِّ لُطفٍ وتواضُعٍ، فإن أساءَ إليكُم أحدٌ، فلا ترُدُّوا على الإساءةِ بإساءةٍ، ولا على الإهانةِ بإهانةٍ. بلِ اطْلُبوا لهُ بَركاتِ اللهِ فاللهُ دَعاكُم إلى هذا، لكي تَرِثُوا بَركاتِه تعالى. وقد جاء في كتابِ الزّبور: «مَن أرادَ أن يَكونَ مُفلِحًا ويَعيشَ سَعيدًا فليُمسِك لِسانَهُ عن قولِ الشّرِّ، وشفتيهِ عن نطقِ المَكرِ، ولْيَنْأ بنفسِهِ عن الشّرِّ، ويَعمَلِ الخيرَ، ويَبْغِ السّلامَ ويَسعَ إليهِ. إنّ اللهَ بَصيرٌ بشؤونِ عِبادِهِ المُخلِصينَ، وهو لدُعائِهم سَميعٌ عليمٌ. ولكنّهُ يُقاوِمُ فاعلي الشّرِّ».[1]

فإن تحمَّستم لِلخيرِ، فَمَن ذا الّذي يَسعى إلى أذيّتِكُم؟ ولئِن ظُلِمتم في سبيلِ إرضاءِ اللهِ، فهنيئًا لكم! فقد وَرَدَ قولُه تَعالى على لِسانِ نبيِّهِ أشعيا (عليه السّلام): «لا تخافوا مِن تهديدِهِم ولا تضطَرِبوا!» بل أنذِروا حياتَكُم لِمَولاكمُ المَسيحِ مِن كلِّ قلوبِكم، واستعِدّوا دائِمًا لأن ترُدُّوا بكلِّ لُطفٍ واحترام وضَـمير طاهر على الّذين يَسألونكم عن سـببِ يقينِكم بسيّدِنا المَسيحِ، فالّذين يتكلّمونَ بالسُّـوءِ عن سُـلوكِكمُ الصّالحِ النّابعِ مِن إيمانِكُم بِالسّيّدِ المَسيحِ سيلقَوْن الخِزيَ لافترائِهِم. إنّهُ لخيرٌ لكم أن تتحمّلوا الآلامَ في سبيلِ فعلِ الخيرِ، على أن تتحمّلوها في سَبيلِ فعلِ الشّرِّ، إن شاء اللهُ لكُم ذلك. لقد تألّم السّيّدُ المَسـيحُ وماتَ لِتُغفرَ ذُنوبُ البشرِ، مَرّة واحدة على مَدى الزّمن. أجل، لقد تألّم الصّـالحُ مِن أجلِ المُذنِبينَ، حتّى يُقرِّبنا إلى اللهِ. لقد تحمّل الآلام بجِسمٍ بشريّ حدَّ الموتِ، ولكِنّهُ عاد إلى الحياةِ بقُوّةِ رُوحِ اللهِ، وبقوّةِ الرُّوحِ أعلنَ في عالَمِ الموتى بيانَ نَصرِهِ للأرواحِ السَّجينة،[2] أرواحِ أُولئِكَ العُصاةِ مِن قومِ نوحٍ في القديمِ، الّذين أمهلهُمُ اللهُ بِصبرِهِ عندما رَفَضوا طاعتَه أثناءَ بِناءِ سَفينةِ النّجاةِ الّتي نجا بواسطتِها عددٌ قليلٌ مِن النّاسِ، لا يتجاوزُ الثمانيةَ، وبالماءِ كانت نجاتُهم. وهذا رمزٌ للّذين يتطَهّرون به صِبغةً مِن اللهِ، إنّهُ الماءُ الّذي أنتم بِهِ الآن ناجونَ، وهذا لا يَعني غُسلَ الجِسمِ لتنظيفِه، وإنّما هو عهدٌ نُقيمُهُ مع اللهِ بِضَميرٍ نقيّ. فيستجيبُ لنا بِفَضلِ سيّدِنا عيسى المَسيحِ، إذ

---

(1) كتاب الزبور، مزمور 34: 12-16.

(2) ربّما تُشير الكلماتُ الواردة هنا إلى الاعتقاد الشائع أنّ أرواح الأموات تسكن بعيدا عن أجسادها في الدركات السفلى من الأرض، إلى يوم البعث. (انظر ما ذكره الحواري بولس في رسالته إلى مؤمني أفاسوس 4: 9).

أحياهُ مِن بينِ الأمواتِ ثُمّ رَفَعَهُ إلى السّماءِ، وهو الآن في حَضرتِهِ تعالى على يمينِهِ، يَخضَعُ لهُ كلُّ الملائِكةِ والجِنِّ والشّياطينِ.[1]

الفصل الرّابع

4: 1ـ11 حياة المؤمن وأخلاقه

لقد قاسى سيّدُنا المسِيحُ (سلامُهُ علينا) في جَسَدِهِ العذابَ الأليمَ، فشُدُّوا عزائِمَكُم واستعِدُّوا لِتحمُّلِ الآلامِ مِثلهُ. إنّ الّذين تألّمت أجسامُهُم في سَبيلِهِ (سلامُهُ علينا) يُقاطِعونَ ارتِكابَ الخطايا، فيعيشُونَ بقيّة حياتِهِم ساعينَ إلى مَرضاةِ اللهِ لا إلى إرضاءِ أهواءِ النّفسِ. لقد كُنتم وثنيِّينَ قبل إيمانِكُم بسيِّدِنا المَسيحِ، فكفاكُم ما انغمستم فيه في الماضي مِن فُجورٍ وشهواتٍ وسُكرٍ وحفلاتِ المُجونِ وعَرْبدةٍ وعِبادةِ الأصنام.[2] وإنّ أصدِقاءكُمُ القُدامى لَيستغربونَ كيف لا تنغمِسُونَ مَعهُم في مَجرى الفِسق، فيَسخَرونَ منكم ويُهينونكُم ولكِنّهُم سيُحاسَبونَ عمّا قريب أمام اللهِ الّذي يُحاسِبُ الأحياءَ والأمواتَ، ولذلك بُلِّغتِ البُشرى بِالسّيّدِ المسيح حتّى لِلّذين ماتوا، ورَغم أنّ الموتَ كان مَصيرَهُم كسائرِ البشرِ، لكنّهم الآن في الغيبِ أحياءٌ عِند اللهِ يُرزقونَ.

تعقّلوا وتيقّظوا دائمًا لِرفعِ الدُّعاءِ، فقدِ اقتربت نِهايةُ الدُّنيا. قبل كلِّ شيء، أحبّوا بَعضُكُم بَعضًا حُبًّا كبيرًا، إنّ الّذين يُحِبُّون إخوانَهم حقًّا يَكونونَ على استعدادٍ أن يُسامِحوا أخطاءَ إخوانِهِم، مَهما يكن عددُها. أحسِنوا ضِيافة القادِمينَ لزيارتِكم دون تذمُّرٍ، لقد أنعم اللهُ على كلِّ واحد مِنكم بِكرامة مِن كراماتِهِ الوَفيرة، فاجعلوها في خدمتِكم لِلآخرينَ باعتبارِكُم أُمناءَ صالِحينَ بما أوكله الله إليكم. فالّذين يَحظَوْنَ بكرامة الوعظِ، فعليهِم أن يتكلّمُوا وفقًا لِرسالةِ اللهِ. ومَن تمتّع بكرامة الخِدمةِ، وجب

(1) اعتقد اليهود في زمن الحواري بطرس أنّ كائنات غيرَ مرئية، صالحة وسيئة، تتحكّم في شعوب العالم. وقد استعمل الحواري بطرس المصطلحات الشائعة في زمنه للتعبير عن هذه الكائنات الغيبيّة. وتشير هذه الآية باللغة اليونانية إلى هذه الكائنات، وتترجم غالبا بـ«السلطات والقوّات».

(2) ربّما أشارت هذه الآيةُ إلى حفلات المجون التي نظّمتها النقابات التجارية والأندية الاجتماعية في المنطقة التي تُعرف اليوم بتركيا، وربّما أصبح بعض المؤمنين أعضاء في هذه النقابات والأندية كطريقة لربط علاقات اجتماعية وتجارية يستفيدون منها.

أنْ يستمدّ قوّتَه مِن اللهِ. فكلُّ ما تقُومون بِهِ سيُعَظِّم اللهَ ويُمجِّده بفضلِ سيّدِنا عيسى المَسيحِ، فلتكُن لهُ الهَيبةُ والسُّلطانُ إلى أبدِ الآبدين. آمِين.

4: 12-19 الاضطهاد بسبب الإيمان بالسّيّد المسيح

أيُّها الأحِبّاءُ، لا تستغربُوا من المِحَن القاسية الّتي تصيبُكُم في سبيلِ المَسيحِ الكريم، وكأنّها أمرٌ غريبٌ يحلُّ بِكُم في سبيلِه (سلامُهُ علينا)! بلِ افرَحُوا بِمقدارِ ما تُشارِكون بِهِ السّيّدَ المَسيح مِن مُعاناةٍ. فستفرحونَ عندما يتجلّى سيّدُنا المَسيحُ مِلكًا مَجيدًا على العالَمينَ. إن شتمكُم غيرُ المؤمنينَ في سَبيلِ إيمانِكم بالمَسيحِ (سلامُهُ علينا)، فهنيئًا لكُم، فهذا دليلٌ على أنّكم مَحلُّ رُوح اللهِ المَجيدِ. وإن عانى أحدُكم آلامًا، فيجب ألاّ تكون بسببِ جَريمةٍ ارتكَبَها كالقتلِ أو السّرقةِ أو غيرِهما، أو تدخّل في شُؤُونِ الآخرينَ. أمّا إذا لاقيتم مُعاناةً لأنّكُم مِن أنصارِ السّيِّدِ المَسيحِ،[1] فلا يجبُ أن تخجلوا، بل سبِّحُوا بِحمدِ ربِّكُمْ لأجلِ شَرَفِ انتمائِكم إليه (سلامُهُ علينا). فقد حانتْ ساعةُ الحِسابِ، وسيبدَأُ اللهُ بِأهلِ بيتِهِ. فإن كنّا نحنُ المُؤمنينَ سنَلقى الحسابَ، فكيف سيكُونُ مَصيرُ أولئك الّذين رَفَضوا بُشرى اللهِ؟ فقد جاء في الكِتابِ: «فإن تعسّرت النّجاةُ على المُخلصِ الصّالحِ، فكيف سيكون نصيبُ الفاسِدينَ الآثِمين؟»[2]

فالنّتيجةُ إذن، أنّ الّذين يُقاسونَ الاضطِهادَ حسبَ مَشيئةِ اللهِ، عليهِم أن يأتَمِنوا أنفسَهُم لِلخالِقِ الأمينِ، ويستمِرُّوا في فِعلِ الخيرِ.

---

(1) عادةً ما يترجم المصطلح اليوناني الوارد في الآية بكلمة «مسيحي»، ولكن المصطلح في الإنجيل يعني «مشايع أو نصير المسيح»، ويشبه صيغة أسماء الجماعات السياسية مثل «القيصريين» و«الهيرودسيين». وقد أطلق الغرباء هذا المصطلح ليكون لقبا لأتباع السيد المسيح، ويقصد به هنا توجيه التّهمة إليهم. والكلمة في اليونانية تعني النصير، وقد استعمل الوثنيّون هذا الاسم في البداية لوصف أتباع السيّد المسيح، ومع الوقت أصبح أتباعه يستعملونه فيما بينهم. وشاع استعمال الجزء – ianus الذي يلحق بآخر الكلمة عادة مع أسماء أصحاب العبيد للدلالة على الانتماء (مثلا، فإن العبد لدى يوليوس Julius يمكن أن يدعى يوليانوس Julianus). وكثيرا ما أشار الإنجيل لأتباع سيدنا عيسى باعتبارهم عبيدا (انظر رسالة روما 1: 1). ولكنّهم يسمّون غالبا في الإنجيل "إخوة" و"أتباع" و"صالحين" و"مؤمنين" و"جماعة الله" و"أتباع الطريق".

(2) انظر كتاب أمثال النبي سليمان،11: 31.

5: 1-11 المؤمنون رعية الله

والآن أُريدُ أن أُوصِيَكُم أيّها الشّيوخُ على جَماعاتِ الإيمانِ. فأنا مِثلَكم شيخٌ مُرشدٌ، وكُنتُ شاهدًا على آلامِ السّيّدِ المَسيح، وأنا مِثلُكم سأشاركُ في جَلالِهِ حين يتجلّى أمام كلِّ البشرِ. فيا أيّها الشّيوخُ، إنّي أُناشِدُكُم أن تَعتَنوا برعيّةِ اللهِ الّتي ائتَمَنَكم عليها. أشرِفوا عليها بِرِضى مِنكُم، دون قَهر، كما أراد اللهُ لكُم، لا رَغبةً في مَكسب خَسيس، بل رَغبةً في كسبِ مَرضاتِهِ تعالى. ولا تتسلّطوا على الّذين جعلهُمُ اللهُ أمانةً بين أيديكم، بل كونوا قُدوةً لِلرّعيّةِ. وعِندما يتجلّى سيّدُنا عيسى الرّاعي الأعلى، سيَمنَحُكم إكرامًا أبديًّا، وهو خيرٌ لكُم مِن إكليلِ نَصر مِن أوراق الغارِ الفانية.

وأنتم يا أيُّها الشّبابُ المُؤمنونَ، اِحترِموا مَكانةَ شُيوخِكُم، والبِسوا جميعًا ثوبَ التّواضُعِ في التّعامُلِ فيما بينكُم، كما وَرَدَ في الكِتابِ على لِسانِ النّبيِّ سُليمان الحكيم: «إنّ الله يُقاوِمُ المُتكبِّرينَ، ويُنعِمُ على المُتواضعينَ». فتواضعُوا تحت يدِ اللهِ القديرِ حتّى يَرفعكُم في الوقتِ المَعلومِ، إلى مَقام كَريم. فَأُلقوا عليهِ الهُموم الّتي تُثقل كاهِلكُم، إنّه يَعتني بِكُم.

تعقّلوا وتيقّظوا! إنّ مَثَل عدُوِّكُم إبلِيس، كمثَلِ أسد يَجولُ ويزأرُ بَحثًا عن صَيد يفترِسُهُ. فقاوِموهُ ثابتين في الإيمانِ، وأنتم تَعلمُون أنّ إخوانكُمُ يُقاسون مِثلُكم الضِّيق نفسَهُ في أنحاء العالم. وبعد أن تتحمّلوا هذا الضِّيق فَترةً قَصيرةً، فاللهُ بفضلِهِ العظيم سيرفعُ مِن شأنِكُم ويُثَبِّتُكم ويُقوِّيكم ويسنُدُكُم، إذِ اختاركُم حتّى تُشاهِدوا جلالَ السّيّدِ المَسيحِ الأبديِّ بِفضلِ إيمانِكُم بِهِ (سلامُهُ علينا). فلتكُن للهِ القُدرَةُ والعظمةُ إلى أبدِ الآبِدين. آمـين.

5: 12-14 ختام

كتبتُ إليكُم هذه الرِّسالةَ المُختصرةَ بِمُساعدةِ سِلواني الّذي أعتبِرُهُ أخًا أمينًا،[1]

(1) سلواني هو اسم روماني أصيل يقابل سيلا، الذي كان صديق الحواري بولس. ومن الممكن أنّ

وغايتي مِنها أن أشُدَّ عزْمَكُم وأُؤكِّد لكُم أنّ كلَّ ما تختبِرُونَهُ إنّما هو مِن فَضلِ اللهِ عليكُم، فاعتَصِموا بِفضلِهِ ثابتينَ فيه! تُسَلِّمُ عليكمُ جماعةُ الإيمانِ في بابِل،[1] وهُم مِثلُكُم مِن المُختارينَ. وكذلِكَ يُسلِّمُ عليكُمُ ابني مَرقُسُ. سلِّموا بعضُكُم على بعضٍ بِقُبلةِ المَحبّةِ. السّلامُ عليكُم جميعًا يا من تنتمُونَ إلى السّيّدِ المَسيحِ.

= سلواني هو الذي حمل هذه الرسالة إلى أصاحبها، وربّما كان ناسخا ومساعدا للحواري بطرس فصاغ ما يمليه عليه بأسلوب جيّد وراق.

(1) اشتهرت مدينة بابل بسبب آثام أهلها زمنَ الأنبياء الأوّلين. لذا فقد أصبح اسم هذه المدينة يطلق على أيّ مكان ينتشر فيه الشرّ. وربّما جاء اسمها هنا للإشارة إلى روما، واستنادا إلى الموروث المسيحي القديم، فقد كتب الحواري بطرس هذه الرسالة في روما.

مدخل إلى رسالة صخر الثّانية

تَختلف هذه الرّسالةُ تماما عن رسالة الحواري بطرس (صخر) الأولى في مضمونها وأسلوبها. فلئن بدت أقربَ إلى صيغة الرّسالة فإنّها في الحقيقة أشبهُ بخطاب الوداع أو بآخر الوصايا التي يُرسلها الحواري إلى المؤمنين. ويتحدّث صخر هنا عن موته الوشيك، ويقدّم نصائح للمؤمنين محذّرا إيّاهم خاصّة من المضلّلين ومن مدّعي النبوّة. وربّما كان يتوجّه بخطابه إلى المؤمنين في منطقة ما يُعرف بغرب تركيا اليوم لأنّه أشار إلى رسالته الأولى التي أرسلها إلى الجماعة نفسها.

وقد أثارت هذه الرّسالةُ مناقشات في الكنيسة القديمة، كما قام في عصرنا جدلٌ بين الباحثين في هذه الرّسالة، فأسلوبها في اللّغة اليونانية يختلف كثيرا عن الأسلوب الذي كُتبت به رسالة صخر الأولى. وقد شكّك عدد كبير من الباحثين في أن يكون بطرس الصخر هو الكاتب الحقيقي لهذه الرّسالة. لكن أوريجانوس ذكَرَ في وقت مبكّر من القرن الثالث للميلاد أنّ الحواري صخرا هو كاتب الرّسالتين، واتّفقَ معه أكثر العلماء في زمنه. وربّما يعود الاختلاف في أسلوب الرّسالتين إلى أنّ الحواري صخرا قد استعمل ناسخين مختلفين، لذلك تباينت الرّسالتان بسبب الحرّية التي منحها إيّاهما. ويبدو أنّ محتوى رسالة صخر الثانية قد أُخِذَ وعُدِّلَ تبَعاً لرسالة يهوذا ونصوص أخرى تعالج فكرة قيام السّاعة. وفي كلّ الحالات، فإنّ هذه الرّسالة تتضمّن حقَّ الهداية من الله وتشجّع المؤمنين على الثّبات في إيمانهم. وتبعا لهذا السبب، وبعد مناقشات المؤمنين الأوائل، تمّ قبول هذه الرّسالة عالميّا واعتُبرت وحيا حقيقيّا.

بسم الله تبارك وتعالى

رسالة الحَواريّ صخر الثّانية إلى أحباب الله

الفصل الأوّل

1: 1-2 تحيّة

مِن بُطرُسَ الصّخرِ، خادمِ مَولاي عيسى المَسيحِ وحَواريِّهِ، إلى إخوتِنا المُؤمنينَ. لقد وفَى اللهُ بِعهدِهِ فاهتديتم مِثلما اهتَدَينا إلى الإيمانِ الكريم، بفَضلِ إلهِنا تَعالى ومُنجّينا عيسى المسيحِ. ليُعطِكمُ اللهُ مَزيدًا مِن الفَضلِ والسّلامِ، بِنورِ مَعرفتِهِ تعالى ومَعرفةِ سيِّدِنا عيسى (سلامُهُ علينا).

1: 3-11 دعوة الله واختياره

لقد وَهَبَ لنا اللهُ العليُّ القديرُ كلَّ ما نَحتاجُ إليه لنَعيشَ حياةَ الفلاَحِ والتّقوى، وقد دَعانا بِجَلالِهِ وفَضلِهِ لنكونَ مِن العارفينَ بِهِ تَعالى. وهكذا وَفى لنا بأثمنِ الوعودِ وأعظمِها، إذ بإيمانِكم تأخذون قَبَسًا من صِفاتِ اللهِ، وتتخلّصونَ مِن فسادِ الدُّنيا وأهوائِها بفَضلِ سيِّدِنا عيسى (سلامُهُ علينا).

فابذُلوا كلَّ جُهودِكم، لِتُضيفوا لإيمانِكم الفَضيلةَ والمَعرِفةَ وتتحلَّوْا بالعَفافِ والصَّبرِ والتّقوى والأُخُوّة والمَحبّةِ. فإذا حَرِصتُم على هذه الفضائلِ، وسَعيْتم إلى مَزيدٍ مِنها، فستعرِفونَ حقًّا سيِّدَنا عيسى المَسيحِ، وتكونونَ مِن المُجتهدينَ الّذين تَجني أيديهم كثيرًا مِن الصّالحات.[1] أمّا الّذين يتقاعسونَ عن هذه الفضائلِ، فهُمْ لا يُبصِرونَ بل يَعْمَهونَ في جهلِهم ويَغفَلونَ عن التّطهُّرِ مِمّا تقدّم مِن ذُنوبِهم.

---

(1) ذكر هؤلاء المعلّمون الدجّالون أنّ الذين وصلوا من خلالهم إلى المعرفة الخفيّة السريّة غير مُلزَمين بالقيود الأخلاقيّة. ويوضّح بطرس أنّه على أتباع المسيح (سلامه علينا) أن يعيشوا حياة الطّهر والسموّ الأخلاقي.

فاجتهِدوا يا إخوتي، حتّى يَظهَرَ مِن صالحِ ما تَعملونَ، أنّكم حقًّا استجبتُم لدعوةِ اللهِ وأنّكم مِنَ الّذين اختارَهم. فإن اجتهدتم في سبيلِ الخيرِ، فلن تكونوا أبدًا مِنَ الضّالينَ، بل يُفتحُ لكم البابُ واسعًا لِلدُّخولِ إلى المَملكةِ المَوعودةِ الخالدة، مَملكةِ سيِّدِنا ومُنجّينا عيسى المَسيح.

1: 12ـ21 تصديق نبوءات الأوّلين

لذلك سأُذكِّرُكم بهذه الأُمورِ دائمًا، رَغمَ أنّكم تَعلَمونَها، على الحقِّ الّذي تعلّمتُموهُ تثبُتونَ. إنّي أرى أنّ مِن واجبي أن أُذكِّرَكم بها ما دُمتُ على قيدِ الحَياة. فأنا على يقينٍ أنّي سأرحلُ عن هذه الحياةِ قريبًا، كما أعلَمَني بذلك سيِّدُنا عيسى المَسيحُ.(1) وسأعملُ جاهِدًا أن تتذكّروا هذه الأُمور بَعد رحيلي في كلِّ حينٍ.

ولقد أخبرناكم عن سُلطانِ سيِّدِنا عيسى المسيحِ، وكيف سيَتجلّى مَلِكًا على العالَمينَ، وفي هذا لم نتّبع الخُرافاتِ الكاذِبةَ المُلفّقة،(2) بل أَبصرنا بعُيونِنا وقلوبِنا مَقامَهُ الجليلَ حينَ أَعزَّهُ اللهُ الأبُ الرّحيم وأَكرمَهُ، إذ خاطبَهُ بصوتِهِ جَلَّ جَلالُهُ: «أنتَ الحَبيبُ، الابنُ الرُّوحيّ لي، وقد رَضيتُ عنك كلَّ الرِّضى».(3) وكُنّا نحن أنفسُنا معهُ على الجبلِ المُقدَّسِ، وسمِعنا صوتَ اللهِ يأتينا مِن السّماءِ.(4)

وعِندما رأينا هذا التَّجلّي لِسيِّدِنا عيسى، ازداد يقينُنا بِما وَرَدَ في كُتُبِ الأنبياءِ،

---

(1) يرى بعض المفسّرين أنّ هذه العبارة ترتبط بما قاله سيّدنا عيسى عندما أخبر بطرس بأمور تتعلّق بموته حين يصبح شيخا (انظر يوحنّا 21: 18 – 19).

(2) يُعلن الحواري بطرس أنّ رسالة الحواريّين تستند إلى تجربتهم مع السيّد المسيح (سلامه علينا) باعتبارهم شهود عيان على تعاليمه ومعجزاته التي أنجزها. وفي المقابل، أخبر المعلّمون المضلّلون عن قصص أسطوريّة خياليّة.

(3) عبارة «الابن الروحي لله» الواردة هنا هي ترجمة للعبارة اليونانيّة التي عُرّبت غالبا بصيغة «ابن الله». وإنّها موجودة في كتب الأنبياء الأوّلين وكانت لقَبا لملك بني يعقوب الذي اختاره الله. وهذا لا يشير إلى تناسل بشريّ، ولكنّه يشير إلى العلاقة الوثيقة التي تجمع بين سيّدنا عيسى والله. وإنّ مقامه (سلامه علينا) أمام ربّه مثل مقام البكر في العائلة. ويرى البعض في هذا تلميحا إلى كونه كلمة الله الأزليّة التي أرسلت إلى الأرض لتصبح بشرا يولد من مريم العذراء.

(4) إنّ الجبل المقدس المذكور هنا، هو الجبل الذي تجلى فيه سيّدنا عيسى في مشهد عظيم لحواريّيه، وهناك أتاهم صوتُ الله من السّماء (انظر لوقا 9: 28 – 36). قارن ما ذُكر هنا مع ما جاء في المزمور الثاني وفيه كلامُ الله تعالى بخصوص تتويج مَلِكه المختار على جبل تصيون المقدّس.

فانتبِهوا إلى كُتُبِ الوَحي، فَكَما يُضيءُ المِصباحُ في الظُّلُماتِ إلى مَطلعِ الفَجر، كذلكَ تُنيرُ الكتبُ السّماويةُ دَربَ المؤمنينَ حتّى يُشرِقَ في قُلوبِهم نَجمُ الصّباحِ ألا وهو المَسيحُ المُنتصِرُ العَظيمُ. واعْلموا قَبل كلِّ شيءٍ أنّه لا نُبوَّةَ في كُتُبِ الوَحي مِن إنشاءِ مَلَكاتِ الأنبياءِ المُرسَلينَ، فإرادةُ الإنسانِ لا دَخْلَ لها أبدًا في كَشفِ النُّبوّاتِ، بل إنّ الأنبياءَ هم الّذين أتَوْا بِالوحي وهُم في ذلك يَقتدونَ بِرُوحِ اللهِ.

الفصل الثّاني

2: 1ـ16 الدّعاة الدّجّالون ومصيرهم

ومِثلما كان في بني إسرائيل بَعضٌ مّمن يدّعي النُّبوّة، فسيوجدُ بينكم يا إخوتي أيضًا دُعاةٌ دجّالونَ يتسلّلونَ إلى جَماعاتِكم بالفِتنةِ المُهلِكةِ، بل إنّهم يَتنكّرونَ للسّيّدِ المُبجَّلِ الّذي فداهم، ولكِنّهم سيَجلِبونَ الهلاكَ لأنفسِهم قريبًا. ورَغم ذلك سيتّبِعُ سبيلَهم كثيرٌ مِن المؤمنينَ، وسيَرتَكِبونَ الفِسقَ مِثلهم، وبِسببِهم سيَستهينُ النّاسُ بطريقِ الحقِّ. وسيستغِلُّكم هؤلاءِ الدَّجّالونَ بِدافعِ الطّمعِ وبِحِكاياتِهم الخادِعةِ. ومُنذ قديمِ الزّمانِ أصدَرَ اللهُ حُكمَهُ عليهم بالعقابِ والهلاكِ لا ريبَ. إنّ اللهَ لم يُشفِق حتّى على الملائكةِ حين أخطأوا، بل ألقى بهم إلى أسفلِ سافِلين، مُقيَّدينَ في الظُّلُماتِ إلى يومِ الحِسابِ.[1] وإنّ اللهَ في أيّامِ النّبيّ نوح (عليه السّلام) لم يُشفِق على العالمِ القديم، بل أرسلَ الطّوفانَ على أهلِ الدُّنيا الآثِمينَ. ولم ينجُ مِنهم إلاّ ثمانية يتقدّمُهُم النّبيّ نوحٌ الّذي كان يَدعو إلى الصِّراطِ المُستقيم. وقَضى اللهُ على قومِ لوطٍ في مَدينتيْ سَدوم وعَمورة، فأحرقهُم وحوّلهُم إلى رَمادٍ، وجعل مِنهم عِبرةً لِمَن يأتي بَعدهم مِن الأشرارِ العُصاةِ. وأنقذ لوطًا (عليه السّلام) لأنّهُ كان رجُلاً صالِحًا، وكان يَنفُرُ مِن فِسقِ الأشرارِ وفَسادِهِم، إذ كان يَعيشُ بينهم ويَسمعُ ما يَقولون ويَرى ما يقترِفونَ يومًا بعد يومٍ، وكانتْ نفسُهُ الصّالِحةُ تَتعذّبُ بِسببِ شُرورِهم.

فاعْلموا أنّ اللهَ قديرٌ، يُنقِذُ مِن المِحنِ المُتّقينَ، ويُمسِكُ بالأشرارِ حتّى يُعاقِبَهم يومَ

(1) يعتقد بعض المفسّرين أنّ خطيئة الملائكة المشار إليها هنا حدثت قبل الخطيئة الأولى لآدم وحوّاء. وسيُعرف بعد ذلك الملائكةُ الّذين عَصوْا الله وخرجوا عن طاعته بالشّيطان وأعوانه.

الدِّينِ. وما أشدَّ عِقابَهُ لِلّذين يَلهثونَ وراءَ النّفسِ وأهوائِها الفاسِدةِ، ويَحتقِرونَ سُلطانَ مَولانا المَسيح.

هؤلاءِ الدُّعاةُ الدَّجّالونَ يَتصرّفونَ بوقاحةٍ وكِبرياءٍ، ولا يَتورّعونَ عن إهانةِ الكائناتِ الغَيبيّةِ المَجيدةِ. رَغمَ أنّ الملائكةَ أشدُّ قوةً ومَقدرةً مِنهم، فإنّها لا تُقدِّمُ في حَضرةِ اللهِ شَكوى ضِدّ هذه الكائناتِ ولا تُهينُها أبدًا. أمّا هؤلاءِ الدَّجّالونَ، فيُهينونَ ما يَجهلونَ. إنّهم كالبهائم لا عقلَ يَحكُمُها، بل تُسيِّرُها الغَريزةُ، فقد خُلِقتْ حتّى يَصطادَها الصّيّادُ ويَقتُلَها، ولذلك سيَهْلِكونَ كما تَهلكُ البهائمُ. ويُجازيهِم اللهُ على ما كانوا يَقترفونَ مِن ظُلم، إنّهم يَحسَبونَ اللّذةَ أن يَستسلِموا لِلفُجورِ في عِزِّ النّهارِ. فحينَما تَجتمِعونَ لِلعشاءِ التّذكاري إكرامًا لسيّدِنا، يُسارِعون إليكم، فيَجلِسونَ معكم ويَتلذَّذونَ بِخداعِكم، وهكذا يُفسِدونَ اجتماعاتِكُم ويُسيئونَ لسُمعتِكم. عُيونُهم تَنظُرُ نَظراتِ الشّهوةِ إلى النِّساءِ، ولا يَكتفونَ مِن الذُّنوبِ، بل يَستدرِجونَ إلى الآثام أولئك المُتردّدينَ في إيمانِهم، لقد سَكَنَ الطَّمعُ قلوبَهم، إنّهم مَلاعينَ! وتَركوا الصِّراطَ المُستقيم، وساروا في طريقِ الضّلال، طريقِ بَلْعام بنِ بَعور، فقد كان بَلْعامُ طامعًا في المالِ الحرام. وعاتبهُ حِمارُهُ الأبكم على ذَنبِهِ، إذ جعله اللهُ ناطِقًا ليضعَ حدًا لجُنونِ صاحبِهِ مُدّعي النُّبوّة.[1]

2: 17–22

إنّه لا فائدةَ تُرجى مِن هؤلاءِ الدّجّالينَ، فهُمْ مِثل اليَنابيع بلا ماءٍ، أو ضبابٍ تَسوقُهُ ريحٌ عاصِفةٌ هوجاءُ. فمَصيرُهم في دَركاتِ الظّلامِ السُفلى. إنّهم لا يَنطِقون غير الكلامِ الباطلِ السّخيفِ، ويَغْوُونَ المؤمنينَ الجُددَ بأهواءِ النّفسِ والفُجورِ، بَعدَ أن أوشكوا على النّجاةِ مِن أهلِ الضّلالِ.[2] فيَعِدونَهم بِالحُرّيةِ، بينما هُم عَبيدٌ للفَسادِ. فالنّاسُ عَبيدٌ لِكلِّ ما يُسيطِرُ عليهم. إنّ المؤمنين بِسيِّدِنا ومُنجّينا عيسى المَسيح ناجونَ مِن نَجاساتِ الدُّنيا، فإذا هُم اِرتدّوا ووقعوا في حبائلِها مَرّة أُخرى، تكونُ نِهايتُهُم أسوأ مِن بِدايتِهِم.

---

(1) جاء في التوراة أنّ بالاق، ملك مؤآب استخدم بلعام الدجّال ليلعن بني يعقوب (انظر التوراة، سفر العدد 22: 4 – 35).

(2) يشير هذا المقطع إلى المؤمنين الجدد الذين تركوا أصدقاءهم الوثنيّين. ويشير الحواري بطرس كيف حاول المعلّمون المضلّلون خداع المؤمنين الجدد الذين لم يتعلّموا بعدُ كيفيّة تمييز التعاليم المزيّفة المضلّلة.

فما أشدَّ عِقابَ اللهِ عليهم! فخيرٌ لهم لو أنّهم لم يعرِفوا الصِّراطَ المُستقيم، وخيرٌ لهم أنّهم لم يَرتدّوا عن رِسالةِ سيّدِنا المُقدّسةِ بعدما عرفوهُ. فيَصدُقُ فيهم المَثلُ القائلُ: «عاد الكلبُ يأكُلُ ما تقيّأهُ» أو قولُهم: «اِغسِلِ الخِنزير، يَعُد مَرّة أُخرى إلَى الوحل».

الفصل الثّالث

3: 1ـ9 تجلّي سيّدنا عيسى ملكًا

يا أحِبّائي، إنّ هذه رِسالتي الثّانيةُ إليكم، لعلّكم تتذكّرونَ، فأُبعثُ فيكم الفكرَ الصّالحَ النّقي. فتذكّروا الأقوالَ الّتي جاءت على ألسِنةِ الأنبياءِ الصّالِحينَ، وما أبلغكم به الحَواريّونَ مِن وصايا سيِّدِنا عيسى مُنجّينا. فَاعْلموا أَوّلاً أنّهُ سيَظهَرُ، في آخرِ أيّامِ الدُّنيا، بَشرٌ مُستهزئونَ ساخِرونَ، يَتّبعونَ أهواءَهم[1] ويقولونَ: «لقد وَعَدَ المَسيحُ بِأنَ يتجلّى ملِكًا، فأين هو؟ فمنذُ وفاةِ آبائِنا، لم يأتِ يومُ الحِساب، وما زالتِ الأُمورُ على حالِها منذُ خَلقِ العالَمينَ». وإنّهم يَتجاهلونَ عمدًا أنّ اللهَ خَلَقَ بِكلِمةٍ مِنه السّماواتِ منذُ القديم، ودَحا الأرضَ مِن الماءِ وأحاطها بِالماءِ.[2] وبِالماءِ أيضًا غرِقَ العالمُ وهلك في عهدِ النّبيِّ نوح. أمّا في أيّامِنا هذه، فستَبقى السّماواتُ والأرضُ مَحفوظةً بِكلِمةِ اللهِ ذاتِها حتّى يومِ الدِّينِ، ثُمّ يُدمِّرُها بِالنارِ ويُهلكُ الأشرار.

يا أحِبّائي، انتبِهوا إلى هذا الأمر، إنّ يومًا واحِدًا عِند اللهِ كألفِ سنةٍ مِمّا تَعُدّونَ، وإنّ ألفَ سنةٍ كيومٍ واحِدٍ. واللهُ لا يتأخّرُ عن تحقيقِ وعدِهِ، كما يَظُنُّ البَعضُ، ولكِنّ اللهَ على النّاسِ صبورٌ حليمٌ، لا يُريدُ لأحدٍ أن يهلِكَ، بل يُريدُ التّوبةَ لِلجميعِ.

3: 10ـ18

سيأتي يومُ اللهِ فجأةً ويُباغِتُ الأشرارَ كما يأتي مَن يُباغِتُ في الليلِ الغافِلين.

---

(1) ربّما كان المقصود هنا من السّاخرين هو أناس يَنتمون إلى مذهب العرفانيّين، ويرفضون الاعتراف بيوم الحساب حين يجازي الله الناس على آثامهم.

(2) يمكن أن يكون هذا المقطع إشارةً إلى خلق الله للكون من خلال كلمته، أي أمره (انظر التوراة، سفر التكوين 1: 3 وما يليه)، وربّما أشار إلى الخلق من خلال سيّدنا عيسى كلمة الله الأزليّة (انظر يوحنّا 1: 1-3).

تَصعقُ السّماواتُ بِدويٍّ عظيم، وتحترقُ عناصِرُ الكونِ والأرضُ وما فيها.[1] فإن كانَ كلُّ شيءٍ مآلُه إلى الفناءِ بهذه الطّريقةِ، فماذا أنتم فاعِلونَ؟ ألا يَنبغي أن تتّصِفَ حياتُكم بِالتّقوى والصّلاحِ، بينما أنتم تنتظِرونَ يومَ اللهِ، وتطلبونَ قُربَ حُلولِه، ذلِك اليوم الّذي فيهِ تذوبُ السّماواتُ وتزولُ، وتنصهِرُ العناصِرُ بِنارِ أتونٍ. أمّا نحن فننتظِرُ سَماواتٍ جديدةً وأرضًا جديدةً يُقيمُ فيها الصّالِحون، كما وعدَنا اللهُ.

إذن يا أحِبّائي، بينما أنتم تترقّبونَ تحقيقَ هذا الوَعدِ، اجتهِدوا في أن تكونوا مُسالِمينَ طاهرينَ دون شَوائب، واعْلموا أنّ مَولانا عيسى يصبِرُ بِفضلِهِ ولا يستعجِلُ تجلّيه مِلكًا على العالَمين، فما زالتْ هُنالك فُرصةٌ لِنجاةِ العُصاة. إنّ هذا ما حدّث بِهِ أخونا الحَبيبُ بولُسُ على قدر الحِكمةِ الّتي مَنَحَهُ اللهُ إيّاها،[2] حين كَتَبَ عن هذه المَسائلِ في كلِّ رسائِلِه، ولقد جاءَت فيها أُمورٌ يَصعُبُ فَهمُها ويُحرِّفُ الجَهَلةُ وغيرُ الرّاسِخين تَفسيرَها، كما يَفعلونَ في سائِرِ الكُتُبِ المُقدّسةِ،[3] وهذا سيُؤدِّي بهم إلى الهَلاكِ.

يا أحِبّائي، أنذرتُكم بِكلِّ هذا مُسبّقًا، فاحذروا، حتّى لا يَخدعكُمُ الأشرارُ المُضِلّونَ، فترتدّونَ عن ثباتِكم في الإيمانِ. ولكِن ارتقَوا في فَضلِ اللهِ وفي مَعرِفةِ سيِّدِنا ومُنجّينا عيسى المَسيحِ. فلْتكُنِ له الهَيبةُ، الآن وإلى يومِ الخُلودِ. آمين.

---

(1) يعني «يوم الله» في كتب الأنبياء القدامى، اليوم الذي يقضي فيه الله تعالى على العُصاة ويعاقبهم. واستُعملت هنا العبارة نفسها باعتبارها مصطلحا آخر للإشارة إلى يوم الحساب، وهو اليوم المحدَّدُ لنهاية هذا العالم وفيه حساب لجميع البشر وفيه نجاة الصّالحين.

(2) يمكن أن يكون بطرس قد أشار هنا إلى ما كتبه الحواري بولس في رسالته إلى أحباب الله في روما، 2: 4، فقد كُتبت هذه الرّسالة حوالي سنة 57 للميلاد، أمّا الرّسالة التي كتبها بطرس فقد تمّت ما بين سنتي 65 و 68 للميلاد.

(3) اعتبر الحواري بطرس أنّ كتابات بولس تَحظى بالمكانة نفسها التي تحظى بها التوراةُ وغيرُها من كتب الأنبياء الأوّلين.

مدخل إلى رسالة يوحنّا الأولى

لم تقع الإشارةُ إلى اسم الكاتب في هذه الرسالةِ، ولكنّ الأسلوب الذي كُتبت به يُشبه كثيرا الأسلوبَ الذي سَجّلَ به الحواري يوحنّا الوحيَ حول سيرة سيدنا عيسى (سلامه علينا)، لذلك ذهب العلماء إلى أنّ كاتب الرسالة والسيرة شخص واحد وهو الحواري يوحنّا. ويبدو أنّ هذه الرسالة قد كُتبت في مدينة أفاسوس.

ولم تتضمّن هذه الرسالة أيّةَ قرينة تشير إلى تاريخ كتابتها، ولكنّ عددا كبيرا من الباحثين يعتقدون أنّها كُتِبت في زمن متأخّر من القرن الأول للميلاد. كما أنّها لم تلتزم بالتحية ولا بالنهاية المعتادِ اتّباعُهما في الرسائل العادية، وهو ما يرجّح كونها وثيقةً عقائدية أو عظة دينية أكثر من كونها رسالة. ويمكن أن يكون الهدف من عدم ذكر مُرسَلٍ إليه واضح وعدم تحديد موقع جغرافي بعينه، هو ترك هذه الرسالة تدور على نَحوٍ واسع بين أتباع السيد المسيح (سلامه علينا).

وربّما كانت هذه الرسالة تهدف إلى تشجيع اليهود الذين نبذَتْهم جماعاتهم بسبب اعترافهم أنّ سيدنا عيسى هو المسيح المنتظر، فالكثير من إخوانهم المؤمنين لم يتمسّكوا بهذا الاعتراف. (انظر رسالة يوحنّا الأولى 2: 19، 22؛ 4: 2 – 3).

ومن المرَجَّح أنّ الحواري يوحنّا كان مهتمّا بحالة المؤمنين في مناطق أخرى. وبالعودة إلى كتاب الرؤيا (2: 9 – 10 و 3: 7 – 9) نلاحظ أنّه في بعض المدن مثلَ إزمير وفيلادلفيا قد نبذ أتباعُ اليهوديّة أتباع السيد المسيح من أصل يهودي وسلّموهم إلى السّلطات. وقد ادّعى عدد من الناس النبوّة، فشجّعوا المؤمنين على إنكار إيمانهم بسيدنا عيسى ودفعوهم إلى المشاركة في عبادةٍ وثنية ومنها عبادة الإمبراطور، فكلّ من لا يقدِّمُ إلى الإمبراطور قربانا يُعتبر خائنا ويُحكم عليه بالإعدام.

وقد ظهرت العديد من الحركات الدينية زمنَ كتابة هذه الرسالة. ويبدو أنّ هذه الرسالة قد تناولت إحدى هذه الحركات وهي حركة مذهب العرفان (الغنوصيّة)، وهو المذهب الذي كان يزعم معلّموه أنّ العالَم المادي هو الشرّ والعالم الروحي هو الخير.

وادّعى أصحاب هذا المذهب أنّهم يملكون معرفة خاصّة سيكون من شأنها تحرير البشر من العالم المادي وهكذا يكون بإمكانهم السّموُّ إلى عالم الروح.

ويرى العرفانيون، بما أنّهم منغمسون في عالم الروح حسب ادّعائهم، أنّ الأحكام الأخلاقية لا تشملهم، وهو ما جعلهم ينغمسون في سلوكيات فاحشة، وبسببها اعتبرَهم أتباعُ السيد المسيح آثمين. واعتقدتْ إحدى جماعات مذهب العرفان أنّ السيد المسيح له صفات إلهيّة، وأنّه لم يكن في الواقع بشرا، بل كان يبدو على شكل بشر فقط، واعتقدت جماعة أخرى أنّ روح المسيح السماوي قد حلَّت في جسد سيدنا عيسى لبعض الوقت فحسب، وأنكرتْ أنّ السيد المسيح (سلامه علينا) هو المسيح الوحيد حقّا (اُنظر رسالة يوحنّا الأولى 2: 22).

ومهما يكن الأمر، فَمِن الواضح أنّ الذين يُعلِّمون التعاليم الباطلة هم أشخاص تركوا الجماعةَ المؤمنة التي وجّه إليها يوحنّا رسالتَه، وفيها يُخبر قرّاءَه أنّ عليهم إخضاعَ هؤلاء المعلمين إلى اختبارين حتّى يعرفوا مدى إخلاصهم لله.

الاختبار الأول هو: هل حافظ هؤلاء على الوصايا الإلهية، خصوصا محبّة المؤمنين الآخرين؟

الاختبار الثاني هو: هل نظرتُهم إلى سيدنا عيسى (سلامه علينا) سليمة أم لا؟

بسم الله تبارك وتعالى

رسالة الحَواريّ يُوحَنّا الأُولى إلى أحباب الله

الفصل الأوّل

1: 1-4 المسيح الكلمة الحياة

يا لَرَوعةِ مَن كان مُنذُ البدءِ مَوجودًا، هو الّذي سمِعناهُ وعايَنّاهُ شُهُودًا. نعم، رأيناهُ بِأبصارِنا ولمسناهُ بِأيدينا، إنّهُ كلِمةُ الحياةِ، سيّدُنا عيسى المسيحُ مُنجّينا.[1]

لقد تجلّى، مَن يقودُنا إلى حياةٍ لا تَفنى، رأيناهُ وشهدنا لهُ، وها نحن نخبرُكم عنه (سلامُهُ علينا)، بأنّه السّبيلُ القويمُ إلى دارِ الخُلدِ، هُو الّذي كان مَكنونًا عِند اللهِ الأبِ الصّمدِ ثُمّ ظَهَرَ لنا وتَبَدَّى. نحنُ نُخبِرُكم بِما رأينا وسمِعنا، حتّى تَستمِرُّوا مَعنا في العُروةِ الوُثقى. ولا تكون عُروتنا الوثقى إلاّ مع اللهِ الأبِ الرّحيم ومع سيّدِنا المَسيحِ الابنِ الرُّوحيّ له تعالى.[2] ونحنُ نكتبُ إليكم هذِهِ الرِّسالةَ حتّى نَفرحَ حقَّ الفرح بإيمانِكم الرّاسخِ القويم.

---

(1) يعتقد الكثير من الباحثين أنّ هذا المقطع يلمّح إلى افتتاحية سيرة السيد المسيح التي سجّلها الحواري يوحنّا. ويظهر سيدنا عيسى في هذا المقطع على أنّه كلمة الله الأزلية التي صارت بشرا. وقد عارض هذه الحقيقةَ المعلّمون المضلّلون الذين تركوا جماعات المؤمنين بالسيد المسيح، والذين قالوا أنّ سيدنا عيسى ظهر في هيئة بشر ولكنّه في الحقيقة لم يكن بشرا أبدا. وتُشبه معتقداتهم هذه معتقدات الوثنيين تجاه آلهتهم، وخاصّة اعتقادهم أنّ آلهتهم تتجلّى لهم في هيئة بشر رغم أنّ طبيعتها ليست بشرية. ولكن الحواري يوحنّا أكّد أنّ شهود سيدنا عيسى قد قاموا بلمسه والشعور به، وهذا يؤكّد أنّ طبيعة سيدنا عيسى بشريّة دون شك.

(2) عبارة «الابن الروحي لله» الواردة هنا هي ترجمة للعبارة اليونانية التي عُرّبت غالبا بصيغة «ابن الله». وهي موجودة في كتب الأنبياء الأوّلين وكانت لقبا لملك بني يعقوب الذي اختاره الله. وهذا لا يشير إلى تناسل بشري، ولكنه يشير إلى العلاقة الوثيقة التي تربط سيدنا عيسى بالله. وإنّ مقامه أمام ربّه مثل مقام البكر في العائلة. ويرى البعض في هذا تلميحا إلى أنّ السيد المسيح هو كلمة الله الأزلية، وقد تَمَّ إرساله إلى الأرض ليصبح بشرا يولد من مريم العذراء.

1: 5-10 الرّسوخ في نور الله

وهذه هي الرِّسالةُ الّتي سمِعناها مِن سيّدِنا المسيح، ونُعلِنُها إليكم الآن: إنّ اللهَ نورٌ أبهى، وليس في ذاتِهِ ظلامٌ أبدًا. فإنِ ادّعينا أنّنا مُستوثِقونَ بعُروتِهِ ونحنُ نَسيرُ في سوادِ الشرِّ والظّلام، كُنّا كاذِبينَ، ولِغيرِ الحقِّ فاعِلينَ.[1] أمّا إن كُنّا حقًّا في النّورِ نَحيا، كما هُو في النّورِ الأسمى، حَظِينا مع بَعضِنا بعضٍ بالعُروة الوثقى، وكانَ دَمُ سيّدِنا عيسى الابنِ الرُّوحيّ للهِ لنا مِن كُلِّ خَطيئةٍ طهرًا.[2] فإنِ ادّعينا أنّهُ لا خَطيئةَ فينا، خَدَعنا أنفسَنا، وتولّى عنّا الحقُّ. أمّا إن اعترفنا بِخطايانا، غَفَرَها اللهُ لنا وطَهَّرَنا مِن كُلِّ إثم، لأنّهُ بالثِّقةِ جَديرٌ، وعلى الوفاءِ بِوعدِهِ قديرٌ. فإنِ ادّعينا أنّنا لم نَرتكِب ذنبًا، نكونُ قد كذّبنا اللهَ وقُلوبُنا لا تتّسع لكلمَتِهِ تَعالى.

الفصل الثّاني

2: 1-14

يا أبنائِي الأعِزّاءَ، أكتبُ إليكم هذهِ الأُمورَ حتّى أحمِيَكُم مِن ارتِكابِ الخَطايا. فإن أذنبَ أحدُنا، فإنّ لنا عِندَ اللهِ الأبِ الرّحيم شَفيعًا ألا وهُو عيسى المَسيحُ المُرتضَى. إذ بِحياتِهِ ضَحّى، حتّى تُغفَرَ بها الذُّنُوبُ والخَطايا، ولا يَقتصِرُ الغُفرانُ على ذُنوبِنا فقط، بل يَشملُ ذُنوبَ النّاسِ جميعًا.

إذا عمِلنا بِوصاياهُ كُنّا على يَقين أنّنا العارِفونَ باللهِ. ومَن قال: «إنِّي عارِفٌ باللهِ»، ثُمّ تخلّى عن وَصاياهُ، فهُو كاذِبٌ مُعرِضٌ عنِ الحقِّ. وأمّا مَن عمِل بِكلامِ اللهِ، فقد تجلّت

(1) ادّعى المعلّمون المضلّلون الذين انتقدهم الحواري يوحنّا أنّ أتباع سيدنا عيسى (سلامه علينا) يمكنهم العيش كما يشاؤون دون قيود أو ضوابط أخلاقية. غير أنّ أتباع السيد المسيح كانوا في بعض الأحيان يرتكبون الخطايا وكان عليهم الاستمرارُ في الاعتراف بخطاياهم وآثامهم، مع العلم أنّ سيدنا عيسى قد خفّف من وطأة الإثم على أتباعه من خلال تضحيته بنفسه.

(2) لئن استعمل الناس الماء لتنظيف أجسادهم فإن دم الأضحية حسب التوراة هو الذي يمحو عواقب آثام الناس (انظر سفر اللاويين 16: 30). ويجب أن تُقدَّم هذه الأضاحي مرارا وتكرارا، ولكنّها لم تكن ناجعة في تطهير الخطايا، بل كانت فقط دليلا على أنّ تضحية سيدنا عيسى ذات أهميّة كبرى. وهي في الحقيقة الطريقة الوحيدة التي بها نحصل على غفران آثامنا. (انظر رسالة العبرانيين 10: 1 - 18).

مَحبّتُهُ للهِ كاملةً أمام النّاسِ، وبهذا فنَحنُ على يقينٍ أنّنا نعتَصِمُ بِهِ تعالى. ومَن رأى أنّهُ راسخٌ في إيمانِهِ، فعليهِ أن يَسلُكَ في حياتِهِ النّهجَ الّذي سَلَكَهُ سيّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا).

يا أحِبّائي، ليس ما أذكُرُهُ لكم الآن بجديدٍ عليكم، وإنّما هُو أمرُ اللهِ القديمُ أن تُحِبّوا بَعضَكُم بعضًا. وما ذلِك عن عِلمِكُم ببَعيدٍ، فلقد تلقّيتموهُ مُنذُ البِدايةِ في كلامِهِ المَجيدِ،[1] غير أنّهُ أمسى بما سمعتُموهُ جَديدًا، حيث عاش سيّدُنا (سلامُهُ علينا) حقيقةَ هذهِ المَحبّةِ كما تعيشونَها الآن. لِذلك بُدّدتِ الظُّلُماتُ تبديدًا، مُذ أشرَقَ نورُ الحقِّ إشراقًا مَجيدًا.

إنّ الّذين يدَّعون أنّهُم ثابتون في نورِ اللهِ، ومع ذلك يُبغِضونَ إخوانَهُم المؤمنينَ، ما زالوا في ظُلُماتِ الشّرِّ قابِعينَ. أمّا الّذين يُحِبّونَ إخوانَهم في اللهِ فإنّهم يَسيرونَ في النّورِ، ولا ضَلالَ فيهِم. وأمّا الّذين يكرَهونَ إخوانَهم، فإنّهم في سَوادِ شرِّهِم تائِهونَ، يتلَمَّسونَ طريقَهُم، ويَجهَلونَ وِجهَتَهُم، لأنّ الظّلامَ قد جعَلَهُم عُميانًا لا يُبصِرونَ.[2]

يا أعزائي الآباء والأطفال والشُّبّان، يا مَن تَنتمونَ إلى جماعةِ الإيمان:

أُرسِلُ إليكم رِسالتي، وأخصُّ الشُّيوخَ مِنكم، لأنّكُم بسيّدِنا عيسى المَوجودِ مُنذُ البدءِ عارِفونَ.

وأُخاطبُكم أيّها الأطفال، لأنّ اللهَ غَفَرَ ذُنوبكُم بِفَضلِ السّيّدِ المَسيحِ، والآن أنتم للهِ الأبِ الرّحيم مُدرِكونَ.

وأكتب إليكم أيّها الشُّبّان، لأنّ رِسالةَ اللهِ راسِخةٌ في قُلوبِكم، وانتصرتُم على الشّيطان.[3]

---

(1) يشير الحواري يوحنّا هنا إلى الوصيّة التي وجّهها سيدنا عيسى إلى أتباعه. وقد ذكر هذه الوصية في الوحي الذي سجّله (13: 34)، وهي مبنيّة على الوصايا القديمة في التوراة «أحبّ جارك كما تحبّ نفسك» (سفر اللاويين 19: 18). وكانت وصية سيدنا عيسى تحمل تأكيدا مختلفا وهو محبّة الواحد للآخر، ومحبّة الجميع لبعضهم بعضا. وكانت تلك المحبّة بالنسبة إلى جماعة المؤمنين أمرا يميّزهم عن بقيّة أهل الدنيا (انظر يوحنّا 13: 35).

(2) قطع كلّ الذين غادروا الجماعة المؤمنة والذين كَتَبَ إليهم يوحنّا علاقتَهم مع المؤمنين، وهو ما يفسّر الإشارةَ هنا إلى أنّهم كانوا يَكرهونهم بدل الإشارة إلى محبّتهم لهم. وقد ورد في التوراة نهيٌ عن كراهية المؤمن لأخيه المؤمن (انظر سفر اللاويين 19: 17).

(3) ربّما أشار الحواري يوحنّا، وهو يكتب عن «الآباء» و»الشبان» و»الأطفال»، إلى المراحل المختلفة

لا تتهافتوا على حُبِّ الدُّنيا ولا إلى حُبِّ متاعِها، إنّ الّذين يُحِبّونَ الدُّنيا لا يُحِبّونَ اللهَ الأبَ الرَّحمنَ الرّحيم. فما كُلُّ شيءٍ في الدُّنيا مِن عِندِ اللهِ الأبِ الرَّحيم، إنّ ما تُزيّنه الشَّهَوات لِلذّةِ الجَسدِ، وما تطمعُ فيهِ العُيونُ، وما يَتباهى بِهِ المُوسرونَ، ليس ما يُريدُه لنا اللهُ الأبُ الرَّحيمُ، بل هو مِن الدُّنيا. والدُّنيا وكُلُّ ما فيها مِن أهواءٍ زائِلةٌ، أمّا الّذين يَبتغونَ مَرضاةَ الله فهُم الرّاسِخونَ إلى الأبدِ.

يا أبنائي الأعِزّاء، لقد اقتربتْ السّاعةُ. وكما كُنتم تسمعونَ، سيَظهَرُ الدّجّالُ في آخِرِ أيّام هذهِ الدُّنيا، وهُو عدُوُّ السّيّدِ المَسيحِ، ولقد ظَهَرَ في الحَقيقةِ في زَمَنِنا هذا عددٌ كبيرٌ مِن الدّجّالين لِيُقاوِموا سيّدَنا المَسيح. وبِهذا نَعلمُ أنّهُ قد قرُبَتْ السّاعةُ.[1] إنّ هؤلاءِ الّذين يَنبُذون السّيّدَ المسيحَ (سلامُهُ علينا) كانوا فيما مَضى يُسايرونَ جماعاتِ المؤمنينَ في إيمانِهِم، ولكِنّهُم لم يَنتَموا إلينا، لِذلِك تَركونا. فلَوْ كان انتِماؤهُم سَليمًا، ما ابتَعدُوا عنّا، فبِخُروجِهِم عنّا أكّدوا أنّهُم لم يَنتَموا إلينا يومًا.

أمّا أنتم يا أحبابي، فإنّكُم تَختلِفونَ عَنهُم، إذ حَلَّ فيكم فَيضُ رُوحِ اللهِ القُدّوس، وكُلُّكُم بِالحقِّ عالِمُونَ.[2] إنِّي بَعثتُ إليكُم هذهِ الرِّسالةَ، لا لأنّكُم تَجهَلونَ الحقَّ، بل لأنّكم تُميّزونَ بين الحقِّ والكِذبِ. ومَن هُو الكذّابُ؟ إنّهُ بِالتّأكيدِ مَن يُنكرُ أنّ سيّدَنا عيسى (سلامُهُ علينا) هُو المَسيحُ المُنتظَرُ. إنَّ عَدوَّ السّيّدِ المَسيح مَن يَرفُضُ اللهَ الأبَ الرّحمنَ، والابنَ الرُّوحيّ له تَعالى.[3] فَإنَّ الّذين يَرفُضونَ المَسيحَ الابنَ الرُّوحيّ،

= في التدرّج الإيماني. وربّما كان يُوجِّه النصائح لمراحل عمرية مختلفة، مع تعاليم أخلاقية معيّنة لكلّ مرحلة، كما فعل كتّاب آخرون في زمنه. فالآباء رمز لأصحاب السلطة والهيبة. والأطفال رمزا للذين لا يملكون سلطةً ومكانتُهم متواضعة في مجتمعهم، ومن المفروض أن يتعلّم هؤلاء مِن الذين يفوقونهم سنّا، أمّا بالنسبة إلى الشبّان فكانوا في نظر الناس أقوياء أشدّاء.

(1) ربّما كان قرّاء هذه الرسالة على وعي بقدوم العدوّ الكبير، قبل تجلّي المسيح ملكا، وهذا العدوّ يُطلَق عليه هنا اسم «الدجّال». وسُمّي بـ«رجل المعصية» في رسالة تسالونكي الثانية 2: 3، وفي كلّ الأحوال يطلق لقب الدجّال على العديد من الناس الذين سيظهرونَ قَبلَ تجلّي السيد المسيح (سلامه علينا)، كما جاء في هذه الرسالة وفي رسالة يوحنّا الثانية.

(2) تشير عبارة «روح الله» هنا إلى الذّات الإلهية المقدّسة وهي ليست لقبا للسيد المسيح (سلامه علينا).

(3) ربّما أنكرَ بعض أتباع السيد المسيح مِن بني يعقوب حقيقتَه (سلامه علينا) باعتباره المسيح الملك المنتظَرَ، والسبيلَ الوحيد إلى الله، حتّى يُسْمَحَ لهم بالبقاء في الكنيس اليهودي. وبهذه

يَرفُضونَ اللهَ الأبَ الرّحيم. والّذينَ يُبايعونَ الابنَ الرُّوحيّ، يُبايعونَ اللهَ الأبَ الرّحيمَ أيضًا.

أمّا أنتم، فَكُونوا مُخلِصينَ، راسِخينَ في الإيمانِ بِالبلاغِ الّذي سمِعتُموهُ مُنذُ البِدايةِ. فإن فَعلتُم ذلِك، كُنتم ثابِتينَ في الإيمانِ بِاللهِ الأبِ الرَّحيم وبِالمَسيحِ الابنِ الرُّوحيّ له تَعالى، راسِخين في الرِّسالةِ الّتي بلَّغَنا إيّاها. وهذا وَعدُ اللهِ لنا بمَنحِنا دارَ البقاءِ.

إنّي أكتبُ إليكُم هذا حتّى أُحذِّرَكُم مِن الّذين يَسْعَون إلى تَضليلِكم. ولكنّي واثقٌ أنّكم لن تَضِلّوا أبدًا، لأنّ فَيضَ رُوحِ اللهِ حَلَّ فيكم مَدَدًا. فلا حاجةَ بِكم إلى النّاسِ حتّى يَهدوكم رَشدًا، فهي تَهدِيكم رُشدًا. وإنّكُم تَهتدونَ بها إلى الحقِّ لا إلى الكذِبِ. فاثْبتوا على إيمانِكم بِالسّيّدِ المَسيحِ حسب إرشادِ رُوحِ اللهِ.(1)

2: 28–29 أهل بيت الله

نعم يا أولادي الأعِزّاءَ، اثبِتُوا على إيمانِكُم، حتّى إذا تَجلّى السّيّدُ المَسيحُ بينَنا نَكونُ على ثِقةٍ أنّهُ سيتقبّلُنا، ولن نكونَ حين يأتي مَلِكًا في خِزيِ البُعدِ عنه أذِلّاءَ. إنّكُم لتَعلمُونَ أنّ السّيّدَ المَسيحَ يُرضي اللهَ حقَّ الرِّضى، فاعلَموا أيضًا أنّ كُلَّ مَن يُرضي اللهَ يَكونُ مِن أهلِ بيتِهِ.

الفصل الثّالث

3: 1–10

يا لَعَظَمةِ المَحبّةِ الّتي أحاطَنا بها اللهُ أبونا الرّحيم، إذ جَعَلَنا عِيالَهُ، ونحنُ عِيالُهُ لا رَيبَ! أمّا أهلُ الدُّنيا فلا يَعترِفونَ بأنّنا مِن آلِ بيتِ اللهِ، لأنّهم لا يَعترِفونَ بِاللهِ. يا

= الطريقة لا يُطلب منهم تقديمُ البخور كشكل من أشكال العبادة للقيصر. وكلّ يهودي يتمُّ طرده من الكنيس لا بدّ أن يُواجه التهديدَ بالاضطهاد والمضايقة بسبب إخفاقه في عبادة القيصر، ومن المتوقّع أن يحثّ مُدَّعُو النبوّة الناسَ على هذه العبادة (انظر هذه الرسالة 4: 1 – 6).

(1) ادّعى المعلمون من العرفانيين أنّ تعاليم الحواريين غيرُ كافية، وأنّ المؤمنين يحتاجون أيضا إلى اتّباع «المعرفة العليا» التي ادّعَوْا امتلاكها. ورفض الحواري يوحنّا هذه الادّعاءات واعتبر أنّ توجيه روح الله للمؤمنين من خلال الحواريين هو الحقيقة الوحيدة.

أحِبّائي، نَحنُ حقًّا عِيالُ اللهِ، رَغمَ أنّهُ لم يَكشفْ لنا بَعدُ الحالةَ الّتي سنكونُ عليها عِندَما يتجلّى سيّدُنا المَسيحُ (سلامُهُ علينا)، غيرَ أنّنا على يقينٍ أنّنا حينئذٍ سنكونُ مِثلَهُ، لأنّنا سنَراهُ بكلِّ بَهائِهِ وحقيقتِهِ. وكُلُّ مُنتظرٍ لِلسّيِّدِ المسيح بلهفةٍ، حَتمًا لن يَتوانَى عن تَطهيرِ نَفسِهِ مِن خَطيئتِهِ، كما أنّ السّيِّدَ المَسيحَ طاهِرٌ مِن الخَطايا في ذاتِهِ.

أمّا كلُّ مَن يَستمِرُّ في اقتِرافِ الخَطايا، فهُو حَتمًا يُخالِفُ شَرعَ اللهِ، فكلُّ خَطيئةٍ هي خَطيئةٌ بِحقِّ أوامِرِ اللهِ والوَصايا. وإنّكم لتعلَمونَ أنّ السّيِّدَ المَسيحَ مَعصومٌ مِن الذُّنُوبِ، وقد جاءَ إلى هذهِ الدُّنيا لِيَمحُوَها. وكُلُّ مَن يَرسَخُ في إيمانِهِ بسيّدِنا المَسيح لن يقعَ في دَرَكاتِ الذُّنُوبِ. أمّا المُستَمِرُّ في ارتِكابِها فلا بَصيرةَ لهُ وهو يَجهَلُ حقيقتَهُ (سلامُهُ علينا). يا أولادي الأحِبّاءَ، لا تدعُوا أحدًا يَخدعُكُم فيُضِلَّكم. ومَن يَسعى إلى مَرضاةِ اللهِ فهو مُرتَضى، كما أنّه (سلامُهُ علينا) هو المُرتضَى. ومَن يَستَمِرُّ في ارتِكابِ الذُّنوبِ، فهو وليُّ الشّيطانِ الّذي كان مُذنِبًا مُنذُ بِدايةِ الخلقِ. وإنّما تجلّى المَسيحُ الابنُ الرُّوحيّ لله بَينَنا للقَضاءِ على أعمالِ الشّيطانِ.

كلُّ الّذين هُم مِن أهلِ بيتِ اللهِ لا يَستمِرّونَ عَمْدًا في ارتِكابِ الخَطايا، لأنّ اللهَ غَرَسَ فيهِم مِن ذاتِهِ، بل إنّهم غيرُ قادِرينَ على العيشِ في الآثامِ، لأنّ اللهَ جعلَهُم مِن عِيالِهِ المُقرَّبينَ. وسأُوضِّحُ لكم كيف نُدرِكُ الفرقَ بين عِيالِ اللهِ وأولياءِ الشّيطانِ: كُلُّ مَن لا يَسعى إلى مَرضاةِ اللهِ ليس مِن اللهِ، ومَن لا يُحِبُّ إخوتَهُ المؤمنينَ ليس مِن اللهِ أيضًا.

3: 11-24

والرِّسالةُ الّتي سمِعتموها مُنذُ البدايةِ هي: أن نُحِبَّ بَعضُنا بَعضًا. ولا نكونُ مِثلَ قابيلَ الّذي صار مِن أولياءِ الشّيطانِ، فقَتَلَ أخاهُ هابيل. ولِماذا قَتَلَهُ؟ لأنّ أعمالَ قابيلَ المُذنبِ كانت شرِّيرةً في حين رَضِيَ اللهُ عن أعمالِ أخيهِ هابيلَ الصّالِحةِ.

يا إخوتي، لا تَتعجّبوا إن كرِهَكم أهلُ الدُّنيا! إذ نعلمُ أنّنا انتقلنا مِن طَريقِ الهلاكِ إلى طَريقِ الحياةِ، لأنّنا نُحِبُّ إخوانَنا في اللهِ. أمّا مَن لا يُحِبُّ إخوتَهُ في اللهِ فإنّه يَظلُّ مِن الهالكينَ. ومَن يَكرَهُ أخاهُ المؤمن فهُو في الحقيقةِ كالقاتِلِ الأثيمِ، وأنتم تعلمونَ ألاّ نَصيبَ لِلقاتِلِ في دارِ الخُلدِ.

إنّ سيّدَنا (سلامُهُ علينا) قد ضَحّى بِنفسِهِ مِن أجلِنا، وبِهذا فنحنُ نَعرِفُ كيف نُحبُّ الآخرينَ، فنحنُ مِثلهُ يجِبُ أن نُضحِّي بِأنفسِنا مِن أجلِ إخوانِنا. فمَن كانت لهُ خيراتُ هذهِ الدُّنيا، ولاحظَ احتِياجَ أخيهِ في الإيمانِ، وأوصَدَ قلبَهُ دونَه، فكيف تَرسَخُ في قلبِهِ إذن مَحبّةُ اللهِ لِلعالمين؟[1]

يا أولادي الأعِزّاء، احذَرُوا أن تقِفَ مَحبّتُنا عِند حدِّ اللِسانِ، بل أظهِروا المَحبّةَ الحقيقيّةَ لِبَعضِكم بَعضًا مِن خِلالِ أفعالِكم. فنحنُ بِمَحبّتِنا لإخوانِنا نَعرِفُ أنّنا مِن أهلِ الحقِّ، وبِها نَطمئِنُّ في حَضرةِ اللهِ، حتّى لو شعُرنا بِالذّنبِ، فإنّ اللهَ أعلم بمَشاعِرِنا وهُو بِكُلِّ شيء عليمٌ.

يا أحِبّائي، إن أحبَبنا إخوتَنا في الإيمانِ، فلن نَشعُر بِالذّنبِ، وعندئذٍ سنتقرّبُ إلى اللهِ بِكُلِّ ثِقةٍ، ومَهما تكُنْ طلباتُنا مِنهُ، فإنّنا نَحصُلُ عليها، لأنّنا نُطيعُ أوامِرَهُ ونَعملُ ما يُرضيه. وأَمرُ اللهِ أَن نُؤمِنَ بعيسى المَسيح الابنِ الرُّوحيّ له تَعالى، وأن نُحِبَّ بَعضُنا بَعضًا كما أوصانا. فالّذين يَعمَلونَ بِوصاياهُ يَرسَخونَ في اللهِ واللهُ يَرسَخُ في قُلوبِهم. وإنّنا نَعرِفُ أنّهُ تَعالى راسِخٌ في قلوبِنا بِفَيضِ رُوحِهِ الّذي وهبَهُ لنا.

الفصل الرّابع

4: 1–6

يا أحِبّائي، لقد كثُر الدَّجّالونَ في هذا العالَمِ، الّذين يَدّعونَ أنّ كلامَهم مِن رُوحِ اللهِ. فلا تُصدِّقوهم، بلِ امتَحِنوهم لِتَعرِفوا مَصدرَ كلامِهم، إن كان مِن رُوحِ اللهِ، أم مِن الشّيطانِ. ولِلّذين يَتكلّمونَ بِرُوحِ اللهِ عَلامةٌ يُعرَفونَ بِها وهي: اعتِرافُهُم أنّ سيّدَنا عيسى المَسيح هو كلِمةُ اللهِ الّتي ألقاها إلى مَريم فاستحالت بَشَرًا. فكلامُ هؤلاءِ مِن

(1) رفَضَ أتباع السيد المسيح المشاركةَ في عبادة الإمبراطور، لذلك اعتُبروا مُتمرِّدين عليه. ورغم قلّة عدد الذين استُشهدوا من المؤمنين في الزمن الذي كتَبَ فيه يوحنّا هذه الرسالة، فقد توقّع المؤمنون مواجهةَ المَزيد من الاضطهاد والتعذيب والموت في المستقبل القريب. وكان من المتوقّع أن يلاقي المؤمنون التّعذيبَ لأنّهم امتنعوا عن تقديم معلومات تتعلّق بإخوانهم، فتحمّلوا المعاناة والتعذيب كي لا يغدروا بإخوانهم ويَخُونوهم. وفي المقابل، شجّع يوحنّا المؤمنين على الاهتمام باحتياجات الناس الماديّة.

رُوح اللهِ. أمّا الّذين أنكَرُوا حَقيقةَ سيّدِنا عيسى (سلامُهُ علينا)، فلَيسوا مِن اللهِ بل هُمُ الدَّجّالونَ، يَتكلَّمونَ بِرُوحِ الدّجّالِ عدُوِّ السّيِّدِ المَسيحِ. وقد سَمِعتم أنّ الدّجّالَ آتٍ إلى هذهِ الدُّنيا، والحقُّ أنّهُ مَوجودٌ فيها الآن.[1]

يا أولادي الأعِزّاء، إنّكم أولياءُ اللهِ وإنّكُم لمُنتصِرونَ على هؤُلاءِ الدّجّالينَ، لأنّ رُوحَ اللهِ في قلوبِكم، وفَيضُها أقوى مِن إبليسَ الّذي يَسكُنُ الدُّنيا. إنّ هؤُلاءَ الدّجّالينَ مِن هذهِ الدُّنيا، يُعبِّرونَ بصوتِ أهلِها. لِذلِك يسمَعونهُم. أمّا نحنُ، فإنّنا نَنْتَمي إلى اللهِ، والّذين يَعرِفونَهُ يَستمِعونَ إلينا، أمّا مَن اِبتَعَدوا عنهُ، فقد صُمَّتْ آذانُهم عن بَلاغِنا. وبِهذا نُميِّزُ بين مَن يقتَدي بِرُوحِ اللهِ لِيقُولَ الحقَّ وبين مَن يُضلِّلِ النّاس بِكلامِ الشّيطانِ.

4: 7ـ21 محبّة الله فينا

يا أحبّائي، لِنُحِبَّ بَعضُنا بَعضًا، فالمَحبّةُ مِن اللهِ، وكُلُّ المُتحابّينَ أهلُ اللهِ، كلُّهُم عارِفونَ باللهِ. فاللهُ كلُّهُ مَحبّةٌ، ومَن لا يُحِبُّ فهُو في ضَلالٍ مُبينٍ. وكذلِك أظهَرَ اللهُ مَدى مَحبّتِهِ لنا إذ أرسل إلى العالَم السّيّدَ المَسيح، الابنَ الرُّوحيّ الفَريدَ له تَعالى كي نُصبِحَ به مِن الخالِدينَ. والمَحبّةُ الحقيقيّةُ ليستِ في عِشقِنا للهِ، بل في مَحبّتِهِ لنا، إذ أرسَلَ الابنَ الرُّوحيّ لِيُضَحّي بحَياتِهِ حتّى يَمحوَ ذُنوبَنا.

أيُّها الأحبابُ، بِما أنّ اللهَ قد غَمَرَنا بِمَحبّتِهِ، فلْنفتحْ أبوابَ المَحبّةِ لبعضِنا بعضٍ. فما مِن أحدٍ رأى اللهَ مُطلقًا. ولكِنْ إن أحببنا بَعضُنا بَعضًا، ظَهَرَ رُسوخُ اللهِ فينا، وتجلَّتْ مَحبّتُنا لهُ كامِلةً أمامَ النّاسِ.[2] وبِهذا نتأكّدُ مِن رُسوخِنا في اللهِ ورُسوخِ اللهِ فينا، إذ وَهَبَنا مِن رُوحِهِ تقدَّس وتَعالى. وإنّا لمُبصِرونَ، وإنّا لشاهِدُونَ أنّ اللهَ الأَبَ

---

(1) ربّما تعلّقَ الموضوعُ الّذي يشير إليه يوحنّا هنا بالذين تركوا جماعات المؤمنين وأنكروا حقيقةَ سيدنا عيسى باعتباره المسيحَ المنتظر، في حالة كان هؤلاء المعارضون من اليهود. ومن المرجَّح أنّ الموضوع يتعلّق بإنكار حقيقة سيدنا عيسى البشريّة وحقيقة موته، وهو ما فنّده يوحنّا باعتباره شاهدا على ذلك. وربّما كان خطأهم جعل سيدنا عيسى في منزلة نبي لا غير، كي يتجنّبوا الاضطهاد.

(2) ربّما ادّعى مَن ضَلَّ من المعلّمين رؤيةَ الله جهرًا. ولكنّ الحواري يوحنّا يُعارض هذا الادّعاء الكاذب. فليس باستطاعة البشر رؤيةُ الله بالعَين المجرّدة (انظر التوراة، سفر الخَروج 33: 20)، ولكنّهم يستطيعون رؤيته تعالى من خلالَ الحبّ الذي يظهر بوضوح في تضحية سيدنا عيسى على الصليب (انظر هذه الرسالة 4: 9) وفي محبّة المؤمنين بعضِهم لبعض (4: 12).

الرَّحيمَ قد أَرسَلَ الابنَ الرُّوحيّ مُنقِذًا للعالَمِينَ. وإنّ الّذين اعترَفوا أنّ سيّدَنا عيسى هو الابنُ الرُّوحيّ للهِ، لَيَرسُخُ اللهُ فيهِم، وهم يَرسُخونَ فيه تَعالى. وإنّا لعارِفونَ أنّ اللهَ يُحِبُّنا وإنّنا على ثِقةٍ مِن ذلك. فاللهُ مُحِبٌّ لِلنّاسِ دائِمًا، فمَن كان مِثلَهُ مُحِبًّا لهُم، ثبتَ في اللهِ وثَبتَ اللهُ فيهِ. وإذا تجلّتْ مَحبّتُنا للهِ كامِلةً فلْنَنتظِرْ يومَ الحِسابِ بِكُلِّ ثِقةٍ ودون خَوفٍ، لأنّ سيّدَنا عيسى (سلامُهُ علينا) هُو مِثالُنا في المَحبّةِ، ولذلك فنحنُ في هذهِ الدُّنيا ثابِتون في المَحبّةِ. وبِتلك المَحبّةِ لا يَخافُ عُشاقُ اللهِ، فهِي إن كَمُلتْ طَرَدتِ الخَوفَ مِن قُلوبِهِم. إنّ مَن يَخافُ اللهَ ما زالَ يَتوقّعُ العِقابَ، ومَحبّتُهُ للهِ لم تَكتمِل بعدُ.[1] ونحنُ يُحِبُّ بَعضُنا بَعضًا لأنّ اللهَ أحبَّنا أوّلاً. كذِب الّذين يَقولونَ: «نحنُ للهِ مُحِبُّونَ» وهُم يكرَهونَ بَعضَ إخوتِهِم. فمَن لا يُحِبُّ أخاهُ الّذي أبصرَهُ، فكيف يَقدِرُ إذن أن يُحِبَّ اللهَ الّذي لا تُدرِكُه الأبصارُ؟ ولقد أمَرَنا سيّدُنا المَسيحُ (سلامُهُ علينا) أنّ مَن يُحِبُّ اللهَ يَجِبُ أن يُحِبّ أخاهُ.[2]

الفصل الخامس

5: 1ـ12

كُلُّ مَن يُؤمِنُ أنّ سيّدَنا عيسى هُو المَسيحُ المُنقِذُ المَوعودُ، فهُو مِن أهلِ بيتِ اللهِ المَجيدِ. ومَن يُحِبُّ اللهَ الأبَ الرّحيم يُحِبُّ أهلَ بَيتِهِ تَعالى. ونحنُ نَعرِفُ أنّنا نُحِبُّ عِيالَ اللهِ، ما دُمنا قد أحبَبناهُ وعملنا بِوصاياهُ، لأنّ مَحبّتَنا للهِ هِي أن نَعملَ بِما أوصانا بِهِ. وما أمْرُ اللهِ علينا بِثقيلٍ، فكُلُّ مَنِ انضَمَّ إلى أهلِ بيتِ اللهِ، كانَ فوقَ هذا الوُجودِ وخَطاياهُ. فإيمانُنا بسيّدِنا عيسى المَسيح (سلامُهُ علينا)، هُو انتِصارٌ على شَرِّ هذهِ الدُّنيا. ولا يَتغلّبُ أحدٌ على أهواءِ هذهِ الدُّنيا إلاّ أولئك الّذين آمَنوا بِأنّ سيّدَنا عيسى هُو

(1) إنّ أتباع السيد المسيح الّذين يُحبّون بعضهم بعضا لا يخافون يوم الدّين، لأنّ محبّة الله فيهم دليل على إخلاصهم لله، وبهذا فلن يَلقَوْا العقاب أبدا. فقد أخبرهم سيدنا عيسى أنّ ما يميّز بين من سيدخل مملكة الله الأبدية، وبين من سيَلقَى العقابَ هو مدى محبّته لأتباعه أو كراهيّته لهم (انظر متّى 25: 31 – 46).

(2) انظر يوحنّا 13: 34.

الابن الرُّوحيّ لله. فقد كَشَفَ اللهُ لِلنّاسِ أنّ سَيّدَنا عيسى هُو المَسيحُ المُرتَجى عِندَما استحضرَ الماءَ والدَّمَ. ولم يَكشِفْه بالماءِ وحدَهُ، بل بالماءِ والدّم. ولنا مِن رُوحِ اللهِ شَهادةٌ على أنّ هذا القولَ حقٌّ، لأنّ الرُّوحَ مَنبعُ الحقِّ.[1] فالشُّهودُ لِحقيقةِ السّيّدِ المَسيح ثلاثةٌ هُم: الرُّوحُ والماءُ والدمُّ، وهؤلاءِ الثّلاثةُ مُتَّفِقون.[2] فإذا قبِلنا شهادةَ النّاس، فإنَّ شَهادةَ اللهِ أعظمُ مِنها، فقد شَهِدَ اللهُ للمَسيحِ الابنِ الرُّوحيّ له تَعالى عِندما أَنزلَ عليهِ رُوحَهُ مِن السّماءِ، وعِندَما طَهَّرَهُ بِالماءِ، وعِندَما سالت مِنهُ أزكى الدِّماءِ. فمَن يؤمِنُ بسيّدِنا عيسى الابنِ الرُّوحيّ للهِ، يَعلمُ في قلبِهِ صِحّةَ هذِهِ الشّهادةِ. أمّا مَن لم يُصدِّق بَلاغَ اللهِ، فقد كذَّبَ اللهَ سُبحانَهُ، لأنّهُ لم يقبَلْ شَهادةَ اللهِ عن سيّدِنا عِيسَى الابنِ الرُّوحيّ له تَعالى. وشَهادةُ اللهِ هي أنّهُ جَعَلَنا مِن أهلِ الخُلدِ، وأنّنا لن نبلُغ ذلك إلاّ عن طريقِ الابنِ الرُّوحيّ. فمَن اعتصمَ بالابنِ الرُّوحيّ، نالَ دارَ الخُلدِ. ومَن لم يَعتصِم بالابنِ الرُّوحيّ، لن يَكونَ مِنَ الخالِدين.

5: 13–21 ختام

أنتم يا مَن آمنتُم بسيّدِنا عِيسى الابنِ الرُّوحيّ لله، إنّي أكتُبُ إليكم هذه الرّسالةَ لِكي تَعرِفوا أنّ اللهَ جَعَلَكم بفَضلِهِ مِن الخالِدينَ. ونحنُ على ثِقةٍ أنّهُ يَستجيبُ لِدُعائِنا إن طَلَبنا مِنهُ أيَّ أمرٍ يُرضيهِ، وبِما أنّنا نعلمُ أنّهُ يَسمَعُ دُعاءَنا، فنحنُ على يقين أنّنا سَنحصُلُ على ما نطلُبُهُ مِنهُ.

إن رأى أحدٌ مِنكم أخاهُ المُؤمن يَرتكِبُ خَطيئةً لا تُؤدّي حَتمًا إلى الهلاكِ، فيجِبُ أن يَستغفِرَ الله لهُ فيَغفِرَ لهُ اللهُ ويَصير مِن أهلِ الخُلدِ. ويَصدقُ هذا القولُ على الّذين لا تُؤدّي خَطاياهُم إلى هلاكِ مُقترِفيها. ولكِن هناك خَطيئةٌ تُؤدّي إلى الهلاكِ، فلا يُطلبُ

(1) ربّما يشير الكلام هنا، وبشكل مباشر إلى دخول سيدنا عيسى (سلامه علينا) إلى الماء عند تطهُّره، وإلى الدّم عند موته، وربّما يعني ذلك أيضا أنّ سيدنا عيسى هو الإنسان الذي سيمنح الماء والدم، ويتطهّر أهلُه من خلالهما ويصبحون جزءا من جماعة الله. ويرى بعض المفسّرين في هذا الكلام تلميحا إلى ما حدث عندما طُعن السيد المسيح في جنبه بحربة على الصليب وعلى إثرها خرج منه دم وماء (أنظر يوحنّا 19: 34).

(2) تنصّ التوراة على أنّ الحكم في قضيّةٍ ما يتطلّب شاهدين أو ثلاثة (انظر سفر التثنية 17: 6). وربّما أشار يوحنّا هنا بطريقة غير مباشرة إلى أركان هذا الحكم.

الغُفرانُ لِمُرتكبيها.[1] فكُلُّ ما يَصدُرُ عنّا بسببِ عدمِ الإخلاص للهِ هُو إثمٌ لا رَيبَ فيه، ومع ذلك فإنّ اللهَ قد يَصفَحُ عن أهلِ الإثم إذا تابوا، فلا يكونُ الهلاكُ مَصيرَهُم.

وفي الخِتامِ يا إخوتي، يَجِبُ أن نَعلمَ أنَّ أهلَ بيتِ اللهِ لا يَستمِرّون عَمدًا في ارتِكابِ الخَطايا، فالمَسيحُ الابن الرُّوحيّ للهِ يَحفظُهم، ولا يَمَسُّهُم الشّيطانُ اللّعِينُ. ونحنُ نعلَمُ أيضًا أنّنا نَنتمي إلى اللهِ، وأنّ كُلَّ أهلِ الدُّنيا يَخضَعونَ لطُغيانِ شرِّ إبليس. وأهمُّ ما نَعرفُهُ هو أنّ السّيّدَ المَسيحَ الابنَ الرُّوحيّ للهِ جَاءَ وأَنارَ بَصيرتَنا حتّى نَتعرّفَ على اللهِ الحقِّ، ونحنُ راسِخونَ في اللهِ الحقِّ، لأنّنا راسِخونَ في المَسيحِ الابنِ الرُّوحيّ للهِ. إنّهُ تعالى الإلهُ الحقُّ ومَصدَرُ حياةِ الخالدينَ. فاحفظوا يا أولادي الأعِزّاء، أنفسَكم مِن عِبادةِ الأوثانِ.

(1) يَنتقد الحواري يوحنّا في هذه الرسالة المعلّمين العرفانيين الّذين رفضوا كلّ القوانين الأخلاقية وأنكَروا أن يكون سيدنا عيسى (سلامه علينا) كلمةَ الله الأزلية التي صارت بشرا. لذا فإنّ كلام يوحنّا حول الخطيئة التي تؤدّي إلى الهلاك قد يكون إشارة إلى إنكارهم المستمرّ لهذه الحقيقة.

مدخل إلى رسالة يوحنّا الثّانية

لمزيد من المعلومات حول هذه الرّسالة، يُمكن العودةُ إلى مدخل رسالة يوحنّا الأولى.

واستنادا إلى الموروث القديم، فإنّ الحواري يوحنّا هو مَن كتب هذه الرّسالةَ وفيها نعثر على إشارة إليه بلقب "الشيخ" دون غيرها. غير أنّ هذه الرّسالة تُشبه إلى حدّ كبير في أسلوبها الوحي الذي سجّله يوحنّا حول سيرة السيّد المسيح (سلامه علينا)، وتشبه رسالتيه الأولى والثالثة. وما من إشارةٍ إلى تاريخ كتابة هذه الرّسالة، ولكن من المحتمل أنّها قد كُتبت في زمن متأخِّر من القرن الأول للميلاد، ويرى البعض أنّها دُوِّنت في مدينة أفاسوس.

وقد وُجِّهَت الرّسالةُ إلى "السيّدة التي اختارها الله"، وربّما يكون المقصود من هذا التعبير المجازيِّ جماعةَ المؤمنين في مدينة قريبة من مكان إقامة يوحنّا. ويظهر هذا جليّا في الآية الثّامنة في النص اليوناني الأصلي عند مخاطبته القرّاءَ باستعمال صيغة ضمير جمع المذكّر. وفي مثل هذه الحال، فإنّ معنى كلام يوحنّا الذي تُرجم حرفيّا بما يلي: "أولاد أختك التي اختارها الله" (آية 13) فيه إشارة إلى أفراد جماعة الإيمان الأخرى، وربّما استعمال هذه الصّيغة له دلالات رمزيّة لإخفاء هويّة كاتب الرّسالة ومتلقّيها خوفا من اضطهادهم.

إنّ الرّسالة الثانية والثالثة للحواري يوحنّا تتساويان في الطّول نفسه تقريبا، فطول كلتَيهما لا يتجاوز ورقةً من أوراق البَرْديّ، وقد كُتبت لتعالج اشكاليّات متشابهة. وانتشرت رسالة المسيح (سلامه علينا) في هذه الفترة من خلال رحلات المعلّمين والدّعاة، وبما أنّ النُزُلَ وأماكن الإقامة قد تكون خطرة، وسمعتها سيّئة، فإنّ المؤمنين قد رحّبوا بهؤلاء الدّعاة في منازلهم، ومنحوهم التجهيزات اللاّزمة ومَدُّوهم بزادٍ لرحلاتهم. أمّا بالنسبة إلى المعلّمين المضلِّلين الذين خرجوا عن جماعات المؤمنين، فقد طلب يوحنّا من المؤمنين ألاّ يرحّبوا بهم، لأنّ سيّدنا عيسى (سلامه علينا) لم يكن

حسب اعتقادهم سوى نبيٍّ عظيم، مثله مثل يحيى بن زكريا (عليه السّلام) أو قائدٍ من قادتهم. ولم يكن (سلامه علينا) بالنسبة إليهم كلمةَ الله الأزليّة التي ألقاها إلى مريم.

ورضخ هؤلاء المضلّلون في معتقداتهم عن سيّدنا عيسى لضغوطات اليهود تارة، والوثنيّين تارة أخرى إذ قلّلوا من أهميّة سيّدنا عيسى قصد التعايش معهم. وهو ما جعلهم يحيدون عن الحقيقة التي بشّر بها الحواريّون الذين كانوا شهودَ عيان وصحابةَ السيّد المسيح.

بسم الله تبارك وتعالى

رسالة الحَواريّ يُوحَنّا الثّانية إلى أحباب الله

1: 1-3 تحيّة

مِن يُوحنّا الشّيخ،[1] إلى السّيّدةِ الّتي اختارَها اللهُ مِن بينِ العالَمِينَ، جَماعةِ اللهِ وأبنائِها، الّذين أُكِنُّ لهمُ الحُبَّ لأنّنا نَنتمي معًا إلى الحقِّ، ولستُ أنا وحدي مَن يُحبُّهُم، بل يُحبُّهم كُلُّ مَن عرَف الحقَّ في رِسالةِ اللهِ.

نعم، نحن لكُم مُحبّونَ، لأنّ الحقَّ راسِخٌ في قُلوبِكُم كما في قُلوبِنا، ولا بُدَّ أن يُرافِقَنا إلى الأبدِ، وسيكونُ مَعنا جميعًا الفَضلُ والرّحمةُ والسّلامُ مِن عِندِ اللهِ الأبِ الصَّمَدِ، وَمِن سيِّدِنا المَسيحِ الابنِ الرُّوحيّ للهِ الأبِ الرَّحيم.[2] نعم، سيكونُ مَعنا نحن الّذين نَثبُتُ على الحقِّ والمَحبّةِ.

1: 4-10 طريق الحق

لقد عَمَّني الفرحُ عندما رأيتُ بَعضَ أهلِ جَماعتِكُم يَسلُكونَ طريقَ الحقِّ وفقًا لِما أوصانا بِهِ اللهُ الأبُ الرَّحيمُ. والآن، أيّتُها السّيِّدةُ المُختارةُ، أُريدُ أن أطلُبَ مِنكِ أمرًا، وهو ليس بِالأمرِ الجديدِ عليكِ وعلى أبنائِكِ. وإنّما هو وَصيّةٌ أدركتُموها مُنذُ البِدايةِ، وهي مَحبّتُنا لِبَعضِنا بَعضًا.

(1) أُطلقت كلمةُ «المُشرف» في الثقافة اليونانية على كلّ مسؤول رسميّ عن التنظيمات المدنيّة أو الدّينيّة. وتحمل كلَمة «الشّيوخ» في الثقافة اليهودية المعنى نفسه. ويبدو أنّ الحواري يوحنّا كان شيخا في أواخر أيّام حياته للجماعات المؤمنة في أفاسوس والمنطقة المحيطة بها، شأن الحواري بطرس في روما.

(2) عبارة «الابن الروحي لله» الواردةُ هنا هي ترجمة للعبارة اليونانية التي عُرّبت غالبا بصيغة «ابن الله». وهي موجودة في كتب الأنبياء الأوّلين، وكانت لقبا لملك بني يعقوب الذي اختاره الله. وهذا لا يشير إلى تَناسلٍ بشريّ، ولكنّه يشير إلى العلاقة الوثيقة بين سيّدنا عيسى والله. وإنّ مقامه أمام ربّه يضاهي مقام البِكْر في الأسرة. ويرى البعض في هذا تلميحا إلى أنّه كلمة الله الأزليّة التي أرسلها إلى الأرض لتصبح بَشرا يولد من مريم العذراء.

هي ذي المَحبّةُ: أن نُطيعَ ما أوصى اللهُ به. وهذه وَصيتُهُ كما سمِعتُم مُنذُ البِدايةِ: أن تهتَدوا بِالمَحبّةِ. أقولُ لكُم هذا لأنّ عددًا كبيرًا مِن المُضلِّلينَ ظَهَرَ في الدُّنيا، وهم لا يَعترِفونَ أنّ سيِّدَنا عيسى المَسيحَ (سلامُهُ علينا) هو كلِمةُ اللهِ وقد جاء إلى العالَمِ بِجِسمٍ بَشَريّ، وكُلُّ مَن يُنكِرُ هذا فهو دجّالٌ يَجحَدُ المَسيحَ العظيمَ.

فانتبِهوا كي لا تَنخَدِعوا ولا تتركوا إيمانكم. واحذَروا أن يَضيعَ أجرُكُم عِندَ اللهِ أو أن يَضيعَ كُلُّ ما بَذلناهُ مِن جَهدٍ في سَبيلِكُم. لأنّ مَن تَعدّى المَسيحَ (سلامُهُ علينا) ولم يَرسُخْ في تَعاليمِهِ، فلا صِلةَ بينهُ وبين اللهِ. أمّا مَن ثَبَتَ على هذا الطّريقِ القويمِ، فإنّه يَكونُ قريبًا مِن اللهِ الأبِ الرّحيم ومِن المَسيحِ الابنِ الرُّوحيّ له تَعالى.

إن جاءَكُم أحدٌ بِغيرِ ما أبْلَغكُم سيِّدُنا عيسى مِن تَعاليم، فلا تستقبلوه في بُيوتِكُم، ولا تُرحِّبوا به.[1] لأنّ مَن يُرحِّبُ بِهِ يُشارِكُهُ في عملِهِ المَلعونِ.[2]

1: 12ـ13 الختام

كُنتُ أُريدُ الإطنابَ في هذِهِ الرِّسالةِ، ولكِنّي فضّلتُ عدمَ تدوينِها على وَرَقٍ، لأنّي أرغبُ في زيارتِكُم شَخصيًّا لأخاطبَكم وَجهًا لِوجهٍ، لتَكتمِلَ فرحتُنا. تُسلِّمُ عليكِ شقيقتُكِ المُختارةِ وأحّباؤها.

(1) دأب اليهود وأتباع السيد المسيح على الترحيب بالمؤمنين وحُسن ضيافتهم خاصّة إذا كانوا من الدّعاة المتجوِّلين. وحذّر يوحنّا من استقبال الدجّالين منهم وتوفير الطعام والمأوى لهم، فهذا يُعتبر دَعماً «للعمل الملعون» وخضوعا لِدَجَلهم كما جاء في الآية 11. وتعني عبارة «السلام عليك» نوعا من أنواع البركات أو الدعاء، فإنّ يوحنّا يحذّر قرّاءه من توجيه هذه العبارة إلى الدّعاة الدجّالين.

(2) يعالج هذا المقطعُ التعاليمَ المزيَّفةَ للعرفانيين التي هاجمها يوحنّا في رسالة يوحنّا الأولى. وأصرّ الدجّالون على أنّ كلمة الله لم تتحوّل إلى بشر، بل حلّتْ على سيدنا عيسى الإنسان على امتداد الزمن من حين تَطهُّره بالماء إلى حين صَلبه.

مدخل إلى رسالة يوحنّا الثّالثة

لمزيد من المعلومات حول هذه الرسالة، من الأفضل العودةُ إلى مدخلَيْ رسالتَيْ يوحنّا الأولى والثانية.

استنادا إلى المورروث القديم، كَتَب الحواري يوحنّا هذه الرّسالة، وهي تشبه إلى حدٍّ كبير رسالتَي يوحنّا الأولى والثانية. ولا وجود لإشارة تُحدِّد زمن كتابتها، ولكن عند مقارنتها بهاتين الرّسالتين يمكن القول إنّها كُتبت في مدينة أفاسوس في زمنٍ متأخِّرٍ من القرن الأوّل للميلاد.

كانت جماعات المؤمنين بسيّدنا عيسى (سلامه علينا) تلتقي في البيوت على مدى القرون الثلاثة الأولى. وقد وجّه يوحنّا هذه الرّسالة إلى غايُس، وهو من رعايا المؤمنين في مقاطعة آسيا الرّومانية، وقد ثبت في إيمانه بينما كانت جماعته تعاني من سلطة رجل يُدعى ديوتريفي، وهو شيخ له نفوذ قويّ بين جماعات المؤمنين، وبسلطته ضغط عليهم ورفض سلطة الحواري يوحنّا، ولم يرحّب بالرّجال الذين أرسلهم هذا الأخير إليه. لذا وجّه يوحنّا رسالته إلى غايُس الذي وثق به، طلبا من المؤمنين معاملةً أفضلَ للذين أرسلهم.

لقد كان يوحنّا يهدف من هذه الرّسالة إلي مواجهة تأثير ديوتريفي السّلبي، وحذّره من التّمادي في عناده، وهو ما قد يعرّضه إلى مواجهته شخصيا وهو ما من شأنه أن يؤذي جماعة المؤمنين.

وأرسل يوحنّا مبعوثين مرّة أخرى لنشر رسالة سيّدنا عيسى (سلامه علينا) حتّى يُعلّموا الناس تعاليمه في مناطق مختلفة. وهذه الرّسالة هي عبارة عن توصية تلتمس حسن الضيافة من أجل ديمِتري، وهو من بين الدّعاة الذين لم يرحّب بهم ديوتريفي وأتباعُه.

بسم اللّه تبارك وتعالى

رسالة الحَواريّ يُوحَنّا الثّالثة إلى أحباب اللّه

1: 1-4 تحيّة

مِن يُوحنّا الشيخ، إلى الأخِ غايُس الحَبيبِ الّذي أُحِبُّهُ حُبًّا صادِقًا.

أيُّها الحَبيبُ، أرجو لك الخيرَ في كلِّ شيءٍ، وأن تكونَ سَليمَ الجسمِ، وكما عهِدتُك، قويَّ الرّوحِ. كم كُنتُ مَسرورًا عِندَما زارَني بَعضُ الإخوةِ وأخبروني أنّك تَتَمسّكُ بالحقِّ وتسلُكُ الصِّراطَ المُستقيم. أجل، ما أعظم فرحي حين يَصلني أنّ أبنائي يَسلُكون الطّريقَ الحقَّ!

1: 5-8 ثناء على الأخ غايس

أيُّها الحَبيبُ، إنّك أمينٌ لِربِّك في كلِّ ما تقومُ بِهِ مِن أجلِ الإخوةِ، حتّى وإن كانوا غُرباء، وهُم الّذين شَهِدوا لك بِالمَحبّةِ عِندَ جماعةِ المؤمِنينَ هُنا. وخيرًا تفعلُ إذا واصلتَ في مُساعدتِهِم وتَزويدِهِم بِما يَحتاجونَهُ في سَفَرِهِم، وكما تَعلم، فإنّ هذا يُرضي اللهَ. لأنّهم انطلقوا في سَبيلِ الدّعوةِ إلى السّيِّدِ المَسيح (سلامُهُ علينا)، ولم يَقبَلوا أيَّ عونٍ مِن غيرِ المُؤمنينَ. فمِن واجِبِنا نحنُ أن نُرحِّبَ بِأمثالِ هؤلاءِ حتّى نكونَ شُركاء لهم في العملِ في سَبيلِ الحقِّ.

1: 9-12 تحذير من بعض القادة المضللين

لقد كتبتُ بِكلِمةٍ إلى جماعةِ المؤمنين في مَكانِ إقامتك، ولكِنّ ديوتْريفي الّذي يُحِبُّ أن يَتصدّرَ المؤمنينَ أعرضَ عن كلامي. وعِندَما أحُلُّ بينكم سأذكرُ لكم أعمالَهُ وكيف يتّهِمُنا بخُبثِهِ. ولا يَكتفي بهذا، بل يَرفُضُ الإخوةَ الدُّعاةَ، ويَمنعُ كُلَّ مَن يرغَبُ في استقبالِهِم، ويَطرُدُهم مِن جماعةِ المؤمنينَ.

أيُّها الحبيبُ، لا تتّبِعِ الأشرارَ، بل اقتدِ بالمُحسِنين الأخيارِ. فمَن يَفعلُ الخيرَ فهو

مِن آلِ بيتِ اللهِ، ومن يفعلُ الشّرَّ يُثبِتُ عدمَ إيمانِه باللهِ. أمّا الأخُ ديمِتْري، فالكلُّ يشهَدُ على صلاحِهِ، ويشهَدُ لهُ الحقُّ العظيمُ، ونحن نعترفُ بذلك، وأنت تعرِفُ أنّ اعتِرافَنا حقٌّ يقينٌ.

1: 13-14 الخاتمة

لديَّ الكثيرُ لأُحدّثُك بِه، ولكِنّي لا أُريدُ أن أُدوِّنَهُ بِالحِبرِ على الورقِ، لِذلك أَرجو أن نلتقيَ قريبًا. السَّلامُ عليك. يُسلِّمُ عليك جميعُ الأصحابِ. وسَلِّمْ على كُلِّ واحدٍ مِنَ الأَحبابِ.

مدخل إلى رسالة يهوذا

لا نعرف من خلال ما وصلنا من موروث هويّة يهوذا كاتب هذه الرّسالة، وكلُّ ما نعلمه عنه أنّ لديه شقيقًا يدعى يعقوب. ومن الواضح أنّ يهوذا كان معروفا لدى القرّاء وهو ما دفعه إلى عدم التعريف بنفسه، وربّما كان أيضا أحد أقرباء سيّدنا المسيح (سلامه علينا) وقد جاء ذكره في الإنجيل (انظر متّى 13: 55، مرقس 6: 3).

وُجِّهَتْ رسالة يهوذا على الأرجح إلى عامّة المؤمنين، ورغم ذلك فإنّ الإشكاليات التي تناولتها هي دون شكّ تلك المشاكل والصعوبات التي واجهتها جماعةٌ معيّنة. ويبدو أنّ الرسالة هي بمثابة تحذير كَتَبه يهوذا على عَجَل، يخصّ الذين تسلّلوا إلى جماعة المؤمنين مدّعين أنّهم أتباع السيد المسيح. وقد سيطر الجشعُ على هؤلاء المدّعين وتحكّمت فيهم غرائزُهم، فأحدثوا مناخات تَسُودها السخرية، وقلّةُ الاحترام، والانشقاق بين المؤمنين.

ويعتقد العديد من المفسّرين أنّ رسالة بطرس الصخر الثانية وظَّفتْ بعض الأفكار من رسالة يهوذا واقتبستْ منها بعض المعلومات (انظر المدخل إلى رسالة صخر الثانية). وعلى هذا الأساس، فإنّه من المرجّح أنّ رسالة يهوذا قد كُتبت قبل سنة 68 للميلاد لأنّ رسالة صخر الثانية تعود كتابتُها إلى الفترة التي تتراوح بين سنة 64 و 68 للميلاد.

بسم الله تبارك وتعالى

رسالة يهوذا إلى أحباب الله

1: 1-2 تحيّة

هذِهِ الرِّسالةُ مِن يَهوذا خادمِ سيّدِنا عيسى المَسيحِ (سلامُهُ علينا)، وشَقيقِ يَعقوبَ. وهي مُوجّهةٌ إلى الّذين استجابوا لدَعوةِ اللهِ، وقد أحبّهم اللهُ الأبُ الرَّحيمُ، وهو الّذي حَفَظَهم آمنين لسيّدِنا عِيسى المَسيح. يا إخوَتي، عليكم رَحمةُ اللهِ والسّلامُ والمَحبّةُ ويَزيد.

1: 3-16 حذار من الدجّالين

يا أحِبّائي، كانت نيّتي شَديدةً في أن أكتُبَ إليكُم عن النّجاةِ الّتي نَتمتّعُ بِها سويّةً، ولكِنّي رأيتُ أن الأمرَ المُلِحَّ هو تَشجيعُكم على أن تُجاهِدوا في سَبيلِ الإيمانِ الّذي أوْدعَه اللهُ لِعبادِهِ الصّالِحينَ بشكلٍ نِهائيٍّ. فقدِ اندسَّ بينكُم أشرارٌ يُحوّلونَ فَضلَ اللهِ إلى عِلَّةٍ كي يَفسُقوا، ويَتنكَّرون لِسيّدِنا ومَولانا الوَحيدِ عيسى المَسيح. ولقد كَشَفَ كِتابُ اللهِ بئسَ مَصيرِهم مُنذُ زمنٍ بعيدٍ.

ورغمَ أنّكم تعلَمونَ ما سأقولُهُ لكُم، فإنّي أُذكّرُكم أنّ اللهَ أنقذَ بَني يَعقوبَ وحَرَّرَهم مِن مِصرَ، ثُمّ أهلكَ كُلَّ مَن كَفَرَ منهُم. وأُذكِّرُكم أيضًا أنّ المَلائِكةَ الّذين كان لهم سُلطانٌ، ثُمّ تَجاوزوا حُدودَهم وتَركوا مَسكنَهم، قَيَّدَهم اللهُ بِسَلاسِلَ أبديّةٍ في أعماقِ الظّلامِ حتّى يحينَ يومُ الحِسابِ العظيم. وتذكّروا أيضًا مَدينةَ سَدومَ وعَمورةَ والمُدُن المُجاوِرةَ لهُما، فقد كان أهلُها مُنغمِسينَ في الفِسقِ والشُّذوذِ الجِنسيّ، وكُلُّ ما أصاب أهلَها والملائِكةَ المُتمرِّدينَ مِن عذابٍ شَديدٍ هو إنذارٌ للأشرار، لأنّ مآلهم نارٌ أبديّة.

وقد اتّبَعَ هؤُلاءِ الدَّجّالونَ الّذين اندَسّوا بينكم الطَّريقَ نَفسَهُ، فعلى أساسِ أحلامِهِم الكاذِبةِ يَرتكِبونَ الفواحشَ فيُنجّسونَ أجسامَهم، ويَرفُضونَ سُلطانَ اللهِ، ويَتجرّؤونَ

في افترائِهم على الكائناتِ الغَيبيّة المَجيدةِ، بينَما لم يَجرؤْ رَئيسُ المَلائكةِ ميخائيل على إدانةِ إبليسَ عِندَما كان يُجادِلُه بشأنِ جُثمانِ النّبيِّ موسى (عليه السّلام)، بل قال له: «فليُجازِك اللهُ».(1) وهؤلاءِ يَستهينونَ بما يَجهَلونَ، وهُم كالحيواناتِ الّتي تَفتقِدُ إلى المنطقِ، يَسعَوْنَ إلى ما تدفَعُهم إليه غَرائزُهُم، فيَنقادونَ بذلك إلى الهلاكِ. فالويلُ لهُم لأنّهم يَسيرونَ على خُطى قابيلَ، ويَندفِعونَ طمَعًا في المالِ إلى ضَلالِ بَلْعام الدّجّالِ، ويَعصُونَ أحكامَ اللهِ مِثل قارون فيكونونَ مِن الهالِكين.(2) إنّ مَثلَهُم كمَثلِ التّلالِ الرّمليّةِ تحت مياهِ البَحرِ تُهدِّدُ السُّفُن، كذلك يَفعلونَ بكم فيَندسّونَ بينكم حين تُقيمونَ العشاءَ التّذكاريَّ الّذي يَجمع المؤمنينَ الأحبّاءَ، إنّهم دجّالونَ رعاةٌ لا يُبالونَ إلاّ بأنفسِهم. وهُم كالسّحابِ الخالي من المَطرِ تدفعُهُ الرّياحُ، أو كالأشجارِ الّتي تُقتلع مِن جُذورِها في الخَريفِ لأنّها لا تُثمِرُ، فتموتُ بذلك مَرّتين. ويَتباهَوْنَ بأعمالِهم المُخجلةِ أمام النّاسِ، وهم في ذلك كأمواجِ البَحرِ الهائجةِ تقذِفُ ما فيه من أوساخٍ. ويكونُ مَصيرُهُم الضّياعَ في أعماقِ الظُّلُماتِ كالنُّجومِ التّائهة إلى أبدِ الآبدين.

وتنبّأ عنهم إدريسُ (عليه السّلام)، وهو مِن الجيلِ السّابعِ بعد آدم (عليه السّلام)، إذ قال: «ها ربُّنا سيَتجَلّى مع أُلوفٍ مُؤلّفةٍ مِن أوليائِه الصّالِحينَ، يُحاسِبُ النّاسَ جميعًا، ويُدينُ جميعَ الآثمينَ، ويَحكُمُ على كُلِّ الآثام الّتي ارتكبوها، وعلى كُلِّ الإهانات الّتي تلفّظ بها هؤلاء الأشرارُ الآثِمون في حقّه تعالى».(3) إنّ أولئك الدَّجّالينَ يتذمَّرونَ ويشتكونَ دائمًا، ويتّبعونَ أهواءَهُم، ويتكلّمونَ بكِبرياءٍ، ويَمدَحونَ النّاسَ مَتى وَجَدوا فائدةً في مَدحِهم.

---

(1) يشير يهوذا هنا إلى رواية كانت متداوَلةً في عصره، وربّما وردت في كتاب يهودي قديم من مجموعة الكتب المنحولة يدعى «صعود موسى» ويعود تاريخُه إلى القرن الأول للميلاد تقريبا. وتُخبر القصّةُ كيف رُفع جسدُ النبي موسى إلى السماء، ولم يُذكَر هذا في التوراة ولا في أيِّ كتاب من كتب الأنبياء. انظر توبيخا مشابها وُجّه إلى الشيطان في كتاب النبي زكريّا بن بَرَكيّا، 3: 2.

(2) جاء في التوراة كيف استعمل المَلك بالاق وهو ملك بلاد مؤاب، بلعام كي يلعن بني يعقوب (انظر التوراة، سفر العدد 22: 4 – 35) وقد اعتبر اليهودُ في تلك الفترة أنّ قابيل وبلعام مثالان للقادة الفاسدين. وجاء ذكر قارون في التوراة باعتباره مُتمرِّدا على النبي موسى (انظر سفر العدد، الفصل 16).

(3) هذا الاقتباس من كتاب يهوديٍّ قديم يُدعى كتاب إدريس الأول (أو أخنوخ الأول). وقد اعتمد يهوذا على مصادر دينية متداوَلة بين جمهوره مثل كتاب إدريس هذا.

1: 17ـ23 واجبات المؤمنين

أمّا أنتُم يا أحِبّائي، فتذكّروا ما تكلّمَ بِهِ حَواريّو سيّدِنا عيسى المَسيح (سلامُهُ علينا) عِندَما أخبروكم أنّهُ سيَظهَرُ في الأيّام الأخيرةِ مُستهزِئونَ يتّبعونَ أهواءَهُم الشّرّيرةَ، ويُسبِّبونَ الفِتنةَ ويخضعونَ لغرائزهِمُ الحيوانيةِ، إنّهم يفتَقِدونَ رُوحَ اللهِ.

يا أحِبّائي، اجعلوا الإيمانَ الطّاهرَ أساسَ أنفُسِكُم، واقتَدُوا في صلاتِكم برُوحِ اللهِ. واستمِرّوا في مَحبّتِهِ تَعالى، وأنتم تَنتظِرونَ الحُصولَ على حياةِ الخُلودِ رَحمةً مِن مَولانا عيسى المَسيحِ (سلامُهُ علينا). أشفِقوا على المُتردِّدينَ في إيمانِهِم أمّا مَن يوشكونَ على السّقوطِ في النّارِ فانتَشلوهم لعلّكم تُفلِحونَ في إنقاذِهم. وأشفقوا على مُرتكبي الخَطايا واحذروا أن تقَعُوا في ما وقَعوا فيه، واجتنِبوا أعمالَهُم الفاسِقةَ الّتي تُشبِهُ الثّيابَ النّجِسةَ.

1: 24ـ25 ختام

سُبحانَ اللهِ القادرِ على حَفظِكم مِن الضّلالِ دونَ سِواهُ، وعلى فَتحِ بابِ مَحضرِهِ المَجيدِ، فتدخُلوهُ فَرِحينَ لا تشوبُكم شائبةٌ. سُبحانَ اللهِ الواحدِ الأحدِ، الّذي يُنجّينا بسيّدِنا عيسى المَسيحِ، فلْيَكنْ لهُ الجَلالُ والعِزّةُ والقُدرةُ والسُّلطانُ، قبل كُلِّ زمانٍ، والآنَ، وإلى أبدِ الآبدين، آمين.

مدخل إلى كتاب الرّؤيا

سجّلَ يوحنّا وهو أحد أتباع سيدنا عيسى (سلامه علينا) كتابَ الرؤيا. ويعتقد معظم الباحثين أنّه يوحنّا ابن زبدي، وهو أحد حواريي السيد المسيح الاثني عشر، وقد سجّل الوحي الخاصّ بسيرة السيد المسيح، كما كتب ثلاث رسائل تشجيع وجّهها إلى جماعات المؤمنين بعد قيامة السيد المسيح (سلامه علينا). أمّا بخصوص كتاب الرؤيا فقد اختلف الباحثون حول تاريخ كتابته، واقترح معظمهم أن تاريخ تدوينه يعود إلى تاريخين محددين. ويعتقد بعض الباحثين أن معظم الأحداث التي تم التنبؤ بها في كتاب الرؤيا قد تحقّقت فورَ تدوينها، ويعتبر هؤلاء الباحثون أن تدوين الرؤيا يعود إلى الستينات من القرن الأول للميلاد، أي بعد فترة وجيزة من موت نيرون إمبراطور روما، أمّا الباحثون الذين يعتقدون أن الأحداث لم تتحقّق بعد بل ترتبط بقيام الساعة، فيعتبرون أن الرؤيا تمّ تسجيلها في التسعينات من القرن الأول للميلاد عندما كانت الإمبراطورية الرومانية أكثر استقرارا.

أُرسلت الرؤيا إلى سبع جماعات من المؤمنين في سبع مدن تقع فيما يُعرف بغرب تركيا اليوم. وربّما كانت هذه المدن ذات الموقع الاستراتيجي في مقاطعة آسيا الرومانية مركزا بريديا يخدم مناطق شاسعة. ورغم أنّها تتضمّن توبيخا وتأنيبا وتعاليم خاصّة بكلّ جماعة على حدة، إلا أنّها أُرسلت بكاملها إلى كل الجماعات.

ويروي كتاب الرؤيا ما كشفه الله تعالى للحواري يوحنّا عن طريق سيدنا عيسى. ويعتبره العلماء من بين الكتب الروحية التي تُعرف بـ"أدب النهايات" apocalyptic literature. ويمثّل هذا النمط الأدبيّ تحدّيا للقرّاء في العصر الحديث في فهم معانيه وإدراكها، لأنّها تتضمن فيضا من الرموز الفريدة الخارقة. إنّ لغة الرموز والاستعارات والتشابيه المستعملة في كتاب الرؤيا نجد لها أثرا أيضا في الكتب القديمة لبعض الأنبياء مثل النبي حزقيال (أي ذو الكفل)، والنبي زكريّا بن بَرَكيّا، والنبي دانيال (عليهم السلام أجمعين). وعلى سبيل المثال، هناك ملامح محدَّدة في كتب هؤلاء الأنبياء الذين

عاشوا تجربة الكشف الإلهي وتجلّياته، وذلك من خلال استعمالهم للألوان والمعادن والمنسوجات والأرقام باعتبارها رموزا. وكان القرّاء في زمن يوحنّا، وخاصّة الذين كانوا على اطلاع بكتب الأنبياء الأولين، قادرين على متابعة مسار الحدث القصصي الذي سجّله يوحنّا بسهولة، رغم حذفه لبعض التفاصيل.

ومثلما نجد تشابها في استعمال الرموز فإنّنا نجد مواطن متعدّدة أخرى للتّشابه بين كتاب الرؤيا وأسفار الأنبياء، مثل كتاب النبي دانيال الذي أوحى به الله عندما كان بنو يعقوب يعيشون في المنفى في مدينة بابل. وقد أوحى الله بكتاب الرؤيا أيضا خلال الأزمة التي كان يمرّ بها أتباع سيدنا عيسى (سلامه علينا) في تلك الفترة. وتهدف كتب الوحي هذه إلى مساعدة عباد الله الصالحين لمواجهة ما كانوا يمرّون به من معاناة في تلك الفترة الحرجة. ويكشف لنا كتاب الرؤيا أنّ تلك الأزمة كانت عبارة عن اضطهادٍ قاس تُنْزِلُهُ السلطة الرومانية على أتباع السيد المسيح (سلامه علينا). ومن هنا فإنّ الرؤيا حضٌّ ونُصْحٌ وتذكير موجَّه إلى أتباع السيد المسيح في القرن الأول للميلاد حتّى يَثبتوا على إيمانهم ويتمسّكوا به فلا يسايرون الوثنية، وما كان عليهم إلا الصبر انتظارا لتنفيذ الله تعالى لوعده رغم المحنة الوشيكة والاستشهاد في سبيل إيمانهم.

ويجدر بنا أن نفهم الحالة الاجتماعية والسياسية التي كانت تمرّ بها أرض فلسطين خلال تدوين الرؤيا، فقد كان الإغريق والرومان على مَرّ السنين يبنون المعابد لأباطرتهم ويعبدونهم بعد مماتهم وكأنّهم آلهة، بل جعل بعض الأباطرة الناس يقدّمون لهم العبادة حتّى في حياتهم، شأنَ نيرون. وكان النظام الروماني يقمع كلّ ديانة يتكلّم أنبياؤها ضد ظلمه واضطهاده وطغيانه، وهذا ما حدث مع بني يعقوب، إذ احتجّ أنبياؤهم عبر التاريخ ضد الممالك والإمبراطوريات الجائرة. وقد واصل كتاب الرؤيا النهجَ الذي سار فيه الأنبياء من إدانةٍ للطغاة حيث أدان النظامَ الرومانيَّ المستبدَّ الذي يضطهد من يعبد الله بدلا عن عبادة الأباطرة.

وكان اليهود مُعفَين بشكل غير رسمي من عبادة الإمبراطور، إلاّ أنّ أساليب القمع لا تزال تتنزّل عليهم في ذلك الحين. وقد أرادت بعض الجماعات اليهودية التمرّد على الرومان، في حين هيمن القلق والخوف على بعض الأغنياء من اليهود خشية اتّهامهم بانتمائهم إلى هذه الجماعات المتمرّدة، فيفقدون مكانتهم وثرواتهم. وقد تمّ اعتبار

أتباع سيدنا عيسى (سلامه علينا) من الجماعات المتمرّدة لأنهم كانوا يُطلقون بشكل علني لقب السيد على سيدنا المسيح، وهو اللقب الذي كان حِكْرا على الإمبراطور. لذلك طرد اليهود الأثرياء أتباع السيد المسيح من بيوت العبادة التابعة لهم. وفي كل ما ذُكر صورة عن مناخ الظلم وأجواء الاضطهاد والصراع التي كان يعيشها آنذاك أتباع المسيح (سلامُهُ علينا). وقد دوّن الحواري يوحنّا الرؤيا من أجل أتباع السيد المسيح الذين عاشوا تلك الظروف.

وتعود مرجعيّة كتاب الرؤيا إلى فترة زمنية محدّدة في إطار ظروف متأزّمة، ولكنّ أهميّته صالحة للناس في كلّ الأزمان. ويحتوي هذا الكتاب على معانٍ تحضّ جميع المؤمنين أن يتوكّلوا على الله وأن يقفوا صامدين أمام الشرّ، سواء كان نابعا من داخل جماعاتهم أم من خارجها. ويحمل كتاب الرؤيا تذكيرا لجميع القرّاء أنّه مهما عانى أتباع السيد المسيح، ومهما قدّموا من تضحيات، ومهما صبروا على الصعاب التي تواجههم، فإنّهم في النهاية سيظفرون بالنصر على الشيطان وقوى الشرّ التي ترافقه، وذلك بفضل إخلاصهم للسيد المسيح المنتصر.

ويمكن أن نعتبر أنّ كتاب الرؤيا يستشرف النجاة والنصر اللّذين سيتحقّقان بشكل تامّ في نهاية هذا العالم، حين يتجلّى السيد المسيح ملكا على العالمين، محاطا ببهاء ومجد. كما يؤكّد هذا الكتاب أنّ السيد المسيح وأتباعه قد كسروا شوكة إبليس وانتصروا على قوى الشرّ التي تحيط به.

وتعرّض كتاب الرؤيا إلى تأويلات مختلفة عبر العصور، لأنّه يحتوي على رموز متعدّدة وغريبة. وتوجد ثلاثة تأويلات لأغلب الرموز المستعملة وهي الأكثر شيوعا:

نظرة تأويلية تعتبر أنّ الكتاب وصفَ النبوءات الّتي تحقّقت في القرن الأول للميلاد (preterist view)،

ونظرة تأويلية حقبية (dispensationalism)، تعتبر أنّ الكتاب يستشرف التدابير الإلهية التي لم تتحقّق بعد،

ونظرة تأويلية تتجاوز الحقب التاريخية وتستند إلى الجانب الروحاني أو الأدبي.

ويرى أصحاب النظرة التأويلية الأولى أنّ معظم الأحداث المتنبّأ بها في كتاب الرؤيا تمّت بعد تدوينها بقليل، أي قبل نهاية القرن الأول للميلاد، ويعتبر هذا التأويل أنّ بعض

الأحداث في الرؤيا ستحدث عند قيام الساعة. ويجزم أصحاب النظرة التأويلية الحقبية أنّ كل الأحداث المشار إليها ستقع في نهاية هذا العالم، واستنادا إلى هذه النظرة، فإنّ العديد من الرموز يتمّ ربطها بالأحداث المعاصرة. أمّا أصحاب النظرة التأويلية الروحانية – الأدبية فترى أنّ الرموز التي يحملها كتاب الرؤيا لا تتعدّى المجاز والصور البلاغية، وغرضها إرشاد أتباع السيد المسيح عبر العصور وتشجيعهم وتعليمهم.

بسم الله تبارك وتعالى

كتاب الرّؤيا

الفصل الأوّل

1: 1ـ3 مقدّمة

هي ذي الأسرارُ، الّتي كشفَها اللهُ لسيِّدِنا عيسى المَسيحِ حتّى يَرى عِبادُهُ أُمورًا لا بُدّ مِن حُدوثِها عاجلاً، فأرسل مَلاكَهُ إلى عَبدِهِ يوحَنّا الّذي أخبر بكُلّ ما رَآهُ من رَبّ العالَمينَ، رِسالةً وبيانًا مِن سيِّدِنا عيسى المَسيحِ (سلامُهُ علينا). هَنيئًا لمَن يَتلو كلامَ هذه النُّبوءَةِ على جَماعاتِ المؤمنينَ، وهَنيئًا لهم حين يَستمِعونَ إليها ويَعملونَ بما جاء فيها، فقد قرُبتْ ساعتُها.[1]

1: 4ـ8 تحيّة

هذهِ الرِّسالةُ مِن يوحَنّا، مُوجّهةٌ إلى جَماعاتِ المؤمنينَ السّبع في مُقاطعةِ آسيا. السّلامُ عليكم والرَّحمةُ مِن اللهِ الحيِّ منذُ الأزلِ والآن وإلى الأَبدِ، ومِن الملائكةِ السّبعةِ الكِبارِ أمام عَرشِ اللهِ،[2] ومِن سيِّدِنا عيسى المَسيحِ الشّاهدِ الأمين، أوّلِ وأشرفِ من بَعَثَهُ اللهُ خالدًا مِن الموتِ، وهو الرّئيسُ على مُلوكِ الأرضِ.[3] هُو الّذي يُحِبُّنا وقد

(1) تَعتبر إحدى المدارس التفسيريّة أنّ تدوين كتاب سفر الرؤيا تمّ قبل مدّة قصيرة من سقوط القدس في العام 70 للميلاد، وربّما دُوِّن في أواسط التسعينات من القرن الأوّل متنبّئا بسقوط روما. وأمّا المدارس التفسيرية الأخرى، فهي ترى أنّ عبارة «لا بدّ من حدوثه عاجلاً» وعبارة «قد قَرُبت ساعتها» تشيران إلى أنّ هذه التنبؤات لا يرتبط تحقيقُها بزمن محدّد، أو يتمّ تحقيقها بعد مرور العديد من السنوات من تدوين هذا الكتاب.

(2) ورد ذكرُ الأرواح السبعة في نص الوحي اليوناني. واعتقد بنو يعقوب بوجود سبعة ملائكة كبار حول عرش الله، وربّما تكون هذه هي الفكرة المشار إليها هنا.

(3) «أول وأشرف»، و»الرئيس على ملوك الأرض» عبارتان وردتا في المزمور 89: 27 وهو المزمور الذي يصف المسيح المنتظر. وجاء في الترجمات التاريخية أنّ عبارة «أوّل وأشرف» تساوي «البكر».

حَرَّرَنا مِن ذُنوبِنا بِدمِهِ، وجعلنا أحبارًا في مَملكتِهِ الأبديّةِ أمام اللهِ الأبِ الرّحيم لِسيِّدِنا المَسيح. فلتكُن له (سلامُهُ علينا) الهَيبةُ والعِزّةُ إلى أبدِ الآبدين. آمـين.

انظُرُوا! ها مَولانا قادِمٌ في ظُللٍ مِن الغَمام، وسيُبصِرُهُ الجميعُ، حتّى الّذين طَعَنوهُ. وستَنوحُ عليه عَشائرُ الأرضِ كُلِّها بِسببِ الآلامِ الّتي تَعرَّضَ إليها.[1] نعم، لِيكُنْ كذلك يا ربُّ، آمين. قال المَولى عزّ وجَلّ: «أنا الألِفُ والياءُ، الحيُّ مُنذُ الأزلِ والآن وإلى الأبدِ، وإنّي على كُلِّ شيءٍ قَديرٌ».

1: 9–20 تجلّي سيّدنا عيسى ليوحنّا

أنا يوحَنّا أخوكُم تَحَمَّلتُ بِصبرٍ مِثلَكم الامتِحانَ الّذي حَلَّ بِنا لأنّنا أتباعُ السّيِّدِ المَسيحِ ومِن أهلِ مَملكتِهِ الرّبّانيّةِ، ولأنّي مُخلِصٌ في دَعوةِ النّاسِ إلى رِسالةِ اللهِ وإلى الإيمانِ بسيّدِنا عيسى (سلامُهُ علينا)، أبعَدوني وسَجَنوني في جَزيرةِ بَطْمُس. ويوم الأحدِ، يوم انبعثَ سيِّدُنا مِن الموتِ، غَمَرَني فيضٌ مِن رُوحِ اللهِ، فسمِعتُ ورائِي صوتًا قوِيًّا كصوتِ البوقِ يقولُ: «اُكتُب ما ستراهُ في كِتابٍ وأرسِلهُ إلى سبعٍ مِن جَماعاتِ المؤمنِينَ الّذين في أفاسوس وإزمير وبَرغامُس وثِياتيرا وسارديس وفيلادِلفيا واللاذِقِيّة».[2] فالتفتُّ ورائِي لأنظُر صاحِب النِّداءِ، فرأيتُ سبعةَ مَصابِيح مِن ذهبٍ،[3] تُحيطُ بسيّدِنا عيسى سيِّدِ البَشَريّةِ جَمعاء،[4] وكان يَرتدي ثوبًا طوِيلاً وحول صَدرِهِ حِزامٌ مِن ذهبٍ. وشَعرُ رأسِهِ أبيضُ كجَدائِلِ الصُّوفِ البَيضاءِ، كالثّلجِ في البَهاءِ، وعيناهُ شُعلةٌ

---

(1) تشير هذه الآية إلى رؤيا النبي دانيال (7: 13) التي يظهر فيها السيد المسيح آتيا مع الغمام ليأخذ مكانه باعتباره ملكا، كما أشارت إلى ذلك نبوءة النبيّ زكريّا بن بَرَكيّا (12: 10).

(2) كل هذه المدن كانت تقع فيما يُعرف اليوم بغرب تركيا.

(3) شاع بين الناس أنّ المصابيح ذات الفروع السبعة المشار إليها هنا ترمز إلى بني يعقوب وإلى الديانة اليهودية. وفي هذا النص يرمز المصباح إلى كل جماعة من جماعات المؤمنين في هذه المدن السبعة باعتبارهم من شعب الله، سواء كانوا يهودا أو غير يهود. واعتُبر رقم (7) في ذلك العصر رقما خاصّا مميّزا يرمز إلى الكمال في كتب الأنبياء الأولين، لذا يظنّ البعض أنّ كتاب الرؤيا كان موجّها إلى كل جماعات المؤمنين من أتباع سيدنا عيسى في كل زمان ومكان، وهو لا يقتصر على الجماعات التي ذُكرت هنا.

(4) يلمّح سيدنا عيسى إلى نفسه بلقب «سيد البشر» وربّما يشير بذلك إلى النبوءة الواردة في سفر النبي دانيال 7: 13. وتشير الترجمات التاريخية إلى اللقب نفسه بـ «ابن الإنسان».

مُلتهِبةٌ. ورِجلاهُ تلمعانِ كنُحاسٍ صافٍ مَصقولٍ بِالنّارِ، وصوتُهُ قويٌّ كصوتِ شلاّلٍ غَزيرٍ،[1] ويُمسِكُ في يدِهِ اليُمنى سَبعة نُجومٍ،[2] ويَخرُجُ مِن فمِهِ سَيفٌ قاطِعٌ بِحدّينِ، ووَجهُهُ كالشّمسِ في كبِدِ السّماءِ.

فَلمّا رأَيتُهُ (سلامُهُ علينا)، صُعِقتُ ووقعتُ عِند قدميهِ كالميتِ، فوضع عليّ يدهُ اليُمنى، وقال: «لا تَخَف! أنا الأوّلُ والآخِرُ. أنا الحيُّ. كُنتُ ميّتًا، ولكِنّي الآن حيٌّ إلى أبدِ الآبدينَ، أملِكُ مَفاتِيح القبرِ والعالَمِ السُّفلي لأُحرِّر النّاس مِنهُما مَتى شِئتُ. فاكتُب ما شاهدتَهُ، وما تَراهُ الآن، وما سيَحدُثُ بعد حِينٍ. فها هو سِرُّ النُّجومِ السّبعةِ الّتي رأيتَها في يَدي اليُمنى ومَصابيحِ الذّهبِ السّبعةِ الأُخرى: النُّجومُ رُسُلٌ إلى جَماعاتِ المؤمِنِينَ السّبعِ، والمَصابيحُ رمزٌ إلى جماعاتِ المؤمنينَ.

الفصل الثّاني

2: 1-7 رسالة سيّدنا المسيح إلى المؤمنين في أفاسوس

وقال لي سيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا): «اُكتُب إلى مَن سيُرسَلُ إلى جَماعةِ المؤمنينَ في مَدينةِ أفاسوس: هذه رِسالةُ مَن يُمسِكُ النُّجوم السَّبعة بِاليُمنى،[3] ويَمشي بين

(1) وردت بعض الرموز في هذا المقطع في سفر النبي دانيال، في الفصل (10). أمّا «الثوب» و«الحزام» (الآية 13) اللذان كان يرتديهما كبير الأحبار فربّما فيهما إشارة إلى أنّ سيدنا عيسى يتّخذ هذا المنصب دون غيره.

(2) استعمل الناس الذين عبدوا الإمبراطور النجوم السبعة للتعبير عن هيمنته السماوية على عالم البشر. أمّا في هذا النص، فإنّ السيد المسيح هو من يحظى بهذه الهيمنة، لا القيصر.

(3) كانت مدينة أفاسوس عاصمة مقاطعة آسيا الرومانية، وفيها بُني معبد لعبادة الإمبراطور دوميتيان. دُعي رئيس هذا المعبد بالكاهن الأكبر في آسيا، وهو أيضا الحاكم الإقليمي الأعظم تحت سلطة الوالي الروماني. وكان هو المشرف على مهرجان المباريات الإمبراطورية الذي يقام في أفاسوس، وقد مثّل هذا المهرجان طريقة أساسية لتعظيم الإمبراطور لأنّهم اعتبروه «السيد والإله». وكان بعض المشاركين يقاتلون في مباريات المصارعة من أجل حياتهم ضد الخصوم القساة. واستخرجت بعض الرموز في الفصول التالية من نشاطات هذه المباريات. فعلى سبيل المثال، اتّبعت الرسائل الموجّهة إلى أتباع السيد المسيح في هذه المدن السبعة (الفصلان الثاني والثالث)، نمط المراسيم الإمبراطورية التي يتمّ إعلانها على الملإ مع بداية هذه المباريات. ويوضّح كتاب الرؤيا من خلال استعمال هذه الرموز أنّ سيدنا عيسى هو من يجب تعظيمه وتشريفه سيّدا على الجميع لا الإمبراطور الروماني.

مَصابيحِ الذّهبِ السّبعةِ: إنّي بِأعمالِكم وجِهادِكم وصُمودِكم خَبيرٌ، وأعرِفُ أنّكم لا تُطيقونَ كُلّ شِرِّير، وأنّكُم امتحَنتم هؤلاءِ الّذين يَزعمونَ أنّي أرسلتُهُم حَوارِيِّين إليكم، ولكنِّي مِنهم بَراءٌ، ولقدِ اكتشفتُم أنّهم دجّالونَ. إنّكم صبورونَ تتحمّلونَ كثيرًا مِن العناءِ في سَبيلي، ولا تضجَرونَ مِن اتِّباعي.

«غير أنّي أُعاتِبُكم في أمرٍ، لأنّكم في البِدايةِ أحببتموني وأحببتم بَعضَكم بعضًا، لكنّكم الآن لا تُحِبّونَ بِمقدارِ المَحبّة الأولى. فاذكروا ما قبل سُقوطِكم، وتوبوا واعملوا الصّالحات الّتي كُنتم تواظبونَ عليها آنذاك، وإلاّ قَدمتُ إليكم وأزحتُ مِصباحَكم من بين جَماعات المؤمنينَ. إنّما يَسُرُّني فيكم أنّكم تكرهونَ ما أكرهُ مِن أعمالِ طائفةِ النِّقُولاوِيّين.[1] يا مَن تُصيخونَ السّمع، اسمعوا وافهموا وحي رُوحِ اللهِ لِجَماعاتِ المؤمنينَ! اصمُدوا، فإنّ الفائزين مِنكم سيأكُلونَ مِن شَجَرةِ الخُلدِ وسط جنّاتِ اللهِ.[2]

2: 8-11 رسالة سيّدنا المسيح إلى المؤمنين في إزمير

«واكتُب إلى مَن سيُرسَلُ إلى جَماعةِ المؤمِنينَ في مَدينةِ إزمير: هذه رِسالةُ الأوّلِ والآخِرِ، الّذي مات، ثُمّ عاد إلى الحياةِ: إنّي لعليمٌ أنّكم تُقاسونَ الضِّيقَ والفقر، مع أنّكم أغنياء عِند ربِّكم. وإنّي أدرك الافتراءَ المُوجّه إليكم مِن اليهودِ الّذين يَتباهَونَ بِأنّهُم شَعبُ اللهِ المُختارُ وأحِبّاؤهُ، وما هم بأحبّائِه، بل هُم مِن جَماعةِ الشّيطانِ. لا تَخافوا مِن الشّدائدِ الّتي تَنتظِرُكم، فإنّ إبليس سيُحرِّضُ بَعضَ النّاسِ حتّى يُلقُوا بَعضَكم في السِّجنِ لِيَمتحِنَ وفاءَكم للهِ، عِندئذٍ ستُقاسونَ الاضطِهادَ عشرةَ أيّام. فكُونوا مُخلِصينَ حتّى الموتِ، وأنا أمنحُكم إكليلَ الخُلودِ. يا مَن تُصيخونَ السّمع، اِسمعوا وافهموا وحيَ رُوحِ اللهِ لِجماعاتِ المؤمنينَ! اصمُدوا، فإنّ الفائزينَ مِنكم لا يُؤذيهِمُ الهَلاكُ بَعدَ الموتِ.[3]

(1) كان النِقولاويون فئة في جماعة المؤمنين ورغم ذلك التزموا بتعاليمهم الخاطئة، إذ أرادوا أن يسايروا الوثنيين حولهم، فادَّعَوا أنّهم متحرّرون من كلّ قيد أخلاقي، ويمكنهم المشاركة في عبادة الأوثان وارتكاب الفواحش.

(2) يتمّ الإعلان مع نهاية مهرجان المباريات الإمبراطورية عن جوائز الفائزين. ويَستعمل السيد المسيح الطريقة نفسها، إذ يعلن هنا عن مكافأة تمنح لهؤلاء الذين يَثبتون على إيمانهم حتّى النهاية. وتختلف المكافآت التي يمنحها (سلامُهُ علينا) من جماعة إلى أخرى في الفقرات الستِّ اللاحقة.

(3) وردت عبارة «الموت الثاني» في النص الأصلي للوحي في اللغة اليونانية، وفَهم الناسُ هذا التعبير على النحو التالي: إنّ الموت الأول هو هلاك الجسد، بينما الموت الثاني المَشار إليه في كتابات اليهود في تلك الفترة يعني الهلاك الكلّي المنتظر، ويحتوي كتاب الرؤيا الفكرة ذاتها.

2: 12-17 رسالة سيّدنا المسيح إلى المؤمنين في برغامس

«اكتُب إلى مَن سيُرسَلُ إلى جَماعةِ المؤمنينَ في مَدينةِ بَرغامُسَ: هذه رِسالةُ صاحبِ السّيفِ القاطعِ ذي الحَدّين: أنا أعلمُ المكانَ الّذي تسكُنون فيهِ، حيثُ عَرشُ الشّيطان. ولكنّكم تعتصمون بِحبلي، ولا تُنكِرونَ إيمانكم بي. وحتّى عندما استشهد أنتِيباس الشّاهِدُ الأمين، في مدِينتِكُمُ الّتي يسكُنُ فيها الشّيطانُ اللعينُ، لم تُنكِروا إيمانكم بي بل ثبتّم عليهِ راسِخينَ.[1]

«ولكِنّي أعاتبُكم قليلاً، فبَعضُكم يعلّمُ النّاسَ تعاليمَ بَلْعام، الّذي علّم قديمًا الملكَ بالاق تضليلَ بني يعقوب، فأكلوا مِن الطّعامِ المُقدَّمِ لِلأوثانِ وارتكبوا الفسق.[2] وهكذا توجد بينكم فئةٌ تتمسّكُ بتعاليمِ بَلْعام وهي على مَذهبِ النِّقولاوِيّين. فارجعوا إليّ وتُوبوا، وإلاّ جئتُكم سريعًا لأُحَارِبَ المُذنبينَ بِالسّيفِ الّذي يخرُجُ من فَمي. يا مَن تُصِيخونَ السّمعَ، اِسمعوا وافهموا وَحيَ رُوحِ اللهِ لِجَماعاتِ المؤمنينَ! اصمُدُوا، فإنّ الفائزينَ مِنكم أُطعِمُهُم مِن طعامِ الجنّةِ، مِن المَنِّ الخفيِّ في الغيبِ، وأُعطِيهِم حصاةً بيضاءَ عليها اسمٌ جديدٌ، لا يفهمُهُ إلاّ من يحصلُ عليها.[3]

(1) وُجد في مدينة برغامس معبد لعبادة القيصر، شأن الإلهين أسكليبيوس وزيوس. وكان زيوس يدعى «زيوس المنقذ» واعتبر أتباع السيد المسيح هذا اللقب كفرا. وكان أنتيباس من أوائل الشهداء الذين آمنوا بسيدنا المسيح في مقاطعة آسيا.

(2) ادّعى بلعام أنّه نبيّ وقام باستمالة بعض الناس من بني يعقوب لعبادة إلهٍ غير حقيقي (انظر التوراة، سفر العدد، 25: 1-3، 31: 16).

(3) يشير «المنّ الخفيّ في الغيب» إلى الطعام الذي أرسله الله بمعجزة إلى بني يعقوب أثناء تِيههم في صحراء سيناء رفقة النبي موسى (عليه السّلام). وقد أمرهم الله أن يحفظوا عيّنة من المنّ في وعاءٍ ذهبي في صندوق الميثاق تذكارا على أنّ الله رزقهم بمعجزة. وقد اختفى صندوق الميثاق وكلُّ محتوياته عندما دمّر الجيش البابلي القدس سنة 586 قبل الميلاد. واعتقد العديد من اليهود أنّ صندوق الميثاق أخفاه النبي إرميا أو أحد الملائكة، وأنّ النبي إرميا سيعود بالصندوق عند ظهور مملكة الله الموعودة وسيقدّم المنّ في وليمة عظيمة. وذكر السيد المسيح أنّه هو المنّ الحقيقي الذي جاء من السماء ليمنح الخلد للبشر (انظر يوحنّا، 6: 32 - 33). توجد عديد الآراء حول معنى الحصاة البيضاء. يقول أحدها، أنّها تشير إلى العادة المتداوَلة في المحكمة الرومانية التي يُصدر فيها القضاء قراره بإعطاء الحصاة السوداء وهذا يعني أن المتّهم مذنب، وإذا كان المتّهم بريئا يعطى الحصاة البيضاء. وهذا يعني بالنسبة إلى القرّاء أنّ الله سينصفهم في النهاية حتّى ولو أدانتهم المحكمة الرومانيّة بسبب إيمانهم بالسيد المسيح. ويقول رأي آخر أن الحصاة البيضاء تشير إلى الحصاة التي حصل عليها الرياضيون الإغريق في نهاية السباق، وسيتم استبدالها في النهاية بجوائزهم. ويقول الرأي الأكثر انتشارا أن الحصاة البيضاء تشير إلى الحصاة

2: 18-29 رسالة سيّدنا المسيح إلى المؤمنين في ثياتيرا

«اكتُب إلى مَن سيُرسَلُ إلى جَماعةِ المؤمنينَ في مدينةِ ثياتِيرا: إنّ هذه رِسالةُ السّيّدِ المَسيحِ الابنِ الرُّوحيِّ لله،[1] الّذي تُشبِهُ عيناهُ لهيبَ النّار، ورجلاه مثل النُّحاسِ النّقيِّ. إنّي عليمٌ بِصالحِ أعمالِكُم وبمحبّتِكم لبعضِكم بعض، وأُقدّرُ إيمانكم وتضحِيتَكم وصبرَكُم، وإنّي أرى أنّ أعمالَكُمُ الصّالحةَ تتزايدُ يومًا بعد يوم.

غير أنّي أعتبُ عليكُم قليلاً، لأنّكُم لم تطرُدوا مِن جماعتِكُمُ المرأةَ الّتي تزعُم أنّها نبيّةٌ، وهي تُضلِّلُ عِبادي الصّالِحينَ أسوأ تضليلٍ، كما فعلتْ الملِكةُ الشِّرِّيرةُ إيزابالُ بِبني يعقوب قديمًا. إنّ هذه المرأةَ تدفعُ المؤمنينَ إلى الضّلالِ المُبينِ، وتُعلِّمُهُمُ الفِسق، وتدفعُهم إلى أكلِ الطّعامِ الّذي أُهِلَّ للأصنام،[2] ولقد أمهلتُها حتّى ترعوِي عن فِسقِها وتتُوبَ، لكِنّها ترفُضُ أنَ تستجيب. لِذلِك سأطرحُها في فِراشِ المَرضِ، وأُلقي الضِّيقَ الشّدِيدَ على كُلِّ الّذين يفسقون معها إن لم يرتدُّوا عن أعمالِها ويتُوبوا، وأُهلِكُ أولِياءَها بِضَربةٍ قاتلة. فستعلمُ عندئذٍ كُلُّ جماعاتِ المؤمنينَ أنّي أنا الّذي أمتحِنُ الأفكارَ والقُلوب، وأُجازي كُلَّ واحدٍ مِنكم بأجرٍ على قدرِ أعمالِهِ.

= التي كانت تحمل اسم صاحبها، والتي كانت تستعمل كبطاقة لبعض المناسبات، كالولائم في المعابد الوثنية. وإذا كان هذا هو المقصود، فستكون الحصاة البيضاء بمثابة بطاقة تسمح لحاملها بالدخول إلى وليمة سيدنا المسيح الكبيرة في مملكة الله.

(1) عبارة «الابن الروحي لله» الواردة هنا هي ترجمة للعبارة اليونانية التي عُرّبت بصيغة «ابن الله». وهي موجودة في كتب الأنبياء الأوّلين وكانت لقبا لملك بني يعقوب الذي اختاره الله. وهذا لا يشير إلى تناسل بشري، ولكنّه يشير إلى العلاقة الوثيقة التي تربط سيدنا عيسى المسيح بالله. وإنّ مقامه أمام ربه كمقام البكر في العائلة. ويرى البعض في هذا تلميحا إلى أنّ السيد المسيح هو كلمة الله الأزلية وقد تمّ إرسالها إلى الأرض لتصبح بشرا يولد من مريم العذراء.

(2) يُمارس على التجار وأصحاب الحِرَف في تلك الفترة الزمنية في المدن الوثنية ضغطٌ للاشتراك في النقابات. وإذا لم يشتركوا فستكون تجارتهم وأعمالهم عرضة للخسارة. وكانت لقاءات النقابات تكرس ولائم للآلهة التي تحميهم، إضافة إلى الشعائر الدينية التي تقام من أجل عبادة الإمبراطور. وقد شعر الكثير من أتباع سيدنا عيسى في ثياتيرا بضرورة الاشتراك في إحدى نقابات التجّار. ولو أنهم قاموا بذلك خلافا لمقتضيات إيمانهم فإن ذلك يفضي بهم إلى الضلال المبين. وفي هذه الحال سينساقون إلى تعاليم امرأة تدّعي النبوّة وقد جمعت حولها عددا من الأتباع، مدّعية أنها تعرض عليهم «أسرارا عميقة»، وأخبرت الذين آمنوا بها أنه بإمكانهم المشاركة في احتفالات نقابات التجارة المرتبطة بالوثنية، وقد أطلق عليها اسم «إيزابال»، زوجة الملك آخاب المذكور في كتب الملوك الأول والثاني، وهو الذي قتل أنبياء اللهَ وحرّض شعب بني يعقوب على عبادة الإله المزيّف «بعل».

أمّا بقيّةُ المؤمنينَ في ثياتيرا، يا مَن رفضتُم تَعاليمَ تلك المرأةِ، يا مَنِ ابتعدتُم عمّا يُسمُّونهُ أسرارَ الشّيطانِ العميقةَ، فأنا أعِدُكم أنّي لن أُلقي عليكم حِملاً آخر يرهِقُكم بعد الآن. فتمسّكوا بإيمانِكم حتّى أصِل إليكم. اصمُدُوا، فإنّ الفائزِينَ مِنكم الّذين يستمِرُّونَ في طاعتي حتّى النِّهايةِ، أمنحُهُم سُلطانًا على كُلِّ الأُممِ، مِثل السُّلطان الّذي استلمتُه مِن اللهِ أبي الصَّمَد.[1] هكذا سأُهدِيهم سُلطاني المَذكور في الزّبورِ: «يحكمُ الأُمم بِعصا مِن حَديد، ويهشّمُهم كآنيةٍ مِن فَخّار».[2] وأُعطِيهم نجمَ الصّباحِ دليلاً على فوزِهم العظيمِ.[3] يا مَن تُصيخونَ السّمعَ، اِسمعوا وافهمُوا وحي رُوحِ اللهِ لِجماعاتِ المؤمنينَ!

الفصل الثّالث

3: 1ـ6 رسالة سيّدنا المسيح إلى المؤمنين في ساردِيس

«اكتُب إلى مَن سيُرسَلُ إلى جَماعةِ المؤمنينَ في مَدينةِ سارْديس: هذه رِسالةُ صاحبِ ملائكةِ اللهِ السّبعةِ الكِبار، والنُّجومِ السّبعةِ: إنّي أعرِفُ أعمالَكم، ورَغم أنّ النّاسَ يَظُنّونَ أنّكُم مِن النّاجين، فإنّكم في الحَقيقةِ هالِكونَ! فانتبِهوا وشُدُّوا عزمَكم في ما بَقي لكم مِن الإيمانِ قبل أن يَفنى، فإنّي أرى أعمالَكم لا تَفي بما يطلبُه ربِّي مِنكم.

(1) يستعمل السيد المسيح هنا هذا المصطلح للإشارة إلى الصلة القريبة والمميّزة التي يحظى بها في علاقته مع الله باعتباره الملك المختار على أمّة الله. وقد استعملنا مصطلح «الأب» في هذا الكتاب مقترنا باسم الرحمن أو الرحيم للدلالة على صلة المؤمنين بالله، ولكن في هذا الموضع أوردنا مصطلح «أبي» مقترنا بـ «الصمد» للإشارة إلى الصلة بين السيد المسيح والله.

(2) هذا المقطع أعيدت صياغته من الزبور (مزمور، 2: 9)، يخصّ أتباع السيد المسيح الأوفياء، رغم أنّ الشخص المشار إليه في المقطع الأصلي هو السيد المسيح نفسه، شأن الاقتباس الوارد في كتاب الرؤيا (19: 15).

(3) إنّ الإشارة إلى «نجم الصباح» قد يعني كوكب الزهراء ويمثّل عند الرومان الإلهة فينوس، إلهة الانتصار في الحروب. واستعملت الجيوش الرومانية رمز فينوس وأقام لها الجنرالات المنتصرون المعابد. وساد اعتقاد لدى معظم الناس في تلك الفترة أنّ الحياة تسيّرها النجوم. فعندما يُمنح أتباع السيد المسيح نجم الصباح، فهذا يعني أنهم سيشاركون السيد المسيح الهيمنة على كل شيء.

وتذكّروا كَيفَ تَقبّلتُم البَلاغَ لمّا سَمِعتُموهُ، فتُوبوا إلى اللهِ واتّبعوا بَلاغَهُ. فإن كنتم لا تَنتبِهونَ ولا تَستيقظونَ مِن الغفلةِ الّتي أنتم فيها، قدِمتُ عليكم فَجأةً وباغتُّ الغافِلينَ مِنكم في ساعةٍ لا تَعلمونَها.[1]

«غير أنّهُ يُوجدُ بينكُم طاهِرونَ، وهُم قِلّةٌ، حفِظوا أنفُسَهُم مِن النّجاسةِ، ولِذلِك سيرافقونَني في ثيابٍ بيضاء لأنّهُم يستحِقّونَ هذا الشّرف. اصمُدوا، فإنّ الفائزينَ مِنكم سيلبسونَ ثيابًا بَيضاءَ مِثلهُم، ولن أمحُوَ أسماءَهُم مِن سِجلِّ الخالِدينَ، بل أشفعُ لهُم في حَضرةِ اللهِ أبي الصَّمَدِ وملائِكتِهِ. يا مَن تُصيخونَ السّمع، اِسمعُوا وافهمُوا وَحي رُوحِ اللهِ لِجماعاتِ المؤمنين!

3: 7-13 رسالة سيّدنا المسيح إلى المؤمنين في فيلادلفيا

«اكتُب إلى مَن سيُرسَلُ إلى جَماعةِ المؤمنينَ في مَدينةِ فيلادِلفيا: هذه رِسالةُ صاحب القُدسيّةِ الحقِّ، فأنا وريثُ عَرشِ النّبيِّ داود، وأملِكُ مِفتاحَ المَملكةِ الرّبّانيّةِ الأبدِيّةِ، فإن فتحتُ بابَ المَملكةِ، فلا أحدَ يَستطِيعُ إغلاقَها، وإن أغلقتُها، فلا أحدَ يَستطيعُ فتحَها.[2] إنّي عَليمٌ بِما كنتم تَعملونَ، ورَغم أنّ نفوذَكم قليلٌ، فإنّكم أطعتُموني ولم تُنكِروني، لذلِك فتحتُ لكم بابًا لا يَقدرُ على غلقِهِ أحدٌ. أمّا الّذين يَنتمونَ إلى جَماعةِ الشّيطانِ، أُولئك اليَهودُ الّذين يَدّعونَ أنّهُم أحِبّاءُ اللهِ وما هُم بِأحِبّائِهِ، بل هُم كاذِبونَ في ادّعائِهِم، فسأجعلُهُم يُقبِلونَ عليكم ويَركعونَ عِند أقدامِكم ويَعترِفونَ بِأنّكُم أحِبّائي. ولأنّكم تحفظونَ أمري بصبر كما أوصيتُكم، فسأحفظُكم في ساعةِ المِحنةِ الّتي ستحُلُّ على العالَمينَ، لِتمتحِنَ سُكّانَ الأرضِ.

«ها أنا قادِمٌ سَريعًا، فتمسّكوا بِإيمانِكم، كي لا يسلُبَكم أحدٌ إكليلَ فوزِكم. اصمُدُوا، فإنّ الفائزينَ مِنكم سيكُونونَ بمَثابةِ أركان بيتِ ربِّي، ويَخلُدونَ في النّعيم إلى الأبدِ، وسأكتُبُ عليهِم اسمَ ربِّي واسمَ مدينةِ ربِّي، إنّها القُدسُ الجديدةُ الّتي تنزِلُ مِن السّماءِ

(1) لم يذكر أنّ المؤمنين في منطقة سارديس قد أصابهم أيّ نوع من الاضطهاد، وقد يعني ذلك أنّ أتباع السيد المسيح كانوا يتعايشون بسلام مع اليهود والوثنيين. وهذا الاندماج في المجتمع قد يؤدّي بهم إلى خطر وقوعهم تحت تأثير الممارسات والتعاليم المنتشرة حولهم. وكانوا غافلين إلى درجة لم يدركوا فيها قوّة انبعاث سيدنا عيسى من الموت.

(2) انظر كتاب النبي أشعيا 22: 22.

مِن عِند ربِّي، وسأكتُبُ عليهِم أيضًا اسمي الجَديد. يا مَن تُصيخونَ السّمعَ، اِسمعُوا وافهمُوا وَحي رُوحِ اللهِ لِجماعاتِ المؤمنين!

3: 14ـ22 رسالة سيّدنا المسيح إلى المؤمنين في اللاّذقية

«واكتُب إلى مَن سيُرسَلُ إلى جَماعةِ المؤمنينَ في مَدينةِ اللاّذِقيّةِ:[1] هذه رِسالةُ المُلقّب بـ «آمين»،[2] الشّاهِدِ المُخلِصِ الأمينِ، أصلِ خَلقِ اللهِ: أنا عليمٌ بأعمالِكم، ولكن لا فائدةَ تُرجى منكم، فمَثلُكم عِندي كمَثَلِ مياهِ مَدينتِكم الفاترةِ، لا هي باردةٌ للشّربِ ولا هي ساخنةٌ للاستحمام. فيا ليتَكم كُنتم نافعينَ! فإحساسي تُجاهَ أعمالكم كإحساسِ الّذين يشربونَ ماءَ مَدينتِكم، ثُمّ يَلفظونَهُ مِن أفواهِهم. أو أنّكم لتقولونَ: نحنُ أغنياءُ واغتنينا وما ينقُصُنا شيءٌ. ألا إنّكم جاهِلونَ، ولا تُدرِكونَ أنّكم بائِسونَ أشقياءُ فُقراءُ عُميانٌ عُراة، فها أنا أنصحُكم أن تشتروا مِنّي ذهبًا خالِصًا، لعلّكُم تغتنونَ فعلاً، وهذه ثيابٌ بَيضاءُ تلبسُونَها فتسترونَ بها عُريكُمُ المُخجل، وهذا كُحلٌ تُكحّلونَ به أعيُنَكم لعلّكُم تُبصرونَ.[3]

«فعندما ألومُكم وأعتبُ عليكم، فهذا من أجلِكم لأنّي أحبُّكم، فتحمّسوا في طاعتِكم لي وتوبوا إلى اللهِ. ها أنا واقِفٌ على البابِ أطرُقُهُ، فمَن سمع صوتي، وفَتَحَ لي البابَ وأدخلَني، أكلتُ معهُ وأكل معي. اصمُدُوا، فإنّ الفائِزينَ مِنكم سيجلِسونَ إلى جانِبِ عَرشي، مثلما فُزتُ أنا وجلستُ إلى جانِبِ عَرشِ اللهِ أبي الصَّمَد. يا مَن تُصيخونَ السّمعَ، اِسمعُوا وافهمُوا وحي رُوحِ اللهِ لِجماعاتِ المؤمنين!»

---

(1) مدينة اللاذقية هنا ليست المدينة الواقعة في سوريا اليوم، وإنّما كانت تقع في غرب تركيا المعاصرة.

(2) هذا يعني أنّ السيد المسيح بمثابة كلمة «آمين» التي نصدّق بها الكلام الصادق، وهو بدوره يصدّق رسالة الله الموجَّهة إلى الناس جميعا.

(3) عُرفت مدينة اللاذقية القديمة بأشياء ثلاثة: الرّخاء المالي، نجاح تجارتها في الأقمشة السوداء الرفيعة، وتفوّقها في المجال الطبي من خلال إنتاجها الكحل لعلاج أمراض العيون. ويلمح سيدنا عيسى في هذه الآية إلى تلك المسائل، ويعرض بديلا أرفع قيمة منها.

الفصل الرّابع

4: 1–11 يوحنّا يرى العرش وما حوله في رؤيا[1]

ورأيتُ بعد ذلك في رؤياي بابًا فُتح في السّماءِ. وسمِعتُ الصّوتَ نفسه الّذي كلّمني مُنذ حين كأنّه بُوقٌ يقولُ: «اصعد إلى هُنا حتّى ترى ما سيحدُثُ بعد حين لا مَحالة». وحينها غمرني فيضٌ مِن رُوح اللهِ، رأيتُ عرشًا في السّماءِ، يَستوي عليهِ صاحِبُهُ العظيمُ، وتنبعثُ مِنه أنوارٌ تُشبهُ الألماسَ والعقيقَ الأحمر، وحول العَرشِ قوسُ قُزحٍ بألوانِهِ، يلمعُ كأنّهُ زُمُرُّدةٌ خضراءُ، ويُحيطُ بالعَرشِ أربعةٌ وعِشرونَ عرشًا يَعتليها أربعةٌ وعِشرونَ شيخًا يَرتدونَ ثيابًا بَيضاءَ، وعلى رُؤوسِهم تيجانٌ مِن ذهبٍ.[2] وانبثقتْ مِن العَرشِ بُروقٌ وأزيزٌ ورُعودٌ،[3] وتقدّمتْ العَرشَ سبعةُ مَشاعِلِ نارٍ، هي ملائكةُ اللهِ الكِبار السّبعة. ويَمتدُّ أمام العَرشِ ما يُشبهُ بَحرًا شفّافًا كأنّهُ البِلّورُ في صفائِهِ. وتُحيطُ بالعَرشِ مِن كلِّ النّواحي أربعةُ مَخلوقاتٍ حيّةٍ تكسُوها عُيونٌ مِن الأمام ومِن الخلفِ، وكان أوّلُها يُشبهُ الأسد، وثانيها يُشبهُ العِجلَ، أمّا الثالثُ فوجهُهُ يُشبهُ وجهَ الإنسانِ، ورابِعُها يُشبهُ النّسرَ أثناء الطّيران. ولِكُلِّ واحدٍ من هذهِ المَخلوقاتِ سِتّةُ أجنِحةٍ، تكسُوها عُيونٌ تمتدُّ على كاملِ جسمِها، وتصِلُ حتّى تحت الأجنِحةِ، وهي لا تنقطعُ عن التّسبيحِ ليلاً نهارًا: «قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، إنّك على كُلِّ شيءٍ قديرٌ، فأنت الحيُّ مُنذُ الأزلِ، والآن، وإلى أبدِ الآبِدين».[4]

---

(1) يعتبر بعض المفسّرين أنّ هذه الآيات تتضمّن صورا مجازية لمشهد محكمة سماوية، والله هو الحاكم فيها وقد استوى على عرشه وأحاط به المُشتكون وقد سُجّلت ادعاءاتهم (الرؤيا 6: 9)، والمتّهم هنا مدينة القدس وقد أوشك إصدار الحكم في حقّها.

(2) يناقش المفسرون دلالة رقم 24. وربّما يرمز الشيوخ الـ 24 إلى قبائل بني يعقوب الاثني عشر والحواريين الاثني عشر. واعتبر آخرون أن الشيوخ هم النظير السماوي لجماعات الأحبار ومساعديهم من عشيرة بني لاوي الأربع والعشرين. بينما يرى آخرون أنّ وجود الشيوخ ليس إلاّ لإكمال مشهد المحكمة السماوية بوضوح وعددهم لا يوحي إلى أيّة رمزية. وتجدر الإشارة إلى أنّ شيوخ الرومان كانوا يرتدون الملابس البيضاء مثلهم.

(3) وصف البرق والرعد والأصوات الهادرة يشبه ما جاء في التوراة من وصف لما حدث على جبل سيناء عندما كشف الله للنبي موسى ميثاقه مع بني يعقوب.

(4) رأى النبي أشعيا في إحدى رؤاه كائنات سماوية ذات ستّة أجنحة تدعى «السرافيم» وتصدّرت

وكُلّما سبّحتْ هذهِ المَخلوقاتُ تَسبيحَ الإجلالِ والإكرام والحمدِ لِربِّ العَرشِ، الحيِّ الّذي لا يَموتُ أبدًا، ركع الشُّيوخُ الأربعةُ والعِشرونَ ساجدينَ لله الّذي استوى على العَرشِ، إنّه الحيّ الّذي لا يَموتُ أبدًا، وطرحوا تِيجانَهُم أمام عَرشِهِ قائلين: «ربَّنا وإلهَنا، إنّك ذو الجَلال والإكرامَ والتّقدير، لأنّك خالِقُ الأشياءِ كُلِّها، وهي كائِنةٌ مَوجودةٌ كما تشاءُ».

الفصل الخامس

5: 1–10 سيّدنا المسيح والكتاب

ثُمّ رأيتُ في اليدِ اليُمنى لِربِّ العَرشِ مَخطوطةً مَلفوفةً كُتِب عليها مِن الظّاهِرِ ومِن القفا، وخُتِمت بِسبعةِ خُتوم. ورأيتُ ملاكًا قوِيًّا، يرفعُ صوتَهُ عالِيًّا: «مَن ذا الّذي يَستحِقُّ أن يفُكَّ الخُتومَ ويَفتحَ الكِتاب؟» فعجز السّامِعونَ، سواءٌ مِنهُم مَن كان في الغيبِ أو على الأرضِ أو في الأرضِ السُّفلى أن يفتحُوا الكِتابَ وينظروا ما فيهِ. فأجهشتُ بالبكاءِ إذ لم يكُن مِن بينِهم مَن يستحقُّ أن يفتحَ الكِتابَ وينظُرَ ما فيهِ. فقال لي أحدُ الشُّيوخِ الحاضِرينَ: «لا تبكِ. إنّ سيِّدَنا عيسى قادِرٌ على فتحِ الكتابِ وخُتومِهِ السّبعةِ. إنّهُ كان في قبيلةِ يهُوذا أسدًا هصُورا، وهو وريثُ عرشِ النّبيِّ داود على الموتِ مَنصورا».

وإذا بي أرى سيِّدَنا عيسى، الذِّبحَ العظيم، واقِفًا بين العَرشِ والشُّيوخِ والكائِناتِ الأربعةِ الحيّةِ، وهيئتُهُ كأنّما هيئةُ الكبشِ الذّبيحِ، ولهُ سبعةُ قُرونٍ ترمُزُ إلى سُلطانِهِ العظيم، ولهُ سبعةُ أعيُنٍ أيضًا، ألا وهي الملائكةُ السّبعةُ الكِبارُ، أُولئك الّذين أرسلهُم اللهُ إلى أرجاءِ الأرضِ كُلِّها.[1] فتقدّم وأخذ الكِتابَ مِن اليدِ اليُمنى لِربِّ العَرشِ

= العابدين لله حول العرش، وأعلنت قدسيّته وربوبيته وسلطته المطلقة على الأرض كلها (انظر كتاب النبي أشعيا 6: 1 – 8).

(1) اعتبر القدامى أنّ الأسد رمز للقوّة والحمل رمز للوداعة والضعف. لذا فإنّ الحمل المذبوح يتناقض في دلالته مع الأسد المهيمن (انظر كتاب النبي أشعيا، 53: 7). واستعمل اليهود في تأويلاتهم صورة الأسد للدلالة على المسيح المنتظر كبطل حرب. وجاءت في تلك الفترة أيضا نصوص يهودية تصف الحمل أو الكبش بقائد حربي منتصر، وهي نصوص تخبر عن قيام الساعة. وارتبط الحمل أو الكبش بأنواع مختلفة من الأضاحي، ولكن الحمل يرمز هنا تحديدا إلى الكبش

العَظيم. فلمّا أخذهُ، ركعتْ الكائِناتُ الأربعةُ أمام سيِّدِنا المَسيح، وركع الشُّيوخُ الأربعةُ والعِشرونَ أيضًا. وكان مع كُلِّ واحدٍ مِنهم قيثارةٌ وكُؤوسٌ مِن ذهبٍ مُلئت بَخورًا، أي دُعاءَ الصّالِحينَ. وكانوا يُنشِدونَ أُنشُودةً جديدةً: «أنت مَن يستحقُّ أخْذَ هذا الكِتابِ وفتحَ خُتومِه، فقد كُنتَ عندها مَذبُوحًا، وكان دمُك الزكيّ مَسفُوكًا، وبذلك افتديتَ أُناسًا كُثُرًا ليَكونوا من خاصّةِ اللهِ، مِن كُلِّ قبيلةٍ ولُغةٍ وشعبٍ وأُمّة، وجعلتَهُم مَملكةً مِن الأحبارِ لِربِّنا، ويَحكُمونَ كملوكٍ على الأرضِ».

5: 11-14

وفي الرُّؤيا سمِعتُ صوتَ مَلايين مِن الملائكةِ يُحيطونَ بِالعَرشِ والكائِناتِ الحيّةِ والشُّيوخِ. وكانوا يُردِّدونَ بِصوتٍ عالٍ: «إنّ سيِّدَنا عيسى، الكبشَ الذّبيح، جَديرٌ أن ينالَ القُوّةَ والثّروةَ والحِكمةَ والقُدرةَ والكرامةَ والجلالَ والتّسبيح». ثُمّ سمِعتُ كُلَّ المَخلوقاتِ سواءٌ كانت في الغيبِ أو على الأرضِ أو في الأرضِ السُّفلى أو في البحرِ، سمِعتُهُم يُنشدونَ جميعًا: «الحمدُ والكرامةُ والجلالُ والقُدرةُ لِربِّ العَرشِ، ولِعيسى الذِّبحِ العَظيم، إلى أبدِ الآبِدين». وهُنا ردّتِ الكائِناتُ الحيّةُ الأربعةُ: «آمين»، وجَثا الشُّيوخُ ساجِدينَ.

الفصل السّادس

6: 1-8 سيّدنا المسيح يشرع في فتح الختوم السّبعة

ثُمّ رأيتُ سيِّدَنا عيسى، الذِّبحَ العَظيم، يَفتحُ أوّلَ الخُتومِ السّبعةِ، وسَمِعتُ واحدًا

= الذي ذُبح في عصر النبي موسى لكي لا يأخذ ملاكُ الموت أبكارهم مع أبكار المصريين (انظر التوراة، سفر الخروج، 12: 12 – 13). أمّا قرن الكبش فيرمز إلى السلطة التي تمّت الإشارة إليها في الفصل الثامن من كتاب النبي دانيال. واعتبر رقم (7) رمزا للكمال، وترمز القرون السبعة إلى القوة الكاملة. وتشير العيون السبعة التي أرسلت إلى الأرض إلى نبوءات النبي زكريّا بن بَرَكيّا، وربّما أشارت إلى الملائكة لأنّ العيون كانت ترمز في زمن النبي زكريا إلى المبعوثين من طرف ملك الفرس. ويرتبط رمز العيون في نبوءات النبي زكريا بالله، أما في كتاب الرؤيا فيرتبط بالسيد المسيح.

مِن الكائناتِ الحيّةِ الأربعةِ يقولُ بِصوتٍ كالرّعدِ: «قُم وانطلِق». فرأيتُ أمامي فَرَسًا أبيضَ، يَحمِلُ راكِبُهُ قوسًا، أُذِنَ له أن يَنالَ تاجًا وخرج يُحقِّقُ نَصرًا بعد نَصر.(1)

ولمّا فَتَحَ سيِّدُنا عيسى الختمَ الثّاني، سمِعتُ الكائِنَ الثّاني يقولُ: «قُم وانطلِق». فخَرَجَ فرسٌ أحمرُ، لونُهُ يُشبِهُ لونَ الدّم، وأُذِنَ لراكبِه أن يَنالَ سيفًا كبيرًا وجعلهُ قادِرًا على نزعِ السّلامِ مِن الأرضِ، وهكذا أصبح النّاسُ في الأرضِ يتقاتلونَ.

وحين فضّ سيِّدُنا عيسى الختمَ الثّالثَ، سمِعتُ الكائِنَ الثّالثَ يقولُ: «قُم وانطلِق»، فرأيتُ أمامي حِصانًا أسودَ، وراكِبُهُ يَحمِلُ مِيزانًا يَرمُزُ إلى مَجاعةٍ كبيرةٍ تُصيبُ كُلَّ مَن في الأرضِ. وسَمِعتُ صوتًا مِن بينِ الكائناتِ الحيّةِ الأربعةِ يقولُ: «أيُّها الرّاكِبُ، إيّاك أن تتعدّى حُدودَكَ! فيجبُ ألاّ يَزيد ثمنُ كيل مِن القمحِ أو ثلاثِ كيلاتِ شَعيرٍ أجرَ عملِ يومٍ واحدٍ، وإيّاكَ أن تضُرَّ بَساتينَ الزّيتونِ وكُرومَ الخُمورِ».(2)

ولمّا فَتَحَ سيِّدُنا عيسى، الذِّبحُ العَظيمُ، الخَتمَ الرّابِعَ، سمِعتُ صوتَ الكائِنِ الرّابعِ يقولُ: «قُم وانطلِق». فرأيتُ أمامي فَرَسًا شاحِبَ اللونِ كالأمواتِ، وراكِبُهُ اسمُهُ الموتُ

---

(1) إن الخيول التي ظهرت عند فضّ اللفافة هنا (الرؤيا، 6: 1 – 8)، تشبه الخيول التي ورد ذكرها في الرؤيا الثامنة للنبي زكريّا بن بَرَكيّا (انظر كتاب النبي زكريا، 6: 1 – 6 و1: 7 – 8). وقد يستفيد الباحث إذا قارن هذا النص بكتاب النبي إرميا (إرميا 15: 2) والترجمة القديمة لكتاب النبي حزقيال (كتاب حزقيال 5: 2) لكي يتبيّن دلالات الخيول، فكلّ فارس يحمل معه الموت بطريقة مختلفة. فالحصان الأبيض وفارسه الذي يحمل قوسا يرمزان إلى الأسر في بلاد غريبة. ويرمز الحصان الأحمر إلى الحرب الوحشية الدموية. واعتقد بعض المفسّرين أنّ هذا الحصان يشير إلى الحرب على أرض فلسطين. ويرمز الحصان الأسود إلى الموت بسبب مجاعة أو قحط. وجاء في الآية الثامنة تلخيص لدلالات هذه الخيول وفرسانها. كما تضمّنت الآية تلميحا إلى الفرق الأربعة التي تسابقت في المباريات الملكية وارتدى أفراد كل فريق منها لباسا يختلف في اللون عن الفريق الآخر. واكتشف علماء الآثار رسوما وصورا لحلبات قديمة لخيول اكتست ألوانا مختلفة، إما بيضاء أما حمراء أو زرقاء أو خضراء.

(2) تختلف الآراء بين المفسرين حول دلالات الحديث عن الزيت والخمر. ويعتقد البعض أنّ وجود كميّة من الخمر والزيت يدلّ على أنّ القحط لم يكن شديدا، ذلك أنّ جذور شجرة الزيتون وكرمة العنب أعمق في الأرض من جذور القمح والشعير، وهو ما يجعل الشجرة تستمرُّ في إنتاجها وعطائها. بينما يعتقد البعض الآخر أنّ هذا يشير إلى حصار القدس قبل تدميرها سنة 70 للميلاد. وفي هذه الفترة، خزن أهل المدينة ما يكفيهم من الطعام لوقت طويل. ورغم ذلك، فقد تقاتلت الأحزاب اليهودية المختلفة في المدينة مع بعضها إلى درجة دمرّوا فيها مخازن المؤونة التي تملكها الأحزاب المعارضة، ووصل الصراع إلى اقتحام حرم بيت الله وسرقة الزيت والخبز اللّذين خصّصهما رجال الدين قربانا لله.

ويَجُرُّ معهُ العالم السُّفلي. وقد أُذِنَ له أن يَنالَ قُدرةً على إبادةِ رُبعِ سكّانِ الأرض بِالسّيفِ والجوعِ والوباءِ، وبِوُحُوشِ الأرضِ الضّارِيةِ.

17_9 :6

ولمّا فَتَحَ سيِّدُنا عيسى الختمَ الخامِسَ رأيتُ تحت مَحرقةِ القرابين، الأمواتَ الّذين استشهدوا في سَبيلِ رسالةِ اللهِ والشّهادةِ الّتي شهِدُوا بها. فصرخوا بِصوتٍ عظيمٍ قائِلينَ: «يا مَولانا الحقُّ القُدُّوسُ، إلى مَتى تَصبرُ على الّذين سفكوا دماءَنا في تلك الأرضِ؟ متى تنصفُنا وتنتقمُ مِنهم؟» فأهدى إلى كُلِّ واحدٍ مِنهم ثوبًا أبيضَ، وأمرهم أن يَصبِروا حتّى يَكتمِلَ عددُ رِفاقِهم وإخوانهم مِن عِبادِ اللهِ، الّذين سيَستشهدونَ مِثلهُم ويَلتحِقونَ بِهم.

ورأيتُ في رؤياي لمّا فَتَحَ سيِّدُنا عيسى الختمَ السّادِسَ، أنّ الأرضَ تزلزلتِ بشِدّةٍ، واسودّتِ الشّمسُ كرداءِ الحِدادِ، واحمرَّ القمرُ كُلُّهُ بلونِ الدِّماءِ. وسقطتْ نُجومُ السّماءِ إلى الأرضِ كما تسقُطُ الثِمارُ الفَجّةُ مِن التِّينِ عندما تهُزُّها ريحٌ عاصفةٌ هوجاءُ، وطُوِيتِ السّماءُ كطيِّ السِّجلِّ، وانقلعتْ مِن أماكِنِها الجُزُرُ والجِبالُ الشمّاء.

واختبأ مُلوكُ الأرضِ والعظماءُ، والقادةُ والأغنياءُ والزُّعماءُ، والأحرارُ والعبيدُ، اِختبأُوا جميعًا في المَغاراتِ وبين صُخورِ الجِبالِ، وصرخوا لِلجبالِ والصُّخورِ: «اُسقُطي وكوني لنا كالحِجابِ، خبِّئينا عن وَجهِ ربِّ العَرشِ العَظيمِ وعن غَضَبِ المَسيحِ، الذِّبحِ العظيمِ! ها قد حلّ يومُ الحِسابِ، ومَن ذا الّذي يَقوى على الصُّمود أمام غَضَبِ هذا اليومِ العَظيمِ؟»

الفصل السّابع

7: 1_8 ختم عباد الله

ثُمّ رأيتُ بَعدَ هذا أربعةَ ملائِكة يَقِفونَ عِند زَوايا الأرضِ الأربعِ، ويَمنعونَ رِياحَ الأرضِ الأربعِ أن تَهُبَّ وتضرَّ البرَّ والبحرَ والشّجرَ. ثُمّ رأيتُ مَلاكًا خامسًا يأتي مِن الشّرقِ، يَحمِلُ خاتمًا مِن اللهِ الحيِّ الّذي لا يَموتُ، ورفع صوتًا صارمًا إلى الملائِكةِ

الأربعةِ الّذين أذن الله لهم بإلحاقِ الضّررِ بالبرِّ والبَحرِ، وقال لهم: «لا تُلحِقوا الأذى بالبرِّ والبَحرِ والشّجرِ حتّى نَختُمَ عِباد اللهِ الصّالِحينَ على جِباهِهم، علامةً على أنّهم في حِمايتِهِ تَعالى». وسَمِعتُ عددَ الّذين خُتِموا مِن قَبائِلِ بني يعقوب، فكان عددهم مِئة وأربعة وأربعِينَ ألفًا.[1]

وخُتِمَ مِن قَبيلةِ يَهوذا اثنا عشر ألفًا، وخُتِم العددُ نفسه مِن كلِّ القَبائلِ الأُخرى: رَأوبِينَ وجَاد وأَشير ونَفْتالي ومَنَسَّى وشِمْعونَ ولاوي ويَسَّاكَر وزَبولونَ ويوسِف وبِنْيَمينَ.

7: 9-17 جمهور غفير في ثياب بيضاء

ثُمّ نظرتُ، فرأيتُ جُمهورًا غَفيرًا لا يُمكن عدّهُ، يَتكوّنُ مِن أُناسٍ مِن كُلِّ أُمّةٍ وقَبيلةٍ وشعبٍ ولُغةٍ يَقِفونَ أمام العَرشِ وأمام سيِّدِنا عيسى، الذِّبحِ العَظيمِ، ويَلبَسونَ حُللاً بَيضاءَ ويُلوِّحونَ بسعفِ نَخيلٍ فرحًا بِنَصرِ اللهِ المُبينِ. وكانوا يَهتِفونَ بِصوتٍ عالٍ: «لقد نَصَرَنا اللهُ رَبُّ العَرشِ بسيّدِنا عيسى الذِّبحِ العَظيمِ». وكان الملائكةُ كلُّهُم يُحيطونَ بالعَرشِ والشُّيوخِ والكائناتِ الحَيّةِ الأربعةِ، فركعُوا جميعًا أمام العَرشِ وانحنَوا للهِ ساجِدينَ. وقالوا: «آمين! ربّنا لك الحَمدُ والإكرامُ، والحِكمةُ والشُّكرُ والاحترامُ، والقُوّةُ والعِزّةُ إلى أبدِ الآبدينَ. آمين».

فسألني أحدُ الشّيوخِ الحاضِرينَ: «هل عرِفتَ مَن يكونُ هؤلاءِ المُتسربلونَ بِثيابٍ بَيضاءَ، ومِن أيِّ مَكانٍ جاؤوا؟» فأجبتُهُ: «أنت أعلمُ يا سيِّدي!» فقال لي: «هؤلاءِ هُمُ الّذين نَجَوا مِن المِحنةِ الشّديدةِ، وثِيابُهم البَيضاءُ هي إشارةٌ إلى أنّ سيِّدَنا عيسى، الذِّبحَ العَظيمَ، قد ضَحّى بِدمِهِ الزّكيّ من أجلِهم فاستجابُوا لهُ وأصبَحوا طاهِرينَ مِن ذُنوبِهم، لهذا هُم يقِفونَ أمام عَرشِ اللهِ ليلاً نهارًا يَعبدونَهُ في بيتِهِ المُقدَّسِ، وربُّ العَرشِ يُظلِّلُهُم برعايتِهِ.[2] فلن يَصيبهم الجُوعُ أو العطشُ بعد الآن، ولن تحرِقهم الشّمسُ ولا

---

(1) لقد فاق العدد الحقيقي العدد المذكور هنا، ولكن يوحنّا استعمل الرقم الرمزي المئة وأربع وأربعين ألفا (144000)، ويعني بذلك قبائل بني يعقوب الاثنتي عشرة، وهذا العدد هو نتيجة لـ 1000 ضارب 12 والنتيجة ضارب 12 مرّة أخرى فتتحصّل على 144000. وكان رقم 12 يعتبر رقم الكمال، ويمثّل الرقم النهائي العدد الكامل الذي لا يعدّ ولا يحصى لأمّة الله.

(2) كلما أشار يوحنّا إلى بيت الله في كتاب الرؤيا، استعمل الكلمة التي تشير إلى المبنى الرئيسي لبيت الله، حيث حلّت تجلّيات الله، ولا تشير تلك الكلمة إلى الساحة المقدّسة المحيطة بالبيت.

أيِّ وَهجٍ. ذلك أنّ سيِّدَنا عيسى، الذِّبحَ العَظيمَ الّذي يَتَصدّرُ العَرشَ يَرعاهُم، ويَهديهِم إلى يَنابيعِ ماءِ الخُلودِ، ويَمسحُ اللهُ عنهُم كُلَّ دَمعةٍ يَذرفونَها».

الفصل الثّامن

8: 1-5 سيّدنا يفتح الختم السّابع والأخير

ولمّا فَتَحَ سيِّدُنا عيسى، الذِّبحُ العَظيمُ، الختمَ السّابع حَلَّ صمتٌ مَهيبٌ بين جميعِ مَن في السّماءِ ما يُقاربُ نِصفَ ساعةٍ. ورأيتُ أنّ اللهَ قد أعطى بوقًا لِكُلِّ واحدٍ مِن الملائِكةِ السّبعةِ الكِبارِ المُقَرّبينَ مِن عَرشِه تعالى.

وجاء ملاكٌ آخرُ يَحمِلُ معهُ مِبخرةً مِن ذهبٍ، ووَقَفَ عِند مَوقِدِ البَخورِ. وأعطاهُ اللهُ بَخورًا كثيرًا لِيُقدِّمهُ على المَوقِدِ الذّهبيِّ أمام العَرشِ مع دُعاءِ الصّالحينَ. فتَصاعَدَ مِن يدِ الملاكِ دُخانُ البَخورِ ومعهُ دُعاءُ الصّالِحينَ إلى حَضرةِ اللهِ. ثُمّ أخذ الملاكُ المِبخرةَ عينَها وملأها جمرًا مِن الموقِدِ وألقاها إلى الأرضِ، وحينها حدثت رُعودٌ وأزيزٌ وبروقٌ وزِلزالٌ عظيمٌ.

8: 6-13 الملائكة تنفخ في الأبواق

واستعدّ الملائِكةُ السّبعةُ للنّفخِ في الأبواقِ الّتي معهُم. ولمّا نفخ الملاكُ الأوّلُ في بوقِه، هَبَطَ على الأرضِ بردٌ ونارٌ وقد خُلطا دمًا، فاحترق ثُلُثُ الأرضِ وثُلُثُ الأشجارِ وكُلُّ عُشبٍ أخضر.

ولمّا نَفَخَ الملاكُ الثّاني في بوقِهِ، أُلقِي في البِحارِ شيءٌ غَريبٌ كأنّهُ جبلٌ كبيرٌ يَشتعِلُ نارًا، فصبغ ثُلُث البِحارِ دمًا، ومات ثُلُثُ ما في البحرِ مِن الكائناتِ الحيّةِ، وتحطّم ثُلُثُ السُّفُنِ.

= وتحمل هذه الإشارة أهمية كبرى إذ لم يكن يسمح لعامّة الناس بالدخول إلى المكان المقدّس في المبنى الرئيسي، في حين كان يُسمح بالدخول لرجال الدين من عشيرة لاوي فقط. واستعمل يوحنّا هذا المصطلح ليؤكّد على أنّ احتكار حضرة الله لم يعد مقتصرا على جماعة دون أخرى، فكلٌّ من ينتمي إلى ميثاق الله الجديد يكون في مقام رجل دين عند الله.

ونَفَخَ الملاكُ الثّالثُ في بوقِهِ، فهَوى نجمٌ عظيمٌ مِن السّماءِ، يتّقِدُ كأنّهُ شُعلةٌ مِن نارٍ، هَوى على ثُلُثِ الأنهارِ، وعلى ينابيعِ الماءِ. ويُسمّى هذا النّجمِ: «الزّقُّومُ» وجعل ثُلُثَ الماءِ مُرًّا كالزّقُّوم، وهَلَكَ كثيرٌ مِن النّاسِ بعد أن شربوا مِنهُ.

ونَفَخَ الملاكُ الرّابعُ في بوقِهِ، فأُصيب ثلثُ الشّمسِ وثُلُثُ القمرِ وثُلُثُ النُّجومِ، فحَلَّ الظّلامُ، وغابَ النُّورُ عن ثُلُثِ النّهارِ، وحلّ الدّيجورُ على ثُلُثِ اللّيلِ.

ولمحتُ في الرُّؤيا نِسرًا يَطيرُ في السّماءِ ويَصيحُ بصوتٍ عالٍ: «الويلُ، الويلُ، الويلُ لكلِّ سُكّانِ هذِهِ الأرضِ حِين يَنفُخُ الملائِكةُ الثّلاثةُ الباقونَ في أبواقِهِم!»

الفصل التّاسع

9: 1ـ11

ثُمّ نَفَخَ الملاكُ الخامِسُ في بوقِهِ، فرأيتُ نَجمًا قد هَوى مِن السّماءِ إلى الأرضِ، وكان النّجمُ ملاكًا أعطاهُ اللهُ مِفتاحَ دَركات الأرض السُّفلى.[1] فلمّا فَتحَ الملاكُ الهُوّةَ السَّحيقة، تَصاعَدَ مِنها دُخانٌ كأنّهُ دُخانُ أتُونٍ كَبيرٍ، فأظلمتِ الشّمسُ والجوُّ بسببِ هذا الدُّخانِ الكثيف. وخَرَجَ مِن الدُّخانِ جَرادٌ، غَشِيَ الأرضَ وغطّى أديمَها، وأُذِنَ له أن يَلسَعَ كالعقارِبِ. ومُنع هذا الجَرادُ من إيذاء عُشبِ الأرضِ والزّرعِ والشّجرِ، وأُذن له بإيذاء الّذين لا يَحمِلونَ ختمًا مِن اللهِ على جِباهِهِم فقط. ولا يقتلهم بل يعذّبهم عذابَ لسعةِ عَقربٍ خمسةَ أشهُرٍ. وفي تلك الأيّام سيَسعى النّاسُ وَراء الموت دون جَدوى، إذ سيفلتُ منهم مَهما لَهَثوا وَراءه.

وكان الجَرادُ فظِيع المَنظرِ، يُشبِهُ الخيلَ المُجهّزةَ لِلقتالِ، وكأنّ تِيجانًا مِن ذهبٍ على رأسِهِ، ووجهُهُ يُشبِهُ وجهَ البشرِ. وكان لهُ شَعرٌ كشعرِ النِّساءِ وأسنانُهُ كأنيابِ الأُسودِ. وعلى صُدورِهِ دُروعٌ كأنّها مِن حَديدٍ، وصوتُ أجنحتِهِ كصوتِ مَركباتِ الجيادِ الكثيرةِ

[1] الهوّة السحيقة المشار إليها هنا تعني المكان الذي فيه يُسجن بعض الجن والشياطين ويعاقبون هناك إلى يوم الحساب، ثمّ يرميهم الله في النار. واعتقد الناس في هذا العصر أنّ الشياطين يعيشون تحت الأرض في مكان يطلقون عليه «الهوّة»، واعتقدوا أنّ النجوم كائنات حيّة مثل الملائكة.

حِين تعدُو إلى القِتالِ. وكان لهُ ذُيولٌ بها أذنابٌ كإبرِ العقارِبِ، ويُمكنه أن يُلحقَ العذابَ بالنّاسِ طِيلة خمسةِ أشهُرٍ. وكان ملاكُ الهُوّة ملِكًا على الجَراد، واسمُهُ بالعِبريّةِ: «أبدُّونُ»، وبِاليونانيّةِ: «أبولِّيُّون»، أي: مُهلِكُ الأرضِ.

9: 12ـ21

ها قد مَضى الويلُ الأوّلُ، وسيَلحقُهُ الويلُ الثّاني فالثّالث.

ونفخ الملاكُ السّادِسُ في بوقِهِ، فسَمِعتُ صوتَ هاتِفٍ مِن أطرافِ مَوقِدِ البَخورِ الذّهبيِّ في حَضرةِ عرشِ اللهِ. وأمر الهاتِفُ الملاكَ السّادِس صاحِبَ البوقِ قائلاً: «فُكَّ الملائِكة الأربعة المُقيَّدين عِند نهرِ الفُراتِ العظيم». وهُم الّذين عيّنهمُ اللهُ لِهذِهِ السّنةِ ولِهذا الشّهرِ ولِهذا اليوم ولِهذِهِ السّاعةِ، فانفكّت عنهُمُ القُيودُ كي يقتُلوا ثُلُث النّاسِ. وسَمِعتُ عددَ فُرسان الملائكة الأربعة، إذ قارب مِئتي مِليُون. وفي رُؤياي لمحتُهم وجيادهم يَلبَسونَ دُروعًا حَمراءَ كلونِ النّارِ وداكنةً كَلونِ الدُّخانِ وصَفراءَ كَلونِ حَجرِ الكِبريتِ. وكانت رُؤُوسُ الجياد تُشبِهُ رُؤُوسَ الأُسودِ، وتقذِفُ مِن أفواهِها نارًا ودُخانًا وحَجرَ كِبريتٍ مُشتعِلاً. فهلك ثُلُثُ النّاسِ بِهذِهِ البلايا الثّلاثِ الّتي كانت تخرُجُ مِن أفواهِ الخيلِ. وكانت تملكُ قوّةً قاتلةً تَخرُجُ مِن أفواهِ الجيادِ وأذنابِها الّتي تُشبِهُ الأفاعي ذات الرُّؤُوسِ لإيذاءِ النّاسِ.

غير أنّ مَن نَجا مِن النّاسِ مِن هذِهِ البلايا لم يتُب عن خطاياهُ بل ظلَّ يَسجُدُ لِلشّياطِينِ والأصنامِ المَصنوعةِ مِن الذّهبِ والفِضّةِ والنُّحاسِ والحَجرِ والخشبِ، رَغم أنّها لا تَرى ولا تسمعُ ولا تتحرّكُ! ولم يَتوبوا عن القتلِ والسّرقةِ والسِّحرِ والفحشاءِ.

الفصل العاشر

10: 1ـ7 الملاك والكتاب الصّغير

ثُمّ رأيتُ ملاكًا آخر قوِيًّا يَنزِلُ مِن السّماءِ وتُحيطُ بِهِ سَحابةٌ، وعلى رأسِهِ قوسُ قُزحٍ، ووجهُهُ يتلألأ كالشّمسِ، ورِجلاهُ كعمودينِ مِن نارٍ، وفي يدِهِ كِتابٌ صغيرٌ مَفتوحٌ. ثُمّ وقف ووضع رِجلَهُ اليُمنى على البحرِ ورِجلَهُ اليُسرى على البرِّ، وصَرخَ صرخةً عَظيمةً

تُشبهُ زئيرَ الأُسودِ. وردّت بَعدَهُ أصواتُ الرُّعُودِ السّبعةِ.[1] ولمّا أشرعتُ قلمي لأكتُبَ ما قالتْهُ الرُّعُودُ السّبعةُ، جاءني صوت هاتف مِن السّماءِ يَقول: «لا تكتُب ما نطقتْ بِهِ الرُّعودُ، بل عليك كتمانهُ».

ورأيتُ الملاكَ الواقِفَ على البرِّ والبَحرِ يَرفعُ يدهُ اليُمنى نَحوَ السّماءِ. ويُقسِمُ بِالحيِّ الّذي لا يَموتُ، خالِقِ السّماءِ والأرضِ والبَحرِ وكُلّ ما فيها، ثُمّ قال: «لا مُهلةَ بعد الآن، فعندما ينفُخُ سابِعُ الملائِكةِ في بوقِهِ العَظيمِ، يتحقّقُ سِرُّ اللهِ المَكتومُ، كما أوحى إلى الأنبياءِ مِن عِبادِهِ».

11-8 :10

وجاءني من السّماء مَرّةً أُخرى ذلِك الصّوتُ وقال: «اِذهب وخُذِ الكِتابَ المَفتوحَ الّذي يَحمِلُهُ الملاكُ الواقِفُ على البَحرِ والبرِّ».

فذهبتُ إلى الملاكِ وطلبتُ مِنهُ الكِتابَ الصّغير. فقال لي: «إليك هذا الكِتابُ، كُلْهُ، فيَكونُ في حَلقِك عسلاً، ويَكونُ علقمًا في جوفِك». فأخذتُ الكِتابَ الصّغيرَ مِن يدِ الملاكِ وأكلتُهُ، فكان حُلوًا كالعسلِ في فَمي، ومُرًّا كالعَلقم في جَوفي. ثُمّ أوحى اللهُ إليّ: «عليك أن تتنبّأ مرّةً أُخرى بشأنِ العديد مِن الشّعوبِ والأُممِ واللُّغاتِ والمُلوكِ».

---

(1) من المرجّح أنّ عبارة «أصوات الرعود السبعة» ليست غريبة على قرّاء هذه الرسالة. وقرَنَ بعض الباحثين هذه العبارة بما جاء في الزبور في المزمور التاسع والعشرين حيث وصفت العاصفة الرّعدية بـ«صوت المولى»، وتكرّر هذا الوصف سبع مرات في هذا المزمور.

الفصل الحادي عشر

11: 1ـ14 الشّاهدان

ثُمّ أعطاني اللهُ عصًا طوِيلةً لِلقِياسِ، وأوحى إليّ قائِلاً: «عليك أن تذهبَ وتقيس بيتَ اللهِ ومَحرقةَ القرابين، واحصِ عددَ العابِدِينَ هُناك. ولا تقِسِ الحرمَ الخارجيّ للبيتِ، فقد خُصّص للأُمم الضّالةِ الّتي ستَدُوسُ المَدينةَ المُقدَّسةَ تحت أقدامِها ثلاث سنين ونِصف».[1] وأوحى إليّ أيضًا: «سأُرسِلُ لِلنّاسِ شاهِدينِ اثنينِ،[2] يَلبَسانِ الخَيشَ حُزنًا على ضَلالِ النّاسِ، وسيتنبّآنِ ثلاث سنِين ونِصف».

وسيَقِفُ هذانِ الشّاهِدانِ في مَحضرِ ربِّ الأرضِ كُلِّها، وسيَكونان كشجرتي زيتُونٍ ومِصباحينِ عند ربِّهِما.[3] فإن حاولَ أحدٌ أن يُلحِقَ الأذى بِهِما، خَرجَت نارٌ مِن أفواهِهما

---

(1) تحدث سيدنا عيسى أيضا عن القدس التي داسها غير اليهود فترة من الزمن (انظر لوقا، 21: 24). ورد ذكر عدد ثلاث سنين ونصف في هذا الموقع (أو 42 شهراً في النص اليوناني) وورد أيضا في الرؤيا (13: 5) حيث طغى الوحش على الناس في تلك الفترة. ويرمز هذا الرقم إلى فترة حدّدها الله (وغالبا ما تحلّ فيها محنة وابتلاء)، وجاء ذكرها في البداية من كتاب النبي دانيال (7: 25)؛ (12: 7). ووُصفت هذه الفترة بطريقة مختلفة في كتاب الرؤيا، أي 1260 يوم بدل ثلاث سنين ونصف (الرؤيا 11: 3؛ 12: 6) كما وُصفت بـ «زمن، وزمنين، ونصف زمن» (12: 14). وقد استعمل يوحنّا رقم ثلاثة ونصف للدلالة على عدد الأيام الواقعة بين موت النبيين الشاهدين وصعودهما (11: 9، 11). ومن المرجّح أنّ ما تشير إليه عبارة «زمن، وزمنين، ونصف زمن» يدفع إلى الغموض عمدا. وتحمل هذه الدلالة معنى معين ولكنه غامض في الوقت نفسه. وعدد «ثلاث سنين ونصف» ينتمي إلى فترة زمنية أطول وتساوي سبع سنوات وهذا الرقم يدلّ على الأبدية، غير أنّ هذه السنوات انقسمت نصفين فجأة.

(2) لا توجد إشارة واضحة إلى هوية هذين الشاهدين. وتشترك شجرة الزيتون هنا في الرمز مع ما جاء في رؤيا النبي زكريّا بن بركيّا (زكريا، 3: 4؛ 3: 11 – 14) وفيها ذكر للملك وكبير الأحبار، على أنّهما القائدان المختاران اللذان سيوظفهما الله تعالى لتجديد بيته المقدّس وشعب ميثاقه. وتشبه الأعمال الخارقة التي جاء ذكرها في 11: 5 – 6 عقاب الأعداء الذي نفّذه النبي إلياس (انظر كتاب الملوك الثاني 1: 10؛ وكتاب الملوك الأول، 17: 1) شأن النبي موسى (انظر التوراة، سفر الخروج، 7: 17 – 19). وربّما تضمّنت صورة الشاهدين إشارة إلى شهادة أتباع السيد المسيح (أي جماعة الله) وقد وصفهم الحواري بطرس الصخر بأحبار الملك العظيم (انظر رسالة صخر الأولى 2: 9).

(3) انظر الفصل الرابع من كتاب النبي زكريّا.

وقضَت على أعدائِهما. هكذا يُهلكُ اللهُ كُلَّ مَن يَسعى لإيذائِهما. فهُما يَملِكان قُدرةً تُضاهي قُدرة النّبيِّ إلياس لغَلقِ السّماءِ وحبس هُطولِ المَطرِ في الزّمنِ الّذي فيهِ يتنبّآنِ. ويَملِكان قُدرةً بها يُحوّلان المياهَ إلى دِماءٍ شأن النّبيّ موسى، وبها يُنزلان كُلَّ أنواعِ البلايا على النّاسِ مَتى أرادا.

وحِين يُكمِلُ الشّاهدان شَهادتَهما، يَصعدُ مِن الهُوّةِ السَّحيقة وَحشٌ فيُعلِن عليهما الحربَ فيغلبهُما ويقتلهُما.[1] عندئذٍ تُطرحُ جُثّتاهما في ساحةِ المَدينةِ العظيمةِ حيثُ صُلِبَ مولاهُما (سلامُهُ علينا). وهذهِ المَدينةُ تُسمّى على سَبيلِ الرّمزِ مَدينة قوم لوطٍ سَدُوم، أو مِصر أيّام فِرعون. ويَبقى النّاسُ مِن كُلِّ الشُّعوب والقبائِلِ واللُّغاتِ والأُمَمِ في العالم يُحْدِقونَ بجُثّتَيْهما ثلاثة أيّام ونِصف ويَمنعونَ كُلَّ مَن أراد دفنَهُما. ويتشفّى بموتِهِما أهلُ الدُّنيا ويبتهجونَ ويتبادَلُونَ الهدايا ويَحتفِلونَ، إذ أنزل هذانِ النبيّانِ العذابَ على أهلِ الأرضِ كُلِّها.

وبَعد مُرورِ ثلاثةِ أيّام ونِصفٍ على موتِ النّبيّين، بَعَثَ اللهُ فيهِما الرُّوحَ فعادا إلى الحَياةِ، ووَقَفا على أقدامِهِما، فارتاع كُلُّ المحْدِقينَ بهما. ثُمّ جاءَهُما مِن السَّماءِ صوتُ هاتفٍ عظيم: «اِصعدا إلى هُنا!» فصَعِدا إلى السّماءِ في سَحابةٍ بينما كان أعداؤهُما يشاهدونَهُما.

ووقع زِلزالٌ عنيفٌ لَحظةَ رفعهما إلى السّماءِ، دُمّر فيه عُشرُ المَدينةِ، ومات سَبعةُ آلافِ شَخصٍ. فارتعب النّاجون وسبّحوا ربَّ العالَمينَ خوفًا ورَهبةً. ها قد مَضى الويلُ الثّاني وأصبح الويلُ الثّالثُ على الأبوابِ.

11: 15–19 البوق السّابع والأخير

ثُمّ نَفَخَ الملاكُ السّابعُ في بوقِهِ، فتعالت أصواتُ الملائِكةِ في السّماءِ قائلةً: «لقد صارت كُلُّ مَمالكِ العالم مَملكةَ للهِ ولِلسّيِّدِ المَسيحِ، وهي مُلكٌ لله إلى أبدِ الآبدِينَ». وقام الشُّيوخُ الأربعةُ والعِشرونَ عن عروشِهم وسَجَدوا لله في الملإِ الأعلى وتعبّدُوه، وقالوا: «اللهُمّ، إنّك على كلّ شيء قَدير! يا حيُّ يا قيّومُ مُنذُ الأزلِ وإلى الأبدِ، نحمدُك

(1) جاء في بداية الفصل الثالث عشر من كتاب الرؤيا وصف مفصّل لهذا الوحش. وعند مقارنة هذه الآية بما جاء في الآية 13: 1 نلاحظ أنّ ذكر «الهوّة السحيقة» هنا، يحيل إلى المياة العميقة. وقد اعتقد القدامى أنّ البحار بأعماقها المجهولة مصدر لشرور غير مألوفة.

لأنّك أظهرتَ سُلطانَك العظيم، وأسّستَ مَملكتَك المَوعودةَ بين النّاسِ. لقد غَضِبَتْ الأُممُ الضّالّةُ، وها قد حان يومُ غَضبِك، وآن أوانُ حِسابِ الأمواتِ وجَزاءِ الأنبياءِ والأولياءِ مِن عِبادِكَ، وكلِّ الّذين يَهابونَ اسمَك صِغارًا وكِبارًا، أمّا الّذين أهلكوا الأرضَ فتُهلكهم».

ثُمّ انفتح حِجابُ المِحرابِ الأقدسِ في بيتِ اللهِ في السّماءِ، وظَهَرَ داخِلهُ صُندوقُ مِيثاقِ اللهِ،[1] وانفلقتْ بُروقٌ وأزيزٌ ورُعودٌ، وزِلزالٌ، وانهال بَرَدٌ شديدٌ.

الفصل الثّاني عشر

12: 1ـ6 المرأة والتّنين

وظَهَرَتْ في السّماءِ آيةٌ عَظيمةٌ: امرأةٌ تَلتحفُ الشّمسَ، والقمرُ تحت قدميها، وعلى رأسِها تاجٌ يتألّفُ مِن اثني عشر نجم.[2] إنّها حُبلى، وإذا بالمَخاضِ يُفاجئها فصَرَخَت مِن آلامِ الوضعِ. ثُمّ ظَهَرَتْ في السّماءِ آيةٌ أُخرى: تِنّينٌ أحمرُ عَظيمٌ، لهُ سَبعةُ رُؤوسٍ تَعلوها تيجان وعشرةُ قُرونٍ، جَرَّ بذيلِهِ ثُلُثَ نُجومِ السّماءِ وأسقطَها إلى الأرضِ. ووَقَفَ أمام المَرأةِ يَنتظِرُ لَحظةَ وِلادتِها كي يَلتهِمَ طِفلَها.[3] فوَلَدَتِ المرأةُ ابنَها، إنّهُ سيِّدُنا عيسى

---

(1) صندوق الميثاق هو الصندوق الخشبي الكبير الذي أمر الله النبي موسى بصنعه (انظر التوراة، سفر التثنية، 10: 1 – 2). ويرمز إلى تجلّيات الله بين الذين يعبدونه. وربّما يكون الصندوق المادي الملموس قد تحطّم عندما أمر نبوزردان قائد حرس ملك بابل جيشه بإحراق بيت الله في القدس (انظر كتاب الملوك الثاني 25: 8 – 10). وجاء ذكر صندوق الميثاق في الرسائل الإنجيلية للدلالة على عهد الله بالتزامه بميثاقه الذي أقامه بينه وبين عباده الصالحين.

(2) جاء في الكتابات اليهودية القديمة أنّ القدس هي بمثابة الأم. فمثلا يصف الله تعالى في كتاب النبي أشعيا معاناة بني يعقوب وأنّها ستكلّل بالبشرى في آخر الأيام لهذه الدنيا وشبّه ذلك بالمرأة الحامل التي وُعدت حقّا بأنها ستضع مولودها (انظر أشعيا، 26: 17 – 27: 1). وترمز الأمّ هنا إلى جماعة المؤمنين بالله. وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الرموز (الشمس والقمر والنجوم) جاءت في الرؤيا الثانية للنبي يوسف ولكنّها تختلف في الدلالة مع ما ذُكر هنا (انظر سفر التكوين، 37: 9 – 10).

(3) جاء في الآية 9 أن التنين هو الشيطان، وربّما أشارت الرؤوس السبعة والقرون العشرة إشارة إلى مدينة روما، التي تمّ بناؤها على سبعة تلال، أو إلى الرجال الذين واظبوا على القتال للسيطرة على الإمبراطورية الرومانية. وربّما ترمز النجوم التي وقعت من السماء إلى أفراد جماعة الله الذين

المَسيح الّذي سيَحكُمُ الأُمَم بِعَصًا مِن حَديدٍ. وعندما أرادَ التِّنِّينُ أن يَبتلِعَهُ تَدَخَّلَ اللهُ ورَفَعَهُ إلى عَرشِهِ في السّماءِ. أمّا المرأةُ فقد هَرَبَت إلى الصّحراءِ، وفيها أعدّ اللهُ لها مَلجأ يَعُولُها فيهِ لِمُدّةِ ثلاث سنِين ونِصفٍ.

12: 7ـ18

ونَشَبَت حربٌ في السّماءِ وفيها كان كبيرُ الملائكةِ مِيخائِيلُ يَقودُ مَجموعةً مِن الملائكةِ لمُحاربةِ التِّنّين ومَن معه مِن الملائِكة المُتمرِّدينَ، ولكِنّهُم ولَّوْا مُنهزِمينَ، إذ طَرَدَ مِيخائِيلُ ومَن معهُ مِن الملائِكةِ التِّنّين والشّياطِين مِن السّماءِ، وتمّ رَميهُم إلى الدّركِ الأسفلِ. والتِّنِّينُ الكبيرُ هُو الثُّعبانُ القدِيمُ، الّذي يَقودُ العالَمَ كلَّهُ إلى الضّلالِ، واسمُهُ إبليسُ أوِ الشّيطانُ. وسَمِعتُ هاتِفًا من السّماءِ يُنادي بِصوتٍ عالٍ: «اليومَ هُو يَومُ الفوزِ العَظيم، وفيهِ تَجلّت قُدرةُ ربِّنا ومَلَكوتُهُ، ومِن الآن يُمارِسُ مُختارُهُ السّيّدُ المَسيحُ السُّلطانَ على الأرضِ، بَعدَ أن طُرِحَ الشّيطانُ مِن السّماءِ، إذ لم يَنفكّ عن اتِّهامِ إخوانِنا ليلاً نهارًا في حَضرةِ اللهِ. ولكنّهم انتصروا عليهِ بِفَضلِ دم سيِّدِنا عيسى، الذِّبحِ العَظيم، وبِشَهادتِهم الّتي قدّموها، فحياتُهم لم تكن عَزيزة عليهم حتّى أمام الموتِ. فابتهِجوا يا ملائِكة السّماءِ! أمّا أنتم يا أهل الدُّنيا فيا لَشقائِكُم، لأنّ إبلِيسَ نَزَلَ بِغَضبٍ شَديدٍ على مَن في البَرِّ والبَحرِ، وهُو يَعلمُ أنّ زمنَ حِسابِهِ بات وشيكًا».

وحِين أبصر التِّنِّينُ أنّه طُرِح مِن السّماءِ إلى الأرضِ، لجّ في مُطاردةِ المرأةِ الّتي ولدتْ ابنها البُشرى، فوَهَبَها اللهُ جَناحي نِسرٍ عَظيم كي تَطيرَ إلى مَلجإ أعدّهُ لها في الصّحراءِ لِتَعيش فيهِ ثلاث سِنينَ ونِصف بَعيدًا عنِ التِّنِّين. ثُمّ حاولَ التِّنِّينُ أن يُغرِقَ المرأةَ بفَيضٍ مِن المِياهِ قَذَفَهُ مِن فَمِهِ خلفها. فأغاثتِ الأرضُ المرأةَ وابتلعتِ النّهرَ الّذي لَفَظَهُ التِّنِّينُ! ثُمّ ازدادَ غَضَبُهُ على المرأةِ فراحَ يُحارِبُ أولادَها المؤمنين، الّذين يُطيعونَ وَصايا اللهِ ويَعملونَ بِرِسالةِ سيِّدِنا عيسى. ثُمّ قَرَّرَ التِّنِّينُ أن يَقِفَ على شاطِئِ البَحرِ.

= اضطهدهم الشيطان، وذلك استنادا إلى الصورة المجازية المشابهة الواردة في كتاب النبي دانيال (8: 10). ويرمز الطفل حديث الولادة الذي أراد التنين التهامَه إلى سيدنا عيسى (سلامه علينا).

الفصل الثّالث عشر

13: 1ـ10 خروج وحش البحر

ثُمّ رأيتُ وَحشًا يَخرُجُ مِن البَحرِ، لهُ من القُرون عشرة، يَعتلي تاجٌ كُلّ قَرنٍ مِنها، وسَبعةُ رُؤوسٍ كُتِب على كُلِّ رأسٍ مِنها أسماء كُفر.[1] وهذا الوَحشُ يُشبِهُ الفهدَ، وأرجُلُهُ كأرجُلِ الدُّبِّ، ولهُ فمٌ كفمِ الأسدِ. وأعطاهُ التّنّينُ اللعينُ قُدرة وعَرشًا وسُلطةً عَظيمةً، ورأيتُ أحدَ رُؤُوسِ الوَحشِ وَكأنّ جُرحًا قاتلاً أصابَها، لكِنّه شُفي. فتعجّبَ أهلُ الدُّنيا كُلِّها وتبِعُوا الوَحشَ. وسَجَدَ النّاسُ لِلتِّنّينِ، لأنّهُ أعطى الوحشَ السُّلطانَ المُبين، وسَجَدوا لِلوَحشِ أيضًا قائِلين: «مَن ذا الّذي يُشبِهُ هذا الوَحشَ في قُوّتِهِ؟ ومَن يَقدِرُ على تحدِّيهِ؟»

وأُذِن للوَحشِ أن يَتباهى بِنفسِهِ ويكفُرَ باللهِ، وأن يَحكُمَ بسلطانهِ ثلاث سنوات ونصفٍ. فأخذ يكفُرُ باللهِ ويُهينُ اسمَهُ الكريم وحَرَمَهُ الشّريف وأولِياءَهُ في السّماءِ. وأُذِن لهُ أن يُحارِبَ عِبادَهُ الصّالِحينَ ويَغلِبهُم، كما أُذِن لهُ أن يَتسلّطَ على كُلِّ القبائِلِ والشُّعوبِ واللُغاتِ والأُمم. فسَجَدَ لهُ أهلُ الدُّنيا جميعًا، إلاّ الّذين كُتِبَت أسماؤهم مُنذُ خلقِ العالَمينَ في سِجلِّ الخُلدِ، سِجلِّ سيِّدِنا عيسى، الذِّبحِ العَظيم. يا أولي الألباب! اصغوا وافقهوا! فمَن كُتِب لهُ الأسرُ فسيُساقُ إلى الأسرِ، ومَن كُتِب لهُ الموتُ بِالسّيفِ، فسيَلقى الموتَ بالسّيفِ. فعلى عِبادِ اللهِ الصّالِحين في هذِهِ الأحوالِ أن يَصبِروا على مِحنِهِم ويتمسّكُوا بإيمانِهِم.

---

(1) هاجم جيوش الإمبراطورية الرومانية خلال السفر بحرا أجزاء ممّا يُعرف بتركيا اليوم. وربّما يرمز الوحش الذي تمّ وصفه وهو خارج من البحر إلى الإمبراطورية الرومانية. وقد منح التنين أو الشيطان قوّة لهذا الوحش. وقد ترمز الرؤوس والقرون والتيجان إلى الأباطرة الرومان الذين طالبوا الناس كفرا أن يعبدوهم كآلهة. وكانت عبادة الإمبراطور مطلوبة من جميع المواطنين باستثناء اليهود. وفي حزيران/ جوان سنة 68 للميلاد توفي نيرون بعد أن أصاب نفسه بجرح قاتل. وبعد انتهاء مراسم جنازته، شاع بين المقاطعات الشرقية خبرٌ مفاده أنّ نيرون ما زال حيّا وقد اختبأ عن الأنظار. ومن الواضح أنّ يوحنّا لم يصدق أنّ نيرون عاد من بين الأموات ولكن الأسطورة التي تقول أنّه نجا من الموت أو تمّت إعادته إلى الحياة أصبحت فكرة ثابتة في مخيّلة الناس، ويبدو أنّ يوحنّا استعملها للدلالة على تجدّد سياسة نيرون وتعزيزها في ما يتعلّق بتعذيب المسيحيين واضطهادهم، وهذا ما كان يحدث غالبا في فترة حكم الإمبراطور دوميتيان.

13: 11-18 خروج دابّة الأرض

ثُمّ رأيتُ وَحشًا آخر يَخرُجُ مِن الأرضِ، وكان لهُ قرنانِ يُشبِهان قرنَيْ كبشٍ، لكِنّهُ كان يَتكلّمُ كالتِّنّينِ.[1] وكان يَنُوبُ وَحشَ البحرِ ويَحكُمُ بِاسمِهِ، فأجبَرَ الأرضَ ومَن عليها على السُّجودِ لِلوحشِ الأوّل الّذي شُفي جُرحُهُ القاتل. وأتى هذا الوَحشُ، أي دابّةُ الأرضِ، بِمُعجزاتٍ خارِقة، فأنزل نارًا مِن السّماءِ على الأرضِ أمام أنظارِ النّاس. وأُذِن لدابّةِ الأرض أن تُجري هذِهِ المُعجزاتِ نِيابةً عنِ وَحش البَحر، فأضلّت كُلَّ أهلِ الأرضِ، ثمّ أمرتْ أهلَ الأرضِ أن يُقيموا تِمثالاً لِتكريم وَحشِ البَحرِ الّذي جُرِح بالسّيفِ ورغم ذلك بَقِي على قيدِ الحياةِ. وأُذِن لِدابّةِ الأرضِ أن تبعثَ الحياةَ في تِمثالِ وَحشِ البحر، فتكلّمَ التّمثالُ وأمَرَ أن يُقتل كُلُّ مَن رَفَضَ السُّجُودَ لهُ. وأجبَرَتْ دابّةُ الأرض النّاسَ جميعًا، صِغارًا وكِبارًا، أغنِياءَ وفُقراءَ، أحرارًا وعَبيدًا، أن يَحمِلوا علامةً على أيدِيهِم اليُمنى أو على جِباهِهِم،[2] فلا يَحقُّ البيعُ أو الشِراءُ إلاّ لحامِلِ علامةِ وحش البحر، وتكون العلامةُ بمَثابةِ اسم له، وتَحدِيدًا الرّقم الّذي يَرمُزُ لاسمِهِ اللّعِين.[3] فانتبهوا يا أُولي الألبابِ: إنّ على الأذكِياءِ مِنكُم فكّ شِفرةِ اسم وحشِ البحرِ، فعددُ حُروفِهِ في الحقيقةِ يُساوي عددَ حُروفِ اسم شَخص مُعيّن، وسيَتَوَضّحُ الاسمُ المُشارُ إليهِ إذا فكّوا شفرةَ رقمِهِ، والرّقمُ هُو «سِتُّ مِئةٍ وسِتّةٌ وسِتُّونَ».[4]

---

(1) ترمز القرون هنا إلى القوة. ولكن الوحش هنا له قرنان مثل الحمل، وربما أراد هذا الوحش إيهام الناس بعدم خطورته. ومن المرجَّح أنّ هذا الوحش يرمز إلى الحاكم الروماني في شرق الإمبراطورية (ربّما كان الحاكم المقيم في مدينة أفاسوس، انظر الملاحظة في 2: 1) الذي أجبر أتباع السيد المسيح على المشاركة في مراسم عبادة الإمبراطور.

(2) نُقشت صورة الإمبراطور الروماني على التاج الذهبي للحاكم المحلّي لمقاطعة آسيا وكان يضعه على جبهته، بينما يضع في إصبع يده اليمنى خاتماً نقشت عليه الصورة نفسها. وتعوّد الحاكم المحلّي خلال المباريات الملكية أن يختم بهذا الخاتم كلّ الذين يعبدون الإمبراطور، وبذلك يصبحون ملكا له.

(3) حملت النقود الرومانية صورة الإمبراطور وألقابه التي زعمت ألوهيته، وكانت كتابة هذه الألقاب تُختصر حسب حجم القطعة النقدية. وتداول الناس هذه النقود بأمر من الحاكم المحلي. ولا يمكن لأحد أن يبيع أو يشتري دون هذه النقود. واُعتُبر الإقبالُ على استخدام هذه النقود قبولا بعبادة الإمبراطور وهذا ما اعتبره أتباع السيد المسيح كفرا.

(4) من المرجّح أنّ الناس في زمن يوحنّا كانوا على دراية بتفسير الأرقام وتأويلها، وكانوا قادرين على إبراز معنى الرقم المتعلّق بالوحش، رغم أنّ القرّاء المعاصرين وجدوا فيها حيرة وإرباكا، لكنّ الدّارسين المختصّين وجدوا طريقة لفكّ رموزها. فالكلام المنقوش على القطع التي كانت

الفصل الرّابع عشر

14: 1ـ5 سيّدنا المسيح وآلاف من المنذورين

ثُمّ رأيتُ سيّدَنا المَسيح، الذِّبحَ العَظيم، يَقِفُ في مَدينةِ القُدسِ على جبلِ تِصْيَوْن،(1) وكان يُرافِقُهُ مئةُ وأربعةُ وأربعونَ ألف رَجُلٍ، وقد كُتِب على جِباهِهِمُ اسمُهُ واسمُ اللهِ أبيهِ الصَّمَد. وسَمِعتُ صوتًا مِن السّماءِ يُشبهُ هَديرَ الماءِ الغَزير، ودَوِيّ الرُّعُودِ. وكان هذا الصّوتُ يُشبِهُ صوتَ المُنشِدِينَ وهُم يَضربونَ على القِيثاراتِ. وكانوا يُنشِدونَ أُنشُودةً جَديدةً في حَضرةِ عَرشِ اللهِ العَظيم، وأمام الشُّيوخِ والكائناتِ الحيّةِ الأربعةِ. ولم يَستطِع أحدٌ أن يَتعلّمَ هذِهِ الأُنشُودةَ إلاّ الرّجالُ المِئةُ والأربعةُ والأربعُونَ ألفًا الّذين افتداهُم سيّدُنا عيسى بِحياتِهِ مِن أهل الدُّنيا. أُولئِك الّذين امتنعوا عنِ النِّساءِ، فلا تُصيبُهُمُ الجَنابةُ بل حَفِظُوا أنفسَهُم طاهِرينَ.(2) فصاروا تابعين لسيّدِنا عيسى حَيثُما سار، إذ ضَحّى بِحياتِهِ فِداءً لهُم، وهُم المَنذورونَ لله وللمَسيحِ الذِّبح العَظيم، كما تُنذر باكورةَ الحَصادِ قربانًا لله. إنّهم لم يَنطِقوا زورًا، ولا شائبة تشوبهم أبدًا.

= متداولة في آسيا الصغرى كان باللغة اليونانية (وهي اللغة التي يكتب بها يوحنّا) وهي مؤلفة من حروف ذات معنى رقمي. ولم يكن لديهم أرقام كما هو الحال اليوم، فجعلوا الأحرف مكان الأرقام وكان كل حرف يعادل قيمته العددية. وعند استعمالهم هذه الأرقام، يستطيع أي شخص أن يحصل على القيمة العددية لاسمه إذا قابل كل حرف من الحروف ما يعادله من الأعداد. ويرى أغلب المفسرين أنّ مجموع أرقام اسم القيصر، هو ستّ مئة وستّة وستّون (666)، ويشير هذا الرقم في المعتقد اليهودي إلى النقصان، لأن الرقم (7) رقم مقدس بلغ الكمال في حين أن الرقم (6) لا يبلغ الكمال.

(1) في زمن الأنبياء القدامى سُمّي جبل باسم تصيون (أو صهيون)، ولكن مع مرور الزمن بُنِيَتْ فوقه مدينة القدس وأصبح اسم تصيون يُطلق على المدينة أيضا. وقد ورد في هذه الآية وفي رسالة العبرانيين (12: 22 – 24) اسم تصيون ليدّل على المدينة السماوية الخالدة التي أعدّها الله للصالحين من عباده.

(2) ربّما فهم القرّاء الأوائل لكتاب الرؤيا الرقم 144000 على أنّه يدلّ على عدد محاربي بني يعقوب في زمن النبي موسى وغيره من الأنبياء القدامى. وكان من عادة هؤلاء المحاربين منعُ أنفسهم عن النساء في الوقت الذي يسبق المعركة (انظر التوراة، سفر التثنية، 23: 10، كتاب صموئيل الأول، 21: 5، وكتاب صموئيل الثاني، 11: 11).

14: 6ـ13 اعلان خراب مدينة بابل

ثُمّ أبصرتُ ملاكًا آخر وسط السّحاب، يَحمِلُ معهُ بِشارةً أبديّةً يُبشِّرُ بِها النّاسُ مِن كُلِّ أُمّةٍ وقبيلةٍ ولُغةٍ وشَعبٍ في كُلِّ أنحاءِ الأرضِ. وقال بِصوتٍ عالٍ: «اِتّقُوا اللهَ وسبِّحوهُ، لأنّ ساعةَ الحِسابِ قد حانت. فاسجُدُوا لِخالِقِ السّماواتِ والأرضِ والبِحارِ والينابيعِ واعبُدُوهُ».

وتبعهُ ملاكٌ ثانٍ يهتفُ: «سَقطت! سقطت بابلُ العَظيمةُ![1] إنّها عِند اللهِ كعاهرٍ تَسقِي كُلَّ الأُمم خَمرًا لتَجعلهم مِن الفاسِقينَ، فيحُلُّ عليها غَضَبُ اللهِ».

وتبِعهُما ملاكٌ ثالِثٌ يُنادي بِصوتٍ عالٍ: «إنّ الّذين يَسجُدونَ لوحشِ البَحرِ ولِتمثالِهِ ويَقبلونَ منه وضعَ علامة على يُمناهُم أو على جِباهِهِم، أُولئك سيَسكبُ اللهُ عليهم غَضَبَهُ الشّديدَ فيتجرّعونَهُ، ويَنالُهُم عذابُ النّارِ وحِجارةِ الكِبريتِ المُشتعلةِ في حَضرةِ الملائكةِ الأطهارِ وفي حَضرةِ سيِّدِنا عيسى الذِّبحِ العظيم. وعِندَها سيَتصاعَدُ دُخانُ عذابِهِم إلى الأبدِ. فلا يأتي الفرجُ ليلاً ولا نهارًا لِكُلِّ مَن يَسجُدُ لوحشِ البحرِ ولِتمثالِهِ أو يَقبلُ أن تَضَعَ عليه علامةَ اسمِهِ اللّعِينِ. وفي هذِهِ الأحوالِ يَجِبُ على عِبادِ اللهِ الصّالحينَ الّذين يَعملونَ بِوصاياه تعالى أن يَصبِروا في مِحنِهِم وأن يظلّوا مُخلِصينَ لسيِّدِنا عيسى».

ثُمّ خاطبَني هاتِفٌ آخرُ مِن السّماءِ قائِلاً: «اُكتُب ما سأقولُهُ لك: هَنيئًا مُنذُ الآن للّذين يَلقَونَ الموتَ وهُم مُعتصِمونَ بِحبلِ سيِّدِنا المسيح» فيجِيءُ وَحيُ رُوحِ اللهِ: «أجل، هَنيئًا لهم فقد تحمّلوا كثيرًا مِن المَتاعِبِ في سَبيلِ إيمانِهِم، وإنّ اللهَ سيُجازيهِم على أعمالِهِم بِالرّاحةِ في دارِ النّعيمِ».

---

(1) اشتهرت الإمبراطورية البابلية القديمة بثرائها ومجونها. وقد كانت مدينة بابل في منطقة ما بين النهرين، مركزا سياسيا وتجاريا ودينيا. واسم «بابل العظيمة» ورد أيضا في كتاب النبي دانيال (4: 30). ويختلف المفسّرون حول دلالة اسم مدينة بابل في هذا المقطع. فبعض المفسرين فهموا هذا الاسم على أنّه يدلّ على الإمبراطورية الرومانية التي تمرّدت على الله، واضطهدت الذين كانوا يعبدونه تعالى، وفهم آخرون أنّه يدلّ على طغيان المسيح الدجّال على كل الأنظمة السياسية والدينية في العالم. بينما يرى آخرون أنّ اسم مدينة بابل يدلّ على المدينة التاريخيّة الحقيقية التي لا بدّ أن تبنى من جديد وتعود إلى الوجود.

14: 14ـ20 جمع الصّالحين

ثُمّ رأيتُ غَمامةً بَيضاءَ يَجلِسُ عليها مَولانا عيسى سيِّدُ البشرِ، وعلى رأسِهِ إكليلُ النّصرِ مِن ذهبٍ وفي يدِهِ مِنجلٌ حادٌّ. ثُمّ خَرَجَ ملاكٌ مِن بيتِ اللهِ، ونادى بِصوتٍ عالٍ إلى الجالِسِ على السّحابِ: «قال تَعالى: ها قد حَلَّت ساعةُ جَمعِ المُحسِنينَ! فخُذ مِنجلَك واحصُدْ، فمَثلُ الصّالِحينَ عِند اللهِ كمَثلِ الحَصادِ». فأرسل الجالِسُ على الغَمامِ مِنجلَهُ على الأرضِ كُلِّها، وجَمَعَ الصّالحينَ جميعًا.

وخرج مِن بيتِ اللهِ في السّماءِ ملاكٌ آخرُ يَحمِلُ مِنجلاً حادًّا. ثُمّ خَرَجَ بَعدَهُ ملاكٌ آخرُ مِن جانِبِ مَوقِدِ البَخورِ، وكان مَسؤُولاً عن نارِ المَوقِدِ، وتَوجَّهَ بِصوتٍ قويٍّ إلى الملاكِ الّذي يَحملُ المِنجلَ الحادَّ قائلاً: «هاتِ مِنجلَكَ المَسنون، واقطِف عَناقيدَ الكُرُومِ في الأرضِ فقد حانَ قِطافُها». فأرسل الملاكُ مِنجلَهُ على النّاسِ في الأرضِ، وقطفَ العناقِيدَ وألقاها إلى مَعصرةٍ ضَخمةٍ، وفي هذا دليلٌ على أنّ غَضَبَ اللهِ الشّدِيدَ قد حَلَّ على أهلِ الشّرِّ. ودِيسَتِ العَناقِيدُ في المَعصرةِ خارِجَ المَدينةِ، فجَرى مِنها الدّمُ إلى ارتِفاعِ عِنانِ الخُيُولِ، وإلى مسافة مِئَتي مِيلٍ.

الفصل الخامس عشر

15: 1ـ4 البلايا السّبع الأخيرة

ثُمّ رأيتُ في السّماءِ آيةً أُخرى، عَظيمةً وعَجيبةً. رأيتُ سَبعةَ ملائِكةٍ ومعهُمُ البَلايا السّبعُ الأخيرةُ الّتي بِها يُنهِي اللهُ غَضَبَهُ على أولئك الأشرارِ. ورأيتُ شيئًا مِن زُجاجٍ مَمزوجٍ باللهيبِ يُشبهُ البحرَ، وقد وَقَفَ بِجانِبِهِ عِبادُ اللهِ الفائزونَ، الّذين رَفَضُوا السُّجُودَ إلى وَحشِ البَحرِ وتِمثالِهِ، ورَفَضوا وَضعَ رقم اسمِهِ على جباهِهم، وهم يَعزفونَ على القِيثاراتِ ويُسبِّحونَ الله ويُنشِدُونَ أُنشُودةَ النّصرِ المُبينِ الّتي تُشبِهُ أُنشُودةَ النّبيِّ مُوسى حِينَ نجّاهُ اللهُ مِن جيشِ فرعون، وكان نَشيدُهُم عن سيِّدِنا عيسى الذِّبحِ العَظيم. وكانوا يُردِّدونَ: «ما أعظم أعمالك وما أروعها يا رَبّنا القدير! عادِلٌ ما تفعلُهُ وحقٌّ يا خالِقَ النّاسِ أجمعينَ! يا ربُّ، مَن لا يَخشعُ لك، ومَن الّذي يَتوانى عن رَفعِ ذِكرِك؟! فأنت

وَحدك القُدُّوسُ. ستأتيك كُلُّ الأُممِ ساجدةً، فقد أظهرتَ لِلجمِيعِ أمانتَك ووفاءَكَ لِوُعُودِك».

15: 5_8

ثُمّ رأيتُ المِحرابَ في بيتِ اللهِ وقدِ انفتح في السّماءِ. وخَرَجَ مِنهُ الملائِكةُ السّبعةُ المُكلّفونَ بِإنزالِ البَلايا السّبعِ الأخيرةِ على هؤلاءِ الأشرارِ، وكانوا يَتسربلونَ بثيابٍ مِن كتّانٍ ناصِعٍ بَرّاقٍ ويَشُدُّونَ صُدورَهم بأحزمةٍ مِن ذهبٍ. وأعطى أحدُ المَخلوقاتِ الحيّةِ الأربعةِ هؤلاءِ الملائِكةَ السّبعةَ سبعَ كُؤُوسٍ مِن ذهبٍ مُلئت بِغَضَبِ اللهِ، الحيِّ الّذي لا يَموتُ. فامتلأ المِحرابُ دُخانًا مِن بَهاءِ اللهِ وعِزّتِه، ولم يَستطِع أحدٌ الدُّخولَ إليه إلى أن انتهى الملائِكةُ السّبعةُ مِن إنزالِ البَلايا السّبعِ على النّاسِ.

الفصل السّادس عشر

16: 1_11

ثُمّ سَمِعتُ هاتِفًا مِن بيتِ الله في عِلّيّين إلى الملائكةِ السّبعةِ يَقولُ: «اِذهَبوا واسكُبُوا كُؤُوسَكم السّبعِ على سُكّانِ الأرضِ، فيَحُلّ عليهِم غَضَبُ اللهِ».

فذَهَبَ الملاكُ الأوّلُ لِيُنزلَ العذابَ ويَسكُبَ كأسَهُ على الأرضِ، فانتشرت دُمّلٌ خَبيثةٌ مؤلمةٌ، أصابت كُلَّ مَن يَحمِلُ علامةَ وَحشِ البحرِ وكُلَّ الّذين سَجدوا لِتمثالِهِ.

وسَكَبَ الملاكُ الثّاني كأسَهُ في البِحارِ، فتحوّلت المياه إلى دِماء كدِماء الأموات، وماتت فيها كُلُّ المَخلوقاتِ.

وسَكَبَ الملاكُ الثّالِثُ كأسَهُ في الأنهارِ ومَنابعِ المياه، فتحوّلت دمًا. فسَمِعتُ الملاكَ الّذي يَملِكُ سُلطةً على المِياهِ يقولُ: «يا اللهُ يا قُدُّوسُ، حَيٌّ أنت الآن ومُنذُ الأزلِ، وعادِلٌ أنت في حُكمِك الّذي أنزلتَهُ بِكُلِّ هذِهِ الأُمورِ. أمّا الّذين سَفَكوا دِماءَ الأنبياءِ وعِبادِكَ الصّالِحينَ، فقد سَقيتَهم دمًا لِيَشربُوهُ لأنّهُم يَستحِقّونَ ذلِك». وسَمِعتُ هاتِفًا يقولُ عِندَ مَوقِدِ البَخورِ: «أجل، يا ربّنا القدير، أحكامُك حَقٌّ لا ظُلمَ فيها».

وسَكَبَ الملاكُ الرّابِعُ كأسَهُ على الشّمسِ، وأُذِنَ للهيبِها أن يَتوهّجَ ويَحرِقَ النّاسَ،

فاحترَقوا مِن شِدّةِ الحرِّ. ولكنّهم لم يَتوبوا عن سَيئاتِهم، ولم يَرفعوا ذِكرَ اللهِ تعالى، بل شتَموه لأنّهُ صاحبُ السُّلطان على هذِهِ البلايا.

وسَكَبَ الملاكُ الخامِسُ كأسَهُ على عَرشِ وحشِ البحرِ، فحلّ الظّلامُ الدّامِسُ على إمبراطوريّتِهِ، مِمّا جعل الشّعبَ يَعضُّ على ألسِنتِهِ مِن شِدّةِ الألم. لكنّ النّاسَ لم يَتوبُوا عن سُوءِ أعمالِهِم، بل تَجرّأُوا وشَتَموا رَبَّ العالَمينَ، بِسببِ أوجاعِهِم وقُروحِهِم.

16: 12-21

وسَكَبَ الملاكُ السّادِسُ كأسَهُ في نهرِ الفُراتِ الكَبيرِ، فجَفّ ماؤُهُ الغَزيرُ، فمَهّدَ طريقًا لِعُبورِ المُلوكِ القادِمينَ مِن الشّرق. ثُمّ رأيتُ ثلاثةً مِن الجِنِّ شكلُهُم يُشبِهُ الضّفادعَ، خَرَجَ أحدُهُم مِن فم التِّنّين، وخَرَجَ ثانِيهِم مِن فمِ وَحشِ البحرِ، وخَرَجَ ثالِثُهُم مِن فمِ الدّجّالِ. وثلاثتُهُم مِن الجِنِّ الّذين يأتون الخَوارِقَ ويَخرُجونَ إلى جميعِ مُلوكِ الأرضِ، فيَجمعُونَهُم لِلحربِ في ذلك اليوم المَهيب، إنّهُ اليومُ الّذي يَحقّق اللهُ نَصرَه على الأشرار. ¯ وجَمَعَ هؤلاء الثّلاثة مِن الجِنّ كُلّ المُلوكِ إلى مَكانٍ يُسمّى بالعِبريّةِ: «هَرْمَجدُّون».[1]

ثُمّ قال سيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا): "اِنتبِهُوا! سآتي إلى العالم فجأةً وأُباغِتُ الغافِلينَ مِنكُم! فهَنيئًا لِلمُتيقّظينَ الّذين يَنتظِرُونَ قُدومي، فمَثَلُ الغافِلينَ كمَثَلِ مَن يَمشي بين النّاسِ عاريًا، فيُفضحُ أمرُهُ بينهم".

وسَكَبَ الملاكُ السّابِعُ كأسَهُ مِن السّماءِ إلى الجوِّ، فانبعث صوتٌ عالٍ من عَرشِ بيتِ الله في عِلّيّين، قائلاً: «بِهذا البلاءِ سأُنهي عِقابَ هؤُلاء النّاس». وبَعدَها لمعتْ بُرُوقٌ ودوّت أصواتٌ ورُعودٌ، ثُمّ حلّ زِلزالٌ عَنيفٌ لم يَحدُث مِثلُهُ على الأرض مُنذُ خلقِ البشرِ. فانشقّتْ بابِلُ، تلك المَدينةُ العَظيمةُ، إلى ثلاثةِ أقسام، وانهارت مُدُنُ أُمم كَثيرةٍ، وجازى اللهُ بابِلَ العَظيمة على كُلِّ ما أتتهُ مِن أعمالٍ شرِّيرةٍ، إذ سَكَبَ عليها غَضَبَه وسخطَهُ. فاختفت كُلُّ الجُزُر، وزالتِ الجِبالُ الشّمّاءُ. وانهال على النّاسِ بَرَدٌ عَظيمٌ مِن السّماءِ، وَزنُ الواحدةِ مِنهُ ما يُقارِبُ وَزن حَجر الرّحى، فألقى النّاسُ على اللهِ بِسببِ فظاعةِ هذا البَرَدِ الشّتائِمَ الشّنعاء.

---

(1) من المحتمل أنّ اسم «هرمجدون» يعني «هر مجدون» أي جبل مجدون في وادي يِزْرَعيل شمال فلسطين، وهناك جرت معارك عديدة في القديم. ويعتقد العديد من المفسّرين أنّ هذا الاسم لا علاقة له بالجبل الذي يحمل اليوم الاسم نفسه، بل يدلّ على انتصار الله النهائي على الشر.

الفصل السّابع عشر

17: 1ـ6 وصف المدينة العظمى

وجاءَني أحدُ الملائكةِ السّبعةِ، أولئك الّذين سَكَبوا كؤوسَهم السّبعَ، وقال لي: «تعال لأُريك كيف يُنزلُ اللهُ عِقابَهُ على المَدينةِ الكُبرى الّتي تُشبِهُ امرأةً عاهِرةً، إنّها مَدينةٌ تُشرِفُ على مِياهٍ كثيرةٍ. فكما تَسقي العاهِرُ النّاسَ خَمرًا لتجعلهم مِن الفاسِقينَ، كذلك تُضلّ تِلك المَدينةُ مُلوكَ العالَم وتَجعلُ أهلَ الدُّنيا مِن الآثِمينَ».

ثُمّ حَمَلَني الملاكُ إلى الصَّحراءِ بِقُوّةِ رُوحِ اللهِ، فرأيتُ امرأةً تركبُ وَحشَ البحر، وكان لونُهُ قِرمِزيًّا ولهُ سَبعةُ رُؤوسٍ وعشرةُ قُرُونٍ، وكانت الأسماءُ الّتي توحي بالكُفر تُغطّي كامل جسمِهِ. وكانتِ المرأةُ تلبسُ مَلابِسَ ثَمينة مِن أُرجوانٍ وقِرمِزٍ، مُزيّنةً بِالذّهبِ واللُّؤلُؤِ والحِجارةِ الكريمةِ، وبِيدِها كأسٌ مِن ذهبٍ مُلِئت بِالآثام والرِّجس وخِياناتها لِرَبِّ العالَمينَ. وقد كُتِب على جَبينِها اسمٌ يَحمِلُ سِرًّا دفينًا: «بابِلُ العَظيمةُ: أُمُّ العاهِراتِ وكُلِّ ما في الدُّنيا مِن أصنامٍ لعينةٍ». ورأيتُ المرأةَ ثَمِلةً مِن دم الصّالِحِينَ، ومِن دمِ مَن شَهِدَ لسيِّدِنا عيسى حتّى المَوتِ. فتملّكتني الدّهشةُ وأذهلَني هذا المَشهدُ العَجيب.

17: 7ـ18

فقال لي الملاكُ: «لِماذا دُهِشتَ؟ سأخبِرك بِسِرِّ هذِهِ المرأةِ الدّفينِ، وسِرِّ الوَحشِ ذي السّبعة رؤوس ذات القُرون العَشرة الّتي يَحمِلُها. وهذا الوحشُ كان حيًّا قبل أن تراه، ولكنّه ميّتٌ الآن، وسيَطلُعُ مِن الهُوّةِ السّحيقةِ لاحِقًا. وسيَتعجّبُ أهلُ الدُّنيا، الّذين لم تُوضع أسماؤهم في سِجلِّ الخُلدِ مُنذُ خَلقِ الكونِ. فهذا الوَحشُ كان حيًّا، لكنّه ميّتٌ الآن، وسيَعودُ إلى الحَياةِ مِن جَديدٍ. فانتبِهوا يا أُولي الألبابِ لعلّكُم تفقهونَ: سَبعةُ رُؤُوسٍ رَمزٌ لِلتّلالِ السّبعةِ الّتي بُنِيت عليها المَدينةُ، وهِي أيضًا رَمزٌ لِسَبعةٍ مِن المُلوكِ العُظَماء.[1] مات خَمسةٌ مِنهُم، وسادِسُهُم يَحكُمُ الآن، وسابِعُهُم سيَحكُمُ بعد

(1) انظر الهامش في الرؤيا 12: 4.

حِين، ولكِنّ فترةَ حُكمِهِ لن تَدُوم.[1] والوَحشُ الّذي كان حيًّا، وهو ميّتٌ الآن، هو أحدُ المُلوكِ السّبعةِ الّذين ماتُوا، وسيَكونُ الملكُ الثّامِن عند عودتِهِ إلى الحياةِ مِن جَديدٍ، لكنّ اللهَ سيُهلِكُهُ الهلاكَ الشّديد. وأمّا العشرةُ قُرُون الّتي رأيتَها، فهِي رَمزٌ لِعَشرةِ مُلوكٍ لم يَحكُمُوا بَعدُ، وسيُشارِكُونَ الوحشَ سُلطةَ المُلكِ مُدّةً وَجيزةً. واتّفقوا جميعًا على إعطاءِ الوحشِ قُوّتَهُم وسُلطانَهم. هؤلاءُ المُلوكُ يُحارِبُونَ سيِّدَنا عيسى، الذِّبحَ العَظيمَ، ويُقاتِلونَ أتباعَهُ المُختارينَ المُخلِصينَ، ولكِنّ السّيِّدَ المَسيحَ يَهزِمُهُم، لأنّهُ سيِّدُ السّادةِ وملِكُ المُلوكِ».

«ثُمّ أخبرَني الملاكُ: «وأمّا المِياهُ الكثيرةُ الّتي رأيتَها، حيثُ كانت تَجلِسُ صاحِبةُ الفِسقِ الكَبيرِ، فهي رمزٌ لأُمَمٍ ولُغاتٍ وجَماهِير. وسيَكرهُ وَحشُ البحرِ وقُرونُهُ العشرةُ الّتي رأيتَها المَدينةَ العاهِرةَ، وسيدمّرونَها، ثُمّ يَنهبونَ كُلَّ خيراتِها ويُلهبونَ فيها النّار. فقد قادَهُم اللهُ لِينفّذوا قَصدَهُ، فاتّفقوا في ما بينهُم على إعطاءِ الوحشِ سُلطانَهُمُ الملكيّ إلى أن يَتحقّقَ وَعدُ اللهِ اليقينُ. إنّ هذِهِ المرأةَ الّتي رأيتَها هي رَمزٌ لِلمَدينةِ العُظمى الّتي تَحكُمُ مُلوكَ أهلِ الدُّنيا».

الفصل الثّامن عشر

18: 1ـ8 دمار مدينة بابل[2]

ثُمّ أبصرتُ ملاكًا آخر يَنزِلُ مِن السَّماءِ، وقد أعطاه اللهُ سُلطانًا عَظيمًا، فحلّ مِن بهائِهِ الضِّياءُ في الأرضِ. وصَرَخَ بِصوتٍ مدوٍّ: «لقد صدر الأمرُ لِخَرابِ بابِلَ العَظيمةِ!! وأصبحتْ وَكرًا لِلجِنِّ والشّياطِينِ، والآن ستحُلُّ مَحلّ سُكّانِها كُلُّ أنواعِ الطُّيورِ النّجسةِ والحيواناتِ البَغيضةِ. إنّ العاهِرَ تسقِي النّاسَ خَمرًا فتجعلَهم مِن الفاسِقِينَ، تَمامًا كما تُضِلُّ هذِهِ المَدينةُ أهلَ الدُّنيا ومُلوكَها وتجعلُهم يغرقونَ في الإثمِ، وأصبح التُّجّارُ مِن

(1) عُرف نيرون الإمبراطور الروماني السادس باضطهاد أتباع السيد المسيح. أمّا الإمبراطور السابع «جالبا» فلم يحكم إلا فترة زمنية وجيزة.

(2) يعتمد الحواري يوحنّا هنا أسلوب الرثاء. ورغم أنّه بدا نائحا على بابل، فإنّه من المرجّح أنّ القرّاء فهموا من كلامه أنّه ينتقد الرومان ويتنبّأ بسقوطهم. ولو أنّ السلطات الرومانيّة أدركت هذه النبوءة وفهمتها لازداد اضطهادها لأتباع السيد المسيح الأوائل شراسة.

وَفرةِ نَعيمِها مُترفينَ في بَذَخِهِم. لِذلِك يوشكُ غَضَبُ اللهِ أن يَحُلَّ عليها وعلى كُلِّ مَن اتّبعَها».

ثُمّ طرق سَمعي صوتُ هاتِفٍ مِن السّماءِ: «قال تعالى: يا عِبادي الصّالِحِينَ، اخرُجُوا مِن المَدينةِ حتّى لا تتورّطوا في ذُنُوبِها، ويُصيبَكم البلاءُ بسببِها. فقدِ ارتكب أهلُها آثامًا حتّى بلغتْ أقاصي السّماءِ، وإنّ اللهَ لصادِقٌ في وَعدِ عِقابِها. يا مَن ستُجازونَ أهلَها، نكّلوا بِهِم تَنكيلاً كما فعلوا بِغيرِهِم، بل كِيلُوا لهُم مِن العذابِ ضِعفَ ما كانوا يَكِيلونَ، وأذِيقوهُم مِن كأسِ الخَوفِ والرُّعبِ الّتي قَدَّموها لغيرِهِم. نعم، اسقُوهُم ضِعفَ ما كانوا يَسقونَهُ مِن شَرٍّ. أنزِلوا بِهِمُ الحُزنَ والشّقاءَ، بِقدرِ ما كانوا يَرفعونَ مِن شأنِهِم ويتنعّمونَ، فإنّهُم في قَرارةِ أنفُسِهِم يُرَدِّدونَ بِكبرياءٍ: «إنّ هذِهِ المَدينةَ ثريّةٌ كمَلِكةٍ، لا كأرملةٍ ولن يُصِيبَها البلاءُ ولا الحُزنُ أبدًا». لِذلِك ستنزِلُ عليها البلايا في يومٍ واحدٍ: وباءٌ مُميتٌ وحُزنٌ وجُوعٌ وستحترِقُ بِالنّارِ، واللهُ ربُّنا في حُكمِهِ عليها قوِيٌّ شدِيدٌ».

18: 9–20

«وسيَبكِي عليها مُلوكُ الدُّنيا الّذين ضَلّوا وأسرفوا في مجونِهِم معها، وحِين ينظرونَ إلى دُخانِ حَرِيقِها سيندبونَها. وسيَنأوْنَ خائفينَ مِن عذابِها مُرَدِّدينَ: الويلُ لكِ! ثُمّ الويلُ لكِ يا بابِلَ العُظمى والويلُ لِكُلِّ مَن يَسكُنُكِ! أنتِ الجَبّارةُ يحُلُّ عليكِ في ساعةٍ واحدةٍ عِقابٌ ماحِقٌ مُبِينٌ!

«وسيَبكي عليها تُجّارُ الأرضِ ويندبونَها، فما من أحد يَشتري بضاعتَهم، وهي الّتي كانت تَشتري مِنهم كُلَّ الذّهبِ والفِضّةِ واللُّؤلُؤِ والحَجرِ الكريمِ، والكتّانِ والأُرجُوانِ والحَريرِ والقِرمزِ، وجَميعَ الأخشابِ العطِرةِ ومَصنوعاتٍ مِن العاجِ والخشبِ الثّمينِ، والنُّحاسِ والحَديدِ والمَرمَرِ وتشتري قِرفةً وتوابِلَ، وبَخورًا ومُرًّا ولُبانًا، وخَمرًا وزيتًا، ودقِيقًا وقمحًا، وبهائِمَ وغنمًا وخيلاً وعَرَباتٍ، وحتّى البشرِ من العبيدِ والأسرى. وإنّ التُّجّارَ الّذين كانوا يَغتنونَ مِن بيعِ هذِهِ البَضائعِ في هذِهِ المَدينةِ سيَقِفونَ بَعيدًا خوفًا مِن عذابِها، وسيبكونَ ويَنُوحونَ قائلين: الوَيلُ لكِ! الويلُ لكِ أيّتُها المَدينةُ العَظيمةُ! ضاعت مِنكِ الخيراتُ الّتي كان أهلُكِ يشتهُونَها وولّت عنكِ مَظاهِرُ التّرَفِ والعَظَمةِ، وأنّى لها أن تَعُودَ؟! كان أهلُكِ يلبسونَ الكتّانَ والأُرجُوانَ والقِرمزَ، ويتحلَّون بِالذّهبِ واللُّؤلُؤِ والحَجرِ الكَريمِ. ولقد ولّى في زمنٍ وَجيزٍ كُلُّ هذا الغِنى».

وابتعدَ عنها رُؤساءُ مَراكِبِ البَحرِ ورُكّابُها وملاّحُوها وعُمّالُ البحرِ جميعًا، ووقفوا يُراقِبونَ مَداخِنَ حرائِقِها ويَصرُخونَ: «أوّاهُ، لا مَثيلَ لِهذِهِ المَدينةِ!» وينثُرونَ التُّرابَ على رُؤُوسِهِم نَدَمًا، وهُم يَصيحونَ مُوَلوِلين: الوَيلُ، الويلُ للمَدينةِ العُظمى، فبفَضلِ ثرواتِها قدِ اغتنى أصحابُ السُّفُنِ جميعًا! انظروا، لقد أصابَها الخرابُ والهلاكُ في ساعةٍ واحِدةٍ! فاشمتُوا بها يا ملائِكةَ السّماءِ، واشمتُوا بها أيُّها الصّالِحون والحَواريّون والأنبياءُ، فقد قَضى اللهُ القدير بِأن تُعاقبَ على ما فعلت بِكُم».

18: 21-24

وتناول ملاكٌ قويٌّ حَجرًا ضَخمًا كحَجرِ طاحونةٍ ورَماهُ في اليَمِّ وقال: «بِهذا العُنفِ تُرمى بابلُ المَدينةُ العَظيمةُ، فتختفي إلى الأبدِ! ولن تَصدُر عنها مُوسيقى ولا طربٌ، ولا قيثارةٌ ولا مِزمارٌ ولا بُوقٌ. ولن يَبقى فيها الصُّنّاعُ، مَهما كانت حِرفتهم. ولن يُسمع فيها صوتُ الرّحى بعد الآن، ولن يُرى مِنها مِصباحٌ، ولن يُسمع فيها صوتُ عَريس أو عَروسٍ. كان تُجّارُها مِن العُظماءِ، وسِحرُها قاد كُلَّ الأُمَمِ إلى الضّلالِ». فقد أهدر أهلُ هذِهِ المَدينةِ دِماءَ الأنبياءِ والصّالِحين وكلِّ مَن قُتِل على الأرضِ.

الفصل التّاسع عشر

19: 1-10 أناشيد النّصر في السّماء

وبعد ذلِك سَمِعتُ دوِيًّا عالِيًا يَصدُرُ عن جمعٍ غَفيرٍ في السّماءِ قائِلاً: سُبحان الله! إنّ النّصرَ والجلالَ والقُدرةَ للهِ ربِّنا، إنّ حُكمَهُ عادِلٌ وحقٌّ، لقد عاقب المَدينةَ الكُبرى الّتي كانت تُضِلُّ النّاسَ كعاهرةٍ، فجَزاها اللهُ لأنّها سَفكت دِماءَ عِبادِهِ الصّالِحينَ».

ثُمّ قال الجَمعُ مرّةً أُخرى: «سُبحان الله! يَصعدُ دُخانُ حريقِها إلى أبدِ الآبِدينَ». ورَكَعَ الشُّيوخُ الأربعةُ والعِشرونَ، وركعت الكائِناتُ الحيّةُ الأربعةُ أيضًا وسَجَدوا جَميعًا للهِ ربِّ العَرشِ، وقالوا: «سُبحانَك اللهُمّ! آمين!»

وانبَعَثَ صوتٌ قُربَ عَرشِ اللهِ العَظيمِ، يَقولُ: «يا عِبادَ اللهِ المُتَّقينَ، صِغارًا وكِبارًا، احمَدوهُ!» وطَرَقَ سَمعي صَوتُ الجُمهورِ الغَفيرِ مرّةً أُخرى، وكأنّهُ هَديرُ ماءٍ غَزيرٍ،

أو دَويُّ رَعدٍ شَديدٍ يقولُ: «سُبحانَ اللهِ! هُو الحاكِمُ بأمرِهِ، وهو على كلّ شيء قدير! فلنَفرَحْ ونَبتهِجْ ونَرفعْ ذِكرهُ، ها قد آن أوانُ لِقاءِ سيِّدِنا عيسى بأتباعِهِ الأوفياءِ في يوم مَجيدٍ، وهو يُشبِهُ في ذلِك العَريسَ الّذي يَتّخِذُ عَروسًا لهُ في يوم مَشهُودٍ، وكما ترتَدي العَروسُ ثوبًا نَقيًّا، فقد مَنَحَ اللهُ المؤمنين لِباسًا بَهيًّا جَليلاً يَرمُزُ إلى صالِحِ أعمالِهِم».

ثُمّ أمَرَني الملاكُ: «اُكتُب ما يَلي: هَنيئًا لِضُيوفِ وَليمةِ سيِّدِنا المَسيحِ الذِّبحِ العَظيمِ في دارِ السّعادةِ. إنّ هذا لهُو قولُ اللهِ الحقُّ». فوقعتُ عِند قدميهِ ساجِدًا فقال لي: «حاشا للهِ أن تركعَ لي! لأنّي عبدٌ للهِ مِثلُك ومِثلُ كُلِّ المؤمنين الّذين آمنُوا بِرسالةِ سيِّدِنا عيسى. فلا تَسجُد لِغيرِ اللهِ، فما نحنُ إلاّ رُسُلٌ، وجَوهَرُ رِسالتِنا أن نَشهَدَ لسيِّدِنا عيسى».

19: 11-21 راكب الفرس الأبيض

ثُمّ فُتِحتِ السّماءُ[1] فرأيتُ فَرَسًا أبيضَ يَمتَطيهِ سيِّدُنا عيسى، الصّادِقُ الأمينُ، فَهوَ الّذي لا يَجورُ في حُكمِهِ ولا يُحارِبُ إلاّ بالعَدلِ المُبينِ. وعَيناهُ لَهيبُ نارٍ، ورأسُهُ مُكلّلٌ بِعَدَدٍ كَبيرٍ مِن التِّيجانِ، وكان يَحمِلُ اسمًا لا يَعرِفُهُ أحدٌ سِواهُ،[2] وكان يَلبَسُ ثوبًا مُسَربَلاً بالدَّمِ، واسمُهُ «كلِمةُ اللهِ». وكانت جُيوشُ الملائكةِ تتراكَضُ وَراءهُ على جيادٍ بَيضاءِ، وكانوا يَرتَدونَ ثيابًا نَقيّةً ناصِعةَ البَياضِ، وانبَجَسَ مِن فمِهِ سَيفٌ صَقيلٌ، هُو دَليلٌ على سُلطانِهِ في الأرضِ، وبِهِ يَنتصِرُ على الأُمَمِ الّتي تَمرَّدَت على اللهِ. فَهوَ الّذي سيَحكمُها بِعَصًا مِن حَديدٍ، ويأتي بِعِقابِ اللهِ وغَضَبِهِ على الأشرارِ، كما يَدوسُ النّاسُ الأعنابَ في المِعصَرةِ. وقد كُتِب على رِدائِهِ وعلى فَخِذِهِ هذا الاسمُ: «ملِكُ المُلوكِ وسيِّدُ الأسيادِ».

ثُمّ تَجلّى في رُؤيايَ ملاكٌ واقِفٌ على الشّمسِ، ونادى كُلَّ الطُّيورِ الّتي في الهَواءِ بِصوتٍ عالٍ قائلاً: «تعالي يا طُيور السّماءِ إلى وَليمةِ اللهِ الكُبرى، وكُلي مِن لُحومِ

---

(1) في هذه الآية يعود الحديث عن وحش البحر والمتنبئ الدجّال بعد أن انقطع في الرؤيا 17: 1

(2) في فترة حياة يوحنّا كان بعض الملوك يضعون عددا من التيجان، كل تاج يمثل رمزا للبلاد التي يحكمها. أمّا الاسم المجهول الذي يحمله السيد المسيح، فيمكن أن نفسّره كما يلي: ادّعى السحرة في تلك الفترة أنّ باستطاعتهم إجبار الكائنات غير المرئية على القيام بما يريدونه من خلال استعمال أسمائهم، وعندما قال يوحنّا في هذا المقطع أنّه لا أحد يعرف اسم سيدنا عيسى، فربّما قصد بذلك أنّه لا أحد يملك سلطة عليه (سلامه علينا)، وقد تكون تلك طريقة للقول بأنّ معنى اسمه يفوق فهم المدارك البشرية.

المُلوكِ وقادتِهم وأبطالِهم، والفُرسانِ وجيادِهِم، ومِن لُحومِ النّاسِ جَميعًا، أحرارًا وعَبيدًا، صِغارًا وكِبارًا».

ثُمّ أبصرتُ وَحشَ البحر اللّعين، ومُلوكَ الأرضِ وجُيوشَهم وقد احتشدوا جميعًا لِيُحارِبُوا سيِّدَنا عيسى صاحِبَ الفَرَسِ الأبيضِ وجُيوشَهُ. وأمسك سيِّدُنا عيسى بهذا الوَحشِ، وبالمُتنبِّئِ الدّجّالِ، صاحِبِ العَمَلِ الخارِقِ الّذي أتاهُ نِيابةً عنِ الوَحشِ، وأضلّ به الّذين قَبِلوا عَلامةَ الوَحشِ وسَجَدوا لِتِمثالِهِ، وألقاهما سيِّدُنا عِيسى وهُما لا يَزالان على قيدِ الحياةِ في بُحيرةِ النّارِ المُشتعلة بِحِجارةِ الكِبريتِ. وقَضى سيِّدُنا عِيسى بِسَيفِ اللِّسانِ على بَقيّةِ أعدائِهِ، وشَبِعت مِن لَحمِهِم الطُّيورُ الجَوارِحُ كُلُّها.

الفصل العشرون

20: 1ـ6 حبس الشّيطان لمدة ألف سنة

ولقد أبصَرتُ بَعدَ ذلك ملاكًا يَنزِلُ مِن السّماءِ، يَحمِلُ في يَديهِ سِلسِلةً عَظيمةً ومِفتاحَ الهُوّةِ السَّحيقةِ. فأمسَكَ بِالتِّنّينِ الّذي يُعرَف بِالحَيّةِ القَديمةِ أو إبليسَ أوِ الشّيطانِ، ثُمّ قيّدَهُ لِمُدّةِ ألفِ سَنةٍ. ورَماهُ في الهُوّةِ، وأقفَلَ عليهِ بإحكامٍ، فلن يَقدِر على تَضليلِ الأُمَمِ بَعدئذٍ، إلى أن تَنقَضي ألفُ سَنةٍ، ثُمّ يُطلَقُ سَراحُهُ إلى حِينٍ.

ثمّ رأيتُ عُرُوشًا يَجلِسُ عليها الشُّهداءُ الّذين قُطِعتْ رؤوسُهم في سَبيلِ الدّعوةِ لسيِّدِنا عيسى والإيمانِ برسالةِ اللهِ. فقد رَفَضوا السُّجودَ لِوحشِ البَحرِ وتِمثالِهِ، ولم يَقبَلوا أن توضَعَ العلامةُ على جِباهِهِم أو على أيديهِم، وقد عادوا إلى الحَياةِ ووَهَبَهُمُ اللهُ سُلطةَ القضاءِ فمَلَكوا مَعَ السيّدِ المَسيحِ مُدّة ألفِ سَنةٍ. وهؤلاءِ أوّلُ مَن سيُبعثُ مِن الموتِ، أمّا غيرُهُم مِن النّاسِ، فسيُبعثونَ بَعدَ مُرورِ ألفِ سَنةٍ. فهَنيئًا لِكُلِّ هَؤلاءِ المَنذورينَ، هَنيئًا لأوّلِ الخالِدينَ! الّذين لن يَدنو مِنهُم الهلاكُ المُنتَظَرُ، فلن يَدخُلوا النّار، بل سيُصبِحونَ أحبارًا للهِ ولِلسّيِّدِ المسيحِ، ويَملِكونَ معَهُ (سلامُهُ علينا) ويَحكُمونَ مُدّة ألفِ سَنةٍ.

20: 7ـ10 القضاء على الشّيطان

وبَعدَ مُرورِ ألفِ سَنةٍ يُطلَقُ الشّيطانُ مِن الهُوّةِ السَّحيقة، فيَخرُجُ لِيُضِلَّ الأُمَمَ في جَميعِ أنحاءِ الأرضِ، وهذِهِ الأُمَمُ هي يأجوجُ ومأجوجُ، وسيَحشُدُهُم جَميعًا لِلقِتالِ ضِدَّ عِبادِ اللهِ الصّالِحين، ويَكونُ عَدَدُهم كرِمالِ البحرِ.[1] ويزحَفون بَعدَها على ساحِلِ الأرضِ، ثُمّ يُحاصِرونَ مُعسكرَ عِبادِ اللهِ، والمَدينةَ المُقدّسةَ الحَبيبةَ. ثُمّ يُنزِلُ اللهُ نارًا مِن السّماءِ فتَهلِكُهم. ويَطرَحُ اللهُ إبليسَ الّذي أضلَّهُم في بُحيرةٍ مِن نارٍ تَشتعِلُ فيها حِجارةٌ مِن كِبريتٍ، حَيثُ أُلقِي مِن قَبلِهِ وَحشُ البَحر والمُتنبِّئُ الدَّجّال، وهُناك يُترَكونَ لِلعِذابِ ليلاً نهارًا إلى أبدِ الآبِدينَ.

20: 11ـ15 يوم الدّين

ثُمّ تَجَلّى عَرشٌ أبيضُ عَظيمٌ، ورأيتُ بَهاءَ رَبِّ العَرشِ، وقد اختفت السّماءُ والأرضُ مِن حَضرتِهِ، ولم يَعُد لهُما أثرٌ بَعدَ ذلِك. ثُمّ رأيتُ الأمواتَ يقِفونَ أمامَ عَرشِ اللهِ، سَواءٌ عَظُمَ شأنُهُم أو قَلَّ. وفَتَحَ الملائِكةُ سِجلاّت جَميعِ الواقِفينَ، وبَعدَها فَتَحوا سِجلاًّ آخر هُو سِجلُّ الخُلدِ. وحاسَبَهُمُ اللهُ حَسبَ أعمالِهم المُسجّلةِ في تِلك الكُتُب. أجل، لقد لَفَظ البَحرُ ما فيه مِن أموات، وأخرَجَ القَبرُ والموتُ ما فيهِما مِن أموات، ثُمّ حَكَمَ عليهِم اللهُ جميعًا حَسبَ ما أتوه مِن حَسَنات وسَيئات. وقَضى اللهُ على الموتِ والقَبرِ بِأن طَرَحَهُما في بُحيرةِ النّارِ. وفي بُحيرةِ النّارِ طَرَحَ الملائِكةُ كُلَّ مَن لم يُسجَّل اسمُهُ في سِجِلِّ الخُلدِ. وهذِهِ البُحيرةُ هي الهلاكُ المُنتَظَر، ومَعناهُ الهلاكُ في النّارِ.

الفصل الحادي والعشرون

21: 1ـ8 خلق الله الجديد

وقد تَجَلّت أمامي سَماءٌ جَديدةٌ وأرضٌ جَديدةٌ، بَعدَ اختِفاءِ السّماءِ الأُولى والأرض الأُولى، وغابَ البَحرُ عنِ الأرضِ الجَديدةِ. ورأيتُ المَدينةَ المُقدّسةَ، وهِي المكانُ

(1) ذُكرت قصة يأجوج ومأجوج في كتاب النبي حزقيال (ذو الكفل) الفصل 38 و39. وإنّ هاتين الشخصيتين تدلاّن على شعوب العالم عندما تتجمّع معا لتتمرّد على أمر الله.

القُدسيُّ الجَديدُ، تَنزِلُ مِن السّماءِ مِن عِندِ اللهِ كعَروسٍ تَبَرَّجت وتهيّأت لِلقاءِ زوجِها. وسمِعتُ صوتًا عاليًا لهاتفٍ انبعَثَ مِن قُربِ عَرشِ اللهِ المَجيدِ قائلاً: «الآن يَتجلّى اللهُ بين العالَمينَ ويَحِلُّ بينهُم، ومِن الآن تُصبِحُ شُعوبُ العالَمِ كُلِّها عِبادَهُ الصّالِحينَ، إنّ اللهَ رَفيقهم الأعلى. ومِن عُيونِهم يُكَفكِفُ تعالى كُلّ دَمعةٍ. فلا موتَ يَتسلّطُ عليهِم بَعدَ الآن، ولا بكاءَ ولا ألَمَ يُصيبُهم ولا هُم يَحزَنونَ، فكُلُّ ما مَضى، قدِ انتَهى وانقَضى».

وأوحى إليّ ربُّ العَرشِ: «إنّي خالقُ الآن كُلَّ شيءٍ مِن جَديدٍ». ثُمّ أوحى إليّ ثانيةً: «أُكتُب ما يَلي: إنّ هذا كلامُ صِدقٍ وحقٍّ مُبين». وقال أيضًا: «لقد قُضِي الأمرُ. أنا الألِفُ والياءُ، البِدايةُ والنِّهايةُ. أروي كُلَّ ظمآنٍ مِن يَنبوعِ ماءِ الخُلدِ بِلا حِساب. إنّ هذا جزاءُ الفائزينَ، وأنا أكونُ ربَّهُم، وهُم يَكونونَ أهلَ بيتي الأحِبّاء. أمّا الجُبَناءُ والكُفّارُ والفاسِدونَ، والمُجرِمونَ والفُجّارُ والسَّحَرَةُ وعَبَدَةُ الأصنامِ والكذّابونَ، فمَصيرُهم الوُقوعُ في البُحيرةِ المُتّقِدةِ نارًا وحِجارةَ كِبريتٍ مُشتعِلة. وهذه البُحيرةُ هي الهَلاكُ المُنتَظَر، ومَعناهُ الهلاكُ في النّارِ».

21: 9ـ21 المدينة المقدّسة الجديدة

وأقبَلَ عليّ أحدُ الملائِكةِ السّبعةِ أولئك الّذين سَكَبوا كؤوسَهم السّبع المَليئة بِالبلايا السّبعِ الأخيرةِ، وقال لي: «أقبِل لأُريك جَماعةَ المؤمنينَ، الّذين تَهيَّؤوا لِمَولانا عيسى الذِّبحِ العَظيم، كما تَتَهيّأُ العَروسُ لزوجِها الكَريم». وأخَذَني الملاكُ بِقُوّةِ رُوحِ اللهِ إلى جبلٍ شاهِقٍ، وأراني المَكانَ القُدُسيّ الجَديد، إنّه المَدينةُ المُقَدَّسَةَ وهي تَنزِلُ مِن السّماءِ مِن عِندِ اللهِ، تتألّقُ بما عليها مِن جَلالٍ، وتتلألأُ نورًا وجَمالاً كحَجَرٍ كَريم وكاليَشبِ والبِلّورِ النّقيِّ. ويُحيطُ بها سُورٌ ضَخمٌ عالٍ، وفيهِ اثنتا عشرة بَوّابةٍ يَحميها اثنا عشر مَلاك. وقد كُتِب على كُلِّ بابٍ اسمٌ مِن أسماءِ عشائِرِ بني يعقوب الاثنَي عشر، ثلاثُ بَوّاباتٍ مِنها مِن الشّرقِ، وثلاثٌ مِن الشّمالِ، وثلاثٌ مِن الجَنوبِ، وثلاثٌ مِن الغَربِ. ويَقومُ سُورُ المَدينةِ على اثنتي عشرة رَكيزةٍ، كُتِب عليها أسماءُ الحَوارِيّينَ الاثني عشر الّذين أرسلَهُم سيِّدُنا عيسى الذِّبحُ العَظيمُ.

وكان الملاكُ الّذي كَلَّمَني يَحمِلُ عصا قِياسٍ مِن ذهبٍ لِيَقيسَ بِها المَدينةَ وبَوّاباتِها وسُورَها. وكانتِ المَدينةُ مُكَعَّبَةً في شَكلِها، لا فَرقَ بين عَرضِها وطُولِها وعُلوِّها.

فقاسَها الملاكُ بِالعصا، فكانت مَساحتُها ألفًا وخمسَ مِئةِ ميلٍ وفيها تَتَساوى الأبعادُ.[1]
ثُمّ قاسَ عَرضَ السُّورِ فرأى أنّه مِئةٌ وأربعةٌ وأربعُونَ ذِراعًا،[2] وكان الملاكُ يَقيسُ بِالذِّراعِ الّتي يَقيسُ بِها البَشَرُ.

وكان السُّورُ مِنَ اليَشبِ، والمَدينةُ مِن الذّهبِ النَّقيِّ كأنّهُ البِلّورُ الشّفّافُ. وقد زُيِّنت رَكائزُ السُّورِ بِكُلِّ أنواعِ الحَجَرِ الكَريم: فالرَّكيزةُ الأُولى يَشبٌ، والثّانيةُ ياقوتٌ أزرقُ، والثّالثةُ عَقيقٌ أبيضُ، والرّابعةُ زُمُرُّدٌ، والخامسةُ عَقيقٌ قاتِمٌ، والسّادِسةُ عَقيقٌ أحمرُ، والسّابعةُ زَبَرجَدٌ، والثّامنةُ زُمُرُّدٌ سِلقيٌّ، والتّاسِعةُ ياقوتٌ أصفرُ، والعاشِرةُ عَقيقٌ أخضرُ، والحاديَةَ عشرة فَيروزٌ، والثّانيَةَ عشرةَ جَمَشْتٌ. وكانت البَوّاباتُ الاثنتا عشرة تُشبِهُ اثنتي عشرة لُؤلُؤة، وكُلُّ بابٍ صُنِعَ مِن لُؤلُؤةٍ واحِدةٍ تَفوقُ الوَصفَ. أمّا ساحةُ المَدينةِ فكانت مِن ذهبٍ خالِصٍ كالزُّجاجِ الشّفّافِ.

21: 22ـ27

ولم أجِد في المَدينةِ بيتًا لِلعِبادةِ لأنّ اللهَ المَولى القدير، وسيِّدَنا عيسى الذِّبحَ العَظيمَ، هُما بِمَثابةِ بيتٍ وقِبلةٍ للمؤمنين. ولا حاجةَ في المَدينةِ إلى نُورِ الشّمسِ أوِ القمرِ، فبَهاءُ اللهِ نورٌ لها، والذِّبحُ العَظيمُ مِصباحُها المُنير. وبنُورِ المَدينةِ تَهتَدي الأُمَمُ، ويَجيءُ مُلوكُ الأرضِ بِكُنُوزِهم إليها فَرِحين. وتظلّ بَوّاباتُ المَدينةِ مَفتوحةً على مَصراعيها طُولَ النّهارِ ولن توصد، ولن يَقترِبَ اللّيلُ مِنها بَعدَ الآن. ويأتي إليها النّاسُ مِن كُلِّ الأُمَمِ مُحمَّلينَ بِكنوزِهم ومُمتلكاتِهم، فيُقدِّمونَها إكرامًا للهِ. ولن يَدخُلَ النّجِسونَ المَدينةَ، ولا عَبَدَةُ الأصنامِ، ولا الكاذِبونَ، إنّما يَدخُلُها الّذين دُوِّنت أسماؤهُم في سِجِلِّ الخالِدينَ، سِجِلِّ سيِّدِنا عيسى الذِّبحِ العَظيمِ.

(1) يمثّل المحراب الأقدس في بيت الله الذي بناه النبي سليمان الكعبة المثلى والكاملة آذاك، شأن الخيمة المقدسة التي سبقته في زمن النبي موسى. وفي هذا المقطع تذكّر المدينة الموصوفة على أنها مكعّب القرّاء بهذه المواقع التاريخية التي تجلّى فيها الله.
(2) يساوي عرض السور المذكور هنا تقريبا 65 مِترًا.

الفصل الثّاني والعشرون

22: 1-5 نهر الخلد في الجنة

ثُمّ أراني المَلاكُ نَهرَ ماءِ الخُلدِ صافيًا كالزُّجاجِ، يَنبَعُ مِن عَرشِ اللهِ وسيِّدِنا عيسى الذِّبحِ العَظيمِ، ويَنسابُ وسط ساحةِ المَدينةِ، وعلى ضِفّتيهِ شَجَرةُ الخُلدِ الّتي تُثمِرُ اثنتي عشرةَ مرّةً على مَدارِ السَّنَة، مرّةً كُلَّ شَهرٍ، وفي وَرَقِها دَواءٌ هو بَلسمٌ لكلِّ الأُمَم. فلا لَعنةَ تلاحقُ أهلَ هذه المَدينةِ المَحروسة بَعدَ الآن، ففيها عَرشُ اللهِ وسيِّدِنا عِيسى الذِّبحِ العَظيمِ، وفيها يَركَعُ العِبادُ للهِ ويَسجُدونَ. ويَكونُ اسمُ اللهِ على جِباهِهِم، وعِندَها يَنعَمونَ برؤيةِ وَجهِهِ الكَريم. فلن يَحُلَّ الليلُ في المَدينةِ بَعدَ الآن، ولن يَحتاجوا نورًا من المِصباحِ أو الشَّمسِ، لأَنّ ربَّ العالَمينَ هوَ نورُهُم، وهُم بِهِ مُلوكٌ إلى أبدِ الآبِدين.

22: 6-15 تجلّي سيّدنا عيسى ملكًا

ثُمّ أخبرَني الملاكُ: «يا يوحنّا، إنّ الكلامَ الّذي سَمِعتَهُ الآن كلامُ صِدقٍ وحقٍّ، لأنّ ربَّ العالَمينَ، الّذي يُوحي إلى الأنبياءِ، قد بَعَثَ مَلاكَهُ لِيَكشِفَ لعبادِهِ ما لا بُدَّ أن يَحدُثَ بَعدَ حينٍ». ثُمّ قال سيِّدُنا عيسى (سلامُهُ علينا): «إنّي آتٍ إلى العالَمِ قريبًا. فهَنيئًا لِمَن يَتّبِعُ كلامَ النّبوءةِ في هذا الكِتابِ».

أنا يوحنّا، سَمِعتُ هذِهِ الأشياءَ وأبصَرتُها. وعِندَما انتهى كَشفُها وَقَعتُ عِندَ قدمَيْ الملاكِ الّذي كَشَفَها لي ساجِدًا. فرَفَعَني قائِلاً: «حاشا للهِ أن تَسجُدَ لي! فأنا مِن عِبادِ اللهِ مِثلُك ومِثلُ إخوتِك الأنبياءِ، ومِثلُ كُلِّ الّذين يَتّبِعونَ كلامَ هذا الكِتابِ. فاسجُد للهِ وَحدَهُ!»

ثُمّ أضافَ قائِلاً: «ولا تَحجُبْ عنِ النّاسِ كلامَ الوَحيِ الّذي تَضَمَّنَهُ هذا الكِتابُ، لأنّ ساعتَهُ اقتَرَبَت. فليَستمرّ الجَميعُ على ما هُم عليهِ: الظّالمونَ في ظُلمِهِم، والفاسِدونَ في فَسادِهِم، والصّالِحونَ في صلاحِهِم، والطّاهِرونَ في طُهرِهِم».

وعِندَها أعلَنَ سيِّدُنا عِيسى قائِلاً: «إنّي آتٍ إلى العالَمِ سَريعًا، وسأحمِلُ مَعي الجَزاءَ لأُجازي جَميعَ النّاسِ حَسبَ أعمالِهِم. فأنا الألِفُ والياءُ، الأوّلُ والآخِرُ، البِدايةُ

والنِّهايةُ. فهَنيئًا للمُتَطَهِّرينَ، الّذين يَلبَسونَ لِباسَ التّقوى، فاللهُ أنعَمَ عليهِم بِالحقِّ في شَجَرةِ الخُلدِ وفي دُخُولِ المَدينةِ المُقدَّسةِ مِن بَوّاباتِها، أمّا خارِجَها فيَحتشِدُ النّجِسونَ والسَّحَرَةُ والفُجّارُ والقَتَلَةُ وعَبَدَةُ الأصنامِ وكُلُّ هُواةُ الكذِبِ ومُمارسيه».

22: 21-16 ختام

«أنا مَولاكُم عِيسى بَعثتُ إليكُم ملاكي ليُخبِرَكم بِكُلِّ هذِهِ الأُمورِ، حتّى تَنتَفِعَ جَماعاتُ المؤمنينَ. أنا سَليلُ النّبيِّ داود وصاحِبُ عَرشِهِ. أنا نَجمُ الصّباحِ، نَجمُ النَّصرِ المُنيرُ».[1]

إنّ رُوحَ اللهِ وآلَ المَسيحِ المَحبوبينَ يُنادونَ: «عَجِّل بالظُّهور يا مَولانا» وعلى كُلِّ السّامِعينَ أن يَقولوا أيضًا: «عَجِّل بالظُّهور يا مَولانا». فليُقبِلِ المُتَعَطِّشونَ، وكُلُّ الّذين يَرغَبونَ في ماءِ الخُلدِ، وليَشرَبوا مِنه دون حِسابٍ.

فأنا يوحنّا وإنّي نَذيرٌ لكُلِّ مَن يَستمِعُ إلى ما وَرَدَ في هذا الكِتابِ مِن نبوءةٍ: إن ألحَقَ أحدٌ شيئًا إلى ما جاءَ في هذا الكِتابِ، ألحَقَ اللهُ به ما ذُكِر فيهِ مِن بلايا سبع. وإن أسقَطَ أحدٌ مِنهُ شيئًا، أسقطَ اللهُ نَصيبَهُ مِن شَجَرةِ الخُلدِ ومِن المَدينةِ المُقدَّسةِ، وقد جاءَ ذِكرُهما في هذا الكِتابِ المُبينِ.

وإنّ سيِّدَنا عيسى شاهِدٌ على هذِهِ الأُمورِ، إذ يَقولُ ويؤكِّدُ: «أجل. إنّي آتٍ إلى العالَمِ سَريعًا». آمين، لِيكُن ذلك. عَجِّل ظُهورك يا سيِّدَنا عيسى، إنّنا نَنتظِرُكَ بِفارِغِ الصّبرِ! وفضلُ سيِّدِنا عيسى عَليكُم أجمعينَ.

---

(1) تنبّأ النبي أشعيا أنّ المسيح المنتظر يأتي «من أصل يسّى»، ويسّى هو والد النبي داود، أي أنّ السيد المسيح يأتي من نسل النبي داود (انظر أشعيا 11: 1). وقد جاء في هذا المقطع في اللغة اليونانية أنّ السيد المسيح هو «جذر داود»، أي أنّه ينحدر من سلالة النبي داود وهو مصدر سلطان مملكة داود في آن. ونجم الصبح هو كوكب الزهراء الذي يظهر قبل طلوع الفجر (انظر الهامش في الرؤيا 2: 28).

ملحق خرائط

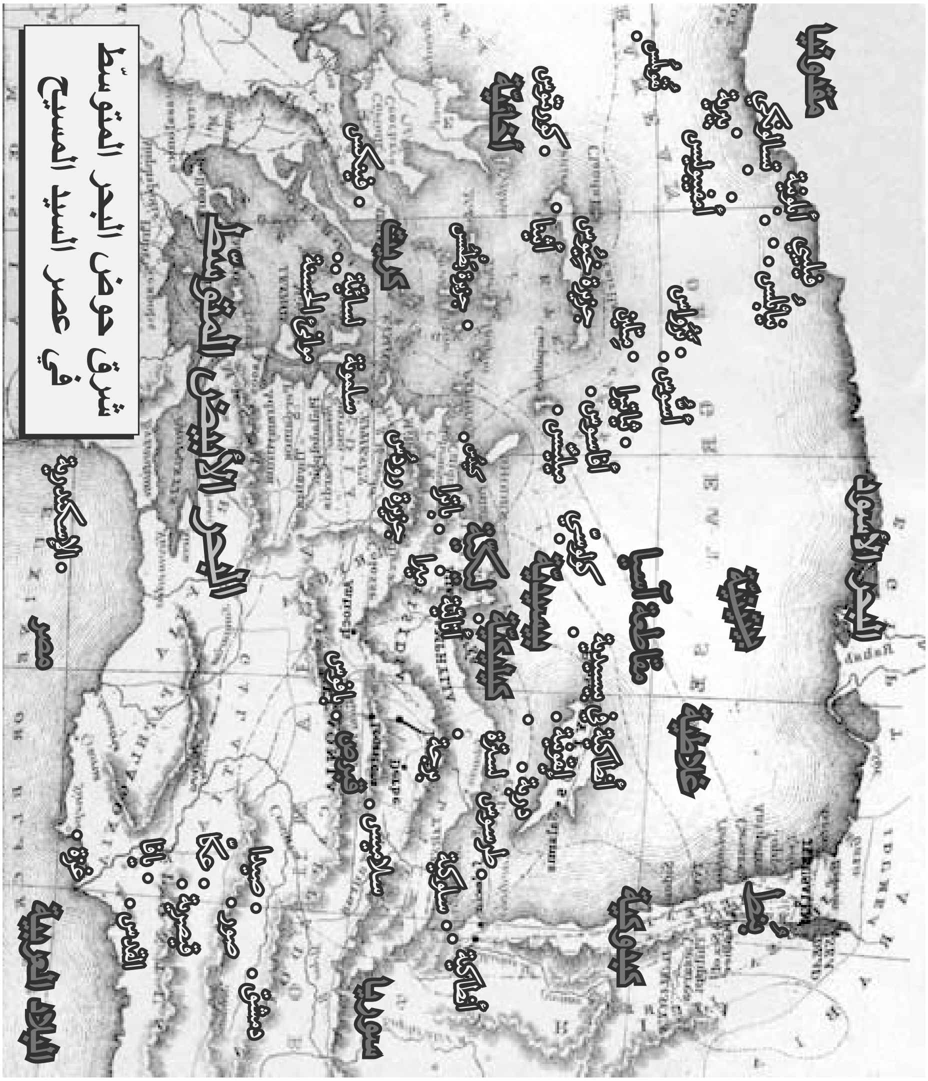

شرق حوض البحر المتوسط
في عصر السيد المسيح
البحر الأبيض المتوسط
البحر الأسود
مكدونية
أخائية
كريت
آسيا
مقاطعة آسيا
غلاطية
بيثينية
كبدوكية
كيليكية
سوريا
البلاد العربية
مصر
الإسكندرية
غزة
القدس
يافا
قيصرية
عكا
صور
صيدا
دمشق
أنطاكية
سلوكية
طرسوس
سلاميس
بافوس
قبرص
برجة
أتالية
ميرا
باترا
جزيرة رودس
كنيدس
فينكس
سلمونة
لاسائية
الموانئ الحسنة
كورنثوس
أثينا
تسالونيكي
بيرية
فيلبي
أمفيبوليس
أبولونية
نيكوبوليس
ترواس
أسوس
ميتيليني
جزيرة خيوس
ساموس
ميليتس
جزيرة بطمس
أفسس
كولوسي
أنطاكية في بسيدية
إيقونية
لسترة
دربة

فلسطين في عصر
السيد المسيح
0 20 40 60
كيلومترات
صيدا
دمشق
فينيقية (لبنان)
صور
قيصريّة فيليب
سوريا
الجليل
البحر الأبيض المتوسط
كورزين
بيت صيدا
كفرناحوم
بحيرة طبريّا
قانا
مَجْدان
بلدة طبريّا
الناصرة
بلاد الجراسيين
نعيم
قيصريّة
نهر الأردن
المدن العشر
منطقة السامرة
شَكيم
سوكار
يافا
بيت عَنْيَا
أريحا
عمواس
بيت فجّ
القدس
بيت لحم
بيت لحم
البحر الميت
غزة
منطقة يهوذا
البلاد العربية
(مملكة الأنباط)

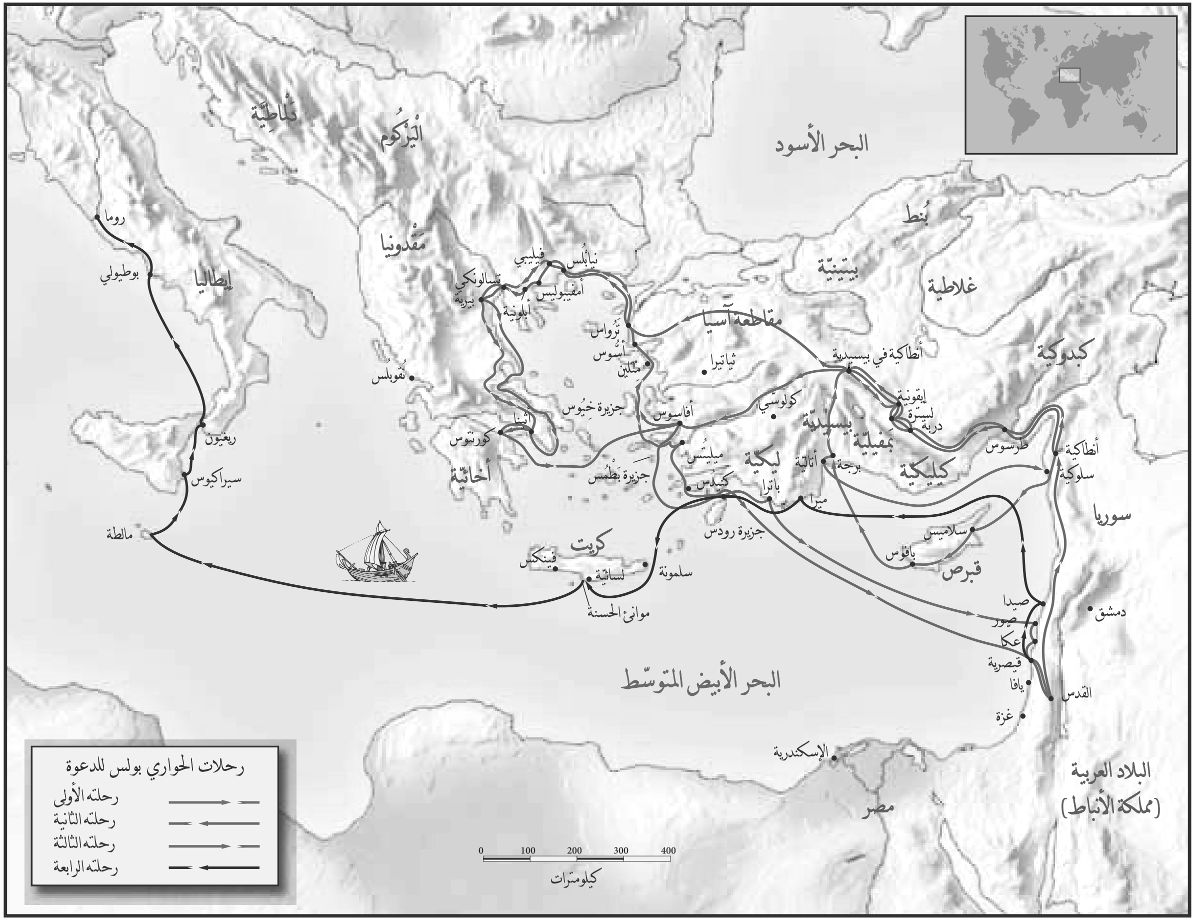
رحلات الحواري بولس للدعوة
رحلته الأولى
رحلته الثانية
رحلته الثالثة
رحلته الرابعة
0 100 200 300 400
كيلومترات
البحر الأسود
البحر الأبيض المتوسّط
إيطاليا
تُراقِيَة
الِيرُكوم
مَقْدونيا
أخائية
مقاطعة آسيا
بيثينيّة
بُنط
غلاطية
كبدوكية
ليكية
بمفيليّة
بيسيديّة
كيليكية
سوريا
قبرص
كريت
مصر
البلاد العربية
(مملكة الأنباط)
روما
بوطيولي
ريغيون
سيراكيوس
مالطة
نِقوبلس
فيلبّي
نيابُلس
تسالونكي
بيرية
أمفيبوليس
أبلونية
ترُواس
أسُوس
متلين
جزيرة خِيوس
أثينا
كورنثوس
أفاسوس
ثياتيرا
كولوسّي
ميليتس
كنيدس
جزيرة بطْمس
جزيرة رودس
باترا
ميرا
أتالية
برجة
أنطاكية في بيسيدية
إيقونية
لسترة
دربة
طرسوس
أنطاكية
سلوكية
سلاميس
بافوس
فينكس
لسائية
سلمونة
موانئ الحسنة
صيدا
صور
عكا
قيصرية
يافا
غزة
القدس
دمشق
الإسكندرية

جماعات المؤمنين السّبعِ في مقاطعة آسيا

الفهرس

رسالة إلى القارئ.. 1

المسيحية والعلمانية 5

في معنى «الإله-الأب»: الأبوّة الرّوحيّة.............................. 19

معنى عبارة «ابن الله».. 26

هل هناك فرق بين الدّيانة المسيحيّة وتعاليم السيّد المسيح؟................ 31

السيد المسيح والشأن السياسي 35

هل صُلبَ المسيح؟ 41

كلمة الله بين صفات الذات الإلهية 74

هل حرّف بولس رسالة السيد المسيح؟ 81

مدخل إلى رسائل الحواريّين 88

مدخل إلى رسالة روما.. 96

رسالة الحَواريّ بولس إلى أحباب الله في روما 99

مدخل إلى رسالة كورنتوس الأولى 135

رسالة الحَواري بولُس الأولى: إلى أحباب الله في كورِنْتوس 137

مدخل إلى رسالة كورنتوس الثانية 176

رسالةُ الحَواريّ بولُس الثّانية: إلى أحباب الله في كورِنْتوسَ................ 178

مدخل إلى رسالة غلاطية 202

رسالة الحَواريّ بولُس إلى أحباب الله في غلاطية........................ 204

مدخل إلى رسالة أفاسوس.................................... 221

رسالة الحَواريّ بولس إلى أحباب الله في أفاسوس 223

مدخل إلى رسالة فيليبّي 237
رسالة الحَواريّ بولُس إلى أحباب الله في فيليبّي 239
مدخل إلى رسالة كولوسي........................ 249
رسالة الحَواريّ بولُس إلى أحباب الله في كولوسي 252
مدخل إلى رسالة تسالونكي الأولى........................ 262
رسالة الحَواريّ بولُس الأولى: إلى أحباب الله في تَسالونْكي 263
مدخل إلى رسالة تسالونكي الثّانية 272
رسالة الحَواريّ بولُس الثّانية: إلى أحباب الله في تَسالونْكي........................ 273
مدخل إلى رسالة تيموتاوي الأولى 278
رسالة الحَواريّ بولُس الأُولى إلى تيموتاوي 279
مدخل إلى رسالة تيموتاوي الثانية 290
رسالة الحَواريّ بولُس الثّانية إلى تيموتاوي 291
مدخل إلى رسالة تيتوس........................ 298
رسالة الحَواريّ بولُس إلى تيتوس 300
مدخل إلى رسالة الحَواري بولس إلى فِليمون........................ 305
رسالة الحَواريّ بولس إلى فِلِيمُونَ........................ 307
مدخل إلى الرّسالة إلى أتباع المسيح العبرانيين........................ 310
الرسالة إلى أتباع المسيح العِبرانيّين........................ 312
مدخل إلى رسالة الحَواري يعقوب 339
رسالة الحَواريّ يعقوب إلى أحباب الله........................ 341
مدخل إلى رسالة صخر الأولى 352
رسالة الحَواريّ صخر الأُولى إلى أحباب الله........................ 353
مدخل إلى رسالة صخر الثّانية 363
رسالة الحَواريّ صخر الثّانية إلى أحباب الله 364

مدخل إلى رسالة يوحنّا الأولى 370
رسالة الحَواريّ يُوحَنّا الأُولى إلى أحباب الله 372
مدخل إلى رسالة يوحنّا الثّانية 383
رسالة الحَواريّ يُوحَنّا الثّانية إلى أحباب الله 385
مدخل إلى رسالة يوحنّا الثّالثة 387
رسالة الحَواريّ يُوحَنّا الثّالثة إلى أحباب الله 388
مدخل إلى رسالة يهوذا 390
رسالة يهوذا إلى أحباب الله... 391
مدخل إلى كتاب الرّؤيا 394
كتاب الرّؤيا 398
ملحق خرائط... 439